

مَقالاتٌ في الإمام الحُسين عليه السلام

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد

لسنة ٢٠١١ ـ ١٦٩

BP
٠٥ / ٤١
٤ ح /
٧ م

الحداد، عبد السادة محمد، مُعد.

مقالات في الإمام الحسين عليه السلام / إعداد عبد السادة محمد الحداد؛ [تقديم اللجنة العلمية، محمد علي الحلو]. - كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة، ١٤٣٢ق. = ٢٠١١م.

٨٢١ص. - (قسم الشؤون الفكرية والثقافية؛ ٥٦)

هي عبارة عن مجموعة مقالات منشورة سابقاً في مجلات وصحف قد عفى أثرها وأصبحت غير ميسرة لمجموعة من الفقهاء والمفكرين والكتاب والأدباء.

المصادر في الحاشية.

١ . الحسين بن علي (ع)، الإمام الثالث، ٤ – ٦١ق. – السيرة – مقالات. ٢ الحسين بن علي (ع)، الإمام الثالث، ٤ – ٦١ق. خصائص. ٣ . الحسين بن علي (ع)، الإمام الثالث، ٤ – ٦١ق. - أصحاب – شهادة. ٤. واقعة كربلاء، ٦١ق. – دراسة وتحقيق. ٥. الحسين بن علي (ع)، الإمام الثالث، ٤ – ٦١ق. - مراسيم العزاء – دراسة وتعريف. ٦. الحسين بن علي (ع)، الإمام الثالث، ٤ – ٦١. - أحاديث. ٧. زينب بنت علي بن أبي طالب (س)، ٦ – ٦٢ق. – تعقيب وإيذاء. ألف. الحلو، محمدعلي، ١٩٥٧– م، مقدم. ب. العنوان

٧ م ٤ ح / ٠٥ / ٤١ BP

تمت الفهرسة في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة قبل النشر

مقالات في الإمام الحسين عليه السلام

إعداد

عبد السادة محمد الحداد

الجزء

الأول والثاني

إصدار
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة
وحدة الدراسات التخصصية في الإمام الحسين عليه السلام

الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

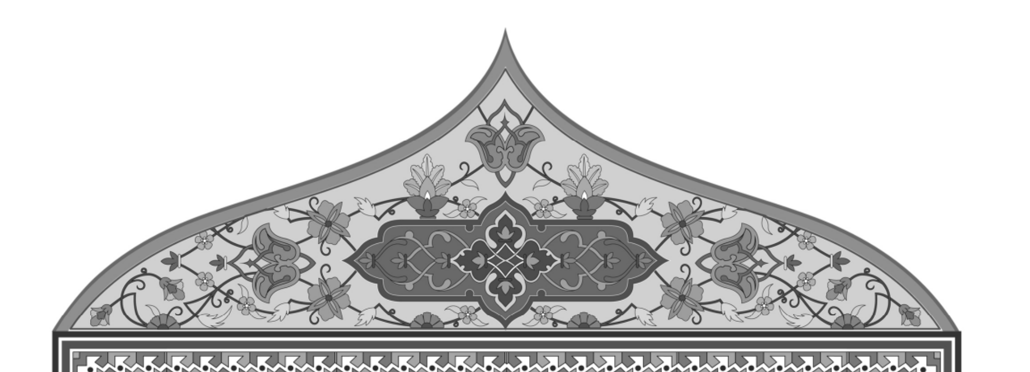


العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية - هاتف: ٣٢٦٤٩٩

Web: www.imamhussain-lib.com

E-mail: info@imamhussain-lib.com



الإهداء

أهـدي هـذه الدراسـة المتواضـعة إلى أرض الطفـوف والتضحيات كربلاء المقدسة، وإلى ذلك الطفل الذي رضع الدم بدل أن يرضع الحليب، والذي ذبحه الظالمون من الوريد إلى الوريد.

إلى ذلك الطفل الذي لم يرتكب ذنباً ولم يشارك في معركة، ولكن السبب في قتله لأنه ابن الحسين عليه السلام، إلى ذلك الطفل الذي فتّت قتله قلب الحسين عليه السلام، وقلوب الأئمة الطاهرين عليهم السلام وقلوب المؤمنين.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن في تاريخ الحسين عليه السلام إشعاعاً لمن أراد المعرفة والأمل، فقد حمل للناس الحب ... والأمل ... والقوة.

الحب للخير في سبيل الإنسان.

الأمل في مستقبل الفرد ورفعه إلى الأفضل.

القوة اتجاه المبدأ وجهاداً للحق ضد الباطل.

الحب.. والأمل ... والقوة.

عناصر تشع منها أنوار متصلة بنور الله.. تشع منه شمس الهداية الإلهية.. ويستضيء بها الناس ويشرق بها المجتمع.

استميحك عذراً سيدي أبا عبد الله.. وأنا أبحر في عالمك السرمدي الذي هو أسمى وأنقى من هذا العالم المادي الملوث بالنفاق والمجون والضلالة.

سيدي أبا الأحرار.. عشقتك قبل هذا الوجود.. عشقتك وأنا نطفة في الأصلاب، توضأت بنورك الأزلي وصليت صلاة العاشقين في محراب عظمتك ووقفت وقفة المتأمل أمام سر خلودك الأبدي. كان حبك يأخذ بيدي نحو شواطئ الحرية والأمان والدفء والتوحيد والإخلاص.

سافرت مع نورك المتوهج بالإيمان والصفاء، كان قلبي يتلهف شوقاً لرؤيتك والتقرب منك؛ لأرسم قبلة حب على جبينك الوضاء.

سيدي أيها الإمام المعصوم المقدس المليء بالعظمة والخلود والنقاء.. لقد كانت صورتك مرسومة في قلبي قبل آلاف السنين، كنت أبصرك بقلبي وعقلي قبل عيني، وكان حبك يتدفق في عروقي قبل أن تلدني أمي، وقبل أن أكون طفلاً في هذا العالم.

سيدي أيها الضمير الثائر.. يا صوت كل المستضعفين في هذا الوجود، ويا رمز كل الشهداء والشرفاء.. إن مطر السماء تمتصه الأرض، ويتبخر بحرارة الشمس أما قطرة الدم فهي خالدة مادامت السماوات والأرضون.. لقد انتصر دمك وانهزم السيف الذي أراد إن يطفئ نورك وسناك قال تبارك وتعالى:

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ سورة التوبة / الآية ٣٢.

سيدي أبا الشهداء.. أيها النور الرسالي.. بك ما زالت تستنير العقول والضمائر الحية، فأنت الهادي لقوافل المؤمنين وركائبهم السائرة في طريق التوحيد والوثبة والفداء.

سيدي أيها الشهيد السعيد.. أسافر كل يوم على أجنحة الشوق والحنين لأغتسل بفيض ضوئك المنبعث من عليين ولأتضوع بعطرك النقي ولأُسْعَد وأهنأ بلقائك المشوق الذي طالما انتظرته وحلمت به ... مردداً بيني وبين نفسي إنشودتي الخالدة.

لو سفكوا يا سيدي دمائي ... وبعثروها في الثرى أشلائي

ما غيروا في نهجك انتمائي ... لأنني ثابت في ولائي

وهمتي أقوى من الأعداء

سيدي أيها الدم المنتصر.. هذا هو التاريخ يقف اليوم وقفة المتأمل أمام عظمتك وسر خلودك مستنهضاً فيك المبادئ من جديد مخلداً ومعيداً ملحمتك الكبرى ملحمة انتصار الدم على السيف.

إن حبي وارتباطي بالامام الحسين عليه السلام كان هو دافعي الحقيقي في جمع هذه البحوث والمقالات الخاصة بالإمام الحسين عليه السلام، ولا أخفي القارئ سراً أني شرعت بعون الله الملك الوهاب في بداية تناولي لهذه الدراسة بالمقالات الخاصة عن الإمام الحسين بن علي عليه السلام، ورأيت أنها منشورات في مجلات وصحف قد عفي أثرها وأصبحت غير متيسرة لدى الجميع للاطلاع عليها والاهتمام بها.

فعزمت بعد التوكل على الباري (عز وجل) على جمعها وإعدادها وإعادة الروح فيها من جديد، وبأقلام أكابر الفقهاء والمفكرين والكتاب والأدباء، وأني إذ أقدم هذا النوع من الدراسة فلست أقول إني بلغت فيه مبلغ الرضا في نفسي ولا مبلغ الرضا عند غيري فكل جهد يقدمه صاحبه هو أقصى ما يبذل.

فإن نفعت فذاك ما أبتغي وأتمنى (والمنة لله تعالى)، وإلا فما هي بأعظم من كتاب الله العظيم الذي نبذه الناس:

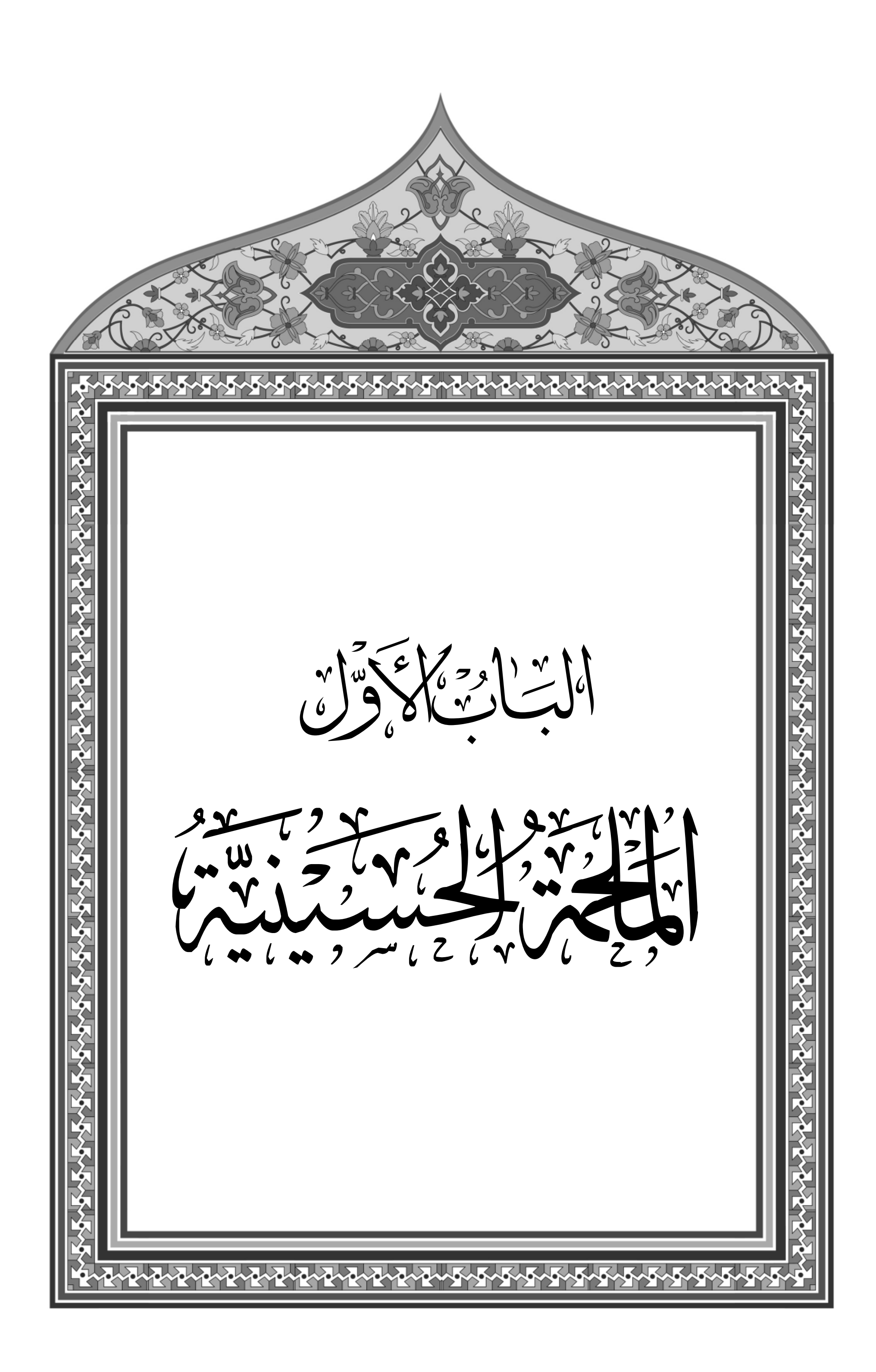
﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا﴾ سورة الفرقان الآية ٣٠.

وكل ما أسأله من الله تبارك وتعالى أن أكون موفقاً لخدمة دينه الحنيف ورسالة سيد المرسلين وآل بيته الطيبين الطاهرين إنه نعم المولى ونعم النصير. كما أرجو أن أكون قد قدمت بذلك خدمة للمكتبة الإسلامية بتزويدها بهذا اللون من الدراسة والله من وراء القصد.

المؤلف

٢٥ رجب ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠/١٠/٢١م

النجف الأشرف



الباب الأول

الملحمة الحسينية

سيبقى هذا الصوت خالداً

بقلم: السيد الشهيد محمد باقر الصدر

الحسين مصباح الإنسانية الباهر الذي أضاء بالنور في ليلة من لياليها الحالكة، ليضع لها نهارها المشرق الوضاح، ويأخذ بيدها في سبيل تحقيق إنسانية الإنسان، وصقلها صقلاً إسلامياً خالصاً، وإعطائها حقوقها الفردية والاجتماعية، بعد أن انتزعتها منها حكومات الإرهاب والاستعباد، التي لم تقرأ يوماً ما نظرة الإسلام في الحكم والنظام.

الحسين هو الفرد الذي اختصرت في فرديته العبقرية، القداسات الإنسانية كلها، وتماوجت في روحه الفذة حياة تصنع الحياة، فكبر عليه أن يستأثر بها، ووهبها للعقائد والأجيال، فشاعت حياة الحسين فيها وتحولت من حياة شخص محدود إلى حياة ثرية خالدة للمثل الإسلامية العليا، وحياة ضميرية خيرة في قلب الأجيال الواعية من بني الإنسان.

وهكذا استحدثت العقيدة نشاطها واستعدادها للخلود من روح الحسين ودمه كما استمدت منه كيانها وضميرها، فصارت تحيي بحياة حسينية مشعة، كما كان يحي بحياة عقائدية طاهرة.

الحسين هو ذلك العاشق المفتون بالحقيقة الإلهية المقدسة، وجمالها الأولي الذي لا يحسب حساباً للدنيا وما فيها؛ لأن ذلك كله إلا شعاعاً ضئيلاً من ذلك المنبع الفوار الذي قد فنى فيه وسحر روحه، وكهرب مشاعره كلها. اسمع إليه وهو يخاطب معشوقه العظيم عند مسيره إلى جهاده في دعاء عرفة الذي هو النشيد الخالد للعبودية المخلصة

«ماذا وجد من فقدك وما الذي فقد من وجدك».

بهذه الروح الرائعة التي لا يدخل شيء من أشياء هذا العالم المحدود في حسابها، ولا ترى بعد الظفر بالجانب الإلهي جانباً آخر يخشى فواته، أو يؤمل إدراكه، لأن المجد هوليس إلا لمعة لذلك الوجود غير المحدود. أقول بهذه الروح المعنوية الباهرة دخل إلى معركة كربلاء مضحياً بنفسه وبصفوة البنين والإخوة والأصحاب، وبجميع اعتبارات هذه الدنيا الفانية لأن سكرة العشق الإلهي جعلته يرتفع عند ذلك كله فلا يرى بعيني عقله إلا معشوقه العظيم، يتقبل منه قرابين التضحية، ويبارك له فيها فيزداد اطلاقة وبشرا كلما ازدادت اتساعا وفارت دماً.

خاض الحسين تلك المعركة الهائمة مندفعاً بضمير إلهي يملأ ذات نفسه وبيده مشعل الحياة والنور، ولكن شاء صانعوا الموت للشعوب الذين لا يمكن أن يقيموا عروشهم الجائرة إلا في ظلام أن يطفئوا ذلك المشعل، ويقضوا على ذلك النور.

وكانت تلك المعركة منظراً دامياً للصراع الهائل الذي انبثق عن وضع نظام الدولة في جوهر الإسلام، وذلك أن الإسلام بطبيعته المتوثبة إلى الاتصال والخلود، وبجوهره الذي جاء بالصيغة النهائية لرسالات السماء لم يكن ليرضى إلا أن يمتد بوجوده ما امتدت هذه الإنسانية، مهذباً ومنظماً، ولهذا وضع في الصميم من دستوره نظام الدولة العادلة فكان ذلك إكمالاً للدين واتماماً للنعمة، كما أعلنه القرآن العظيم عند احتفال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودين الإسلام – يوم الغدير– بوضع نظام الدولة المخلصة وترتكز الفكرة في هذا النظام على ضمان العدالة و المساواة بإحراز الوجود الأصلح الذي يسعد به المجتمع والفرد ويطمئن في ظله إلى حياة حرة كريمة في حدود نزيهة وعماد هذه الحياة الصالحة – في نظر الإسلام – ذلك الوجود الأصلح الذي يكون امتداداً للنبي لتمتد بذلك رسالة النبوة، والذي لا بد أن يرتفع على الهزات وتمتنع عليه حمى الحكم عن غير الضمير الإلهي الجبار، وإمام كهذا يكبر على طاقة المنتخبين أو

المعينين من الناس، وبهذا كان الانتخاب الإلهي له هو الأساس الذي تقتضيه روح الإسلام ويتفق مع جوهره العظيم.

فليس من جوهر الإسلام في شيء أن يقر حكماً انتخابياً ينبثق عن شتى العواطف ومختلف الأهواء والنزعات، وهو الذي جاء لتقويم تلك العواطف وتحديد هذه العواطف والنزعات، وليس من طبيعته ان يمضيَ حكماً فردياً يقوم على دكتاتورية غاشمة لا حدود لسلطانها، ولا حساب على أعمالها، وإنما الذي هو من طبيعته بالصميم أنْ يعتدل أمر الامامة برجل معين مختار ولكن لا على اعتبار دكتاتوري في الحكم، بل وفق خطة تحاور بروحها روح الديمقراطية العادلة التقدمية، ذلك بأنه يجعل الله تعالى مصدراً للسلطة الوحيدة في جهاز ذلك الحكم ويعتبر الشعوب عياله وشعبه ويقيم الامام أميناً على تنفيذ قوانينه، وحارساً لأحكامه ومسؤولاً بين يديه، يوزع على ضوء تلك القوانين حقوق الحياة السواء بين إخوان في الدين والإنسانية، وقد أعطى سيد الشهداء عليه السلام صورة رائعة عن ذلك في قوله «فلعمري ما الإمام إلاّ الحاكم بالكتاب، القائم بالقسط، الدائن بدين الحق الحابس نفسه على ذلك لله».

وقد امتحن هذا النظام للدولة منذ أن أعلنه الإسلام وأتم به رسالته بمعارضة صاخبة أبت أن يبقى لون الحكم إلهياً دائماً، وطابع السلطة نبوياً هاشمياً أبداً، وجاءت المعارضة أولاً على شكل الدعوة إلى الانتخاب الحر واستمداد السلطة الحاكمة وجودها من الناس أنفسهم، وعطل ذلك النظام الخير في عواصف مزلزلة لا سبيل لنا إلى ذكرها الآن؟ وقام الحكم في دنيا الإسلام انتخابياً في لونه الظاهر بعد أن حصرت دائرة الترشيح في إطار ضيق جردت قريش منه أكثر المسلمين، وقصرت الأصوات الانتخابية على عدد لم يكن ليتيسر أن يقوم ذلك الحكم على أكثر منه.

ثم ظهرت عليه مظاهر النزعة الفردية في السيطرة الفردية، فلم يمضِ عقدان حتى اختصرت الانتخاب في ستة لم يكن للمسلمين أي تأثير في ترشيحهم ثم اشتد الطابع

الفردي وضوحاً بعد ذلك وما زال الحكم يسير في خط منحنٍ، رسمته المعأرضة في ظروف ومؤثرات لا يتسع لشرحها المقام حتى انتهى إلى دكتاتورية أموية سافرة، هي أبعد ما تكون عن طبيعة نظام الدولة المفروض في قانون الإسلام.

وضاعت الحقيقة التي قالها الإسلام في هذا الموضوع.

وفي هذه اللحظة الحاسمة من تاريخ الحكم الإسلامي دقت ساعة السخاء في إذني الحسين تؤذنه بأنها لحظة التضحية والشهادة، لا لكسب السلطة عملياً واستردادها من الغاصبين فإنّ ذلك لم يكن ليؤمل في تلك الظروف التي درسها الحسين عليه السلام جيداً، وفهمها عن آبائه جيداً أيضاً، بل لتسفر دولة المعأرضة بلون أحمر من الدم، ولون أسود قاتم من الظلم فينتزع بذلك عنها الطابع الإسلامي الذي كانت تدعيه ويضع هذا الطابع على الدولة التي أرادها الإسلام للمسلمين.

لم يقم الحسين عليه السلام دولة الإسلام ولكنه أرخ الدولة الإسلامية، وكتب حقائقها الذهبية، وسجل نظامها بمداد من الدم أبد الدهر.

كان يوم الطف تاريخاً رائعاً ليوم (الغدير) وكان الدم الزكي المنسكب على أرض كربلاء برهاناً على أن روح الإسلام تتعالى عن منطق المعأرضة وحكوماتها كان يوم الطف يوم القيامة الكبرى التي قضت على شرف الحكم واعتبار الحاكمين، وأعلنت للمسلمين ببطولة لم تظفر الإنسانية بنظيرها حقائق الإسلام في إطار دام رهيب.

ولم يكتف الامام بذلك بل استغاث في ذلك الموقف العظيم بالإنسانية كلها، ودوى صوته الإلهي طالباً المعونة والنصر، ففاض تاريخ الإسلام بالتضحيات الكريمة، والأريحيات الخيرة، والحركات التحررية الجبارة، وسوف يبقى هذا الصوت يرن في مسمع الإنسانية، ويدفعها إلى الموت ليخلق لها الحياة، وإلى التضحية ليهبها الكرامة، يعلمها كيف يهب الفرد حياته للأمة فيكون شيئاً من حياة الأمة كلها(١).

(١) مجلة النشاط الثقافي -النجف- العدد - ٨- السنة الأولى- ١٩٥٨/ص٤٢٧.

ذكريات أبي الشهداء الأحرار

بقلم: السيد الشهيد حسن الشيرازي

للحسين في التاريخ أضواء وأصوات، ولثورته في الحياة هزات وامتدادات، وهو الإنسان الذي وحّد اتجاه العاطفة والفكر فموج الكيان الإسلامي حتى انتفضت في كل بعد منها رعود وبروق.

الحسين عملاق لم يخفض الطرف يوماً وإنما حلّق في القمم حتى بلغ الذروة فهو نداء يجوب الآفاق ويتغلغل في القرون.

الحسين عبقرية تفتحت فيه آفاق وأجواء فلم يتقلص في جيله ولم يستأثر به المسلمون فحسب بل توسع للإنسانية جمعاء ينفحها بإيمانها المطلق بالمثل والقيم ويعبّر عنها تعبيراً حكيماً بصيراً، فإذا مر بالعقول القاحلة أوحى إليها الأمل السمح، وإذا مسح الحياة الجدباء بشّرها بالخصب والرخاء وأضفى عليها المرح والنعيم.

الحسين ثائر فلم يعرفه المفكرون لأن ما يخامر نفس الثائر لا يجيش في صدور المفكرين وهو مفكر لم يبلغه الثوار، ولا يطيق الجميع أن يجلوه ويعكسوه عل الحياة لأنهم لا يتقنون تحليل الشخصيات المضاعفة.

الحسين هو الرجل الوحيد الذي ضحى في سبيل الإسلام بحياته الخاصة ومجموع أفراد أسرته وأمواله كافة، وبقية الاعتبارات التي يتهالك عليها الناس وخاض في معركة عَلِمَ منذ الخطوة الأولى أنه سيخسرها إلى الأبد، ولكن الإسلام سيربحها حتى الأبد،

فأقدم على التجربة القاسية بثقة وإيمان وهدوء لتكميل دين جده وتعديل مناهج الإسلام وإنقاذها من محرفيها الأدعياء الذين تاجروا بالحق ليرجوا به الباطل، فقد كانت رسالة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في وضع تصميم الإسلام وتنفيذ كلمة السماء وكانت مسؤولية الحسين عليه السلام في تعديل مخطط الإسلام وفضح المتآمرين عليه ولم يكن تعديل الإسلام بأهون من تقريره لو درسنا الظروف والملابسات الفكرية والاجتماعية التي عاشها الحسين أو كلاهما مشاركة في الإسلام واخراجه إلى الوجود حقيقة بارزة واضحة الخطوط والحدود بحيث ترفض التمويه والالتواء فالنبي باق على صيغته الأصليه لثورة الحسين والحسين خالد في إطار التقديس لثورة الرسول وهنا نلمس تفتح البلاغة في اوج نبوغها عندما انطلقت على لسان النبي الأكرم لتعبر عن علاقة الحسين والرسول بالآخر قائلاً:

(حسين مني وأنا من حسين).

وبعد هذا فالحسين تاريخ قائم بذاته ولصفحاته المطوية أغوار بعيدة وآمال، وقد تفرع عن بيت الرسالة ليؤكد أنّ الشرق منبع الحضارات والفنون ومهبط العبقريات والإلهام وهو أبعد من أن نجلوه بطلاً أو ثائراً فقط وإنما هو فوق ذلك، إمام لا يسمو إليه الفلاسفة والزعماء والمصلحون، فهو ملتقى الفضائل وفي كل فضيلة بلغ القمة وأعلى فيمثل الجميع الأبطال في أروع تعبير،ويصور المثل القيمة كافة في أزهى مثل فيتظافر الناس على الاحتفاء بذكرياته رغم تناصر الدهور الساميات عليها لأنه إحياء لجميع العظماء والقيم مكرسة في نموذج بليغ ويزدلف المسلمون حول ضريحه المقدس في كل مناسبة لتلقى مجموعة الدروس في ايماءة واحدة ويخاطبونه في زيارته بخشوع وابتهال...أشهد أنك قد أقمت الصلاة وآتيت الزكاة وأمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر...ليركزوا هذه الشعارات في أفكارهم ويؤكدوا على مقاييس العظمة وينقذوا المقدسات من البلبلة والارتباك.

وفي هذه الذكرى الخالدة تتدافع الوفود المتدفقة من شتى أبعاد البلاد الإسلامية فتلتف الجماهير الحاشدة حول مرقد الامام الشهيد وكل عضو منها لسان يردد:

لبيك داعي الله إنْ كان لم يجبك بدني عن استغاثتك ولساني عند استنصارك فقد أجابك قلبي وسمعي وبصري.

لتعرب عن استنصارها لمبادئ الامام وأهدافه ويصرخون في تلك الحضيرة التي احتضنت الأجسام المضرجة بدماء الشهادة هاتفين معولين:

أشهد لقد اقشعرت لدمائكم أظلة العرش مع أظلة الخلائق وبكتكم السماء والأرض وسكان الجنان والبر والبحر.

ليعلنوا اشمئزازهم العنيف عن الجريمة والطغيان وتنساب مواكبهم الثائرة الملتهبة بأهازيجها الحماسية الحزينة من مراكزهم إلى حرم أبي الشهداء أبي عبد الله الحسين ومنه إلى مشهد بطل العلقمي أبي الفضل العباس «وهم يضربون صدورهم بقسوةٍ وأنكسار ليدقوا مسامع الحياة ويقتحموا التاريخ من أوسع أبوابه فيخلدوا ثورة الطف التي لا تستحلب مثلها الأجيال ويسجلوا الخلود: إننا جميعاً امتداد للبطل الشهيد وماضون على اسمه ومنهاجه (رغم التناولات وتعصر ذكرى المأساة قلوبهم فيعتصرون من أجفانهم الدموع الغزيره ليرووا الدماء الغالية التي سقت غرس الدين والعقيدة) فتبقى طرية فائرة تفتح الأفق وتغذي الفكر الثوري للمسلم المعذب حتى لا يرضخ للاستعباد والاضطهاد (ويتمسحون بضريحه الغائم المكلل بالنضار اللامع ليربوا مشاركتهم العملية للبطل الثاوي وهم يتناجون متخافتين بقطعة النور التي وردت في الدعاء: وعاذ فطرس بمهده فنحن عائذون بقبره من بعده نشهد تربته وننتظر أوبته، ويتذكرون الحديث العظيم:

«**الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة**»[٢].

(٢) مجلة الأخلاق والآداب -كربلاء- العدد-٦-السنة الرابعة- ١٣٨٤هـ/ص٢١٣.

ذكرى أبي الشهداء

بقلم: الشهيد سيد قطب

صاحب تفسير / في ظلال القرآن

دم ودموع، وسمو واستعلاء، وألم يفري الضلوع، وعزة للنفس وإباء.

تلك ذكرى أبي الشهداء.

ما اجتمع الألم القاسي والعزة الطولى، كما اجتمعا في هذه الذكرى.

الألم لذكرى تلك الدماء النقية الطاهرة ما ارتوت هذه الأرض بأطهر منها، والعزة بذلك الشمم العالي، ما شهدت هذه الأرض مثله، وإنهما لمزيج مقدس، تطهر به الأرواح وتزكي وتسمو به الإنسانية إلى السماوات العلى.

وإنّه لمقام تتطاول إليه الأعناق لتقبس العيون والقلوب من نور هداه، ولترى كيف ترتفع البشرية إلى الملأ الأعلى وكيف تصمد الروح لآلام الجسد، وكيف تحتمل النفس ما لا طاقة به لبشر، وكيف تصفو وتشف فإذا هي نور يتحدى النار، فيكتوي ولكنه ينتصر مدى الادهار.

ما العبرة في ذكرى أبي الشهداء؟

هي عبرة العقيدة التي لا تضعف، والإيمان الذي لا يُهَدْ والعزة التي لا تستخذى، والإباء الذي لا يقهر، والقلب الشجاع الذي لا تروعه الأهوال.

وهي في الجانب الآخر عبرة النفس الإنسانية حين تمسخ والطبع البشري حين ينتكس، والشر اللئيم الخسيس حين تسعفه القوة المادية، والنذالة القذرة المنتنة حين تواتيها الظروف.

ما الذي صنعته الأيام والدهور بهذا وذاك؟ لقد خلدت العقيدة والإيمان والعزة والإباء والقلب الشجاع، خلدتها في القلوب نوراً وإيماناً وعقيدة تُذكيها القرون والأجيال وقد دفنت الطبع المنتكس، والشر اللئيم والنذالة القذرة وعفت على هذه الصور البشعة، ألا أن تذكرها بالمقت والازدراء ألا فلينتظر الشباب أي الطريقين يسلك بعد ألف وثلاثمائة عام.

لينظر أيسلك طريق الخلود الكريم، أم طريق الفناء المهين.

ألا وأنه لن يختار ألا الكرامة والإيمان، وهو ينظر هذه الذكرى الخالدة على ممر الأيام[٣].

(٣) ذكرى أبي الشهداء –حفلات الشباب النجفي– إخراج دار الغري – من دون تاريخ/ص٣٨.

دور المرأة المسلمة في الطف

بقلم: العلوية الطاهرة الشهيدة بنت الهدى

أُختاه:

وبعد، فما أروعه من لقاء يجمعنا على صفحة قرطاس وفي غضون هذه الأيّام أيام محرم الحرام، وبعد أن عشنا الاسبوعين المنصرمين مع أعظم كارثة إسلامية نستعيد ذكراها المستقرة في أعماق نفوسنا نحن المسلمين، ونمجد خلودها الصاعد من العصور، ونتابع حوادثها البطولية الرائعة، لنستمد منها أسمى معاني الكفاح المتبلور بالإشعاعات السماوية والزاخر بالمثل الروحانية، المليء بكل المعاني الخيرة التي تمثلت في يوم الطف من عاشوراء، ذلك اليوم الذي لم يزل ولن يزال عبرة في صدور المسلمين وغرة في تاريخ الإسلام ومشعلاً وهاجاً ينشر معالم العزة القعساء والإيمان الصحيح، وطريقاً مهيعاً للخلود الروحي، والبقاء الأدبي المعنوي.

وإني لحريصة في مقالنا هذا أن أغتنم هذه الفرصة لأتحدث فيها عن دور من أهم أدوار هذه الذكرى المقدسة الذي يجيء أثر دور الإمام عليه السلام مباشرةً فأذكر (زينب) (زينب).. بنت علي عليه السلام وأخت الحسين عليه السلام سليلة البيت الهاشمي العريق، وعقيلة الطالبين، وزهرة أهليها الأعلين وريحانة النبوة السماوية، وقداحة الشجرة المباركة، التي أصلها ثابت في الأرض وفروعها في السماء (زينب)، هذه

التي ربت وترعرعت في مهد الحنان الفاطمي والعطف المحمدي، والتي هيئت منذ اليوم الأول لتسجل أروع صفحة في جهاد المرأة المسلمة، والتي أحاطتها ظلال عاشوراء منذ الفجر الأول لولادتها، فهذا التاريخ يحدثنا صادقاً وحتى على لسان المستشرقين أمثال (رونالدسون) في كتابه (عقيدة الشيعة) و(لامنس) في كتاب (فاطمة وبنات محمد) نعم يحدثنا أن البيت النبوي كان يرى في وليدته الصغيرة جيشاً صامداً أمام حوادث الدهر المقبلة فأخذ يهيئها لذلك، ويوقد في حناياها النور المقدس والنار الحماسية، وعندما لمح لها الإمام عليه السلام في يوم من الأيام عن دورها المقبل أجابته في جدٍّ رصين:

«أعرف ذلك يا أبي أخبرتني به أمي لتهيئني لغدي».

يا لله ويا للروعة عقيلة بني هاشم، ويا لعقيدة الإسلام، التي تهب الروح المسلمة طاقة تتقاصر دونها الطاقات.

ثم درجت زينب عليها السلام وتقدمت بخطاها نحو صباها الحزين بعد فقد الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم والأم الرؤوم ومضت مضطلعة بوصية الأم النائية، وأصبحت للحسن عليه السلام والحسين عليه السلام أُماً ثانية لا يعوزها حنان الأمومة بما فيه من إيثار وتضحية، ثم تتابعت الحوادث وتعاقبت وعقيلتنا تتابعها عن بعد وقرب، وقد اندمجت مع رسالة جدها الخالدة تستمد منها النور الوهاج والقبس المضيء حتى وقفت بها عجلة الزمن في يوم عاشوراء يوم النور الخالد،ويوم الجهاد الشامخ، فكانت هي أول من تحسس مواطن الخطر في كربلاء وحينما سمعت الإمام عليه السلام يقول:

«يا دهر أف لك من خليل».

تخرج إليه وهي تقول:

«وا ثكلاه ليت الموت اعدمني الحياة».

فيروح أخوها الحبيب يسليها ويواسيها. ثم يشرح لها الوضع الراهن على حقيقته، ويوصيها بوصاياه.

ومنذ تلك الساعة أخذت على عاتقها تحمل المسؤولية الكبرى واضطلعت بأروع مهمة تاريخية، وهي تركيز نداء الحق الذي استشهد لأجله آلها الميامين،فنراها وقد خرجت من المعركة،وبعد إذ فقدت فيها أعز ما يفقد، نراها شامخة كالطود، راسخة كالجبل الأشم، تخاطب يزيد فتقول:

«أظننت يا يزيد، حيث أخذت علينا أقطار الأرض، وآفاق السماء، فأصبحنا نساق كما تساق الأُسارى أن بنا على الله هوانا، وبك عليه كرامة وأن ذلك لعظم خطرك عنده فشمخت بأنفك، ونظرت في عطفك، جذلان مسروراً، حين رأيت الدنيا لك مستوثقة، والأمور متسقة.. فمهلاً مهلاً، أنسيت قول الله تعالى:

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

فوالله ما فريت إلا جلدك ولا حززت إلا لحمك.. ولأن اتخذتنا مغنماً لتجدنا وشيكاً مغرماً، حينما لا تجد إلا ما قدمت يداك».

هكذا خرجت بنت علي عليه السلام من الطف وهي أرفع ما تكون روحاً، وأرسخ ما تكون عقيدةً وثباتاً، ولقد كانت خطبتها المأثورة في الكوفة هي الشرارة الأولى للأخذ بالثأر وحركة التوابين، فلقد كفكفت دموعها وهي تلمح الكوفة مهد صباها اليانع، وعاصمة عزها الشامخ وأشارت للدموع الباكية بالسكوت ثم قالت:

«أما بعد يا أهل الكوفة.. أتبكون، فلا رقأت الدمعة ولا هدأت الرنة، إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً، تتخذون إيمانكم دخلاً بينكم..ألا ساء ما تزرون، أي والله فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً

فلقد ذهبتم بعارها وشنارها، ولن ترخصوها بغل بعدها أبداً، أتعجبون لو أمطرت السماء دماً، ألا ساء ما سولت أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون..»

استمرت بنت الرسالة تدعو إلى رسالة الإسلام على يقين وبصيرة لم يشغلها المصاب الهائل، ولم تقعد بها الشدائد عن المضي قدماً في طريق الدعوة والهداية، حتى أنها كانت امتداداً لحياة أخيها الحسين عليه السلام وآلها الأطهار، فلنقتبس ومضة من روحها الجبارة ولنستمد طاقة من طاقاتها المثالية، لنحتفظ بكيإننا الاجتماعي، الذي بنتهُ لنا، هي وآلها الميامين تحت راية الإسلام الشامخة ولواء القرآن المظفر، ولا يقعدن وهن أو كَل، فهذا الغد المشرق يفتح ساعديه لاستقبالنا لنرقي إليه وبيميننا القرآن وبشمالنا كلمة (لا اله إلا الله فالغد لنا إن شاء الله).

غـــد لنـــا لا لمبـــادي العـــدى ولا لأفكـــــارهم القاحلـــــة

غـــد لنـــا تزهـــر في أفقـــه أمجادنـــا وشمـــسهم مائلـــة

غـــد لنـــا إذا تركنـــا الـــونى ولم تعـــد أرواحنـــا خاملـــة

غـــد لنـــا إذا عقـــدنا الـــولى لـــديننا في اللحظـــة الفاصـــلة

لا وهـــن لا تـــشتيت لا فرقـــة نـــصبح مثـــل الحلقـــة الكاملـــة

إذ ذاك لا نرهـــب كـــل ألـــدنا ولا نبـــالي نكبـــة نازلـــة

غـــد لنـــا ومـــا احيلـــي غـــدا كـــل الأمـــاني في غـــد مائلـــة

إذ ينتـــشر دســـتور إســـلامنا تهـــدي الـــورى أفكـــاره الفاضـــلة[٤]

---

(٤) مجلة الأضواء -النجف- العدد -٣- السنة الأولى- ١٩٦٠/ ص٧٧.

سلسلة شهداء كربلاء أو رجال حول الحسين

بقلم: السيد المجاهد موسى الصدر

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله الطيبين الطاهرين وبعد، فإنّ من دواعي اعتزازي بالحق والجهاد في سبيله إذ أقدم! (شهداء كربلاء) أولئك السابقون الذين كانوا وقود الثورة على الظلم والانحراف، الثورة التي ما يزال أوارها يضطرب ويلتهب في النفوس المتعطشة إلى إحقاق الحق وترسيخ العدل ورفع الحيف.

إن البذل عطاء، وإن التضحية عطاء، وإن السخاء عطاء، ولكن الشهادة في سبيل الله أسمى العطاء.

وما كان موكب الحسين عليه السلام إلى (كربلاء) إلا موكب الشهادة يستحث الخطى إلى الجنة، يعبد طريقها بالجسوم ويرصفها بالأرواح ويبلل ثراها بالدماء الزكية.

ولقد كان موكب الحسين عليه السلام مشعل الهداية وكوكب الرؤية الواضحة في ليل داجٍ من ظلم الظالمين والمفترين، ونداءة حق في آذان العتاة والمتكبرين.

وإني لأرجو الله تعالى أن ينفع بهؤلاء الأعلام والأبطال أجيالنا المسلمة لتهتدي بهديهم وتنهج سبيلهم.

وأن يثبتنا على الحق ويهدينا سواء السبيل، ويوفقنا لبلوغ ما نصّبوا إليه من مجد وعزة وكرامة، والله الموفق(٥).

(٥) سلسلة رجال حول الحسين ـتأليف محمد علي القطب: ١٩٧٤/ ص٣.

الذكرى

كلمة دار التقريب بين المذاهب الإسلامية بالقاهرة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا ومولانا محمد النبي الأمين، وعلى آله وصحبه ومتبعيه بإحسان إلى يوم الدين.

أيها الأخوة والأبناء:

إن جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية بالقاهرة تحييكم بتحية الإسلام فالسلام عليكم جميعاً ورحمة الله.

وهي تشترك بروحها معكم حيث تجتمعون وأنتم فريق من شباب الأمة الإسلامية الناهض لأحياء ذكرى مجيدة من ذكريات أبطال الإسلام، الذين عاشوا لله، واستشهدوا في سبيل الله، إلا وهي ذكرى سيد شباب أهل الجنة، الإمام البطل الشهيد الحسين بن علي عليه السلام وعلى أبيه وأمه الزهراء وصلى وسلم أتم صلاة وأزكى سلام على جده المصطفى نبي الإسلام.

تشترك بروحها معكم بهذا الاحتفال، وترجو أن ترفرف عليكم فيه روح الدين الخالص الذي يوحي بالتمسك بما أمر الله، والتحلي بآداب الإسلام وكتابه الكريم.

إن مبدأ التذكر، أو الاحتفال بالذكريات، مبدأ سليم مستحسن في العقل والشرع لما له من الفوائد الجليلة في إيقاظ الأمم، وتنبيه الأفراد إلى موطن المجد ومفاخر العلياء، وتحرك إلى الاقتداء والتمثل، والأخذ بالأسباب الكونية التي جعلها الله سبيلاً للعزة،

ومدارج للكرامة والرفعة، ولذلك نرى كل الأمم تحتفل بذكرياتها، وما ينطوي عليه تاريخها سارة كانت أم غير سارة لأنّ كلا الأمرين يحفز ويوقظ وينهض، فكم احتفلت أمم بأيام نصرها وأيام هزيمتها، وكم ذكرت مفاخرها ومآسيها وكم خلدت على السنين أسماء مصلحيها وصالحيها، سواء منهم من فاز وانتصر، أو هزم وأنكسر لأنها إنما تخلد الجهاد والبطولة والتضحية والإيمان في أي صورة ظهرت ومن أي أفق أشرقت.

ولذلك أيضا نرى الإسلام يحفل بالذكريات، ويرشد إليها، ويوحي إلى المسلمين بأن يحفظوها ويتفهموها، ليصلوا منها إلى مواطن العبر، ومحافز الهمم، وكم ذكر القرآن الكريم من ذكريات، وكم حفظ من آثار وأخبار، وكم ساق من قصص فيها عبر لأولي الألباب.

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾.

وإننا لنجد القرآن الكريم يعبر في كثير من المواضع التي تكون مواطن للذكريات بلفظ، إذ نجد المفسرين يقدرون قبلها كلمة (اذكر) أو (اذكروا) فهي تسجيل لذكريات ومواقع حربية واحداث هامة كان لها أثرها البعيد في نصرة الدين ونجاح الدعوة، وقد يصرح في بعضها بلفظ الذكرى:

﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾.

﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾، ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾، ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ

لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، ﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ﴾، ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾، ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ﴾.

فهذه طائفة من الذكريات المحمدية سجلها القرآن، وقد سجل القرآن غيرها من الذكريات مبكرة:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾، ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾، ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾، ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ﴾، ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ﴾ وهكذا.

من حقنا أن نقول إذن: إن للذكريات شأناً هاماً مستحسناً في العقل والشرع.

ولكن الذكريات إذا اقتصرت على ترديد الكلمات، وإلقاء الخطب، وكتابة المقالات، واشاعة الافراح والمواسم، أو الاحزان والمآتم، ولم تتعد ذلك إلى أن تكون ميدان أعمال ومجال إصلاح فعال، فانها حينئذ تكون أشبه بالمآدب أو المنأدب.

وقد كان الإمام الحسين بن علي سلام الله عليه بطلاً مغواراً لا بالكلام فحسب، ولا بالخطب والكتب وجيد المقال، ولكنه كان بطلاً بالعمل للمسلمين، والتضحية في سبيل المسلمين كان يستطيع أن يعيش معززاً مكرماً ينثال عليه الخير من كل واد، ويترضاه كل دان وقاص ويبجله الناس جميعا لا فرق بين عدو وصديق، لأنه ابن الرسول، وابن الإمام، وابن الزهراء، وسيد الشباب، ولكنه لم يركن إلى ذلك كله،

وأيقن في نفسه أن عليه واجباً لأمته، فجاهد في سبيل هذا الواجب حتى استشهد، وليكن لنا في هذا الإمام المجاهد الشهيد أسوة حسنة ولننسج على منواله في نصر الإسلام، والقيام بأمر الله على نحو يليق بنا أمة الإسلام وأمة القرآن.

ولنعلم أن الجهاد كما يكون بالسيف، عندما يدعو الداعي إلى السيف، يكون بالرأي والفكر عندما يكون المجال للرأي والفكر.

وها أنتم أولاء يا أبناء الإسلام، ويا أمة القرآن ترون أن المسلمين قد صاروا بالتقاطع والتدابر واختلاف الأهواء والمذاهب والعصبيات فرقاً شتى لا يرهبها عدو، ولا يحتمي بها صديق، وقد تكتل أعداء الإسلام في سبيل اغتصاب حقوق المسلمين، واستلاب عزهم وسيادتهم حتى في بلادهم، وما ذلك كله إلا لأننا اكتفينا بالتشرق بماضينا، وسكب العبرات على مآثرنا وأبطالنا ولم نعمل عملاً ايجابياً نستعيد به هذا الماضي المجيد، وننصر به هذه المآثر والمفاخر التي أثرت عن الأبطال والشهداء.

فقوموا يا أبناء الإسلام، ولا سيما أنتم أيها الشباب النجفي، بحمل راية الدعوة إلى تآلف المسلمين، وتناسي الأحقاد، والغض عن الخلافات التي لا قيمة لها، ولا تساوي تضييع الوقت والجهود فيها، ببث فكرتنا «فكرة التقريب بين المذاهب الإسلامية» في كل واد وفي كل اجتماع وفي كل بيت، وفي كل صحيفة، وافْهِموا الناس أن الإسلام دين واحد، له كتاب واحد، ونبي واحد، وأنّ ما وحده الله لا ينبغي أن تفرقه الأهواء أو العصبيات.

﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾.

إنكم إذا اعتنقتم هذه الفكرة،وآمنت بها قلوبكم وأيدتموها بمساعيكم، وبثثموها في كل ناحية تحلون فيها تقدمون للإسلام والمسلمين خدمة عملية، وتمهدون القلوب والأفكار لما سيأتي بعد ذلك من خطوات التقريب وجمع كلمة المسلمين، ولن يكون

ذلك أن شاء الله إلا في الدائرة التي رسمها القرآن الكريم والسنة المطهرة والسلف الصالح من المؤمنين.

إن (دار التقريب) تعتبر هذا الكتاب تحية لكم من القلوب مشاركة لها معكم في هذا المصاب الأليم، وتعتبره في الوقت نفسه نداءً لكم:

﴿أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾.

نقول هذا ونستغفر الله لنا ولكم، ونستهديه سبيل التوفيق والرشاد لأنفسنا وأنفسكم ونستمطر شآبيب الرضوان الإلهية للروح الطاهر والنفس الزكية، نفس الحسين المؤمن الصادق العامل الناصب الإمام الحسين سيد الشهداء عليه وعلى جده وأبيه وأمه الصلاة والسلام.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته[٦].

---

(٦) ذكرى أبي الشهداء –حفلات الشباب النجفي– إخراج دار الغري– من دون تاريخ/ ص٤٥.

ثورة الحسين وواقعنا الراهن

بقلم: لجنة دار الأضواء - النجف

ما نريده، ونلح على أنه ضروري لنا في مرحلتنا الثورية الراهنة هو أنسنة التأريخ، هو جعله ذا صلة بحياة الإنسان ومطامحه، هو إعداده لينـدمج مع الكائن الإنساني في تركيب عضوي متفاعل متكامل، وليس مجرد انعكاس خاو لحياة إنسانية سابقة.

لقد دأب مدونو تاريخ العرب على الإهتمام بالتاريخ الشخصي للملوك والقادة، فسجلوا – بإسهاب عظيم – حروبهم – وانتصاراتهم، ومجالس لهوهم، ولم يولوا الجانب الإجتماعي من الحياة الإسلامية – وهو ما يتصل بحياة الأمة – إهتماماً وإن ضئيلاً، ومن هنا أضحى التاريخ عندنا بالنسبة إلى الجماهير مجرد انعكاس لحيوات سابقة لا يسهم في تكوين الشخصية الإنسانية، إنه قد يسهم في إثارة الحماس الخلاق تارة، والغرور المدمر أخرى، ولكنه لا يسهم أبداً في تكوين شخصية إنسانية سوية متكاملة، ترتكز على أصول إنسانية عريقة فلا نفقد محور الإرتكاز حين تتعرض لإمتحان قاسٍ لا يجتازه إلاّ الإنسان.. الإنسان..

وإن حقبتنا الحياتية الراهنة لتحتم علينا أن نتناول التأريخ تناولاً إنسانياً. تناولاً يتيح له أن يكون عاملاً مطوراً فيما يتعلق بموقفنا من الحياة والكون.

إن أمتنا الإسلامية تجتاز في هذه الحقبة أدق وأخطر مرحلة من مراحل كفاحها

الطويل عبر العصور. لقد حققت انتصارات يجب أن نحافظ عليها، وتعمل في الوقت نفسه لتحقيق انتصارات جديدة. وهنا تكمن الخطورة في هذه المرحلة. إنها الآن حين تقنع بالانتصارات التي حققتها وتقعد عن محاولة تحقيق غيرها تتعرض لخطر فقد هذه الانتصارات نفسها. ولذلك فيجب أن نحمي هذه الأمة من نفسها. من تطرق الوهن والاستسلام إليها. يجب ألا ترضى عن نفسها.

هذه واحدة...

وأخرى.. وهي أنها: إذا صممت على السير، ولم تهن، ولم تنكل، يخشى عليها من أن تزيغ وتنحرف في تطورها، إذا لم يكن عندها... في أعماقها محور ترتكز عليه، وترجع إليه المحور نابع من شخصيتها التاريخية، وذاتيتها العقائدية.

وما يؤمنها من نفسها، وما يؤمنها من الزيغ والإنحراف في تطورها هو أن تعي تاريخها بعد تطهيره، فتأريخها هي – تأريخ الأمم- ليس تأريخ حروب حكامها وانتصاراتهم ومجالس لهوهم، وإنما هو تأريخ ثوراتها على هؤلاء الحكام. إن ثورات الأمم هي التي تمثل روحها، ونضالها، وإيمانها، أما الحكام الذين ثارت عليهم فليسوا منها لو كانوا منها لما ثارت عليهم، لو كانوا منها لأحسوا بعذابها، ولما خلقوا بتصرفاتهم مبررات ثورتها.

إن تأريخ الثورات هو تأريخ الشعوب.

ولكي تبقى هذه الشعوب في يقظة دائمة لئلا تخدع عن انتصاراتها، ولكي تبقى في وعي دائم لعملها التطويري الذي تمارسه يجب أن تكون في ثورة دائمة على أعدائها في الخارج والداخل لتحتفظ بانتصاراتها، وثورة دائمة على نفسها، تتناول نفسها بالنقد، وتفحص موقفها دائماً، لئلا تنحرف وتزيغ، ولكي تبقى في ثورة دائمة تصحح بها أوضاعها من الداخل والخارج يجب أن تلقن تأريخ نفسها، تأريخ ثوراتها.

ففـي هـذا التـأريخ تجـد الأسـاس التـأريخي لشخـصيتها العقائديـة والنـضالية، فتعصمها شخصيتها العقائدية من الزيغ والإنحراف، وتعصمها شخـصيتها النـضالية مـن الوهن والنكول.

ولقد أهمل المؤرخون الأقـدمون تـأريخ الثـورات أو زيفـوه، لأنهـم - بـوحي مـن أنفسهم أو حكامهم - كانوا يعتبرون هذه الثورات حركات تمرد وعـصيان ضـد الـسلطة الشرعية.

أما الآن، وقد أصبحت دفة التأريخ بيد هؤلاء الذين صنعوا الثورات، فيجـب أن يصحح الوضع، يجب أن يكتب التأريخ النضالي لأمتنا كتابة صـحيحة يجـب أن يكـشف عن العـذاب، والاضـطهاد، والجـوع الـذي كـان يـدفع بالنـاس إلى الثـورة، إلى المـوت، احتجاجاً على واقعهم، يجب أن يكـشف عـن الشخـصية التاريخيـة لهـذه الأمـة، ومحـور إرتكازها العقائدي والنضالي عبر التأريخ يجب أن يكشف عن مناقب الثائرين التي كانت تعصمهم دائماً من أن ينقلبوا إلى لصوص، أو سفاحي دماء، لاهدف لهم، ولا يشعرون بمسؤوليتهم.

وتأريخ أمتنا النضالي تأريخ مضيء، فالثورات الـتي قامـت بهـا أمتنـا عـبر العـصور كانت دائماً تعبر تعبيراً تلقائياً حراً عن هذه الأمة، وعن إنسانيتها، وعن رغبتها الحارة في أن تعيش متمتعة بحقوقها الإنسانية كافة.

وتأتي ثورة الحسين عليه السلام في كربلاء على رأس هذا التأريخ.

فهي رأس ثورة الحرية في التأريخ الثـوري، هـي الثـورة الأولى الـتي عبـأت النـاس ودفعت بهم في الطريق الدامي الطويل، طريق النضال، بعد أن كادوا أن يفقدوا روحهـم النضالية بفعل سياسة الأمويين.

وهي أغنى ثورة بـالعزم والتـصميم علـى المـضي في النـضال الـدامي إلى نهايتـه أو

النصر، فقد عرضت على الثائرين أمتع حياة، ولكنهم أبوا هذه الحياة التي سيسكتون معها على الظلم والتعسف وإرهاب الأمة.

وهي ثورة أمتحن أبطالها بأقسى ما أمتحن به الثائرون على مدى التاريخ، فلم يهنوا، ولم ينكلوا بل ثبتوا – رغم كل شيء- ثائرين إلى اللحظة التي توجوا فيها عملهم العظيم بسقوطهم صرعى في سبيل مبدئهم الحق.

وهي أنبل ثورة قام بها جماعة من الناس، فإن الثائرين بكربلاء لم يستهدفوا من ثورتهم مغنماً شخصياً لأنفسهم، وإنما استهدفوا من ثورتهم تحرير مجتمعهم من الطغاة الذين كانوا يسومونه العذاب ويجرعونه المصاب.

ومن هنا تأتي أهميتها التاريخية والتطويرية.

من إنها النموذج المحتذى، النموذج الذي جاء كاملاً، والذي يجب أن يستوحى.

وحيث كانت بهذه المثابة وجب أن تنال عناية خاصة من القيمين على شأن الكلمة عندنا، فعلى هؤلاء – وهم القوة المطورة والقائدة في الأمة- أن يهتموا إهتماماً جدياً بهذه الثورة، بشرح الدور الذي أسهمت به في تغذية روح النضال وإلهابها، وبالكشف عن مناقبه التي بشرت بها وبإحلالها في محلها اللائق بها من تأريخنا الثوري.

وإن أدوات الأداء الحديثة لتتيح إمكانات لأحد لها لاستخدام تأريخنا الثوري في تطوير مجتمعنا، وفي إبراز شخصيته التاريخية لعينيه، ليعمل على تركيز نضاله الحديث على الأسس التأريخية والعقائدية لحركته النضالية الكبرى عبر العصور(٧).

---

(٧) مجلة الأضواء -النجف- العدد-٣- السنة الأولى- ١٩٦٠/ ص٦٠.

شهادة الحسين (عليه السلام) في سبيل الإسلام

بقلم: لجنة نشرة الذكرى الدينية الثقافية

عندما يرتفع الشعور بمسؤولية المجتمع تظهر الطاقات على قدر المسؤولية، ولسمو الغاية وحاجتها إلى مقومات تكون التضحية بأقصى حدودها، فإذا أعوز الأمر قدمت النفوس والدماء، لتعادل التضحية مستوى الغاية وما يتطلب وليكون الإقدام دليلاً هادياً للآخرين.

والإمام الحسين عليه السلام حدد نهضته في سبيل الإسلام وتطبيق نظام الإسلام، ولم يكف الإسلام لمصلحة فرد. إنما هو نظام الحياة وتطبيق أحكامه لمصلحة مجموع البشرية، وقد نهض الإمام عليه السلام حيث رأى حاجة المجتمع إلى الإسلام، وأن العدول عن تطبيق الكثير من أحكامه أدى بالمجتمع إلى تحلل وغفلة وتسيب، لها آثارها الاستمرارية إن لم يتدارك بتقويم.. فكانت نهضة الإمام الحسين عليه السلام نذيراً لما بلغ إليه التحريف، وتنبيهاً إلى ضرورة العمل لإصلاح الوضع آنذاك والرجوع به إلى طابع الإسلام الأصيل.. ومذ أن أريق الدم الزكي على أديم كربلاء.. استيقظ الناس من غفلتهم ودب الوعي وارتفع لواء الإسلام خفاقاً يدعو الإقرار من كل صوب للعمل من أجل الصالح العام والعودة بالنظام إلى الإسلام.

دعا الإمام الحسين عليه السلام الناس إلى الالتحاق به نصرة للإسلام والحق والعدالة. وقد أعلن نهضته لإلقاء الحجة وإيقاظ الأمة.

١ـ بإيفاد مسلم بن عقيل إلى الكوفة.

٢ـ بإرسال كتبه إلى الأطراف.

٣ـ باستصحابه عياله وأطفاله وذويه.

٤ـ بخروجه من مكة المشرفة أيام الحج بين تلك الجموع الغفيرة بعد أن خطبهم وعرفهم الحال وقرر مصيره.

٥ـ بالمحاججات في كربلاء.

وقد زاد إعلان النهضة الحسينية ما ارتكبه أعداء الحسين عليه السلام في كربلاء من أفعال قاسية مثيرة.. من تمثيل بالشهداء «الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه» وسلبهم وذبح الأطفال حتى الرضيع وحرق الخيام على العيال وأسرها وسبيها ونقلها بصورة شجية قصد الشماتة من بلد إلى بلد ورؤوس الشهداء أمامها على الرماح.

فكأن الظالمين أرادوا بذلك إعلان المأساة على رؤوس الأشهاد حيث يكثر السؤال والبحث عن القتلى والأسارى وأسباب الحادثة المفجعة لينتهي الناس إلى فهم الحال والمآل.

حدد الإمام الحسين عليه السلام غايته ونهضته في سبيل الإسلام في مواضع. عديدة منها وصيته لأخيه محمد بن الحنفية:

«إني لم أخرج أشراً ولا بطراً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق وهو خير الحاكمين».

ومنها عندما ضايقه الحر وأصحابه ـ مقدمة عُبيد الله بن زياد ـ ومنعوه من المسير قبل وصوله كربلاء. قام الإمام عليه السلام خطيباً في أصحابه فحمد الله وأثنى عليه وذكر جده فصلى عليه ثم قال:

«أنه قد نزل بنا من الأمر ما قد ترون، وأن الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها واستمرت، حذاء ولم تبق منها إلاَّ صبابة كصبابة الأناء وخسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون إلى الحق لا يعمل به وإلى الباطل لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن في لقاء ربه محقاً، فأني لا أرى الموت إلاَّ سعادة والحياة مع الظالمين إلاَّ برماً».

وقول الحسين عليه السلام يوم عاشوراء محتجاً على الظالمين بعد أن أدلى بالبينات:

«فسحقاً لكم يا شذاذ الأحزاب ونبذة الكتاب ومحرفي الكلم وعصبة الآثام ونفثة الشيطان ومطفئ السنن أهؤلاء تعضدون وعنا تتخاذلون».

كما وضحت الغاية والهدف من النهضة الحسينية لأصحاب الإمام عليه السلام لذا كانوا يتسابقون إلى الفداء والتضحية. فمن جواب مسلم بن عقيل لابن زياد في الكوفة:

«ولكنكم أظهرتم المنكر ودفنتم المعروف وتآمرتم على الناس بغير رضا منهم وحملتموهم على غير ما أمركم الله به فأتيناهم لنأمر بالمعروف وننهى عن المنكر وندعوهم إلى حكم الكتاب والسنة وكنا أهل ذلك».

وقد اجتمع أصحاب الحسين عليه السلام في ليلة العاشر من المحرم في خيامهم ووقف العباس بن علي عليه السلام خطيباً في بني هاشم يستحثهم على القتال وهو يقول:

«إذا بدت شمس الغد من حجابها ورفرفها واندلع لسان الحرب أينا يتقدم في حومة الميدان ويصون الدين من براثن الغدر وأنصار الشيطان...إلخ».

وفي الوقت نفسه اجتمع الأنصار في خيامهم وتكلم فيهم حبيب بن مظاهر الأسدي، وكلهم مؤمنون بنصر هدفهم، قائلاً:

«إننا أمسينا هذه الليلة ولعلها آخر عهد بالحياة، وتركنا أهلنا وبطانتنا، وجلنا من سفوح مكة وربوع العراق، لم نتخذ من وراء ذلك أخداناً نرجوا عطفهم سوى نصرة الحسين والذود عن حمى الدين الحنيف. ألا وإن جيوش الضلال قد تجمهرت وأوشكت أن تغزونا، ونحن لا نريد أن نتخاذل فإنا معشر قد علمتنا الحروب كيف نخوض غمارها، وأضاء لنا الإيمان المتأجج في نفوسنا طريق الهداية والإصلاح، فلا نبالي إن قتلنا أو أكلتنا السباع الضارية في هذه الفلوات النائية ما دمنا على حق. ألا إنني أحيطكم علماً إذا أشرقت شمس العاشر من المحرم وبلغت الروح التراق وشبت لظى الحرب وأندلع نارها.. هل تدعون أحداً ليتقدم عليكم والله إن تقدم الهاشميون ورضيتم بالأمر لتقول الناس صحبوهم بالجهاد وافقوهم ولم يقدموا على أسيادهم... وأي عار أعظم من هذا. فكونوا قرباناً للدين حتى يكتب الله الشهادة والفوز».

وما انتهى حبيب من كلامه حتى دوى الأنصار بالتكبير وبقوا ينتظرون يوم الإسلام الأغر يوم الجهاد.

لقد مضى الإمام عليه السلام في سوح الشهادة ولسان حاله:

إن كان دين محمد لم يستقم ... إلاّ بقتلي يا سيوف خذيني

وإننا في إحياء ذكرى شهادة الإمام الحسين عليه السلام نتصور الغاية الكبيرة التي استهدفها عليه السلام تلك مصلحة المجتمع البشري ونشر العدالة بتطبيق الأحكام الإسلامية فننحو نحوها ونسير على هداه

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾[٨].

(٨) نشرة الذكرى -النجف- العدد -٢- السنة الأولى- ١٩٦٠/ ص٣٠.

ثورة الحسين (عليه السلام) صدى لصلح الحسن (عليه السلام)

بقلم: السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي

كان بنفسي من قديم أن أعني ببحث هذه المسألة بحثاً يدفع هذه الشبهة عن أبي محمد في نفوس غير المتمكنين من فهم التأريخ فهماً صحيحاً، وكثيرون من هؤلاء لا يرجعون إلى مصدر علمي في وزن هؤلاء النفر من أهل البيت وإخضاع حركاتهم في حالة مدها وجزرها للمبدأ الأسمى الذي طوعهم لخدمته، وأفنى ذواتهم في ذاته، فكانوا ينقبضون حين يشاء لهم الإنقباض، وينبسطون حين يشاء لهم الإنبساط كذلك.

كان بنفسي أن أرد هذه الشبهة عن أبي محمد الحسن السبط بإقامة هذا الميزان العلمي الذي يجلو هذه الحقيقة، ويكشف خدرها، غير أن وارداً ثقيلاً من المشاغل التي لا تنتهي كان يصرفني عما بنفسي من ذلك.

فها أنا أوجز الإشارة إلى هذه الشبهة ودفعها، وعسى أن تعود هذه النواة غرسها أتعهد أنا بما ينميه إن سنحت الفرصة، أولا، فينميه قلم من هذه الأقلام الضليعة المغموسة بقلوب الأحرار وعقول العلماء من خدام الحقائق.

أما الشبهة فقديمة كقدم النظر القاصر، فيمن يأخذون من الأشياء بالظاهر، والملمون بتاريخ الحسن عليه السلام يعرفون أن قوماً من صحابته أخذوا عليه قعوده عن حرب معاوية ومناجزته إياه القتال حتى لأوشك أن يذهب يومئذ ضحية هذه الفتنة، وحتى دخل عليه خاصته بسلام غليظ يقولون فيه (السلام عليك يا مذل المسلمين)..!

وقد يكون لهؤلاء عذر بحماستهم التي نعرفها لذوي النجدة من فتيان الإيمان الذين تغلب فيهم عاطفة الحماسة، استقرار الروية وبعد النظر.

قد يكون ذلك ولكنا لا نقصد الآن الاعتذار لهم بل نريد أن نثبت طرف هذه الشبهة عن الأول لنراها تتسلسل منه فتظهر بين حين وآخر، طوراً على لسان أوليائه، وتارة على لسان أعدائه وهي هنا وهناك لا تظهر إلاّ لتدل على جهل هؤلاء وأولئك فنحن حين نزن صلحه (عليه السلام) وحربه ترجح كفة الصلح من حيث اعتبرت المعايير المرعية وكن إن شئت (مادياً) أو كن (روحياً) تتجاوز بإيمانك وفهمك مدى المحسوسات المرئية.

كن أولاً مادياً وناقش حرب الحسن في جيش حكم نفسه بالهزيمة قبل أن يخوض المعركة، وغزاه معاوية الذي ثبت لعلي من قبل، ولعلي معنوية عسكرية ترجف الأرض من خيفتها، مضافاً إلى معنوياته الأخرى التي لم يكن الحسن يتمتع بمثلها في نفوس معاصريه، بحكم انضوائه إلى لواء أبيه.

نعم لك أن تقول: كان على الحسن أن يستشهد فيموت عزيزاً، ولكن أعد النظر في تاريخ هذه المدّة لترى الاستشهاد فيها ينمسخ إلى معنى من معاني (الخروج) فلم تكن يومئذ حقيقة وطنية ثابتة ولا روح مبدئية مستقرة لتكون التضحية تضحية مقررة القواعد وليس أتفه – في هذه الحال– من الموت لإنه يعين على صاحبه ويميته مرة أخرى في معناه.

كانت الحياة الإسلامية تنتكس حقاً وتتحول إلى ملك عضوض وكانت المطامع تتجند في ركاب الملك هاربة من حواشي الخلافة ولكنها كانت ما تزال تحتفظ بوسيلة الإسلام وظاهر مبادئه في «وصولية» صاغها معاوية بدهائه، وكان هذا وحده عذراً للحسن من ناحيتين:

١ـ كان عذره الصلح لأن «الدنيا» كانت تظاهر معاوية فتستلب منه ابن عمه وقائد عسكره.

٢ـ ثم كان عذره في القعود عن الشهادة لأن ذلك بعينه ليس ظرف شهادة..؛ لأنه كان قادراً على مسخها.

فأي ربح مادي في الموت لو اختاره الحسن كما يريد هؤلاء غير أنه يعين معاوية على نفسه حياً وميتاً.

إنني لا أرى شيئاً أدل على عظمة الحسن من هذه السياسة المادية التي حددت موقفه على هذا النحو في أخطر دور مرَّ به الإسلام، فكانت نواة لقلب الحكم الأموي وفضح معاوية كما كانت مادة ذلك البارود الجبار الذي انفجر في مصرع الحسين ذلك الانفجار، ولو لم يكن موقف الحسن هذا لأتيح لمعاوية سلطان لا يعرف الناس منطوياته، ولما أتيح للحسين أن يكون الفداء الخالد للمبدأ الخالد.

وبعد أن كنت مادياً فكن (روحياً) وناقش حس الحسن لتجتمع لك الاعتبارات كلها على رجحان كفة (الصلح).

الحسن عليه السلام في هذا الاعتبار ليس من طلاب (الإمرة) لذات (الإمرة) بل هو ممن يريدون الخلافة وسيلة للإصلاح وإقامة العدل والسلام بين الناس، وما أظن هذه العقيدة الروحية تعدم دليلها المادي فأبوه وجده أثبتا في الإسلام أنهما كذلك، وله قبل الإسلام إرث ينهض دليلاً على أنه معدن مصلح لا يطلب النفوذ إذا استغنى عن فعل الخير.

ومن هنا كان سهلاً عليه أن يتنازل عن الخلافة لأنه في فترة لا تقدر هي على أبناء الخير في ظل ذلك الجيل المكبوت المستاق إلى الشهوات يصيب منها فوق كفايته على موائد معاوية.

بل لقد كان الواجب عليه أن يتنازل مع عدم القدرة على تذليل العقبة من إخضاع (الأموية) المندفعة. لأن تنازله يأتي وفق الخطة التي رسمتها له مبادئه.

وليس عائبو تنازله أشد إحساساً منه بآلام التنازل وهو المجروح ولكنها التضحية الضخمة فرضت عليه أن يتحمل آلام القعود التي كتبتها عليه مثله ومبادؤه الحسنى.

وهي تضحية لا تقل قدراً – إن لم تزد– عن تضحية الحسين عليه السلام.

وكن الآن ما شئت، كن مادياً أو كن روحياً فستنتهي آخر الأمر إلى نتيجة رائعة وهي إنّ صلحَ الحسن مصدرٌ من أكبر مصادر ثورة الحسين التحريرية، وإلى أن جوهر التضحية واحد عند الإمامين وإن اختلف مظهرهما.

والحق أن يوم الطف كان صدى ليوم المدائن. صلى الله على سيدي شباب أهل الجنة ونفع المسلمين بذكرياتهما المجددة المتجددة ووفق العرب والمسلمين إلى الإهتداء بهديهما في مرحلتهم الصعبة هذه[٩].

(٩) مجلة البيان –النجف– العدد –١١، ١٢، ١٣، ١٤– السنة الأولى–١٩٤٧/ ص٢٧٥.

قولة... ووقفة..

لسماحة السيد: عبد الحسين شرف الدين الموسوي

وقف الناس منذ الأزل وسيقفون إلى الأبد بين ضدين كانا يصطرعان منذ الأزل وسيظلان في صراعهما ذاك إلى الأبد.

هذا «معنى» يدعو وتلك مادة تغري، والناس بينهما كثرة ساحقة يبهرها خداع الإغراء، وقلة معدودة يجتذبها شعاع الدعاء ومهما اختلف أفانين القول، وسمت ضروب الإجادة في وصف الخليقة التي تعشو بالكثرة عن شعاع الدعاء، وتميل بها إلى خداع الإغراء فليست ببالغة بعض ما بلغته كلمة الحسين عليه السلام في أدبه الصادق المصور الخارج من أعماق الحياة وسريرة الخلق بأوضح ملامح الناس في مثل هذا المأزق الشاق العسير.

قال عليه السلام:

(الناس عبيد الدنيا، والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه مادرت معائشهم فإذا محصوا بالبلاء قل الديانون).

هذه قولة لم أجد لها عدلاً غير وقفة للحسين، وهي وقفته تلك التي تدعوك وتدعو الملايين في كل جيل إلى تمجيد الحسين مجمع البطولات وباعث الثورات التحريرية بنظم الإرهاب والظلم والاستئثار.

وقفة الحسين عليه السلام وحدها تعدل كلمته في تصوير هذه الخليقة التي تنحرف

بالناس عن أمجاد مثلهم، وتضغط على مجاري دمائهم فإذا هم عصب ضـعيف. موهـون رخو.

قولة ووقفة تترادفان في مر صدى الحسين من الأزل إلى الأبد وهما القول والعمـل اللذان يشبهان الحسين أتم الـشبه في جميـع مـا قـال وجميـع مـا عمـل، ويلقيـان أن يكونـا مفتاح شخصيته التي اجتمعت لها ما تفرق من البطولات مع أبطال هذه الأرض.

وستظل قولته تلك، ووقفته هذه تـدينان هـذا الوجـود الـشره البطـر بخزي يـضع الكثرة وبمجد يرفع القلة مهما اختلفت المقاييس.

فعلى أبي عبد الله تحية من ربه وسلام[١٠].

(١٠) مجلة الغري -النجف-العدد-٩، ١٠- السنة الثامنة- ١٩٤٧/ص٢٥.

زينب في عاصمة أبيها

لسماحة السيد: هبة الدين الحسيني الشهرستاني

إن كان أبو حفص أول من إختط الكوفة للجند والمؤنة، فأبو الحسن أول من مصرها وعمرها ومدنها.. وأتخذها عاصمة الحكومة. فصارت في عصره مشهد القضاء والخطابة ومعهد العلم والعبادة وكانت ابنته زينب التي امتازت بأجل حسب وأشرف نسب وأكمل نفس وأطهر قلب. أميرة الكوفة حينما كان أبوها أمير المؤمنين. ويعزز مجدها أخوها الأمجاد، وزوجها عبد الله بن جعفر سيد الأجواد الذي اشتهر بالجود حتى إنّه أقرض شخصاً واحداً وهو الزبير ألف ألف درهم ثم وهب الصك لابن الزبير، وبيت زينب في الكوفة ملجأ الفقراء والأمراء. حتى كان أبوها يضيف عندها أحياناً.

فإلى مثل هذا البلد. وإلى مقرِّ عزها وعاصمة أبيها تسبى زينب الخطوب وعقيلة بني هاشم وتدخلها بجملة ربات الخدور من آل الرسول. وحولها يتامى وذراري أبيها على محامل غير مجللة بالغطاء وهن لا يملكن من السواتر إلاّ الحياء يسوقهن الجيش المنتصر كالإماء واهل الكوفة في عبره وعبر من هذا المشهد الغريب. يضجون ويعجون مما جرى على عترة الرسول وفيهم من يناولون الأطفال بعض الخبز والتمر، رأفة ورحمة.

فحري بالحرة الهاشمية سليلة الرسول أن تصرخ بهم وتقول:

(إن الصدقة محرمة علينا أهل البيت)

ولنساء الأزقة والسطوح باكيات على هذه الحالة وما حلت بآل الرسول.

هذه زينب بنت أمير المؤمنين، علي بن أبي طالب عليه السلام، شقيقة الحسين وأميرة الكوفة في عهد أبيها وسيدة الطف في نهضة أخيها.

هذه زينب، هي التي قامت في خلال هذا السفر الخطير، تدير ضيافة الرجال، وحوائج الأطفال وتستعرض أحوال القتال وكل ذلك بنشاط وحزم لا يعرفان الكلل والملل وهي التي قامت بأعمال يعجز عنها الرجال، وهاهي تشاطر الحسين في تحمل الكوارث وآلام الحوادث.

لقد حولت قلبها الرقيق طوعاً للظروف إلى قلب صلد، وتجلدت حين رأت مصارع أخيها وأهلها بمشهد منها، ورأت رؤوسهم مرفوعة على القنا وما فعل اللئام في رض صدورهم بأرجل الخيل إلى غير ذلك من مصائب ومصاعب، لا تطيق رؤيتها الأجانب فكيف بأقرب الأقارب.

إلاّ أن بنت علي ووريثه الحسين تحملت جميع هذه المصائب وما يتبعها من المصاعب ونابت عن أخيها في إنجاز مهمته وإبلاغ حجته في تحمل الخطوب وإلقاء الخطب ومكابدة الآلام من كربلاء إلى الكوفة ومن الكوفة إلى الشام ومن الشام إلى المدينة، قائمة بوظيفته محافظة على أسرار نهضته ناشرة لدعوته. روى الجاحظ عن خزيمة الأسدي حيث قال (دخلت الكوفة فصادفت منصرف علي بن الحسين بالذرية، من كربلاء إلى إبن زياد ورأيت نساء الكوفة يومئذ قياماً يندبن متهتكات الجيوب وسمعت علي بن الحسين وهو يقول بصوت ضئيل وقد نحل من شدة المرض:

«يا أهل الكوفة إنكم تبكون علينا فمن قتلنا غيركم».

ورأيت زينب بنت علي عليها السلام فلم أرَ والله خفرة أنطق منها بياناً كأنما تفرغ عن لسان أبيها أمير المؤمنين فأومأت على الناس أن اسكتوا، فسكتت الأنفاس وهدأت الأجراس، فقالت:

«الحمد لله والصلاة على أبي رسول الله وعلى آله الطيبين الأخيار، أما بعد، يا أهل الكوفة! يا أهل الختر والخذل!! فلا رقأت العبرة ولا هدأت الرنة... إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون إيمانكم دخلاً بينكم، ألا وهل فيكم إلاّ الصلف والشنف وملق الأماء وغمز الأعداء وهل أنتم إلاّ كمرعى على دمنه، وكغضة على ملحودة، ألا ساء ما قدمت أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون...

أتبكون..!! أي والله فأبكوا... وإنكم والله أحرياء بالبكاء فأبكوا كثيراً وأضحكوا قليلاً... فلقد فزتم بعارها وشنارها. ولن ترخصوها بغسل بعدها أبدا.. وأنى ترخصون قتل سليل خاتم النبوة.. ومعدن الرسالة.. وسيد شباب أهل الجنة.. ومنار محجتكم ومدرء حجتكم.. ومفزع نازلتكم.. فتعساً ونكساً لقد خاب السعي وخسرت الصفقة.. وبوئتم بغضب من الله.. وضربت عليكم الذلة والمسكنة.. لقد جئتم شيئاً إداً تكاد السموات يتفطرن منه.. وتنشق الأرض وتخرُّ الجبال هدًّا.

أتدرون أيَّ كبدٍ لرسول الله فريتم..؟؟ وأي كريمة له أبرزتم..؟؟ وأي دمٍ له سفكتم..؟؟ لقد جئتم بها شوهاء خرقاء.. شرها طلاع الأرض والسماء.. أفعجبتم أن مطرت السماء دماً. ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون.. فلا يستخفنكم المهل. فأنه لاتحفزه المبادرة. ولا يخاف عليه فوت الثأر..كلا..!! إن ربك لنا ولهم لبالمرصاد».

ثم ولت عنهم زينب عليها السلام.. فظل الناس حيارى وقد ردوا أيديهم إلى أفواههم.

أما الجيش الأموي. فقد نزل بالسبايا في قصر الإمارة. على عبيد الله بن زياد.. وقد سبقها رأس الحسين عليه السلام.. لأنّ ابن سعد ساعة ما قتل الحسين أرسل رأسه إلى ابن زياد مع خولي الأصبحي فبات الرأس في بيته تلك الليلة واصبح عند ابن زياد

في طشت بين يديه ومجلسه مكتظ بالشيوخ ورؤساء الأحياء فصار ابن زياد يبتسم من عظيم سروره وأبتهاجه وينكث رأس الحسين بخيزرانة في يده ويضرب شفتيه غير مكترث ولا محتشم لأحد ولا أحد ينكر فعلته هذه إلا الصحابي المعظم زيد بن أرقم إذ صرخ به قائلاً ارفع قضيبك عن هاتين الشفتين فقد والله رأيت رسول الله يضع شفتيه على هاتين ويقبلهما. ثم بكى فسبه ابن زياد وقال له «أبكى الله عينيك فلولا أنك شيخ قد كبرت وخرفت لضربت عنقك» فخرج زيد يقول للناس «أنتم يا معشر العرب عبيد بعد اليوم تقتلون ابن فاطمة وتؤمرون ابن مرجانة..؟ فهو يقتل خياركم ويستعبد أشراركم».

ولما أدخلوا سبايا الحسين عليه السلام على ابن زياد تنكرت أخته زينب بين النساء وحفت بها جواريها لكي لا تعرف فقال ابن زياد. من هذه المتنكرة..؟؟ فلم تجبه ثم كررها ثلاثاً وهي لا تكلمه فقالت له إحدى الجواري هذه زينب بنت فاطمة فقال لها ابن زياد «الحمد لله الذي فضحكم وأكذب أحدوثتكم» فأجابته.

«الحمد لله الذي كرمنا بمحمد وطهرنا تطهيراً».

إلى أن تقول:

«إنما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر وهو غيرنا».

فقال ابن زياد: «كيف رأيت صنع الله بأهل بيتك..؟» فقالت:

«هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم. وسيجمع الله بينك وبينهم فتختصمون عنده فتنظر لمن الفلج».

فغضب ابن زياد واستشاط. فقال له عمرو بن حريث يا أمير إنها امرأة، والمرأة لا تؤأخذ بشيء من منطقها فقال لها: قد شفي الله غيظي من طاغيتك والعصاة المردة من أهل بيتك. فبكت زينب وقالت:

لعمري لقد قتلت كهلي. وأبرزت أهلي. وقطعت فرعي وأجتثثت أصلي. فإن يشفيك هذا فقد اشتفيت.

فقال ابن زياد لجلسائه هذه سجاعة وقد كان أبوها أسجع منها. ثم التفت إلى حفدة رسول الله فرأى علي بن الحسين فقال ما أسمك قال:

علي بن الحسين.

قال.. أوليس الله قد قتل علي بن الحسين.. قال علي:

كان لي أخ يسمى علياً قتله الناس.

قال ابن زياد. بل قتله الله. قال علي:

﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾.

فغضب ابن زياد وأمر بقتله فتعلقت به عمته زينب قائلة:

«**حسبك يا بن زياد من دمائنا...؟ أما أرتويت وأشتفيت..؟ وهل أبقيت منا أحداً..؟ أسئلك بالله أن كنت مؤمناً به فأقتلني معه إن كنت قاتله...**».

فنظر ابن زياد أليها طويلاً ثم قال «عجباً للرحم تود أن تُقتل دونه..! دعوا الغلام ينطلق مع نسائه..!!».

هكذا قالت عقيلة بني هاشم... زينب الخطوب. بنت أمير المؤمنين علي عليهما السلام بدورها المجيد في هذه المواقف فأظهرت للملأ آية من آيات الجرأة والحنان إلى جانب ما أحاطت من طلاقة اللسان وبلاغة البيان ما أصبحت المثل الأعلى بين نساء العرب قاطبة وكيف لا تكون كذلك وهي بنت إمام البلاغة وفارس الهيجاء وحفيدة صاحب الرسالة وربيبة معدن النبوة فالتبر من معدنه لا يستبعد(١١).

(١١) مجلة الغري -النجف- العدد- ٩، ١٠- السنة الثامنة- ١٩٤٧/ص٣.

الحسين كتاب الله التكويني

بقلم: الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء

جرت عادة الصحف منذ سنوات أن تفرد عدداً خاصاً في الحسين سلام الله عليه عند رأس السنة مستهل محرم من كل عام فيستنهضون أقلام الكتاب ويشحذون عزائمهم لتحبير المقالات فيأخذ كل كاتب أو شاعر أو خطيب ناحية من نواحي واقعة الطف ويكتب فيها حسبما تملي عليه قريحته وثوابت قدرته. وكنا كتبنا في فواتح عدة من الصحف في مستهل السنوات الغابرة ما لو جمع لجاء مؤلفاً مستقلاً وكتاباً فذاً، أما لو جمع ما كتبه العلماء والأدباء والشعراء والخطباء في تلك الفاجعة نعم لو جمع كل ما قيل في تلك الفاجعة الدامية من بدء حدوثها إلى اليوم لاستوعب أُلوف الكتب والمؤلفات وبرزت من دائرة معارف كبرى لم يأت لها الدهر بنظير، وليس هذا هو الغرض من كلمتي هذه وإنما المقصود بالبيان – أن نهضة الحسين عليه السلام على كثرة ما نظم فيها الشعراء مما يجمع مئات الدواوين وأكثر منها الخطب والمقالات وأُلوف المؤلفات – هل ترى أن كل ذلك وجميع أولئك أحاطوا بكل مزاياها، وأحصوا جميع خصائصها وخفاياها، ووصلوا إلى كنه أسرارها وعجائبها كلا فإنّ أسرار تلك الشهادة ومزاياها لا تزال تتجدد بتجدد الزمان وتطلع كل يوم على البشر طلوع الشمس والفجر لا ينتهي أمرها ولا ينطفئ نورها ولا يحد سورها، ولعل أقرب مثل يضرب للحسين عليه السلام هو كتاب الله المجيد

فإن هذا الفرقان المحمدي على كثرة تفاسيره وشرح نكاته ودقائقه وغوامض حقايقه وأعجازه وبلاغته، وباهر فصاحته وبراعته. لا يزال كنزاً مخفياً ولا تزال محاسنه تتجدد وأسراره تتجلى وفي كل عصر وزمان يظهر للمتأخر من إشاراته ومغازيه ما لم يظهر للمتقدم فكأنه يتجدد مع الدهر ويتطور بتطور الزمان نعم القرآن كتاب الله التدويني والحسين (كتاب الله التكويني)، وكل من الكتابين صنع ربوبي، ولكن الحسين والقرآن صنعهما الله للتحدي والإعجاز، وما تحدى الله بصنعه يعجز البشر عن الإحاطة به وإستيعاب مزاياه وأسراره وبدايع أحكامه وحكمته، القرآن يملي على البشر في كل زمان أسرار الكون وخبايا الطبيعة ودقائق الفطرة، ونهضة الحسين عليه السلام في كل محرم من كل سنة بل في كل سنة تملي على الكائنات عجايب التضحية وغرايب الإقدام والثبات ومقاومة الظلم ومحاربة الظالم، تلقى على العالم دروس العزة والإباء، والاستهانة بكل عزيز من نفس أو مال في سبيل نصرة الحق وقمع الباطل، والدفاع عن المبدء والعقيدة يلقي على الواعين دروس الأخلاق الفاضلة، والإنسانية الكاملة والسجايا العالية والملكات الزاكية وكل ما جاء به القرآن والسنة من الخلق العظيم والنهج القويم لكن جاء بها القرآن قولاً وطبقها الحسين عليه السلام عملاً وأبرزها للناس يوم الطف عياناً، أتريد أن تتعرف بناحية مما صنع الحسين يوم الطف أنظر إلى الكتاب الكريم فإن أقصى ما طلبه من العباد في باب الجهاد هو الجهاد بالنفس.

﴿وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾.

والحسين سلام الله عليه لم يقنع بهذا حتى جاهد بماله ونفسه وأولاده وعياله وأطفاله والصفوة من صحبه وأسرته، صنع الحسين يوم الطف صنع العاشق الولهان فضحى في سبيل معشوقه كلما عزَّ وهان، كان الله أعز شيء عند الحسين فأعزه الله وصار ثار الله في الأرض والوتر الموتور.

نعم قلنا ولا نزال نقول إن نهضة الحسين عليه السلام لا تحصى أسرارها ولا تنطفئ أنوارها ولا تنتهي عجائبها.

وعلى افتتان الواصفين بوصفه يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف

فصلوات الله عليك (أبا عبد الله) وعى نهضتك المقدسة التي حيرت الأفكار وأذهلت العقول، وأدهشت الألباب، وأعجزت عن الإحاطة بها كل كاتب وكتاب، على مر الدهور وتمادي الأحقاب[١٢].

(١٢) مجلة البيان –النجف– العدد–١١، ١٢، ١٣، ١٤– السنة الأولى –١٩٤٧/ص٢٧٥.

من دروس الطف

بقلم: الشيخ محمد جواد الجزائري

تقدم الوجود بتطوراته، وتعالى بكماله. فتأهل للوحي الإلهي، وعبرت عليه النبوات المقدسة المحدودة متدرجة ناشرة دروس الإصلاح والصلاح. وهو يتقدم بين حدود الكمال ويعلو من حد إلى حد. حتى تأهل للنبوة المطلقة وتجلى بنبوة خاتم الأنبياء محمد العربي صلى الله عليه وآله وسلم.

قام هذا النبي العظيم بنشر رسالة الوحي بين السيف والقلم حتى عمّت دعوته أنحاء البشرية، وآمن بدروسها بين أوامرها ونواهيها الكثير من أحياء الصحراء ومدنها، وقبل أن يتم تطبيقها على عموم بني الإنسان، ويهتدوا بأنوارها أختار لقاءه مبدعه سبحانه فلبى دعوة ربه وفارقت روحه الطاهرة هذا الكون وفازت بسعادة ما وراء الطبيعة.

قام من بعده خلفاؤه أمناء الحقيقة يجدون في تسيير الوجود إلى أمام، ومهمتهم نشر دروس النبوة وتطبيقها على نوع الإنسان، بيد أن عشاق الطبيعة نهضت بهم ميولهم إلى مظاهرها. فقاموا بمعاكساتهم وخلافهم، وأدى ذلك إلى اضطراب في الأحوال، واختلاف في الأيدي، وتفرق في الكثرات، وتفكك في عرى الإتحاد وقعد بالوجود عن تقدمه إلى الكمال المطلق.

دام هذا الخلاف ودامت مآسيه. ومساويه في أدوار مترامية حتى استحكمت الضغائن وثارت الأحقاد بين الأفراد والجماعات، وابتعد الإسلام عن صدره، والخلافة

الإسلامية تتداول بين أمنائها وحافظي أسرارها على حساب التشريع الإلهي فكلما يقضي خليفة دوره ويلاقي ربه راضياً مرضياً يقوم خليفة مقامه، ويجاهد جهاده، ويواصل دفاعه عن حرية العقيدة وحرمة الدين.

ولما حالت الخلافة عام ٦١هـ وانتهى أمرها إلى الحسين بن علي عليه السلام وتجلى للوجود فجره المشع، وقد كانت نفس الحسين عليه السلام مجردة من غواشي الطبيعة وهي في عالم الطبيعة تشاهد عالم الغيب أو العالم غير المرئي، وتستطلع الماضي والمستقبل على حد سواء حتى من دون أن تقرأ أو تسمع فترى كل شيء على الوضع الذي هو فيه، نهض ابن فاطمة إذ ذاك بعبء الخلافة متذرعاً بالإيحاء الإلهي وهو يرى تطور العقيدة الإسلامية وتشعبها بين الناس شعباً لم تأخذ نصيبها من الرشد، ولم تطرد على محورها الذي مثله الوحي الإلهي.

يرى المتهوسين من عشاق الطبيعة يردون العقيدة الدينية إلى العقيدة السياسية، ويمزجون فصول العقيدة بفصول السياسة، يرى العقيدة الدينية بين طلاب الحقائق مثالاً واهياً كالألغاز والأحلام لا يكيلون لها كيلها ولا يحكمونها على أغراضهم الشخصية.

يرى إن مسألة التوحيد تنازلت بين الناس عن حدود اليقين. وأصبحت مسألة حدس وتخمين.

يرى أن الأمة مرغمة على بيعة من لاصلة له بالتعاليم الإسلامية أحكامها وآدابها.

يرى أن الحق لا يعمل به والباطل لا يتناهى عنه.

يرى أن الأمر الذي يطوي هذه الأمور جميعاً هو قيام الدولة الأموية مقام الدين الإسلامي.

ويرى غير ذلك مما لا تثبت عليه وحدتنا الإسلامية المتماسكة في عقيدتها.

وشعورها، ولغتها وأدبها لهذا وقف عليه السلام موقفه الإيجابي على أبواب محكمة العدل يخاصم الخليفة الأموي. وبطانته على هذه الأحداث المفزعة نصرة للحق. ودفاعاً عن الدين، وإثباتاً للعدل، وإعادة للإنسانية المنتكسة إلى حدود فطرتها، واستقامتها فكانت فاجعة كربلاء العامرة بالعبرة والعظات على مر الدهور، وفيها ضحى الحسين عليه السلام وجاهد، وتحمل، وثابر وقدم جثمانه طعمة للسيوف والرماح، والسهام.

أنا لا يهمني أن أقف موقف القصصي أمام المأساة الموجعة إظهاراً لخصائصها، ومزاياها الجليلة الخالدة فإن كتابنا الأفاضل قد حررت أقلامهم الحرة أكثر نواحي تأريخها، ونشروها دروساً مقدسة ستبقى تعاليمها أهدافاً لكل جيل وفي كل حال(١٣).

(١٣) مجلة الغري -النجف- العدد -٢- السنة الخامسة عشرة- ١٩٥٣/ ص٤.

التضحية في ضاحية الطف

بقلم: الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء

إن التضحية والمفادات التي تسامى وتعالى بها إمام الشهداء وأبو الأئمة يوم الطف من أي ناحية نظرت إليها، ومن كل وجهة اتجهت لها متأملاً فيها، أعطتك دروساً وعبراً، وأسراراً وحكماً تخضع لها الألباب وتسجد في محراب عظمتها العقول.

واقعة الطف، وشهادة سيد الشهداء وأصحابه في تلك العرصات كتاب مشحون بالآيات الباهرة والعظات البليغة فهي: –

كالبدر من حيث التفت وجدته يغشي البلاد مشارقاً ومغاربا

أو:

كالبحر يمنح للقريب جواهراً غرراً ويبعث للبعيد سحائبا

هذه الدنيا وشهواتها ولذائذها وزينتها وزخارفها التي يتكالب إليها البشر وتتهاوى على مذبحها ضحايا الأنام، هذه الدنيا التي اتخذها كل واحد من الناس رباً وصار لها ولمن في يده شيء منها، فلعبت بهم ولعبوا بها، هذه الدنيا وشهواتها التي أشار جلت عظمته إلى جمهرتها بقوله تعالى:

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ ﴾.

كانت هذه النفائس الدنيوية قد توفر للحسين عليه السلام أكملها وأجملها، من

المال والبنين والنساء والخيل المسومة، مضافاً إلى ما كان له من العز والكرامة وكل مؤهلات الشرف والتقدير التي استحقها بحسبه ونسبه وبيئته ووسطه ومواهبه، وقد كان في ذلك العصر لا يوازيه ولا يدانيه أحد في دنيا المفاخر والمآثر، الكل يعترف ويعرف ماله من عظيم القدر ورفيع المنزلة، فسلم المجد والصعود إلى السماء بيمينه، ومفاتيح خزائن الدنيا في قبضة شماله، ومع ذلك كله فحين جد الجد وحقت الحقيقة بذل كل ذلك وضحى به في ضاحية يوم الطف، وفي سبيل المبدأ كان أهون شيء عليه كل تلك النفائس، وما اكتفى حتى بذل نفسه وجسده ورأسه وأوصاله وأولاده وكل حبيب له وعزيز عليه في سبيل حبيبه الأعلى ومعشوقه الأول.. أفليس هو الجدير والحري بأن يقول:

وبما شئت في هواك اختبرني   **فاختياري ما كان فيه رضاك**

يحشر العاشقون تحت لوائي   **وجميع الملاح تحت لواكا**

واقتباس الأنوار من ظاهري   **غير عجيب وباطني مأواك**[١٤]

(١٤) مجلة لواء الوحدة الإسلامية -النجف- العدد-٤- السنة الأولى-١٩٤٩/ص١.

نهضة الحسين

بقلم: الشيخ محمد أمين زين الدين

نبع من العبرة لا يغيض، ومدد من التوجيه لا ينقطع، وحركة من التحرير لا تنتهي. هذا هو الطابع الذي يختص به حادث الحسين من حوادث الدهر، وهذا هو سر العظمة في الموقف، وسر العظمة في المنهاج الذي تم به الموقف، وعلى هذا الضوء يجب أن يسير الباحث إذا أراد البحث المجدي.

انا لا استحب أن أتخذ من الحسين مكان الراثي، أو استقبل مصابه الأليم بمدمع الباكي، فإن الطرف الباكي لا يملك أن يبصر، وإن القلم الراثي لا يستطيع أن يفتكر.

ماذا يأمل الكتاب الراثون من الحسين إلاّ أن يكون عظيماً في جهاده، عظيماً في بلائه، عظيماً في مصابه، وماذا يأملون من عدو الحسين إلاّ أن يكون على النقيض من هذه الصفات في القمة من حدود العظمة لابد أن يكون موضع الحسين في سلمه حين يسالم، وفي حربه حين يحارب، وفي حياته يحيى، وفي مصرعه يستشهد. وفي الحضيض الأسفل من الرذيلة لابد أن يكون عدوه الأول في كل خلق يتسم به، وفي كل سمة تظهر عليه وكل هذه الأمور منتظرة وليست معرضاً لتشكيك.

أنا لا أجحد ما للرائين والباكين من الزلفى والمثوبة عند الله، ولكني أُومن أشد الإيمان، هذه ليست حدود الغاية التي من أجلها نهض سبط محمد وفي سبيلها استشهد.

أيها السادة: ويقول فريق من الذين يعللون التاريخ بالتاريخ: العداء بين يزيد

والحسين يرتفع إلى أسباب متأصلة منذ زمان الجاهلية فقد تكونت بذرة هذا العداء بين هاشم وعبد شمس ونمت بين عبد المطلب وأمية وأكتمل نموها وظهر نتاجها على عهد الإسلام حين أضاف إلى مآثر الهاشميين مآثر جديدة يصعب على الأمويين أن يتعرفوا بها، فأنكروا المآثر وتنكروا للدين. وهذا تصوير جانبي للعداء المكين.

بلى – أيها السادة– هو تصوير جانبي لهذا العداء ثم هو لا يمثل منه إلاّ الجانب الأدنى فإن حسيناً أبر نفساً وأسمى غريزة من أن يكترث لأحاديث الجاهلية وأضغان القبائل إذْ هي لم تلمس جانب الحق ولم تمس جوهر الدين، أما يزيد فقد أثبتت الحوادث أنه رجل غايات لا رجل مبدأ فهو لم يعتنق الضلال لأنه مبدأ بل لأنه يوصله إلى غاياته ولو كان الحق هو الذي يضمن له ذلك لم يتريث عن اتباعه لا لأنه حق بل لأنه السبيل المؤدية إلى ما يؤثر.

يزيد رجل غايات لا رجل مبدأ إلاّ أن يكون الاستشهاد مبدأ من المبادئ وتاريخ يزيد كله شاهد على هذه الدعوى ولو كان من رجال المبادئ لم يدون له التاريخ قوله وقد وجهه معاوية قائداً لفتح القسطنطينية.

ما إن أبالي بما لاقت جموعهم — بالقرقدونة من حمى ومن حوم

إذا أتكأت على الأنماط مرتفعاً — بدير حران عندي أم كلثوم

أيها السادة: من الناس من يعدنا مسرفين حين نقول: نهضة حسين هي الفصل المتمم لجهاد جده، نحن مسرفون في هذا القول. نعم ومتحدون لمقام النبوة، فهل تسمحون لي أن أعرف هؤلاء معنى الدين..؟ الدين الذي جاهد محمد صلى الله عليه وآله وسلم لتأسيسه، ثم كافح حسين لتثبيته.

ليس الدين أقوالاً خاوية تلوكها الألسنة، ولا طقوسها مجرة تعتادها الإرادة، ولكنه حكومة تحكم الضمير في باطن المرء، وسلطان نافذ المشيئة على ظاهره، ونظام

يقود المجتمع البشري في مجال الحياة وقوة تخضع المجتمع لذلك النظام فهل تحققت للرسول كل هذه الأماني في دينه الذي قام على تبليغه..؟

هل تحققت لمحمد هذه الأماني، وأصحاب محمد تقول عند مرض موته: إن الرجل ليهجر..؟؟ يقول هذا بعض أصحابه ثم لا يلجمه الآخرون..!!

أي مبلغ للدين في هذه النفوس أكثر من كونه أقوالاً ترددها الألسنة، وطقوساً تكررها العادة..؟؟

أما الأتباع الذين جاؤا بعد ذلك التاريخ فقد قال في وصفهم الإمام الحسين عليه السلام:

(الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درت معائشهم، فإذا محصوا بالبلاء قل الديانون).

إذن فلابد للدين من نهضة توصله إلى قرارة الروح، وتصله بمنابع الإرادة. ومصادرة الخلق.

لابد للدين من نهضة تصهر العقيدة حتى تحيلها عاطفة تمتزج باللحم والدم، وتتأثر بها العقول والنفوس.

لابد للدين من هذه النهضة، ولابد أن يكون الناهض أقرب الناس إلى نفس محمد مؤسس الإسلام وباني هيكله.

غرس النبي من حقوق نجله   وهل ينوب الليث غير شبله

أيها السادة: تستوقفني من ذكرى الحسين هذه الفرصة القلبية الكامنة في حزنها العميق. تستوقفني في حادثة الحسين هذه العزة الكبرى الحادثة من ذلك الذل المهين المهين. وتستوقفني من نهضة الحسين هذا النصر الأكبر الناجم عن ذلك المصرع المبيد المبيد. أمور تحدث من نقائضها، وإرادة الله لا تناط بحد، ولا تخضع للقياس(١٥).

(١٥) في الرابطة الأدبية -النجف- السلسلة الأولى- ١٩٥٦/ ص٩٣.

النهضة الحسينية بواعثها ونتائجها

بقلم: العلامة الشيخ عبد الكريم الزنجاني

الدين الإسلامي بتعاليمه الفطرية، وأصوله الإجتماعية، ومبادئه الأدبية، وإحترامه العقل، ورعايته للنواميس الطبيعية، واعتباره المساواة العامة تجاه القانون الإلهي – مع تقريره الشرف المخصوص بصفوة الجنس البشري السامي وهم العرب الذين هم دعامة الإسلام – وابتنائه التفاضل على الكمالات النفسية والتقوى لا على الفوارق الجنسية، واستهدافه السعادة المزدوجة، وإيجابه الشورى والصدق والوفاء بالعهود والوعود، قلب نظام الاجتماع البشري رأساً على عقب، ونجح في تنفيذها نجاحاً لا نظير له في تاريخ العالم، فحرر العقول والنفوس، وهدم صروح التقاليد، وأنقذ الأمة العربية من رق الأجيال، وأقام الإنسانية على السنة السامية التي تناسب كرامتها وتلائم مكانتها ودعا الأمم إلى القيام على هذه السنة التي لامناص لها من القيام عليها، وهي مدفوعة بعوامل التطور، فرفع أمماً عن حضيض الجهالة، وظلام الضلالة، إلى ذروة الشرافة ومرتقى السعادة في الآخرة والأولى، أحال القلوب المشوبة بنار الحقد والغل والضغينة وحب سفك الدماء إلى قلوب تضيء بنور الله وتنفتح بروح الله، وأسس في الصدر الأول أمة إسلامية من قوميات شتى ومحق ما بينها من الفوارق التي كانت تدعوها للتناحر والتفاني، فرفرفت فوق الشعوب المتخالفة روح الرابطة الإسلامية وكانت تلك الرابطة مرتكزة على أساس قاعدة الوحدة المتعاونة الأجزاء التي

قام عليها نظام الحق ونظام المجتمع،وكانت تلك الروابط تستمد وجودها من أعلى المبادئ الاجتماعية الثورية (الديمقراطية) التي جاء بها كتاب الله المعجز الخالد، وبها أحدث الإسلام تكافلاً عاماً بين الشعوب الإسلامية يقوم مقام التزاحم الحيواني بينها، وكان كل مسلم يعتقد أنّ في دينه تفسير كل شيء من أسرار الكون، وفيه حل كل معقد من مشاكل الحياة، وتبيان كل شيء من شؤون الجماعات، وأن المسلم أخو المسلم مهما كان جنسه، فدفعتهم الأخوة الإسلامية إلى مستوى الرقي والحضارة يتبؤون من الأرض حيث يشاؤون، ويفتحون أقاليم الأرض، ثم يرثون الدار الآخرة وهي خير وأبقى للذين أحسنوا، وكانوا تحت راية القرآن يعملون.

وكانت العقيدة الإسلامية خاضعة لناموس الارتقاء حتى ظهور الحكم الأموي الذي من عهده ابتدأ العالم الإسلامي بسقوطه التأريخي وتوالي المحن والآلام على مجتمعه، وانصبغت نفسية المسلمين بصبغة الجمود (المنكرة) والغدر، وصار وضع حياقم مفاسد الأعمال فإن الحكم الأموي كان نظاماً قائماً على حكم فرد واحد ومشيئته في وسعه أن يفعل ما يريد دون أن يستشير أحداً أو يتقيد بقانون ديني أو إنساني.

وكان الخليفة الأموي يعطي نفسه صلاحيات لا حد لها فيوجه الأمة الإسلامية إلى الناحية التي يريدها ويفرض سيطرته لا على الإرادة والسياسة فقط، بل يتعداهما إلى الآراء والعقائد الخاصة.

ويحرم على كل مسلم أن يتحدث عن عقيدته أو يبث آراءه. أو يفعل ما يشتهي في حدود القانون الإلهي، وبعبارة أخرى، كان الحكم الأموي نظاماً ديكتاتورياً يتحكم في الأمور الصغيرة والكبيرة، ويحتكم إلى الهوى، ويسخر من الدين والقرآن ويهدر الدماء، ويتعمد محو التعاليم الإسلامية وقلب نظام القرآن رأساً على عقب، وكانت صبغة الدولة الأموية تتنافى مع المبادئ الدينية والمدنية والإنسانية. فأغارت دسائس

الأمويين على بيضة الإسلام ووحدة المسلمين وتركت أحداثاً وآثاراً كأسوأ ما يكون في الشعوب الإسلامية من الجمود والتعصب والغدر والرذائل والفوارق والمعاصي والاسترسال في أوهام ما أنزل الله بها من سلطان فضلت عقولهم وخفت أحلامهم وأتبعوا من المبادئ الفاسدة ما لا يستقيم في عقل. ولا يؤدي إلى مصلحة. وأساء الأمويون إلى العروبة أكثر مما أساؤا إلى الدين، فقد إدعى مؤسس الحكم الأموي معاوية أن أبا سفيان أباً لزياد بن أبيه لكي يستفيد من دهائه. فأبت غيرت الأمة العربية التي تحافظ على أنساب الخيل - عن أن تقر له بذلك مع علمهم بنسبه فعمل زياد كتاب (مثالب العرب) وألصق بالعرب كل عيب وعار وباطل وإفك وبهت، وأنتشر (المثالب) في عهد الأمويين ثم ترجم إلى لغات أوربية فجعل التاريخ العربي الخالد مجموعة لمساوئ العرب. ولا غرو في ذلك بعدما نعلمه من حقيقة ينبغي أن يتناولها الأغفال وهي: أن الأمويين كانوا دخلاء على العرب والمسلمين فإن (أمية) كان رومياً يتبناه عبد شمس وقد احتج بهذه الحقيقة أمير المؤمنين عليه السلام في كتاب له إلى معاوية وهذا نصه:

(ولكن ليس أمية كهاشم، ولا حرب كعبد المطلب ولا أبو سفيان كأبي طالب ولا المهاجر كالطليق. ولا الصريح كاللصيق):الخ.

-والصريح: صحيح النسب في ذوي الحسب. واللصيق، من ينتمي إليهم وهو أجنبي عنهم-.

وسكوت معاوية عن الجواب أهم برهان على صحة ذلك.

فأصبح من الواجب على إمام العصر. وحامي الإسلام ووارث الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم الحسين بن علي عليه السلام أن ينهض نهضته التي لا نظير لها في تاريخ العالم لحفظ بيضة الإسلام، وأن يتقدم لينير للناس الطريق ويؤسس لهم المبدأ

الحق الذي تصدر عنه نهضتهم ويعيد الحكم الثوري والأساس الذي تبنى عليه حياتهم الاجتماعية. وانتشالهم من بين يدي الضلال المطبق الفتاك، واستخلاصهم من براثن الهوى المسيطر على النفوس. ليحيي الأمة الإسلامية بأسرها ويخرجها من الظلمات إلى النور فقام بتلك النهضة العملية المدهشة الخارقة للعادة والمنقطعة النظير في تاريخ العالم وضحى بنفسه ونفيسه ليوصل بالمجتمع الإسلامي إلى الغاية المنشودة التي أرادها الله تعالى وليعلم الذين ظلموا آل محمد أي منقلب ينقلبون[١٦].

(١٦) مجلة الغري -النجف-العدد-٨٧- السنة الثالثة -١٩٤٢/ ص١٣٦.

مبدأ الإمام

بقلم: الشيخ محمد جواد مغنية

كن من تشاء كن الدنيا بكاملها فلست تعدل صديقاً بميزان

أخذ الشاعر هذه الحكمة من سيد البلغاء، وإمام الحكماء أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال مشيراً إلى حذائه البالية:

«**والله إن هذه خير عندي من دنياكم إلاّ أن أقيم حقاً أوأدفع باطلاً**».

ما هذا المنطق؟! وما هذا الميزان؟! نعل بالية لا تقدر بشيء، ولا يبذل بأزائها قليل من متاع الحياة توزن بالملك والسلطان بل بالدنيا بكاملها فترجح عليها وعلى لذاتها جميعاً وتكون خيراً منها ومن أشيائها كافة إن هذا لشيء عجاب؟!!

إن هذا المنطق منطق من يقول فصلاً، ويحكم عدلاً يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من حواشيه، إن هذا الميزان ميزان القائل:

«**دعوني أكتفي من دنياكم بملحي وأقراصي، فبتقوى الله أرجو خلاصي**».

وإذا كانت الأمور توزن بآثارها، وتقاس بنتائجها فان الحذاء التي تقي القدم من الأوساخ والقذرات والأحجار والأشواك خير من الملك الجائر، والسلطان الظالم الذي يودي بالأرواح والأموال بالشرف والمروءة، إن الدنيا التي يتمتع بها الشقي الفاسق،

ويحرم منها التقي العادل، لا تعادل في ميزان الحق جناح بعوضة، ولا ورقة في فم جرادة.

إن في الإنسان غريزة من أقوى الغرائز البشرية، وهي حب العظمة، والرغبة الملحة في أن يكون المرء شيئاً مذكوراً جوع يضرم الجحيم، وظمأ يلتهب كالسعير، أحرق بلفحاته الأخضر واليابس، يسلك المرء كل سبيل، ويضحي بالنفس والنفيس، والعزيز والثمين ليسكن هذه الارواء المنبعثة عن حب العظمة، والشعور بالأهمية.

وكم يذرع بالنفاق والرياء، والحقد والجفاء، والحزبية الحمقاء كي يحصل على شيء من الشهرة، والكمال الموهوم فلم ينجح مسعاه إذ لم يحصل على شيء، وإذا حصل لا يدوم، أن للباطل جولة ثم يضمحل.

أيها السادة:

والسر الوحيد أن كل عمل لم يبن على أساس متين من الدين، ولم يرتكز على مبدأ سيد الوصيين وهو التقوى بإطاعة الله ومتابعة الراسخين في العلم من الأئمة الأطهار والعلماء الأبرار لا بد وأن يكون مآله إلى الهباء والخسران، ومصير صاحبه إلى الفشل والخذلان.

﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾.

وإذا كان علي مع الحق والحق مع علي -كما في الحديث الشريف- فمن الطبيعي أن يرتكز بنيانه على تقوى الله ورضوانه ومن الطبيعي أن تكون الإمارة وألقابها، والزعامة وأثوابها هباءً في نظره إذا لم تكن وسيلة لاقامة الحق ودفع الباطل.

هذا هو المبدأ الوحيد الذي يستطيع الباحث أن يفسر به شخصية الإمام عليه

السلام، ويرجع إليه في جميع أفعاله وصفاته، وهذا هو البرنامج والبيان الذي أذاعه على الناس كافة، ودعاهم إليه قبل الخلافة وحينها، ولم يحد عنه طرفة عين فما دونها، وهذي هي الروح التي أورثها بنيه عليه السلام بالتربية والعرق حتى أصبحت لهم كطبيعة الحياة تسيطر على غرائزهم، وتدفعهم إلى السير في طريق الحق والعدالة.

وأهل الكوفة أعلم الناس بعلي وبنيه، يعلمون انفعالهم وبواعثهم، وما يوقظهم؟ ويستثيرهم؟ لذلك كتبوا إلى الحسين عليه السلام أقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الحق، أيسمع الحسين صوت الحق فلا يسرع لتلبيته؟ أليس هو ابن علي؟! ولكن تريث هنا قليلاً لأن أهل الكوفة أصحاب أبيه وأخيه، تريث ليتأكد أن الصوت من أعماق الفؤاد، فأرسل ابن عمه مسلماً عليه السلام فلما تبين أنه صوت القلب خف إليهم مسرعاً.

لو لم يلب الإمام نداء الكوفيين، فلمن تكون الحجة؟ وعلى من تقع التبعة؟ وماذا يكون حكم التاريخ ولو لم يلب الإمام نداء الكوفيين، يحكم التاريخ إما بأن الحسين عليه السلام لا يجيب داعي الحق إذا دعاه، وإما بأن يزيد أهل للخلافة، لأن الإمام أقر واعترف بسلطانه، وهذا الأخير هو المعين لدى أرباب الأهواء والشهوات لأنه أبلغ في الدعاية لباطلهم، وكان لهم أن يخاطبونا محتجين هذا إمامكم المعصوم وجد الألوف من السيوف ولم يحرك ساكناً.

سار الإمام ملبياً ذلك النداء، وفي أثناء مسيره ظهر له كذب المنادي، فهل يرجع الإمام من حيث أتى وهؤلاء أهل مسلم وذووه لا يتركون دم صاحبهم، بل هؤلاء الأمويون لا يكتفون بمسلم، ولا مصد لهم سوى الحسين، وهل يعصمه من الكفار حرم الله وحرم جده الرسول؟ وهذا يزيد أنفذ بالأمس عمر بن سعد في عسكر كثيف وأوصاه بقبض الحسين سراً وإلا فليقتله غيلة، ودس مع الحاج ثلاثين شيطاناً، وأمرهم

بقتل الحسين على أي حال اتفق. فأية حرمة لله ولرسوله عند الأمويين؟ إذن لا بد من متابعة السير ومقابلة أولئك الذين دعوا الحسين إلى الحق وجهاً لوجه.

وصل الحسين إلى كربلاء، وخاطب أرباب الكتب والرسل، ولما أصروا على الكفر عرض عليهم أن يتركوه وأطفاله على أن يترك دنياهم ويقيم بعيداً عن ديارهم وسلطانهم، رغب إليهم في ذلك لئلا يقول القائل: إن الحسين طالب ملك وإنه هو الذي قتل نفسه حيث وجد لها طريق السلام والأمان، فأبوا عليه إلا السيف والاستسلام ليزيد.

لو استسلم الحسين عليه السلام ليزيد لم تقم للحق قائمة، ولم تكن للعدالة عين ولا أثر ما دامت السموات والأرض، وكان للباطل أن يحكم ويتحكم متى شاء وكيف شاء؟ وليس لمصلح أن ينكر عليه فعلى الأولياء والمصلحين أن ينقادوا للظالمين طائعين فمهما بلغ المبطل بجوره فهو دون يزيد ظلماً وطغياناً ومهما بلغ المصلح بعظمته فهو دون الحسين عدلاً وإيماناً.

إذن لو لم ينهض الحسين لكانت الحجة للباطل على الحق ما دام في الأرض ساكناً(١٧).

---

(١٧) ذكرى أبي الشهداء –حفلات الشباب النجفي- إخراج دار الغري- من دون تاريخ/ ص٣٠.

مقدمة كتاب: أدب الطف

أو شعراء الحسين (عليه السلام)

بقلم: الشيخ محمد جواد مغنية

بسم الله الرحمن الرحيم

وبعد: فان كلمتي هذه ليست مقدمة بمعناها الصحيح، ولا تقريظاً لهذه المجموعة، أو تعريفاً لها، أو ثناء على من جمعها، وأن أستوجب الشكر على ما بذل من جهد، وإنما تبحث هذه الكلمة:

أولاً: هل يقدس الشيعة شخص الحسين بالذات، أو أن اسم الحسين عندهم رمز لشيء عميق الدلالة، تماماً كما يرمز العاشق بالغزال إلى محبوبته؟.

ثانياً: هل انعكس شيء من إشراقات الحسين عليه السلام وروحه في نفوس الذين يهتفون باسمه ليل نهار- في هذا العصر- ويحتفلون بذكراه، وينصبون لها السرادقات ويقيمون لها الحفلات، وينفقون عليها الألوف؟.

ثالثاً: هل خطباء المنبر الحسيني يؤدون مهمتهم كما ينبغي؟.

الحسين رمز: قد يبدو للنظرة الأولى أن كلمة الحسين تعني عند الشيعة المعنى الظاهر منها، وأن دلالتها تقف عند ذات الحسين بن علي وشخصه، وأن الشيعة ينفعلون بهذه الشخصية إلى حد الجنون.. ولكن سرعان ما تتحول هذه النظرة إلى معنى

أشمل وأكمل من الذات والشخصيات لدى الناقد البصير، ويؤمن إيماناً لا يشوبه ريب بأن كلمة الحسين تعني عند الشيعة مبدأ الفداء ونكران الذات، وإن الحسين ما هو إلا مظهر ومثال لهذا المبدأ في أكمل معانيه..ودليل الأدلة على هذه الحقيقة هو أدب الشيعة أنفسهم... فلقد كان الأدب، وما زال الصورة الحية التي تنعكس عليها عقلية الأمة وعقيدتها، وعاداتها وبيئتها.

وإذا رجعنا إلى التراث الأدبي لشيعة أهل البيت وجدناه يعكس الاحتجاج الصارخ على الظلم والظالمين في كل زمان ومكان، والثورة العنيفة في شرق الأرض وغربها، وإنّ أدباء الشيعة، وبخاصة شعراءهم يرمزون باسم الحسين إلى هذه الثورة، وذاك الاحتجاج، لأن الحسين أعلى مثال وأصدقه على ذلك، كما يرمزون إلى الفساد والطغيان بيزيد وبني حرب وزياد وأمية وآل أبي سفيان، لأنهم يمثلون الشر بشتى جهاته، والفساد بجميع خصائصه على النقيض من الحسين...وإليك هذه الأبيات كشاهد ومثال:

فمن قصيدة لأديب شيعي:

سهم رمى أحشاك يابن المصطفى ... سهم به قلب الهداية قد رمى

ومن قصيدة لآخر:

بنفسي رأس الدين ترفع رأسه ... رفيع العوالي السمهرية ميدُ

ولثالث:

اليوم قد قتلوا النبي وغادروا إلـ ... إسلام يبكي ثاكلاً مفجوعاً

فهذه الأبيات والألوف من أمثالها تنظر إلى الإنسان نظرة شاملة واعية، وتزخر بالثورة على كل من ينتهك حقاً من حقوق الناس، وترمز إلى هذه الحقوق بكلمة الحسين، وتعبر بقلبه عن قلب الهداية، وبرأسه عن رأس الدين، وبقتله عن قتل رسول

الله ودين الله...واستمع إلى هذه الصرخة الغاضبة يطلقها الشيخ أحمد النحوي في وجوه حكام الجور الذين اتخذوا مال الله دولاً، وعباده خولاً:

عجباً لمال اللّه أصبح مكسباً ... في رائح للظالمين وغادِ

عجباً لآل اللّه صاروا مغنماً ... لبني يزيد هدية وزيادِ

فيزيد وزياد رمز لكل من يسعى في الأرض فساداً، وأوضح الدلالات كلها هذا البيت:

ويقدم الأموي وهو مؤخر ... ويؤخر العلوي وهو مقدم

فانه ينطبق على كل من يتولى منصباً، وهو ليس له بأهل. وبهذا تجد تفسير الأبيات التي يستنهض بها الشعراء صاحب الأمر ليثأر من قاتلي الحسين عليه السلام، ويفعل بهم مثل ما فعلوا، وهم يقصدون بالحسين عليه السلام كل مظلوم ومحروم، وبقاتليه كل ظالم وفاسد، وبصاحب الأمر الدولة الكريمة العادلة التي تملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً وإليها يرمز السيد الحلي بقوله:

لا تطهر الأرض من رجس العدا أبداً ... ما لم يسل فوقها سيل الدم العرم

هذا، إلى إن الحسين عليه السلام قد مضى على استشهاده ألف وثلاثمائة سنة أو تزيد، ومن يومه إلى يومنا هذا، والأجيال من قوميات شتى ينظمون فيه الأشعار بالفصحى وغير الفصحى، وقد تغيرت الحياة ومرت بالعديد من الأطوار، وقضت على كثير من العادات، ألا بذكرى الحسين عليه السلام، والهتاف باسم الحسين نثراً وشعراً، فانه ينمو من عصر إلى عصر، تماماً كما تنمو الحياة، وسيستمر هذا النمو-والسين في يستمر للتأكيد لا للتقريب- قياساً للغائب على الشاهد...وما عرفت البشرية جمعاء عظيماً من أبنائها قيل فيه من الشعر ما قيل في الحسين بن علي عليه السلام...ولو تصدى متتبع للمقارنة بين ما نظم فيه، وما نظم في عظماء الدنيا مجتمعين لتعادلت

الكفتان، أو رجحت كفة الحسين، وما هذه المجموعة (الشعرية) إلا نقطة من بحر، وحبة من رمل، والسر الأول والأخير يكمن في المبدأ الذي مضى عليه الحسين، وأشار إليه بقوله، وهو في طريقه إلى ربه:

(أمضي على دين النبي).

إذن تعظيم الحسين تعظيم لدين النبي.

وقد يقال إن النظم في الحسين عليه السلام مسألة طائفية، لا مسألة إسلام أو إنسانية؟.

ونقول في الجواب: إن تمجيد الثورة ضد الظلم والطغيان هو تمجيد للإنسانية نفسها، حتى ولو كان الدافع الطائفية أو الحزبية أو القومية، فان الثورة الفرنسية والجزائرية والفيتنامية ثورات قومية، ومع ذلك فهي إنسانية، ومصدر الإلهام لكثير من الثورات.

وبهذه المناسبة انقل هذا المقطع من كتابي الاثنا عشرية:

إن التطور لم يقف عند حدود المادة، بل تعداها إلى الأفكار واللغة، لأنها جميعاً متلازمة متشابكة لا ينفك بعضها عن بعض، وكلمة الحسين كانت في البداية اسماً لذات الحسين بن علي عليه السلام ثم تطورت مع الزمن، وأصبحت عند شيعته وشيعة أبيه رمزاً للبطولة والجهاد من أجل تحرير الإنسانية من الظلم والاضطهاد، وعنواناً للفداء والتضحية بالرجال والنساء والأطفال لاحياء دين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا شيء أصدق للدلالة على هذه الحقيقة من قول الحسين:

أمضي على دين النبي.

أما كلمة يزيد فقد كانت من قبل اسماً لابن معاوية، وهي الآن عند الشيعة رمز الفساد والاستبداد، والتهتك والخلاعة، وعنوان للزندقة والإلحاد، فحيثما يكون الشر

والفساد فثم اسم يزيد، وحيثما يكون الحق فثم اسم الحسين. فكربلاء اليوم عند الشيعة هي فلسطين المحتلة وسيناء والضفة الغربية من الأردن، والمرتفعات السورية، أما أطفال الحسين وسبايا الحسين والأطفال المشردون من ديارهم.. وشهداء كربلاء هم الذين قُتلوا دفاعاً عن الحق والوطن في ٥ حزيران، وهذا ما عناه الشاعر بقوله:

كأن كل مكان كربلاء لدى ... عيني وكل زمان يوم عاشوراء

أين روح الحسين؟

ونخلص من هذا إلى نتيجة لا مفر منها، وهي أن أية ثورة على الظلم والطغيان تقوم في شرق الأرض وغربها فهي ثورة حسينية من هذه الجهة، حتى ولو كان أصحابها لا يؤمنون بالله واليوم الآخر..فإن الظلم كريه وبغيض بحكم العقل والشرع، سواء أوقع على المؤمن أم الكافر، وإن أي إنسان ضحى بنفسه في سبيل الخير والإنسانية فهو حسيني في عمله هذا، وإنْ لم يسمع باسم الحسين، لأن الإنسانية ليست وقفاً على دين من الأديان، أو قومية من القوميات.

وعلى هذا فالفيتناميون الذين يموتون من أجل التحرير والتقدم، وصد الغزاة الغاصبين يلتقون مع الحسين في مبدأه، وإن لم يسمعوا باسمه، ومن لايهتم إلا بنفسه وذويه، ويساند أهل البغي والفساد حرصاً على منفعته فهو على دين يزيد وابن زياد، وان لطم وبكى على الحسين، إن الحسيني حقا من يؤثر الدين على نفسه وأهله، ويضحي بالجميع من أجله، تماماً كما فعل الحسين، أما من يكيف الدين والمذهب على أهوائه تماماً كما يقطع الثوب على مقدار طوله وعرضه، أما هذا فما هو من الحسين ودين الحسين في شيء.

وتقول: كيف؟ وهذه الحرقة واللوعة، وهذا الدمع والعويل على الحسين، هل هو رياء ونفاق؟.

وأقول: كلا، هو صدق واعتقاد، ولكن الشيطان يوهمه أن الدين هو مجرد البكاء على الحسين وزيارة الحسين عليه السلام.. وفيما عداه فالدين هو منفعته ومنفعة أولاده وذويه.. ودليل الأدلة على ذلك أنه حينما تصده هذه المنفعة مع مبدأ الحسين يؤثرها على الحسين وجد الحسين.. إن حب الذات يفصل الإنسان عن نفسه، ويبعده عن واقعه، وينتقل به إلى عالم لا وجود له إلا في مخيلته وعقيدته، ويوهمه أنه أتقى الأتقياء، وهو أفسق الفاسقين، وأنه أعقل العقلاء، وهو أسفه الجاهلين.

ومن يدري أني أصف نفسي بنفسي، من حيث لا أشعر.. وأقول.. إن هذا ليس بمحال، وأنه جائز على كل إنسان غير معصوم كائناً من كان ويكون.. ولكني أقسم جازماً إني أتهم نفسي وأحاكمها كثيراً، وأتقبل الحكم عليها من كل منصف خبير، فهل يتفضل السادة الكبار. بل والمراهقون منهم والصغار، هل يتفضلون بقبول الرجاء من هذا العبد الفقير الذي يتهم نفسه أن يتهموا أنفسهم، ويراجعوها، ويقفوا منها موقف الناقد البصير، تماماً كما يتهمون غيرهم، أو أن حضراتهم يصرون على أنهم فوق الشبهات، لأن الراد عليهم راد على الله؟..ومهما شككت، فإني على يقين بان من ينظر إلى نفسه بهذه العين فهو من الذين عناهم الله بقوله:

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾.

خطباء المنبر الحسيني

كان المنبر فيما مضى الوسيلة الكبرى للدعاية والإعلام، ثم تطورت وسائل النشر إلى الكتب، ومنها إلى الصحف والمسرح والإذاعة، ثم التلفزيون والروايات والألواح الفنية، والبعثات التبشيرية، وأخطر الوسائل أولئك المأجورون الذين يقبضون في الظلام من أعداء الدين والوطن، ويمشون بين الناس كالشرفاء..وإنّ لي مع هؤلاء لموقفاً أجمع وأوجع.

والشيعة لا يملكون من وسائل الإعلام إلا المنبر الحسيني وبعض المؤلفات، ولكن جماهير المنبر الحسيني لا يحلم بها كاتب ولا مؤلف، وهو سلاح له خطره ومضاؤه في محاربة الباطل وأهله، والزندقة والإلحاد، لأن الهدف الأول من هذا المنبر هو أن يبث في الناس روح الحسين، حتى إذا رأوا باطلاً قاوموه وحقاً ناصروه، ومن هنا كان العبء ثقيلاً على خطباء هذا المنبر الخطير إلا على الأكفاء منهم..

والحق أن بعضهم أدى المهمة على وجهها، واهتدى بهم الكثير من الشباب إلى سواء السبيل ولكن هؤلاء- وللأسف- قليلون جداً، والأكثرية الغالبة مرتزقة متطفلون، أو ممثلون لا يهتمون بشيء إلا بعاطفة المستمع وميوله، تماماً كالمهرج، يقف على خشبة المسرح ليؤنس المتفرجين ويضحكهم، ويجهلون أو يتجاهلون أن مهمة المرشد الواعظ كمهمة الطبيب الجراح يستأصل بمبضعه الداء من جذوره، ولا يكترث باحتجاج المريض وصراخه.

والحديث عن قراء التعزية وخطباء المنبر الحسيني متشعب الأطراف، وبخاصة عن الذين لا يشعرون بالمسؤولية، ولا يقدرون لهذا المنبر هيبته وقداسته، وما رأيت أحداً تناول هذا الأمر بالدرس والبحث، وعالجه معالجة موضوعية، مع أنه جدير بالاهتمام لتأثيره البالغ في حياتنا وعقيدتنا.

ولو وجدت متسعاً من الوقت لتصديت، ووضعت النقط على الحروف، مع مخطط شامل يفي بالغرض المطلوب..وأكتفي الآن بهذه النصيحة، وهي أن يجعل الخطيب نصب عينيه قول سيد البلغاء، وإمام الخطباء عليه السلام:

(لذكر ذاكر فضائل جمة تعرفها قلوب المؤمنين، ولا تمجها آذان السامعين).

هذا هو مقياس البلاغة الذي يحفظ للكلمة شرفها.. وهو واضح وبسيط، كلام يتفق مع القلوب والآذان، ولا شيء وراء ذلك[١٨].

(١٨) أدب الطف، تاليف السيد جواد شبر، قدم له الشيخ محمد جواد مغنيه، الطبعة الأولى: ١٩٧٤/ ص٣.

الحسين بن علي

بقلم: الشيخ محمد رضا الحساني

قال الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

لا شك وأن يوم الحسين بكربلاء هو من الأيام العظيمة، وموقفه بين جحافل الأعداء هو من أشرف المواقف، وقوله لأصحابه ليلة العاشر من المحرم:

(أصحابي من أراد منكم النجاة فليسر في جنح الظلام).

ثم ردهم عليه أنا لا نفارقك أو نذوق الموت معك أعزاء مكرمين هو من أفضل الأقوال.

وليس من رأي أن يكون يوم الطف يوم بكاء وعويل بل كان يجب أن يجعل يوم هناء وسرور لأنه يوم أعز الله فيه الإسلام وأعلى كلمة الحق ونصر فيه الإيمان فهو كيوم بعث فيه الإسلام.

ولولا هجوم أوغاد بني أمية على حرم الرسول وانتهاكهم لآل بيت المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وسبي بناته وأطفاله وانتزاعهم الحلي والملاحف وحرقهم

الخيام ثم قطعهم رؤوس الشهداء بعد التمثيل بها والدوران بالرؤوس والسبايا من بلد إلى بلد وكلها أدلة شاهدة على عظم ذلك اليوم وعظم الحادثة التي وقعت فيه وعظم تلك النفس التي كانت بين جنبي أبي عبد الله الحسين ولكان ذلك اليوم من الأيام الغرر ولا شك أن النفوس العظيمة إنما هي للعظماء والأعمال العظيمة لا يقوم بها إلا العظماء، وبمقدار عظمة الموقف تراق الدماء وتزهق الأرواح، ولا بد للحياة الحرة من شهداء، كما ولا بد في بناء كيان الأمم من دماء تراق ما دام هنالك ظلم وجبروت وطغيان.

لقد ظهر الإسلام في بلاد العرب، والعرب مغمورون في ظلمات بعضها فوق بعض.

١ـ ظلمة الجهل.

٢ـ ظلمة الفقر.

٣ـ ظلمة التفرقة.

٤ـ ظلمة عبادة الأوثان.

٥ـ ظلمة الذلة والمسكنة.

يتناصرون ويتقاتلون وينهب بعضهم بعضاً لأسباب تافهة وأمور بسيطة ولم يكن يميز أحدهم بين ما له وما عليه ولا ما بين الحق والواجب ولم يكن لهم من يحرص على مصالحهم فلما ظهر الإسلام وأنار لهم السبيل وسن لهم الأنظمة والقوانين.

أـ فبدد ظلمات الجهل بالعلم والعمل.

ب ـ وأزال ظلمات الفقر بتشجيع الكسب والتجارة والبيع والشراء.

ج ـ ومحي ظلمات التفرقة بتوحيد صفوفهم فالمعبود واحد والقبلة واحدة واللغة واحدة في وطن واحد.

د- نحّى ظلمة عبادة الأوثان لأنها تضر ولا تسمع ولا تسمن ولا تغني من جوع.

هـ- وأباد عنهم ظلمة الذلة والمسكنة بإعلاء كلمة الله وتقديسها فوق كل نفس طاغية، وأكرم الناس أتقاهم في ذات الله وأخلصهم في طاعته.

﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾.

صبيحة اليوم الثالث من شعبان لثلاث سنوات خلت من الهجرة النبوية ولد (الحسين بن علي) من أبوين عظيمين، هما علي وفاطمة وهو ثاني السبطين وسيد شباب أهل الجنة وريحانة المصطفى صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

فقد غرس أبو السبطين نبتة طابت وطهرت ونمت وأنبتت إنسانية فذة وكانت كشجرة نامية أصلها ثابت وفرعها في السماء في منزل سما وهيكل قدسي علا فكان ناموساً نامياً على صفحات الأبدية، وساعة ولد الحسين أخذه رسول الله، فأذن في أذنه اليمنى، وكبر في أذنه اليسرى وهو نداء الروح للروح.

وتلك سنة الله في العظماء ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

ونشأ الحسين من أب هو علي بن أبي طالب أكثر الناس علماً.

وأشدهم في ذات الله.

وأوفرهم نصيباً في الفتح والانتصارات.

وأصبرهم على مضض الدواهي.

ومن أم وهي سيدة نساء العالمين وأوفرهن علماً وعملاً، وزهادة، وفي حضن رسول الله قد غذي بلبان الإيمان وطفحت عليه شمس الهداية الإسلامية تمارسه الإنسانية وتحيط بسياج من العظمة النادرة المثال، وفي بيت هو الهيكل الأقدس عاش الحسين ترعاه عناية الله.

فسلام عليه يوم ولد.

وسلام عليه يوم نشأ.

وسلام عليه يوم تمثلت فيه الإنسانية الكاملة، ونحسب أنه جرم صغير ولكنه العالم الأكبر ويوم مات عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ترك فيه إنسانية كاملة رفيعة على الشكل الذي وضع الله تصحيحه في القرآن وذلك مما نطق به صاحب الرسالة الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم حيث يقول:

(حسين مني وأنا من حسين).

صباح يوم الخميس ثاني شهر محرم الحرام لإحدى وستين سنة مضت من الهجرة النبوية نزل الحسين بن علي عليه السلام أرض كربلاء فلما وصلها قال:

(ما اسم هذه الأرض)؟

فقيل كربلاء! فقال:

(اللهم إني أعوذ بك من الكرب والبلاء)

ثم أقبل على أصحابه فقال متمثلاً قول أبيه:

(الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم يحيطونه ما دارت معائشهم فإذا محصوا بالبلاء قل الديانون).

ثم قال:

(أهذه كربلاء)؟

قالوا نعم يا بن رسول الله. قال:

(هذا موضع كرب وبلاء انزلوا، ها هنا مناخ ركابنا، ومحط رحالنا ومقتل رجالنا، ومسفك دمائنا) فنزلوا فيها جميعاً.

(وازن الحسين، بين الرغبة والبقاء وبين الواجب فرأى طريق الواجب أفسح

الطريقين وأرضاهما عند الله والناس).

وفي العاشر من محرم عند الظهيرة قضى أبو عبد الله في حومة الجهاد يحمل راية النبي ويرتدي درع النبي ويلبس عمامة النبي ويجاهد بسيف النبي في ظهيرة يوم عاشوراء المحرم قتل أبو عبد الله هو وأصحابه وأهل بيته وأولاده ولم يثنِ عزمه قلة العدد وعدم المدد عن المضي إلى الموت قدماً ففاز بالشهادة وباء أعداؤه بالخزي والشنار إلى يوم الدين وبذلك سجل الحسين الإباء والشمم والإقدام والتضحية والدين فمضى مثلاً صالحاً ومضى أعداؤه بأقبح وأحط الأمثال وأقام هو للدين منابراً وللشرف عماداً وللإباء تمثالاً، وللتضحية علماً وللجلد والصبر جبلاً وللدين نبراساً وللتمسك بالحق عنواناً، «أطل من عليا مكة التي هي رمز السماء في الأرض وينبوع المثل في الإسلام إلى الحياة الجديدة التي تجيش في الشهوات وفي زوبعة يدور رحاها داعية في الجانب الآخر لا تطلع فيه الشمس فرأى اكفهراراً ورأى تجهماً استفزاه».

«مشى إلى الفوز أو إلى الموت، والموت نصر سلبي في الجهاد، فمن جاهد ومات فقد طرح أهاب الأرض ليلبس حلة السماء حلة الخلود الضافية».

سار بقلته المؤمنة، وثبت في معركة الحق والباطل، وجعل بين ناظريه برهاناً، وبه سقط الإمام صريعاً بعد كفاح رهيب وبعد أن أرسل كلمة الحق في العراق.

هذه الكلمة التي طوفت بإلهياكل وعادت بنشيد الشهداء (دم جرى في التراب لينبت أشواكاً في أعين الظلم والظالمين).

ولما عرضت عليه البيعة بذلة أو الموت والقتال على ما هو عليه من الأهل والعيال والأطفال، قال:

«هيهات منا الذلة يأبى الله ذلك ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وحجور طهرت وأنوف حمية ونفوس أبية ألا ترون أن الحق لا يعمل به والباطل لا يتناهى عنه فلا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برماً».

فسلام عليك أبا عبد الله يوم ولدت.

وسلام عليك يوم قتلت.

وسلام عليك يوم تبعث حياً.

لقد علمتنا كيف نعتنق المبادئ وكيف نحرسها.

وعلمتنا كيف نقدس العقيدة وكيف ندافع عنها.

وعلمتنا كيف نموت كما علمتنا كيف نحيا كراماً بها.

رسمت لنا طريق الخلود الأبدي من طريقك.

فسلام عليك يوم ولدت.

وسلام عليك يوم نشأت.

وسلام عليك يوم قتلت.

وسلام عليك يوم تبعث حياً.

ورحمة الله وبركاته[(١٩)].

---

(١٩) مجلة القادسية -النجف- العدد-٥- السنة الرابعة- ١٣٦٦هـ/ ص١.

المسؤولية في الإسلام

بقلم: السيد مرتضى العسكري

عميد كلية أصول الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَامَ دِينًا﴾.

نزلت هذه الآية الكريمة بعد أن بلغ الرسول جميع ما أنزل إليه في الإسلام من أصول وفروع، وعين إلى من ترجع الأمة من بعده قولاً وعملاً، بين أحكام الشرع الحنيف وصرح بإنسداد باب التشريع في قوله:

(حلال محمد حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة)

وفي قوله سبحانه وتعالى:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾.

وفي قوله تعالى:

﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾.

وعين إلى من ترجع الأمة من بعده في آيات كثيرة، وأحاديث متواترة منها قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

(إني مخلف فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي) و(مثل أهل بيتي،كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق)

وخصّص ذكر رأس السلسلة، بقوله:

(يا علي ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي).

هذه الآيات والأحاديث، إلى عشرات غيرها، عينت المرجع للأمة وبينت إنسداد باب التشريع بعد الرسول، ومنها نعلم أن شأن أمير المؤمنين علي بعد الرسول كشأن الرسول في أنه المرجع للأمة، فكما أن الرسول كان هو المرجع لأخذ الأحكام سواء في المدينة حاكماً أو في مكة مظلوماً كذلك ابن عمه من بعده هو المرجع للأمة، نختار منها حديثاً واحداً عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

(إذا ظهرت البدع في أمتي فعلى العالم أن يظهر علمه، وإلا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين).

إذن فالعالم هو المسؤول عن بيان أحكام الإسلام وتشخيص البدع، ولعل الحكمة في هذا التشديد على العالم في محاربة البدع أن يتحمل العلماء المشاق في سبيل المحافظة على الإسلام؛ كي لا يصيب شريعة خاتم الأنبياء ما أصاب شريعة موسى وعيسى من التغيير والتبديل على أيدي اليهود والنصارى أنفسهم.

هذه مسؤولية بيان الأحكام بدت بمن خاطبه الله بقوله:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾.

وانتهت إلى العلماء ورثة الأنبياء، أما مسؤولية تنفيذها فهي شركة بين النبي وبين الإمام، والعالم وأفراد الأمة، قال تعالى:

﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾.

وقال رسوله الكريم:

(كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته).

وقال:

(من أصبح ولم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم).

وقال عز اسمه:

﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾.

فالمسلم مسؤول عن نفسه أولاً وعن أهله ثانياً وعن المجتمع الإسلامي ثالثاً، وجميع آيات الأمر بالمعروف وأحاديثه تبين ذلك بتفصيل وتشديد.

هذه سلسلة المسؤولين عن الإسلام، أما مبلغ أدائهم للمسؤولية فما كان من شأن أفراد الأمة في ذلك منذ فجر التاريخ الإسلامي حتى اليوم، فأترك التعرض له لأثير موقف قادة الأمة الفكريين منه.

عرفنا أنّ الرسول عين أهل بيته أعدال الكتاب لتحمل المسؤولية من بعده وفي مقدمتهم أمير المؤمنين، فقد قام سلام الله عليه بأداء مسؤولية المحافظة على الإسلام بعد الرسول وعمل من أجل ذلك كل ما فعل، فمن أجل الإسلام جلس في بيته ومن أجل الإسلام رضى أن يجلس على دست الحكم، قال عليه السلام:

(فأمسكت يدي حتى إذا رأيت راجعة الإسلام قد رجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم فخشيت أن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً - إلى قوله- فنهضت في تلك الأحداث حتى زاح الباطل وزهق، واطمأن الدين وتنهنه).

إذن فإنّ علياً أمير المؤمنين عليه السلام من أجل الإسلام حارب ومن أجله هادن.

عاش للإسلام واستشهد في سبيله ثم قام من بعده السبط الأكبر ثم سيد الشهداء عليه السلام، وهما أيضا عاشا للإسلام واستشهدا في سبيله، وبعدهما قام الأئمة التسعة الميامين بأمر الإسلام واحد بعد آخر حتى كان عصر الغيبة الكبرى.

فتحمل أعباء المسؤولية الكبرى الكليني ثم المفيد والمرتضى والطوسي مؤسس الجامعة الإسلامية الكبرى في النجف الأشرف.

إذا مات منا سيد قام سيد قؤول بأفعال الكرام فعول

هكذا قام بالأمر منا علم بعد علم حتى كان بالأمس القريب إذ نهض الشيرازي الراقد في تربة السبط الشهيد عليه السلام ومعه ثلة من إخوانه العلماء كالشيخ مهدي الخالصي وشيخ الشريعة والحبوبي ونظائرهم تركوا الزبر والقلم؛ ليحملوا السيف والراية ليدافعوا عن الإسلام وأهله وليدفعوا عن هذا البلد الميمون وأبناءه البررة عادية الكافر وكان بعد دحر الكافر ما كان مما ليس أذكره.

يا أبناء الإسلام أن المعركة معركة الإسلام وخصومه أن علماء الإسلام هم حماة الإسلام وذادته، فمن نال منهم نال من الإسلام.

يا أبناء محمد وعلي أن قادتكم الفكريين في كل عصر يؤدون ما عليهم من واجب الدفاع عن دينكم الإسلام وعن سعادتكم في الدنيا وعن بلادكم بلاد الإسلام وما عليكم إلا أن تلتفوا حولهم وتلبوا نداءهم لحفظ دينكم وبلادكم وضمان سعادتكم.

وختاماً أيها الأخوة المؤمنون أن هذا الكتاب قد وصل إلينا بدماء زاكيات أريقت في سبيله، ونحن وأنتم مسؤولون عنه؛ لئلا يهجر وتداس أحكامه بالأقدام، أما العلماء فقد نذروا أنفسهم وما يملكون للتضحية في سبيله:

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [٢٠].

(٢٠) مجلة الإيمان -النجف- العدد- ٣، ٤- السنة الثانية -١٩٦٥/ ص١٥.

من وحي الذكرى

بقلم: السيد محمد تقي الحكيم

عميد كلية الفقه

ليس المهم – فيما اعتقد– أن أعرض في حديثي هذا فصلاً من مأساة الحسين عليه السلام استدر فيه الدموع من مآقي الحاضرين، وما أقل جدواه إذا كانت الغاية من إقامة احتفال هذه الذكريات.

فالحسين عليه السلام لم ينهض نهضته الجبارة ليخلق أمة تكتفي بالبكاء عن النظر في ملابسات القضايا التي حفزته للنهوض وتجعل ذلك جزاءه الوحيد، ولو اعتبرنا ذلك وحده الجزاء فما أضيع حقوق تلكم النهضة وما أبسط الجزاء..!

أنا لا أنكر على الباكين والنادبين ما يفعلونه ولو انتهى بهم الحال إلى أفجع الصور وأمضها، فهذا وأمثاله قد أعده من ضروريات التنفيس عن الانفعالات المزدحمة التي تصاحب – عادة– كل من يعرف قيمة الحسين، ويضمر ما يستحقه من ولاء، على أنّ فصول المأساة وحدها كافية لإيحاء أعمق الانفعالات، ولكن الذي أنكره وارد أن أصرح به في هذا الحفل الكريم أن نكتفي بهذا المقدار عن التعمق في فهم أسرار نهضته، وعن العمل على خلق الجو الملائم لتعميم الرسالة الإصلاحية المقدسة، التي قام بتأديتها من هذا الطريق مع إنّنا– ونحن في هذا العصر– أحوج ما نكون إلى ذلك، وفي

عقيدتي: أن الناهض المصلح لا يتوخى من نهضته أكثر من تعميم رسالته ونشرها بين سائر الطبقات.

أقول هذا وأنا أعلم أن مِنْ الأعلام الذين يشاركون في هذا الحفل مَنْ سيعرض بيانه الأخاذ إلى أسرار نهضة الحسين عليه السلام فيجلوها بما فيها من مغازٍ تنبض بالحياة ويضعها بين أيدي السامعين ليأخذوها بلسماً لجراحات المبدأ المقدس قبل أن تأتي على البقية الباقية من حناياه، ولكن مع ذلك أعلم أن أحاديثهم سوف لا تصل إلى الأعماق شأن سائر الأحاديث الإصلاحية، التي ارتفع صداها مراراً في مجتمعنا الذي انعدمت فيه أو كادت جميع القيم الأخلاقية المثالية وإلاّ مَنْ منا لا يعرف من أنّ الحسين نهض من أجل المثل العليا عندما رآها تتلاشى على أعتاب الخليفة الأموي - يزيد- فأستنقذها بما قدم من تضحيات..؟

ومن منا لا يعرف أنّ المثل العليا اليوم كادت أن تتلاشى على أعتاب المادة الطاغية التي استحوذت عليها من جميع الجهات..؟ كلنا نعرف ذلك ولكن حدثوني أين من وضع أو فكر في أن يضع على الأقل سيرة الإمام أمامه؛ ليستخرج منها طرائق لاستنقاذ هذه المثل من براثن المستحوذين على أن القضية اليوم غيرها بالأمس فهي لا تحتاج إلى تضحية الحسين، ولا إلى جهاد الحسين، وكلما نحتاج إليه شيء من جهاد النفس وحملها على أتباع المثل ثم فرض ذلك على من يمت إلينا ولا أقل من تغذيتها للناشئة الجديدة، من أبنائها الذين سنحاسب غداً من قبل الله على كيفية تربيتهم وتغذيتهم.

ومن منا لا يعرف أنّ القيم الأخلاقية التي قوضها معول الخليفة الأموي وأقام على إطلالها بنفسه جل منافياتها التي حاربها الإسلام من شتى الموبقات وكانت من محفزات الإمام للنهوض.

وهذه القيم اليوم عينها بالأمس قد تواثبت عليها معاول الماديين فكادت أن تقوضها من الأساس.

أيها السادة:

أنا لا أعد هذه المحافل وأمثالها فوزاً لمبدئنا المقدس مالم تستغل فرصها لاستئصال أدوائنا الاجتماعية في ضوء سيرة الحسين عليه السلام فهو لم يقدم نفسه وأشبال هاشم وليوث الأنصار ضحايا للعقيدة إلاّ ليعطي الأجيال درساً بليغاً من دروس التضحية في سبيل الإصلاح، فانظروا - أيها السادة- روح الامام السبط كيف تطل حفلكم هذا من فجوات القرون وهي تستنهضكم إلى أتباع مبادئه عليه السلام وتدعوكم إلى تعميم مثله العيا، فليكن هتافنا في جوابه:

لبيك يا داعي الله لبيك

لبيك يا داعي الله لبيك(٢١).

(٢١) مجلة البذرة -النجف- العدد-٥- السنة الأولى- ١٣٨٦هـ/ ص٣.

ملامح من ثورة الحسين (عليه السلام)

بقلم: الشيخ محمد مهدي شمس الدين

الثورة الصحيحة هي الاحتجاج النهائي الحاسم على الواقع المعاش، فبعد أن تخفف جميع الوسائل الأخرى في تطوير الواقع تصبح الثورة قدراً حتمياً لابد منه.

والقائمون بالثورة الصحيحة هم دائماً أصح أجزاء الأمة، هم الطليعة، هم النخبة التي لم يأسرها الواقع المعاش وإنما بقيت في مستوى أعلى منه وإن كانت تدركه، وتعيه وترصده، وتنفعل به، وتتعذب بسببه.

تصبح الثورة قدر هذه النخبة ومصيرها المحتوم حين تخفف جميع وسائل الإصلاح الأخرى، وإلاّ فإن هذه النخبة تفقد مبررات وجودها إذا لم تثر. ولا يمكن أن يقال عنها أنها نخبة، أنها تكون نخبة حين يكون لها دور تأريخي وحين تقوم بهذا الدور.

ولابد أن تبشر بأخلاق جديدة إذا حدثت في مجتمع ليس له تراث ديني وإنساني يضمن لأفراده – لو اتبع حياة إنسانية متكاملة، أو تحيي المبادئ والقيم التي هجرها المجتمع أو حرفها إذا كان للمجتمع مثل هذا التراث كما هو الحال في المجتمع الإسلامي الذي كانت سياسة الأمويين المجافية للإسلام تحمله على هجر القيم الإسلامية واستلهام الأخلاق الجاهلية في الحياة، وتوفر هذا الهدف في الثورة الصحيحة من جملة مقومات وجودها لأن العلاقات الإنسانية في الواقع علاقات منحطة وفاسدة، وموقف الإنسان من الحياة موقف متخاذل أو موسوم بالانحطاط الوحيد. وإذن فالدعوة إلى

إنموذج من الأخلاق أسمى مما يمارسه المجتمع ضرورة لازمة لأنه لابد أن تتغير نظرة الإنسان إلى نفسه وإلى الآخرين وإلى الحياة ليمكن إصلاح المجتمع.

ولقد قدم الحسين عليه السلام، وأصحابهم الأخلاق الإسلامية العالية بكامل صفائها ونقائها، ولم يقدموا إلى المجتمع الإسلامي هذا اللون من الأخلاق بألسنتهم وإنما كتبوه بدمائهم.

لقد اعتاد الرجل العادي إذ ذاك أن يرى الزعيم القبلي أو الزعيم الديني يبيع ضميره بالمال، ويعرض الحياة الدنيا..لقد اعتاد أن يرى الحياة تعنو خضوعاً وخشوعاً لطاغية حقير لمجرد أنه يملك أن يحرم من العطاء... لقد خضع الزعماء الدينيون والسياسيون ليزيد على علمهم بحقارته وانحطاطه، وخضعوا لعبيد الله بن زياد على علمهم بأصله الحقير، ومنبته الوضيع وخضعوا لغير هذا وذاك من الطغاة؛ لأن هؤلاء الطغاة يملكون الجاه والمال والنفوذ، ولأن التقرب منهم، والتودد اليهم كفيل بأن يجعلهم ذوي نفوذ في المجتمع، وأن يسبغ عليهم النعمة والرفاه وبلهنية العيش، وكان هؤلاء الزعماء يرتكبون كل شيء في سبيل نيل هذه الحضوة، كانوا يخونون ضمائرهم، فيبتدعون من ألوان الكذب ما يدعم هذه العروش، وكانوا يخونون دينهم الذي يأمرهم بتحطيم الطغاة بدل عبادتهم.

كان الرجل العادي في المجتمع الإسلامي آنذاك يعرف هذا اللون من الرجال ويعرف لوناً آخر منهم وهم أولئك الزهاد الدجالون الذين يتظاهرون بالزهد رياءً ونفاقاً، حتى إذا تقربوا من الطغاة كانوا لهم أعواناً وأنصاراً، إنهم هذا الصنف الذي وصفه الإمام علي عليه السلام بقوله:

«ومنهم من يطلب الدنيا بعمل الآخرة ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا، قد طامن من شخصه وقارب من خطوه، وشمر من ثوبه، وزخرف من نفسه للأمانة، وأتخذ ستر الله ذريعة إلى المعصية»

هؤلاء الزعماء الذين كان الرجل العادي يعرفه وقد اعتادهم، وألفه بحيث غدا يرى عملهم هذا طبيعياً لا يثير التساؤل.

ولذلك فقد كان غريباً جداً على كثير من المسلمين آنذاك أن يروا إنساناً يخير بين حياة رافهة، فيها الغنى وفيها المتعة، وفيها النفوذ والطاعة، ولكن فيها إلى جانب ذلك كله الخضوع لطاغية، والإسهام معه في طغيانه والمساومة على المبدأ والخيانة له، وبين الموت عطشاً، مع قتل الصفوة الخلص من أصحابه، وأولاده وأخوانه، وأهل بيته جميعاً أمامه، وحيث تنظر إليهم عينه في ساعاتهم الأخيرة وهم يلوبون ظمأ، وهم يكافحون بضراوة وإصرار عدواً هائلاً يريد لهم الموت أو هذا اللون من الحياة، ثم يرى مصارعهم واحداً بعد واحد، وأنه ليعلم أي مصير فاجع محزن ينتظر آله ونساءه من بعده، سبي، وتشريد، ونقل من بلد إلى بلد، وحرمان يعلم ذلك كله، ثم يختار هذا اللون الرهيب من الموت على هذا اللون الرغيد من الحياة.

لقد كان غريباً جداً على هؤلاء أن يروا إنساناً كهذا.. لقد اعتادوا على زعماء يمرغون جباههم في التراب خوفاً من مصير أهون من هذا بكثير أمثال عمر بن سعد والأشعث بن قيس ونظائرهما، تعودوا على هؤلاء فكان غريباً عليهم أن يشاهدوا هذا النموذج العملاق من الإنسان، هذا النموذج الذي يتعالى حتى ليكاد القائل أن يقول: ما هذا بشر..

ولقد هزَّ هذا اللون من الأخلاق.. هذا اللون من السلوك الضمير المسلم هزاً متداركاً، وأيقظه من سباته المرضي الطويل، ليشاهد صفحة جديدة مشرقة يكتبها الإنسان بدمه في سبيل الشرف، والمبدأ، والحياة العارية من الذل والعبودية ولقد كشف له عن زيف الحياة التي يحياها، وعن زيف الزعماء – أصنام اللحم– الذين يعبدهم، وشق له طريقاً جديداً في العمل، وقدم له أسلوباً جديداً في ممارسة الحياة، فيه قسوة،

وفيه حرمان، ولكنه طريق مضئ لا طريق غيره جدير بالإنسان.

ولقد غدا هذا اللون المشرق من الأخلاق، وهذا النموذج الباهر من السلوك خطراً رهيباً على حاكم يجافي روح الإسلام في حكمه، إن ضمائر الزعماء قليلاً ما تتأثر بهذه المثل المضيئة، ولكن الذي يتأثر هي الأمة وهذا هو ما كان يريده الحسين عليه السلام، لقد كان يريد شق الطريق للأمة المستعبدة لتناضل عن إنسانيتها.

وفي جميع مراحل الثورة، منذ بدايتها في المدينة حتى ختامها الدامي في كربلاء تلمح التصميم على هذا النمط العالي من السلوك.

ها هو الحسين عليه السلام يقول لأخيه محمد بن الحنفية، وهما بعد في المدينة:

«يا أخي، والله لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى، لما بايعت يزيد بن معاوية».

وها هو يتمثل بابيات يزيد بن مفرغ الحميري حين إنسل من المدينة في جنح الليل إلى مكة:

لا ذعرت السوام في فلق الصبح مغيراً ولا دعيت يزيدا

يوم اعطى على المهانة ضيماً والمنايا ترصدنني أن أحيدا

وها هو يجيب الحر بن يزيد الرياحي حين قال له:

أذكرك الله في نفسك، فإني أشهد لئن قاتلت لتقتلن، ولئن قوتلت لتهلكن، فقال الإمام الحسين عليه السلام:

أبالموت تخوفني..؟ وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلوني..؟ ما أدري ما أقول لك..؟ ولكن أقول كما قال أخو الأوس لابن عمه - ولقيه وهو يريد نصرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - فقال له:

أين تذهب فإنك مقتول، فقال:

سأمضي وما بالموت عار على الفتى	إذا ما نوى خيراً وجاهد مسلما
وواسى رجالاً صالحين بنفسه	وخالف مثبوراً وفارق مجرما
فإن عشت لم أندم وإن متُّ لم ألم	كفى بك ذلاً أن تعيش وترغما

وها هو- وقد أحيط به، وقيل له: إنزل على حكم بني عمك- يقول:

«**لا والله، لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقرُّ إقرار العبيد، ألا وأن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين: بين السلة والذلة، وهيهات منا الذلة، يأبى الله لنا ذلك، ورسوله، والمؤمنون، وجدود طابت، وحجور طهرت، وأنوف حمية، ونفوس أبية لا تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام**».

كل هذا يكشف عن طبيعة السلوك الذي اختطَّه الحسين عليه السلام لنفسه ولمن معه في كربلاء وألهب به الروح الإسلامية - بعد ذلك- وبثَّ فيها قوة جديدة.

لقد عرفت كيف كان الزعماء الدينيون والسياسيون يمارسون حياتهم. وهنا يرسم لك صورة عن نوع الحياة التي كان يمارسها الإنسان العادي إذ ذاك. لقد كان همُّ الرجل العادي هو حياته الخاصة، يعمل لها، ويكدح في سبيلها، ولا يفكر إلاّ فيها، فإذا اتسع أُفقه كانت القبيلة محل إهتمامه، أما المجتمع والأمة، المجتمع الكبير فلم يكن يستأثر من الرجل العادي بأيِّ إهتمام، كانت القضايا العامة بعيدة عن إهتمامه، لقد كان العمل فيها وظيفة زعمائه الدينيين والسياسيين، يفكرون، ويرسمون خطة العمل، وعليه أن يسير فقط، فلم تكن للرجل العادي مشاركة جدية إيجابية في قضايا المجتمع العامة.

وكان يهتم غاية الإهتمام بعطائه، فيحافظ عليه، ويطيع توجيهات زعمائه خشية أن يمحى اسمه من العطاء، ويسكت عن نقد ما يراه جوراً بسبب ذلك وكان يهتم بمفاخر قبيلته ومثالب غيرها من القبائل، ويروي الأشعار في هذا وذاك. هذا مخطط لحياة الرجل العادي إذ ذاك. أما أصحاب الحسين عليه السلام فقد كان لهم شأن آخر.

لقد كانت العصبة التي رافقت الحسين عليه السلام وشاركته في مصيره رجالاً عاديين. لكل منهم بيت وزوجة، وأطفال وصداقات، ولكل منهم عطاء من بيت المال، وكان كثير منهم ما يزال في ميعة الصبا، في حياته متسع للاستمتاع بالحب وطيبات الحياة ولكنهم جميعاً خرجوا عن ذلك كله، وواجهوا مجتمعهم بعزمهم على الموت مع الحسين عليه السلام.. لقد ثاروا على مجتمعهم القبلي وعلى مجتمعهم الكبير في سبيل مبدأ آمنوا به، وصمموا على الموت في سبيله.

ولقد عملت هذه الأخلاق الجديدة عملها في إكساب الحياة الإسلامية سمة كانت قد فقدتها قبل ثورة الحسين عليه السلام بوقت طويل، تلك هي الدور الذي غدا الرجل العادي يقوم به في وقت الحياة العامة بعد أن تأثر وجدانه بسلوك الثائرين في كربلاء، قد بدأ الحكام المجافون للإسلام يحسبون حساباً لهؤلاء الرجال العاديين، وبدأ المجتمع الإسلامي يشهد من حين لآخر ثورات عارمة يقوم بها الرجال العاديون على الحاكمين الظالمين وأعوانهم لبعدهم عن الإسلام وعدم استجابتهم لأوامر الله ونواهيه في سلوكهم.

ثورات كانت روح كربلاء تلهب أكثر القائمين بها وتدفعهم إلى الاستماتة في سبيل ما يرونه حقاً.

ولقد تحطمت دولة أمية بهذه الثورات، وقامت دولة العباسيين بوحي من الأفكار التي كانت تبشر بها هذه الثورات، ولما تبين للناس أن العباسيين كمن سبقهم لم يسكنوا بل ثاروا.. واستمرت الثورات التي تقودها روح كربلاء بدون انقطاع ضد كل ظلم وطغيان وفساد، ولئن تغيرت أساليب الصراع اليوم فإن روح كربلاء هي التي يجب أن تقود خطى المسلمين في كفاحهم للمبادئ المعادية للإسلام، وهي الكفيلة بأن تقودهم – في النهاية– إلى النصرة إن تمسكوا بها، واستلهموها، وكانوا لباعثيها – أهل البيت عليه السلام– إتباعاً[٢٢].

(٢٢) مجلة الأضواء –النجف– العدد–٢– السنة الأولى– ١٩٦٠/ ص٦٠.

شهيد الطف

بقلم: الشيخ باقر شريف القرشي

لا أرى المـــــوت إلاّ ســـــعادة والحيـاة مـع الظـالمين إلاّ برمـا

وهكذا يأبى التفكير الصحيح من الخضوع لمسالمة من أراد بالأمة سوء وتحكم فيها مستبداً دون أن تثيره النخوة فلا يفتأ أن يصرخ في وجوه المستبدين فيبني كيان أمته بكل ما يستطيعه وإن وجوده في الأمة لنادر بل لا يدركه الشعور والحسين أبو الشهداء، لأنه المثل الأعلى للمجاهدين حيث ضرب المثل العليا لجميع الشهداء.

وواقعة الطف متى ذكرت تذكر مقرونة بالتعظيم والتبجيل ذلك لأنها اشتملت على مفاخر وعبر ما لم تحويه أيَّ مأساة جرت في الوجود فحلت في قلب كل إنسان خضع لصاحب الرسالة أو لم يخضع. وحتى أخذت اثرها في قلب كل رجل كان الناس لا يظنون به إلاّ سوء فأسمعه يرثيه بما يتم عن أثرها العميق في نفسه فيقول:

وعلى الأرض من دماء الشهيدين علـــي ونجلــه شـــاهدان

فهمـا في أواخـر الليـل فجـران وفي أوليائــه قمـــران

فما سبب هذا التأثير الذي يجده كل من قدس الفضيلة وما سبب خلود هذه التضحية إلاّ لأنها قاومت الباطل بكل ما استطاعت من رفع الظلم عن الأمة وإزالة حلم الاستبداد الجائر عنها. يقول علي لأبيه:

ألسنا على الحق.

فيقول له أبوه:

بلى والذي إليه يرجع أمر العباد.

وهكذا كانت نية أصحابه وأهل بيته إيماناً بالحق وتفانياً إزاء المبدأ القويم. خرج من مكة عالماً بمصرعه متيقناً أن تضحيته هذه ستعود بالخير الكثير على أمة جده سار في طريقه وهو يرتل.

سأمضي وما بالموت عار على الفتى   إذا ما نوى حقاً وجاهد مسلماً

نعم هان الموت عنده وعند أصحابه الأشاوس وعظم عليهم الخضوع لذلك الفاسق المستهتر، لقد خاب ظن ابن هند فيما فكّر فيه من تنصيب يزيد خليفة على المسلمين وتمكينه من رقابهم ولسنا ببعيدين عن الحقيقة إذا قلنا أن إذهاب الإسلام وفل شعاعه كان أمنية في نفس معاوية فلم يستطعها في حياته فخلف ابنه من بعده وأسر إليه بها فما تربع يزيد دست الخلافة إلاّ أخذ يجاهر بقوله: لاخبر جاء ولا وحي نزل، وبأعماله التي ينفر القلم من ذكرها فهل يا ترى يخضع الحسين لهذا الفاجر وهو سبط صاحب الرسالة والمثل الأعلى لجده القائل فيه:

«**حسين مني وأنا من حسين**».

فصرخ في وجوه المعادين لدين الله فعاد بأجمل الذكر وفل عروش الدولة الجائرة وأوضح ما إنطوت عليه نفوس أمية فحصل كما قيل:

من رام تفسير الحياة لقومه   قدم الشهيد يبين عن معناها

لولا الدماء تراق لم تك أمة   بلغت من المجد العريق مناها

تسمو الحياة بكل حر ماجد   وجبت عليه حقوقها فقضاها

فسلام عليك يا ضحية الفضيلة وعلى أصحابك تحيات من الله[٢٣].

(٢٣) مجلة القادسية -النجف-العدد-٦- السنة الرابعة- ١٣٦٦هـ/ ص٣.

خطة الحسين (عليه السلام) ونصرة المحسوس

بقلم: السيد محمد بحر العلوم

من الحقائق الجلية التي يحكم بها العقل ويرتضيها العقلاء هو أن الإنسان الكامل في مواهبه لابد أن يزن الأمور بميزان عقله الواعي ليدرك خطرها ويتبصر بمصيرها – فهو كلما بدأ في عمل أو استوحى فكره ما تراه يبسطها تحت شعاع العقل ليتميز بدقائقها ويتعرف بعواقبها – ومن ذلك ما هو جدير بهذا العمل والاستنتاج فكرة الحرب أو الدفاع – ويشترك في هذا التميز الجماعة والفرد على السواء بملاك واحد. ولذلك ترى الدولة أو الزعيم المحارب قد يكف عن إعلان الحرب في بعض الأحيان نظراً لما اقتضاه تفكيره من اليأس عن النجاح في المغامرة أو عدم ضمان سلامة الدولة أو القبيلة – إلى غير ذلك من المقتضيات السلبية.

فهو إن قام بمغامرته وأعلن الحرب دون أن يشرعه في وجدانه ويزنه بميزانه كان ذلك منه تهويساً وحمقاً وكان جديراً بأن لا يسجل له التاريخ أي مفخرة حتى ولو انتصر.

وقد كانت واقعة الطف إحدى المثل العليا لهذه الحقائق الواضحة – وكيف لا تكون مثلاً أسمى والقائم بأمرها سبط الرسول الأعظم، ربيب ثقافة الإسلام الصحيح ودعامة دعايته الأولى.

لقد أعلنت الدولة الأموية حربها على الحسين بن فاطمة فضايقته بإنذارها وهو في جوار البيت الحرام ومأمن العالم الإسلامي، أنذرته باسم فلكيتها الطاغي يزيد بن معاوية الذي زعم الإسلام وحارب قلب الإسلام. ولكنه عليه السلام حينما فوجئ بهذا الحادث لم يكترث لهذا الأمر كأنه على عدة للملاقاة والمنازلة ـ الأمر الذي يشير إلى رجحان دفاعه رجحاناً لا تفكير بعده ولا نقض لإبرامه.

ونستطيع أن نفهم ذلك جلياً من الحوار الذي دار بينه وبين أخيه محمد بن الحنفية رحمه الله إذ يخاطبه محمد قائلاً:

ألم تعدني النظر فيما سألتك فيه فيقول السبط عليه السلام كلاّ يا أخي قد شاء الله أن يراني قتيلاً بأرض كربلاء العراق ثم يسأله محمد ما معنى حملك لهؤلاء النسوة فيجيبه عليه السلام قد شاء الله أن يراهن سبايا.

ويحسن بنا في هذا الاستطراد أن نقول أن الحسين عليه السلام إذا علم بقتله يقيناً واتّضح لديه سبي نسائه الحرائر وهتك خدورهن– فهلاّ كان ذلك موجباً لنقض عزيمته على الدفاع وهلاّ كان ذلك مشيراً إلى المغلوبية في جانبه ثم كيف سمحت له الغيرة أن ينقاد ويطيع ويحمل معه النسوة–.

ولكن الجواب ما كان بالأمر الصعب إذا ما دققنا الواقع من ناحيتيه الأولى ـ هي ما تشير إليه كلمة الحسين عليه السلام من الإشاءة التي هي القول الفصل الذي أكّد لنا أن الحسين عليه السلام كانت بواعثه ليست بمحض البشرية والقوى الإنسانية الساذجة.

وإنما كانت مشوبة بنوع من الإيماء الإلهي الرفيع كما كانت العناية الربانية تحيطها كل الإحاطة ـ وبعد ذلك كيف يستطيع ابن الرسول أن يخالف الله فيما علمه الله من إشاءته، بل لا محالة للمخالفة إذا ما علمنا عدم تخلف معلومه تعالى عن علمه.

الناحية الثانية: إن لكل دفاع قرارات وخطط يضعها القائد الحربي أو الزعيم المحارب لتكون سبلاً للنجاح وطريقاً فنياً للغلبة، وحمل النسوة إلى كربلاء بتلك الحالة هي إحدى وسائل الدفاع التي بنيت عليها غاية الحسين عليه السلام.

وإذ ذاك لابد من العودة إلى بيان غايته عليه السلام لنتحقق من صحة الدليل وأحقية البرهان.

لقد اتضح لديك بما أسلفنا وبما أنت به خبير من أن الدولة الأموية قامت باسم الإسلام وشيدت على دعائمه ومشت بأساليبه، ولكن موضع النقد هو فراغ تلك القواعد عن معانيها الصحيحة وغاياتها الأولى فإنك إذ تسمع بالخلافة الأموية وتسمع بالصلوات في الجوامع والقضاة في محاكمها والجباية للأموال باسم الحقوق والفتوح باسم العقيدة الإسلامية فإنما تسمع بها دون أن يعي أولو أمرها ما تعني به تلك النظم، ولو وعوها فهم في اتجاه آخر.

ولعلهم فكروا بسن قوانين تتمشى ومبادئهم الدينية ولكن صدهم عن تركيز ذلك تحكم العقيدة الإسلامية في شعبهم الأمر الذي يهدد دولتهم بالخراب والإنقلاب.

ولعل أوضح دليل على ذلك قول معاوية في خطبته عند صلحه للحسن بن علي عليه السلام: «أيها الناس ما حاربتكم لتصلوا ولا لتصوموا ولا لتحجوا ولا لتزكوا ولكن حاربتكم لأتأمر عليكم» وهذه البادرة منه بدرت على حين لا يستطيع الجمهور النهوض لرده؛ نظراً لقوة إرهابه واستتباب أمره.

ولذلك أطلق الكلام عن نفسيته الخائنة دون خشية وإتقاء، وهكذا استطاعت الدولة الأموية أن تهود الأمة الإسلامية وتنصرها وتعيدها تارة ببذل المادة وهي العامل الأول وأخرى بالإرهاب والعقابات الصارمة تلك الأمة التي كلفت الرسول الأعظم غالياً حتى أخذ بيدها من أعماق الضلالة وانتشلها من الكفر والجهالة.

تلك الأمة التي عرفت بالإيمان ودانت بثقافته وتحضرت من فيوضه الزاخرة وليتها اكتفت من ذلك بإشباع رغباهما دون أن جردت رماحها في وجه أبي الضيم تحاول استسلامه لطغيانها.

وأصر أبو الشهداء على كسر سورهم ودك عروشهم واستئصال شأفتهم فنهض بأصحابه الذين لم يكونوا غير أبناء المهاجرين والأنصار الذين عرفوا بالإيمان بين الأمة ذاتها.

فسار بأهل بيته وأصحابه صبية ونساء شباباً وكهولاً والكل من أفراد العترة ونعمت القيادة من ابن فاطمة الذي عرفوه، وابن الوصي علي الذي جربوه، وابن النبي محمد الذي خبروه.

سار على هذه الحالة ونزل أرض الفرات، وقابل طغاة الكوفة فأضطرهم على الاعتراف بكرامته وأهل بيته وأصحابه حتى صرحوا له بنسبه وأنهم غير تاركيه فإذا به يسمع ملء أذنيه منهم أنك ابن فاطمة أبوك علي جدك الرسول ولكننا نحاربك بغضاً لأبيك. هكذا عج التاريخ بإلحادهم وهكذا انتشر للأمم أن هؤلاء جيوشاً وأمراء مردة عاتون، ليس لهم من الإسلام نصيب؛ لأنهم الذين قصدوا العترة اعترافاً بكل ما هنالك من نتائج غير مبالين بما سيكون.

وأظنك قد التفت من هنا إلى نجاح الأسلوب الذي سار نحوه السبط عليه السلام ذلك ليوضح للأمم عدم إسلامهم وأنهم على الشرك الذي فطروا عليه سادة ورعية وكان ذلك بمثابة دعوى يصحبها البرهان.

ثم إنكفأ مرة أخرى نحو إبراز نفسياتهم الرذيلة للناس الآخرين، فعرض عليهم عرضاً تستجيش له الإنسانية وتستثار منه العواطف وتنفعل له النفوس، إذ قدّم رضيعه الظمآن طالباً منهم أرخص ما في الوجود وهو الماء باذلاً لهم، أخذه إليهم أن اتهموه بالحيلة على تحصيل الماء، فكان الجواب منهم استنزاف دم الرضيع في حجر أبيه فإذا به

يضطرب وأوداجه تبعث فوارة الدم، وياللمأساة.

ثم ما كانت الاّ ساعة دارت في مثل هذا اليوم فيها رحى الحرب فقابل قلب الإيمان وصريخة الإسلام فيها ثلة من المشركين حتى رأيت وجه الأرض كاسية بدماء الشهداء وراحت التربة ترتشف دماً لم تدنسّه أوهام الشك وراح السبط في الحومة وحيداً لا يجد من يقدم له جواده حتى حاول وهو أبي السبط أن يحاجهم بآخر كلمة فنادى وملؤ صوته الرهبة حتى خيل لهم أن الرسول في الميدان أو أن علياً فيها.

ألا هل من ناصر؟

ألا هل من ذاب عن حرم الرسول في الميدان؟

ألا هل من راقب الله فينا؟

وما زادهم ذلك النداء والاختبار إلاّ عتواً، ولكنه عليه السلام لما سقط صريعاً على التراب سابحاً بدمائه يخبط في وجهه الثرى شاهد ببقايا بصره الشريف تكالب القوم على هتك الحرائر فناداهم بلسان العروبة قائلاً:

إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد فكونوا أحراراً في دنياكم، وأرجعوا إلى أحسابكم إن كنتم عرباً كما تزعمون.

هكذا ربح الحسين النصر ديناً، إذ قلب الدولة قلباً محتماً بفاجعته بعد ما أثبت كفرها واستصرخ التاريخ في الرقن على طغيانهم وأقام الإسلام مجداً جديداً صبغه بدمائه وركزه على أشلاء الشهداء من أنصاره الأطياب، فتعالى صرخة عالية رجت بها العصور وتمسكت بها الأجيال، فعادت الثقافة الإسلامية تصدع في سماء الجزيرة على مرِّ الأعوام وعلى قمم الأعواد وما تزال الأفواه تتعطر بأسمائهم، والعيون تذرف الدمع لمصابهم والعاقبة للمتقين. وسيعلم الذين ظلموا أيَّ منقلب ينقلبون[٢٤].

(٢٤) مجلة الغري-النجف-العدد-٩، ١٠- السنة الثامنة- ١٩٤٧/ ص٦٨.

الهدف الأسمى

بقلم: الشيخ محمد باقر الناصري

بسم الله الرحمن الرحيم

لابد لكل إنسان في هذه الحياة من هدف يعمل من أجله، وإن اختلفت الأهداف والغايات رفعة وضعة باختلاف الأذواق والمدارك وبقدر تفهم الإنسان لأسرار الحياة.

ونظرة الناس للحياة ترتبط تمام الارتباط بقضية الإيمان والدين والأخلاق. فمثلاً من لم يؤمن بالله ولا يعيش نظام الإسلام العتيد ينظر للحياة بأنها متعة فقط.

فمن أوتي حظاً منها فهو السعيد، وعليه أن يعمل جاهداً للاستزادة من ملاذها، ثراء، جاه، سلطان، صحة.

وهي ما يحق أن تسمى بـ(النظرة البهيمية)، وجوهرها الزهد بجميع ما عدا ملاذ الحياة ومتعها.

أما من آمن بالله واليوم الآخر، ودان بالإسلام قولاً وعملاً، فتختلف نظرته عن تلك كل الاختلاف.

فالمسلم المؤمن هدفه أسمى من اللذة الزائفة والمتعة الزائلة فهو بقدر ما يرى للحياة من سمو ويتحرّي جوانبها الناصعة المحللة يصوب نظره إلى الحياة الآخرة ونعيمها، وترتسم أمام المؤمن صور لعدالة الله في الموازين يوم القيامة وللسعادة المرجوة في نظام الله الأكمل بهذه الحياة.

ويندفع المسلم المؤمن جاهداً لتحصيل السعادتين ونيل الحسنيين وعندها يكون اندفاعه لغاية سامية وأهداف عالية لتحمل التبعات.

كنفس الحسين بن علي عليه السلام والنفر الغر الأباة من أهل بيته وأصحابه فكانوا يتسابقون إلى الجهاد في سبيل الله.

داعين باللسان فإن أبى الظالمون فطعناً بالسنان، ومضى الحسين عليه السلام ومن معه شهداء الفضيلة.

وظن الجاهلون يومها أن الباطل قد انتصر على الحق، وأن الظلم صرع العدل، والكفر هزم الإيمان.

ولكنها ظنون باطلة وأحكام فاشلة.

سرعان ما إنجلت الغبرة عن انتصار الحق والفضيلة وخلود أبطالها واندحار الباطل والرذيلة.

وأصبح الحسين عليه السلام ويومه في كربلاء أنشودة الأجيال ورمز العدل وشعار الأحرار الثوار بوجه الظلم والظالمين أما بنو أمية أما الكفر والزيغ والظلم والفساد.

فقد هزمها الحسين عليه السلام بنهضته وجدد ما أوشك أن يندثر من معالم الإسلام كما يقول الشاعر:

بعث الدين من صعيدك بعثاً ثانوياً من بعد نشر وطي

وها هو الحسين عليه السلام بكل معنى الحياة.

وها هي مواكب الأمة تسير لتعبر عن تقديرها للحسين وموقفه في عاشوراء وولائها لمبادئه وتمسكها بشعار الحسين:

«لا أرى الموت إلاّ سعادة والحياة مع الظالمين إلاّ برماً».

وقد تكون حلقة الصلاح والإصلاح في أمة الإسلام هو ما تفقده الأمة الإسلامية.

ويعوزها تجديده وتجسيده في كل جوانب حياتها وخاصة منها الشعائر الدينية وما يكرس منها لتأبين الحسين عليه السلام في شهر محرم وصفر.

لأن الكثير منها لا ينسجم ونهج الحسين وأسس نهضته وهو ما نأمل أن تعيه الأمة وتعمل على إصلاحه[٢٥].

(٢٥) مجلة التضامن الإسلامي -الناصرية- العدد-٥، ٦- السنة الثالثة ١٩٦٦/ص١.

شهيد الكرامة

بقلم: السيد محمد جمال الهاشمي

(ألا وإنّ الدعي ابن الدعي قد ركزني بين اثنتين بين السلة والذلة، وهيهات منا الذلة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون، وجدود طابت، وحجور طهرت، وأنوف حمية. ونفوس أبية، لا تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام).

بهذه القبسات الملتهبة نخرق أغوار النهضة الحسينية المباركة، ونكتشف أسرارها المحجوبة. إنها مفتاح الثورة التي طوحت بعرش أمية، وأذلت دولة أبي سفيان.

إنها البذرة التي انتشرت جذورها، وانبسطت فروعها حتى رأينا الخلود يستظل في طرف منها.

إنها تصرح أن حركة الحسين لا ترتكز إلاّ على رعاية كرامته المقدسة التي تنسجم فيها كرامة الإسلام وكرامة القرآن، وهيهات أن يفرط فيهما مثل الحسين عليه السلام وهو الذي تغلغل الإسلام في كيانه عن طريق الوراثة وعن طريق التربية أيضاً، فهو سبط النبي ورث منه الروح التي أبت أن تتنازل عن دعوتها، ولو وضعوا الشمس في يمينها والقمر في شمالها، وهو ابن علي الذي ما أخذته في الله لومة لائم، ولا شطحت به عن الحق سياسة ومصلحة، وهو الذي وعى سيرة جده في مختلف حالاتها، وحفظ من مواقفه وأحاديثه ما يؤهله لأن يكون في مقدمة من خرجتهم مدرسة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، كما وعى من سيرة أبيه ومواقفه الكثيرة في مختلف عهوده وأدواره ما يجعله الرجل الأول في دنيا علي عليه السلام إنه ورث كما أخذ منهما كل ما يعتز به الإسلام، ويفتخر

فيه القرآن، ولذلك كان عليه أن يحافظ على هذه العزة والكرامة، يحافظ عليهما ولو يبذل حياته وتضحية وجوده المادي، ولذلك أبى أن يتنازل عن جزء من ذلك التراث المجيد، يتنازل عنه ليعيش مخدوش الكرامة مثلوم العزة، هيهات أن يكون ذلك يأبى الله ذلك ورسوله، وجدود طابت، وحجور طهرت، وأنوف حمية ونفوس أبية، لا تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام، إن سبط محمد مفخرة الإنسانية وابن علي والزهراء طرفا السلسلة الذهبية في المجد الإسلامي، يأبى عنصره وتأبى تربيته، أن يعيش هو ويزيد في دور واحد، يعيش ليرى يزيد حفيد أبي سفيان عدو محمدصلى الله عليه وآله وسلم وابن معاوية عدو الوصي والزكي عليه السلام يحكم دنيا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ودين محمد، وأمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم باسم محمد صلى الله عليه وآله وسلم هيهات تأبى ذلك تربية الحسين، ويأباه دمه الزكي، فكان عليه أن يناهض هذه الحكومة، يناهضها وحده، لأن العصر كان محكوماً لقوة يزيد وماله، يناهضها باسم الحق المهضوم، يناهضها ليقيم على أشلائه وأوصال أولاده لأصحابه تمثال الحق، وليجعل من رأسه لذلك التمثال إشارة مقدسة تخشع لها القرون والأجيال.

ولذلك نرى التأريخ في كل عام يعيد تمثيل تلك الكارثة الموحشة، ليستعرض للعالم الإسلامي بدموعه مصائب الحسين، وليستعرض الجيل الجديد ما ضحى به الجيل القديم المتمثل في شخصية الحسين في سبيل الحق والإسلام والإنسانية، إننا نستقبل موقف الحسين وأصحابه الأحرار الأبرار بكل خشوع وابتهال، نستقبله لنستمد منه التضحية والإيمان والعقيدة، نستقبله لنعرضه على جماهير الشعوب المسلمة ما يريده الإسلام من قادته وأئمته، فعسى أن نبعث الشباب المسلم روح التضحية والعقيدة فينتفض على القيود التي كبلت عقيدته، وكممت لسانه، ينتفض على القيود ليجعل منها سياطاً تؤدب جلاوزة المستعمرين[٢٦].

(٢٦) مجلة النشاط الثقافي -النجف-العدد-٨-السنة الأولى-١٩٥٨/ ص٤٨٧.

الإيمان رمز الفداء

بقلم: الشيخ حسين معتوق

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

نزلت الآية الكريمة ليلة العقبة بمكة لما بايع الأنصار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكانوا سبعين رجلاً - بعد وقوع المبايعة- قال عبد الله بن رواحة- وكان من النقباء- اشترط لربك ولنفسك ما شئت فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ولنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم واموالكم.

قال: فإذا فعلنا فماذا لنا؟. قال صلى الله عليه وآله وسلم:

الجنة، قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل.

إن حقيقة الشراء لا تجوز على الله تعالى - لأن الذي نعلمه ويعلمه كل واحد إن الإنسان في هذه الدنيا عبد لله ونائب عنه، وأن كل ما يراه من المخلوقات فيما بين

السماء والأرض هو ملك لله تعالى حتى هو نفسه ولكن الله سبحانه قد جعل له حق التصرف في نفسه وفي جميع ما خلق ضمن حدود معينة توصله إلى نيل رضاه وليس له أن يرسم خطة يسير عليها من تلقاء نفسه وليس له أن يستعمل ما سخر له من القوى والمواهب في غير طاعة الله وليس من الأمانة أن يتصرف في ملك غيره على خلاف ما يريده المالك- لذا عقب بعضهم على هذه الآية بقوله -إن الله اشترى أنفساً هو خلقها وأموالاً هو رزقها- وكان التعبير بالشراء ضرباً من التمثيل لأجل التأكيد في حصول الجزاء وجعله بمنزلة الحاصل لأنه بذلك قد جعل لعبده المؤمن حق المطالبة بالثمن وهو الجنة وصير نفسه ملزماً بدفعه من حيث أنه جعل نفسه مشترياً- والمؤمنين بائعين والنفوس والأموال هي المبيعة والجنة هي الثمن - والتوراة والإنجيل والقرآن هي السند الذي سجل فيه هذا البيع وجعل الشهود على البيع موسى وعيسى ومحمد أصحاب هذه الكتب صلوات الله على المرسلين أجمعين.. وحيث قد ملك الله على المؤمنين أنفسهم وأموالهم بهذا الشراء فعليهم أن يبذلوها في سبيل الله وأن يعملوا في هذه الحياة عمل الأجير ليقبضوا الأجر من الله غداً نعيماً وملكاً كبيراً.

وإنما أعلن الشراء من عبده المؤمن خاصة من حيث أن له من إيمانه ما يبعثه على الوفاء دون غيره ولا يصح البيع والشراء إلاّ حيث يمكن تسليم البيع - وغير المؤمن لا يسلم نفسه له، وإنما يسلمها للشيطان الذي يزين لها المعصية ويأمرها بالفواحش ما ظهر منها وما بطن حتى تصبح من أقوى أنصاره وأعوانه- هذا ولقد فاز المؤمنون بهذا البيع فوزاً عظيماً كما نطقت الآية الكريمة - من حيث أنهم قد باعوا الشيء من مالكه وأخذوا الثمن من مالكه ولأنهم باعوا فانياً بباق وزائلاً بدائم، والذين باعوا نفوسهم حقيقة لله وظفروا بهذا الفوز العظيم هم المؤمنون الأولون الذين خاضوا معارك الجهاد بجرأة وإقدام غير مبالين بفداحة الخطب وعظم التضحية حفاظاً على العقيدة، ولا غرو فإن مَنْ آمن بالله حق الإيمان وآمن بحقه في الأرض رعى رسالته فيها وحرسها من كيد

الأعداء ولن يصرفه عن ذلك صرامة التضحية ومن باع نفسه لله لا يمتنع عن تسليمها لأن المؤمن مفطور على الوفاء ومجبول على الفداء – وهل يتقاعد المؤمن عن الجهاد في سبيل إعلاء كلمة الحق والله معه والملائكة تؤيده والرعب من جنده – لا لن يتقاعد المؤمن عن تسليم نفسه لله بعد أن فتحت له الجنة أبوابها وهي تنتظره ولن تلهيه عن الشهادة زهرة الحياة الدنيا لأن الإيمان إذا امتزج في القلب ملأه محبة صادقة والمحبة الصادقة تورث الغيرة الصادقة، والغيرة الصادقة تدفع إلى التضحية الغالية – ومن غير المؤمن يألف التضحية ويعتاد البذل والفداء بسخاء – والنهاية إحدى الحسنيين أما النصر فيكون الظفر أو الشهادة فتكون الجنة لذلك ببذل نفسه لله وهو يقول مع القائل:

ولست أبالي حين أقتل مسلماً ... على أي جنب كان في اللّه مصرعي

لقد تقدم المؤمنون الأولون فخاضوا معارك الجهاد ضد الظلم والطغيان وحملوا في أيديهم أرواحهم ووهبوها له شوقاً إلى الجنة مع قائدهم الأعلى محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم لقد استعذبوا الموت لننعم بعدهم بالحياة ورضوا بالذهاب لنسعد بعدهم بالبقاء – لذا كانت سماء الحق لهم مطلعاً وجوار الله لهم مقعداً – وهم في صدر الزمان خالدون وأحياء عند ربهم يرزقون لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون–.

لقد ثار أولئك الطيبون على العقول المتعفنة فحرروها وعلى الآلهة المصطنعة فحطموها وعلى الاستبداد والظلم فداسوه بالأرجل؛ ليرف علم العدل على الرؤوس ولقد ارتفع علم العدل والحرية خفاقاً عندما أعلن قائدهم الأعلى كلمة الحرية وهي كلمة – لا إله إلاّ الله– التي هي رمز لتوحيد الله في السماء وتوحيد لحقوق الإنسان في الأرض وقد هيأوا بذلك للأجيال من بعدهم حياة الأحرار حياة تشرق في سمائها شمس الإخاء والإيثار وترفرف في أجوائها ألوية العزة والانتصار وتقوم قواعدها على العمل

لله بإخلاص، قد قطعوا على أنفسهم رحلة الأرض في نصب وشقاء لينالوا بذلك أحسن الجزاء فهم بشر ولكن بأعمالهم فوق مستوى البشر وأي إنسان خلق من ماء وطين يصمد لتلك الأحداث فيجعل من دمه قرباناً لدين الله حتى قام على أشلائهم أساسه وشمخ بتلك الدماء الزكية بنيانه – والدين في كل زمان محتاج إلى التضحية إذا سمحت الظروف كما سمحت للحسين عليه السلام الذي وصل الدين في عهده إلى حالة لا يمكن أن تعالج بغير الاستشهاد، لذا سلك بمن معه سبيلاً لابد أن يسلكها وليس له من مسلك سواها..

والحق إن الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه هم بحق ورثة حملة اللواء الأول ولواء الحق والحرية ولواء العزة والكرامة فلقد ضربوا الرقم القياسي للتضحية والفداء يوم أن أعلن القائد الثورة على الظلم الذي انتشر في أرجاء الدنيا من أعمال الأمويين – وهي ثورة قد استكملت كل معاني الإنشاء والتجديد وظفرت بعناصر الإصلاح التي ظفرت بها ثورة الإسلام الكبرى التي أعلنها جده من قبل يوم أن صرخ في شعاب مكة في دنيا الشر وفي طليعة أهله الحزب الأموي المتمثل في شخص أبي سفيان وجاء دور– الحفيد– فصرخ في دنيا المسلمين الذين يمثلهم يزيد بن معاوية حفيد أبي سفيان، وقد أعاد الحسين صرخة جده الإصلاحية واعاد يزيد صرخة جده الإلحادية – صرخ الجد في دنيا الشرك ليرد الناس إلى التوحيد الذي فطروا عليه وصرخ الحفيد في دنيا المسلمين بعد أن عادت إليهم جاهليتهم وبعد أن خُمدت جذوة تلك العاطفة الدينية التي التهبت بالأمس بين أعتاب الظلم صاغراً، وقد وقف الدين يفتش هنا وهناك عن المنقذ له من محنته فما وجد غير رجل واحد قد نبض فيه عرق هاشم والتهبت فيه عاطفة محمد وثارت فيه نخوة علي – ألا وهو الحسين– الذي جاء يحدو القافلة إلى طريق الحق فأقامها ثورة عارمة حطمت القيود والأغلال وجمعت للدين أشلاءه الموزعة هنا وهناك فقام من جديد يستعيد مجده الأول ويستجيب للقيادة

الرشيدة من بعد ما دبت الحياة في جذوره وتنسم أهله نسيم الحرية وعادت إليهم القوة بعد الضعف والوحدة بعد الفرقة والبذل والتضحية بعد الأثر والأنانية، وإلى ذلك يشير الحديث القائل:

حسين مني وأنا من حسين.

فإن الحديث يدل على أن النبي قد أعد حفيده الحسين لرسالة مستقبلية تشابه رسالته الحاضرة، وبذلك يكون كل من الجد والحفيد قد تولد من الآخر – فالحسين متولد من النبي بالولادة الجسمية والنبي متولد من الحسين بالولادة الروحية؛ لأن حياة النبي بحياة رسالته – وحياتها من غير شك كانت على يد الحسين – وإلى هذا المعنى يشير السيد جمال الدين الأفغاني بقوله – الدين الإسلامي محمدي الحدوث– حسيني البقاء.

هذا وما أحوجنا – نحن المسلمين– ولا سيما في هذه الأيام التي لا زالت تتسلط فيها أيدي الظالمين كما تسلطت بالأمس أيدي الأمويين – أن نجعل من هذه الصفوة خير مثل، أن يكون لنا معها أوثق نسب فنسير في الخط العريض الذي خطته لنا بأرواحها ولو كانت الشهادة في الطريق – ولقد آن لنا الأوان أن نستعيد في أذهاننا وأفكارنا ذكرى– عاشوراء– لنأخذ من معطياتها – وما أكثرها– الدروس والعبر لنتجند لخدمة الدين ولا سيما في محنة فلسطين– لأنه يجب على المسلمين أن يكون في كل قطر مسلم – حسين جديد إذا تعرض ذلك القطر لكربلاء جديدة– إن ذكرى الحسين– يجب أن تظل مثلاً يحتذى ودرساً يردده الزمان فتتلقنه الناشئة في البيوت ويتدارسه الطلاب في المدارس ويتذكره الشعب في الندوات ويمرن عليه الشباب في المعسكرات وبذلك يصلون إلى أهدافهم في الحياة – لقد وهبنا الله كرامة الإنسان ومنحنا عزة الإيمان وسلحنا بسلاح الحمية والإباء والدين الذي زكى به نفوسنا وعمر به قلوبنا– يستحث حميتنا ويستثير مشاعرنا – وقد رسم لنا معالم الطريق وضرب لنا الأمثلة من رسل الله وأوليائه فعلينا أن نتأسى بهم ونقف مع الحق اليوم كما وقفوا معه بالأمس لنكون في عداد من

لبّى نداء الحسين يوم كربلاء حين طلب الناصر – فإن الحسين عليه السلام لم يطلب الناصر من القوم الذين حاربوه– وإنما أرسلها صرخة مدوية عبر القرون والأجيال يدعو المسلمين بها إلى نصرة المبدأ الذي نصره وقدم له دمه الطاهر وتلك الدماء الزكية التي سقى بها أرض كربلاء والتي لم تزل إلى الآن طرية تهيب بهم إلى حفظ الدين وإعلاء كلمة الحق التي استشهد من أجلها الحسين عليه السلام، والقعود عن نصرة الحق معناه فتح الباب في وجه الباطل – لأن اللص لا يدخل الدار إلاّ في غيبة أهلها– والحياة التي يريدها الله ورسوله والحسين منا هي الحياة مع الحق – اتجاه إلى البناء وإنتصار للبقاء– ليظل كيان الحق سليماً، ليس في بنائه خلل يتسرب منه وباء الباطل ويتسلل منه سرطان الظلم – والنهوض حياة وبقاء والقعود موت وفناء– والويل للعبد المسخر الذي رضي بالذل والهوان وخنق وليد الكرامة من نفسه فلم يقدر شعائر الدين ولم يحترم مسؤوليته تجاه الحق فويل له من الله وويل له من محمد وويل له من الحسين وويل له من التاريخ[٢٧].

---

(٢٧) مجلة العرفان –صيدا– العدد–٤٣– السنة ١٩٦٧/ ص٢٠٤.

الثورة الانقلابية

بقلم: الشيخ محمد الأزيرجاوي

للسلطة التنفيذية على مختلف الازمنة والامكنة، نظم ودساتير كفيلة بحفظ الحقوق وصون الكرامات وسلامة الحريات وقمع كل ماهو مخل بالنظام واستأصاله من جذوره وإرجاع كل شيء إلى نصابه وايجاد جو مشبع بالخير والرضا والطمأنينة بين الأفراد والجماعات كما تسير عجلة التاريخ على ضوء العدالة والنزاهة. أما اذا كانت الأوضاع على النقيض من ذلك بمعنى أنّ السلطة جائرة والحكومة غاشمة ولا سلاح للسياسة إلاّ التهديد والتوعيد والاضطهاد والاستبداد وقد أصبحت طرائق التفاهم شائكة المسالك ملتوية المخارج. فما أقصر عمر تلك الحكومة وما أسوء حظ ذلك المجتمع الأعرج الذي ينهض مرة ويكبو مراراً، وما أوبه للانهيار والبوار. لكثرة الويلات وتعالي الصيحات والصرخات. وناهيك بما لهذه الأنات من الأثر الموجع على شعور الافذاذ من حزب المعارضين المخلصين الذين تسيئهم أن تطوح ببلادهم هذه العواصف والأراجيف وتصل بها لمثل هذه المراحل الخطيرة. وهنا تقضي المصلحة عليهم بمناوئة الطبقة الحاكمة ذات السلطان العظيم والجاه العريض، التي لا يسعها التنازل لتلبية مطاليب المستمرين لأنها تعد ذلك استهانة بكرامتها وتصرفاً غير لائق بكيانها وإمكانياتها. ومن ذلك الضغط الشديد وهذا الخلاف البعيد تقع ما نسميها (بالثورة

الانقلابية) كما نجدها مكررة أكثر من مرة في الوقت الحاضر أو كحادثة الطف في الزمن الغابر. الحادثة التي – لم تطلع الشمس على أخت لها والتي كان بطل مسرحيتها ابن علي عميد الهاشميين الذي يؤمن بدين جده الرسول الكريم:

أيها الناس قولوا لا إله إلاّ الله تفلحوا.

ويزيد بن معاوية عميد الأمويين المؤمن بشرع جده أبي سفيان: تلاقفوها يا بني أمية تلاقف الكرة فما من جنة ولا نار ولا حشر ولا نشر ولا حساب ولا عقاب– نعم لهذا يزيد تعطى مقاليد الأمة وهو الذي يتولى شؤون المسلمين وباسمه تعج الأندية أميراً للمؤمنين. فتتمتع بجميع الحقوق والامتيازات التي كانت للرسول الكريم. وإذا به يرقى المنبر نشواناً ويخطب الناس ثملاً سكراناً فيمط الشفاه لهذا الأمر جمع من الناس ويقول على الدين العفا آخرون. وأصبح الظرف عصيباً والوضع مريباً. خصوصاً والناس قريبو عهد من عصر الرسالة بل هم في قرن النبوة الذي تحيطه هالة الروحانيه وجلال القداسة مع وجود الأكفّاء لتحمل خطورة هذه المسؤولية التي لا تليق لغلام طريد كيزيد الذي لا يفقه معنى الإسلام وبليغ سره؛ نظراً لبعد نشأته عن الحضارة الإسلامية ولتربيته النصرانية من جانب أمّه التي أو كلت أمر تعاليمه لمن لايؤمن بمعالم الإسلام ونبيل اغراضه. لذلك كانت نزعته هزأ من الدين وأهله وتسخر بالرسالة ومن جاء بها. فانتهك الحرمات واستباح المقدسات دون أن يعبأ برادع أو وازع لأنه يحسب أنّ سلطانه لم يكن منشؤه السلطة الدينية وإنما هو الملك العضوض الذي يورثه عن أبيه معاوية هذا والعاصمة الأموية تعج بالوفاد والقصاد للاطلاع على ما آل إليه امرهم بعهد خليفتهم الجديد. وإذا بهم أول ما تطلع عليه أنظارهم أن يجدوا الأمير في ضواحي دمشق يتنقل بين رياض –الغوطة– ومروجها تحف به حاشيته الكريمة التي لا تحسن إلا العزف والقصف والتي أخذت على مسؤوليتها انعاش روح الزعيم الديني وبسط نفسه على رقص القيان وأنغام الحسان ووسوسة الجسام. الحالة التي لم يصل لأقل من بعضها امرؤ

القيس طريد أبيه، والذي انتقمت من وضعه نظم الجاهلية الخرقاء، وإلى غير ذلك من الأموال التي لم يعرفها الصحابة. التي أوجبت على سيد الشهداء وأبي الضيم يستعجل النضال ويندد بهذا العرش الكاذب وينكر سلطان أمية المزعوم في دمشق والحجاز وجميع الأقاليم الإسلامية ثم يبارح يثرب ميمماً وجهه شطر العراق. فيقف على شاطئ الفرات وعلى صعيد الغاضريات معلناً ثورته الحمراء ومن حوله عصبة المساعير الأطياب من بنيه وصحبه الكرام. شاهرين سيوف الحق على المردة العتاة، حتى جاد أبو المكرمات بأعلا ما يملك وأنفس ما يقتني وهو يقول:

(والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقر لكم إقرار العبيد فإن لم يكن لكم دين فكونوا أحراراً في دنياكم).

إذ لا شيء عنده أثمن من الحرية (ونفسي فداه) فكان أوّل غيثه في سبيل مبدأ الحرية أن يملأ راحتيه الكريمتين بدم الرضيع الأصغر. ثم يلحق به نجله الأكبر ليكون هدف الأسنة وغرض البواتر، وهو أربط جأشاً من كل خلق الله وكأن ذلك غير كاف حتى يتخطى للمنية بشخصه المقدس فيجعل لكل سلاح حصة بأوصاله الكريمة وطعمة من أشلائه الطيبة، وبهذا ومثله كادت أن تنكشف العاصفة وينتهي المطاف.

وإذا ببنت الأنزع البطين تبرز من بين أخبية الخفرات من بنات علي وهي تهزأ بالقضاء الأموي. لتقف على جسد أخيها الموزع قائلة له لك الجنة أبا الاحرار ثم تصعد ببصرها نحو السلام منادية:

(اللهم تقبل منا هذا القربان).

ثم تدير وجهها لأجداث الصحابة ومن بينهما بطل العلقمي فتردد

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾.

وبعدها تلتفت لابن سعد وعبيد الانذال فتقرعه بآية اخرى من التنزيل:

﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾.

فكانت المرأة التي زهدت الحياة في نفوس اهلها وحقرت الدنيا عند طلابها ثم ترجع عليها السلام لحرمها ظافرة بخصمها مطمئنة من نفسها بعد ان أدت واجبها المقدس ورسالتها الدينية لعلمها ان المعركة انتهت ببصقة كبيرة بوجه الفرعون الأموي الذي اكسبته العار والصغار.

وهكذا يلقى أبو الاحرار درس الحياة على الأجيال ليكون عظة وعبرة لعشاق الفضيلة وطلاب الخلود. وما أحرانا لان نقتبس فيضاً من تلك الدروس البليغة لشحذ هممنا وصون أعراضنا وحفظ بلادنا التي طمع فيها حتى منبوذي العالم شراذم اليهود وهاهم اليوم يبطلون العهود ويداهمون الحدود ويغيرون نهر الأردن عن طبيعة مجراه والعالم المسلم مكتوف الأكف مغلول الأيادي. لتقصير ساسة العرب والمسلمين ذوي المسؤولية من أرباب المناصب الذين اقتنعوا بنعيمهم الزائل ومجدهم المزيف الذي شيدوه على مناكب عبيدهم الأحرار من أبناء جنسهم وجنسيتهم. رحماك أبا الاحرار نفحة من جلال قدسك تبعث فينا معاني الحياة ومباهج السعادة من جديد[٢٨].

(٢٨) مجلة الغري -النجف-العدد-٢- السنة الخامسة عشرة-١٩٥٣/ص٣٥.

الفاتح المنتصر على مدى التاريخ

بقلم: الشيخ راضي آل ياسين

اللهم اشهد بإننا نبرأ إليك من الشريعة التي قتل بسيفها الحسين عليه السلام، إنها النعرة التي عرفناها منذ أكثر من ألف عام، ولكنّ العصبية الذميمة ميراث من مواريث الأمجاد الغالية التي يجب أن يحتفظ بها الخلف عن السلف وأن تخضع لنواميسها القرون بعد القرون.

والواقع إنّ فقد المقاييس لدى زمرة من هؤلاء الناس وضعف التفهم للاسس التي قام عليها السلام منذ أراد الله الإسلام على معناه الصحيح، هو مبعث كل هذا التبلبل الفج وهذه النعرات الهوجاء التي لا تصغي إلى دليل ولا تعتمد على منطق ولا تمت بصلة إلى دين أو يقين.

وليت هذا الجاهل المأفون الذي يتشدق بهذه الأكذوبة غير متحرج ولا متأثم دلنا على هذه المادة التي يستند إليها في إرسال هذه النسبة إلى الشريعة «وهي منه براء»، ولعله سوف لا يجد له دليلاً ولا شبه دليل فيما بين يدي هذه الشريعة من مصادر التشريع وأدلة الحكم الأشبه واحدة تحتضنها الذهنية الموروثة من هذه العصبيات الوقحة فتخلف منها هيكلاً هداماً فضيعاً، وهي «إنّ قاتل الحسين خليفة شرعي والمقتول بسيف الخليفة الشرعي مقتول بسيف الشريعة».

قد تكون هذه شبهة، وقد لا تكون إلاّ شبيهة لها في الصيغة دون الحقيقة، وعلى كل فإنها لا تفتأ أنْ تتحطم عند النظرة الخاطفة في تمييز من هو الخليفة الشرعي من هذين المتحاربين، ولنرجع أولاً إلى استعراض الحوادث بنحو من الاستعراض الذهني يوم أراد معاوية بن أبي سفيان فرض ولده أو «ربيبه» يزيد ولياً لعهده، وكيف استعصت عليه هذه المشكلة وأباها عليه حتى زياد بن ابيه «دعي معاوية وواليه على البصرة يومذاك» منكراً على يزيد دعارته واستهتاره المانعين له من تسنم منصب رفيع، كالخلافة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم لنستذكر كيف حضر معاوية المدينة يومئذ وكيف امتنع قادة المسلمين وأهل الحل والعقد فيها عن تنفيذ شهوته في ابنه يزيد وكيف تقول عليهم أخيراً تحت تأثير السيف فأعلن عنهم البيعة بأفظع أساليب الإرهاب.

ويزيد من الناس في زمانه وعرف التاريخ إلى زماننا هذا، رجل النرد والخمرة والطنبور، وحليف اللهو والفسق والفجور والشباب الخليع المستهتر بكل نواميس الشرف والدين، وهادم الكعبة أخيراً ومستبيح مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

وليس في قواميس الإسلام ما يستسيغ للمركز الأعلى رجلاً مثل يزيد المصاب في دينه وفي نسبه وخلقه [ولا شك أنّ معاوية كان يعرف نفسه من ابنه وربيب حضنه ويعلم إنّ الدين والصالح العام لا يرضيان مثل هذه البيعة، ويعلم إنها إذا وقعت فسوف تكلف الدين والمصلحة العامة ثمناً غالياً] ولكنه مع ذلك حاول جاداً ان يفرضها على المسلمين فرضاً، وأن يتوسل إليها بهذه المناورات والمداولات المفضوحة المتركزة على الشهوة بالملك والمجلوة بكل وسائل الباطل المكشوف، لا أقل ولا أكثر وإذا أراد معاوية ذلك استأثاراً بالملك لأهل بيته، فإن ارادته لا تغير الواقع عن واقعه، ولا تجعل ما يكون كائناً، ولا تصوغ من خلاف الدين ديناً.

ويزيد بن معاوية في نظر الدين والشريعة بعد لايزال رعية في الرعاع، وهذه المهمة التي يسميها معاوية بيعة كأن لم تكن، وعرش الخلافة مايزال شاغراً من الخليفة الحق، أما البطل الذي تملل في عاصمة الرسالة إحياء السنة وإماتة البدعة، وبايعه المسلمون في اثنى عشر ألف كتاب، وهو بعد لم يخرج من صومعته في مهابط الوحي ومنازل النبوة، فهو سيد شباب أهل الجنة الحسين بن علي وبن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليهم، ولديه من كرائم القيم، وفضائل الخلق الملائكي، والعلم النبوي والعبادة والزهادة والشجاعة والكرم والتضحية في الحق والإباء عن الضيم والخشونة في ذات الله تعالى مالا يلحقه فيه لاحق ولا يفوقه فائق -ذلك مالا يشك فيه مسلم أو راوية أو مؤرخ على طول التاريخ.

وكان بمؤهلاته الشخصية ديناً ونسباً وخلقاً، رجل الساعة المنتظر لإنقاذ العرش الإسلامي من يد المغتصبين، وهو أحق الناس يومئذ بالخلافة عن أبيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان إلى جنب هذه القابليات الممتازة، الإمام المفروض الإمامة على المسلمين بنصوص لاتقبل الجدل وأدلة كثر لا تحصيها هذه العجالة ولا ننسى قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيما تواتر فيه وفي أخيه:

«هذان إمامان قاما أو قعدا».

زد على ذلك إن الكتاب طهره من الدنس والرجس تطهيراً، ولوح بذلك إلى عصمته من الذنوب كلها، كما أنه فرض مودته على المسلمين عامة إلى غير ذلك.

ولعل هذه المحاكمة التاريخية العابرة كفتنا مؤونة الحكم في تعيين الخليفة بحق من هذين المتحاربين وفي معرفة الباغي منهما على صاحبه، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون،والعاقبة للمتقين.

كما عرفتنا الحوادث الزمنية بعد مصرع الإمام الحسين بن علي عليه السلام أن

حبائل الكيد التي مدها يزيد بن معاوية الأموي لقتل حركة الإنقاذ الحسينية هي نفسها كانت حبل المشنقة التي صعد إليها يزيد وآل يزيد، مرغمين في ظرف إحدى وسبعين سنة تنفيذاً لحكم الإعدام الذي أصدره مصرع الحسين في كربلاء على هذه الشجرة الملعونة في القرآن، ومن ذلك تم نجاح الحركة وتنفس الناس الصعداء.

فالقاتل في واقعة كربلاء بنظر الحقيقة هو المقتول أبدياً، والمقتول فيها هو الفاتح المنتصر على مدى التاريخ، ومن هنا تأويل قول الحسين عليه السلام وهو يودع أهله وذريته في مكة متجهاً إلى مصرعه في الطف:

«من لحق بي استشهد، ومن لم يلحق بي لم يدرك الفتح»[٢٩].

(٢٩) مجلة لواء الوحدة الإسلامية -النجف-العدد-٤- السنة الأولى- ١٩٤٩/ص٣.

أصحاب الحسين (عليه السلام)

بقلم: الشيخ جعفر النقدي

لم يعهد التاريخ لنبي ولا وصي من الأوصياء ولا لملك من الملوك ولا لزعيم من الزعماء ولا لقائد من قائدي الحروب أصحاباً كأصحاب أبي عبد الله الحسين بن علي سيد الشهداء عليه الصلاة والسلام، فإنهم صلوات الله عليهم كانوا ينظرون إلى حركات إمامهم وسكناته ويعملون ما كان يعمله عليه السلام ويتركون ما كان يتركه وكانوا لا يحيدون عن ذلك قيد شعرة.

نهضوا مع الحسين عليه السلام غضباً لله ولرسوله وطلقوا الدنيا وما فيها وتآزروا وتكاتفوا على إحقاق الحق وإبطال الباطل في نصرة ابن بنت نبيهم، باعوا هذه الدنيا الفانية بالحياة الباقية، ووقفوا مع سيدهم في وجه الكفر والإلحاد وقفة لم يسجلها تاريخ البشر لأحد من أبطاله.

نعم لم يسجل التاريخ من عهد آدم إلى اليوم أن سبعين رجلاً وقفوا في مقابلة سبعين ألفاً من الرجال، ولله در المبرور السيد حيدر الحلي قدس سره حيث يقول:

لقد وقفوا في ذلك اليوم موقفاً ... إلى الحشر لا يزداد إلا معاليا

بكل ابن هيجاء تربى بحجرها ... عليه أبوه السيف لا زال حانيا

طويل نجاد السيف فالدرع لم يكن ... ليلبسه إلاّ من الصبر ضافيا

يــرى الـــسمر يحملـــن المنايـا شـــوارعا إلى صـــدره ان قـــد حملـــن الأمانيـــا

مــن القــوم اقمــار للنــدى وجــوهـهـم تــضــيء مـــن الآفــاق مــا كـــان داجيــا

وصفهم سيدهم الحسين صلوات الله عليه لأخته الحوراء الأنسية زينب الكبرى عليها السلام فقال:

إنهم يستأنسون بالمنية دوني استيناس الطفل بلبن أمه.

ولما جمعهم عليه السلام وخطبهم بخطبته المشهورة ليكونوا على بصيرة من أمرهم وأذن لهم بالانصراف عنه وأخبرهم أن آل أبي سفيان وأتباعهم لا يريدون غيره ولا حاجة لهم في سواه، وأنه يقاتلهم ولا يعطيهم بيده إعطاء الذليل وأنه مقتول لا محالة، فقال من جملة تلك الخطبة:

«**أما بعد فإني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي فجزاهم الله عني خير الجزاء، ألا وإني قد أذنت لكم فأنطلقوا وأنتم جميعاً في حل ليس عليكم مني ذمام، هذا الليل قد غشيكم فأتخذوه جملاً**»

فأجابوه بلسان واحد:

«**لم نفعل ذلك لنبقى بعدك لا أرانا الله ذلك**».

ولما قال لبني عقيل حسبكم من القتل بمسلم فأذهبوا قد أذنت لكم، جرت دموعهم على خدودهم وقالوا:

يا سبحان الله فما يقول الناس لنا تركنا شيخنا وسيدنا ولم نرم معه بسهم ولم نطعن برمح ولم نضرب دونه بسيف ولا ندري ما صنعوا به لا والله ما نفعل ذلك لكن نفديك بأنفسنا وأموالنا وأهلنا ونقاتل دونك حتى نرد موردك فقبح الله العيش بعدك.

وقام مسلم بن عوسجة فقال:

أنحن نخلي عنك وما عذرنا إلى الله تعالى، لا والله حتى أطعن في صدورهم برمحي وأضربهم بسيفي ماثبت قائمه بيدي، والله لو علمت أني أُقتل ثم أُحرق ثم أُحيى يفعل بي ذلك سبعين مرة ما فارقتك، فكيف وهي قتلة واحدة، ثم الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً، وقام زهير بن القين فقال:

والله وددت أني قتلت ونشرت ثم قتلت ونشرت ثم قتلت يفعل بي ذلك الف مرة وان الله دفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الصبيان من أهل بيتك.

ثم تكلم جماعة من أصحابه بما يشبه هذا الكلام فجزاهم الحسين عليه السلام خيراً، وانصرف إلى مضربه، ومن الذين أذن لهم الحسين عليه السلام بالانصراف جون مولى أبي ذر، وكان عبداً أسود، قال له الحسين عليه السلام:

يا جون أنت في حل مني إنما تبعتنا لطلب العافية.

فاستعبر باكياً، وقال: يابن رسول الله أفي الرخاء ألحس قصاعكم وفي الشدة أخذلكم؟!، والله أن ريحي لنتن وإن حسبي للئيم وإن لوني لأسود فتنفس علي بالجنة فيطيب ريحي ويشرف حسبي ويبيض وجهي، وهملت عيناه بالدموع فدعا له الحسين عليه السلام، ولما أخبر محمد بن بشير الحضرمي أن ابنه أسر في ثغر الري قال عند الله أحتسبه ونفسي ما أحب أن يؤسر وأبقى بعده، فبلغ الحسين عليه السلام قوله فقال له:

رحمك الله أنت في حل من بيعتي أمض وأعمل في فكاك إبنك.

فقال: أكلتني السباع حياً إن فارقتك.

قال عليه السلام:

فأعط ابنك هذه الأثواب يستعين بها في فداء أخيه.

فإعطاه خمسة أثواب قيمتها ألف دينار، وفي الليلة العاشرة من المحرم وهي الليلة

التي قتلوا في صباحها قسموا أنفسهم أولئك الصفوة قسمين: القسم الأول الهاشميون ويرأسهم أبو الفضل العباس بن علي عليه السلام، والقسم الثاني الأنصار ويرأسهم حبيب بن مظاهر الأسدي، وصار كل قسم منها يطلب التقدم على الآخر في الذب عن أبي عبد الله عليه السلام، فكان الهاشميون يقولون لا نترك أصحابنا يتقدمونا إلى القتال لأن الحمل الثقيل لا يقوم به إلاّ أهله، وكان الأنصار يقولون بل نحن نتقدم إلى الموت حتى لانرى هاشمياً مضرجاً بدمه وهكذا كانوا يتنافسون على طلب المنية:

متنافسين على المنية بينهم ... فكأنما هي غادة معطار

يتسابقون إلى الكفاح ثيابهم ... فيها وعمتهم قناً وشفار

ولما مشى الحسين عليه السلام ومعه حبيب بن مظاهر إلى مصرع مسلم بن عوسجة فأدركوه وبه رمق من الحياة، ومما قال له حبيب لولا علمي أني لاحق بك لأحببت أن توصي إلي فأجابه مسلم مشيراً إلى الحسين عليه السلام أوصيك بهذا، قاتل دونه حتى تموت فقال له حبيب لانعمنك عيناً.

هذا بعض ما يؤثر عن أولئك الأصحاب الكرام من المودة والوفاء لسيدهم الحسين عليه السلام ونصرهم لمبدأه السامي من الانتصار للدين الحنيف والمكافحة عنه حتى النفس الأخير من أنفاسهم وبذلوا تلك النفوس الطاهرة الزكية في هذه الغاية الشريفة التي تقتصر دونها الغايات ولم يقتل الواحد منهم حتى قتل العشرات أو المئات من أعداء دين الله، وما أحسن قول القائل فيهم:

تحملوا محناً لو بعضها حمل الـ ... سبع الطباق هوت ضعفاً على الترب

بساعة لو تكون الساعة اقتربت ... منها تكافئتا في شدة الكرب

حيث الكريهة ترمي للسما شرراً ... كالقصر نيرانها من شدة اللهب

وحين قامت على ساق جثت غضباً لها بنو مضر الحمرا على الركب

من تحتهم لو تزول الأرض لا نتضبوا على الهوى هضباً أرسى من الهضب

أبطال حرب اذا عضوا نواجذهم لا منجد لأعاديهم سوى الهرب

وقلت انا من قصيدة فيهم عليهم الصلاة والسلام:

وقام سبط رسول الله ليس يرى لنصرة الدين إلاّ بذل مهجته

في فتية عجنت في الذر طينتهم كف الهدى بقراح من محبته

لنصره طلقوا الدنيا وقد نهضوا يسارعون إلى العقبى بصحبته

على حفيظته شدوا الحبا وعلى أجسادهم لبسوا ابراد طاعته

كأنما الطف إذ في أرضها نزلوا افق السماء تراها في أهلته

من كل أبلج أن ليل الخطوب دجا يهدي الأنام على أنوار غرته

وكل ذي سطوة تحكي صوارمه على جموع العدى أسياف عزمته

الروس تسجد إجلالاً لصارمه وتركع الهام تعظيماً لصعدته

يستقبل الموت مرتاحاً على طرب كأن نيل الأماني في منيته

حتى إذا كشف الله الغطاء لهم وأبصروا النعمة العظمى بجنته

تسابقوا للقا حتى قضوا وغداً يثني الزمان لهم أسرار مدحته

إنّ نساء هؤلاء الكرام لم يكنَّ أقل مودة ووفاء للحسين عليه السلام وأهل بيته من رجالهن فأنهن رضوان الله عليهن كن بأعمالهن الخالدة يطلبن المواسات بل المساوات للرجال، فمنهن زوجة زهير بن القين الذي كان يساير الحسين في الطريق عند خروجه من الحجاز ويتباعد عنه ولما جاءه رسول الحسين عليه السلام يدعوه نظرتْ إليه زوجته

فرأته كالمتثاقل إليه عليه السلام فأخذت تلومه على ذلك قائلة: يا سبحان الله يدعوك إبن رسول الله وتتثاقل، ثم أخذت تستفز حفيظته وتقوي عزيمته على الالتحاق بالحسين عليه السلام، «ومنهن» زوجة حبيب بن مظاهر الأسدي حين أمرها بالإلتحاق بأهلها بكت بكاء عالياً وقالت: والله لا أذهب فأنتم تشاركون الرجال ونحن نشارك النساء، فجاء إلى الحسين عليه السلام وقال: سيدي أبت الأسدية إلاّ مشاركتكم، «ومنهن» زوجة مسلم بن عوسجة التي قتل زوجها في المعركة دعت ولدها الذي لم يبلغ الحلم وشدت له سيف والده مقصرة له الحمائل ليجاهد دون سيده الحسين عليه السلام، «ومنهن» أم وهب بن حباب الكلبي وزوجته المجاهدتين هذه بيدها عمود الخيمة وتلك بالحجر الصلد، وهكذا بقية الكريمات من نساء هؤلاء الأبطال فهل كان في العالم منذ نشأته إلى اليوم أصحابٌ لأحد كهؤلاء الصفوة الكرام من رجال ونساء، كلا ثم كلا فجزاهم الله عن هذا الدين وأهله وعن الحسين وجده المختار خير جزاء المحسنين، ولعنة الله على القوم الظالمين.[٣٠]

---

(٣٠) مجلة الميزان -العمارة- العدد- ٢٧، ٢٨- السنة الرابعة- ١٣٦٧هـ/ص١٩.

من صور كربلاء

ليت أشياخي

بقلم: الشيخ عبد الله السبتي

ليت أشياخي ببدر شهدوا	**جزع الخزرج من وقع الأسل**
لأهلوا واستهلوا فرحاً	**ثم قالوا يايزيد لا تشل**
لست من خندف إن لم انتقم	**من بني أحمد ما كان فعل**

هذه أبيات ابن الزعبرى يتمثل بها يزيد الأموي بن معاوية يوم أُدخل عليه بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهن مربقات بالحبال.

وهل يرى أحد أن هذه الأبيات تحتاج إلى تعليق عليها؟ لا أحسب ذلك فإن نظرة عابرة إلى هذه الأبيات كافية لتفهم نفسية يزيد وإنها تعبير صادق عما في قرارة النفس الأموية.. ومن الذي يفتح جوانب نفسه البشرية ويرى فيها عمقاً واتساعاً لسماع قوله:

لعبت هاشم بالملك فلا	**خبر جاء ولا وحي نزل**

ثم هو لا يعتقد بأن الخليفة الخليع يزيد أن يلعب لعبة جاهلية أموية ليعيد عزه المدحور وسلطانه المقهور، أليس في هذا الصوت بزه تسمعنا أصوات شيبة وعتبة يوم

بدر وتنحدر لتعيد على المسلمين صوت أبي سفيان –الشيخ الضال– بين يدي عثمان وهو يقول: «تلقفوها يا بني أمية فلا جنة ولا نار» أجل إنها صورة من صور الواقع الذي يعمل في سبيله كل أموي.

لقد تغلب الاستبداد الأموي على القصر في الشام وتغلب في سائر أنحاء المملكة الإسلامية، والناس في ذهول عن المقاصد الأموية وكان حقاً على المسلمين أن يكونوا في يقظة وانتباه ليتبين لهم المقاصد الأموية ولكن ... في فمي ماء ...

وإنّ الاربعين سنة التي قضاها معاوية وهو على منصة الحكم يفعل ما يفعل كانت كفيلة بان تهيء جيلاً من الناس يساير الحكم الأموي ويتضامن معه في الحياة الدينية والسياسية وأن ينخدع بمعاوية... ومن الذي يستطيع أن ينكر علينا أنّ معاوية خادع المسلمين فانخدع به اكثرهم وخادع فقهاء المسلمين وكتابهم وشعرائهم بل انخدع به بعض صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كأبي الدرداء وأمثاله.

ولعل في قصة أرينب مثلاً صادقاً من أروع المثل لانخداع هذا الصحابي، وكادت هذه الحره أن تغتصب من زوجها عبد الله بن سلام القرشي بخديعة معاوية إرضاءً لشهوة ولده الخليع يزيد المنهومة، لولا إن الحسين منيع الشرف والإباء يقف في وجه الخديعة المنكرة.

والحقيقة إنّ المسلمين في ذلك العهد فقدوا العدل الاجتماعي وضاعت المثل العليا من بينهم، وكان الصراع عنيفاً بين الإسلام والأموية الجاهلية. ويستحيل أن يكون صراعاً إلاّ أن يكون هناك مصارعون، ويستحيل أن يكون جدلاً إلا أن يكون هناك مجادلون. وليس في ساحة النضال سوى الهاشميين والأمويين أؤلئك يحملون في يمناهم كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وفي يسراهم الأخلاق الإسلامية، وهؤلاء يطالبون بدم شيبة وعتبة والوليد المراق يوم بدر ويطالبون بسلطانهم المنهزم أمام

الإسلام. ولا أحسب ان هذا يحتاج إلى التدليل، وليس على من يريد الدليل إلاّ أنْ يساير تاريخ الأسرتين، وان يقايس بين الأسرتين من البداية إلى النهاية وألاّ يقارن بين أقوال رجال الأسرتين.

والمقايسة تزيل كل استغراب وترفع كل شك وتدفع التهمة والحق الذي تدل عليه القرائن، إنّ معاوية كان يعمل في سبيل الأمويين فقط، وقد كان يطوف به طائف من أمويته يدعوه في الصباح إذا أصبح وفي المساء إذا أمسى إلى توطيد الحكم الأموي ولا يهمه الإسلام في قليل أو كثير إذا لم تعكس القضية، وحسبنا في التدليل على ذلك أنه قدم إلى المسلمين ولده يزيد بخموره وقروده وفهوده وغوانيه وغانياته ليكون خليفة على المسلمين.

وما عسى أن تكون الحياة العامة إذا كان الخليفة يزيد؟! وإلى أي هوة سحيقة سينحدر الإسلام؟! وفي أي مقبرة من المقابر سيدفن دين الله؟ إذا استمر يزيد الخليع وبيده صولجان الحكم؟!! وواضح جداً المصير، وحياة يزيد تدل من غير لبس على المقصد، فان معاوية قد قضى على نخبة صالحة من بناة الهيكل الإسلامي ويريد من يزيد القضاء على البقية من الطبقة الدينية المرموقة؛ لأنها أسهمت في بناء الهيكل الإسلامي وطاردت الجاهلية الأموية.

صحا يزيد من خمرته، وأفاق من سكرته، فإذا هو خليفة وإذا بيده صولجان الملك، وإذا به هو الآمر الناهي، وانتبه المسلمون من نومهم وإذا الخليع خليفتهم فما هم صانعون حقاً، إنها المحنة الكبرى القاسية التي ستعرض المسلمين إلى الخطر، وحقاً إنّ هذه الخلافة ليست إلا حكماً صارماً على الدين بالموت.

ويزيد يعلم مكان الحسين عليه السلام من المسلمين ويعلم مكانه من الإسلام فهو وحده الخصم اللدود الذي كان يقض مضجعه فيطوف عليه طائف من القلق في

الصباح والمساء يزعجه.. وإنّ من يمعن شيئاً من الإمعان، ويحاكم التاريخ محاكمة على ضوء التحليل يجد عوناً أي عون على استيضاء الأسس التي أقام يزيد عليها بنيانه.

الحرية في عصر معاوية وعصر يزيد في حاجة لأنْ يدافع عنها، والعدل في حاجة لأنْ يدافع عنه وفي الحياة أشياء أخرى غير الحرية والعدل في حاجة لأنْ يدافع عنها، والدين على فراش الموت يدير بطرفه يمنة ويسرة يستصرخ المسلمين ويستحثهم على انقاذه قبل أن يلفظ النفس الاخير.

فخف أبو عبد الله الحسين ملبياً ومجيباً ومنجداً، خف بنفسه وولده وأهل بيته، ولسان حاله يقول:

إن كـــان ديـــن محمـــد لم يـــستقم   إلاّ بقتلـــي ياســـيوف خـــذيني

وكان كذلك فقد أَخذته السيوف والرماح والسهام والحجارة، وقتل معه سبعة عشر من أهل بيته ليس على وجه الأرض لهم مثيل، ورفع رأسه على الرمح يحف به نيف وسبعون رأساً من أوتاد الأرض والنخبة الصالحة من المسلمين وحماة الدين ...

وبعد ... أينبغي لأحد أن يقول أن الحسين عليه السلام تقدم إلى طلب السلطان إنها المقالة الخاطئة التي لا ترتكز على شيء من المنطق ويجب على الناس جميعاً أن يعلموا أنّ الحسين تقدم إلى الموت لينقذ الإسلام وليكشف عن نوايا بني أمية.

والحق: أن حادث كربلاء والدم النجيع المراق في ذلك الوادي محتاجان إلى تفكير خاص، وإنعام النظر، وكلما تعمق الدارسون في دراسة الحادث برزت لهم نواحيه المختلفة واتضح لهم ارتباطه بالعهد الهاشمي النبيل والعهد الأموي الجائر.

والحق: إن الحسين عليه السلام صاحب رسالة أداها على أكمل وجوهها ولم يدع عذراً لمعتذر.

هو أن الحسين قاتل فقتل فما شأن الاطفال؟ وهبْ أن قتل الاطفال أباحته

الإنسانية. فما هو ذنب ودائع الرسالة وحرائر النبوة؟ ليسقن أسارى من بلد إلى بلد وقد هتكت ستورهن وأُبدين وجوههن تحدوا بهن الأعداء، ويستشرفهن أهل المناهل والمنازل القريب والبعيد والدني والشريف وليس معهن من رجالهن ولي ولا من حماتهن حمي، وبالأخير يقفون بهن على درج الجامع –وما أدراك ما درج الجامع– إنه الموضع التي تعرض فيه سبايا المشركين للبيع، فياللمأساة المروعة: اذن ليست إلاّ لوناً من ألوان العهد الجاهلي الأموي وليست الا صورة كامنة لأهداف ثابتة في قرارة النفس الاموية.

والمأساة: صورة مثالية في سبيل المثالية المحمدية –وأحيا الحسين بهذه الميتة النبيلة دنيا من السعادة يسير في أرجائها المسلمون إلى الآن وإلى يوم يقوم الناس إلى الحساب.

ولا أراني محتاجاً في التدليل إلى أكثر من أن نرى يزيد يأمر بإدخال السبايا عليه في مهرجانه، ويراهن مكبلات في الحبال ثم تهزه الأريحية الأموية فيتمثل بقول ابن الزبعرى:

ليت أشياخي ببدر شهدوا   جزع الخزرج من وقع الأسل

ثم هو ينحني على ثنايا أبي عبد الله ينكثها بمخصرته فيأخذ الحزن والأسى من ودائع الرسالة مأخذه العظيم. ولكن الأيام لم توان يزيد ولم تمهل الأمويين فقد أفاق المسلمون من نومتهم وانتبهوا من سكرتهم.. ولم يفشل الحسين عليه السلام ولم يسقط في الميدان صريعاً فلقد فاز الحسين عليه السلام وخسر الأمويون وظفر الحسين وسقط عدوه في الميدان خاسئاً خاسراً وأخذ الحسين عليه السلام بيد الإنسانية ورفعها عن المستوى المادي القذر إلى مستوى رفيع.

فسلام عليك يا أبا عبد الله يوم ولدت وسلام عليك يوم مت وسلام عليك يوم تبعث حيا[٣١].

---

(٣١) ذكرى أبي الشهداء –حفلات الشباب النجفي– إخراج دار الغري– من دون تاريخ/ ص١٥.

يوم الحسين

بقلم: عباس محمود العقاد

مضى الحسين رحمه الله، يوم كربلاء، فخلف بكل نفس كريمة من بعده أثراً لا يمضي، ولا يزال باقياً ما بقي في التاريخ ذكر لذلك اليوم.

أثراً هو مزيج من شعور الحب والوفاء والإعجاب والرحمة والتقديس، كأشرف ما تختلج به ضمائر الأحياء، يبذل الناس حقاً عليهم مطاعاً محبوباً لذكرى الشهيد العزيز.

ومن الشعور تتولد الحياة، فكم حياة تخلق من ذلك الشعور لو تمثل بشراً سوياً يسعى على هذه الغبراء؟

شعور لا يحصيه حساب

حياة واحدة يجزيها الناس بعالم من الشعور الكريم لو خلقت منه أعمار حية لخلقت من ألوف الأعمار.

وصاحب تلك الحياة الواحدة مع هذا أكرم من الناس أجمعين، لانه بذل لهم ماعنده من الحياة، ولم يبذلوا له مما عندهم إلاّ قليلاً من كثير.

ذلك هو المعنى الذي يصبح به الشهيد وحده أكرم من (الإنسانية) جمعاء... حتى حين تبذل له شعور الإكرام.

لأنه يعطي كل شيء.

وهي تعطي شيئاً من أشياء.

وللحسين رحمه الله فضل في الشهادة يرجع بأفضال.

فمن الشهداء من يتركون الدنيا لانهم لم يصلحوا للبقاء فيها، ومن يخرجون من نعمائها وما دعتهم قط للدخول في تلك النعماء

أما شهيد كربلاء فقد ترك الدنيا وهي في يديه، وتركها وهي مقبلة بنعمائها عليه، تركها لانه أرادها كما ينبغي أن يرضاها ولم يقبل أن تريده هي على شرط كما ترتضيه، فهو الشهيد ملء الشهادة من نبل وعظمة وإيثار.

وهو الشهيد الذي ارتفع بالشهادة إلى ذروتها السماوية فوق مراتب الشهداء، لانهم اعطوا حياة قد تعافها نفوس الأحياء، واعطي هو حياة يعافها مثله ويتهافت على مثلها أُلوف وأُلوف.

إنّ الشهداء من هذه الطبقة العلوية لشرف لبني الإنسان أجمعين، خليقة آدمية ينبغي أن يفخر بها أبناء آدم على اختلاف العقائد والأوطان.

ذلك هو الشرف الذي يردده في كل عام يوم عاشوراء.

جعله السفاكون يوم الدم.

وجعله الله يوم النور.

ولم يزل منذ عامه الأول ينبض بالدم، ويسطع بالنور[٣٢].

(٣٢) مجلة الألواح-بيروت -العدد -٤- السنة الأولى- ١٩٥٠/ص٢.

يوم كربلاء يوم الإنسانية الخالدة

بقلم: الشيخ سليمان ظاهر

لئن نسخ خطبه الخطوب ورزيته الرزايا وفجائعه كل ما وقع في الدهر من الفجائع، وكان كما قال حبيب الطائي:

هو الخطب الذي ابتدع الرزايا وقال لأعين الثقلين جودي

فقد كتب فيه الحسين بن علي وذوو رحمه وخيرة صحبه كتاباً ضم بين دفتيه آيات بينات. بل معجزات باهرات ومعانٍ خالدات من تضحية بالغة أقصى حدود التضحية ومن إباء لم تعرفه الأباة ومن مثالية منقطعة النظير هي من المثل العليا التي قلما بلغها إنسان مهما سمت نفسه ومن حوافز ودوافع لهذه المثالية الرائعة التي شذ اجتماع أسبابها أو بعض أسبابها لمستهتر بالإنسانية وولوع بكل مقتضياتها وملابساتها. وكل ما يتصل بها من السمو النفسي والعلو الخلقي ومن وضع خطط يتعلم منها البشر دروس التجرد وحياة الروح التي لا تحس الآلام التي تحس هياكلها الجسمية المادية التي يشاركها فيها كل ذي كيان جسمي أجاماداً كان أم نامياً أم حيواناً.

أمّا الأسباب التي هيأت للحسين وآله وأنصاره، ولم تهيأ لبشر مهما ارتقت منزلته وعلت رتبته واستأثر بها بالخلود بإيثاره أمته على نفسه متحملاً بهذا الإيثار ما تعجز عن حمله البوازل وينوء به أولو الوصية من الرجال، فاليك منها:

أ- تفرده من مزايا الشرف بما لا مطمع فيه لطامع، ومن سوامق المجد والعلا مالم يتمتع به بيت من بيوتات العرب والعجم. ومن عظيم الفخر مالم يشرك قبيلة هاشمٍ به أي قبيلة قرشي، وقريش سادات العرب بلا منازع:

١- تحدره من الأصلاب الطاهرة من صلب اسماعيل إلى أن استقر في صلب علي وفاطمة المنحدرة من صلب أشرف الأنبياء وخاتمهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهم ماهم سؤدداً ونبلاً وشرفاً وفضلاً.

٢- انحصار سيادة شباب أهل الجنة به وبأخيه الحسن وهي الغاية التي تنقطع دونها كل غاية ولا ترقى إليها همة شريف ولا مشروف.

٣- إنه أحد الخمسة الذين قيل فيهم:

أفضل من تحت الفلك خمسة رهط وملك

٤- اختصاصه بالشرف العظيم واختصاص أخيه الحسن بما لم يشركهما به أحد من العالمين فتحفظ في أعقابها سلسلة الذرية المحمدية إلى يوم الدين.

٥- تسلسل الأئمة الأثنى عشر من عقبه وهم بقية الله في أرضه. وعرفاؤه من خلقه وحملة شرعه وأمناؤه على وحيه وأحد ثقليه اللذين خلفهما الرسول الأعظم منار هداية للأمة من بعده إلى قيام الساعة.

ب- اجتماع خلال فيه لو حوى عظيم خلة منها لكانت عنوان عظمته:

١- الجود: وكان يباري فيه السحاب وتنقطع دونه همة الأجواد، وهل بعد جوده بنفسه في سبيل الدين وإحقاق الحق ومكافحة الظلم مع قلة الناصر واستفحال الطغيان الأموي وشمول سلطانه مايدع ذكراً مجيداً لجواد؟ (والجود بالنفس أقصى غاية الجود).

٢- إباء الضيم: ومن ضحى بما قدم الحسين من أضاحي في سبيل آبائه وأرخص نفسه ونفوس ذوي رحمه وقرباه وخلص أصحابه، وهي النفوس التي لا تكاد تسام في سوق المنايا.

٣- الدين المتين: تحاول والبدع الأموية طمس معالمه وإخفاء مراسمه، لذا كابد ما كابد من الوقوف أمام قوات يحارب فيها الواحد المئتين يصمد إلى كثرتها الزاخرة، والمربي عددها على رمال الدهناء بقلة من أنصاره صموداً لم يسطر له التاريخ مثيلاً.

٤- الشجاعة: نسخت شجاعته كل مايؤثر عن الشجعان من حديث تالد أو طريف، وحسبك من خطرها مارواه كما في الطبري بعض أعدائه وهو عبد الله بن عمار وقد عتب عليه بعضهم مشهده قتل الحسين قال: شد عليه (الحسين) رجاله فمن عن يمينه وشماله فحمل على من عن يمينه حتى انذعروا وعليه قميص له من خز وهو معتم قال: فوالله مارأيت مكسوراً قط قد قتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جأشاً ولا أمضى جناناً منه ولا أجرأ مقدماً والله مارأيت قبله ولا بعده مثله إن كانت الرجالة تنكشف من عن يمينه وشماله أنكشاف المعزى إذا شد فيها الذئب.

هذه وأيم الله الشجاعة الخارقة للعادة فإنّ من أوتي من الحنان والرأفة مثل ما أوتي الحسين لا على بيته فحسب وهم فلذة كبده ولا على إخوانه وهم جناحاه ولا على أبناء أخيه وأبناء أعمامه وهم أطائب أُسرته واللباب المحض من عشيرته والذروة العالية من سنام فخره. ولا على الصفوة المختارة من صحبه الذين بذلوا نفوسهم الغالية دون الذود عن مهجته ولا على حرمه ونسوته وإخوته وبناته وهن يشاهدن بأم أعينهن نجوم الأرض تتساقط صرعى على أديم الثرى تعاني حر السيف وحر الظماء وينظرن إلى الحسين وحيداً فريداً.

[صفر الأنامل من حام ومنتصر]

كل أولئك لم يضعف له عزماً، ولم يوه له ركناً، ولم يحد من شجاعته ولم يكف من بسالته، بل ماكان ذلك إلا ليزيده مضاء ومضياً في الأمر واستبسالاً واستخفافاً بالمنية وقياماً بكل آيات الشجاعة ومعجزاتها.

٥ـ الخطابة: إن ما أثر عنه من الخطب البليغة وقدمني بما مني من هموم الحياة لا في عهد يزيد بل فيه وفي عهد أبيه معاوية وهو يقلقل رحله الخائف من المدينة إلى مكة فالكوفة وفي يوم الطف ألا يوم والجماهير تندفع كالسيل الجارف لقتاله وهو معدود وهم لا يحصون عدداً إنّ ما أثر عنه من الخطب ومن الخطوب المحدقة به من يمينه وشماله ما يضم كل خطيب مهما أوتي من رائع بيان وسعة جنان لهو من طراز الخطب العلوية البارعة التي تنحسر دون زاخرها أذهان الخطباء المصاقع الذين لم يكدر لحياتهم معين، وكانوا في طمأنينة من العيش وأمن من الخوف.

٦ـ الصبر: من أوتي ما أوتي الحسين من الصبر وهو يتجرع مرارته في حياة أخيه ويسمع ويرى ما لا تقر عليه نفس أبي فكيف به وهو الذي سن الإباء ولكنه احتمل ذلك صابراً محتسباً مطيعاً أخاه الحسن وله عليه حق الطاعة ومنتظراً بلوغ الجور الأموي واعتسافه منتهى مداه فلم يذهب بصبره قتل أخيه مسموماً وهو لا يجهل من دس له السم ومن اثر عنه «إنّ لله جنوداً مِن العسل» لانه كان يأمر بدس السم في العسل لمن يهيب قتله علانية.

صبر على منع القوم من دفن أخيه بجوار جده بل ومن طواف مشيعيه بجنازته حيال قبره صلى الله عليه وآله وسلم صبر على ما انتقض من مبادئ الإسلام وعلى ما جرى في سلطان معاوية وملكه العضوض من انقلاب عظيم في الأخلاق المطبوعة والمستفادة وانصراف كثير من الوجوه إلى دنيا معاوية الطويلة العريضة وتجاهل ما وصف به المسلمين الكتاب العزيز:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾.

فكأن هذه الآية الكريمة نزلت في غيرهم.

صبر على سب أبيه على المنابر وعلى إهراق زياد بن أبيه دماء شيعة أبيه ظلماً

وعدواناً وعلى قتل حجر بن عدي وأصحاب حجر صبراً لا لجرم اقترفوه ولا لسنة بدلوها وشريعة غيروها اللهم إلاّ لذنب واحد وهو ولايتهم لعلي صنو النبي ووصي النبي وابن عمه وناصر دينه في المواقف كلّها.

صبر على ذلك كلّه لتبلغ الحجة ذروتها ويتبين الرشد من الغي ولتعلم الأمة إلى أين تصير وإلى أيّ هوة تسير وكيف يتصرف الراعي بها وهي الرعية.

صبر على ما يفتأت على شريعة جده. وما يوضع على لسانه من الأحاديث وما يكذب عليه وما يغير ويبدل من شرعه.

صبر على الداهية الكبرى في الإسلام وآخر ما يفرغه معاوية من كنانة إفتأئه على المسلمين، والاحتكام في أعشارهم وأبشارهم ألا وهي حملهم مكرهين أو طائعين على بيعة ولده يزيد وهو من هو وماذا يستجمع من أدوات الملك وأسباب السلطان والمؤهلات لهما.

صبر على كل دواهي معاوية في حياة معاوية، أما وقد مات معاوية وانتهى الأمر إلى يزيد شارب الخمور ومرتكب الفجور فقد بلغ العدد بسكوت الحسين مقطعه وعيل صبره ويزيد يحمله مكرهاً أو طائعاً على البيعة له، وهي ما لا يقره عليهادينه ولا إباؤه وفضله وقد انتهت سلسلة مظالم معاوية إلى سلسلة مظالم يزيد وهي أشد خطراً على الإسلام وعلى جامعة الإسلام فآن للحسين أنْ يثور وقامت عليه حجة الله البالغة بالقيام في هذه الثورة سواءً أكتب له فيها النصر أم لم يكتب وهو جد عالم مما ظهر من أقواله أنه مغلوب في ميادين النزال والنضال وأنه مخذول من الكوفيين الذين خذلوا أباه وأخاه من قبل وإن بالغوا في كتبهم الزاخرة التي بلغت اثني عشر ألف كتاب بإعدادهم العدة لمحاربة عدوه، وقد عقد له البيعة بالخلافة والإمامة ثمانية عشر ألف منهم على يد مسلم بن عقيل رسول الحسين إليهم وسرعان ما نقضوا البيعة وقد ولي أمر الكوفة مع

ولاية البصرة عبيد الله بن زياد لم يفت هذا الانتقاض المخزي من عضد الحسين ولا انتقص شيئاً من صبره العظيم ولا حمله على الرجوع عن قصد الكوفة غدرالكوفيين بمسلم وهاني بن عروة بل صبر ووطن نفسه على احتمال كل مكروه في سبيل الذود عن الدين.

صبر على ملاقاة الأعداء وإنْ غصت بجموعهم المتدفقة تدفق الآتي لهوات الفلوات وملأوا فضاء كربلاء بخيلهم ورجلهم لم يذهب بجميل صبره تساقط القتلى من أنصاره وأهل بيته وبنيه وإخوته وبني عمومته القتيل تلو القتيل وهو ينظر بأم عينه مصارعهم محتملين حر القيظ وحر السيوف وحر الظمأ، وماء الفرات منهم قاب قوسين أو أدنى.

صبر على ذبح طفله في حجره وعلى عطشه الممض وعلى لوعة النساء وهن يشاهدن مصارع نجوم الأرض من بني عبد المطلب وأسود الكريمة من بني هاشم وفلذات أكباد محمد وعلي وفاطمة صلوات الله عليهم.

له الله مفطوراً من الصبر قلبه　　　ولو كان من صم الصفا لتفطرا

ولو أنّ مصيبة واحدة من هذه المصائب عرضت لإنسان مهما تدرع بالصبر وتجلبب بالحزم والعزم ومهما بلغ من أيد وقوة وحكمة وبصيرة لأوهنت منه كل تلك الخلال واستسلم للضعف النفسي فكيف لمن كابد مما كابد من تلك الرزايا التي لا تعرف الحدود والرسوم وهو لا يزداد إلاّ نشاطاً وإقداماً على كل مكروه في سبيل الغاية الشريفة التي هي جزء من نفسه والتي سمت بروحه أن تستسلم للجزع وأن تضرع لخطب مهما عظم وجلّ وتجردت عن إلهيولي واتصلت بعالم الروح والملكوت الأعلى حتى لم تعرف معنى للآلام ولا تحس بما تحس منها الأجسام، وهكذا ترتفع النفوس إلى أن تلتحق بمثلها الأعلى عازفة عن ملذات الحياة ومتعها الفانية الزائلة.

هذه هي المزايا التي هي من صنع الحسين وغير صنعه أتصف بها اتصافاً أصبح بها نسيج وحده وسمت به من العالم المنظور إلى العالم غير المنظور بل ومن عناصرها تكون خلقاً سوياً.

ج - إلى هنا انتهت حياة الحسين، ولئن كانت كلها آلاماً بل مجموعة من كل عناصر الآلام وحدقت بها المكاره من كل جانب واشدها على نفسه الشريفة ما كان يرى ويسمع من ظلم رائع ومن بدع في الدين وافتأت باشيخة المسلمين وفساد تسرب إلى أخلاق الأمة التي هي الوسط من الأمم.

انتهت حياة الحسين إلى هذا المصير المؤلم ولكن إلى حياة جديدة متصلة بالخلود بنعيمه الآخروي وبذكرى سامية كلها عبر وعظات تعلم الإنسان معنى الإنسانية المجهول والمحجوب بحجب المادة الكثيفة بأشياء الحياة التافهة التي يشارك فيها الحيوان الإنسان.

أما حياة الإمام الحسين عليه السلام الثانية التي لا يمسها نصب وتعب ولا يصل إليها فناء وزوال وهي بداية نهاية حياة لم تنطو إلا على معاني الإنسانية كلّما وتعلم الناس كيف يكون الهبوط إلى الدرك الأسفل وكيف يكون الصعود إلى المرتقى الأسمى، فاليك بعض آثارها الغر وبعض دروسها العالية التي ألقيت على البشرية الزائفة عن الطريق السوي والنهج القويم.

١ - الثورة على الظلم وكيف يقوض الثائر للحق بمبادئه وتضحيته بنفسه وبمن يملك قيادة عروش المالكين الغاصبين لا بالمقانب والجحافل.

٢- تعليم الناس إنّ كل قوة مهما نبلت وضخمت مستمدة من العسف تنهزم أمام قوة الآحاد المستمدة من الحق.

٣- إباء الضيم وما أحب أحد الحياة إلاّ ذل.

٤- سيرة مجموعة من عناصر الفضائل النفسية هي منار للقدوة الصالحة وعزاء

لكل من أصيب بمكروه وهي في ملابساتها كلّها وما يتصل بها منتهى صيغ جموع مكاره الدنيا ونوائبها ومصائبها.

٥- مادة للبلغاء والشعراء والخطباء لا ينضب معينها وموضوع لم تتكمل وصف عجائبه وغرائبه منذ يوم كربلاء إلى يوم الناس هذا روائع الشعر ولا بدائع النثر وكل من شعر ونثر وفن كتب وخطب قديماً وحديثاً يجدون أن مجال القول ذو سعة وأنهم لم يبلغوا من تصوير تلك الفاجعة المبلغ الذي تستحقه

٦- إيقاظ الأمة من سباتها العميق وبعثها بعثاً جديداً إلى مقاومة الظلم والوقوف أمام قوى الظالمين والرجوع بكثير منها إلى سيرة الآباء والاجداد من إباء الضيم ومناضله من يتحكم في أمورها وفتأت بحقها وكان من آثار هذه اليقظة والبعث تصدع بنيان الملك العباسي الهاشمي على أساس قتل الحسين ومآسي كربلاء.

٧- إمحاء ذكر الأمويين من سجل الوجود اللهم الابكل ما يخزي، وشذ أن ترى منتسباً إليهم أو من يرضى بأن ينتسب إليهم أنهم لم يدرجوا كلهم فلم يعقبوا وعلى عكس ذلك ترى الذكر للهاشميين عامة وللعلويين والفاطميين خاصة محاط بهالة من الشرف والكرامة والسؤدد والفخر ونسبهم تتضاءل دونه الأنساب ويعترف كل ذي نسب مهما سما وعلا بتفوق أنساب العلويين على نسبه واستأثروا من هذا الشرف الخالد بطرفيه من الاتصال بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وبعلي وفاطمة وبالحسين الذي زاده علواً وارتقاءً واستهوى إليه أفئدة العالمين بشهادته.

تلك الشهادة التي مازال بها الحسين حياً خالداً محاطاً بالذكر الخالد إلى أن تقوم الساعة.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[٣٣].

(٣٣) مجلة الغري -النجف- العدد- ٩، ١٠- السنة الثامنة- ١٩٤٧/ ص٩.

الوحي

بقلم: الشيخ علي الشرقي

رئيس مجلس التمييز الجعفري

لولا الوحي لما أضاءت جوانب هذا العالم وظل الإنسان يتخبط في ديجور دامس فبالوحي عرفت البداية وفكر بالنهاية وبه سما الإنسان إلى عالم الكمال والجمال والنبل والشرف.

وسرج الوحي في هذا الشرق كثيرة أما مهبط الوحي في بلاد العرب فهو الحجاز أولاً والعراق ثانياً بدأ في مكة المكرمة والمدينة المنورة ثم لعلع ساطعاً في العراق يضيء الملك وينور الطريق إنّ هذه القباب التي نجمت أطراف العراق في النجف وكربلاء وغربي بغداد وسامراء مهابط وحي ومنائر إرشاد وإذا كانت معاجز الأنبياء قبل الإسلام معاجز مؤقتة مثل طير إبراهيم وعصا موسى وحمل مريم بعيسى ومهده أو كلامه في المهد فإن معجزة الإسلام دائمة خالدة تتجدد بتجدد الزمن وأهل الزمن.

القرآن الكريم معجزة خالدة وإنّ الأمكنة المقدسة من مكة والمدينة والنجف وكربلاء والكاظمية وسامراء وإنّ شهر محرم الحرام غرته وعاشره فهذه كل هذه كانت وماتزال بالوحي والوعي. إنّ ضحوة العاشر من محرم وليلته أوحت ما أوحت للعالم من الكرامة والإباء والعزة النفسية والدينية ومن النبل والشرف والتضحية الغالية في

سبيل مبدأ الحق وما يستهدفه من سمو وصلابة يالها من ليلة وضحوة ما أعز وما أشرف لقد خلفت من الأمجاد والطوبيات والأمثولة الحسنة مالم تخلفه إلوف السنين، أين الموهوب الذي يستوحي مما قال ومما فعل أولئك النفر البيض في تلك الليلة الرهيبة وضحوها فيسجله كتاباً أبيضَ لحملة المبادئ السامية وعباقرة الأدب الاجتماعي والاصلاح العام اشتد الملك في ليلة العاشر من محرم سنة ٦٠ للهجرة فلمعت سرج الليل من تلك الوجوه الكريمة ولعلعت نجوم المزايا من شمائل أولئك الأحرار مستبسلين للتضحية مستبشرين بأنْ يصبحوا قرباناً للحق والشرف والحرية، فلم يشهد التاريخ العربي مجموعة نفيسة من الأفذاذ مثل هذه المجموعة التي تباهت حتى العبد الأسود منها وتسابقت بكريمات المزايا للأعمال الخالدة وأوابد الكلم الطيب في ليلة واحدة من الحياة واثقين أن لا ليلة لهم بعدها انقسموا كوكبتين أنصاراً وأهل بيت يتنافسون على المسابقة إلى الموت الزؤآم، فالأهل يقولون لا نترك أصحابنا يتقدمونا إلى القتال لأن الحمل الثقيل لا ينهض به إلا أهله، والأنصار يقولون بل نحن نتقدم حتى لا نرى هاشمياً مضرجاً بدمائه، وبهذه النخوة الصادقة يتسابقون إلى الشمم والشيم العالية، هذا يخاطر بالدعوة نافذاً إلى معسكر الأعداء لإرشاد بني عشيرته في الانضمام إلى معسكر الحق والأخذ بنصيب من شرف التضحية وهذا يطلق عقيلته هاتفين معه أمام مخيم العلويات نحن أنصاركم آلينا أن لا يصل العدو إلى هذا الحرم المنيع وفينا عرق ينبض، فللتضحية دونكم فارقنا عشائرنا وطلقنا حلائلنا، وهذا يصلح سيفه قائلاً له بحماس:

أيها الصارم استعد جواباً ... لسؤال اذا العجاج اثيراً

ولما طلعت غزالة اليوم الرهيب تكشف الصدف عن الدر وعرف الحق أهله وانتفخت العروق بالدم الحر وفاحت شمائل الكرام وتمثل المجد والنبل وصدق المبدأ بارزاً بالقول والعمل فهذا يقف دَرِيّةً دون سيده يتلقى السهام حتى يتكور جسده بالنبال

وتبلغ روحه التراقي فينعطف بجيده نحو سيده قائلاً:

أوفيت ياسيدي وهذا يقف عليه أخوه البطل المشيخ وهو مثخن بالجراح فيقول له مترفقاً رحمك الله يا أخي لولم اعلم اني على الأثر لأجبت ان توصي الي بما يهمك، فينبس الشهيد المحتضر أوصيك بهذا ويومئ إلى الحسين دافع عنه حتى تموت فيجيبه مبتهجاً لأنعمنّك عيناً بمثل هذه المكارم.

استئثروا بالردى من دون سيدهم ... قصداً وما كل إيثار به الأرب

حتى عقائلهم الكريمة تسابقن للفداء والتضحية فهذه تدفع السلاح لولدها وتشد عزمه وتستفز حفيظته وتلك تتقدم بنفسها إلى الميدان وقد عدمت السلاح فتشد بعمود البيت وأخرى تمتنع على زوجها من الرواح إلى أهلها قائلة لزوجها الكريم شاركتم الرجال فدعونا نشارك النساء فيقول زوجها للقائد:

سيدي أبت الأسدية إلاّ مشاركتكم فتلك الليلة وضحوتها صفحات وهي خالدة مع الزمن يستلهم منها الأحرار في كل جيل أحسن الإلهام، أما سيدهم فقد ضم المجد من أطرافه وانتفض للحق ببأس حمزة وهيبة أحمد وبشجاعة علي اكرم بها من مواريث واكرم به من وارث تقدم وهو المكسور يجلجل بصوته صوت الحق (ان كان دين محمد لم يستقم إلاّ بقتلي ياسيوف خذيني) وشعاره لا أعطي بيدي إعطاء الذليل نفوس أبية وأنوف حمية تقعد بنا عن الدنيه.

وإذا كانت زيارة المشاهد المقدسة يقصد بها أنْ يتمثل الزائر مبادئ ومناقب ذلك الروح المرفرف في سماء ذلك المشهد المقدس حتى يتأثر ويقتدي بها توحي قباب كربلاء من المثل العليا للطائفين بها وكم توحي القباب المتوجة للنجف وبقية المشاهد[٣٤].

(٣٤) مجلة الغري –النجف– العدد –٩، ١٠ –السنة الثامنة– ١٩٤٧/ص٢.

الحُسَين

بقلم: الشيخ حبيب آل ابراهيم

بهذا الاسم وحده دلالة كافية على ذلك المسمى الفذ، والعلم الفرد، فلا نحتاج في تعريفه والدلالة عليه إلى أن نقول ابن من ولا أبو من، وإن كان بذكر جده صلى الله عليه وآله وسلم تتشرف الأندية والأسماع وبذكر أبيه أمير المؤمنين تتطيب الألسنة والأفواه وبذكر أمه الزهراء ترفع الرؤوس وتتطلع الاعناق.

الحسين «سبط من الأسباط»

كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتكلم بجوامع الكلم فصلاً لا فضول فيه ولا تقصير، فما الذي أراد النبي بهذه الكلمة الموجزة؟ وما الذي عنى الرسول بهذا النبأ العظيم؟

يقولون أراد المصطفى أن يبين أنّ الحسين أمة من الأمم في الخير. نعم الحسين أمة من الفضائل، اجتمعت في فرد من الرجال يغني غناء الأمة ويكفي كفايتها؟

نعم لقد صدق ظن جده فيه، فلم يخطئ نظره، ولم يخب حدسه ولم تنب فراسته، وإنها من إعلام نبوته، كأنه رأى الغيب وعلمه، والغيب لا يعلمه إلا الله.

أجل كأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأى ما يفضي إليه أمر سلطان

المسلمين ذلك السلطان الذي أسسه بيده، وعقد لوائه، وسن قوانينه وأحكامه، وشيد أركانه وأحكم بنيانه.

رأى أنه يفضي إلى أمية وبني مروان، رأى أنه ينتهي ويصير إلى الشجرة الملعونة في القرآن رأى أن بني أمية وبني مروان يعلون منبره، ويهتكون حرمة مسجده ويتحكمون في مقدسات الإسلام، ويستولون على رقاب المسلمين فيوسعونهم ظلماً وجوراً وعسفاً واستبداداً.

رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذلك كله، ورأى أنه إن دام لهم الحال على ذلك، وبقي الأمر إليهم وترك سلطان المسلمين فيهم رجع الناس إلى ما كانوا عليه في جاهليتهم، وذهب عمل الرسول وجهاده وجده وجلاده وقرآنه وبنيانه وشرائعه وأحكامه أدراج الرياح لا يبقى لها في الناس علم ولا أثر علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذلك كله ويعلم هذا كل من سبر تاريخ بني أمية ونظر في سيرهم.

تذكر معي.

أليس معاوية القائل ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتزكوا ولا لتحجوا ولا لتصوموا وإنما قاتلتكم لأتأمر عليكم؟

أليس هو الراد لحكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رداً مكشوفاً في زياد بن أبيه؟ والراد على رسول الله راد على الله. أليس هو المحارب لأمير المؤمنين علي؟ وقد قال فيه رسول الله يا علي سلمك سلمي وحربك حربي؟ وسلم علي سلمي وحربه حربي. أليس هو الساب له والآمر بسبه على المنابر، وقد قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا علي من سبك فقد سبني ومن سبني فقد سب الله، ألم يجعل امر المسلمين لابنه يزيد وهو من تعلمون ألم يبح يزيد المدينة ثلاثة أيام لعسكره حتى افتضت ألف بكر في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم؟ ألم يهدم أمير

جيشه الكعبة؟ ألم يقتل هو وأبوه الأخيار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويستبقوا الأشرار؟

أليس وليدهم القائل وقد استفتح بالقرآن فخرجت فاستفتحوا وخاب كل جبار عنيد:

تهددني بجبار عنيد	فها أنا ذاك جبار عنيد
إذا ما جئت ربك يوم حشر	فقل يا رب مزقني الوليد

بعدما نصب القرآن غرضاً لنباله وسهامه، يرميه ويصوب إليه استخفافاً واستهزاءً.

وعلى هذا فقس فإن من الأوّل تعرف الآخر ومن الظاهر تعرف الباطن.

فإلى من تفزع الشريعة ولمن يشكو الإسلام والمسلمون؟ هل يشكو الإسلام إلا إلى حافظيه وحاميه؟ ومن غير الحسين؟ ولكن من الذي يقدر أن يقوم بوجه بني أمية وقد استولوا على سلطان المسلمين؟ أليس الثائر عليهم إنما يثور على أمة لها سلطانها وجيشها وقوتها؟ ما السبيل إلى تحطيم تلك القوة؟ ما الطريق إلى استبدال تلك الأمة بخير منها؟، ما الرأي ان تحفظ الشريعة ويحترم قانونها وتصان مقدساتها؟ ويمضي في سبيل نشرها ورقي أهلها؟

أيمكن ذلك مع غلبة بني أمية الجادين في محوها وتهديمها؟ أليس الناهض لهم، الثائر عليهم يحتاج إلى أمة تقابل تلك الأمة؟ وسلطان يقاوم ذلك السلطان؟ وجيش يقاتل ذلك الجيش وهب انه وجد ذلك كله؟ فمن يحسن أن ينهض نهوضاً ينتهي بما يراد من تلك النتائج الصعبة المنال البعيدة الغاية؟ وما السبيل إليها وإلى الحصول عليها؟

أجل كان الحسين هو المرتب ذلك والناهض به، والموصل إليه، ولرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علم ذلك كله.

(الحسين أمة من الأمم في الخير قضى على أمة من الأمم في الشر) قضى الحسين على أمة ضالة ظالمة مستبدة فاستبدلها بخير منها.

أجل قضى عليها بما دبر من نهضته التي كشفت عن نفسيات لامعة وفضائل فيه باهرة لا تزال موضع إعجاب البشر إلى اليوم وبعد اليوم وإلى منتهى العالم.

وكشفت عن ظلم بني أمية وجورهم وهمجيتهم وتوحشهم إلى سوء تدبير، وقصر رأي وقلة علم إلى غير ذلك من الفضائح والفجائع التي ادت إلى استئصالهم، وهلاكهم هلاكاً ابدياً.

ففضائله التي تجلت في نهضته كانت بمنزلة نور لا يزال يشع في العالم سناه، أو شمس ما تزال مضيئة تملأ قلوب البشر حياة ورحمة ورشداً.

وهمجية بني أمية التي ظهرت للناس بظهوره، وتبينها العالم بقيامه ونهوضه كانت بمنزلة ظلمة انجاب سد فها، وتقشع دجاها وأصبح مهدداً كل من يريد أن يسير بسيرتهم، ويمضي على منهاجهم أترى أمة تقدر على القيام بهذين العملين العظيمين والفوز بهذين النصرين المبينين؟

تحيي الحق؟ وتميت الباطل في آن واحد، تقضي على الظلم وتقتلعه من أصله وأساسه وترفع منار الحق والعدل فتعلي لواءه وتجلي سناه، وتجعله باقياً ما بقي الدهر خفاق العذبات، متألق اللمعات؟ هكذا صنع الحسين بعون الله وتأييده وإلى هذا أشار جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

(حسين سبط من الأسباط)[٣٥].

---

(٣٥) مجلة الغري -النجف- العدد -٩، ١٠- السنة الثامنة- ١٩٤٧/ص٢٤.

على ضوء كلمات أبي الأحرار الحسين (عليه السلام)

بقلم: الشيخ جعفر الشيخ عباس

لو سبرنا غور نهضة أبي الشهداء أبي عبد الله عليه السلام، وأصحابه الخيرة الميامين وعرفنا مغزاها، لوجدناها أعظم مدرسة سيارة، كتبها التاريخ وعرفها العالم الإسلامي -بل العالم البشري-؛ إذ ترى فيها من مبادئ سامية وأهداف نبيلة، يجدر بالمصلحين والناهضين أن يهتدوا بهديها ويسيروا على نهجها، إذ هي ترسم لهم خططاً للسير إلى مبتغاهم (ونيل مقاصدهم) وغايتهم المنشودة حتى يكونوا قدوة خيرة.

وإن هذه المبادئ تريد وتحاول أن تسود الجميع العدالة الصحيحة بكل معاني فيها من إظهار الحق، وإزهاق الباطل، وانتقال الناس من هوة الجهل المطبق، وسوقهم إلى الجادة الصحيحة التي سار عليها النبي الأعظم والأئمة الطاهرون.

ولكن هؤلاء لم يجيبوا دعوته، ولم يتبعوا نصحه ورشده، بل اقتفوا أثر ذلك الرجل المستهتر بدين الله، وشريعة رسول الله، حتى جاءهم العذاب الأليم وإلى الأبد، فسكنوا في زوايا الجحيم، تحيطهم نار ذات لهب، وغضب من الله تعالى.

فأنصبت عليهم في كل أوان ودقات السنة واللعنات.

ولكن تعال معي وأنظر إلى هؤلاء الجماعة القليلة ـ الكثيرة ـ قد بذلوا جهوداً جبارة، ورخصوا نفوسهم الأبية ـ وما لديهم من النفس والنفيس ـ في سبيل إحياء الشريعة الإسلامية المحمدية حتى اكتنفتهم هالة من النور، وتولت عليهم الرحمة وأسكنوا أعلى عليين في الجنة، يتزاحمون مع رسول الله والنبيين في الغرفات، كانوا مصداقاً لهذه الآية الشريفة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ...﴾.

أهدافه السامية في كلماته:

وإن شئت اطلاعاً على مبادئ السبط عليه السلام الحية الرفيعة في نهضته الجبارة هذه، فعليك بكتب السير والتاريخ، إذ تجد ما بين دفتيها كلمات ناصعة تعلم المجتمع كيف يقوم ضد السلطة القائمة الغاشمة ولنذكر إنموذجاً منها:

أبو الشهداء وخطبه

لقد سجلت التواريخ ما لأبيه أمير المؤمنين علي عليه السلام من الخطب الكثيرة البليغة في شتى المناسبات، تلقى على الناس لإرشادهم حتى تلقى أضواء على جميع نواحي حياتهم حتى يسيروا دوماً إلى أمام، ويعيشوا في رغد الدنيا ورفاه الآخرة.

والحسين عليه السلام شبل ذلك الفحل، والذي ورث من جده ينابيع العلم والمعرفة ومن أبيه آيات البلاغة والفصاحة، فارتشف من معينها الذي لا ينضب، وارتوى من نميرها العذب الذي لا يزول.

قال الشافعي في مطالب السؤول:

اعلم إن مولانا الحسين عليه السلام كانت الفصاحة لديه خاضعة، والبلاغة لأمره سامعة طائعة، كيف لا يكون كذلك وهو ابن أفصح العرب والعجم، وسبط من أوتي جوامع الكلم، ثم أبوه الذي أذعنت له الحكم وأطاعه السيف والقلم، ولا غرو أن يحذو الفتى حذو والده، والولد بصفة من أبيه صلى الله عليه وعلى جده وأبيه وأمه وأخيه.

وقد تقدم من نثره في المقام الذي لا تتفوه فيه الأفواه من الفرق، ولا تنطبق الألسن، من الوجل والقلق، ما فيه حجة بالغة، على أنه أفصح من نطق.

قال في خطبة له عليه السلام عند مسيره إلى العراق:

الحمد لله، وما شاء الله، ولا قوة إلاّ بالله، خط الموت على ولد آدم، مخط القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخير لي مصرع أنا لاقيه، كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء، فيملأن مني أكراشاً جوفا، وأجربة سغبا، لا محيص عن يوم خط بالقلم، رضا الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه، ويوفينا أجور الصابرين لن تشذ عن رسول الله صلى الله عليه وآله لحمته، بل هي مجموعة له في حضيرة القدس، تقر بهم عينه، وينجز له وعده، ألا ومن كان فينا باذلاً مهجته، موطناً على لقاء الله نفسه، فليرحل معنا فإني راحل مصبحاً إن شاء الله.

وقال عليه السلام بعد حمد الله والثناء عليه:

إنه قد نزل بنا من الأمر ما قد ترون، وأن الدنيا قد تغيرت وتنكرت، وأدبر معروفها، واستمر حذاء، ولم يبق منها إلاّ صبابة كصبابة الإناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل ألا ترون إلى الحق لا يعمل به وإلى الباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء ربه حقاً. فإني لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلاّ برما.

ومن خطبته عليه السلام يذم أهل الكوفة بعد الحمد والصلاة

- قال الراوي فلم ير متكلم أبلغ منه-

تباً لكم وترحاً أيتها الجماعة، أحين استصرختمونا والهين، فأصرخناكم موجفين مستنقذين، سللتم علينا سيفاً لنا في إيمانكم، وحششتم علينا ناراً قد أججناها على عدوكم وعدونا، فأصبحتم إلباً على أوليائكم، ويداً عليهم لإعدائكم بغير عدل أفشوه فيكم، ولا أمل أصبح بكم فيهم إلاّ الحرام من الدنيا أنالوكم وخسيس عيش طمعتم فيه من غير حدث كان منا، ولا أرى تقبل لنا فهلا لكم الويلات اذ كرهتمونا، وتركتمونا، تجهزتموها، والسيف مشيم والجأش طامن، والرأي لما يستحصف، ولكن أسرعتم إليها كطيرة الدبا وتساعيتم كتداعي الفراش، سحقاً لكم يا عبيد الأمة، فإنما أنتم من طواغيت الأمة، وشذاذ الأحزاب، ونبذة الكتاب ونفثة الشيطان، وعصبة الآثام، ومحرفي الكتاب، ومطفئي السنن، وقتلة أولاد الأنبياء، ومبيدي عترة الأوصياء، وملحقي العار بالنسب، ومؤذي المؤمنين، صراخ أئمة المستهترين، الذين جعلوا القرآن عضين:

﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴾.

وأنتم ابن حرب وأشياعه تعتمدون، وإيانا تخذلون، أجل! والله الخذل منكم معروف، وشجت عليه عروكم، وتوارثته أصولكم وفروعكم، ونبتتْ عليه قلوبكم، وغشيت صدوركم، فكنتم أخبث ثمر، شجىً للناظر، وأكلة للغاصب، ألا لعنة الله على الناكثين الذين ينقضون الإيمان بعد توكيدها، وقد جعلتم الله عليكم كفيلا، فأنتم والله هم.

ألا وأن الدعي ابن الدعي قد ركز بين أثنتين بين السلة والذلة، وهيهات منا الذلة، يأبى الله ذلك لنا ورسوله، والمؤمنون وجدود طابت وحجور

طهرت، وأنوف حمية ونفوس أبية، من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام. ألا قد أعذرت وأنذرت ألا وأني زاحف بهذه الأسرة، مع قلة العدد وخذلان الناصر، وقلة الأصحاب.

الى أن قال:

أما والله لا تبيتون بعدها إلاّ كريثما يركب الفرس حتى تدور بكم دور الرحى، وتقلق بكم قلق المحور، عهد عهده إليَّ أبي عن جدي، فأجمعوا أمركم وشركائكم، ثم أنظروا إلي ولا تنظرون.

إني توكلت على الله ربي وربكم، ما من دابة في الأرض إلاّ هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم.

هذه مقتطفات من خطب الإمام عليه السلام ترشدنا إلى هدفه في قيامه ولكن هذا لا يسع لإبراز خطبه وكلماته لعل التوفيق يساعدني في إظهارها، بصورة خلابة أخاذة.

أبو الأحرار وكلماته

لأبي عبد الله الحسين عليه السلام كلمات كثيرة توجد في مظانها، قال:

الناس عبيد الدنيا، والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درت معايشهم فإذا محصوا بالبلاء قل الديانون.

كلمة ذائعة الصيت، تتفوه بها الأفواه، وتلوكها الألسن، يرددها الجميع في كل يوم.

أجل! إن الناس هكذا كما أفاد عليه السلام يبيعون دينهم بدنياهم ويميلون مع كل صيحة وناعق أينما كانوا وحيثما صاروا.

والدين عندهم لفظ بدون معنى يتمشدقون به لارتزاق معايشهم واكتساب

منافعهم إلى غيرها من الكلمات، التي هي من نفحات نسيم شذا السبط الشهيد عليه السلام والتي فاح أريجها العالم، وقد جمع وشرح ما أثر عن الأمامين الحسن والحسين عليهما السلام، من الخطب والكتب والكلمات العلامة الكبير المرحوم الشيخ راضي آل ياسين وسماه بأريج البلاغة.

كما جمعنا ما خلف عن إمامنا علي بن الحسين عليه السلام من خطبه ورسائله وكلماته وأتبعناه بالشرح.

وأخيراً

سيدي أبا الشهداء إن موقفك الجبار لهو موقف رهيب، قد خضعت أمامه أبطال العالم، وتاهت العقول والألباب عن حقيقته ومغزاه يذكر فيشكر عند الله والناس ما كرَّ الجديدان وإلى النهاية.

وإنه كدرس عظيم يقتدي به العالم أجمع من الملوك والعلماء وفلاسفة الشرق والغرب للسير على ضوئه، والأخذ من هدي نوره[٣٦].

(٣٦) مجلة الأخلاق والآداب -كربلاء -العدد-٥- السنة الثالثة -١٣٨٠هـ/ص١٠٤.

الشهامة في ساحة الطف

بقلم: الشيخ عبد الغفار الأنصاري

تكـاد تكـون وقعـة الطـف مـن أولهـا إلى آخرهـا فـصلاً واحـداً مـن أمثلـة الوفـاء والشهامة والدفاع عن الحق والواجب، والثبات على المبدأ.

ويكاد المشتركون في تمثيل روايتها يتساوون في صدق العقيدة وقوة الإيمـان، ومـضاء العزيمـة ومقارعـة الأهـوال والـذود عـن حيـاض الـدين فـالكبير والـصغير، والحـر والعبـد، والسيد والمسود، والصحابي والتابعي قد غمرهم شـعور واحـد، وملكتـهم نفـسية واحـدة وقادهم رأي واحد جعلهم يسيرون إلى تحقيق غايتهم ويتجهـون إلى هـدفهم صـفاً واحـداً دون أن يـساورهم شـك أو قلـق في صـحة اتجـاهم والمـضي إلى جهـادهم بخطـوات ثابتـة، وعزيمة راسخة وجنـان ملؤهـا القـوة. والـشجاعة والإيمـان بعدالـة نهـضتهم وجهـادهم في سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وانقاذ البشرية من شرور الباطل وكيد المستبدين.

فكل من يتصفح تاريخ يوم الطف لا يخـامره شـك ولا ريـب بـأن الفئـة الـصالحة التي رافقت الحسين في ثورتـه مـن المدينـة إلى كـربلاء واستـشهدت دونـه كانـت خـير فئـة خرجت تطلب الحق وتنشد الحرية ومن درس تاريخ أولئك الأبطـال عـرفهم أنهـم كـانوا من خيرة الرجال وخيرة الأصحاب، قد حكمت المحبة بين قلوبهم أواصر الوفـاء والإخـاء والولاء فجعلهم يتسابقون إلى القتل، ويتراكضون إلى الموت ويتمنـون الـشهادة ويحبـون لقاء الله حتى لقد كان أحدهم يتمنى ان يقتل ويحيى ثم يقتـل ثم يحيى، وهكـذا ألـف مـرة

ليدفع الموت عن سيده الحسين كما صرح بذلك مسلم بن عوسجة ساعة جمع الحسين أصحابه وأمرهم بالتفرق والتخلي عنه فأجابه مسلم قائلاً:

والله لو علمت أني أقتل وأحرق ثم أحيى ثم يفعل بي ذلك سبعين مرة ما فارقتك.

وصرح زهير بن القين قائلاً: والله يا أبا عبد الله وددت أني قتلت ثم نشرت ثم قتلت ثم نشرت ثم قتلت ويفعل بي ذلك ألْف مرة وإن الله يدفع بذلك عن نفسك وعن نفس هؤلاء الصبيان من أهل بيتك الموت لرضيت. ومن أسطع البراهين على تساوي أصحاب الحسين في العقيدة قول (جون مولى أبي ذر الغفاري) للحسين عليه السلام حين أمره بالانصراف فاستعد باكياً وقال «يا ابن رسول الله أفي الرخاء ألحس قصاعكم وفي الشدة أخذلكم؟ والله يا أبا عبد الله إنّ ريحي لنتن وإن حسبي للئيم وإن لوني لأسود فتنفس علي بالجنة فيطيب ريحي ويشرف حسبي ويبيض لوني» فشكره الحسين عليه السلام على مقالته تلك التي تخبرنا على أن عقيدة العبيد من شهداء الطف لم تختلف عن عقيدة الأحرار وأن تفانيهم ونضالهم في ذلك اليوم العظيم لم يختلف عن نضال سادتهم وشيوخهم.

ومن أروع ما جاء في تاريخ الوفاء والمثابرة وصحة العقيدة والثبات أن الحسين عليه السلام خرج ذات ليلة من لياليه في الطف يدور حول خيام فتيانه وأخبئة عياله دون أنْ يصحب معه أحداً وقد ساد الموقف ظلام دامس وهدئت الأصوات فالتفت الحسين عليه السلام وراءه فشاهد هلال بن نافع يجري خلفه فناداه فاقترب منه فقال له الحسين عليه السلام: يا هلال أنت في حل من بيعتي اسلك ما بين هذين الجبلين وانجُ بنفسك ولا بأس عليك مني فارتعد هلال واضطرب، وقال: سيدي لا والله لا أفعل ذلك انجو بنفسي لا والله حتى أقاتل دونك بهذه العقيدة الصادقة وبذلك الإيمان الصحيح وعلى تلك المحجة البيضاء سار أصحاب الحسين، وبتلك التضحية الغالية وما بذلوه من الشهامة نالوا هذه الذكرى التي ترددها الأجيال بالفخر والمجد والعظمة[٣٧].

---

(٣٧) مجلة الميزان–العمارة– العدد–٢٧، ٢٨–السنة الرابعة–١٣٦٧هـ/ص٢١.

الفتح والاستشهاد في ذكرى الحسين (عليه السلام)

بقلم: الشيخ عبد العالي المظفر

حينما تمر علينا ذكرى ولادة الإمام الحسين عليه السلام لابد وأن تطل علينا واقعة استشهاده، وحينما يصل أسماعنا نبأ المولود الجديد يحيط بتفكيرنا وقلوبنا أدوار ثورته اللاهبة. فلا نقف لحظات لنهنئ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلياً وفاطمة سلام الله عليهم بهذا المولود المبارك ونرتل مع الوحي الامين

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾.

فالحسين عليه السلام هو الفرع الزاكي لدوحة النبوة، وأغصان الرسالة. فلا نبتسم للولادة المباركة حتى تطفو علينا أنباء الثورة ولهيب الجهاد، وحتى تحيطنا أدوار الشهادة ومراحلها النيرة.

ولعل لهذا الأمر قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

(حسين مني وأنا من حسين).

ولذلك فحينما يريد الإنسان ليتحدث عن ولادته لابد أن يتحدث عن استشهاده وحينما يريد أن يكتب لمثل هذا اليوم المشرق لابد أن يكتب بقلب المؤمن الذي أفزعه مصرع البطل وثبت فؤاده الفتح العظيم على مر الأجيال والعصور.

والإنسان حينما يريد التحدث عن المصلح الذي يقدم لأمته خدمات جليلة أو تضحيات سخية لابد له أن يمزج الخيال بالواقع ليضفي على الواقع مزيداً من الروعة والإكبار، وعلى المصلح مزيداً من المعاني الإنسانية والمثل العليا ليرتفع بذلك المصلح عن حدود زمانه ومكانه، ويتحدى بها القوى المادية والعددية التي تقف في قبالة أهدافه.

فهذا الإنسان المصلح حينما ابتدأ بالسير في طريق هذا المثل الأعلى وتعلق بمعانيه الأزلية الخالدة ساغ لنا بهذه العلاقة والصلة أن نسبغ على سيرته طابع الهدف وصبغة المثل الأعلى الرفيع.

ولكن حينما نريد أن نمسك بالقلم فنتحدث عن مصلح الأزمان والأجيال الحسين الشهيد عليه السلام ونأخذ قبساً من أنوار ثورته المتوهجة لابد أن تنعكس المهمة تماماً. فنجاح الكاتب أو المتحدث في هذا الميدان وتوفيقه في هذه المهمة يتوقف على مدى تمكن خياله وتفكيره مِنْ أن ينتقي شيئاً من الحقيقة الضخمة والتضحية الخالدة والشهادة في أروع صورة لها على وجه الحياة.

ماذا يبقى للخيال من مجال لأن ينطلق، وهل له أو للتفكير من قدرة على أن يحلق إلى قمة هذا المثل الأعلى في شموخها.

هل للخيال أن يحلق ليرى الحسين عليه السلام وقد أخذ بكفه من دم ولده عبد الله الرضيع ليلقي به إلى السماء وهو يقول:

(اللهم لا يكن عليك أهون من ناقة صالح).

ثم ليرى الحوراء زينب سلام الله عليها وقد وضعت يدها تحت جسد أخيها الحسين وهي ترفعه عن الأرض قائلة:

(اللهم تقبل منا هذا القربان).

ثم لينقل الخيال والفكر جميع إمكانيات وما ملكت طاقاته بين أدوار الثورة

ومشاهدها فيرى أنصار الحسين سلام الله عليهم وهم يهتفون (لو نقتل سبعين قتلة لفضلنا النهوض معك على القعود عنك) وأنّى للخيال أن يرتفع ويحلق وقد جسد الحسين المثل الأعلى حقيقة نابضة تنزل إلى الميدان وتصارع العدو الكافر الغاشم.

وكان لابد للإمام عليه السلام أن يستعمل هذا السلاح الإيماني العظيم في مثل هذه المعركة الرهينة.

فلقد رأى صلوات الله عليه أن (يزيد) أخذ يستعد للقيام بالدور الأخير (للجاهلية الحديثة) التي عهد بها أبوه معاوية إليه ووضع خطوطها وتصميمها. ليقضي على البقية الباقية من أتباع محمد صلى الله عليه وآله وسلم وحاملي رسالة الإسلام.

وكانت هذه الفلسفة الارتدادية قد امتدت جذورها الخبيثة وعمت بشرورها المجتمع الإسلامي كافة، من قصم لعراه المتلاحمة، وتأليب بعض طوائفه على بعض، وقوم على قوم وطبقية غاشمة تركز القوة المادية والاجتماعية في أيدي أفراد دون آخرين، وفي استعباد مرهق من الحاكمين (فجعلوا أموال الله دولاً وعباده خولاً) ومن فسق وفجور ما جن لم تعهد الجاهليةالقديمة مثله بسبب من الإمكانيات التي هيأت من القوى المادية التي توفرت في المجتمع المسلم والتي أرادها الإسلام سلاحاً لنشر دعوته ووسيلة محكمة لغرس الفضيلة والمثل العليا التي جاء من أجلها. فكان الهدم والانهيار الذي لم يسلم من خطره أي جانب من جوانب المجتمع الإسلامي وأي ظاهرة من حياة المسلمين وحيث كانت الدنيا (دنيا المسلمين) في مثل هذا الجو الرهيب (قد تنكرت وأدبر معروفها ولم يبق منها إلاّ صبابة كصبابة الإناء وخسيس عيش كالمرعى الوبيل) وكان على (يزيد) لينفذ خطة الجاهلية هذه في أدوارها الأخيرة أن يقضي بقوته الغاشمة على آخر مصدر للنور الإسلامي وأن يسفك بسلاحه الغادر آخر عرق ينبض بالإسلام فكان ليلاً مظلماً حقاً وكانت الدنيا مكفهرة من زمجرة الباطل.

وأبو الشهداء يرى هذه الخطوب الدهماء وهي تنوء بكلكلها على أمة محمدصلى الله عليه وآله وسلم فكان لابد أن يستعمل السلاح الفتاك الذي لا يقف بوجهه أية قوة مادية مهما كان عددها وجبروتها وعدتها، هذا السلاح الذي وعد الله حامليه أن ينصرهم في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، وكان لابد أن يعلن الثورة لتتجمع حوله البقية الباقية من حملة الرسالة والكتاب وأركان الإسلام.

وكان عليه أن يذكر الأمة بمسؤوليتها اتجاه الوضع الغاشم الذي فتك بكيانهم ولها بمقدراتهم جهاراً وعياناً فقال عليه السلام:

(من رأي سلطان جائراً ناكثاً لعهد الله مستحلاً لحرم الله ولم يغير عليه بقول ولا عمل كان حقيقاً على الله أن يدخله مدخله).

وكان عليه أيضا أن يعلن الهدف الشامل لثورته المباركة وإنّ (الاصلاح) في شموله الإسلامي وفي مضمونه الرسالي العظيم:

(ألا واني لم اخرج أشراً ولا بطراً ولا ظالماً ولا مفسداً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي).

وحينما رأى صلوات الله عليه أن هذا سلاحه وهذا هو هدفه اطمأنّ بالنصر ووثق من الفتح الذي يتجدد كلما مرّ دور وأتى جيل وخيّم ظلام فأعلنه من أول يوم:

(من لحق بي استشهد ومن تخلف عني لم يبلغ الفتح)[٣٨].

---

(٣٨) مجلة الأضواء -النجف- العدد-٣- السنة السادسة- ١٩٦٦/ ص٢١٩.

حركة الحسين ومراميها

بقلم: الدكتور علي الوردي

اختلفت الآراء في حركة الحسين، فمنهم من عدها ثورة جامحة عاثت بالأمن وخرجت عن النظام، ومنهم من عدها نهضة مقدسة في سبيل الدين وارجاع الحق إلى نصابه. أجل، لقد اختلف الناس فيها، وأنا لا أود بكلمتي هذه أن انحاز إلى جانب في هذه المشادة التي لم يزدها الزمن إلاّ شدة وضراماً، إنما قصدت بها دراسة الحركة الحسينية تلك دراسة موضوعية وتفهم مراميها البعيدة، ولعلني بهذا لا أرضي جماعة من الناس لأن هذا الموضوع أصبح متغلغلاً في صميم عقيدة الناس حيث هم لا يستسهلون البحث فيه على الطريقة العلمية المحايدة التي لا تعرف إلا البرهان مرشداً لها ودليلاً ولكني أرى إننا في هذا الزمن الجديد ينبغي أنْ لا نبقى عبيداً لآراء الأقدمين وأساليبهم في البحث، إنّ من الواجب علينا أن نعيد النظر في آرائنا القديمة على ضوء الأساليب الحديثة. ولقد لاحظت أنّ البعض لا تروق له مثل هذه البحوث. لذا فإني اتوجه بكلمتي هذه نحو هؤلاء إنما اتوجه بها إلى أولئك المثقفين الذين نزعوا من أنفسهم كل يقين موروث وأسسوا عقائدهم مثل ديكارت على أساس الشك وإقامة الدليل.

أيها السادة لا أنكر أنّ حركة الحسين كانت ثورة لها هدفها ولها وسائلها، ولكن هذا لا يعني أنها كانت مثل غيرها من الثورات التي رأيناها تبتغي العرض الفاني أحياناً أو تحيد عن مبادئها السامية أحياناً أخرى.

ولعل الجدير بنا أن نبحث في فلسفة الثورات الصالحة كما بحثها مفكرو الغرب حديثاً لننظر هل أنّ الإسلام كان يرى رأيهم في ذلك؟ وهل استوحى الحسين منها أغراض ثورته وأهدافها القصوى؟.

يقول جان جاك روسو وبعض الفلاسفة الآخرين إنّ الحكم ما هو إلا عقد قد تم الإتفاق عليه بين الشعب والأمير حيث تنازل الأفراد عن شيء من حرياتهم له على أن يقوم هو مما يجب عليه نحوهم من خدمة مصالحهم العامة ورعاية حقوقهم، أمّا إذا حاد الأمير عن هذا الطريق أو نكث بشيء من بنود ذلك العقد فان من حق الشعب أن يطالبه بالرجوع إلى طريق الواجب وينبغي على الأفراد أن يتعاونوا بعضهم مع البعض في سبيل سيادة العدل وارجاع الحق إلى نصابه.

أيها السادة إنّ هذه النظرية التي تسمى بنظرية العقد الاجتماعي قد كان لها الصدى البعيد في المجتمع الغربي خلال القرن التاسع عشر ولكن بعض الكتاب أخذ عليها في أن التاريخ لا يؤيد حدوث الاتفاق على عقد ما بين الراعي والرعية في زمن من الأزمان الغابرة، وكأنهم بذلك يبتغون الحط من قيمة هذه النظرية ونحن لا يهمنا أن يكون العقد قد حدث فعلاً في التاريخ أم لم يحدث، إنما الواقع أن نظرية العقد تفسر لنا بوضوح العلاقة بين الشعب والحكومة ولقد تضمنت أغلب الدساتير الحديثة هذا المعنى بشكل من الأشكال، ومن الفخار حقاً أن نجد الإسلام نفسه يرى مثل هذا الرأي ويتبع علي هذا السبيل. يقول علي بن أبي طالب عليه السلام من كلام له في هذا الموضوع:

«... جعل سبحانه من حقوقه حقوقاً افترضها لبعض الناس على بعض، فجعلها تتكافأ في وجوهها، ويوجب بعضها بعضاً، ولا يستوجب بعضها إلا ببعض. وأعظم ما أفترض الله سبحانه من تلك الحقوق حق الوالي على الرعية، وحق الرعية على الوالي، فريضة فرضها الله لكل على كل، فجعلها نظاماً لألفتهم وعزاً لدينهم فليست تصلح الرعية الا بصلاح

الولاة، ولا تصلح الولاة إلاّ باستقامة الرعية فإذا أدت الرعية إلى الوالي حقه وادى الوالي إليها حقها عز الحق بينهم وقامت مناهج الدين واعتدلت معالم العدل وجرت على أذلالها السنن فصلح بذلك الزمان وطمع في بقاء الدولة ويئست مطامع الأعداء، وإذا غلبت الرعية واليها أو أجحف الوالي برعيته اختلفت هنالك الكلمة وظهرت معالم الجور، وكثر الأدغال في الدين، وتركت محاج السنن، فعمل بالهوى وعطلت الأحكام وكثرت، علل النفوس فلا يستوحش لعظيم حق عطّل، ولا لعظيم باطل فعل، فهنالك يذل الأشراف ويعز الأشرار وتعظم تبعات الله عند العباد فعليكم بالتناصح في ذلك وحسن التعاون عليه، فليس لاحد وإن اشتد على رضاء الله حرصه وطال في العمل اجتهاده ببالغ حقيقة ما الله اهله من الطاعة له. ولكن من واجب حقوق الله على عباده النصيحة بمبلغ جهدهم والتعاون على إقامة الحق بينهم ... ».

يتضح من هذا أن علياً ذهب قبل مئات السنين إلى رأي يشبه نظرية «روسو الحديثة في العقد الاجتماعي» حيث جعل حقوق الشعب وحقوق الوالي متكافئة يوجب بعضها بعضاً ولا يستوجب بعضها إلاّ ببعض، وكأنه بذلك يشير إلى عقد أتفق طرفاه على متبادل حيث يستطيع احدهما الامتناع عن القيام به إذا نكث الطرف الآخر بوعده المتفق عليه. إذن صار من الواجب حقوق الله على عباده، كما قال علي النصيحة بمبلغ جهدهم والتعاون على إقامة العدل بينهم حيث ينبغي على الأمة أن لا تدع الظلم يفشو بينها ولا تسمح للأمير الجائر الفاسق أن يتنفذ فيها.

وعلى هذا تصوروا أيها السادة عرش الخلافة الذي تسنمه الصديق والفاروق ثم علي بن أبي طالب عليه السلام، وساروا فيه على ذلك السبيل العظيم سبيل الله وسبيل محمد، يأتي إليه أخيراً شخص لا يعرف من دنياه إلاّ لهواً ولعباً. ثم تصوروا أيها السادة منبر الرسول ذلك المنبر الذي هز محمد من فوقه قلوب العرب وبعث فيهم تلك الروح

الخالدة يرقى عليه بعد ذلك يزيد ورائحة الخمر تفوح من فيه.

تصوروا هذا وتأملوا النتائج التي ستحيق بالأمة إذا استمر الحال على ذلك وجاء الولاة بعده يحتذون حذوه ويتبعون سبيله. أجل، لقد كانت حركة الحسين احتجاجاً على مثل ذلك التنكب الفاضح عن منهج الإسلام ومصلحة الأمة وأرجو أن لا يهرب عن البال أن هذه الحركة الحسينية لم تكن الوحيدة في الاحتجاج ضد ذلك الوضع المزري إنما كان الإسلام كله صرخة مدوّية ضد يزيد وضد أمثاله.

تشهد على ذلك ثورة المدينة (مهبط الوحي) وثورة بن الزبير في مكة، وثورات العراق المتتابعة بعد مقتل الحسين فإذا كان أقل المسلمين شأناً لم يرض بخلافة ذلك الرجل المستهتر فكيف يرضى إذن الحسين حفيد محمد وسلالة الأطيبين وهو قد كان المسؤول مباشرة عن تدارك تلك الأزمة الفادحة التي اكتنفت دين جده.

أيها السادة لقد تعود بعض الناس أن يستهينوا بعمل من الأعمال العظيمة إذا لم يجدوا له نتيجة محسوسة في سبيل الفتح والانتصار المادي، إن هذا رأي البسطاء أو المكابرين، أما الحكيم فهو يذهب في تقدير الأعمال وراء ذلك وينظر في الأمور نظراً بعيداً. لتجدهم يقولون: ماذا فعل الحسين وما هو إلا ثائر طامع ثم لقيت ثورته الخسارة والاخفاق. ويحكم أيها الناس لا تنظروا إلى النتائج المادية فرب انتصار هو شر على الأمة من فشل، تعالوا إلى الأمر من ناحية أخرى فلولا حركة الحسين لوجدنا يزيد يستفحل أمره، ولعله يصبح قدوةً للناس لأن الناس على دين ملوكهم كم تعلمون، لوجدنا الترف والخلاعة اللتين اودتا بكثير من الحضارات و الأمم تعملان عملهما في المسلمين قبل أن يستطيعوا نشر كلمة الله في العالم حيث تنحط اذ ذاك روح الأمة وتمحق من نفوسهم تلك البسالة المحمدية الناشئة.

ويحكم أولئك البسطاء خبروني كيف تحطمت إمبراطورية الرومان والفرس،

وكيف تحطمت إمبراطورية العرب بعد ذلك؟ أليس السبب في انغماس الملوك في الترف واقتداء الناس بهم في ذلك

﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ﴾.

أناشدكم الله أيها السادة أتريدون من الحسين سليل محمد أن يسكت وقد رأى الترف مسيطراً على دين جده بعد سنوات معدودة من وفاته. نعم، إنّ الحسين لم يغلب ولم يفتح، ولكنه فتح بحركته عيون المسلمين إلى تلك الحقيقة الكبرى وهز نفوسهم هزاً وزلزل بنيان الملكية المترفة من أساسها، إنما ذهب وا أسفاه ضحية تحت ذلك البنيان المحطوم.

وهنا نأتي إلى نقطة حيوية من ثورة الحسين إذ نرى فيها ظاهرة قلما نجدها في غيرها من الثورات المعهودة في التأريخ تلك هي إن الحسين كان موقناً منذ البدء بفشل مشروعه هو قد كان يعرف مبلغ ارتباط أهل الكوفة بوعودهم وكيف خانوا قديماً أباه وأخاه. إنّه يعرف كل ذلك ويدري إن حركته واضحة النهاية محتومة الفشل فلماذا اذن أخذ النساء معه والاطفال؟ ولماذا أبى عندما عرض عليه الأمان والمال بعدما أحاطت به الجيوش من كل جانب ومنع عنه الماء.

هنا حارت الأفكار واشتد الخلاف ولعل النقد الذي وجه ضد الحسين ينبعث من هذه النقطة حيث يلوم بعض المؤرخين الحسين على عدم إصغائه لنصيحة ابن عباس الداهية الذي حذره من خيانة أهل الكوفة له ونصحه أن لا يأخذ معه الأطفال والنساء إلى مجازفة لا تعرف مغبتها ومدى آثارها يقول هؤلاء النقاد إن الحسين بتلك المحاولة الفاشلة إنما رمى بنفسه وعائلته في هلكة محققة بينما كان اللازم عليه أن يتقيها ويحتاط لعواقبها.

أيها السادة إننا لا نعجب من مثل هذا النقد إذا صدر في الأزمان القديمة يوم لم

تكن المعرفة الإنسانية قد وصلت إلى هذه الدرجة العالية من النضوج والاتساع، ولكن العجب كل العجب أن ترى هذا النقد تردده جماعة من أبناء هذا الزمان، ثم يدعون أنهم مطلعون ومثقفون.

فيا أيها الناس ليس المقصود من أي اجتماع يقوم به الإنسان هو أن ينجح فيه فوراً أو ان يصل به إلى هدفه في حياته. وفي الحقيقة أن أغلب الأعمال التي يراد بها الهدف القريب ما هي إلاّ أعمال الأنانيين الذين يريدون لأنفسهم النجاح ثم ليكن من بعدهم الطوفان. حقاً إنّ العمل الخالد الذي يراد منه منفعة الأمة هو ذلك العمل الذي يقوم به صاحبه وقد تقدم نفسه من أجله قرباناً إذ هو لا يريد نجاحاً في حياته، وإنما مقصده الأسمى أن ينتج الأثر المعنوي المثمر من بعده حيث تنتفع الأمة به وتستلهم وحيه الدائم على مدى الأجيال.

وعلى هذا المنوال كانت حركة الحسين، ولقد قام بها وهو يدري أنه مقتول بها مع أولاده ومسبية بها نساؤه لا مناص من ذلك. لكنه قد وضع أمام بصره غاية مقدسة هي إفهام الأمة خطورة الوضع لكي لا يستهينوا به فتحيط بهم إذ ذاك الكارثة وتحق عليهم كلمة العذاب.

وهنا نصل إلى نظرية جديدة في فلسفة الثورات وإنقاذ المجتمع بها، تلك هي نظرية تولستوي المشهورة التي حبذها كثير من مفكري هذا العصر وزعمائه، وملخص هذه النظرية هي: إن الثائر المصلح الذي يتخذ الحب الأسمى والإيثار نبراساً له في هذه الحياة يجب أن لا يتبع سبيل الهجوم وسفك الدماء لإنجاح ثورته والسير بها لأنه بذلك سيكون مجرماً اجتماعياً بينما غايته هي انقاذ المجتمع من الجرائم ومن سفك الدماء، أجل إنّ الثائر الأمجد ينبغي أن يسير في مقاومته هادئاً مبتسماً حتى إذا قابله أعداؤه بالسيف استقبل ذلك بالصبر والتحمل فلابد إذ ذاك أن تكون النتيجة، له والخسران على أعدائه

الغاشمين، إنّ النصر لاريب آتٍ إليه.

أيها السادة إنّ الذين يقولون بنظرية تولستوي هذه ويدعون إليها ما دروا أن الحسين قبل اثني عشر قرناً جاء بمثل هذه النظرية عملياً وطبقها على نفسه، وبذا نال بغيته الاجتماعية كما تنبأ تولستوي من بعده إذ بعث في الأمة ذلك الأثر الخالد العظيم.

تقول سكينة بنت الحسين. إن قد خرج معنا من مكة جمع غفير وقد ظنوا ان الحسين ذاهب إلى ملك وجاه ولكن أبي جمعهم ببعض الطريق وخطب فيهم قائلاً ما معناه

«لا تأملوا غنماً عاجلاً ولا نصراً قريباً. إن مصيرنا القتل جميعاً فمن أحب منكم الانصراف فلينصرف في غير حرج ليس عليه ذمام».

وتقول سكينة وأخذ الجمع يتفرق عن الحسين زرافات ووحدانا كل سلك له طريقاً ولم يبق معنا إلا نفر قليل ممن آثر البقاء مع الحسين والموت بين يديه هذا هو الحسين أيها السادة، لم يكن باغياً ولا متمرداً ولا داعياً إلى فتنة، إنما كان منقذاً يريد أن يجعل من نفسه وممن تبعه طوعاً قرابين على مذبح المصلحة العامة عسى أن يحدث من بعده الأثر المنشود فتنبذ الأمة عنها سلطان الترف وتتبع سبيل الله في إيضاء الكيان الجديد...

لقد قرأت منذ عهد قريب في إحدى المجلات فقرة لمستشرق حيث كان باحثاً من مشاهير الكتاب يعلق عليها ذهب فيها المستشرق إلى ذلك الرأي إذ يقول: «إن الحسين تعمد أن يضحي بنفسه فهو لم يكن بليداً لقد حاول أمراً عرف مبلغ استحالته، ومع ذلك أصر على الزحف وليس إلا النساء والاطفال، وشرذمة صغيرة من رجال مضى بهم وبنفسه معهم إلى بوار محقق».

ويقول الباحث في التعليق على هذا، فمن كان يصدق أن الحسين فعلها عن

طيش أو سوء تقدير أو تورط فاني لا أصدق إلاّ أنه أقدم عليها متعمداً لها، ولو أن ميتاً استطاع أن يضحك ساخراً لضحك الحسين ورأسه في أيدي قتلته البلهاء.. لقد جرى كل شيء على ماقدر الحسين ورسم، وحدث ما كان ينشد فأسرف أعداؤه في القتل والتمثيل والتنكيل كما كان يتوقع، وصدقت فراسته القويه في رجال الدولة على عهده ولم يخب له ظن أو رأي فيهم، فريعت الدنيا وهالها الأمر على ما كان قدر وصارت كل قطرة من دمه وحرف من اسمه وهاتف من ذكراه لغماً في أساس الدولة الأموية ولست أعرف ميتة أخرى أبلغ اثراً في حياة الناس ومستقبل الدولة والأمم ولا أطول منها، مع عمق الأثر خلوداً وذكرى. هذا ما يقول المستشرق ومما يقول الباحث عن الأثر الاجتماعي لنهضة الحسين إذ هي ليست ثورة جامحة سارت مثل غيرها في سبيل الطمع واجتياز الجاه كما زعم الزاعمون ولو كانت كذلك لما أيس الحسين أتباعه من النصر وحاول إقناعهم بتركه والانصراف عنه لقد أجمع المؤرخون أن الحسين نصح أتباعه مراراً بالتخلي عنه لانه مقتول لا محالة، وقد سأله ابن الحنفية في مكة عن معنى حمل النساء والأطفال معه إلى الكارثة، فأجابه الحسين:

(يا أخي لقد شاء الله أن يراهن سبايا).

أيها السادة إن الحسين خرج من مكة وهو يكاد يبصر بأم عينه مصيره الهائل الذي لاريب فيه، أو هو بالأحرى كان يقصد هذا المصير بالذات ليجعل من مقتله انفجاراً اجتماعياً هائلاً يلظى نفوس الأمة ويدعوهم إلى الجهاد الأكبر جهاد الترف والفجور وإلى الاتجاه بأمانيهم إلى الله وحده.

مر الحسين في طريقه إلى الكوفة بكثير من القادمين منها حيث أخبروه وأكدوا له بأن الناس هنالك قلوبهم معه وسيوفهم عليه وما درى هؤلاء المخبرون أن الحسين أراد النصر أراد السيوف عليه ولم يردها معه وذلك منتهى الشرف وغاية الإخلاص.

(إن كان دين محمد لم يستقم إلاّ بقتلي يا سيوف خذيني)

أيها السادة: إننا في هذا الزمن الصاخب الذي انثال الناس فيه على مراتع الطمع انثيالاً وغرهم ترف الحياة وسفساف المادة حتى حل بهم ما رأينا من كوارث لا تكاد تنتهي إحداهن حتى تبدأ بقدها الأخرى أليس الجدير أن نتلفت إلى ذلك الماضي البعيد؟ عسانا نتخذ من حركة الحسين شيئاً من العبرة، تلك الحركة التي ستبقى على مسمع الزمن هتافاً مدوياً يذكر الناس في كل حين بذلك الواجب الأسمى نحو الله في جهاد الفجرة والظالمين.

سلام الله عليك يا أبا عبد الله لقد استسهلت تلك الآلام التي لا يتحملها جبابرة الناس. ولكنك مضيت في ذلك صابراً محتسباً لا يثنيك جراح عن عزمك، ولا يصدك فقد الولد عن قصدك حتى اصبحت في ذلك أمثولة التاريخ وعبرة الأزمان.

﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته[٣٩].

---

(٣٩) مجلة الغري -النجف- العدد -٩، ١٠،١١- السنة الخامسة -١٩٤٤/ص٧٩٨.

لماذا نحتفل بذكرى الحُسين (عليه السلام)

بقلم: الاستاذ علي جليل الوردي

لكم أن تسألوا أيها السادة: «لماذا نحتفل كل عام بذكرى الحسين؟».

إنّ هذا سؤال يردده كثير من الناس في هذا العصر..

فلقد مضى ذلك الزمن الذي كنا نتوارث التقاليد الاجتماعية فيه من غير أن نسأل عنها أو نشك فيها.

قالوا: «ذهب الحسين وذهب يزيد، في غياهب الماضي الذي لا يعود، فما جدوى التحدث عنهما إذن؟

أليس من الأجدى أن نكرس جهودنا في حل مشاكلنا الراهنة التي تعرقل علينا في هذا الزمن سبيل النهوض؟»

أجل أيها السادة.. إن هذه كلمة حق لاريب فيها.

فلقد ذهب الحسين وذهب يزيد ولكننا، مع ذلك، سنجد في كل زمان حسيناً ويزيد يتنازعان الحياة!

وها هوذا تاريخ الإنسانية مفعماً بمثل هذا الكفاح، بين الحق والباطل، إذ انجرف المجتمع البشري في هذا السبيل تارة وفي ذلك السبيل أخرى.

فإذا نحن أهملنا التفريق بين حسين ويزيد في التاريخ جاز لنا أن نهمل التفريق

بينهما في أي زمان. وبذا قد يلتبس علينا وجه الحق، وتشتبك حدود الظلم والعدل معاً، بحيث لا نستطيع لها فصلاً ولا تمييزاً.

سر أينما شئت، في شؤون هذه الحياة، فلسوف ترى أمامك صوراً من ذلك الصراع الخالد تتكرر هنا وهنالك كل يوم.

وقد يبغتك، وأنت سائر بين الناس على رسلك، منظر شخصين يتخاصمان: أحدهما قوي غشوم، والآخر ضعيف يتلوى دفاعاً عن حقه، وإذا بك واقفاً حائراً لا تدري أي جانب تأخذ، وقد تذهب في سبيلك مطمئناً كأن الامر لا يعنيك.

ألا أيها الناس، إنّ ما يميز بين الإنسان الذي يعيش في مجتمع والحيوان الذي يعيش في غابة هو هذا الضمير الاجتماعي الذي يخالج نفوس الناس فيردعهم عن أن يكونوا بهائم يخافون الظالم ويظلمون الوديع.

فاذا لم يهذب هذا الضمير في نفوس الأفراد، فليس من أمل عند ذلك في رفع مستوى المجتمع الإنساني وإصلاحه وإسعاده.

فإنك إذا سمحت للظالم بأن يظلم الناس، ثم ابتسمت له واختلقت له المعاذير، كنت بذلك قد جلبت على نفسك البلاء!

فهو إذا اعتدى اليوم على غيرك فسيعتدي غداً عليك، وسيلقى من الناس ابتساماً وتأييداً على دينك القديم..

هذه حقيقة اجتماعية كبرى، وهي لعمري من الحقائق المعترف بها في هذا العصر.

وما هذا (الرأي العام)، الذي يُعنى به الغربيون، ويحاولون بشتى الوسائل، توجيهه وإنماءه، إلا إصلاح من المجتمع يراد به قمع نزوات الظلمة الأنانيين.

ولعلني لا أغالي اذا اعتبرت أساس مشاكلنا، في مجتمعنا الحاضر، هو ما نرى من ضعف في الضمير الاجتماعي لدى أفراد هذا المجتمع.

فقد أصبحنا، مع الأسف، لا أباليين في جميع ما يتصل بالمصلحة العامة. نرى الغاشمين والمجرمين والخائنين، يسرحون بيننا ويمرحون، هذا ونحن نعلم أنهم من أسباب الانهيار الاجتماعي الذي نكابده اليوم، ولكننا رغم ذلك ننحني لهم احتراماً، ونهش في وجوههم، ونصوغ لهم عبارات الثناء!

أمّا الصالح من الناس.. فإننا لا نعرف أحياناً، أين هو من هذه الدنيا. وكثيراً ما نعتبره مجنوناً أو سخيفاً، لأنه، على زعمنا، لا يجاري الزمن في أمر اكتناز الأموال أو بناء القصور.

يقول علماء النفس: «إن في كل نفس غريزة في حب الشهرة. وكل إنسان يود، من صميم قلبه، ان يكون محترماً بين الناس مهيباً»

وبناء على هذه الحقيقة العلمية، فليس لنا أن نلوم الطاغية إذا استهتر بحقوق الناس، أو اعترف إذا اقترف المنكر، أو المحتكر إذا اغتصب الأموال، إنما اللوم، حقاً على الناس أنفسهم، فما داموا هم يحترمون المترف ويهابون الظالم ثم يحتقرون كل من كان فاضلاً نزيهاً، فلا غرو، وبعد ذلك إذا اندفع أغلب أفراد المجتمع نحو الظلم ينهلون منه ونحو المال يغصبونه في كل سبيل!

أيها الساده: ولا تحسبوا أنّ هذه الحقيقة الاجتماعية جديدة.

إنها في الواقع قديمة قدم الإسلام.

فلقد جاء بها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على قومه، قبل مئات السنين، وسعى سعياً حثيثاً في سبيل تفهيمها لهم وإرشادهم إلى مأتاها العظيم.

قال النبي:

«إذا رأيت أمتي تهاب الظالم أن تقول له إنك ظالم فقد تودع منها ... من أعان ظالماً على ظلمه سلّطه الله عليه ... لازالت أمتي بخير مادامت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر..»

ونحن إذا قارنا بين المجتمع الجاهلي، الذي كان سائداً قبل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، والمجتمع الإسلامي، وجدنا أثر هذه الحقيقة واضحاً بليغاً.

فلقد كان الضمير الاجتماعي في الجاهلية ضعيفاً كل الضعف. حيث كان لا يقدر فيها إلا سبيل العنف، ولا يعلو في أعين القوم الا المرابون والأغنياء.

ثم جاء الإسلام بعد ذلك، فوضع للمجتمع أساساً جديداً يختلف عن ذلك الأساس القديم:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴾.

«**خير الناس أنفعهم للناس**».

هذه كانت روحية الإسلام، في الواقع، وبها انتصر العرب أول الأمر، وكانوا خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر!

سادتي الأماجد: والآن نأتي إلى مقتل الحسين، لننظر هل استمرت الأمة على السير في هذا الطريق القويم؟

لقد كان قتلة الحسين يعلمون، علم اليقين، فضل الحسين ودناءة يزيد، ثم رأوهما بعد ذلك يختصمان فانحنوا طاعة ليزيد واحتراماً لأمره، ثم انثالوا على الحسين يقطعونه بالسيوف ويقتلون أولاده ويسبون نساءه!!

لم يكن هذا الحادث حادثاً طارئاً ذهب أثره مع الزمن حتى ينسى.

إنّه والحق يقال،امتحان لهذه الأمة ونكبة جرت وراءها نكبات ونكبات.

إنها لم تكن معركة بين شخصين أو بين جيشين، ثم انقشع الغبار عن فوز أحدهما وهزيمة الآخر.

كلا.. إنما هي معركة بين مبدأين أساسيين في الحياة، أحدهما ينظر إلى مصلحة المجتمع إذا يقدم فيها الصالح ويزداد عنها الدنيء، أما الآخر فيتخذ قانون الغابة له سبيلاً!

عثرت على كلمة في الحسين لأحد فقهاء المسلمين، هو القاضي ابن العربي، يقول فيها: «ان الحسين قتل بسيف جده».

وقد تابعه على هذا الرأي كثير من المستشرقين.

إننا لا نلوم المستشرقين إذا قالوا مثل هذه الكلمة، ذلك أنهم لا يعرفون ما هو الإسلام على حقيقته، ومن هو النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم. ولكننا نلوم هذا القاضي الذي يدعي أنّه مسلم، ودرس فقه الإسلام!

إنّ من الخطأ الفظيع، أيها السادة، أن نعتبر الإسلام اسماً ينطقون به أو مظاهر يتقمصونيها.

الإسلام نفع الناس، خلق وعدل وتعاون على البر والتقوى.

إنّ من يريد أن يلتزم في الحياة طريق النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، في نفع الناس والعدل بينهم، لا يهون عليه ان يقدر طريقاً آخر يسير في اتجاه يناقض ذلك الاتجاه على خط مستقيم.

هما طريقان متناقضان أيها السادة، فينبغي أن تتوضح الآراء بينهما إذن من غير لبس ولا تأويل. يقول النبي:

«من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان».

إذن... فالمجتمع الذي يرى منكر المنكر يزيد وأتباعه، ثم لا يستهجن منهم ذلك، لا أظن أن سيهتدي في دنياه إلى سبيل قويم.

يقول بعض المؤرخين إنّه: عندما قتل الحسين، هتف هاتف، بين السماء والأرض:

«أيتها الأمة المتحيرة لا وفقتم لفطر ولا أضحى!»

كلمة هائلة دوت في سماء العراق آنذاك..

ونحن في هذا الزمن لا نستطيع أن نتبين ماهية هذا الهاتف.

فمن يدرينا لعله هاتف النفوس التي أحست بهول الكارثة.

وكأن الأمة قد شعرت أنها بهذا الحادث، فقدت ضميرها الاجتماعي كما يفقد الإنسان أحياناً غريزة المحافظة على الحياة، فلا يرجى له بعد ذلك فلاح!

يقال إن الحسين عندما أحاط به الأعداء من كل جانب، وضيقوا عليه الخناق خطب فيهم قائلاً:

«ويلكم أيها الناس، أتظنون أنكم بعد قتلي تتنعمون في دنياكم وتستظلون قصوركم، هيهات فعن قريب سيحاط بكم وتكونون أذل من فرام الأمة وسيسلط عليكم رجل ثقيف ليسقيكم كأساً مصبرة».

تالله، إنها كانت من الحسين حكمة بالغة، وقد أرانا الزمن مبلغ صدقها عياناً.

فلقد تتابعت الفتن على هذه الأمة، بعد مقتل الحسين. كل امرئ يمسك بالزمام ترى الناس يتبعونه ويخضعون إليه. لا ينظرون إلى هدفه ولا يكترثون بالأخلاق ...

فتناوب الطغاة والسفاكون إذن، جيلاً بعد جيل، يأخذون من هذه الأمة ضريبة الثأر على شكل غريب!

حتى لقد أصبحت هذه الأمة التي كانت أعز أمم الأرض قاطبة أذل أمة في العالم. أفليس من الجدير، بعد هذا، أن نحتفل بالحسين كل عام وكل شهر وكل يوم... وهذا مقتله قد كان ناقوس الخطر ونذير الهلال لهذه الأمة التي كانت من قبل خير أمة أخرجت للناس، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته[٤٠].

(٤٠) مجلة البيان -النجف-العدد-١١، ١٢، ١٣، ١٤- السنة الأولى- ١٩٤٧/ص٣٠٠.

ولاء ورجاء

بقلم: الدكتور إبراهيم سلامة

يا روح علي ياروح ابن أبي طالب، ياروح الإمام رفرفي فوق رؤوسنا في حنان وعطف، فإنما نقلب بين أيدينا أعز الأماني، ومستودع السر، وقرارة النفس ومتعة الحياة، ياروح علي، ياروح الإمام رفرفي فوق رؤوسنا بخفيف بليل من الفصاحة العلوية ونسيم رقراق من الفيض الإلهي، فإنما نرثي ريحانة النبي وقرة عينه وغصنه الرطيب الذي نبت في حجره، وسقاه فيضاً وحناناً من عطفه ورعايته، ياروح علي، ياروح الأمام اسكبي فوق رؤوسنا سيباً من سيبك الفياض الذي صهره الحق فكان صيباً فيه ظلمات ورعد وبرق على الطغاة والجبابرة، وكان برداً وسلاماً على نفوس تعرف الحق وتتبعه، والحق أحق أن يتبع فمن يرثي الحسين غير أبي الحسين، ومن يرثي من عز عليه أن يتوسد التراب، غير أبي تراب،ومن يرثي الدنيا بأسرها، سوى من طلق الدنيا بأسرها، إيثاراً للحق وإيثاراً للآخرة، والآخرة خير وأبقى، بل من يرحم من امتنع عليه الصديق والنصير غير إله هو نعم المولى ونعم النصير؟!

يا يوم علي طلعت بلا شمس، ويا يوم الحسين بزغت بلا ضياء، فلا كنت ولا كانت شمسك، ولا كنت ولا كان ضياؤك، قبضة من المسلمين لما يدخل الإيمان في قلوبهم، ولما تتشرب بعد خلايا نفوسهم فيض الإيمان قتلوا قائماً يصلي في المحراب، قتلوا نفساً تقول ربي الله، اغمدوا سيف الباطل في صدر من أسلمهم سيف الحق يحطمون به هياكل الزور والبهتان.

حاولوا انتزاع العلم من يد حامل العلم بعدما بردت وجمدت وكانت قبل قابضةً عليه تقطع أعناقهم وتجف أكبادهم دون الوصول إليه وأخيراً لم يسلم العلم إلاّ بعد أن علم أن سيكفن فيه، ولم يسلم الروح إلاّ في ساحة الجهاد بين يدي مطلبة ومطلبه الله والحق، عز عليه بين الناس فلينعم به بين يدي الله. ادخلوا السيف في غمده وكان مصلتاً، وعلى رقابهم بعد رقاب المشركين، فقد حارب الشرك، ثم حارب الضلال والمسافة بينهما قصيرة فقد أسلم من أسلم منهم فرقاً، وازدرد العقيدة ازدراداً من غير أن يستسيغها.

طووا العلم بايديهم الآثمة وكانوا في حاجة إليه لإعلاء كلمة الله، وظنوا أنهم طووه في سجل الأبديه ولكنهم ما عتموا أن فهموا أنهم طووا مجدهم بايديهم وأدرجوا أماني الأمة الإسلامية ورجاءها في الوحدة، فبقي الدين دعوة صاحب العلم واحتفظوا بعلمهم لأنفسهم أحمر قانياً لا نجم فيه ولا هلال فذلوا وطردوا وذاقوا وبال أمرهم وبعداً للقوم الظالمين. خنقوا دعوة الدين بأيديهم فثبت يدهم كما ثبت يد آبائهم من قبل، ووضعوا حبل المسد في جيد الأمة العربية الإسلامية وشدوها إلى هوة سحيقة تردت فيها وحاولت أن تقوم منها فعز عليها النهوض وما تزال تتعثر في إثم الجريمة جريمة التفرق وتمزيق الوحدة، فأحصى الله الظالمين عدداً ومزقهم بدداً فاصبحوا أحاديث:

﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً﴾ ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَّرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾.

وقد آثرت أنْ أقرأ الآية بقراءة أمَّرنا لانها بموضوعنا أملك نعم حقت الكلمة لا على ألآثمين وحدهم بل على الأمة الإسلامية التي تمزقت بعد أشلاء وفرقاً وأحزاباً بدداً ﴿كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾.

كوة من فيح جهنم فتحت واستدارت واتسعت خروقاً وأبواباً يؤرث ضرامها ولا تخبو نارها تلفح الوجوه وتشوهها حتى أصبح المسلمون فرقاً كل فرقة تطلب النجاة لنفسها وتلقي شواظ اللهب في وجوه غيرها ولا كلمة تجمعهم ولا رأي يربطهم ولا أمن يشملهم ولا طمأنينة يستقرون عندها.

أسلم الإمام الروح وأسلم لبنيه فلم يكن نصيبهم بأوفر حظاً من نصيبه، فقد رجع كثير من القوم إلى جاهلية ممقوتة، وبعد أن كانوا أشداء على الكفار رحماء بينهم أصبحوا أقوياء على أنفسهم وبأسهم بينهم.

شهد الحسين مصرع أبيه فرأى هوى مطاعاً، وشحاً متبعاً وإعجاب كل ذي رأي برأيه، رأى استطاله على حرم المسلمين وقد علمه جده أنّ

«كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه».

أثر ذلك في نفسه تأثيراً حزها وأرمضها ثم هاضه إلى مابه أن يجد دم أبيه قد أهدر وإنّ الذين ولغوا في الدم غسلوا أيديهم منه كما يغسل العابد المتبتل يديه بماء الوضوء ومدوها إلى الناس يطلبون الاستسلام والرضا فكفروا عن سيئات اجترحوها بسيئات أخرى ارتكبوها كما يتصدق اللص الفاجر بالمال المغصوب.

عزم الحسين، لا على المطالبة بالثأر، بل على إحقاق الحق ورد المسلمين إلى حظيرة الدين أوردّ من بيدهم الأمر إلى جماعة المسلمين.

رأى ظلماً يقر وعدلاً ينكر وعرباً في قصور الروم وروما في قصور العرب رأى مجالس الأمراء يجري فيها الشراب، وكانت مجالس الخلفاء تجري بالنصيحة والموعظة الحسنة رأى تكالباً على الدنيا واستخفافاً بالذمة والأمانة واستحقاقاً للنقمة والعدالة رأى ذمماً تشترى وأعراضاً تباع وديناً يعرض بأبخس الاثمان وديناً يتطاول فيها المتطاولون و يتكالب عليها المتكالبون.

جهر بالنصح فلم يسمع، وجأر بالدعوة فوجد الآذان قد وقرت، والقلوب قد ران عليها حجاب كثيف من الغفلة وعدم المبالاة، عميت الأبصار وعميت القلوب التي في الصدور، الظلم صارخ والعدل صارخ والظلم مسموع له والعدل مصروف عنه.

تردد أي الاساليب يسلك في الكلام، وأي الخطط يحفظ في الفعل، وجد أن لابد من صرخة مدوية ولكنه كان يعلم تمام العلم إن الصرخة ستغري به وماذا يهم داعي الحق أن يتقدم إلى الحق بنفسه إذا تقدم غيره بسيفه وهنا نرى شجاعة الحسين وإيثار الحسين وعقيدة الحسين فقدم والكل ينظر مصرعه، وهو نفسه يرى مصرعه تحت قدميه ولكن الدفعة التي اندفع بها كانت أعز عليه من حياته ومن نفسه، هنا تقابلت الحياة مع الحياة وتعأرضت الحياة مع الحياة واذن هذا موقف يستوي فيه الموت والحياة بل الحياة التي يحياها الأبي في الظلم موت بطئ والموت السريع الذي يعانيه الأبي حياة العزة والأنفه والخلود. الحياة في الذل رضى بالموت الذليل والموت في سبيل الحياة الشريفة يمهد لها. والدم الذي يسفك في سبيل حياة جديدة حرة يرسم خطوطها في جريانه وسيلانه إذن فلابد من العزمة الصادقة والإيثار الصادق الذي يموت فيه صاحبه ليضمن الحياة لمن وراءه من الأجيال القادمة.

لذلك طلب الحسين الحياة في الشهادة وسجل بموته الخلود لذكراه كما سجل الفناء على الظلم وعلى الظالمين. لحقهم عار أخذته وحيداً فريداً ليس أمامه ولده يدفعون عن أبيهم بأسلحة من الحب والمفاداة وليس وراءه إلاّ نساء ضاعت في معاملتهن قوة العرب في التعرض لهن ولا يملكن إلا مناديل يجففن بها المئاقي والأدماء زكية تصعد في جفونهن حسرات وعبرات، وأخيراً يسجل التاريخ أن الحسين وبنيه نالوا من أعدائهم مغلوبين أكثر مما نال منهم أعداؤهم غالبين، وإن قطرات الدم هدمت ما شيدته ظباة السيوف ويريد الله أن يكون في هذه القطرات من الحيوية ما جعلها تسبح بالثورة في جميع أطراف المملكة الإسلامية، أقسم المسلمون أمامها جهد أيمانهم أن

يلطخوا وجه الظلم حتى يحمر لا من النعيم ولا من الاحتقان ليظهر للناس بارزاً قوياً في مشهد مرعب مريب أقض على فلول الظلمة مضاجعهم، وأغرى بهم أعداءهم ولم يكن سيف السفاح إلا صوت العناية الإلهية يقعقع فوق أقضية الظلم والاستبداد وهكذا انتصر الحسين لا بقومه ولكن بقيامته، ولا بفتوته ولكن بيقينه، ولا بسيفه ولكن بدمه، ولا بخيله ورجله ولكن بعزمه وأمله ولا بعزوته ولا بقبيله، ولكن بدافع من دينه ولم يطل دمه ولكن أملى الله لاعدائه الذين.

﴿طَغَوْاْ فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُواْ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾.

شعلة من الشباب ذبالتها من نور الحق صب عليها الطغيان سيلاً جارفاً من القوة الغاشمة يحاولون إطفاءها وما دروا انهم.

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾.

قوة من الفتوة: قوة الدين، وفتوة الحق، عن يمين الحسين وعن يساره وقع الحسين بينهما فمات وبقي الدين وبقى الحق وكان فداءً لهما.

مطلب وعد ولكنه عزيز جاهد في سبيله بمقدار ما استشعر من أعباء فأنكر وما أنكر، بل سفه، وما سفه بل تصدى وما تصدى حتى توثب وما توثب حتى شرد وما شرد حتى عذب وما عذب وحده بل عذب من معه وسقطوا واحداً واحداً، فاستهان بحياته ومزقها جزءاً وجزءاً، وأخيراً المطلب سامٍ والثمن رخيص، فوهب لمطلبه كله حياته كلها وكذلك الشهادة وكذلك الوفاء.

إذن لم يمت الحسين لأنه كان شهيداً، والشهيد حي مرزوق عند ربه ولم يمت الحسين لانه كان مثلاً، والمثل حي وباقٍ يخبو مع الظلم ويضيء مع العدل ينخفض به غور من الباطل ويرفع به نجد من الحق، يستره السراب إذا عميت الأبصار وتسفر عنه

الحقيقة إذا طلبت.

لم يمت الحسين لأنه كان فكرة ومن طبع الفكرة السمو فلا ينالها أحد وإنما ينال الناس صاحبها، وتسمو الفكرة بعد موت صاحبها فتنتقل من روحه إلى روح أُمته وروح الفرد وروح الأمة من أمر ربي، باقية في بقائه خالدة في خلوده. لم يمت الحسين لأنه ما كان ليطلب ملكاً وما خرج إذ خرج ليبني قصراً أو ليقتني مالاً وإنما خرج بعقيدته وعقيدة سر أبيه ووديعة جده، وقبل ان ينالوا بسيوفهم تشهد، وفي تشهده سلّم الوديعة إلى إربابها. إذن كان الحسين شهيداً ومثلاً وفكرة وعقيدة والتراث الذي خلفه من نصيب المسلمين جميعاً. ومن واجب المسلمين جميعاً المحافظة على هذا التراث وأخص ما فيه المثالية والتضحية.

إنّ الأمم لا تحتفظ بالوقائع بل تحتفظ بالأفكار وإنّ التاريخ يعيد نفسه حقيقة ولكن لتلتزم منه الأمم موضع العبرة والموعظة فيه وإلاّ فهناك في كل الأمم تواريخ دامية لو أعادها بنفسها لكان انتحاراً متكرراً لها.

أيها المسلمون لا أحسب مشاركتنا لكم في هذا اليوم الذي يؤلمنا جميعاً، إلا كما قدرتموه بحسن ظنكم مشاركة من مصر في هذه العاطفة التي جرحت فجرحت المسلمين جميعاً ونحن نحتفل به في ديارنا ونشاركم في عواطف هذا اليوم ولكن مصر كانت في كل ظروفها واسعة الصدر تتقبل كل الأفكار وتوازن بينها وتخرج منها واحدة هي ضرورة العمل على وحدة الفكرة الدينية، ووحدة الفكرة القومية التي ننشدها جميعاً.

ولشيخ الكاظمية العلامة الشهرستاني يعمل على هذه الفكرة باشتراكنا جميعاً في صعيد واحد وكل ما نصبوا إليه أن تكون هذه المجامع من مواسمنا التي نعمل فيها على جمع الشمل ورأب الصدع والرجوع إلى قول الله:

﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾.

تلك أيها السادة كلمة مسلمة من بلدة مسلمة عملت ولا تزال تعمل لخدمة الإسلام والمسلمين. مصر أيها السادة التي لا تنسى تاريخها بل تعتز بكل حلقة من حلقاته، لا تنسى أثر الفاطميين فيها وما أحدثوا من أفكار وما اختطوا من خطط في سبيل الثقافة والتعليم، وما تزال مصر مدينة للأزهر وللفاطميين تعمل بتلك الروح وتخدم بها الإسلام والمسلمين في غير تعصب لرأي ولا انحياز إلى ناحية فيه بل عرف الأزهر في جميع عصوره وعرفت مصر معه بأنها تتقبل الآراء كلّما وتخدم وجهات النظر كلّما خدمة علمية تستهدي في تحقيق أهدافها بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين. ولن يضل المسلمون ما تمسكوا بهما وإنما يضلون ويذلون بالفرقة والتباغض والتمزق والتباعد، أيها الناس إننا في زمن يأكل الذئب فيه من الغنم القاصية فلموا شعثكم وأجمعوا شملكم، ووحدوا وحدتكم ووجهتكم والله معكم مادمتم تجتمعون على الله، وفي نصرة سبيل الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته[٤١].

---

(٤١) مجلة الغري -النجف- العدد -٩، ١٠، ١١- السنة الخامسة -١٩٤٤/ص٨١٥.

ثورة الحُسين

بقلم: الدكتور عز الدين آل ياسين

لم تكن حركة الحسين بدعاً من الحركات الثورية الإصلاحية التي تبدأ أول ما تبدأ شرارة صغيرة بين أخباء النفس ثم تندلع حماها ويستشري أوارها، فإذا هي عزيمة ماضية لا تنكفئ وبركان منفجر لا ينطفئ، وإذا نحن أخذنا حركة الحسين من طرفها الأول وجدناها تبدأ من يوم أخذ الحق في ظل محمد يصطرع مع الباطل في ظل أبي سفيان، واستطاع الحق بعد جهاد عنيف، وصبر جميل، أن يقلم أظفار الباطل ويحصد شوكة الشرك، ويدفع كلمة الله عالية داوية.

ثم جاء نصر الله والفتح، فلم يجد أبو سفيان ولا ابنه معاوية، ولا غيرهما من ساسة الكفر يومئذ، بداً من أن ينضووا إلى راية محمد راية الحق والهدى طلقاء راغمين.

واتسع الدين لظاهر إسلامهم، وقد القوا السلم فحيل بينهم وبين أن يضعوا لنفوسهم المبترمة بالإسلام الموتورة له المنطوية على حربه المتربصة برجاله وحزبه، حتى اذا افلت دولة خلافة الثلاثة بالغروب ونيط أمر المسلمين بابن عم النبي وزوج ابنته البتول علي بن أبي طالب عليه السلام وبرز معاوية يستأنف حياته الأولى من جديد خارجاً على إمامه، ونشط لمطاولته ونضاله، واستجاب في موقفه منه لهذه الثؤر الساغبة والضغائن الموروثة والأدواء الدفينة التي أملت عليه أشتاتاً من المحاولات والمصاولات،

اجترحها في شيء كثير من القمة ولحق علي بابن عمه النبي، فذهب إلى بارئه ميمون النقيبه تقي الأزار، وخلا الجو لمعاوية فمني منه جمهور المسلمين والأخيار من صلحاء الصحابة والتابعين بفتنة عسيرة، ومحنة مريرة، واستدرج جماعات من الرعاع والأشرار بسيل منهمر من الدرهم والدينار، فاطلقت الألسنة بسب أبي تراب وحسن وحسين، وأخذ الابرار من شيعتهم بجنود من عسل وأصفاد من حديد.

وكان معاوية يعلم أن يزيد ليس من كفايات الخلافة العامة في شيء فأثر أن يستعجل ترشيحه لولاية الأمر من بعده في حياته ويفرض سلطانه على الناس من حيث يرضون أو لا يرضون وماذا يحول دون هذا وقد غدر بالحسن الزكي غدرته المنكرة وفي بلاطه هذه العصابة الظنينة من صنائع أمية وفلول الإسلام، الذين أشتروا الضلالة بالهدى:

﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَـٰرَتُهُمْ﴾.

قال المغيرة بن شعبه حين أشار على معاوية بالإسراع في استخلاف ابنه يزيد وتم الإتفاق بينهما على ذلك.. وضعت رجل معاوية في غرز غي لا يزال فيه إلى يوم القيامة. ونعي معاوية إلى المسلمين فتولى قيادة السفينة ابنه يزيد وهو من طراز جديد، قد طبعته بيئته وتربيته على شمائل ينبو بها الخلق، ويصطدم بها الدين ويضيق بها صدره الرحيب.

وها هو ذا مقبل على دنياه صائم عن الحق حائد عن السنن منصرف إلى صبواته منصاع إلى شهواته، وهذا بيت مال المسلمين تنصب فيه أموال الجباية والخراج والجزية فيشرق بالصفراء والبيضاء يسعى إليه من كل فج وحدب فلينفق إذن عن سعة في تلبية مجانته وإشباع غروره ويمكن الأمر لنفسه واستتب له الملك واصطنع طائفة من الناس بالجاه والمنصب والمال وأخذ جمهور المسلمين بالعنت والقوة، فدانوا له مكرهين إلاّ نفراً

من سادات قريش امسكوا عن بيعته مترفعين وهم قبلة الناس وممثلوهم في الرأي والشعور، منهم سعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن أبي بكر، وجماعة آخرون على رأسهم الحسين بن علي، ففيم التربص بهؤلاء والسلطة مؤاتية والجند مطيع والدين لعق على الألسنة، والمسلمون قد غشيهم الغدر فلا قيامة لهم بعد اليوم.

هذا الذي دفع يزيد أن يتجاوز قدره ويخرج على وصية أبيه فيبدأ بالحسين ليأمن السرب بعده، وينام هادئ النفس قرير العين، وكان الحسين عليه السلام قد طفح بالثورة على سياسة معاوية حيال أبيه وأخيه وحيال المسلمين عامة فلم يكن يسيراً عليه أن يرى عفاة المال من أشباه الرجال، يتجنون على دين جده ابتداعاً واختراعاً ويتطاولون على مقام أبيه سباً وطعناً ثم يرى جنازة أخيه الشهيد تمنع من زيارة جده فيسكت على مضض مستجماً مستعداً للثورة فيفاجأ بكتاب الخليفة إلى عامله يأمره أن يهدد الحسين ليمد له بالبيعة يداً صاغرة قد زعزعها الجبن وأرعشها الوعيد، وكفكف من قوتها صرامة السلطان المستظهر بالسلاح والعتاد. ولكن مثله في ذلك مثل من يضرب في حديد بارد أو يرقم على الماء أو ينفخ في رماد، وما بالحسين حرص على حياة يحياها ذليل النفس ماوي الجيد في ظل أمية وفي أسر يزيد، وكيف يحلو له كأس الحياة مرنقة بالذلة مشوبة بالصغار ملوثة بالعار والنار، يأبى الله له ذلك ونفس بين جنبيه تخفق بالإيمان الصادق وتنبضها بعزه المضاء والعزيمة وأنف يسمو على أشياء هذه الحياة بالشمم والانفة والكرامة. أيضن بحياته حرصاً على أيام معدودة؟ هو منها في سجن مرهق وعذاب شديد؟ تاركاً دين الله كرة يلعب بها طاغية بني أمية كيف شاء وكيف هذا وقد تعب هو وأبوه وجده وأسرته في بناء هذا الدين وإقامة دعائمه حتى بلغ أشده واستوى على ساق أليس هو من هذه المدرسة المباركة التي نشأ الدين وترعرع في أحضانها وربى وتعوهد بعينها وسقي وغذي من لبانها واستقام ونهض باسلات سيوفها

وأسنة رماحها.. هو ابن علي وسليل البتول وسبط النبي وريحانته وجلده ما بين عينيه ووارث علمه وهو منهم وهم منه طينة طابت وحجور طهرت ونبات زكا وآتى أكله طيباً مباركاً.

هذا علي أبوه مابرح يصاول أعداء الله ورسوله بساعده المفتول، وصارمه المصقول، ويشري نفسه للإسلام كراراً لا يفر، مقداماً لا يحجم ضرغاماً لا يهاب، فما عجب أن ينهض في الحسين روح أبيه وهو يرى دست النبوة، وكرسي الإمامة، يستاثر به فاجر متجاهر حرب على الدين ورجاله عدو للنبي والصفوة من صحبه وآله يحسب وقد صفا له الملك واستوسق له السلطان أنه قادر أن يهدم ما بنى محمد من دين ويطفئ ما اسبغه الدين من نور وهيهات له ذلك و يأبى الله الا أن يتم نوره.

أي خليفة لرسول الله، هذا الذي يملأ ماضيه بأبيات ابن الزبعرى ثم يضيف اليها:

لعبت هاشم بالملك فلا ... خبر جاء ولا وحي نزل

لست من خندف إن لم انتقم ... من بني أحمد ما كان فعل

أي خليفة لرسول الله هذا الذي يغزو حرم الله ورسوله فلا يأخذه فيها إلاّ ولا ذمة، ويأت البوائق والمنكرات ويبيح الأعراض وينهك الحرمات فلا يصده عن ذلك دين ولا حرمة، ثم يتأمر بالدين والأمة فيأمر الجيش العربي بمغادرة البلاد اليونانية. في مقابل مبالغ من المال كماروى جماعة من المؤرخين.. ويستدرج الشعراء لهجاء أنصار رسول الله فيتاثمون فيلجأ إلى شاعر نصراني يستجيب له فيقذع في هجو الأنصار أقذاعاً منكراً يستمده من حنقه على الإسلام والمسلمين فيرتاح لشعره يزيد ويجزل له الثواب ويستكثر في بطانته الخاصة من هؤلاء النصارى الذين يمتون إليه بسبب الخؤلة، وهو مع ذلك إمام المسلمين وخليفة رسولهم.

أهذا خليفة يصح أن تذل له أعناق المسلمين فيتركوا حبله على غاربه ويقروه على غلوائه ويمدون له مستسلمين في طغيانه وكبريائه وأين إذن قوله الله:

﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾.

وأين قول رسول الله:

(كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته).

إذن فلم يخرج الحسين على إمام زمانه يلتمس الملك ويطمع في الجاه ويطمح إلى الزعامة كما يزعم أناس قالوا: إن حسيناً قتل بسيف جده. كبرت كلمة تخرج من أفواههم إنما خرج الحسين على الباطل المزهق والشر المجند ليثأر للدين المجفو والحق، فجلجل بصرخته المدوّية بين عجيج الباطل ليدرأ عن أمة محمد وأتباع محمد ذلاً كما يلحق بهم، ويأتي عليهم من حيث يشعرون أو لا يشعرون، وهكذا نزل للدين عن نفسه وأهله وصحبه راضياً مختاراً، وقد علم أن ولاية يزيد بتربيته تلك وأخلاقه هذه نذير بالشر المستطير للدين وكتابه وتعاليمه وسنته وهو بعد عالم أنه لا يكفر لتحقيق الخلافة المشروعة ان تمتد بالمبايعة لولي العهد أو للخليفة. أيد مأجورة من البطانة والحاشية والأتباع، ففيم الخنوع والرضا بالهون والطريق إلى الشهادة ممهد لاحب فليخضب بدمه الطاهر، ودماء عترته الميامين أرض كربلاء ليلقي على المصلحين في كل زمان وفي كل مكان درساً بليغاً في التضحية والفداء ولو علم قاتلوه والممثلون به أنهم سيحيون بفعلتهم النكراء ذكراه السامية تدوي في ثنايا الأجيال وترن في مسمع الزمان، وتتصدر سجل الخالدين لما فعلوا ... ولكنه الحق يعلو ولا يعلى عليه[٤٢].

---

(٤٢) مجلة الغري -النجف- العدد-٩، ١٠، ١١- السنة الخامسة- ١٩٤٤/ص٨٢٦.

في ذكرى عاشوراء

بقلم: الأستاذ الدكتور إنطوان كرم

أستاذ الأدب الحديث في الجامعة الأمريكية وعميد كلية الآداب اللبنانية

«**إنما الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا**».

ألا فليتبارك الموت الذي هو اليقظة الكبرى أو ليتبارك لأنه سبيل الحياة التي لاحد لها.

وإذا كان الموت سبيل الحياة، فإننا لم نحتفل ذكرى، ولا استرجاع حداد على فواجع مصرع، وإنما نحتفل بالحياة التي انبثقت من الموت وبالبداية التي انطلقت من النهاية، لتنمو بوجود مكثف مستديم.

تتجسد الفكرة إنساناً، ويزول الإنسان، وتعظم الفكرة بزواله، كأنها لم تتجمد إلاّ بموته أو كأنها كانت في ارتقاب خروجه من حدود المكان، وعبودية الزمان، لتكسر قيد المكان والزمان وتخرج من الشكل الواحد لتكتسي الواحد في انعطافها العرف الاشكال.

فمن الإمام الأول، كرم الله وجهه، إلى العاشر من محرم، في السنة الهجرية الستين مرحلة تنتهي في التاريخ ليبدأ بها التأريخ وينتهي الإنسان لتحيا الفكرة. فتورق أغصانه وتتفرع، وتعمق جذورها وتترسخ، لتصبح شجرة حضارية قائمة بذاتها.

حتى إذا بلغت الفكرة منتهى مجالات البعاد، عادت، فأبدعت صاحبها إبداعاً جديداً وغدت رمزاً قدسياً، وهالة من جلال.

ولئن كان الوجود الحق مرهوناً بمدى الإسهام الذي نسهمه في عمارة الحضارة، فحسبك أن يسقط من حصيلة التراث العربي ما أسهم به أعلام الشيعة، ليهوى جناح عظيم من هذا البناء العتيد.

ولئن كان التاريخ تعبيراً عن مرافق النشاط البشري في أعلى عطائه، فانظر كيف تعددت المرافق، وتجمهرت فنون النشاط، وتلقح فيها السامي بالآري ليرتقي التراث إلى مستواه الإنساني الأشعل.

فاطلب الفكر بذلك ما كان من طبيعة العقل عندهم، يعدى من المجمل ليستقصي التفاصيل ويتبع الظلال المكنونة وراء التفاصيل: بالمنطق حيناً، والتأمل الروحي حيناً والعلوم الموضوعية حيناً آخر. حتى تدرك الأصول بالاجتهاد المؤول ويستوي التأمل مستوياً بالفنوسطية، خصيباً بالتصوف، مرتقباً إلى النور العلوي الشعشعاني من جوهر الإنسان الكامل أو يغوص على أسرار الطاقة الروحية في الإنسان، فيعلل أسباب الوصال بين الراهن المتناهي، والغيبي اللامتناهي. يستفسر الأمانة والعصمة، ويفك اللغز من التخيير والتسيير، ما قدر للعقل أن يقلب معاني الغيب. ثم ترى هذا العقل نفسه يصهر المعارف الإنسانية كيفما وقعت له، وبمنزعه الموسوعي، يحدد منطلق الفلسفة في الأعلام، ويستوفي بناءها، فشق من في العقيدة راسخ، وشق في المنطق الصارم فتتفتح القضايا مع الكندي، ويتكون النظام مع الفارابي، ويكمل ابن سينا نهايات التحديد، والمعجم الفلسفي، ومسألة الأزلية، وماهية النفس، أو قل هو التصوف يخلع عنه أثقال المادة، ويجاوز المتطور في غبطة السكرات الروحية، مشاهدة واتصالاً وفناء. ثم يشد هذا الحلم السعيد إلى قوالب العقل ليصبح العقل بذاته مدرجة للتأمل والانخطاف، ويتلهى في تصيد المجردات، ويثب من الطبيعة إلى ما وراء الطبيعة.

أو ترى هذا العقل يرتد عندهم إلى العلوم الموضوعية، فيستهلك ما استجمعت جهود المترجمين، ويبدأ من حيث انتهى الأقدمون في الطب والكيمياء. في الرياضيات والعلوم الطبيعية. ويضيف إلى التراث المخزون، خلاصة ما أسهم به جابر بن حيان، والخوارزمي والرازي والبيروني.

وليس يستهويك ما ترك الأول من مستحضرات ومحلولات، ومعادلة ما في الاجساد من طبائع. ولا خلف الثاني الحلول، والأرقام، والجبر والمقابلة، والأزياج الفلكية وتجديد جغرافية بطليموس، ولا أن يكون الثالث سيد من أسياد العقل وضجة في الطب القديم، ولا أن يكون الرابع قد وضع قاعدة لقياس محيط الأرض وحسب الوزن النوعي، وزن الجسم في الهواء والماء وضغط السوائل وتوازنها، قد لا يستلفتك هذا كله لأنه أضحى من أوليات المعارف العلمية المعاصرة، وإنما يستهويك هذا الموقف العلمي الخلقي الركين الذي وقفوه من تحصيل المعرفة، ودرك الحق حيث سلط العقل على الهوى، فذلك الهوى لتسلم الحجة، ويؤتمن الحديد، وحيث يسلخ البيروني أربعين سنة من عمره في أرض الهند تكريساً للحقيقة التي ينشد ثم ينقض كل حقيقة لم تصمد بالاختبار والتجربة، إلى أن تكون التجربة أساس المعرفة العلمية. وإن شئت ديوان العرب، طالعتك من شعرائهم جمهرة، خيل معها إليك، ان أرض الغنائية عند العرب قد ارتحب بهم على التدرج، حتى وسع الإنشاد الكون. يقل معه شظف الصحراء في شعر الفرزدق، فإذا طيبته نفحات من آل البيت شف، فرق ولان وتداخل ديباجة العز المرتقب مع السيد الحميري، يخالطه حزن وأنكسار، ويترصن حيناً مع أبي نؤاس فيتحدى الجاهلية أم البلاغة، ويستهتر أحياناً حتى يستوقف الخفايا عن لذائذه المركبة ويذوب الحضارة في الضاد بما حملت من خلاصات المعادلة الذهنية على تمرد بلغ التحكم، وفاجع أقفل فارتد لهواً، وشك بنا فاستسلم للتوبة.

وفي عدادهم أبو تمام يثقل الشعر برجحان الاستعارة الفلسفية، على أبهة الخلق

الوعر، واختراع طلب النادر الأكمل، فأسرف حتى تيتم. ولهم رواء السلسبيل من غير البحتري، يستقر لديه عمود الشعر.

ثم تزف ربة الشعر أبا الطيب المتنبي، فيتعطر في قارورته إكسير من سبق ويجتني لها نضج الفلسفة الأرسطية، والمرارة الميتافيزيقية من أشواق الإسماعيلية وصبغ المتصوفة، ويتحول الفكر إلى قضايا وجود، والقضايا إلى هبوط عاطفي، على ما في العاطفة من عتو، وفي الغرطوسة من عطش إلى المستحيل، وفي الإنسان سبقته ذاته، فكلما ادركها شاءها في شوط أجد، علوة أبعد، لتكون الحياة برمتها استباقاً يكون الموت من مظاهره.

وفيهم أبو العلاء المعري يرتد فيه البصر لينشق بصائر، والعقل نور باحث في متاهة المجهول. يستكن أو يقترض، يستضيء فيقبل، ولا يقر فيدحض، ما أن يستوقف اليقين حتى يرجرجه الشك، ويعصف به القلق المر، تحت حكم القدر الذي لا يتزعزع ومن عبث اللغويين إلى مغيبات ابن الفارج، وقد انطوى في الجرم الصغير العالم الأكبر.

وان شئت كان لك ما نزعوا إليه من تطور في مفاهيم السياسة، ومن تشوق إلى الإصلاح في شؤون الاجتماع البشري.

أليس يسعدك أن تكون القيم على هذه المؤسسة الكريمة، فيهم أيضاً؟ ندى النفس جبل على معاني الخير مزاجه، وأنزنت بالخلق السامي خطاه. يدرك حزورة المعلم فيلبيها ويبصر بتقدم العصر التقني فيندفع في مضمار السبق، ويحول وجوده كإنسان قضية مصلحة سعيدة، تكرس الهمة الشماء من الصالح الأمم، تحارب الشر بالمعرفة، وتقاوم العوز القاتم بضياء العلم المسوق إلى الخير الأفضل.

ألا فتبارك اليقظة الكبرى، وليتبارك الحسين الذي هو حياة لا تحد[٤٣].

---

(٤٣) مجلة الإيمان -النجف- العدد-٩، ١٠- السنة الأولى- ١٩٦٤/ ص٥.

عاشوراء - بين المد والجزر

بقلم: السيد هادي الفياض

عميد كلية الفقه - رئيس تحرير مجلة النجف

في الجاهلية

عاشوراء يوم في ذاته من سادة الأيام إذا كان في الأيام سادة وعبيد نعم هو من الأيام في القسم المرتفعة ذات الرموز المتضمنة معاني تشبه أن تكون مثل بعض المعاني التي ترفع رجلاً على رجل في قيمة من القيم الخلقية أو العملية.

وفي الجاهلية قبل الإسلام كانت له ميزة ليست على الأيام المتواضعة فقط بل كانت له ميزة على شوامخ الأيام على هذه الأيام النبيلة التي كانت تمتعهم بالأمن والراحة والدعة والطمأنينة كانت له ميزة حتى على الأشهر الحرم- رجب وذي القعدة وذي الحجة والمحرم- وكانت ميزته – من جهة لغوية- إن امتاز هذا الأسم وغلب على كل عاشر من كل شهر فإذا اطلق لفظة (عاشوراء) مثل في الذهن هذا اليوم وحده دون غيره.

ولم تأت هذه الميزة اللفظية عبثاً وإنما جاءت من ميزة معنوية كانت هي التي رشحته لهذا الامتياز وهي التي جعلته موعداً لصيام قريش، وليس لقريش أن تميز يوماً

بعبادة ما عبثاً أيضاً؛ لأن قريشاً كانت ذات فكرة وكان قادها يتحنتون ويمتازون بروحية أخضعت لهم رقاب العرب.

إذن فقد كان هذا اليوم ممتازاً في الجاهلية وكان رمضانهم يصومونه ويخلون فيه من دنياهم الكافرة إلى عقيدة يلغون فيها الحزازات والحقد والتطلع إلى الدماء.

في الإسلام

وقد أدرك النبي صلى الله عليه وآله وسلم (عاشوراء) في قدسيتها وصيامها ثم أقر صيام عاشوراء في الإسلام حتى كان (رمضان) فنسخ رمضان صيام عاشوراء وعاد صومه بعد ذلك نافلة يأتيها من شاء مختاراً الصيام وعدمه.

في العهد الأموي

ومضى بعد ذلك محترماً على هذا النحو حتى استباحته السياسة الأموية واستحلت منه ما حرمه حتى الجاهلية وبالغت في الإعتداء عليه بإعتدائها على رجل كالحسين في مكانه في نفسه وبيته وسيادته وموضعه الاجتماعي الفريد.

وأغرب ما في هذه السياسة أنها أرادت أن تستر فعلتها الشنعاء وتروج لخطتها فراحت توعز إلى دعاتها ومأجوريها أن تضع الأحاديث داعية إلى السرور والاكتحال والتطيب والتزين بأجد الثياب وأثمنها ذراً للرماد في العيون وتغطية لأثار الجريمة من ناحية وتدعيمها لملكها من ناحية أخرى.

وكان أول من جود تطبيق هذه الدعاية الحجاج بن يوسف الثقفي في عهد عبد الملك بن مروان وكادت هذه السياسة تنجح اذا تجفل الرأي الشامي الساذج الجاهل عن أهل البيت وتجنبوا حتى التسمية بأسمي الحسن والحسين إلاّ لمكروه يرونه لهذين الاسمين ولكن الحق أول الحقيقة من أمر أهل البيت حتى رمي لذلك الوسط الساذج.

أيام العباسيين

وفي العهود العباسية الأولى كان هذا اليوم مسكوتاً عنه لأن التحرش به بسرور أو بحزن لا يلائم السياسة العباسية ذات الحدين ومعلوم إنها كانت تعادي العلوية والأموية معاً.

ولكن العهد البويهي في نصف القرن الرابع الهجري تقريباً حرر هذا اليوم فأندفع كما ينبغي له حزيناً يكسو بغداد والعراق كله وخراسان وما وراء النهر والدنيا كلها يكسو كل ذلك سواداً ويخرج الناس كأتم ما تخرج الفجيعة الحية اهلها الثاكلين وها هو ذا التين تذره الأيدي والرماد يعفر الرؤوس وهي ذي الأسواق مقفلة والأضاحي مبذولة يطعم منها الناس وهاهي المواكب تسد الأفق وتسيل بها الشوارع صائحة نائحة وتلحق بالعهد البويهي العهود الحمدانية في حلب والموصل وما ولاهما.

العهود الفاطمية

وغني عن البيان أن الفاطميين كانوا يماسون في ذلك آل بويه، فمصر حيث يمتد ملكها في أيامهم كانت تخضع في يوم عاشوراء للمراسيم التي تخضع لها بغداد وكان الخلفاء ووزراؤهم وقضاتهم يخرجون في المآتم حسب أصول مبسطة، لولا ضيق العدد لما اختصرنا ولكنها على الإجمال تشبه شبهاً كبيراً ما نراه الآن من الشعائر التي تجري في العراق وإيران والهند.

في العهد الأيوبي

أما صلاح الأيوبي فقد أحيا سنة عبد الملك واستوحى السياسة الأموية في لقاء هذا اليوم بالأفراح والطيبات ولما تغلب على مصر محا التقاليد الفاطمية في هذا اليوم ونقل إليها ما تعوده من ذلك وما إليه بحكم ترتيبه وهواه فنهى عن البكاء وعاقب عليه.

فلسفة هذه المظاهر

أما الشعائر الحسينية على نحوها التاريخي كانت كما هي واجبة في تلك العهود لأن مظاهرها كانت هي التعبير الذي تفهمه تلك العصور فيما ترمي إليه من خدمة الحق وإعلان الحقيقة ولكنها كائن حي – من غير شك- قابل للارتقاء والتطور وبحكم ذلك فهي بشكلها ذاك غير قابلة لمخاطبة الأفهام في هذا العصر لذلك كان من الواجب التحول عنها والارتقاء بها إلى ما يفهمه الناس اليوم وإلى ما يماشي الوعي الحاضر[٤٤].

(٤٤) مجلة النجف -النجف- العدد- ٣٦- السنة الرابعة- ١٩٦٢/ص١.

في ذكرى الحسين (عليه السلام)

بقلم: الدكتور مجيد عبد الحميد ناجي

مولاي أمير المؤمنين:

هذه كلية الفقه في مدينتك - مدينة النجف الأشرف- وأولاءهم أساتذها، وطلابها، حاملوا مشعل الهداية والنور، السائرون على نهجك المهتدون بهديك. جاؤوك أبا الحسن بقلوب دامية، وعيون باكية. فقد أكلم فؤادك ما حل بشبلك، سبط النبوة، حسين الرسالة، ريحانة المصطفى ولدك الحسين الشهيد في أرض الشهادة، أرض كربلاء، حيث قدم نفسه الزكية الطاهرة والصفوة الطيبة من آله الميامين وصحبه البررة أضاحي من أجل أن تقوم للإسلام دعائم وتخفق للحق رايات.

أجل جاؤوك أبا الحسن ليقولوا لك يا سيدي عظم الله لك الأجر، بمصاب المسلمين بحسين النبوة، وليشهدوا الله على أنفسهم أنهم لا يهتدون إلاّ بهديك ولا ينهجون إلاّ نهجك، وإن الرسالة التي ضحى من أجلها حسين الشهامة ستعيش في قلوبهم وتجري في عروقهم.

سيدي أبا الحسن.

إنه اليوم التاسع من محرم وكأني الآن بحسين البطولة في مخيمه وقد أحاط به أهل بيته وأصحابه إحاطة النجوم بالقمر وقد وقف فيهم خطيباً قائلاً لهم أنه مقتول في

صباح يوم غد لا محالة، فمن أراد منهم النجاة بنفسه فليتخذ الليل جملاً وهو حل من بيعتي، وإذا بهم يجيبونه بصوت ملئه الإيمان والفداء «إننا لا نخذلك كما خذلت اليهود موسى عليه السلام حينما قالت له اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون، بل نقول لك، قاتل فإنا معك مقاتلون» ويقولون له «لو قتلنا وحرقنا وذريت أجسادنا في الهواء ثم بعثنا مرة أخرى يفعل بنا هكذا سبعين مرة ما تركناك كيف وهي قتلة واحدة». فيدعو الحسين عليه السلام لهم ويباركهم، ويريهم منازلهم في الجنة مع الأنبياء والصديقين حيث الشرف كل الشرف، والعباس ليث بني نزار يخط الأرض بسيفه، يتطلع إلى غده، ليذيق المنافقين حد حسامه، ويجاهد في الله حق جهاده. وما هي إلاّ سويعات حتى يتمخض الليل عن فجر يوم فيه:

عثر الدهر ويرجو أن يقالا ... تربت كفك من راج محالا

وذلك يا سيدي:

غداة أبو السجاد جاء يقودها ... اجادل للهيجاء يحملن انسرا

عليها من الفتيان كل ابن نثرة ... يظن قتير الدرع وشياً محبرا

أشم اذا ما افتض للحرب عذرة ... تنشق من إعطافها النقع عنبرا

من الطاعني صدر الكتيبة في الوغى ... إذا الصف منها من حديد توقرا

فان يمس مغبر الجبين فطالما ... ضحى الحرب في وجه الكتيبة غبرا

وإن يقضِ ظمآناً تفطر قلبه ... فقد راع قلب الموت حتى تفطرا

نعم خرج أبو السجاد ومعه الصفوة من آل بيت النبوة والأبرار من الصحابة والتابعين ليقابلوا جيشاً للشرك والضلال ظن مرسلوه أنهم على محو الإسلام لقادرون وما دروا أن الدماء الزكية الطاهرة التي تشرفت أرض كربلاء باحتضانها إنما هي أقباس

أضاءت معالم الهداية والنور. وخيل إليهم أنهم سيقتلون الحسين عليه السلام وينتقمون بقتله وسبي عياله من جده وأبيه عن قتلاهم يوم بدر، ولكنهم خسئوا فالإسلام خالد والحسين حي.

لئن أكلت هندية البيض شلوه	فلحم كريم القوم طعم المهند
وإن لم يشاهد قتله غير سيفه	فذاك أخوه الصدق في كل مشهد
كريم به شم الدنية آنفه	فأشممه شوك الوشيج المسدد
وقال قفي يانفس وقفة وارد	حياض الردى لا وقفت المتردد
رأى أن ظهر الذل أخشن مركباً	من الموت حيث الموت منه بمرصد
فآثر أن يسعى إلى جمرة الوغى	برجل ولا يعطي المقادة عن يد

مولاي الحسين لله أنت، ما أعظم تضحيتك، وما أكرم نفسك، وما أشد إباءك، وما أصبر قلبك، وما أربط جأشك، عز عليك أن ترى الأوغاد على عروش المسلمين يسومونهم سوء الهوان، يعطلون حدود الله ويشيعون الفاحشة، فخرجت إليهم لا أشراً ولا بطراً وإنما أردت الإصلاح في أمة جدك.

أرادوك أن تعطي المقادة عن يد، وتغض الطرف عن باطلهم، ولكنك أبيت إلاّ أن تعيش أبياً أو تقتل كريماً وإلاّ أن تزيل من باطلهم دعائمه.

لله أنت ياسيدي: ماذا نقول عنك، أنقول عنك إنك صاحب الجود والكرم لأنك بذلت الماء للقوم وتعلم أنهم سيمنعونك، أنقول عنك إنك أبو الثوار لأنك القائل لا أرى الموت إلاّ سعادة والحياة مع الظالمين إلاّ برماً، أنقول عنك إنك أبو التضحية والفداء لأنك قدمت نفسك وآلك وأصحابك قرابين على مذابح الشهادة والكرامة. نعم سنقول كل ذلك ونقول إنك الحسين بن علي، وكفى بذلك فخراً.

سيدي حسين المرتضى: ما الذي حاربته أمية فيك..! لأنك ريحانة المصطفى وسيد شباب أهل الجنة، ألأن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال فيك:

(حسين مني وأنا من حسين)؟

ألأنك بن علي الذي لولا سيفه وبضع أسياف معه لما قامت للإسلام دعائم؟

أجل ياسيدي: إنهم حاربوك ولكنهم يعلمون إنك ريحانة المصطفى وقاتلوك ويعلمون إنك على حق وهم على باطل، وجعلوا من جسدك الطاهر جسراً لخيولهم ويعلمون إنك إنما أردت إسعادهم وتحريرهم من عبودية أنكروها في قرارة نفوسهم وارتضوها في واقعهم وسلوكهم، احرقوا مخيماتك على من فيها ويعلمون إن من فيها عقائل النبوة، وسلالة الرسالة. نعم إنهم قاتلوك ويعلمون إنهم إنما يقاتلون رسول الله بشخصك فويل لهم لما سولت لهم نفوسهم، ويا ويح قلبي أي نوع من البشر هم، ولكنها شيمة الجبناء والمنافقين في كل زمان ومكان، إنهم يخذلون الحق وينصرون الباطل، يناصرون الظالم ما دام قوياً، فإن ضعف تفرقوا من حوله وانقلبوا عليه وحاربوه أكثر من أعدائه، وقد تراهم يماشون الحق وذلك ما دام الحق يحقق مصالحهم فإن اصطدم بها حاربوه، وقد وصفتهم سيدي، فما أجمل وصفك حينما قلت:

(الناس عبيد الدنيا والدين لعق على السنتهم يحوطونه ما درت معايشهم فإذا محصوا بالبلاء قل الديانون).

فخلدت يا سيدي وماتوا، وفزت وفشلوا.

فسلام عليك يوم ولدت ويوم تموت ويوم تبعث حياً(٤٥).

---

(٤٥) مجلة النجف –النجف– العدد –٢– السنة الأولى– ١٩٦٦/ص٧٧.

الحسين في التاريخ

بقلم: الدكتور محمد مصطفى زيادة

أستاذ التاريخ- كلية الآداب جامعة فؤاد الأول - مصر-

أيها الجمع الكريم، والله سبحانه وتعالى في سمائه، والناس في أقطار الشرق والغرب، والتاريخ في الكتب العربية والأجنبية، والعقول في رؤوس أصحابها – كل ذلك يشهد لكم بهذه الصفة التي اتصف بها القرآن الكريم، والنبي الكريم. تلك الشهادة لكم ترجع إلى تخليدكم مصرع الحسين، وإلى إحيائكم للمبادئ السامية التي خرجت مرفوعة الرأس يوم كربلاء والطفوف. إني تعلمت من التاريخ أن الحق يعلو دائماً ولا يُعلى عليه أبداً، والفكرة الطيبة لا تموت ولا تزهق بل تبقى حية سواء خفيت تحت ضغط غاشم، أو أزهقت تحت استبداد طارئ، والدولة الأموية، كذلك العباسية، وكذلك العثمانية عملت كلها على إخماد فكرة تمجيد الحسين، وإحياء ذكرى مصرعه الأسيف. ومع هذا كله بقيت الفكرة لما فيها من الحق، وما فيها من معان رفيعة، وها أنتم بجمعكم هذا الكريم تبرهنون على ما أقول في وصفكم، وفي وصف مصرع الحسين وقد شهدت بعض ليالي العزاء فأمتلأت إعجاباً بمحافظتكم على تلك المعاني الرفيعة.

إن الحسين لم يقم قومته الخالدة في سبيل منفعة، ولم ينتقل من المدينة إلى مكة في سبيل بيعة والسلام. ولم يقصد العراق حباً في شهرة، ولم يرفض البيعة ليزيد جرياً وراء

مصلحة ذاتية عاجلة أو آجلة. لو كان الأمر كذلك لبقي الحسين بمكة مثلاً سنة ستين للهجرة، ولشهد الحج تلك السنة، ولدعا الناس إلى ما يزعمه له البعض من خلافة عادية، أو لسمع لبعض نصائحه حين أشاروا عليه بالبقاء حيث هو، أو الرحيل إلى اليمن. الحقيقة أنه أراد ما هو أسمى وأعظم من ذلك كله، أو أن الله أراد له ما هو أسمى وأعظم من ذلك كله، حتى إذا كانت كربلاء وقضى الأمر بات الحسين مع الخالدين في الدنيا والآخرة.

إيه أيتها السنة الستين من الهجرة..! إيه أيها اليوم العاشر من الشهر المحرم من السنة الواحدة والستين من الهجرة. أراد الحسين أن يأوي إلى الكوفة معقل أبيه، ليجعل منها معقلاً للمبادئ السامية التي نادى بها طوال عمره، وموئلاً للوحدة الإسلامية التي تمناها للمسلمين. ولعمري إن خوف يزيد وابن زياد من مقدم الحسين إلى العراق بالذات، وإن إلحاح شمر بن ذي الجوشن في التعجيل بالقضاء على الحسين – كل ذلك دليل صدق على عزيمة الحسين وإيمانه، وبرهان على شجاعته واخلاصه، وإقباله على ركوب الأخطار، في سبيل المبدأ، الذي تمنى تحقيقه على يديه، فلو كان في مسير الحسين إلى العراق خطر قليل على الدولة الأموية لما أقبل أولياء السوء بعضهم على بعض يتآمرون ويتظافرون على قتل الحسين أشنع قتلة.

والمؤرخ لا يستطيع أن يرى نتيجة للحوادث السابقة لكربلاء إلاّ النتيجة التي انتهت إليها تلك المأساة. الحسين هو ابن النبي كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم والحسين هو وأخوه سيدا شباب أهل الجنة، والحسين معدن الطهر والعفاف، والفروسية، والوفاء، والشجاعة، والإخلاص، والصراحة. هذا هو الحسين في بعض صفاته الواضحة، ويريده يزيد بن معاوية على البيعة له للخلافة بين المسلمين، وهو المتهور العنيف، الفظ الغليظ الطبع، خليل الندامى والقرادين والفهادين، المتواني عن العظائم والمصالح العامة بشهادة أبيه. الفرق شاسع وأيم الله، والواقع إنه لا مقارنة بينهما

إذ كيف يستوي الخبيث والطيب، أو كيف يتشابه الظلام والنور، أو يتكافأ الحنظل والشهد، أو كيف يبايع الحسين يزيد.

الحقيقة إنّ تحكم النعرة، ونكد الدنيا، وعماية الشهوات الجاهلية، هي التي ألقت بنور الحسين أمام ظلمة يزيد، وتشاء الأقدار - وعلمها عند الله -، إن ينتهي الأمر بمصرع الحسين على يد أسوأ خلق الله. ومع هذا فلم ينتصر يزيد، وحاشا أن تنتصر صفاته النكراء. إنما كان الانتصار للحسين الشهيد. وآية ذلك جمعكم الكريم اليوم. هذا هو حكم التاريخ لا عوج فيه ولا أمتاً. هل أدلكم على شيء من التاريخ لتعرفوا من كان المنتصر المنصور. ومن كان المنهزم المقهور في كربلاء..؟ مات الحسين ميتة الأبطال، واستشهد في سبيل المبدأ الإسلامي والوحدة الإسلامية، وظل من يوم مصرعه تحبوه التحيات والصلوات على روحه الطاهرة. ومات يزيد ولما يتجاوز عمره السابعة والثلاثين، بعد أن مرض بذات الجنب، بسبب إصابة كبده من إدمان الشرب والإفراط في السيئات كلّها، وظل منذ وفاته لا يذكره الناس والتاريخ إلاّ بالشر والفحش أبد الآبدين، والذكر بالشر والسوء هو أقصى ما حصل عليه يزيد من التاريخ ولكن.. أما كان ليزيد أن يرجع عن غيه، وأن ينزل عن بعض ما جناه عليه أبوه معاوية عندما زرع الضغينة والفتنة في قلبه باستجلاب البيعة له بالرشوة والوعيد، مع وجود من كان أحق منه بخلافة المسلمين وبيعتهم ألف مرة، الحقيقة إنه لم يكن بمقدور يزيد أن يرجع عن الباطل إلى الحق، وما شاء أن يقوم بشيء من ذلك، ولو شاء ما عرف، فإنّ السلطان يعمي ويصم، والدنيا متاع الغرور، وكان يزيد كما أثبت التاريخ صنيعة السلطان والدنيا، ووليد الخداع والحيلة من أجل المنفعة الذاتية، ولو كان في ذلك خراب المسلمين والوحدة الإسلامية. ثم إن يزيد كان وريث بني أمية وعصبياتهم. وهل أدل على ذلك من تاريخ بني أمية قبل الإسلام وبعده..؟ لقد اضطهدوا بيت الرسول قبل الإسلام، وكان حرياً بتلك الأسرة أن تنزل لبيت الرسول عن كل ما هو جدير ببيت الرسول

وحده، وذلك بعد أن أسلم أفرادها وصاروا من زمرة المسلمين، لأنه لم يعد أحد من بني أمية أو غيرهم شرف يسامت شرف البيت النبوي بعد الإسلام. وهنا موضع العجب المريب، على أن الحقيقة لا تدعو إلى العجب، وإنما تدعو إلى الأسى والكراهية، وهي أن الأمويين لم يتنازلوا عن إدعاءاتهم القديمة، ومناوراتهم البغيضة، ولم ينسوا صفاتهم التجارية القائمة على الربح المادي في كل صفقة، والمنفعة العاجلة والزخرف في كل مناسبة؛ لذا تعافى يزيد عن مصلحة الدولة الإسلامية. وطعن مبادئ التضحية والإخلاص. بعد أن ضرب بها عرض الحائط. لذا كان يزيد وأبوه معاوية من قبله أصحاب الصدع والخرق الأول في الجبهة الإسلامية المباركة وللصدع رجع واتساع. والخرق والعياذ بالله قد يصبح مستحيلاً على الواقع.

أيها الجمع الكريم..! إن الحسين قد نال شرف التاريخ، ولا ينال شرف التاريخ إلاّ من أوتي من أخلاق الحسين وصفاته شيئاً. وقد نال الحسين شرف تخليدكم ليوم مصرعه كما نلتم أنتم كذلك الشرف الجديد بأهل المبدأ. أهل المحبة والعدل، أهل الكره للظلم والجبروت. إن كثيراً من المؤرخين المسلمين وغير المسلمين يبدؤون دراستهم مجردين عن كل معرفة بما في مصرع الحسين من أسرار خالدة، ثم لا يلبثون أن يخرجوا من دراستهم وفي قلوبهم حزن على مصرع الحسين، وحكم صارم على يزيد.

هل أدلكم على دليل تاريخي قريب. إنه لولا مصرع الحسين لما عرف التاريخ عن يزيد شيئاً قليلاً أو كثيراً. أما الحسين فمعروف الشمائل والمناقب قبل كربلاء وبعدها وربما كان أقل مآثره أن الناس وجدوا في صفاته النورية أمثلة تحتذى، وأخلاقاً هي خير قدوة للعاملين. ولا أخال المجتهدين في السير على هديه ومبادئه إلاّ قليلين، ممن لا يبهرهم زيف المنفعة الشخصية، ولا تغشي قلوبهم زخارف الطمع.

وغريب، والله أن يوجد بين صفوف المسلمين في صدر الإسلام نعرة السلطان،

والعصبية الجاهلية من أجل السلطان والعصبية الجاهلية، لا من أجل المصلحة العامة والإخلاص للدين، ولاسيما أن الإسلام كان وقتذاك نبتاً غضاً يحتاج إلى مجهود كل مخلص للدين، ولاسيما أن معظم المكتهلين من المسلمين وقتذاك كان ممن رأى الرسول، وشهد بنفسه وسمع حب الرسول للحسين وأخيه. وليس في تلك الغرابة سذاجة وجهل بطبائع البشر، فقد أحس بها كثيرون ممن عاصر مأساة كربلاء، وأولهم علي زين العابدين. إذ قال ليزيد وهو يؤنبه في ملإ من آل الحسين ونسائه:

(مقرنين بالحبال يا يزيد، ما ظنك برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لو رآنا على هذه الصفة..؟).

فأطرق يزيد ويا عجباً خجلاً. كما يطرق الطفل العاصي ندماً، ولات حين مندم. فسلام الله على الحسين. وسلام عليكم جميعاً. وأني أحيي مولانا سماحة السيد هبة الدين الحسيني. معدن الكرم والوفاء والإخلاص لوجه الدين. وأحييكم وأرجو الله أن يهيئ لي ولكم ولسائر المسلمين في أقطار الأرض الرشد والخير والوحدة والقوة والسعادة في الدارين[٤٦].

(٤٦) مجلة البيان -النجف- العدد-١١، ١٢، ١٣، ١٤- السنة الأولى- ١٩٤٧/ ص٢٨٧.

عبرة من الذكرى

بقلم: الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي

لكي نفيد من عبرة هذه الذكرى الخالدة، ونستثمر من معطياتها الكريمة الوفيرة لنتمثل خطوات الإمام الحسين عليه السلام، أمثولة القائد الإسلامي المظفر، في دعوتنا الأمة إلى تطبيق الإسلام مجسداً في حياتها القلقة المؤلمة، فإن علينا أن نعيش من التاريخ الإسلامي المدّة القاسية التي سبقت ثورة الإمام الحسين مباشرة، والتي كانت عامل انبثاقها، محاولين مقارنتها بالمدّة الخطيرة التي تعيشها أمتنا الإسلامية اليوم.

عاصر الإمام الحسين عليه السلام في تلكم المدّة، حكومة جائرة، شمل انحرافها عن تعاليم الإسلام وقيمه وأنظمته، الكثير من أطراف سلطانها.. حكومة استطاعت أن تحول نظام الخلافة الإسلامية، من مبدئها الشرعي الأصيل إلى مذهب الوراثة المباشرة، مع إلغائهم شرطين للخليفة الإسلامي، هما: العلم بالشريعة علماً كاملاً والعصمة، أو العدالة على الأقل.. الأمر الذي كان من أقل نتائجه انقلاب الخلافة إلى ملك عضوض.

وكان من مظاهر انحرافها عن تشريعات الإسلام أن ألغت مبدأ المساواة بين المسلمين في توزيع الأموال الخراجية، المبدأ الذي عمل بتشريعه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أيام تولية أمر الخلافة كما عمل به النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قبل،.. وأبدلته بمبدأ التوزيع الطبقي.

وقد فرضت ضرائب غير مشروعة، أمثال هدايا النوروز والمهرجان، التي بلغ واردها أيام معاوية. عشرة ملايين درهم، ومن العراق خاصة.

وأقطعت الكبير من أراضي الدولة المعروفة (بالصوافي) إلى بعض الزعماء: على أساس من العاطفة، والميول الشخصية، والاستمالة السياسية.

وأبقت ضريبة الجزية على المسلمين من الأعاجم..

وإلى ما شاكلها من مخالفات ومفارقات.

وكان من مظاهر استهتارها بالقيم الخلقية أن أباحت اللهو وأشاعته في أمثال المدينة المنورة من مراكز الثقل الديني، بغية تخدير الجماهير، وحرف مجرى التفكير عن مخالفات السياسة القائمة لأحكام الشريعة الإسلامية، مما عاد بالأمة إلى واقعها قبل الإسلام.

وبوسعنا أن نلمس ذلك واضحاً تمام الوضوح، حينما نأخذ مثالاً من البصرة عام (٤٥هـ) ومن موقف بعض أمرائها وهو يصور ذلك التيار الجاهلي الجارف، يقول في بعض خطبه:

(أما بعد.. فإن الجهالة الجهلاء، والضلالة العمياء، والغي الموفى بأهله إلى النار ما فيه سفهاؤكم، ويشتمل عليه حلماؤكم، من الأمور العظام، ينبت فيها الصغير، ولا يتحاشى عنها الكبير، كأنكم لم تقرؤا كتاب الله، ولم تسمعوا ما أعد الله من الثواب الكريم لأهل طاعته، والعذاب الأليم لأهل معصيته).

ثم يقول:

«**وإياي ودعوى الجاهلية، فإني لا أجد أحداً دعا بها إلاّ قطعت لسانه**».

وفي بعض كتب الإمام الحسين عليه السلام أروع تصوير لذلك حيث يقول:

«وقد بعثت رسولي إليكم بهذا وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه، فإن السنة قد أميتت والبدعة قد أحييت فإن تسمعوا قولي أهدكم سبيل الرشاد».

هذه هي المدّة التي سبقت ثورة الإمام الحسين عليه السلام في أبرز صورها السياسية والإجتماعية، المدّة التي تمخضت عن ثورة الإمام الحسين عليه السلام فكانت العامل الأهم في انهيار دولة أمية وفي صدر التيار الجاهلي الكافر، وكانت انتصار الحق في هذه المعركة بين الهدى والضلال. وسارت الفكرة الإسلامية، تشق طريقها في الحياة، ما بين أشواك الكفر وعراقيل وعقبات الباطل، متحدية الصعاب كلّها.

وسار دعاتها المؤمنون والمجاهدون، يحملونها لخير الأمة وسعادة المجتمع، ولإداء المسؤولية الإسلامية العظمى، واثقين كل الثقة، إن الحق هو المنتصر، وواثقين كل الثقة إنّ لله العزة ولرسوله والمؤمنين.

سار هؤلاء الدعاة الإسلاميون، يمثلون دور المصلحين الإنسانيين، في كل دور من أدوار تاريخنا الإسلامي بعد وقعة الطف، يقفون أمام الباطل ويدحضون الكفر، ويقودون الأمة إلى الحياة الإسلامية المطمئنة.

وجاء اليوم وهو أثر الأمس في الصراع بين الحق والباطل.. وعدنا نعيش المدّة المظلمة بحوالك الكفر، تتلبد أجواؤها سياسية وإجتماعية وفكرية، بألوان من الباطل، يزحم بعضها بعضاً، ويزيح بعضها الآخر، مستغلة من أبنائها الفراغ العقائدي، وفقدان الوعي السياسي الإسلامي... وأهون وأبهت ما يعصف من صورها وألوانها هذا التمزق المرير لوحدة المسلمين السياسية، وهذا الضعف المقيت في مستوى التثقيف الإسلامي..

إننا ما نزال نعاني من الاستعمار الفكري الكافر، ونرزح تحت رواسب مخططات

أيدلوجياته الظالمة.. ونحن – مع الأسف الشديد – فاقدون للوعي السياسي الإسلامي، ذلك الوعي الجبار الذي أطاح بعروش كسرى وقيصر، وأطاح بدولة معاوية ويزيد.

ذلك الوعي الجبار الذي طارد الحكام المنحرفين، وقضى في مختلف أدوار التاريخ الإسلامي، على ممتصي دماء الأمة، ومستغلي خيراتها والمتلاعبين بمقدراتها ومقدساتها.

وهذه مفردات الثقافة الإسلامية وكتبها ومناهجها في بلدإننا تعرب بصراحة عن رواسب ذلك الاستعمار الفكري الغاشم.

وهل الإسلام – في مفاهيمها– إلا عقيدة وعبادة وتأريخ..؟!

لا علاقة له بالحياة، ولا علاقة له بالدولة وما أبعده عن السياسة..!!

أأسوأ من هذا..؟!

وهل يقوى الاستعمار الكافر على أن يأتي بأكثر من هذا..؟

ثم التفكك المزري لمجتمعاتنا القائمة، تلك المجتمعات التي تتنافى في غالبية وجوهها، وما يريده الإسلام العظيم للمسلمين من وحدة اجتماعية شاملة، في تماسك كالبنيان يشد بعضه بعضاً وتعاون على البر والتقوى تتكافأ فيه دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم.

وما الطائفية التي تعيث في مجتمعاتنا هذه وما تزرعه في النفوس من ضغائن وأحقاد، إلا عامل أهم في تفكيك وحدة المجتمع، وفي ضعفه وتأخره.

ولماذا لا يحتل تاريخ الأئمة من أهل البيت عليه السلام رقماً في مفردات مناهج التربية والتعليم..؟!

ولماذا لا تعرض كتبنا الدراسية، لخدمات علمائنا الإسلامية في الفكر والسياسة..؟!

وما انتشار الأفكار الإسلامية، عن طريق الأحزاب غير المسلمة، إلا عامل آخر يربو في الأهمية على سابقه.

كم شاهدنا الفرد من أبنائنا صار يفترس أخاه المسلم، في سبيل مبدأ كافر، ومن أجل فكرة كافرة.

ولقد أرتنا الأيام أن اللمعان والبريق، والدعاوي المعسولة، ما هي إلاّ ستار ضعيف يشف عن السموم الناقعة القاتلة.

وهكذا تعود المدّة الحاضرة، تحمل في ظواهرها ما يشابه ألوان الصراع بين الحق والباطل أيام الإمام الحسين عليه السلام.. ويعود الدعاة الإسلاميون إلى الجهاد، ويعود المصلحون من أئمتنا وقادتنا ينازلون الباطل، ويقارعون الكفر[٤٧].

(٤٧) مجلة الإيمان -النجف- العدد-٣، ٤- السنة الأولى- ١٩٦٤/ص٢٥٢.

تعريف بالمقاتل

بقلم: الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي

في رسالة موجزة عن ثورة الحسين – الطبعة الثانية– صنفت مصادرها إلى ما يلي:

١– ما نقله المحدثون من روايات تدور حول الواقعة.

٢– ما كتبه أرباب المقاتل عن مقتل الحسين عليه السلام.

٣– ما دونه المؤرخون الذين حاولوا بحث الثورة ودراستها.

٤– الوثائق «واعني نصوص الثورة من خطب وكتب وأراجيز وغيرها».

واعتمدت هناك – في حديثي عن الثورة– على (وثائقها) لأسباب أشرت إليها هناك، فعرفتها بشيء من الإيجاز.

وودت – هنا– أن أعرّف بـ(المقاتل) بوصفها مصدراً آخر للثورة، ولو تعريفاً موجزاً كذلك وفي حدود ما يتمشى وطبيعة هذه النشرة. فأشير إلى محتوياتها وإلى مناهجها في النقل والتدوين وإلى ما يلاحظ عليها.

وربما كان اختياري لها – هنا– من دون غيرها من مصادر ثورة الحسين عليه السلام لأنها الأشهر والأوسع انتشاراً، والأكثر اقتباساً منها ورجوعها إليها وبخاصة من قبل خطباء المنبر الحسيني الكرام وعامة القراء.

المقاتل: جمع مقتل – بالفتح– وهو اسم لكتاب يستعرض حوادث ثورة الحسين مبتدأ بمحاولة أخذ يزيد بن معاوية البيعة بالخلافة له من الإمام الحسين عليه السلام عن طريق والي المدينة، فمبايعة أهل الكوفة للإمام الحسين بالخلافة وبعثهم الكتب التي ضمنوها دعوتهم الإمام إلى الكوفة ليتخذ منها مركز حكمه وعاصمة خلافته، فامتناع الحسين عليه السلام من مبايعة يزيد، فإرسال الإمام لمسلم بن عقيل إلى الكوفة وما جرى له هناك حتى شهادته. ثم وما جرى فيها من حوادث ترتبط بالموضوع فمنع الإمام الحسين عليه السلام من قبل مبعوثي والي يزيد على الكوفة من الدخول إلى الكوفة ومحاصرته في كربلاء، ثم استعراض حوادث المعركة هناك جملة وتفصيلاً، وحوادث السبي إلى الكوفة فالشام، فالرجوع إلى كربلاء ثم العودة إلى المدينة.

ومن أشهر هذه المقاتل:

١– مقتل أبي مخنف «يحيى بن لوط الكوفي» وهو أكثرها اشتهاراً أو انتشاراً.

٢– مقتل الخوارزمي.

٣– مقتل ابن طاووس المسمى «اللهوف».

٤– مقتل ابن نما المسمى بـ(مثير الأحزان).

٥– مقتل الأمين العاملي المسمى (لواعج الأشجان).

٦– مقتل اللويمي المسمى بـ(التحفة الفاخرة).

٧– مقتل المقرم المسمى بـ(حديث كربلاء) وهو من أحدث المقاتل وأوسعها.

٨– مقتل شبر المسمى بـ(عبرة المؤمنين) وهو آخر ما صدر قريباً من المقاتل.

ونستطيع أن نصنف هذه المقاتل على ضوء مناهجها في التأليف إلى ما يلي:

١– المقاتل المروية: وهي التي اعتمد مؤلفها في تدوين محتوياتها على مروياته عن الآخرين.

٢- المقاتل غير المروية وهي التي لم يعتمد فيها مؤلفها على الرواية وإنما يذكر الحوادث من دون الإشارة إلى رواتها وربما أشار إلى مصادرها من كتب التاريخ، وتبدو هذه الظاهرة واضحة في المقاتل المتأخرة.

وتصنف المقاتل المروية إلى صنفين أيضا هما:

١- المقاتل المسندة: وهي التي يذكر فيها رواة الحادثة من المؤلف إلى من شهدها.

٢- المقاتل المرسلة: وهي التي ترسل فيها الرواية إلى من شهد الواقعة دونما ذكر الرواة بين المؤلف وحاضر الواقعة.

والذي يلاحظ: إن هذه المقاتل لم تدرس على ضوء أصول مناهجها فتصنف إلى معتبرة وغيرها.. ولم تدرس محتوياتها وفق الأصول المرعية في دراسة حوادث التاريخ فتنوع إلى صحيحه وغيرها.. ومن هنا وقع بعض الخلط والاشتباه.

وأخيراً: هذه المصادر ثروة غنية بمعروضها، ومراجع ثرة بمحتوياتها نستطيع أن ننتهي متى توفرنا على دراستها وفق الأصول وصغينا في نتائجها إلى صورة صحيحة متكاملة عن الثورة المقدسة.

١- أن تدرس شخصية المؤلف ثقافياً ودينياً.

٢- أن يدرس منهج المؤلف في التأليف وتدوين القضايا. وأضيف إليه -هنا- الأصول المقررة في دراسة الرواية وهي.

٣- دراسة سند الرواية - متصلة أو مرسلة- وفق أصول دراسة السند المعتبرة المعروفة.

٤- دراسة مضمون الرواية في إطار الخط العام لثورة الحسين عليه السلام والذي أشرت إليه وبوضوح في رسالتي - عن ثورة الحسين الطبعة الثانية أيضا بعنوان «خط الثورة»[٤٨].

(٤٨) مجلة البذرة -النجف- العدد -٥- السنة الأولى- ١٣٨٦هـ/ص٧.

إن أمام العرب كربلاء في كل مكان

بقلم: الدكتور عمر فروخ

لم يعرف التاريخ مأساة شغلت الإنسانية مثل مأساة الحسين بن علي رضي الله عنهما. وعهد الإنسانية بالمآسي، إنها نوع من المصائب التي تظهر فجأة، عظيمة فادحة، ثم تتضائل ويخف أثرها، حتى تضمحل وتتلاشى من فكر الإنسانية فتستقر هادئة في كتب التواريخ، تلك هي بلا ريب المآسي الشخصية الفردية، التي تنوي في أول أمرها الأعلى إشفاق على من نزلت به المصيبة، والأعلى عاطفة عأرضة في من اتفق له أن يشهدها.

أما مأساة كربلاء فكانت من نوع آخر: إنها لا تمثل مصيبة فردية شخصية، ولكنها ترمز إلى (الاستشهاد في سبيل مبدأ): مضى الزمن على الأشخاص الذين ساقتهم يد القدر إلى حلول هذه المأساة الفاجعة في العرب والإسلام، حقاً أو باطلاً، ولكن فكرة تلك المأساة لم تزل، بل لقد قوي أثرها وأتسع صداها. ذلك لأن العرب والمسلمين قد تعرضوا في عصورهم المتأخرة لأنواع من الغشم والظلم لا تقل في نتائجها عن الظلم الذي نزل يوم كربلاء. وما أبطال العرب ورجالاهم في أقطارهم المختلفة في عصورهم الحديثة سوى ضحايا تفرقت أشلاؤها في المغرب وطرابلس الغرب وفلسطين وسورية. فإذا كان الاستعمار يقيم في كل بلد من بلاد العرب والمسلمين كربلاء جديدة فإني للعرب والمسلمين أن ينسوا كربلاء الأولى، وينسوا

الحسين بن علي بن أبي طالب، ذلك الشهيد الذي رفع المثل الأعلى للاستشهاد في سبيل الدفاع عن مبدأ، وكان القدوة الصحيحة لجميع الذين يريدون أن يدافعوا عن مبادئهم من بعده.

إنّ شجاعة الحسين بن علي يجب أن تكون حية في قلوبنا حتى نرهب بها المعتدين ونرد بها الظالمين. إننا لن ننصف الحسين رضي الله عنه مهما عظمت حفلاتنا بذكراه، ومهما تنوعت تلك الحفلات، إذا كنا نحيي ذكراه في كل عام بأفواهنا وجفوننا فقط ثم لا نجعل تلك الذكرى حمية دائمة في قلوبنا وقوة مرهبة في أيدينا. إن أمام العرب كربلاء في المغرب، وكربلاء في فلسطين وكربلاء في أماكن أخرى، فهل يكون من العرب حسين جديد في المغرب، وحسين جديد في فلسطين، وحسين جديد في كل قطر عربي يريده الاستعمار بسوء..؟ يجب أن يستشهد في كل قطر عربي حسين جديد إذا تعرض ذلك القطر لكربلاء جديدة حتى تسلم بلاد العرب ويسلم العرب في بلادهم[٤٩].

---

(٤٩) ذكرى أبي الشهداء -حفلات الشباب النجفي- إخراج دار الغري- من دون تاريخ/ ص٤٢.

الحسين مثال الإنسانية الكاملة

بقلم: الدكتور عبد الجواد الكليدار

إن المرء لا يعرف في الغالب شيئاً عن مصيره في الحياة، ولا يعرف ما تخبئه له الأيام من مفاجأت خلف ستار المستقبل الغامض. ولو عرف ذلك لبلغ مرتبة دونها مرتبة الأبرار والمقربين، فبقي الإنسان يتخبط دوماً في الوجل والخوف على مصيره ويتسائل عما سيحل به في الغد وهو يحاول خرق الحجب الكثيفة لمعرفة هذا السر، سر الأيام والمفاجأت، ليكون على بينة من أمره ويتخذ الحيطة قبل حلول القدر المحتوم.

ولو ألقينا نظرة على حياة العظماء وسيرهم، وهم نخبة البشر وقادته، لوجدنا موارد الضعف ورأينا أن أكثرهم، وبل كلهم لا يختلفون في هذه الناحية عن غيرهم لأنهم لم يستطيعوا أن يحسبوا للمستقبل حساباً دقيقاً كما أرادوا فما كانوا يحسبون لأنفسهم على أكثر إلاّ حساب الفوز والنصر في كل مغامرة خاضوها فكانوا يلقون بأنفسهم في معارك الحياة وهم واثقون بالنجاح، دون أن يخطر لهم على بال ما سيصيبهم من خيبة وفشل، أو ما ينتظرهم من دمار وهلاك. ولعلهم لو كانوا يعرفون ذلك، أو يستخلصون ولو جزءاً يسيراً مما يترصدهم من فشل حتمي أو هلاك محتوم فيما هم مقدمون عليه لتجنبوا ذلك وارتدعوا عنه واتقوا شر ما سيحيق بهم من أخطار.

وهنا فقط تظهر جلياً عظمة الرجل ودرجة تضحية العظيم في سبيل المبادئ والمثل الإنسانية العليا، وتكشف لنا صفحات التاريخ العربي عن مثل هذه الشخصية العظيمة الفذة في الصدر الأول للإسلام عصر البطولة والتضحية، وهي شخصية الحسين عليه السلام. فإن الحسين هو تلك الشخصية الوحيدة التي أعطت دروساً قاسية في التاريخ للتضحية في سبيل المبدأ بالنفس والنفيس، وبالمال والأولاد، وكانت تعلم تمام العلم بما هي مقدمة عليه وما يحيط بها من أخطار، فلا أرانا التاريخ مثلها كماً ولن يرينا مثلها قط.

هكذا كانت شخصية الحسين العظيمة وما كان لها مثيل في التاريخ. فكأنها كانت نوراً بمظهر الجسم، وملكاً في صورة إنسان، أو إنساناً بلغ الغاية القصوى من الكمال، أو جسماً تلطف حتى ترفع عن شوائب النفس فتجرد من المادية إلى عالم القدس، فصار يضيئ بنوره القلوب ويفيض به على الأفئدة والأبصار، فأصبح رمزاً للأيام والأجيال خالداً مع الدهور والأزمان.

فكلما نمعن النظر في تلك الشخصية العظيمة ونحاول الإحاطة بها. فكأننا نمعن النظر في أعماق بحر من الحقائق السماوية فلا ندرك من الساحل، فكأنها مظهر الحياة كلها هي الروح وسواها الأجساد، وكأنها سر من أسرار الطبيعة والخليقة لما أودع فيها من قوة سماوية لا يدركها أفهام أهل الأرض، هكذا تفسر تلك الشخصية الفذة في التاريخ وكثير من الشواهد على ذلك.

وتجاه ما بلغت إليه الحالة في العهد الأموي الجائر لم يبق أمام الحسين عليه السلام، وهو الوريث الوحيد لهذا التراث الإسلامي الخالد، غير طريق واحد هو مقاومة ذلك الوضع الغاشم ومكافحة العدوان لإرجاع الأمور إلى ما كانت عليه في عهد صاحب الرسالة بعد أن لعبت فيها الأهواء المختلفة دوراً مهماً بالتدريج، أو الموت في

هذا السبيل إحياءً للدين. وما كان يخفى على الحسين مقاومة أمية له أن قام بمثل هذا الأمر، ولا خذلان القوم له إن دعاهم إلى الجهاد والذود عن معالم الدين وقبل برهة كان معاوية قد أفسد أخلاقهم بشتى الأساليب فحلت المادية محل المثالية في النفوس وتغلبت الأنانية وحب الذات على المصلحة العامة في القلوب. ومع ذلك كله فقد قام الحسين وتصدى للأمر بجأش رابط وجنان ثابت، فهاجر أولاً من المدينة إلى مكة، كما هاجر جده الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من قبله بستين عاماً من البطحاء إلى يثرب فكانت الهجرتان: هجرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة، وهجرة الحسين إلى العراق من نفس الأعداء من قدامى مشركي قريش.

وأما الفرق بين الهجرتين: فإنّ الأول هاجر إلى النصرة والمنعة إلى ما منعوه، وأما الثاني فقد هاجر إلى من حاربوه وقتلوه وهو يعلم بذلك ويصرح به منذ شخوصه من مكة إلى العراق، فأشار إلى ذلك في خطبته المشهورة فقال بعد أن حمد الله:

(فكأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلا...).

فيظهر من ذلك مبلغ علمه بمصيره لا كأمر مشكوك فيه، ولا مجهول العاقبة، وإنما كشيء محسوس مسلّم به بأنه سيقتل لا محالة، وقد عين موضع مصرعه كما وقع بالفعل بين النواويس وكربلا. وهذا غاية التضحية في سبيل المبدأ، ومنتهى التفاني في الله، وعلى جانب عظيم من نكران الذات لخير المجموع. ولم يعطنا التاريخ مثالاً كاملاً لهذا النوع من التضحية إلاّ في الحسين، وهو مثال الإنسانية الكاملة الذي ما يستهدف في مغامراته كلّها إلاّ إحياء قضية حقه ولو بالنصر الآجل، وإن الحياة لا قيمة لها في نظره ما دامت القضية مخذولة، وفي ذلك قال الدكتور ماربين الألماني في كتابه (السياسة الإسلامية):

«إن حركة الحسين ﵁ في خروجه على يزيد إنما كانت عزمة قلب كبير عز عليه الإذعان وعز عليه النصر العاجل، فخرج بإهله وذويه ذلك الخروج

الذي يبلغ به النصر الآجل بعد موته ويحيي به قضية مخذولة ليس لها بغير ذلك حياة».

فحياة الإسلام وإحياء الدين كان أمراً يتوقف على قتل الحسين ليحي بموته الإسلام الذي أصبح ولا حياة له إلا بذلك. فلم يتوقف الحسين في بذل نفسه وأهله وذويه في ساحة المجد والشرف في هذا السبيل فلبى النداء وأجاب الدعوة إلى الشهادة ولسانه وجنانه يرددان منذ أول خطوة قوله هذا

«**خط الموت على ابن آدم مخط القلادة على جيد الفتاة**»

فكأنه يستهزئ بالموت ويستهونه، ويرى الحياة عاراً مع الذل، ويرى النفس أبخس ثمن يقدمها الإنسان في سبيل هذا الجهاد. ثم يعود ويؤكد ما قاله من قبل بقوله هذا، وهو عازم على الكفاح إلى آخر لحظة من أنفاسه.

«**إني لا أرى الموت إلاّ سعادة والحياة مع الظالمين إلاّ برماً وسأماً**».

معللاً في ذلك ما دعاه إلى الخروج بقوله:

«**ما خرجت أشراً ولا بطراً، ولكنني خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر**».

فليس منظوره من هذا الكفاح إلاّ إحياء الدين وإصلاح حالة المسلمين، وإرجاع الوضع على ما كان عليه في عهد جده صاحب الرسالة صلى الله عليه وآله وسلم. فهو ينشد الإصلاح ويطلب الصلاح.

وفي اللحظات الأخيرة من هذا النزاع عاد فأتم الحجة على أصحابه وأنصاره مؤكداً عليهم للمرة الأخيرة بأنه سيستمر في قتال أعداء الحق، وأنه سيستشهد لا محالة بقوله:

«**من لحق بي فقد استشهد، ومن لم يلحق بي لم يبلغ الفتح**».

فاصطحب الحسين عليه السلام في خروجه هذا أهله وذويه، وأشار الدكتور ماربين الألماني إلى ذلك إعلاناً وإشهاداً على غاية عزمه وصدق نيته فيما هو مقدم عليه، لأن اصطحاب النساء والأبناء في الغزوات عادة عربية عريقة، فنال ما كان يبتغيه لنفسه من الشهادة إحياء للدين، ونال ما كان يبتغيه لهم من أسر إعلاء لكلمة الحق.

وهل مات الحسين ذلك الإنسان الكامل بشهادته على يد الأعداء..؟-كلا-

كذب الموت فالحسين مخلد   كلما أخلق الزمان تجدد

إن الحسين مخلد يحيى حياة أبدية دائمة فهو يعيش في الأرواح والنفوس والقلوب، وقد ماتوا من قتلوه، ويموتون معادوه..![٥٠].

(٥٠) مجلة الغري -النجف- العدد -٩، ١٠- السنة الثامنة- ١٩٤٧/ص٨.

الثبات في المبدأ

بقلم: الدكتور محمد مهدي البصير

في هذه المأساة التي نحتفل بذكراها اليوم بعد مرور ثلاثة عشر قرناً دروس عالية وعضات صادقة ينتفع بها كل من يدرس التاريخ ليتأثر بحوادثه ويسترشد بوقائعه ويتأدب بعبره وعظاته. وأود أن استعرض فيما يلي مثلاً من صفحاتها التي تعلمنا كيف نعتنق المبادئ السامية وكيف نستميت في الدفاع عن هذه المبادئ.

كان الحسين بن علي رضوان الله عليهما عندما عقد معاوية البيعة لإبنه يزيد مؤمناً أنه لابد له من الخروج بالسيف. وأن خروجه هذا مفضٍ لا محالة إلى قتله – كان موقناً أنه لابد له من الخروج بالسيف لانه لا يجوز لرجل مثله أن يسكت على وجود رجل مثل يزيد في دست الخلافة الإسلامية ولإنه لا يجوز لرجل مثله أن يبرم بيعة كالتي عقدت ليزيد، بيعة أساسها المكر والدس، وقوامها التهديد والمساومة، وكان موقناً أن خروجه هذا مقضٍ لا محالة إلى قتله لأنه كان عالماً إن الدين فقد سلطانه على الناس أو كاد، وإنّ المادة سيطرت على العقول والنفوس فأفسدت منها ما كان صالحاً وأضلت ما كان منها على هدى، وإنّ هذا شأنه أن يضمن الظفر الفاصل العاجل لخصومه إن التقى وإياهم في ساحة القتال، ولكنه مع كل ذلك ورغم كل ذلك كان مصمماً على هذا الخروج تصميماً

لا يتزعزع مطمئناً إليه اطمئناناً لا تحوّل فيه ولا تبدّل، وأول مايدلنا على هذا خطبته التي ألقاها قبيل مغادرته مكة إلى العراق، فقد قال في مستهل هذه الخطبة:

«خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف..!».

وقال في ختامها:

«فمن كان باذلاً فينا مهجته وموطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا، فإني راحل مصبحاً إن شاء الله».

ومعنى هذا أنه كان عالماً كل العلم بما ينتظر عارفاً كل المعرفة بما تخبي له الأيام ولكنه أقدم عليه غير هياب ولا وجل، وهذه هي الوقفة الأولى التي تعلمنا فيها هذه المأساة كيف نعتنق المبادئ السامية وكيف نستميت في الدفاع عن هذه المبادئ.

ومشت الحوادث والأيام سراعاً ونزل الحسين كربلاء وجاء ابن سعد بخيله ورجله فعسكر على مقربة منه وأخذ يجادله ويناظره في أمر البيعة ليزيد والرجوع إلى الحجاز وما إلى ذلك وثقل هذا على ابن زياد فكتب إلى قائده يلومه بأمره بإنهاء مشكلة الحسين في أقرب وقت مستطاع. وصدع القائد بأمره فزحف يريد الحرب عشية اليوم التاسع من المحرم وسأله الحسين ليلة واحدة يتزود فيها من الصلاة وتلاوة القرآن فمنحه بعد تردد وجاءت هذه الليلة فجمع الحسين أهل بيته وأصحابه وقال لهم:

«ألا وأني لا أعلم أصحاباً خيراً منكم ولا أهل بيت أبر وأوصل من أهل بيتي فجزاكم الله خيراً، وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً (أو قال ستراً جميلاً) وليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي وتفرقوا في هذا السواد وذروني وهؤلاء القوم فإنهم لا يريدون غيري».

فثارت ثائرتهم وغلى الدم في عروقهم وأكدوا له بلسان واحد أنهم مصممون تصميماً قاطعاً على أن ينالوا شرف الشهادة تحت رايته، وهذه هي الوقفة الثالثة التي

تعلمنا فيها هذه المآساة كيف نعتنق المبادئ السامية وكيف نستميت في الدفاع عن هذه المبادئ.

وفي تاريخ هذه المأساة صفحات أخَر عديدة من هذا القبيل أضْرب عنها صفحاً لا رغبة في الإيجاز فحسب، ولكن إشفاقاً على القراء من ذكر الحوادث المحزنة والوقائع الدامية. ولكن حسبي ما تقدم برهاناً على أن هذه المأساة الهائلة تستطيع أن تعلمنا في كثير من أدوارها الرهيبة وأطوارها المفزعة كيف نعتنق المبادئ السامية وكيف نستميت في الدفاع عن هذه المبادئ[٥١].

---

(٥١) مجلة البطحاء–الناصرية–العدد–١٣، ١٤–السنة الأولى–١٩٤٦/ص٢٧٢.

فاجعة العدل الكبرى

بقلم: الدكتور عبد المجيد عباس الحيدري

أيها القراء الكرام: هذا موقف رهيب رائع تتواثب فيه المعاني الجليلة إلى ذرى الألباب، وتتسابق فيه العواطف النبيلة إلى معاقل الأفئدة وماض متأمل وقف يتأمل برهة وإن قصرت في هذا الموكب الزاخر من الأفكار والمشاعر إلاّ وكساه التعجب رهبة وخشوعاً من روعة المشهد وجلال التضحية وإمعان البطولة الخالدة في معارج العظمة المتناهية وليس بدعاً أن تقربنا هذه الذكرى التي نجددها في كل عام من ذلك المثل الأعلى الذي خطته يد الأقدار في تاريخ البشرية بدماء الشهادة ونور الإيمان. فلكل أمة من تاريخها نصيب في السمو ولكل أمّة من ماضيها عبر بالغة وعظات نافعات. ولكن الأمم ليست سواسية في هذا الشأن، وإنما تتفاوت حظوظها منه تفاوت الحوادث في شرف المغزى وبعد التأثير وما من أمة على ما نعلم جمع لها التاريخ في حادثة واحدة من العبر العجيبة والدروس البليغة مثل ما جمع لهذه الأمة الكريمة في فاجعة كربلاء ومصرع الحسين عليه السلام. ولا أحسب أن أحداً في هذا البلد يعوزه الإلمام بدقائق ذلك الخطب الجلل وتلح به الحاجة إلى تتبع الخطوات التي بلغ بها نهايته الأليمة منذ أن أزمع الإمام شد الرحال إلى الكوفة تلبية لنداء الواجب واستجابة لدعوة الحق إلى أن وقف في صعيد كربلاء مخذولاً مخيراً بين اثنتين، كلتاهما مركب صعب ففضل ركوب المنية على ركوب الذلة والمسكنة، وصاح صيحته المشهورة:

«والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقر لكم إقرار العبيد».

ثم صبر على كل ما يعز على الرجال أنْ يصبروا عليه ولقي كل ما يكره من الناس ان يلقوا وهو القادر في كل لحظة على أنْ يرفع عنه كابوس المحنة لو كان ممن يحيدون عن الحق قيد شعرة.

فحديث كربلاء ومصرع الحسين عليه السلام إنشودة الحزن التي يرددها الزمن على مسامع الخلود وحديث الألم الذي يعبر عن الآم البشرية حتى اللحظة الأخيرة ولن تخفى واردة منه ولا شاردة على كل من ينبض قلبه بالحب والولاء لآل البيت ولكن الأحداث الخطيرة والخطوب الجسيمة لا يقف معناها عند حدود الوقائع ولا ينحبس مغزاها بين فواصل الأجيال، وإنما هي رمز قدسي خالد كلما تعرضت له صفحة جديدة من الحياة عادت منه بثوب جديد فلا عجب أن تمر العصور وتجري الحقب وتضحية الحسين عليه السلام تملأ القلوب وتسيل على الألسنة والأقلام، ولا غرو أن يعرض لها الشعراء والخطباء والكتاب فلا يزدادون منها إلاّ إعجاباً فوق إعجاب حتى ليجد فيها كل جيل هدايته وتصدر عنها كل عبقرية بثمرة خالدة. وبالأمس القريب عرض لها الأديب العربي والكاتب الإسلامي الأستاذ عباس محمود العقاد فاستجلى منها أسمى ما ينزع إليه العقل البشري من الأفكار واستشف من مراميها أنبل ما يجيش في الصدور الإنسانية من الخوالج والأحاسيس، فكان ذلك برهاناً جديداً على اتساع هذه السيرة المقدسة لأهداف الأجيال المتعاقبة واكتنافها لغايات الوجود الدائمة، ولقد أحسن الرجل كل الاحسان وأجاد كل الاجادة فجزاه الله عن الإسلام وعن حب الخير أحسن الجزاء، وما كل إنسان يُؤتى من العبقرية ما ينيله استقصاء المثل المتسامية واقتناص المعاني الدقيقة المترامية ولكن كل إنسان يستفيد من العبرة على قدر ما يدرك ويؤجر على قدر ما يستفيد ولو جاز لنا أنْ نصف مصرع الحسين عليه السلام بوصف فريد جامع لقلنا إنّه يمثل في مجموع معالمه فاجعة العدل الكبرى في سجل البشرية من غير تردد ولا استثناء فما من حادثة وضحت فيها قرائن الحق وتمسك به فيها اهله كحادثة الطف وما من فاجعة برزت فيها عناصر الظلم

وأشتط فيها أهله كتلك الفاجعة فقد كانت حرباً بين النور والظلمة وصراعاً بين الضلالة والهدى وكفى فجيعة للعدل أن تظفر الظلمة بالنور وأن تنال الضلالة من الهُدى وقديماً قال الحكماء إنّ العدل هو الفضيلة وإنّ الفضيلة هي المعرفة وإذا كانت فاجعة كربلاء هي فاجعة العدل الكبرى فهي بلا امتراء أكبر فاجعة للفضيلة والمعرفة وليس بنافع ان يردد عمر بن سعد وغيره ممن تألبوا على قتل الحسين عليه السلام أنهم يعرفون قدره ويعترفون بحقه ولكنهم يجهزون عليه طمعاً بغُنْم أو تحاشياً لغرم تحت ضلال السلطة القائمة، فينشد ابن سعد مثلاً أبياته المشهورة قائلاً:

فوالله ما أدري وإني لحائر — أفكر في أمري على خطرين

أأترك ملك الري والري منيتي — أم أرجع مأثوماً بقتل حسين

وفي قتله النار التي ليس دونها — حجاب وملك الري قرة عيني

ثم يقر قراره بعد ذلك على أنْ يزحف إلى معسكر الحسين ويرميه بسهم من سهامه وهو ينادي «اشهدوا لي عند الأمير أنني أول من رمى الحسين» فهذه المعرفة هي المعرفة الناقصة وهي شر من الجهل، وهذا الفهم للأمور هو الفهم المختلط، وهو أمر من الغباوة وأدهى، وهما لا يقومان عذراً لمعتذر ولا يقدمان شفاعة لخاطئ. أمّا المعرفة الحقيقية فهي التي يدعمها الفعل ولا يخزيها السلوك، وقد حدثنا العلماء المعاصرون ان الفكرة جزء من الفعل وإنّ الفعل مظهر للفكرة، ولا سبيل إلى الفصل بينهما ومن كان فعله سيئاً ليس له أنْ يدعي بجمال التفكير ومن كان فكره سيئاً ليس بوسعه أنْ يأتي بفعل جميل، ولو كان لتلك الفئة التي أطبقت على الحسين عليه السلام شيء من المعرفة الحقيقية لكان لها شيء من الفضيلة، ولو كان لها شيء من الفضيلة لكان عندها للعدل ميزان، وحسبك من ضلالة القوم وظلمهم أنْ يخرج إليهم سبط نبيهم متقلّداً سيف رسول الله وعليه عمامة رسول الله ورداؤه فيهيب بهم قائلاً:

«انسبوني من أنا، هل يحل لكم قتلي وانتهاك حرمتي..؟ ألست ابن بنت نبيكم..؟ الم يبلغكم ما قال رسول الله لي ولأخي هذان سيدا شباب أهل

الجنة..؟ ويحكم أتطلبوني بقتيل لكم قتلته أو مال استهلكته..؟».

ثم لا يجد منهم إلاّ تمادياً في الغي ولجاجة في العداوة، فهل من شك بعد هذا في أن تكون فاجعة كربلاء فاجعة العدل والفضيلة والمعرفة في آن واحد وكأن العناية الإلهية أرادت ان تمتحن مدارك البشرية جمعاء وأن تخيرها خياراً لا لبس فيه بين طريق السعادة وطريق الشقاء، فجنا البشر على أنفسهم وما زالت آثار تلك الجناية باقية حتى الوقت الحاضر وما زال الإنسان يدعي معرفة الحق ويحيد عنه بفعله وما فتئت عوامل البغي وأعراض الظلم تورثه اذى وخسراناً رغم ادعائه بمعرفة واسعة وعلم غزير أوليست هذه الحروب الحديثة التي تفنى فيها ملايين الأنفس وتشقى من جرائها ملايين أُخَر من بعض المظاهر لفاجعة رئيسة واحدة هي فاجعة العدل والمعرفة..؟ أوليس اهتضام الأمم القوية لحقوق الأمم الضعيفة وكيد الأفراد للأفراد في داخل الأمم علة هذا البلاء في العالم الذي نعيش فيه اليوم..؟ وهل ينفع الإنسان المتمدن أن يطير في الهواء وأنْ يغوص تحت الماء وأن يستحدث من الذرة طاقة لا تقاوم إذا كان لا يستطيع أن يستعمل هذه المعرفة في سبيل الخير..؟ ليس المهم في المعرفة أن يسيطر العلم على قوى الطبيعة وإن يسخرها لإشباع رغائب الإنسان وإرضاء شهواته العابرة وإنما المهم في المعرفة أن يسيطر العلم إلى جانب ذلك على سلوك الإنسان نفسه وأن يفعل مفعوله في ترتيب العلائق بين البشر على أساس العدل والفضيلة وسيبقى الإنسان بالغاً ما بلغ علمه يتخبط بين أحضان الخوف والشقاء ما لم يتخذ من تلك العبرة التي انطوت عليها فاجعة كربلاء مرشداً له ودليلاً في سلوكه إزاء أخيه الإنسان، وليس في وجودنا هنا في هذه الساعة ما يؤجرنا شيئاً عند الله ولا ما يرفعنا في أعيننا قبل أعين البشر الآخرين إنْ لم نتعظ بتلك العظة التي ضحّى من أجلها الحسين عليه السلام تضحية لا مثيل لها في سجل الأبطال الخالدين ولم نجعل رائدنا هو العدل قولاً وفعلاً.. والسلام عليكم(٥٢).

(٥٢) مجلة الغري -النجف- العدد -٩، ١٠- السنة الثامنة- ١٩٤٧/ص٦.

شهيد المبدأ

بقلم: الدكتور احمد سوسة

غايـــة المــــدح في عـــلاك إبتـــداء   ليــت شــعري مــا تفعــل الــشعراءُ

هذا هو مطلع القصيدة المقصورة التي أنشدها الشيخ صالح الكواز في مدح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهو البيت الذي ينطبق كل الإنطباق على ولده الحسين وعلى أحفاده آل البيت أجمعين، فقد كان هؤلاء مدة حياتهم عنوان الفضيلة والشهامة ونبراس التضحية والاستقامة فعبّدوا طريق الفضيلة للأجيال المتعاقبة ورسموا نهج الآباء والشمم لمن جاء بعدهم، وعلى هذا فكل ما يقال في علي وأولاده وأحفاده من مديح وإطراء، إنما هو بدء المديح في حقهم كما قال الكواز في قصيدته المقصورة.

لم يكن الحسين محرومَ جاهٍ ليقحم نفسه في سبيل العرش ولا كان طالبَ مالٍ ليسعى إليه، لكنه وجد طريق الفضيلة والإباء محفوفاً بالمخاطر والمهالك فصمم على اقتحامه انتصاراً للحق وثباتاً على مبادئ الإنسانية التي تتهالك الدول اليوم على نصرها، أمّا أن يكون الحسين أخطأ التقدير على رأي ضفادع الكتابة والنشر فرأى مرده

الجهل بفضائل الحسين، وبعد نظره في إحقاق الحق وانتصار الفضيلة وتصريف الأمور فقد أجمع المؤرخون على أن يزيد بذل في سبيل إرضاء الإمام الشهيد كل غال وعزيز طمعاً في سكوته في الأقل، ولكن الحسين الذي تربى في أحضان الرسول العربي صلى الله عليه وآله وسلم أبى أن يتخذ من حطام الدنيا كياناً يتستر به، وأبى إلاّ أن ينتصر للحق مهما كلفه طريق الحق من تضحيات و خفوق الآمال ضارباً بعمله هذا أبلغ درس للأجيال المقبلة وأشرف نهج يقتدى به أولوا الضمائر الحية والمشاعر السليمة. فهل نحن محتذون حذو الحسين في فضائله وأحكامه(٥٣).

(٥٣) مجلة الغري –النجف– العدد –٩، ١٠– السنة الثامنة– ١٩٤٧/ص٤٠.

مواقف حسينية رائعة

بقلم: الدكتور مصطفى جواد

تقاس عظمة كل أُمّة عظيمة بمقدار ما لها من شهداء، فإنّ دماءَهم تكون عظمتها السابقة، وحريتها الأنوف، وعزمها المخوف، بمنزلة البلاط الذي يثبت طبقات الصروح المشيدة، فلابد في بناء الأمم من دماء لابد للحياة الحرة من شهداء ومالم يضح الشهداء سيبقى الجور مقدساً مبجلاً محفوفاً بالتجلة والتنظيم مادام (الظلم) و(الطغيان) و(الجبروت) و(التعصب الجافي) و(الاستعمار) أشباحاً ماثلة تروع الودعاء وتخيف الآمنين وتقلق المسالمين وتحفظ المصافين وترسل الشياطين.

أترى من العجز أن السماء لم تجد شيئاً للفداء أولى وأطهر من الدماء؟ لا أظن ذلك صحيحاً وإنما الدم علامة الشهادة، والشهادة شاهدة بثبوت الحق مسجلة بحقيقة العزة ناطقة بوجوب العدل، فوجود الطغاة مستلزم لوجود الشهداء في كل أُمّة حمية الأنف شماء العرنين عزيزة النفس علية الخلق رصينة الشمائل، وإذا عددنا الأمم العظيمة وهي التي تفتخر لشهدائها وجدنا الأمّة العربية في طليعتها وطالعتها، وكيف لا تكون كذلك ولها شهيد مثل سيد الشهداء على رغم الخونة والأدعياء وعلى رغم الهاطرين الذين ادعوا وهم لما ينسلخوا من هاطريتهم.

أجل إن سيد شهداء الأمة العربية هو أبو الاحرار المختار للسلّة على الذلّة والجهاد على الإلحاد والإباء على الاستخذاء ومجد الإسلام والحرية مضحياً بالنفس والذرية إنّه أبو عبد الله الحسين ابن البشير ابن النذير ذلك الشهيد الهمام الذي يحق لكل إنسان حسيني كائناً مذهبه ماكان أن ينشد عند ذكره المقدس متمثلاً:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم　　　اذا جمعتنا يا جرير المجامع

لقد ترك عليه السلام في سجل شهداء الأمة العربية مثلاً أعلى وقدوة وحيدة بجلالتها وأسوة بعيدة المنال قل المؤنسون بها فلا ترى محضر شهادتهم إلاّ في (مقاتل الطالبيين) و(الشهداء الصديقين) و(مشاهد الأحرار).

إنّ الحسين بن علي المثل الأعلى بين الشهداء المحررين، فمواقفه الحسينية رائعة بالمعنيين اللذين يعنيهما الروع فهي للأحرار والأبرار مجال وجلال وجهاد وفتوة وللسفلة والدجالين أهوال ومذلة، فهو عليه السلام كما كان فيصلاً بين الحق والباطل وحجة للمناضل على المتغافل سيبقى فطنة للخلاف بين العظماء والأبطال والأنذال الجهال أولئك الذين يعيشون كما تعيش حشرات الأرض لا يحس الإنسان بها عند لدغها إياه أو عندما تسحقها قدماه وكفاه ذلة أن لا تنال غير الأقدام ولا تقتل بغير الأقدام.

قال قائل الحق في يوم الطف: يوم عاشوراء مثيل هذا اليوم الذي تنشر فيه هذه الذكرى الدامية وتبجل عزته النامية (ما رأينا رجلاً مكسوراً قد قتل أخوته وأنصاره وأهله أشجع منه، كان كالليث المحرب يحطم الفرسان حطماً، وما ظنك برجل أبت نفسه الدنية وأن يعطي بيده فقاتل حتى قتل هو وبنوه وأخوته وبنو عمه بعد بذل الامان لهم والتوثقة بالأيمان المغلظة وهو الذي سن للعرب الإباء واقتدى بعده به أبناء الزبير وبنو المهلب وغيرهم).

وحق لبني هاشم أن يقولوا:

(ومنا الحسين بن علي سيد شباب أهل الجنة وأولى الناس مكرمة وأطهرهم مع النجدة والبصيرة والفقه والصبر والحلم والأنفة).

وكان الحسين في الإسلام أول من دعا إلى حلف الفضول، ذلك الحلف الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن شهده وارتضاه:

(لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم ولو دعيت له اليوم لاجبت لا يزيده الإسلام الا شدة).

تعاقدوا وتعاهدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلاّ قاموا معه وكانوا ممن ظلمه حتى ترد عليه مظلمته أو يبلو في ذلك عذراً وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعلى التآسي في المعاش ذلك المبدأ الذي هو الغاية والنهاية من النظم الاجتماعية البشرية ذلك المبدأ الذي يبدو مثل (انتين) للمستأثرين الظالمين.

إنّ الحسين بن علي هو الذي قال للوليد بن عتبة بن أبي سفيان، والوليد يومئذ أمير على المدينة:

(احلف بالله لتنصفني من حقي أو لآخذن سيفي ثم لأقومن في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم لأدعون بحلف الفضول).

فقال عبد الله بن الزبير (وأنا أحلف بالله لئن دعا به لآخذن بسيفي ثم لاقومن حتى ينصف من حقه أو نموت جميعاً) وبلغت مقالتهما المسور بن حزمة بن نوفل الزهري فقال مثل ذلك، وبلغت عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن عثمان بن عبد الله التميمي فقال مثل ذلك، فاضطر الوليد بن عتبة الغشوم الظلوم إلى إنصاف الحسين من حقه حتى رضي.

هذا هو موقف العربي الذي جمع بين شرف السماء وشرف الأرض الذي كان يعلم إن السيف هو الحامي الأكبر للحق وإنّ الموت في طلب الحق وإحياء العدل عذب المورد رائق سائغ لكل مر فلا يهدد الحر بالموت إلا اللكع الجبان الفعل النذل لأنّ عاقبته محتومة لكل ذي روح، فلماذا لا يكون ثمناً لإحياء الحق والدين، ورد الحرية إلى مسلوبيها والعزة إلى مبزوزيها؟ إنها من ذلك عند الأحرار.

وأيّ موقف عظيم من المواقف الحسينية ذلك الذي نزل فيه الحسين بن علي عليه السلام بزي جثث من غربي العراق؟ فقد أدركه أعداؤه وهم ألف فارس مع الحر بن يزيد التميمي اليربوعي، ووقفوا مقابلة في حر الظهيرة تكاد تتقد من حرارة الشمس وتحرق من يمشي فيها من دابة وإنسان وقفوا مقابله وهم وخيلهم عطاش تكاد تتخشب أمعائهم وتجبس ألسنتهم وتتحجر لهواتهم أنها فرصة سنحت للحسين لو كان الحسين ينتهز من الفرائس الفرص فلو تركهم عطاشى لعجزوا عن القتال ولو أراق الماء الذي عنده لكان له قوة الروي على الصدى ولكن الفتوة الهاشمية الحسينية لم تكن تأنف مثل تلك الدنية التي يسميها وحوش البشر وأبناء الجناة (القدرة على العدو) ولم يكن من الحسين إلاّ ما قال لفتيانه:

(اسقوا القوم وردوهم ورشفوا الخيل ترشيفاً).

فسقوا القوم ورشفوا الخيل كلها لم يتركوا منها فرساً عطشان، قال علي بن الطعان المحاربي كنت مع الحر بن يزيد فجئت في آخر من جاء من أصحابه فلما رأى الحسين ما بي وبفرسي من العطش قال (انخ الراوية)، والراوية عندي السقاء، ثم قال (يا ابن اخي انخ الجمل) فانخته فقال (اشرب) فجعلت افعل فقام الحسين فحثه فشربت وسقيت فرسي.

هذا هو المثل العالي بل الأعلى لمن رام المثل العوالي في تاريخ العرب وهذا هو

الخلق العربي الذي هذبه الإسلام وصفاه السمو الذاتي، أفليس في هذا الكريم حجة قائمة تجيس الليالي وأبد الأبيد على خبث تلك النفوس التي خبثت ذكر العرب في منعها الحسين بن علي من ورود ماء الفرات وإعطاشها النساء والأطفال والفتيات؟ لو بقي لأولئك الجناة الجفاة الطغاة البغاة من عمر بن سعد وجيشه الطغام من الخلق العربي خلق الوفاء لتركوه هو ومن معه من المقاتلة يموتون رواء لا عطاش ولكن القدر قد مكن الحجة وسجل للحسين عليهم بالعظمة والجلالة والرحمة والنبالة وأقام البرهان الأبدي على صلتهم وانعزالتهم وقسوهم وحطتهم وإنّ الإسلام ما لابس قلوبهم ولا نفى عيوبهم وإنّ صلاة النبوة المحمدية عندهم لا تغني عن درهم ودينار يكاد يلتمع منها سعير النار.

كان الحسين بن علي يعلم إنّ مجدد الإسلام ومؤدب سفهاء الأحلام وابن وحي الرسول وسبطه من البتول ولم يكن متآمراً جبارياً ولا خارجياً كفاراً فإنّ الأمر إذن سماوي نبوي محمدي علوي فلا لمقاييس السياسة فيه ولا لتنطعات أرباب الكياسة إنّه عقيدة وإيمان مستمد من النبوة وما ينبغي لأمر أوله وحي من السماء أن يكون من سذاجات الأمور ومضاد الشؤون وعامي المآرب أجل إن الحسين بن علي كان يرى نفسه مكلفاً تكليفاً نبوياً أنْ يجدد الإسلام ويرفع من الأعلام أفلا ترى ذلك قوله لعبيد الله بن الحر – وهو ممن شهد القادسية– حين دعاه إلى نصرته وهو نازل في قصر بني مقاتل بين الكوفة وكربلاء.

(إني سأنصح لك كما نصحت لي أن لا تسمع صراخنا ولا تشهد وقعتنا فوالله لا يسمع واعيتنا أحد لا ينصرنا إلاّ أكبهُ الله في نار جهنم).

أولا تحس في هذا القول نفس النبوة؟ وروح الإسلام واختصاص السماء؟ إنّه يعلم منطق النبوة إنّ السامع لواعية ذرية النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعويلهم عند

قتلهم، غير ناصر لهم إنما هو خارج عن الإسلام مستحق لأشد العذاب، قال عبيد الله بن الحر (دخل عليَّ الحسين عليه السلام ولحيته كأنها جناح غراب وما رأيت أحداً قط أحسن ولا أملأ للعين منه ولا رققت على أحد قط رقتي عليه حين رأيته يمشي والصبيان حوله) ولما بلغه قتل الحسين قال يرثيه وهو أول الراثين له.

تقول أمير جائر حق جائر	ألا؟ قاتلت الشهيد ابن فاطمة؟
ولا نفسي على خذله واعتزاله	وبيعة هذا الناكث العهد لائمه
فوا ندمي ألاّ أكون نصرته	ألا كل نفس لا تسدد نادمه
وإني لأني لم أكن من حماته	لذو حسرة ما أن تفارق لازمه
سقى اللّه أرواح الذين تأزروا	على نصره سقياً من الغيث دائمه
وقفت على أجداثهم ومجالهم	فكاد أخشى ينقض والعين حاجمه

في أبيات أُخَر جياد بعثها الحزن الأصيل والطبع العربي النبيل وهكذا تكون الشخصيات العظيمة كالمرايا تتراءى فيها الشخصيات الأُخَر فيظهر جمال الجميلة منها على الضد[٥٤].

(٥٤) مجلة النجف ـالنجف ـ العدد ـ٣٦ـ السنة الرابعة ـ ١٩٦٢/ص٢.

ملتقى الآراء

حقل تلتقي فيه آراء المفكرين

حول قضايا من الفكر والعقيدة

بقلم: روكس بن زائد العزيزي

ممثل الرابطة الدولية لحقوق الإنسان في الأردن

س١ : هل ساهمت عوامل اجتماعية مع العامل الديني في انبثاق ثورة الحسين عليه السلام؟

س٢ : ما هي معطيات ثورة الحسين عليه السلام في خط التاريخ الثوري ضد الأمويين؟

ج/س١ : يقول المؤرخون، إن الأمويين دخلوا الإسلام مكرهين، موتورين، ناقمين على الإمام علي نفسه لأنهم لم ينسوا وإنْ تناسوا إن الإمام علي كرم الله وجهه صرع بسيفه:

أ: حنظلة أخا معاوية بن أبي سفيان.

ب: الوليد خال معاوية.

ج: عتبة جد معاوية لأمّه أو عمه شيبة.

وكثيراً من أعيان عبد شمس في سبيل الدعوة الإسلامية،ومحاربة الوثنية.وقد ورث الأمويون العداوة أباً عن جد من زمن عبد شمس وهاشم، إلى زمن علي ومعاوية ويزيد والحسن.

فلا عجب إذا كان الأمويون يتحينون الفرص للثأر من بني هاشم عامة، ومن الإمام علي كرم الله وجهه خاصة، ومن ذريته فيما بعد فإذا كان الإسلام قد وأد العداوة وأداً، وغطى حجر الحقد الملتهب برماد الخوف والتقية مؤقتاً، فإنّه ما كان ليزيل من النفوس ما بها من سخيمة ولا سيما إذا كانت تلك النفوس لم يصقلها الدين، ولم يهذبها الإيمان!!

وكيف يهذب نفوساً يمثلها قول صخر أبي سفيان لقومه يوم ولي الخلافة عثمان بن عفان: «دونكم يا بني أمية تلقفوها تلقف الكرة، فوالذي يحلف به أبو سفيان لا جنة، ولا نار».

وقد كره المسلمون الغير على الإسلام بني أمية منذ خلافة عثمان، يوم أقطع مروان بن الحكم- طريد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم- (فدك) مع أنها منعت غيره حتى فاطمة الزهراء عليها السلام بني هاشم عامة، وإن تظاهروا بغير ذلك حيناً.

وقد ينبت المرعى على دمن الحيا وتبقى حزازات النفوس كما هيا

فمن حقدهم على الإمام علي عليه السلام بكنيته وفرضوا شتمه من على المنابر كما هو مشهور، إلى أن جاء عمر بن عبد العزيز، فأمر بإلغاء تلك السفاهة، وفرض أن تحل محل الشتيمة الآية الكريمة:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾.

لكن محاولة هذا الحاكم أودت بحياته في غمار مؤامرة غامضة، دس له فيها السم!

وقد سبق هذه الأمور إقصاء الإمام علي عليه السلام عن الخلافة.

واغتيال الحسن عليه السلام، واضطهاد الحسين عليه السلام نفسه ونقض معاوية العهد الذي قطعه للحسن بأن يكون خليفة من بعد معاوية، مهدت لثورة الحسين، وملأ القلوب نقمة أن البيعة أخذت ليزيد بن معاوية، الذي يقول المؤرخون أنه كان غير مرضي السيرة.

وقد انتزع له والده البيعة من العراقيين بحيث رشا بعضاً منهم وأخاف بعضاً، لأن معاوية ما كان يسمح أبداً لأي مخلوق أو أي قانون سماوي أن يتدخل في تنفيذ مشاريعه، أو يحول دون تحقيق مآربه.

ففي سنة (٥١) للهجرة سار معاوية إلى المدينة ومكة لكي يستوثق من أهل الحجاز، فاستطاع بتهديده وحيلته أن ينتزع البيعة منهم جميعاً ليزيد ابنه ما عدا أربعة من مشاهير المسلمين:

١ـ الحسين بن علي عليهما السلام.

٢ـ عبد الله بن عمر.

٣ـ عبد الرحمن بن أبي بكر.

٤ـ عبد الله بن الزبير، الذي كان معاوية يلقبه بثعلب قريش، كلهم كانوا يرون أن يزيد بن معاوية لا يستحق أن يكون خليفة للمسلمين، لأن سيرته الشخصية لا تنطبق على الإسلام الصحيح.

يضاف إلى ذلك كله أن أهل الكوفة طلبوا إلى الحسين أن يعاونهم على رفع نير بني أمية عنهم، وينقذهم من استبدادهم، فلبى الطلب في الحال، وقد حاول أصدقاؤه أن يثنوه عن عزمه، لكن عبد الله بن الزبير شجعه لكي يقصيه من طريقه، فيخلو له الجو من بعده.

فوق هذا كله فإنّ الحسين كان يرافق الإمام علي عليه السلام وهو يطرق أبواب الأنصار، وأهل السوابق ليلاً حاملاً معه فاطمة والحسنين، يدعو الأنصار إلى نفسه ويذكرهم عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

وكان يسمع أباه يقول:

«**لو وجدت أربعين ذوي عزم لنهضت**».

هذه العوامل أسهمت في نهضة الحسين، ولا سيما إذا أضفنا إليها أن بعض الولاة كانوا يظهرون من الجور ما لا يطاق، وبعضهم يتهتك ويخرج مخموراً ويصلي الصبح بالناس ثماني ركعات ويقول لهم أزيدكم، ثم يقيء الخمر على المنبر، وبعضهم يقول إن هذا الفيء بستان قريش إلى أمثال ذلك، حتى ضج المسلمون، وطلبوا وضع حد لهذه المنكرات.

فلا عجب بعد هذا كله إذ نهض الحسين لإصلاح ما أعوج من الأمور!.

ج/س٢: إن الذي يتبع المعاملة الوحشية التي عومل بها الثائر العظيم الحسين عليه السلام وأعوانه يشعر بأن قلبه ينسحق وليس من الضروري أن يكون مسلماً ولا شيعياً، يكفي أن يكون ذا شعور إنساني، وذا قلب بشري، لكي يتألم للفاجعة التي حلت ببيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولا عجب إذا كانت الفاجعة قد هزت العالم الإسلامي يومذاك كله، هزاً عنيفاً، زرع الحقد في قلوب الناس على الأمويين، ولا عجب إذا كانت هذه الفاجعة المروعة قد خلقت في بلاد فارس شعوراً وطنياً ساعد أحفاد العباس فيما بعد على استغلال ذلك الشعور لمصلحتهم الشخصية، فكان معولاً هدموا به عرش بني أمية.

ولا عجب إذا ثار أهل المدينة المنورة غضباً لابن بنت نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم ولم يبالوا بجيش بني أمية الذي سحق بلا رحمة، زهرة شباب الأنصار والمهاجرين

وبعث (مسلم بن عقبة) برؤوس أهل المدينة إلى يزيد، فلما ألقيت بين يديه جعل يتمثل بقول ابن الزبعرى:

ليت أشياخي ببدر شهدوا   جزع الخزرج من وقع الأسل

لأهلوا واستهلوا فرحاً   ثم قالوا يا يزيدُ لا تشل

وبعد أن أذلوا أهل المدينة أشنع إذلال، أرغموهم على مبايعة يزيد على أنهم خول له يحكم في دمائهم وأموالهم وأهلهم فمن امتنع منهم وصمه بالكي على رقبته، ولم يستثنِ من هذا العار، إلاّ (عليّاً) الثاني بن الحسين و(عليّاً حفيد العباس).

وفي تلك الواقعة هدمت بعض المنشآت العامة، ودخلت شبه جزيرة العرب في عهد مظلم، شديد الحلكة!..

إلى حد أن المنصور الحاكم العباسي الثاني، لما زار المدينة اضطر أن يتخذ له دليلاً، يرشده إلى آثار أبطالها الأقدمين.

كل هذا حصل، فلا تعجبن إذا كانت دماء الحسين الشهيد وثورته قد زرعت ألغاماً تحت العرش الأموي، فظلت كل انتفاضة على الحكم الأموي في العالم الإسلامي تستمد جذوتها من هذا البركان، الذي انفجر بعد حين، فأطاح بالعرش الأموي، وعاملهم العباسيون بالطريقة نفسها، التي، عاملوا بها، لأن من يزرع الدماء يحصد الجماجم.

فاذا كان حقد الأمويين قد تتبع الحسين عليه السلام في قبره فوضعوا المسالح عليه لكي لا يزار مثواه، وطوقوا قبره بالمخافر تتولى منع الناس عن زيارته فإنّ هذا الإرهاب الفكري عجل في إيقاد النقمة عليهم، وأسرع في دمارهم.

لكن قبر الحسين كان سبباً في عمران مدينة كربلاء مضفياً عليها هيبةً وجلالاً لأنه يوم أمّ الحسين العراق لم تكن كربلاء على شيء يذكر من العمران.

فإذا جاز لنا بعد الاعتماد على هذه الحقائق أن نسمح لخيالنا أن يمتد، فإننا نستطيع أن نقول أن ثورة الحسين كانت أملاً لكل ثورة واجهها العهد الأموي فيما بعد.

لكن لنا كلمة لا بد منها في الختام، وهي أنه يجب علينا أن نتخذ هذه الذكرى الدامية الخالدة للتسامح والإخاء، فلا نجعل أغلاط السياسة وأخطاء المصالح الشخصية تجترف عواطفنا إلى الكراهية والحقد على الأبناء الذين لا يد لهم في زلات الآباء والأجداد.

وسلام منا على الحسين وأبي الحسين![٥٥]

---

(٥٥) مجلة البذرة -النجف-العدد-٥- السنة الأولى- ١٣٨٦هـ/ص٢٠.

حركة الحسين كيف نفهمها

بقلم: السيد عبد المحسن الحكيم

أصبح ميسوراً لنا -بفضل الدراسات النفسية المعاصرة للأفراد والجماعات- فهم الحركات الجماعية التي لها قوة التأثير في عصرها والسعي به إلى غايتها ومثلها..وهي قليلة في التاريخ بالنسبة إلى عمر الإنسانية الطويل، وتاريخها البعيد.. وهي لا تكون حتماً حين يكون الرخاء ميسوراً لسائر الأفراد، والفرص مكفولة لهم أيضاً، وحين تكون العدالة الاجتماعية معمولاً بها من لدن الهيئة الحاكمة للشعب مِن دون التمييز بين طبقاته وصفوفه..ولا تكون كذلك حين يحسب للكفاءة الشخصية حسابها في تقديم الأفراد إلى المناصب العالية وتوكيلهم لإدارة سياسة الدولة وشؤونها.. وهذه أمور فرغت منها الدراسات المذكورة وعدتها من جملة البديهيات التي لا تخفى عن النظر الدقيق، ومن هنا سهل علينا أن نزن كل حركة، والظروف التي لابستها، ومدى عمل الأفراد النابهين في تسيير أمرها وتسهيل مهمتها في القضاء على ما يعوق نجاحها أو يعرقل سيرها.

ولا يقاس نجاحها بالظفر الوقتي فيمن سارت لاقصائه على طريقها، أو استبدال منهج خاص بآخر ممقوت، فقد تختنق الحركة قبل أن تخطو خطوات قصيرة في طريقها المرسوم، وقد تقيد حركتها وهي بعد في المهد لم تجاوزه كثيراً ولا قليلاً.. وتكون مع

ذلك ناجحة بحساب الدراسات والفهم الصحيح، لأن نجاحها يقاس بقدرتها على إثارة روح الامتعاض في الأفراد، وحثهم على إظهار امتعاضهم كلما وجد من السلطة الحاكمة أو النظام القائم ما يمس روحهم هذه، أو يتحكم بها وفق مصالحه وهواه.. والشواهد على ذلك كثيرة... تقدمها لنا سيماء هذه الحركات التاريخية على الإطلاق، وهي أشدها وضوحاً وجلاء.

وفهمها يقتضينا الرجوع إلى زمن النبي وعصور الخلفاء من بعده ودراسة الحياة الاجتماعية إذ ذاك ومعرفة علاقة الشعب بالحاكمين وعلاقة هؤلاء بالشعب، وقوام كل منها بنظر الإسلام والمثل التي دعا إليها، ثم موازنة هذه كلها في زمن معاوية ويزيد، وما تعرضت له في زمنهما من تغيير وتبديل واجتهاد لا يقره الإسلام ولا أية شريعة كريمة، كما يقتضينا منهما دراسة الحالة النفسية للمسلمين وهم يشاهدون المظاهر الإسلامية تغيض في دنيا جديدة يسعى معاوية لإقامتها بالسيف والمكر والمال.. ومعرفة ميول الرؤوس منهم ومدى تقبلهم بحكم الإغراء والتهديد وبحكم الرجّات التي أحدثتها فيهم ثورات المسلمين على عثمان وعلى بعضهم في واقعة الجمل وصفين والنهروان، للنظم الجديدة التي تهدد القيم الإسلامية وتنذرها بشر وبيل، ولا نغفل مع ذلك كله من حسابنا كله أحوال فئة صغيرة لم يحسم إيمانها بالإسلام وشرائعه الإجراءات الجديدة في الحكومة الأموية وما أحاط بها من وسائل الإغراء والإرهاب.. لأن لها في منطقتها الأمنية وسابقتها من نسب صراح ومواهب شخصية رفيعة ما يؤمنها من محاولة الإعتداء على مقدراتها وقيمها، ولها من تشبعها بالمبادئ الإسلامية القويمة وتشيعها للمصالح العامة، ومن الشعور بالمسؤولية عن كل ما يلحق بهذه المصالح وتلك المبادئ من عسف وضيم، لها من كل ذلك ما يقصيها عن التأثر بإغراء الأمويين وتهديدهم وأعني بهذه الفئة الصالحة الأسرة الهاشمية التي اضطلعت مع قليل من شيعتها بالحركة الكبرى الموفقة.

فهذه الأمور جميعاً لا بد من استعراضها للوصول إلى فهم الحركة الحسينية المباركة.. والحياة في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مثالية مطلقة... تدعمه أبداً تعاليم الإسلام وسيرة الرسول الكريمة، والفرد فيها لا يؤهله للحظوة عند الرسول جاه ولا نسب، وكانت التقوى هي التي تعين منزلة الرجل من المثالية التي رسمها الإسلام للرجل المسلم، وهي سبيل بإمكان سائر الأفراد أن يرتقوا بها إلى القمم الشاهقة التي وجه المسلمون إليها.

وما كانت الحياة لتبعد عن هذه المثالية في عهد أبي بكر وعمر لا سيما إذا أغفلنا بعض التغييرات التي حصلت في عهد الثاني.. مثل التوزيعات المالية التي روعي فيها نوع من الطبقية، وتقسيم الناس إلى أصناف، ولكنها طبقية يسيرة لم تظهر نتائجها في زمنها، ولم تؤثر في مفهوم الرجل المسلم كما رسمه القرآن الكريم.. ومن يدري؟ لعلها كانت مداورة لجأ إليها عمر بلباقة للقضاء على ما بقي في بعض النفوس من تساؤل عن كيفية قيام حكومة أبي بكر وعمر مع وجود مَنْ نصَّ عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أكثر من مناسبة، وهي على كل حال لم تشعر الذين شملهم الترفيع بامتيازهم بقدر ما أشعرهم بنصيبهم الكبير من المخصصات.

ولكن عثمان بعد توليه الحكم لم يمهل الحياة الإسلامية وريثما تطمئن إلى نظامها السوي، وتتحصن به عن الطوارئ، فقد عجل ببلبلتها بإطلاق أيدي أسرته بمقدرات المسلمين، واقطاعهم الأراضي والولايات، وإيثارهم بأهم مرافق الدولة الحيوية.. وهنا تبدأ سياسة جديدة في المجتمع المسلم قوامها الأثرة القبلية،وكبت الحريات بمطاردة المعارضة ونفيها من مركز الخلافة أو حرمانها من مخصصاتها، وتحويل السلطة من صيغتها الدينية إلى ملكية مطلقة مستبدة،وقد مهدت هذه السياسة إلى أطماع معاوية بحصر الحكم في الأسرة الأموية وجعلها وراثياً فيها. فجد بدوره لتركيز الولاء الأموي في الشام بسخائه المعهود،والدعاية له في الأقطار الإسلامية يبث العيون والأرصاد لحمل

بعض ذوي الأطماع على الانضمام للحزب الأموي.. وقد اشتد نشاطه خاصة بعد انتخاب الإمام علي عليه السلام لخلافة المسلمين.. على أثر الانقلاب الكبير الذي جرف فيمن جرف عثمان بن عفان ونشاط الأمويين في تعزيز مركزهم في المدينة ومكة وما جاورهما. ولكنه لم يقض عليه نهائياً. فقد اختفى ببعض الضمائر التي خلقتها أحوال الأمويين في عهد عثمان.. وقد ظهر أخيراً جلياً سافراً بدعوة من معاوية وإغراء من وعوده.. فكانت منه حادثة الجمل المعروفة.. وقد أثبت الأستاذ الفاضل عبد الفتاح عبد المقصود وثيقة طريفة تظهر لنا مقدار نشاط معاوية في إغراء كبار الصحابة إلى الإيقاع بالإمام وإقصائه عن الخلافة وهي كتاب أرسله معاوية إلى الزبير يقول فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم»

«لعبد الله الزبير أمير المؤمنين، من معاوية بن أبي سفيان.. سلام عليك أما بعد فإني قد بايعت لك أهل الشام فأجابوا واستوسقوا كما يستوسق الحلب، فدونك الكوفة والبصرة لا يسبقك إليهما ابن أبي طالب، فإنّه لا شيء بعد ذلك بعد هذين المصرين، وقد بايعت لطلحة بن عبيد الله من بعدك، فأظهر الطلب بدم عثمان، وادعو الناس إلى ذلك، وليكن منكما الجد والتشمير، أظفركما الله وخذل مناوءكما والسلام».

وتنتهي خلافة الإمام بمصرعه على النحو المعروف، وهو يذكرنا بضعف الروح الدينية في المسلمين،ومدى هذا الضعف في هذه المدّة من عمر الإسلام.. ولا يظن اقتصاره في فئة الخوارج التي هزتها الأحداث فلا تعد تبصر سبيلها الحق بين التيارات التي تنازعت المجتمع الإسلامي، فقد كان هذا الضعف عاماً شاملاً في العراق والحجاز على السواء وهذا يفسر جانباً مهماً من جوانب الحركة الحسينية هو تقاعد الناس عن نصرته، وقبل ذلك عن نصرة الإمام الحسن عليه السلام وتكالب الكوفيين على قتاله، كما يفسر صبر الناس على سياسة الاضطهاد التي أخذ معاوية بها أعلام الكوفيين وزهادهم أمثال

حجر بن عدي وعمرو بن حمق الخزاعي... وأحسن من صور لنا الحالة الدينية في هذه المدّة كلمة الحسين عليه السلام الخالدة:

«**الناس عبيد الدنيا، والدين لعق على ألسنتهم، فإذا محصوا بالبلاء قل الديانون**».

والحياة الاجتماعية في هذا الآن غاية في الاضطراب نتيجة السياسة الدموية التي اتبعها معاوية في القضاء على المعارضة والحزب المناوئ للسياسة.. ومسلمو العراق والحجاز لا يملكون من أمر المعارضة ولا من أمر نفوسهم شيئاً.. فمن جهة يتراءى لهم بريق الجاه والمال يكيّله معاوية لشيعته كيلاً، وتتراءى لهم من جهة أخرى مشاهد القتل والتمثيل التي لحقت بعض شيعة علي على يدي زياد ومسلم بن عقبة وبسر بن أرطاة... فضلاً عمّا أصيبوا به من كلل كثرة الحروب، وفقدان الباعث الديني في كثرتهم، وخوف زعمائهم من سياسة معاوية التي تعرف كيف تتخلص من أعدائها من وراء الستار.. وما مصرع مالك الأشتر والإمام الحسن وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد عنهم ببعيد، وليس وسيلة معاوية في أخذ البيعة ليزيد ببعيدة عنهم أيضاً.. فتمر هذه المشاهد ببشاعتها على المسلم المنهوك.. فتسلبه بالطبع ثقته بنفسه، وثقته بدينه، وثقته ببيئته بجميع أشكالها وألوانها، فما ضره إذن إذا آثر العافية والجاه والمال وحفظ الذات.. وهكذا كان.. ولست أستطيع أن أصدق أن آلافاً من الكتب جاءت، إلى الحسين بدعوة أصحابه إلى بيعته، وإذا صح ما أشر إليه من أمر هذه الكتب فلا بد أن يكون باعثها خدعة أموية.. غرضهم منها إثارة الحسين إلى الخروج على السلطان وقتله لهذا السبب، وقد انطلت هذه الحيلة على بعض الشيعة في الكوفة مع من كتب.. وما كان الحسين يحتاج إلى من يثيره للخروج.. فقد كان كل شيء يوم ذاك يدعوه إلى الثورة، وما كان خروجه من المدينة لغرض التوجه إلى العراق استجابةً لكتب أهله الكثيرة، وأنا أربأ بنظر الحسين النفاذ وملاحظته الدقيقة أن لا يستشف الحيلة الأموية من وراء هذه الكتب..

وما عهدنا شبث بن ربعي وقيس بن الأشعث وأصحابهما يرضون ببيعة الحسين وقد تحللوا سابقاً من بيعة الإمام علي عليه السلام..إذن كيف نفسر أبتعاثه مسلم بن عقيل إلى الكوفة؟ لا أدري الآن، وأدع أمر النظر بها إلى مناسبة أخرى.. وكان خروجه إلى غير وجهه معينة قطعاً وغرضه تنبيه الرأي المسلم العام من خلال خطبه وأحاديثه إلى أن الأمويين ذاهبين حتماً بدينه وكرامته وتقاليده إلى الفناء، وتسخيره أبداً لمصالحهم وأغراضهم التي كان منها السيادة والأمرة والثراء.

من هذا الاستعراض السريع ببعض الأحداث التي سبقت حركة الحسين في الزمن نستطيع أن نفهم طبيعة هذه الحركة ورغبتها البعيدة.. وهي رد الاعتبار إلى الدين وإلى الحق وإعادة الدين إلى النفوس.

ووجود الحسين في زمنه وهذه القلة من صحابته ضرورة تاريخية لا بد منها في عصور التدهور والانحطاط.. وأنت لا تعدم الشواهد لها في أصول علم الاجتماع، وتاريخ الثورات الكبيرة وقد قلت في هذه الحقيقة في مناسبة سابقة «إننا لا نعدم في عصور التفسخ الخلقي أفراداً يثير فيهم رد الفعل شعوراً بضرورة الإصلاح وتقويم الخلق، وإنهم ليفنون في سبيل ذلك حين يجدون الزعيم الذي يرضى حاجتهم الإصلاحية.. ومن هذا نفسر وجود أنصار الحسين وفناءهم في زعيمهم، وما كان ليهيأ مثل الامام الحسين في عصره ولا يتهيأ له مثل أنصاره».

ونستطيع أن نحكم بنجاحها باستعراض تاريخ الدولة الأموية بعد قتل الحسين، وما تخلل أيامها من انتفاضات بعض الزعماء أمثال المختار وزيد بن علي رحمه الله.. ولتذكر دائماً أن العباسيين تولوا للظفر بخصومهم بالثأر للحسين عليه السلام وأهل بيته. إذ اتخذوا قتلهم أكبر مظهر من مظاهر فساد الحكم الأموي وسوء نياته بالإسلام والمسلمين(٥٦).

(٥٦) مجلة الألواح -بيروت- العدد-١٠- السنة الأولى- ١٩٥١/ص٤٧.

عاشوراء يوم الآلام والآمال

بقلم: الشيخ محمود المظفر

نحن – يا سادتي– إن تصفحنا التاريخ عصراً عصراً فإننا –ولا شك– سوف نرى الصراع قائماً بين الحق والباطل منذ الأدوار الأولى من التاريخ حتى يومنا هذا..الصراع لم يفتر أو يهدأ في أي عصر من العصور. وان هو هدأ فترة بتغلب أحد الجانبين فان ذلك لا يعني إن الفريق المغلوب قضي عليه قضاءً تاماً؛ بل إن حرب القلوب باقية متقدة.

وما حرب معاوية مع أمير المؤمنين والحسن والحسين عليه السلام إلا نتيجة لتلك الحرب؛ الحرب في القلوب والنفوس، الحرب التي لم تهدأ أو تفتر منذ أنكسار شوكة قريش في حربهم مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وبالأخص أنكسار تلك اللمة التي تجمع أبا سفيان وبنيه وبعض رؤوس قريش.

فهؤلاء دخلوا الإسلام كرهاً إضافة إلى ذلك انهم رأوا أن دخولهم في الإسلام أقرب إلى نيل مأربهم وهو قلب الدين الجديد، وذلك ليعملوا على هدم الإسلام باسم الإسلام، ولم يقصد أبو سفيان عند مد يده لمبايعة أمير المؤمنين عليه السلام بعد يوم السقيفة إلا الكيد للإسلام وأهله، وكذلك إعلان ابنه معاوية الحرب على أمير المؤمنين عليه السلام يوم صفين ثم تدرج في النظر بعد هذا إلى حفيده يزيد، ألا قاتل الله الأحفاد والأجداد، يزيد الذي ورث الحقد والكراهية – وما في الأباء يرثه الأبناء– ويستمر استعار حرب القلوب بين الحسين عليه السلام ويزيد ثم يشتد ويشتد كلما تقدم

الزمن وتولدت حادثة تزيد في النار ناراً.

فكلما تصور يزيد شبح الحسين الذي يخنقه ويهدد ملكه وملك أبيه احترق من حقده الشخصي مضافاً إلى حقده الوراثي.

ومهما أمعن يزيد في لهوه ومجونه وازداد هتكه للحريات في زمن أبيه ازداد الحسين عليه السلام تأثراً منه وامتعض ألماً لتلك المهازل التي تمثل تحت ستار الإسلام.

وهكذا يزداد غيظ الجانبين بتجدد الزمن، فقد عانى الحسين عليه السلام من آل أمية آلاماً يعتقد أنها تقارب الآلام التي عاناها منهم جده أيام دعوته إن لم تزد عليها، فإنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم تزيد آماله وتنقص آلامه كلما تقدم الزمن الذي بتقدمه تتقدم الدعوة وتنال فوزاً مبيناً.

والحسين عليه السلام على العكس من ذلك تكثر آلامه وتنقص آماله كلما تقدم الزمن الذي بتقدمه ينهد الإسلام ويتراجع إلى الوراء.

عرفتم- يا سادتي- كما تقدم إن بين الحسين ويزيد حرباً هي الحرب في القلوب، وعرفتم أن تلك الحرب ما دامت قائمة فهي ستجر وراءها حرباً حقيقية ضروساً.

فيزيد الفاجر ابن الطلقاء يريد البيعة لنفسه من إمامنا الحسين العظيم وإلا فلا يرى غير الحسام. نهض الحسين عليه السلام بالإيمان أو نهض الإيمان بالحسين، نهض رجل النهضة وللنهضة رجلها، وأصحاب النهضات تختلف نهضاتهم باختلاف مبادئهم وغاياتهم، فوثبة يراد بها قلب الحق، ونهضة يقصد منها محو الباطل وتقويض دعائم الكفر والبهتان، فالأولى يمثلها يزيد الذي يمثل الكفر والطغيان، والثانية يمثلها الحسين الذي رضع الإيمان حتى صار جزءاً معه لا يتجزأ.

وهنا يتقابل المبدآن، وشتان ما بين المبدأين إذا الحرب لم تكن بين رجلين فحسب فكل منهما قد تلبس بمبدئه حتى غدا المبدأ الشخص نفسه والشخص المبدأ نفسه.

فقد رأى يزيد بعقله الناقص أن قتل الحسين عليه السلام فقد قتل الإسلام، وما دام الحسين عليه السلام موجوداً فان الدين لم يمت إذ الدين هو الحسين والحسين هو الدين.

هب الحسين فصرخ بالكفر مسدداً سهمه إلى كبده، وكان ما أمله يزيد من الانتصار قد عاد عليه وبالاً وأنكساراً، وسيبقى صوت الحسين وهو يهيب بالناس يدوي في الآفاق وسيبقى صوت الناس وهتافهم باسم الحسين يرن في الفضاء، وهنا يجتمع صدى الصوتين فيكون التقاؤهما تفاعلاً عظيماً وصدى يهدد ويزلزل ملك الكفر والطغيان.

رأى يزيد- كما قلنا- أنه: إن قتل الحسين قتل الإسلام، وعلم الحسين إنّه منتصر بنهضته على كل حال سواء حارب بالأجناد المجندة، أو حارب بنفسه لو خذله الناس.

علم الحسين أنه لا شك منتصر فخرج من مدينة جده إلى بيت ربه - ووجهته الكوفة- وفيها حط رحال المجد في كربلاء وفيها جرت أفجع حادثة في تاريخ البشر.

ولأجل هذه الحادثة قامت قيامة الخلق وكان أهل الكوفة محاربوه بالأمس مرددي صدى نهضته بعد ذلك اليوم.

وبهذا أصبح يوم العاشر من محرم مبدأ النهضات، فجل النهضات التي تأخرت عن نهضة الإمام والتي كان يراد بها محو الطغيان تردد صدى ذلك الصوت الذي انبعث من كربلاء المقدسة.

وهذا اليوم الذي نهض فيه أبو الشهداء غدا يوم الخلود لأن النهضة فيه تركت وراءها الخلود الدائم وسيبقى الخلود ما بقيت إنسانية في الوجود، وهذا اليوم هو الذي علم المسلمين التضحية والتفاني في سبيل المبدأ والعقيدة، وهذا اليوم أعظم يوم أظهر فيه ظلم الظالم وأعظم يوم أظهر فيه حق المحق، ثم أعظم يوم تفجرت فيه الآلام ولا زالت مستمرة، وهذا اليوم أعظم يوم أشرق فيه ضياء الدين، وأعظم يوم لاح من نور الآمال فكان بحق يوم الآمال والآلام(٥٧).

(٥٧) مجلة البذرة -النجف- العدد-٥- السنة الأولى- ١٣٨٦هـ/ص١٥٧.

الجهاد والتضحية والإباء

شاركت فيها الرجال والنساء

بقلم: أحمد عارف الزين

صاحب مجلة العرفان -لبنان

بسم الرحمن الرحيم

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾.

لا تحذرن فما يقيك حذار ... إن كان حتفك ساقه المقدار

وأرى الظنين على الحمام بنفسه ... لابد أن يفنى ويبقى العار

فأقذف بنفسك في المهالك إنما ... خوف المنية ذلة وصغار

ما هاشم إن كنت تسأل هاشم ... بعد الحسين ولا نزار نزار

منعت طروق الضيم فيها غلمة ... يسري لواء العز أنى ساروا

سمة العبيد من الخشوع عليهم   لله ان ضمتهم الأسحار

وإذا ترجلت الضحى شهدت لهم   بيض القواضب أنهم أحرار

تتمخض القرون والسنون بالحادثات الجسام وعلى رأس كل قرن إذا تصفحت التاريخ بإمعان وتدقيق نرى رجلاً أو رجالاً ومرأة أو نساءً ضربوا المثل الأعلى في التضحية وبذل النفس والنفيس في سبيل إحقاق الحق وإزهاق الباطل، إنّ الباطل كان زهوقاً.

ولئن استعرضنا رجال التاريخ وأبطال العالم ونوابغ الأمم لرأينا بأم العين بل بعين الإنصاف إنّ هذه الأمة العربية الكريمة كانت في الطليعة بين سائر الأمم، وفي مقدمتها قريش فالهاشميون الأباة الذين ضربوا الرقم القياسي في التضحية والثورة على الظالمين.

هذا قبل الإسلام أما بعده فلهم الشطر الأكبر في هذه الخلال الشريفة فمحمد الرسول وعلي الإمام والحسن الإمام وغيرهم من أهل البيت الطاهر الذين سبقوا الأولين والآخرين في جهادهم وتضحيتهم واستماتتهم في سبيل الأمة والنفع العام لكن ما جرى للحسين وأهل بيته وأنصاره من رجال ونساء لم يسبقهم إليه سابق ولم يلحقهم لعمري وعمر الحق لاحق. فئة قليلة لا تبلغ المئة تقدم على قتال ثلاثين ألفاً غير مبالية بالموت بل تأنس بلقاء الله كما يأنس الطفل الرضيع بثدي أمه ولا تبالي أوقعت على الموت أم وقع الموت عليها.

فئة قليلة تغامر هذه المغامرة ولا ترضى بمفارقة سيدها الحسين الذي ضحى بنفسه وبماله وبأهل بيته وبخواص أصحابه، وهم صفوة المسلمين بذاك العهد الموبوء عهد بني أمية وفاسقهم يزيد أقدم على هذه التضحية النادرة لينقذ دين جده من الفسقة الخونة السفاكين المخربين ولسان حاله ينشد:

إن كان دين محمد لم يستقم   إلاّ بقتلي يا سيوف خذيني

وكان للحسين قبل هذه التضحية التي قال عنها المسيو ماربين الألماني انها فاقت بكثير صلب المسيح ونحا نحو هذا الفيلسوف الألماني فيلسوف فرنسي وهو الدكتور جوزف وكتب عن السياسة الحسينية بتجرد وانصاف مما لا يسع المقام لنقله- تضحية عظيمة جداً دلت على طيب عنصره ولؤم عنصر يزيد وأبيه فقد حدثنا التاريخ عن قصة أرينب بنت اسحاق وقد سماها الأستاذ عباس محمود العقاد في كتابه أبو الشهداء – وهو أحسن ما ألف في واقعة كربلاء – زينب وخلاصة قصتها: إنها كانت من أجمل نساء عصرها وقد تزوجها عبد الله بن سلام وكانت وصفت ليزيد على عهد خلافة أبيه معاوية، فهام بها أي هيام وبلغ ذلك معاوية فاستدعى زوجها ابن سلام إلى الشام ودس له من قال له: إن معاوية يريد أن يزوجك ابنته وكانت مؤامرة وضيعة بين الأب والبنت إذ طلبت من ابن سلام أن يطلق امرأته ففعل ولما طلب إنجاز الوعد أبت كل الإباء ان الذي طلق امرأته وهي أجمل نساء زمانها لا آمن أن يطلقني فعاد إلى الكوفة هائماً على وجهه وكان معاوية وجّه أبا الدرداء وأبا هريرة الصحابيين المعروفين ليطلبا أرينباً أو زينباً ليزيد فعرجا على الحسين ولما أخبراه الخبر قال لهما اذكراني عندها ولما خيراها بين الحسين ويزيد قالت اختارا لي الأصلح فقال أحدهما لقد رأيت الرسول يقبل فم الحسين وأي سعادة أعظم من أن تضعي فمك على فم قبله الرسول فاختارت حسيناً وجرى العقد، وفي الأثناء وصل عبد الله بن سلام فاستأذن الحسين بأن يدخل على أرينب ويطلب منها ماله المودوع عندها فأذن له وسلمته ماله وهو كثير تاماً غير منقوص ودخل الحسين – حسين المروءة والشرف عليهما- وهما يتشاكيان ويتباكيان فقال لابن سلام هي طالق فعد لأمرأتك والله إني لم أمسها وما فعلت ما فعلت إلاّ لأحفظها لك من الظالمين المغتصبين وكان ساق لها مهرها فعرضت عليه اعادته فأبى كل الإباء وتركه لها، وبلغ ذلك معاوية وابنه يزيد فقاما وقعدا لهول ما جرى وتأصلت العداوة القديمة التي كانت بين هاشم وأمية وبين محمد وأبي سفيان وبلغت حدها

الأقصى بين الحسين ويزيد إلى أن ولي الخلافة في غفلة بل جنون من الدهر الخؤون فشفى غيظه ابن آكلة الأكباد، وهاتك حرمة مدينة الرسول وضارب الكعبة المشرفة بالمنجنيق – من الحسين حيث فعل تلك الأفاعيل المنكرة شارباً خمرة النصر متمثلاً بكل وقاحة وقحة بأبيات ابن الزبعرى:

ليت أشياخي ببدر شهدوا	**جزع الخزرج من وقع الأسل**
لأهلوا وأستهلوا فرحاً	**ثم قالوا يا يزيد لاتشل**
لست من خندف إن لم انتقم	**من بني أحمد ما كان فعل**
قد قتلنا القوم من ساداتهم	**وعدلناه ببدر فأعتدل**

ولما رأى الرؤوس والسبايا عدو الله أنشد:

لما بدت تلك الرووس وأشرقت	**تلك الشموس على ربى جيرون**
نعب الغراب فقلت صح أو لا تصح	**فلقد قضيت من النبي ديوني**

ومما يلفت النظر أنّ هذا النصر المزعوم عاد على يزيد وبني أمية بالخزي والعار، وعلى الحسين وأهل البيت بالفخر وجميل الذكر، وهذا يزيد يشتم ويلعن والحسين يُصلّى عليه ويسلم، وهذا قبر يزيد المجهول يرجم وقبر الحسين المشيد بالفضة والذهب يزار ليل نهار. ومن عجيب أمر واقعة كربلاء ويوم عاشوراء أنّ المرأة أسهمت فيه أكبر إسهاماً وكان لها فيه شأن، وأي شأن.

قال الطبري: كانت مارية ابنة منقذ العبدية تتشيع وكانت دارها مألفاً للشيعة يتحدثون فيه وهي بصرية وكان ذلك على أثر اجتماع الشيعة بالبصرة وخروجهم لنصرة الحسين عليه السلام. وطوعة امرأة كوفية أجارت مسلم بن عقيل وخبأته في غرفة داخل بيتها، ولكن ابنها وشى به.

وعَنَّفت دهلم بنت عمر زوجها زهير بن القين؛ لأنه تلكأ قليلاً عن إجابة رسول الحسين قائلة له: أيبعث إليك ابن رسول الله ولا تأتيه، وسأل وهب بن حباب الكلبي أمه بعدما بالغ في الجهاد بين الحسين قائلاً لها: أرضيت يا أماه..! فأجابته لن أرضى حتى تقتل بين يدي الحسين..! وأخذت أمرأته عموداً لتقاتل به وكذلك فعلت أم عبد الله بن عمير وأم عمر بنت جنادة التي قتل ولدها فأخذت رأسه وضربت به القاتل فقتلته.

وأما ما فعلته زينب وأم كلثوم من الحزم والتدبير وهما سبايا وما ألقياه من الخطب البليغة المفجعة على الكوفة وما أجابتا به ابن سعد وابن زياد فهو من أعظم ما فعل وأبلغ ما قيل:

ولو كان النساء كمثل هذا	**لفضلت النساء على الرجال**

وبعد فلو لم نؤمر بالحزن لهذا الحادث الجلل لكنا اتخذنا يوم عاشوراء عيداً كما قال ابن طاووس في اللهوف وكما اتخذ النصارى يوم صلب المسيح عيداً:

ونحن وبنو هاشم كما قال الكميت:

بنو هاشم رهط النبي فإنني	**بهم ولهم أرضى مراراً وأغضب**
بسطت لهم مني جناح مودة	**له كنف عطفاه أهل ومرحب**

أو كما قال أبو تمام:

لكم ذخركم أن النبي ورهطه	**وصلبهم ذخري إذا التمس الذخر**
جعلت هواي الفاطميين بلغه	**إلى خالقي ما دمت أو دام لي عمر**

﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[٥٨].

---

(٥٨) مجلة الغري -النجف- العدد -٩، ١٠- السنة الثامنة -١٩٤٧/ص١٧.

من حارب الحسين يوم الطف؟

بقلم: الشيخ محمد حسين المظفر

كان في الكوفة هوى لعلي عليه السلام قبل أن تأتيه الخلافة مرغمة، وأي بلاد لم يكن للمرتضى يومئذ فيها صوت داوٍ..؟ اللهم إلاّ الشام، فقد ربض فيها ابن هند عشرين عاماً والياً، وهذا الأمد الطويل جعلها مغرساً لنواة آماله، وقد تطلع لأمر ما كان ليأتيه صدفة، دون أن يمهد له السبيل ويعد له العدة والعدد، وما كان مقتل عثمان إلاّ حدثاً يرتقبه ويحسب له الأيام والساعات ليجعله أحبولة لاصطياد أمانيه العذاب.

فما كانت بلاد الإسلام – خلا الشام– تستغرب النبأ عن البيعة لأمير المؤمنين بل قابلته بالرضا والطاعة. وما حادثة البصرة – لولا المغرون– بواقعة، ولا مصر لولا الدعوة إلى خلافة – بمخالفة.

كان بالكوفة رجال يوالون أبا الحسن ويرون الإمامة فيه وإن قبع في بيته وحاربته الأيام، وما جنده لحرب البصرة إلاّ الكوفة وما تلكأت عن الإجابة أياماً إلاّ بإغراء أبي موسى الأشعري وتخذيله، وكيف رأيتها عادت إلى الطاعة يوم جاء إليها الأشتر رضي الله عنه وأوقع بالأشعري استنهضها للخروج، ومن ثم تعرف مكانة مالك في المصر.

فلأمير المؤمنين أمة بالكوفة تقول بإمامته قبل أن يجعلها عاصمة سلطانه، إنما نمت تلك البذرة بعد أن حل بها عقيب واقعة البصرة نعم بها فئة، لم يجل الصدأ عن قلوبهم سحر بيانه وقواطع حججه وبليغ مواعظه، والناس معادن.

وزاد رفع المصاحف في أولئك المخالفين لرأيه فجعل من الكوفة ثلة ثالثة تسمت الخوارج، وما قلعت جذورها حادثة النهروان بعد أن وشجت ونما غرسها الوبيل بخدعة ابن النابغة.

فالكوفة بعد صفين عادت على ثلاث فرق علوية لا ترى لغيره إمامة، وحرورية لا ترى له إمامة، وثالثة أشركته مع غيره في الإمامة، وهذه ترى الإمامة لكل من ارتقى عرش الحكم من أي ناحية وطريق، فعلي ومعاوية إمامان، وإن كانا حرباً شعواء، وأعداءً أمواتاً وأحياء، وإن حارب علي معاوية على الدين، وحارب معاوية علياً على الدنيا والملك.

أمّا التشيع والخروج بعد حرب صفين فمذهبان معلومان أغنت مواقف أربابها عن التدليل على وجودهما. ولا نحسب أن روح الخوارج بادت بالكوفة خاصة بعد أن أُبيدوا يوم النهروان، لأن الذين انفصلوا عن الخوارج بعد الإحتجاج عليهم ذلك اليوم لم ينزلوا عن رأيهم إيقاناً بفساده، وإنما تنازلوا هرباً من حر السيف، اللهم إلاّ فئة قليلة وضح لها الحق فعادت إليه.

وازداد القوم انغماساً في الخلاف عندما أُبيد أصحابهم يوم النهروان وهم من أهل الكوفة، وكم لهم بالكوفة من عشيرة وأهل وذرية، وكم يبلغ بالمرء الحقد والضغينة على الثكل، وأين من يخضع للحق وإن حز وريديه.

وأما الفرقة الثالثة فإنها كانت أكثر أهل الإسلام ذلك اليوم ولم تتمخض لولاء العترة وإن عاد السلطان لأبي الحسن ولم تخلص الكوفة له وهي عاصمة خلافته في الولاء والإتباع.

فكانت هذه المذاهب الثلاثة في الكوفة متخالفة، وما اتفقت بعد أن افترقت وكان التخاصم بينها دوماً بالحجة مرة وبالحرب أخرى، ولا يتغلب مذهب على مذهب إلاّ

بقوة السيف، وما استطاع معاوية بأساليبه الجمة في محاربة التشيع أن يقتلع شجرته من الكوفة، وكيف يقلعها وهي متوشجة العروق، وأحسب أن حب أهل البيت إذا صار شغاف القلوب لا ينخلع عنها رغبة أو رهبة، علم أن السيف والخوف حاكمان على انطباعه، ورصد أن على كونه ومهما وجد منفذاً برز للعيان بروز النار من تحت الرماد.

كان اختلاف هذه الفرق عاملاً قوياً في الغدرة بالحسن عليه السلام، وإن كان السأم من حرب صفين وخوف العودة إلى مثلها حرباً تأكل العرب عاملاً آخر في الخذلان والكوفة جبلت على الملل كما طبعت على النكثة ولا رأي لملول، ولا ثبات لملول، والعجب أنّ الشام ما شكت التعب والسأم من حرب صفين، وما غدرت بمعاوية مللاً من الحرب وكانت الحرب بهم أفتك، والقتل فيهم أكثر، ومن ثم تعرف الفرق جلياً بين المصرين، ولماذا لا يسود معاوية وجنده الشام؟ ولماذا لايمل الحياة أبو الحسن وجنده الكوفة؟

قد يخال أن معاوية قضى على التشيع بكل ما أوتي من حول وحيلة حتى لم يبق بها شيعي معروف، ولكن ما انقضت أيامه الجائرة إلاّ وتطالعت الشيعة من أوجارها متلعين أجيادهم، يريدون التمرد على الحكم الأموي، والليث يثبت بعد الربضة، وإذا وثب اخرى وخيفت سطوته.

وأما الحرورية فليست لهم في العهد قوة يستطيعون بما على الاستقلال فهم لا يقدرون على حرب الحزبين الآخرين وهم لهما حرب، نعم يودون أن يضربوا كلاً منهما بالآخر بغضاً للفريقين، فأينما أصابت سهامهم فتح، فهم ينتظرون من يكون الغالب ليكونوا معه فإنّه امضى في الضربة.

وأما أشياع أمية فقد ساورهم الحيرة حين رأوا الشيعة ينتفضون كأنما نشطوا من عقال، وأمير أولئك الأشياع النعمان بن بشير وهو ضعيف أو يتضعف، وقوة الجند من

قوة القائد وعزمه فكيف ينهضون لإخماد نار الشيعة وأميرهم باد عليه العجز والخور..؟

ولا تخفى عليك حال غثاء الناس في كل كورة فإنهم لا يندفعون بدافع الإيمان والعقيدة، وإنما هم أتباع كل ناعق، وإنّ الذين يجمعهم الهتاف، وتفرقهم الصرخة لا يسر اجتماعهم ولا يسيء تفرقهم، فبينما هم مقبلون تراهم مدبرين، من دون حاد حثهم على الإقبال، ولا انتباه دعاهم إلى الإدبار، وإنما الشأن كله في رؤوس الناس في بلد غير الكوفة فبهم يبلغ المرء آمانيه إن أمتلك قلوبهم، ويخسر مآربه ان استعصت عليه نفوسهم، ولكن الرؤوس في الكوفة كالأذناب فيها سريع توثبهم سريع تشتتهم حلومهم كحلوم الأطفال، وعقولهم كعقول ربات الحجال، لا يستقيمون على رأي، ولا يمضون على مبدأ واحد، فكم كان بها من وثبة، وكم كان بها من غدرة..!!

كاتب شيعة الكوفة بعد موت معاوية الحسين بن علي عليه السلام، ومن لهم مفزع يلجأون إليه فراراً من جور أمية غير الحسين مثال العدل والهدى..؟ والحرورية واجمة، وأتباع أمية حائرة، نعم ساير شطر منهم شيعة الحسين فكاتبوه كما كاتبه الشيعة، وهل كان ذلك منهم سيراً خلف العلوية، وقد أصبح الخطير شأنهم، أو مجاملة خوفاً من أن تعود القوة للشيعة فلا شفيع لهم لو جاهروا بالخلافة والحجة قد قامت – وكيف لا تقوم ويزيد الخليفة– ولا سبيل لهم غير المتابعة وإن أبطنوا الخلافة..؟

أرسل إليهم الحسين عليه السلام بعد الإلحاح في الطلب ثقة بصيراً من أهل بيته (مسلم بن عقيل) ليأخذ له البيعة منهم ويجمعهم على الحق، فبايعته الشيعة طيعة، والأموية بين راكض يقتفي أثر أهل الولاء وبين صامت ينتهز الفرصة للوثبة. وأمّا الهمج الرعاع فقد هتف بهم داعي الولاء فاتبعوه.

وما كاد يمضي ذلك اليوم الذي ابتسمت فيه أماني الشيعة وشاهدوا فيه بوادر الظفر من اجتماع العدد الجم حول مسلم ورجوا أن ينتشقوا أطلق النسيم بعد ذلك

القبوع والخنوع حتى فاجأ الكوفة عبد بني علاج عبيد الله بن مرجانة، والناس تعرف من ذلك العلج في بطشه وفتكه، فاستاءت الشيعة من هذه المفاجأة وارتجفت قلوب الرعاع من الناس، وفرح الحزب الأموي، وعاد إلى رأيه الخائف المتذبذب منهم فبذل ابن مرجانة أقصى احتياله واجتهاده في تفريق الناس عن ابن عقيل، فما أصبح إلاّ والناس تتطاير من حوله إلى ما طبعت عليه ولم يبق غير الخلص من الشيعة واثبة بين يديه وغير لمة من الرعاع تتطاير شعاعاً إذا أحست بحر الطعان.

وثب ابن عقيل يريد حرب ابن زياد فتفرق الرعاع يخذلون الناس عنه. ويهددونهم بجموع الشام. فما أسرع ما تطاير أولئك الرعاع يهرعون إلى بيوتهم حذر البطش والنكال، فلم يبق لدى ابن عقيل من هؤلاء الناس الذين زحف بهم على قصر الإمارة من يشد الأزر، وأما أهل الولاء الصادق فكان زعماؤهم يحاربون بهم أنصار ابن مرجانة في الدروب والشوارع والكوفة واسعة الأطراف يمتد عمرانها عدة أميال. والناس في كل محلة على ذلك الاختلاف في المذاهب والرأي. بل العشيرة الواحدة قد يكون فيها التضارب قائماً فما شعر الشيعة إلاّ ومسلم مخذول مقتول. وهاني بن عروة قد خذله قومه، فبان الوهن على الشيعة. فبقيت ثلة منهم تحارب نصراء أمية، وكان من أولئك الزعماء الذين شمروا عن ساعد الجد - المختار- فخدع ابن زياد الناس بالأمان لإطفاء تلك الثائرة، ونصب راية ليأخذ اللائذ بظلها. فلام الناس المختار والناهضين لحرب الأمويين على بقائهم شاهرين أعلام الحرب. وحثوهم على الدخول فيما دخل فيه الناس (ولم يكن ينفعهم ذلك وزعيمُ النهضة مستشهد) فصار الشيعة وزعماؤهم يلجأون إلى تلك الراية وعندما آمن ابن مرجانة من غوائلهم عبثت يداه فيهم، فرفع بعضهم فوق المشانق وأذاق آخرين حر السيف صبراً وأودع الباقين مطابق السجون.

فلما جاء الحسين عليه السلام العراق وحط رحله بكربلاء إلاّ والشيعة أشتات، وفي سجن ابن زياد منهم إثنا عشر ألفاً (كما قيل) ولم يكن في استطاعة بقيتهم أن يتلع

جيده وعلى المشانق أولئك الأصفياء وفي طليعتهم ميثم التمار، والسيوف قد انذرت رؤوس هاتيك البررة، والسجون مليئة بتلك البهاليل الغر، وفي مقدمتهم المختار وسليمان بن صرد وإبراهيم بن مالك ورفاعة بن شداد والمسيب بن نجية ونظرائهم وبقيت فئة من القوم عميت عنهم عيون ابن زياد تسلل شطر منهم لنصرة الحسين عليه السلام، وفيهم أمثال حبيب ومسلم بن عوسجة وبرير بن خضير قراء المصر وأهل الصلاح منه وإن أكثر من قتل مع الحسين كانوا من أهل الكوفة.

وكان هذا التشتيت للشيعة من قبل ابن زياد قد قيض له أن يسوق الناس لحرب الحسين ولو كانت الشيعة على تراحمها والحسين مقبل لما استطاع ابن مرجانة أن يحول بين الحسين ودخول الكوفة ويجعجع به في كربلاء ويسوق الناس لحربه وشيعته دريئة دونه.

كان يقود جيش ابن زياد فريقان لا ثالث لهما أموي النزعة. وحروري العقيدة والثاني وإن قل عديده إلاّ إنه قوي الشكيمة عزيز الجانب أمثال آل الأشعث فإنهم يقودون كندة ويعتصمون بها، وهي ربع الكوفة وأمثال عمر بن حريث المخزومي (ومخزوم ريحانة قريش) وهو بعد من شيوخ قريش إلى غيرهم. وما كان خروج آل الأشعث على الحسين عليه السلام حباً لآل أمية ولكن بغضاً لآل أبي تراب. ولما واتتهم الفرصة خرجوا على الأمويين أيضا دأب الحرورية في النزعة. كما خرج عبد الرحمن بن الأشعث عليهم وعاث فساداً إلى أن قضوا عليه وعلى رجاله.

وأما الأول فهو أكثر قواد الجند أمثال ابن سعد وعمر بن الحجاج وحجار بن أبجر وشبث بن ربعي وأسماء بن خارجة وصالح بن وهب وسنان بن أنس وماشاكلهم، ولم يكن أكثر هؤلاء قد خرجوا لحرب الحسين إكراهاً لهم من ابن زياد ولكنهم خرجوا رغبة ونصرة للمبدأ. ولو كانوا مكرهين لما جدوا في ذلك الموقف وبذلوا قصارى جهودهم في حرب أهل البيت وزادوا على ما رغب فيه ابن مرجانة من فضائع الأعمال.

وما روى التاريخ أن أحداً من قادة الجيش كان يحمل بين حنايا أضلاعه ولاء أهل البيت، نعم كان فيهم من يعرف مقام الحسين الإلهي وإن لم يكاتبه مثل الحر بن يزيد الرياحي فإنه استهوته الإمرة والعداة على الخروج لصد الحسين عن الكوفة وحين جد الجد عاد إلى نزعته وانقاد لعقيدته فلم يختر النار على الجنة والوى بعنان فرسه نادماً تائباً وصار حرباً لبني أمية، وأما رعاع الجيش وسواده فلم تعرف عنهم عقيدة الولاء ولو كانوا أولياء البيت لأنقلب إلى الحسين عليه السلام شطر منهم بعد أن أبلغ وبالغ في الوعظ وإقامة الحجة، بل ولحز قلوبهم ذلك المشهد الفظيع الذي تتصدع له الصم الجلاميد، ولئن غلب عليهم القهر ساعة الخروج فلا يغلب ساعة الموقف، ذلك الموقف الذي أنبأ العالم أن لا رحمة في قلب أحد من ذلك الجيش الكثيف وبقي سبه عليهم وعار مدى الأبد والذي يدلك على خلو الجيش من الشيعة هتاف الحسين بهم وقد زحفوا على خيامه وقد اضعفته الجراح عن مناهضتهم.

(يا شيعة آل أبي سفيان إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد فكونوا أحراراً في دنياكم).

ولو كانوا شيعة آل محمد لما نسبهم إلى آل أبي سفيان.

وقد احتجّ عليهم بثياب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولأمة حربه وبما قاله بقية الصحابة الموجودين ولو كانوا من شيعتهم لما احتاج إلى مثل هذا الاحتجاج لأنهم لا يجهلون تلك المكانة التي له من الرسول بل لاحتج عليهم بالولاء والحب.

وعندما أضرم النار في الخندق الذي حول الخيام سداً لهجمات الخيل قالوا له: تعجلت بنار الدنيا قبل نار الآخرة، وعندما طلب منهم المهلة للصلاة وقد حضر وقتها قالوا له: صل إن نفعتك الصلاة، إلى كثير من أمثال تلك الكلمات التي تنبئك بأن القوم لا يحملون بين أضلاعهم ولا ذرة من ولاء العترة، ولو أردنا أن نأتي بالشواهد من أمثال الكلمات والمواقف لاتسع بنا المجال.

ولعل من الناس من يخال أنّ في ذلك الجيش رجالاً من الشيعة، لأنهم كانوا يسلبون عقائل الرسالة وهم يبكون رحمة بهن، وإن هذه الرحمة شارة الولاء، والحق إن ذلك خيال صرف، لأن مشهد ذلك وفضاعة تلك الحادثة – وقد أضرموا النار في الخيام وفزعت النسوة والصبية مدهوشة لا تدري أين تذهب والبهاليل من سلالة الرسول يصرع الواحد منهم تلو الآخر والأطفال تذبح عطشاً وآخرون يداسون بصدور الخيل عدواً – كاف أن يحملهم على الرحمة بهن والبكاء على حالهن وهي حال يبكي لها الصفا أسفاً وتسيل لها الدموع دماً وقد أبكت السماء والأرض، أفتستغرب من أولئك القساة أن نستمطر حال تلك النسوة والصبية عيونهم رحمة بهن، وقد أبكى الحادث أغلظهم كبداً عمر بن سعد فهل هو من الشيعة، وما يقول في حادث رق له قلب حرملة بن كاهن وهو الصخرة الصماء عندما رمى بسهمه الرضيع على عضد الحسين فصار يرفرف كالطير المذبوح، أترى أن حرملة من الشيعة..؟

لقد أظهر القوم من القسوة ما لا يحد على سيد شباب أهل الجنة وريحانة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعلى أطفاله الذين نحرهم السهام واستقبلتهم الخيل بصدورها فوطأتهم بحوافرها، وعلى عقائل النبوة اللائي اذعرهن هجوم الجند الظافر – واللئيم إن ظفر استشرى فلا يرد وجهه شيء– فمن يا ترى يمنع أولئك اللئام عن سلب هاتيك العقائل المصونة، وحماتها صرعى على الصعيد..؟ فما كان ذلك المصاب الذي حل بهن ولا الذعر الذي أصابهن ليكف تلك الأيدي الأثيمة عن انتزاعهن الحلل والحلي، حتى أن بعض أولئك السالبين قد يخرم إذن الفتاة طمعاً بالقرط ولا يمهلها لتنزعه برفق، فكيف لا يفزع تلك الحرائر المخدرة ذلك الهجوم وحرق الخيام واستلابهن ومثلها يفزعها خفقان الطير إن هذه القسوة لا تكون أبداً من قلوب استولى عليها حب أهل البيت وولاء العترة.

وإذا أردت أن تستوضح الحال فانظر إلى وثبة المختار لأخذ الثار. فإنه ما نهض إلاّ

بالشيعة وكان كثير منهم ممن ضمهم السجن وهؤلاء انتقم من قتلة الحسين ولوكان قتلة الحسين من الشيعة لكان المختار قتل الشيعة بالشيعة. وهل أقرأك التاريخ أن المقاتلين في نهضة المختار من الشيعة..؟ ولو صح ذلك لارتاح إلى هذا التقاتل الناقمون على وثبة المختار ولم يجتهدوا في الصاق المعائب في نهضته انتصاراً لمن أبادهم المختار من قتلة الحسين ولكان انتصاره على قاتلي العترة زيادة في شماتتهم وشفاء غيظهم دون أن تكون تلك النهضة غيضاً لهم. ولئن يكونوا فرحين أحرى من أن يكونوا حاقدين.

أجل لو كان الذين كاتبوا الحسين عليه السلام وخذلوه كلهم من الشيعة لكان احتجاجه يوم الطف عليهم جميعاً. ولماذا احتج على مثل حجار بن أبجر وشبث بن ربعي من أعوان أمية، ولم يحتج على مثل المسيب بن نجبة ورفاعة بن شداد وسليمان بن صرد من أهل الولاء إنما احتج على أولئك لأنهم حضروا الحرب ولم يحتج على هؤلاء لأن مطابق السجون حالت بينه وبينهم.

فالحسين عليه السلام قتيل أعدائه من الحزبين الحروري والأموي، وهذه الحقيقة ناصعة ليس دونها حجاب وظاهرة حتى بالفطرة والبداهة؛ ولذلك تجد محمد بن الحنفية حين وقع بصره على عيال أخيه راجعين إلى المدينة، واعلام الحزن منشورة يقول: فعلها بنو أمية. ولم يقل فعلها الشيعة ومن دون أن يسأل عمن ارتكب هذا العمل الفظيع.

وهذه النسبة التي لم يفه بها أحد قبل اليوم ما كانت وخزها إلاّ من أقلام تحب التحريش بالشيعة دوماً. فما أكبره جرماً. وأعظمه افتراءً الا يندى جبين نافثه من مخالفة الحق والتاريخ والوجدان، وياليت شعري من يبكيه اليوم ويندبه ويحن إليه ويزوره غير الشيعة..؟ وما العقيدة الشيعية إلاّ واحدة من بدء التشيع على عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى اليوم كما اوضحناه في كتابنا- عصور الشيعة- وما هذه بأول فرية على الشيعة تناوئ الحق وتغمط الحقيقة(٥٩).

---

(٥٩) مجلة صوت الوحدة الإسلامية-النجف-العدد-١-السنة الأولى- ١٩٥٣/ص١٧.

يوم ذكراك

بقلم: يوسف رجيب

صاحب جريدة النجف

أيها الحسين السبط الشهيد عليك سلام الله وسلام أنبيائه ورسله، ولك دموع المسلمين وعليك حزنهم إلى مصرعك المفجع ترنو عيون أهل القرآن والتوراة والزبور لتذرف على جدثك الطاهر دموع وجدها في يوم مصابك الأعظم.

سلام عليك وأنت على صعيد كربلاء جثة بلا رأس وسلام على قبرك المقدس وهو يضم خلاصة إباء العرب وناموس الدين ودستور الحق وسلام على العاشر من محرم الحرام إذ هو يعيد لنا ذكراك هذه ليعيد النفوس إلى منهج الرحمن وسنة المصطفى ودين السماء نفياً للجور واستجابة لدعوة الله على هذه الأرض ليعم الرشاد ولينقطع دابر المفسدين.

وفي هذا المحرم الكئيب تزحف قلوب المؤمنين وتربو عيون أبناء هذه الدنيا من شتى أقطارها إلى ضريحك المقدس تطوف به باكية وترفرف عليه نأدبة مقروحة، وليس لقبر أولياء الله الصالحين البررة غير قبر الحسين بن علي هو قبلة الدنيا وكعبة بني الأرض؛ لأن الله شرفه بجهاده أعداء جده الذين اعتزموا طمس الدين الحنيف وانتهاك الشريعة واتخاذ الخلافة الدينية أمرة زمنية استباحوا بها حمى كل محرم يتلذذون بما حرم الله

وحرمة كتبه المنزلة حتى أصبحت أيامهم جاهلية جذعة تدرج في ضلالها ومجونها واستهتارها خبط الناقة العشواء في الليلة الليلاء تلك طغمة الشر وحاشية الشيطان وأعوان الكيد للإسلام الذين تمنوا «أشياخهم» وأرواح طواغيتهم من قتلى «بدر» ليشمتوا بمصرع الحسين.

وليس للحسين بن علي وهو يسمع نغمة الجور تغطي صوت الحق ويرى دبيب أفاعي الإجرام تلاحق المسلمين ويجد ولاة السوء تتخذ الناس خولاً وأنعاماً لتهب من حلال ومن حرام العيش ما يستحله طائر حومان من غير ماء سعى إليه من يهماء ملتهبة القيعان.

ليس أذن للحسين وهو ربيب بيت النبوة وسليل الرسالة وأبواه محمد خاتم الرسل وعلي سيد الأوصياء إلاّ أن يجردها حرباً ويثيرها ملحمة تدك عروش البغي وتزلزل أركان أمارات جعلت من منابر الوعظ وداراة ذكر الله وتلاوة القرآن ملكاً عضوضاً لا يعرف من الخلافة إلاّ كونها وسيلة لجر المغانم وإشباع الشهوات البهيمية فلا وازع ولا رادع عما كانت تسعى إليه طغمة الشر في تلك الأيام السود.

ولئن كان للباطل جولة وللشيطان أن ينشط في مضمار غيه فان الحق يتعقب الباطل فيرديه ثم يجهز على شيطانه الدال على الطغيان والأثام فإذا الباطل وصاحبه لقى لليدين وللفم.

ذاك هو مصير الحكم الطائش وتلك هي دولة الجرائر والفساد وهذا يوم الحسين ومصرع الحسين وذكرى الحسين.

ذكرى تعطر جبين السماء ونخوة هي عنوان الإباء على ناصية العيون، وإباء هو اباء أبي الضيم:

جلا لها ابن جلا عضب الشبا ذكرا   لا يعرف الصفح أما سله الغضب

وأي غضبة علوية كانت غضبة الحسين على خيول الشرك وحزب المارقين في يوم عاشوراء.

ولم يـر يـوم الطـف أصـبر منـهم — غـداة بهـا للمـوت طافـت جحافـل

رمـى العـز في الخـضراء بـين نجومهـا — وكـن ثاقبـاً فيهـا وهـن أوافـل

وليس من كريم مات شريفاً عصياً على الضيم في دنيا الإباء والشرف إلاّ وكان الحسين بن علي رائده وزعيمه وسيده في وثبته على الظالمين.

وأضـرمها لعنـان الـسماء — حمـراء تلفـح أعنانهـا

ركـين ولـلأرض تحـت الكمـاة — رجيـف يزلـزل ثهلانهـا

ولمـا قـضى للعلـى حقهـا — وشـيد بالـسيف بنيانهـا

ترجـل للمـوت عـن سـابق — لـه أخلـت الخيـل ميـدانها

كـأن المنيـة كانـت لديـه — فتـاة تواصـل خلـصانها

أجل، يا أبا عبد الله فان دولة العلا ومجد الإسلام مدينان لحسامك ولجهادك وإنّ شجرة هذا الدين الحنيف لتحنو عليك اليوم تحيي ذكراك المباركة وتمجد لك دماء آل الرسول الزكية سقيت بها أصلها الثابت فإذا هي فارعة في السماء تطبق الخافقين وإذا كلمة شهادة التوحيد لها من الظهور والإشراق ما للشمس المنيرة في رأد الضحى..

وإذا بشانئيك وما شادوا للدنيا والفساد يتلقون اللعن إلى يوم الدين وذلك جزاء الكافرين[٦٠].

---

(٦٠) مجلة الغري –النجف– العدد –٩، ١٠– السنة الثامنة –١٩٤٧/ص٢٢.

الحسين السياسي

بقلم: السيد صدر الدين شرف الدين

صاحب جريدة الساعة

لم تكن السياسة في بدء الإسلام منفصلة عن الدين، بل لم يكن للسياسة في الإسلام مفهوم كمفهومها المعروف قبل الإسلام وبعد العهد الراشد. وإنما كانت السياسة سياسة الزعامة الإسلامية التي أنشأها محمد صلى الله عليه وآله وسلم انشاءً، وشد بها أيدي صحابته المتخيرة شداً كان الدليل على أن الالتواء والتحريف ليسا طبيعة في ذات السياسة. وإنما هما من ارتجال الساسة الذين يعدلون إلى الإلتواء والتحريف عن الاستقامة والمواجهة بدواع من ضعفهم وضعف حقائقهم عن بلوغ ما يبلغه الساسة الصادقون المستقيمون المواجهون.

وإنما يجيء الإلتواء والتحرف عند هؤلاء الساسة الزائفين قدرة مصطنعة يتوسلون بها إلى سد عجزهم وستر ضعفهم، ويقيمون منها جسراً للعبور إلى غاياتهم وأغراضهم الذاتية المقصودة هي بذاتها قبل أن يقصدوا بها شيئاً آخر من التربية النوعية، أو الإصلاح الإجتماعي، أو إقامة الموازين العادلة.

وقد يكون الوزر مقتسماً بين الساسة الزائفين، وبين المسوسين السذج المقادين، قد يكون ذلك، أو هو كائن من غير شك، لأن السياسة كائن من هذه الكائنات

المترابطة التي لا ينفصل بعضها عن بعض، ولا يستقل شيء منها بالوجود دون شيء آخر، وهي مع ذلك شركة بين طرفين يقف الساسة منها في جانب ويقف المسوسون منها في الجانب الآخر كلعبة جر الحبل من غير فرق، نعم لقد فرض أن تكون القوة والعيالة والنشاط في جانب الساسة، لأن المعروف في هؤلاء أنهم القادة الذين تصدر منهم الأوامر والإيعازات، ولكن المسوس في إنقياده واسلاسه يشارك السائس في مثوبات إيعازاته وأوزارها معاً، ويسنده في الحالين مهما كانت عوامل طاعته واتصالاته في أوامر السائسين.

وفي الحق أن القابليات والملكات والغرائز لو لم تكن مستعدة للإنقياد والطاعة لتمردت -لإذن- وفشل الذين يسددون من الجماعات سهاماً يرمون بها عن ايدي الشهوات أو عن أيدي المصالح على السواء.

وفي حوادث التاريخ قبل النظريات العلمية والاستنتاج العقلي شواهد لا مجال فيها للتردد أو الشك، فالتطاحن بين سياسة الصدق والمواجهة وبين سياسة النفاق والتحرف يدلنا على أمرين متلازمين مترتبين:

أولهما: أن الإنسان غر شهوان يتملقه النفاق وتغريه الخديعة وإن قال في قرارة نفسه إنّ وسائل هذا النفاق وأدوات هذا الإغراء طلاء وتمويه؛ ذلك لأنه شهوان تخدعه الشهوة في واقع الأمر لا هذه الوسائل المطلية المموهة.

ومن هنا نجحت في أكثر الأدوار سياط الظلمة وأموالهم وعلت التيارات المادية هذا العلو المبين.

وثانيهما: أن المسوس من شعوب الساسة هم أوزار السياسة وأعباؤها الثقال، يتخطون في مجالاتها الوعرة صخوراً وأشواكاً حيناً، وسيوفاً ونبالاً أخرى، وهموماً وأكداراً ثالثة.

ومن هنا كانوا شركاء الساسة أحبوا أم كرهوا، أطاعوا عن طبيعة واقتناع أم عن إغراء وفتنة، هم شركاء في كل حال وقد دلتنا الأحداث الجسام - أحداث المبادئ الفواصل في تاريخ الإنسان- على أنّ انطلاق العصور في غرض من أغراض الحياة لم يجرف العقائد الصلاب، ولم يطو الرجال الشداد، بل نشأ في منحدرات العصور رجال شقوا السيل شقاً وقالوا كلمتهم فإذا السيل يغور، وإذا هم بعد السيل ماثلون، كما تمثل القمم الشوامخ رسوخاً في المكان وخلوداً في الزمان فكانوا بهذا حجة باقية على معاصريهم، وكان تمردهم دليلاً على إنسانيتهم الزاهدة فيما أطمع غيرهم، المطمئنة ما أخاف أمثالهم فوق إنسانية أولئك البشر الطامع بالمتاع، أو الخائف بالأراجيف.

ولقد كان لهذه الدروس النوادر أثرها في تثبيت الأقدام، وخلق البطولات في تاريخ العظائم، وسجلات المبادئ والتطورات الإصلاحية الكبرى.

وبعد أفاستطيع أنْ أدخل الحسين في سجل الساسة من غير حرج ولا ضير..؟ وهل ينكر عليَّ منكر إذا أضفت إلى سيد الشهداء هذا اللون من ألوان الحياة..؟

أما أنا فلا أتحرج ولا أحب لأحد أن يتحرج ما دام النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم - وهو قدوة الحسين عليه السلام- أعظم من ساس الحياة، وأنشأها بسياسة حياة لو بقيت كما وضعتها يده لكانت جديرة أن تمتعنا بالأمن، وتترفنا بالخيرات الوارفة من العيش الرغيد.

لا حرج ولا ضير أن نعد الحسين إماماً من أئمة السياسة كما هو إمام من أئمة الدين. لا حرج ولا ضير في ذلك ما دامت سياسة الصدق والاستقامة هي سياسة الأقلين من عباقرة الإنسان، ولا حرج في ذلك ولا ضير ما دامت هذه السياسة متصلة بالدين صادرة عنه، ولا حرج في ذلك ولا ضير ما دامت هذه السياسة التي يقع اختيارها على الإمام الحسين عليه السلام هي سياسة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في دينه الناشئ ورسالته العلوية، ومن يكون سياسياً في هذه الدولة المحمدية المثلى إن لم

يكن الإمام الحسين عليه السلام سداداً في الرأي، وقوة البصيرة، ونفاذاً إلى الدخائل، ووصولاً إلى أعماق الأمور.

لقد كان الامام الحسين عليه السلام سياسياً، بل كان لابد من سياسته في مثل تلك المدّة التي اختلف فيها مهاب الرياح، واهتاجت خلالها أعاصير السياسة الزائفة، فأعصوصب الشر، وأوكب الطامعون بمنبر الإسلام يهدفون إليه من كل جانب في غير كفاية ولا سابقة، ولا سبب قريب أو بعيد، وفي مثل هذه الحال كان على رجل السياسة الصادقة أن يضع منكبه بين هذه المناكب المتدافقة، ويعلن عن موقفه هذا النحو من الإعلان الذي يضمن النجاح في كلتا الحالتين على نحو ما فعل الحسين عليه السلام من غير زيادة ولا نقصان.

وأراني وقد انتهيت إلى هذه الخطوة – ملزماً بإيضاح معنيين يلتبس معناهما عند فئتين من الناس، وربما منيت من هذا الالتباس بامتعاض هاتين الفئتين معاً لأنّ كلاً من هاتين الطبقتين تنظر إلى الحسين بعين لا تحاول أن تراه بغيرها، والامام الحسين عليه السلام بطل لا تسمو إليه عين من حيث سمت إلاّ عادت ممتلئة بالجمال مبهورة بالنور.

أما أول المعنيين اللذين أعنيهما فمعنى السياسة. وقد قلت إنّ السياسة في زمن البعثة وفي المدّة الأولى بعد النبي كانت ذات معنى لا يتصل بالمعنى الذي نفهمه اليوم أو الذي كانت تفهمه الفلسفة الميكافيلية أو ما يوافقها من عمليات الانحياز والخداع والكذب والحيلة، وإنما كانت السياسة التي ثقفها الامام الحسين عليه السلام سياسة الصدق، وسياسة رجل السلطان والإصلاح في آن واحد، وأما ثاني المعنيين فمعنى الدين.

وأحب قبل أن أقرّبه وأجلوه أن نوقن بأن للدين سياسة بين السياسات، وبأن سياسة الدين هي السياسة الراجحة في موازين الضمير والمنطق والأريحية والمثالية الإنسانية.

ثم أحب أن أقول..! إن الامام الحسين عليه السلام إنما سما لأنه رجل دين قبل أن يسمو بشيء آخر دون ذلك، فإذا لمع من أسم الامام الحسين عليه السلام نور وعبقرية من عبقرياته الرفيعة فإنما هو وميض من هذه الشرارة الدينية التي تتلخص بها جوامع عبقرياته.

والإسلام هذا الدين الذي قُتِل في سبيله الحسين أهل لأن تذهب فيه مثل هذه الأضحية العظيمة الغالية، لأنه دين بنظمه وضماناته أسمى ما تتداعى إليه هذه النظم والضمانات المستحدثة التي تعد وتخلف، وتقول وتكذب، وتجتمع وتتفرق على منافعها الخاصة ومآربها الشخصية.

وفي الإسلام أصول هذه النظريات والمقررات التي يتداعى إليها أقطاب الأرض لينقذوا بكؤوسها العالم من هذه الحمى المستبحرة الهاذية التي تغلبهم أعراضها كلما تقدموا إليها بعلاج يظنون أنه العلاج.

والدين – بعدئذ– لا يدل على رجعية ولا يمنع من تقدم ولا يحجر على فكر أو عقل أو حرية، بل الدين تقدم وارتقاء وتحرر وانعتاق، والإسلام من الأديان بصورة خاصة هو ذلك بعينه، ولكن شوّهه بعض المنتسبين إليه لوث حرف الدين في بعض الأذهان في غير محاكمة ولا تثبيت ولا رجوع إلى مصادر هذا الدين المترعة الريا بما تشاء من طمأنينة واستقرار، ولو أعادوا النظر لرأوه في واقعه، وكما أراده النبي منهاج الحب منهاج الحياة وأجداها إلى ما تشاء من علم ومعرفة، ومن تهذيب وتربية، ومن طمأنينة ودعة، ومن إيثار وحب، ومن تعاون وبر، ومن عدالة ومساواة، ومن كل مطمح يرجوه طالب الحق، وطالب الخير، وطالب الإصلاح.

هكذا كان وهكذا سيظل دستوراً مادياً روحياً بهذا المزاج الرفيع لا تنفصل عنه سياسته بل تخرج من أعماقه صحيحة، صارمة حازمة.

أما إنّ الأحداث والمطامع حرفت السياسة وجعلت لها منطقاً دنيوياً أخضع الدين للأهواء والغايات فذلك خروج عنه، وإباء وتمرد كادا يعكسان آيته ويردانه إلى العصبيات الجاهلية، والشعائر القبلية، أو تجاوزانه – حين يرتقيان بالملك – إلى شكل من أشكال الحكم القيصري، أو لون من ألوان الملك الكسروي.

وقد كان الامام الحسين عليه السلام في تلك المدّة بطل الدين ورافع لواء هذه السياسة فلو ذهبت تتقصى الأرض كلها لم تجد غيره سيداً للعرب يحرص على هذا الدستور الذي أخذ الدهر منه جوانبه فكاد أن يتصدع، وعلى فوز هذه السياسة التي نالت منها الشبهات فكادت أن تضمحل.

وأنّى لسياسي ألمعي من ساسة الصدق والأقلاء أن يبلغ من سياسته ما بلغ الحسين السياسي من ترتيبه الأحداث وهي تنشأ في أرحام الغيب كأنه يضعها بيده.

ما كان عصر الحسين يخلو من الخبراء بل كان عصراً محتشداً بالدهاة ورجال الفكر والتجربة،، وكانت أحداث الدولة الطالعة بأمنيتها الكبرى تصنع من القادة ما أرهب العالم ورماها بالخوف والخشية من هذه الأمة التي أذلت كسرى وقيصر، وعصفت بدول حبك قواها التاريخ. فهل كان أولئك الدهاة والمفكرون كلهم البأ على الامام الحسين عليه السلام لا يمدونه برأي فيما يقدم عليه في هذه المغامرة الفردة في تاريخ الحروب والخصومات..؟

لا..بل الذي علمنا من سيرة الحسين وتاريخ هذه المدة إنّ نفراً غير قليل من ذوي الرأي والأمانة، والاحتياط لسلامة السياسة العليا شاركوا الحسين وبادلوه الرأي وأشاروا عليه أن يبقى في الحجاز تارة، وأن يذهب إلى اليمن أخرى، ولئن أشاروا عليه بهذا أو بذلك وترددوا في المكان الصالح للمناهضة فإنهم أجمعوا أن الكوفة بلد غادر خوان رغم هذه الأكداس من المواعيد.

ترى أكان هؤلاء مهتمين بالنصيحة..؟ أم كانوا قائلي الرأي..؟ أم كان الامام الحسين عليه السلام لا يقيم وزناً لهذه الآراء المؤيدة بالمرجحات الملحوظة..؟ أم أن الفكرة كانت متركزة في نفسه تركزاً لا يقبل العدول عنها إلى ما يريده المستشيرون.

لا لم يكن شيء من هذا، وإنّما كانت خطته. خطة السياسي الذي يسمو عن الآراء ويتقدم في الحوادث، ويقتحم المستقبل فيرى النتائج في سجلها المقدر المكتوب، ولم تكن الأدلة الحسية كافية لإقناع هؤلاء المشيرين بأنه على صواب وأنهم على خطأ؛ لذلك كان يجيب فيُجمل الجواب، ويلاحظ فيجمل الملاحظة، ويتكل في بيان أدلته على الحوادث التي عهدها واستعجلها بمعرفته للعواقب المحتومة المبنية على مقدماتها الصحيحة فإذا سأله ابن أبيه محمد – وقد طلب إليه أن يختار اليمن– ألم تعدني النظر فيما سألتك..؟ قال: بلى..، فيقول محمد: فما حداك على الخروج عاجلاً..؟ فيقول: شاء الله أن يراني قتيلاً، يقول محمد: فما معنى حملك هؤلاء النسوة معك وأنت تخرج على مثل هذه الحال..؟ يقول: قد شاء الله أن يراهن سبايا.

وما نرى في هذا الجواب غير ذلك الإجمال الجميل من سياسته المقدرة المدبرة التي حاكمت الفئة السائدة يومئذ فلم تجد إلاّ أن يرى شهيداً وترى نساءه سبايا ذلك هو العلاج الذي لا معدى عنه لمبتغي الإصلاح، ورائدي الخير لأمة تكاد تنفصل عن عهد الرسالة على قربها منه واتصالها به.

وله فيما يتصل بذلك كلمة أرسلها إلى بني هاشم يقول فيها:

«**أما بعد فإنه من لحق بي منكم استشهد ومن تخلف عني لم يبلغ الفتح**».

أي فتح هذا الذي يعدهم به بعد أن يحكم على الملتحقين به بالموت..؟

إنه فتح الشهادة التي نصرت الامام الحسين عليه السلام بعد الموت فرفعت الغشاوة عن الحكم الأموي ثم نسفته نسفاً، وأعلنت عن الحق الذي قضي الحسين في

سبيله فعلت كلمة الإسلام واستقرت قواعده العالية.

على أن الامام الحسين عليه السلام حين كان يجمل كلامه أو يختصر أجوبته وهو في سبيل هذه الشهادة كان يعلن أنه مقتول وأنه خارج ليقتل وبهذا كان الساسة المفكرون من أهل المشورة قبل ان يشيروا عليه بما يحفظ مهجته به إلى السلامة، لأن سياسة الصدق التي كان بطلها الأوحد كانت تفرض عليه الشهادة وما هو محتاج إلى غير ذلك لأنه لم يكن يطلب زعامة لا ينكرها عليه أحد، ولم يكن يطلب ما كان يبذله للحفاة والمحتاجين، ولم يكن يطلب ملكاً دنيوياً هو غني عنه بما انقاد إليه من هذه الزعامة العربية الإسلامية المطلقة، ولكنه كان يطلب وكانت تطلب له سياسة الصدق شيئاً واحداً هو أن يستشهد.

ولم يكن يطلب وتطلب له سياسة الصدق الموت إلاّ لأنه الحياة، حياة هذا الدين العظيم ذلك هو الحسين السياسي الذي اتاح للدنيا أن تعرف الإسلام وتعظمه، وذلك هو الحسين السياسي الذي وقف للسيل في منحدره المندفع فرده قادراً قوياً غير مستضعف ولا واهن.

سلام الله عليك أبا عبد الله فهب لنا من روحك هذا العظيم شجاعة تتبختر بنا على مهاد التضحية والإيثار، وفضاء يحملنا على أجنحة الإيمان والإعتداد فنحن من حيواتنا الأدبية والإجتماعية والسياسية في مهاب الريح بل الدنيا كلها تستقبل اليوم ما كنت تستقبله من يزيد وبني سمية والزرقاء.

فتنة وغرور، وتكالب وما شيء غير المنفعة الخاصة يستدنيه أفراد هذا الزمان وجماعاته وشعوبه وأقطابه فهب لنا من روحك هذا العظيم شجاعة تتبختر على مهاد التضحية والإيثار وفضاء يحملنا على أجنحة الإيمان والإعتداد، وليعد روحك هذا العظيم مرة أخرة لنحيا به من جديد[٦١].

(٦١) مجلة البيان -النجف- العدد -١١، ١٢، ١٣، ١٤- السنة الأولى- ١٩٤٧/ص٣٠٥.

ثورتان على غرار واحد

بقلم: صدر الدين شرف الدين

صاحب جريدة الساعة

أفاقت الإنسانية الشقية من صرعتها الكبرى على يد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الممتدة إليها بنشاط وأناة من ثورته البكر المجددة، وأفاق تاريخنا الضخم في ذلك الفجر الحبيب موسوماً من تلك الثورة بهذا الإيمان العجيب بهذه الصلابة النادرة التي ظلت مصدراً تستوجبه همم المصلحين الماضين في إصلاحهم غير هيابين ولا مبالين بما يلقيه المرجفون تحت أقدامهم من شوك أو قتاد.

غدا على أبي طالب نفر من عتاة قريش الجبارين - وقد ضاقوا بابن أخيه الثائر- ومعهم فتى من أصبح فتياهم وآثرهم لدى شيوخهم، وزعموا لأبي طالب أن عمارة كفء لمحمد فهو عوض يقايضونه به، ولكن أبا طالب ردهم على أعقابهم وعاد إلى ابن أخيه في هينه وبشاشة وحنان فكلمه ليجد ما عنده فإذا هو يطلب إليه الرفق في «الدعوة» والاتئاد في الخطوة ويروي إليه قصة عمارة ولعله يروي إليه عرض قريش أنْ يكون له من ثرواتهم كفاء ما يشاء.

ترى ماذا ننتظر أن نسمع من جواب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم..!

إنّنا لا ننتظر غير الذي سمعنا مما يتفق وصلابة إيمانه ومضيه بالأمر الذي أراده لسعادة البشر.

قال:

«والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر. ما أنا بتاركه أو أموت دونه».

وكان بعدئذ ما كان أن انتصر العدل على الظلم والحرية على الفوضى والمساواة على الاستئثار، والتسامح على الاحتكار وما تشاؤون من خير تفيض النعمة من ضروعه وأطرافه على ما يشاء النفعيون من شر تشقى به الجماعة ليسعد به الفرد.

ولكن ذلك لم يطل إلاّ ريثما يدعى محمد فيجيب، ويخرج العدوان الأزليان – النفعية والمثالية– إلى ميدانها أشد ما يكونان صراعاً يخرجان منذ ترك النبي وحده مسجى لا يحفل بها إلاّ الأقلون من أهلها ولا نريد أن نتصور الأضرار التي نجمت عن ذلك كلها وإنما نجملها في هذه الوقفة القصيرة إجمالاًيرينا انتكاسة الإنسانية من جديد ويرينا أعراض الصرعة تبدو على ملامحها من جديد أيضاً وتمضي على ذلك أعوام خمسون ونيف تتعاقب فيها (خلافات) أربع و(ملك) واحد وتمر الخمسون سنة ونيف وأثناء الخلافات الأربع والملك المستبد ألوان من الأحداث والمفاجئات فتعرض علينا ألواناً من التطورات والانقلابات فيها الكثير جداً من المغالبة بين أنماط من الحكم وتتراوح بين نفر يرون فيه وسيلة للإصلاح والعدل وأداة (عمرانيّة) – إن صح التعبير– يستعينون بها على بناء المدينة الفاضلة وبين نفر يناقضون أولئك أشد المناقضة فهم يرون إليها وسيلة للإفساد والسيطرة والكنز والأخذ بأسباب العنصرية والطبقات ووضع الحوائل بين الإنسان وأخيه الإنسان.

ولعلنا لو أردنا التوسع مستطيعون أن نجد السبيل إلى استجلاء صور كثيرة من أشكال الحكم والمبادئ الإجتماعية والسياسية التي تتنازع أزمة الشعوب في فترتنا هذه ولكنها جميعاً ترد باختصار إلى الصراع بين مبادئ [المثالية] و[النفعية] أو [العدل]

و[الاستئثار] أو (الأريحية) و[المادية] أو ماشاء الفلاسفة والأدباء أن يعبروا عما يشير في جوهره إلى الخير والشر أو الأمن والخوف أو المصلحة والمفسدة أو التنظيم والفوضى. وليس الشأن في التعبير إنما الشأن فيما تشير إليه العبارة مما هو العبرة – في أساسه وروحه– والذي عليه المدار في إنشاء الحكم الخاضع لمصالح الشعوب والجماعات على تقدير والخاضع لمصالح الأفراد والأنانيات على تقدير آخر.

ولعلّ في الثورة على عثمان – وقد كانت خلافته بذرة للملك العضوض– لعل فيها مظهراً من مظاهر ذلك الصراع الذي لا يعدو أن يكون إحدى الصور التي نجد لها إنموذجاً في حياتنا الحاضرة أو نجد لحياتنا الحاضرة فيها إنموذجاً كبيراً يعتمد على الكثير من الجرأة المبدأية الصارمة.

ومهما يكن من أمر فقد كانت الخمسون سنة ميداناً لصراعات جديدة تقبض أحداثها على عنق الإنسانية بعنف وشدة ولكن لهذه الإنسانية أبطالاً شامخين لا تهولهم التضحية. بل تغريهم المحنة في سبيل الواجب، وها هي أعقاب (الخمسون سنة) تعيد لنا صورة من صلابة الثائر «الجد» تلك في نهضة الثائر «السبط» هذا الحسين يجمع في خمسين ونيف أسباب (ثورته) الحمراء وهاهم عتاة قريش أولئك يخيرونه بين أثنتين كما خيروا جده من قبل..!

فآثر أن يسعى على جمرة الوغى برجل ولا يعطي القادة عن يد ولقد قال الناس في الحسين – منذ يومه– فأكثروا القول وأطالوا فيه وجودوه ولست ببالغ في هذه الوقفة المرتجلة بعض ما أريد أو بعض ما يريده الموضوع لي من قول.. ولكني مع ذلك سأكتفي بجلو نقط من النقاط التي تعودت الجماهير أن لا تمعن فيها.

الناس أن يكبروا موقف الحسين لشجاعته ولإبائه ولصبره ولما يقارن ذلك أو بما يشبه من ظواهر (يوم الطف) وإنه لحق أن نكبر يوم الطف لذلك كله، ولكن ليوم الطف خصائص وميزات كثراً لا ينفك بعضها عن بعض ولعل بعضها أو واحدة من

هذا البعض يكفي لأن يرفع يوم الحسين على أيام الشهداء جميعاً غير أن الذي أراه والذي أريد أن تراه (الاحتفالات) بهذا اليوم كلها هو أن في موقف الحسين ظاهرة جامعة إليها ترد جوامع صفاته وهي التضحية التي جعلت يومه [ثورة حمراء] تعصف بالاستبداد من جهة، وتقود الجماهير إلى [مدينتهم الفاضلة] من جهة أخرى، أريد أن أقول أن تلك الصفات الكبيرة كلها تذوب وتنصهر حين تبدو هذه الظاهرة التي ترينا الحسين ضحية رفاه الناس وعيشهم السعيد ضحية المبادئ المثلى، والمثل ضحية الحقيقة التي يسيطر عليها الجلادون والسفاكون من جزاري البشر.

ولا تحتاجون إلى دليل على ذلك - فيما أظن- فأنتم تعلمون أنه وفد على كربلاء عارفاً بهذا المصير، أنتم لا تنسون- فيما أظن- أنه كتب لمن تخلف عنه في المدينة (ألا من أدركني فقد أدركني ومن لم يدركني لم يبلغ الفتح) ولا تنسون كذلك أنه كان يقول (وكأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء) وتعلمون من هاتين الكلمتين أن لون علمه بمصيره كان لون المصلح الثائر المؤمن بأن دمه يسقي بذرة مبدئه وأن تضحيته ستكون أساساً لسعادة البشر ودواءً لصراعات الإنسانية التي بدأت تظهر ملامحها في يوم جده يوم تركت جنازته لا يحفل بها إلاّ الأقلون من أهليه وذهب الناس يختصمون على لون الحكم ويتنازعون أزمته.

ونحن الآن في فترة أن باعد الزمن بينها وبين مصرع الامام الحسين عليه السلام فإنها لقريبة جداً منه بروحها وشكلها، وحري بنا أن ننتفع بالغاية السامية التي رمت إليها ثورة الحسين عليه السلام.

أما مسح الدموع بأطراف المناديل، والإصغاء بالآذان المجردة إلى اصوات هذه الذكرى الكريمة فعمل لا يصلح أن يكون صدى لولاء الشهيد العظيم. ومن كان مسلماً فليكن حسينياً يهتدي بذلك المنار ويمشي على ذلك الوضح[٦٢].

(٦٢) مجلة الغري -النجف- العدد -٩، ١١،١٠- السنة الخامسة -١٩٤٤/ص٧٩٢.

ثورة الامام الحسين... أسبابها ونتائجها

بقلم: الشيخ موسى اليعقوبي

صاحب مجلة الإيمان

إنّ ثورة الحسين عليه السلام ثورة الحق على الباطل بأجلى مظاهرها وأوضح صورها، وانتفاضة العدل على الظلم والطغيان.

فقد رأى الامام الحسين عليه السلام، المسلمين يتخبّطون في بيداء ظلماء، وقد تسلط عليهم حكام ظالمون جائرون، تمردوا على النظم الاجتماعية، تمرسوا على الفسق والظلم والجور والفجور يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف وتنكّروا لكل القيم والمثل وعطّلوا حدود الإسلام وعبثوا في حرمات المسلمين فدبّ الفساد في أرجاء البلاد وصار كل فرد غير آمن على عرضه وماله ودمه وتفرق الناس شيعاً وأحزاباً وفي نية كل حزب إعلان الثورة وشق عصا الطاعة.

ورأى الامام الحسين عليه السلام «أنّ الحق لا يُعْمل به، وان الباطل لا يتناهى عنه، وأن السنة قد أميتت والبدعة قد أحييت، وأنّ الدنيا قد تغيرت وتنكّرت، وأدبر معروفها ولم يبق منها إلاّ صبابة كصبابة الإناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل» فآثر الواجب على البقاء، ورضا الله على الأُمراء، والآخرة على الدنيا ومشى إلى الموت مشية الواثق من الحق الثائر من أجل الحق الساخط إلى إزهاق الحق.

مشى ومشت معه قلوب المؤمنين عبر الأجيال والتاريخ ليعلن كلمته بصراحة ووضوح. وقد أعلنها فكانت كلمته هي العليا وكلمة أعدائه السفلى، وأعلنها داوية مجلجلة في صحراء كربلاء فرددها الأصداء على الأسماع لتكون دستور الثائرين على الإنحراف والفساد والطغيان، وسيفاً مصلتاً فوق رؤوس المستبدين الظالمين. وقاتل قتال الأبطال رغم قلة الأنصار وكثرة الأعداء لا من أجل ملك أو مال وإنما قاتل ليكون الدين كله لله، لا ليزيد واعوانه الفاسقين.

أبى الحسين عليه السلام وهو أبو الإباء أن يصبر على الذل والهوان ويستكين إلى الراحة والخضوع وهو الذي «لا يرى الموت إلاّ سعادة والحياة مع الظالمين إلاّ برماً» وهو القائل:

«هيهات منا الذلة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله، وحجور طابت وبطون طهرت، وأنوف حمية ونفوس أبية».

فأبى أن يعيش إلاّ عزيزاً ... أو تجلى الكفاح وهو صريع

زوج السيف بالنفوس ولكن ... مهرها الموت والخضاب النجيع

وقد جاء في خطبته في مكة:

«وخير لي مصرع أنا لاقيه، كأن بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء ... ألا من كان باذلاً فينا مهجته موطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا».

كان الحسين عليه السلام دائم الدعوة إلى كتاب الله وسنة نبيه وكان يقول:

(فإنْ تسمعوا قولي أهدكم سبيل الرشاد).

وهو القائل في وصيته:

(وإنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب

الإصلاح في أُمة جدي صلى الله عليه وآله وسلم وأبي علي بن أبي طالب عليه السلام فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن رد على هذا، أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم وهو خير الحاكمين).

إنّ الحسين في ثورته قد كشف الحكام الأمويين وأظهرهم على حقيقتهم وعرآهم من أثوابهم، فإذا هم جراثيم فساد وعناصر إفساد، لا زالوا جاهليين، يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر، لا همّ لهم إلاّ إشباع شهواتهم والتسلط على رقاب الناس والهيمنة على الحكم مهما كان الثمن.

ففي الامام الحسين عليه السلام تلتقي روح جده النبي بنور القرآن الكريم وإنسانية أبيه علي بفطرة الإسلام الحنيف فتعطيه كل المعاني والصفات وتنعكس عنه بأسطع الأنوار وأجمع الأسرار فكانت حياته عظة العظات، وليس لمعانيها حدود من زمان أو مكان، وكانت شخصيته المثل الأسمى للإنسان الكامل تبرز فيها صورة المسلم القرآني تلك الصورة التي أرادها الله ورسوله وقد تجمعت فيها شتى الألوان بتناسق ونظام تنعكس من كل لون أقباس وأطياف وفي كل قبس أو طيف إعجاز يعجز عن بيان البيان.

وفي الحسين عليه السلام يلتقي الصراع العنيف الذي كان مستحكماً بين هاشم وأميه قبل الإسلام، وبين النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأبي سفيان عند ظهور الإسلام وبين الامام علي عليه السلام ومعاوية بعد وفاة النبي، ولله در القائل:

عبد شمس قد أضرمت لبني ها ... شم حرباً يشيب منها الوليد

فابن حرب للمصطفى وابن هند ... لعلي وللحسين يزيد

لم تكن ثورةُ الحسين عليه السلام وليدةَ مطمع شخصي أو حباً في سلطان دنيوي ولم يبتغ من ثورته ملكاً أو عرشاً، وإنما كان يريد أن تكون الأوضاع كما أراد الله

ورسوله وكان يريد إحياء السنة وإماتة البدعة.

فما هي الأسباب التي أدّت بالمجتمع الإسلامي إلى هذا الحال من التردي والانحطاط ومازال المسلمون قريبي عهد بالنبي؟ وما هي الأسباب التي تظافرت وانتهت بمصرع الحسين عليه السلام؟

كان اختلاف المسلمين على البيعة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أول هذه الأسباب وكان ظهور الروح الانتهازية ومهزلة السقيفة واختيار الخليفة كافياً لإشعال الفتنة وإذكاء نار الحرب بين المسلمين، وتلا ذلك أَخْذ آل البيت النبوي الطاهر بالشدة واغتصاب حق فاطمة عليها السلام، بدافع من الأحقاد الدفينة في النفوس.

لقد كانت المدّة التي تلت وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أدق الأزمان التي مرت بالإسلام والمسلمين وكان عمر على صواب حين قال (كانت خلافة أبي بكر فلته وقى الله المسلمين شرها).

فتكدست الثروة لدى الأفراد وظهرت طبقة جديدة منعمة مترفة غنية لا عمل لها ولا شاغل إلاّ الأحاديث والخوض في كل شيء. فنجم عن ذلك انعزال الحكومة عن الشعب وانعدام التفاهم بينهما والمسلمون ما زالوا يذكرون عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويدركون الفرق بين العهدين فقد كات الحكومة بعيدة عن الدعوة الدينية تلك الدعوة التي كانت على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم لازمة لإملاء نفوس المسلمين بالعقيدة والمبدأ. وكانت الحكومة تفتقر إلى نظام دولي صحيح رغم احتكاكها بدول عريقة في الحكم وكان التقليد البدوي قد تسلط على الحكم وفيه من تشجيع للفتن واستشراء للنزاع وبعث للخلاف.

إنّ أصوات المصلحين كانت تتعالى أمام التيار الطاغي داعية إلى مبادئ الإسلام والعمل بسنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكان أبو ذر الغفاري رضي الله عنه على

رأس هؤلاء الدعاة.

وكانت خلافة أبي بكر نقطة الانطلاق للخلافات في الإسلام وكانت سابقة سهلت لكل أصحاب المطامع سبيل المزاحمة والمواثبة والمعالنة.

وقد وجد أبو سفيان والحزب الأموي في خلافة عثمان فتحاً جديداً ومنفذاً يتسللون منه إلى الحكم سبباً لأعادة مقاليد الأمور إلى أيديهم، وقد أعلن ذلك بصراحة زعيم العصبة الاموية أبو سفيان حين تولى عثمان (يابني أمية تلقفوها تلقف الكرة، فوالذي يحلف به أبو سفيان ما زلت أرجوها لكم ولتصيرن إلى صبيأنكم وراثة).

وقد ظل الحزب الأموي يعمل في الخفاء ويحيك في الظلماء وليس لأفراده سابقة في الإسلام اللهم ما ظاهر به الله ورسوله بالعداء.

كان الحزب الأموي دائم الكيد للنبي ولدعوته وكان ظهور الإسلام في نظرهم فوزاً للهاشميين، فعملوا في ظل الدين على الاستئثار بالسلطة، وقد وجدوا في ولاية يزيد وولاية معاوية على الشام خطوة أولى يستطيعوا ان يثبتوا اقدامهم من بعدها.

وقد اشتهر عثمان بصفتي الضعف واللين ولكنهما لم تكونا من صميم صفاته وأصيل جبلته وإنما كانت مع فئة بعينها وطائفة خاصة، فكان ميله وضعفه بسبب حزبي ليس غير.

إلاّ أنّ حزب عثمان قد استحوذ على عثمان نفسه واستغله استغلالاً خطيراً، رغم أنّ المنصب والظرف كانا يمليان عليه أنْ يكون فوق الأحزاب، فأبدى حزبية متطرفة وزاد في المعالنة بها وازداد أعضاء الحزب اضطهاداً لخصومهم فأثاروا الحفائظ ونشروا الفتن وكثرت الأحزاب في عهد عثمان كثرة كان يخشى منها على الإسلام والدولة وجعل كل حزب ينشط للدعوة ضد عثمان حامي الحزب الأموي والمنافح عنه والمدافع دون جماعته.

فهناك حزب عثمان ويضم الأمويين ومن كان على هواهم، وحزب طلحة والزبير وفيه عائشة زوج النبي، وحزب الإمام علي عليه السلام وفيه كبار الصحابة وأرباب السابقات الجليلة في الإسلام، وكان الإمام علي عليه السلام يقوم بالنصح والإرشاد والتوسط لحل المشاكل والمحافظة على ترسم النهج النبوي.

كان الامام علي عليه السلام لا يعرف الختل والمغابنة وقد بذل جهده في إنقاذ عثمان ونصحه. وذكر المسعودي أنه قال لابنيه (كيف قتل عثمان وأنتما على الباب؟ ولطم حسناً وضرب حسيناً وشتم محمد بن طلحة ولعن عبد الله بن الزبير). وذكر اليعقوبي أن مروان دعا عائشة حين اشتد الأمر على عثمان لتصلح شأنه مع الناس، فقد قالت (لعلك ترى أني في شك من صاحبك، أما والله لوددت أنه مقطع في غرارة من غرائري وأني اطيق حمله فاطرحه في البحر).

تلك هي حال المجتمع الإسلامي حين آلت الخلافة إلى الامام علي عليه السلام، فما كان من الأحزاب المتطاحنة إلاّ أن تقف ضده، لأنّها رأت الغالبية العظمى من الناس مع الامام علي عليه السلام وهم ينظرون إليه وإلى البيت النبوي نظرة إجلال وتقدير وتقديس، ورأوا أن الخلافة قد رجعت إلى صاحبها الشرعي وإنها لن تخرج عنه أبداً، فكانت معركة الجمل التي أججها طلحة والزبير اللذان طالما كادا لعثمان وحرضا عليه، وعائشة التي بالأمس كانت تقول (يا معشر المسلمين هذا جلباب رسول الله لم يبل وقد أبلى عثمان سنته) وتقول (اقتلوا نعثلاً قتله الله).

وكانت معركة صفين التي أشعلها معاوية حين أيقن أنه معزول لا رجاء فيه ولا بقاء فهب يطلب بدم عثمان بإشارة عمرو بن العاص واجتهد بالحصول على قميصه مخضباً بدمائه.

لقد كانت الأصبع الاموية تدير كل الفتن والثورات وتعبث من وراء الستار

وكان الحزب الأموي يعمل جاهداً على جمع مقدرات الحكم في أيدي الأمويين، وقد ذكر المؤرخون أن أبا سفيان وقف على قبر حمزة رضي الله عنه فقال: (رحمك الله أبا عمارة لقد قاتلتنا على أمر صار إلينا).

وأخيراً فاز الأمويون بالحكم ووقّعوا الصلح مع الامام الحسن عليه السلام فسعى معاوية لتقوية ملكه وخضد شوكة بني هاشم بعد أن صفا له الجو، فاستكثر الأعوان واستحوذ على الناس بالمال والدهاء وجد أطناب حزبه ورواق مأربه، وأخذ البيعة لابنه يزيد في حياته خوفاً على هذا الملك أن يخرج من بيته ويفلت من عقبه، وتنكر لآل البيت النبوي الطاهر وعمل على تشويه سمعتهم بالدعايات السيئة والأحاديث المختلفة واستمال الناس بالأموال تارة وبالقوة تارة. وكان قد تمخض من أمر أخذ البيعة ليزيد الفجور والخمور، تلك البيعة التي كانت مهزلة من مهازل التاريخ وسخرية من سخريات القدر.

وكان يزيد فاسقاً فاجراً وليس أدلّ على فسقه وفجوره من قول عبد الله بن حنظلة حين بايع أهل المدينة على الموت ليالي الحرة (يا قوم اتقوا الله وحده لا شريك له، فوالله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء، إنّ رجلاً ينكح الأمهات والبنات والأخوات ويشرب الخمر ويدع الصلاة، والله لو لم يكن معي أحد من الناس لأبلين لله فيه بلاءً حسناً).

وقد أنكر الحسين عليه السلام أن يكون يزيد ولياً للمؤمنين وأمير المسلمين، ويزيد الذي اعتبر عامة المسلمين ولايته أمرا لايصح لمسلم السكوت عنه أبداً.

وقد أعلن الحسين عليه السلام في يزيد رأيه عندما طلب الوليد منه البيعة فقال:

(إنّ يزيد فاسق مجاهر لله بالفسوق).

وأخذ الناس يتطلعون إلى من ينقذهم من براثنه وبراثن حكامه الجائرين ويرفع

عنهم الأحكام التعسفية اللاقانونية والإرهاب المخيف والفوضى التي عمت البلاد، فاتجهت انظارهم صوب الحسين عليه السلام وهو سبط النبي وابن البتول ونجل علي وسيد شباب أهل الجنة فكاتبوه وراسلوه وبايعوه واعطوه العهود والمواثيق. وكان ما كان من قيامه بالثورة الكبرى تلك الثورة التي هزت العرش الأموي من أساسه وحطمت سياسة الغش والمكر والخداع وجعلت نصر الأمويين جفاء أو ريحهم هباءً.

لقد باعد الزمن بيننا وبين ثورة الحسين عليه السلام إلاّ أنّ ذكرها تستجد بتجدد الايام والسنين فتدمى القلوب وتبكي العيون.

إنّ ذكرى ثورة الحسين عليه السلام معطيات سامية، ولعل من أهمها أنها تنبه الأذهان وتوحي للرأي العام استنكار الاستبداد والظلم والجور وتشجيع الناس على الوقوف أمام المستبدين بصلابة وعنف حتى يظهر الحق ويسود العدل ويعم الرخاء، وقد قال تعالى:

﴿فَقَـٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبۡغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾.

وفي هذا تفنيد القاعدة الخرقاء التي مؤداها.

(قبلوا يداً تعجزون عن قطعها).

ومن معطياتها أنها أعطت لرجال الدين مثلاً حياً في التنكر للسلطة المستبدة بالشعب المتنكرة لحقوقه الخارجة على النظم الإسلامية وقد ضرب لهم الحسين مثلاً رائعاً في ذلك فعليهم أن يقتدوا به وأن لا يتساهلوا حتى لو كلفهم ذلك دماءهم فإنّ في دمائهم حياة الأمة وعز الوطن[٦٣].

---

(٦٣) مجلة الإيمان -النجف- العدد-٣، ٤- السنة الثانية- ١٩٦٥/ ص٣.

عبرة العبرة

بقلم: السيد محمد حسن الطالقاني

صاحب مجلة المعارف

لم يروِ لنا التاريخ رغم سعته وتنوع مآسيه وحوادثه حادثه أفجع من حادثة الطف الهائلة التي لم يزل صداها يتردد إلى الآن وإلى أن تقوم الساعة، وقد مضت عليها قرون وقرون وضمير الإنسانية الحساس يئن لمأساتها الدامية ويتوجع لمصيبتها الفادحة، ولم تزل ذكراها تعاد في كل عام ماثلة للخواطر تثير لواعج الأسى وتذيب القلوب وتستدر الدموع.

أجل لقد اهتز العالم من أقصاه إلى أقصاه لهول هذه الفادحة، واضطربت لها الأجيال والعصور المتعاقبة، وخشعت لها الأمم على اختلاف طبقاتها وتباين أجناسها، وذلك لأنّ نهضة الحسين عليه السلام لم تكن رغبة في الحكم، ولا أملاً في السلطان، ولا ذريعة للجاه والمال، وإنّما هي ثورة في وجه الاستبداد، ومقاومة للبغي والفساد، وانتفاضة ضد السلطة الجائرة وانتزاع للحكم من أيدي الأقلية الباغية وصرخة في وجه الطغيان الأعمى، وستبقى هذه الصرخة المصلحة مدوية في مسامع مضطهدي الشعوب وماثلة أمام وجوه الحاكمين من غير الطريق الشرعي.

لقد رأى الحسين عليه السلام بعينه وسمع باذنيه ما كان يجري على عهد معاوية من الظلم والجور، وانتهاك حرمة الدين، واغتصاب أموال الناس وسوء الاحوال العامة، وفساد أخلاق الأمّة ووقوع المسلمين في هوة سحيقة من الذل والخنوع ووصول الحالة إلى حد لا يستطيع الصبر عليه من في قلبه ذرة من الرحمة والعطف على بني الإنسان فكيف وهو ابن صاحب الرسالة الإنسانية الخالدة. والمسؤول الأول أمام الدين لوصايته الحقة عن أبيه وأخيه في حفظه.

وهلك معاوية فخلفه ابنه يزيد – وهو المعروف سيرة وسريرة– فزاد في الطين بله لأنّه كان إلى الجاهلية أقرب منه إلى الإسلام في كافة أحواله وأوضاعه، وقد تردت الحالة في أيامه. وانتهكت حرمة الإسلام على يديه بالمرة وبمختلف الطرق وظهر الفسق عليه وعلى قومه وعماله. وأصبحت الجرائم ترتكب جهراً دون خشية أو مراقبة. فرأى الحسين عليه السلام أنّ صبره على الحالة وسكوته عنها يزيد في تفسخ الأخلاق وذلة النفوس وهضم الحقوق ونصرة الباطل. وخشى أن تألف نفوس الناس المهانة والخنوع وتطبع بطابع الذل والخضوع. لان أمد الظلم إذا طال على أمة صار الذل والخوف فيها كالغرائز الفطرية والأخلاق الموروثة. لذلك لم يكن له بد من الثورة على يزيد وأعوانه وإيقافهم عند حدهم خوفاً من تزلزل العقائد الدينية وتفكك الروابط الإسلامية.

لذلك فقد قام عليه السلام في وجه يزيد وهو يعلم أنّه لم يستطع القضاء على أئمة الجور وأركان الضلال في كفاحه وجهاده. لكنه علم بأنّه إذا لم يتمكن من إسقاط الدولة الأموية وتشكيل حكومة عادلة بمكانها فإنّه يكون لكفاحه هذا أثر عظيم في المشايعين له. وتشجيع لهم على متابعة الحركة حتى يتحقق لهم النصر وبأن ثورته تعلم الناس طرائق الكفاح التي تخرجهم من ذل العبودية إلى عز الحرية، وتوجد بينهم روح الإقدام وتحمل المصائب والمتاعب، فهو منتصر حتماً ولو بعد حين.

قاوم الامام الحسين عليه السلام جيش الباطل فسجل أروع انتصار للمبادئ السامية في تاريخ الإنسانية، وترك في جبين الدهر أثراً ناصعاً ودليلاً قاطعاً على انتصار الفضيلة واسترخص نفسه الغالية في سبيل العقيدة والإيمان فضرب مثلاً أعلى في نكران الذات والتضحية من أجل الأهداف الكريمة.

قتل الحسين عليه السلام فوقع على وجه الثرى مزملاً بدمائه ووطأت خيول الظالمين صدره الذي وعى كتاب الله وهجد به آناء الليل وأطراف النهار، وقطع رأسه المعفر بالتراب والذي طالما قضى صاحبه الليالي وهو يعفر جبهته بتراب الأرض خشية من ربه وتواضعاً له، وحمل إلى يزيد ووضع أمامه فضرب وشرب وصب فضلة كأسه على ذلك الرأس الشريف الذي لم ير صاحبه الخمر ولم يشم رائحتها، وتناول القضيب فأخذ يضرب به ثنايا الحسين وثغره الذي طالما وضع نبي الرحمة ثغره عليه وقبله.

إنّ ما جرى على الحسين عليه السلام بعد قتله من تمثيل وشناعة لهو أكبر إثماً وأكثر بشاعة وإيغالاً في الجريمة، وبعداً عن قواعد الخلق والدين، فإنّ الجريمة التي ارتكبت في حقه لا تعادلها أي جريمة في عالم الحوادث، لذلك بقيت جرحاً في قلب كل مسلم، ووصمة في تاريخ العرب والإسلام، ولطخة سوداء في جبين الدين لا يزيلها مرور الحدثان مهما تقادمت الازمان.

فعلينا أن نحتفل بهذه الذكرى الخالدة والانتفاضة العظيمة وليس لنا أن نكتفي بالتفجع على مصاب الحسين وأهل بيته والبكاء عليهم طلباً للأجر فلم تكن الغاية من إقامة الاحتفالات والمآتم هنا وهناك مقتصرة على إحياء ذكرى فاجعة الطف وإقامة المناحة ولطم الخدود، فالاحتفال بذكريات المصلحين والعظماء إنما هو شحذ للعزائم وبعث للهمم على متابعتهم والسير على مناهجهم في الثورة على الباطل والعمل على نشر الحق والاقتداء والتأسي بهم، ومن أجل ذلك كثر الترغيب في زيارة الامام الحسين عليه السلام والحث عليها وعلى البكاء عليه وإقامة المآتم وغير ذلك.

وإذا ما اقتصرنا على البكاء والعزاء فقد أضعنا الفائدة المطلوبة وأضعنا كل ما ننشد من ورائها من أهداف لأنها أبعد من ذلك غوراً وأسمى معنى وعلينا إلى جانب الاهتمام بالمآتم والإعتزاز بها وبمعظم الشعائر وتخليد هذه الذكرى كل عام أن نسبر غورها ونتفهمها جيداً وندرك دقائقها ونأخذ بتعاليمها ونسير على ضوئها ونتأمل ما أنطوت عليه من أسرار وبذلك نستطيع أن نبني مجدنا ونعيد للأمة الإسلامية برفيع مكانتها[٦٤].

(٦٤) مجلة النشاط الثقافي -النجف-العدد-٨- السنة الأولى- ١٩٥٨/ص٤٨٧.

من أهداف الجهاد

بقلم: الشيخ عبد الحسن البيضاني

صاحب مجلة رسالة الجمعية الخيرية الإسلامية

لا يرتاب ذو مسكة رصينة وذو عقل سليم لا تقوده العصبية ولا تجاذبه الشهوات فيما أوتي ابن هاشم سيد قريش ومنح ابن عبد المطلب زعيم مكة من مفخرة الاحساب وعزة الأنساب أوتي العلم والحكمة وفصل الخطاب وجوامع الفضائل إلى ما لايحصى من الألطاف السماوية ومنح من المعاجز ما لا يستطيعه أحد من الموجودة البشرية.

منح القرآن الكريم وهو المعجزة الخالدة مادامت السموات والأرض منح الأخبار بالمغيبات عما كان أو يكون إلى غير ذلك من المعاجز الباهرات والكرامات الخارقات.

ولعل أكثر ما لاقى من العناء وأشد ما قاسى من الأذى من أشقياء أقاربه ومردة قومه كل ذلك حسداً له ولبيته على ما نال واختص به من عظيم المنزلة وشريف الكرامة وسؤدده الضافي على عامة قومه بل على عامة البشرية.

علماً منهم بأنّ ذلك كائن لا محالة فأرادوا محوه وإطفائه ويأبى الله الا أنْ يتم نوره.

كان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأبوه عبد الله وأمه آمنة بنت وهب معروفاً بين أولئك الطغاة الجبابرة بالصدق والوفاء والأمانة. وحين ما امر بإنذارهم جمعهم في بيت عمه لذلك وقال لهم صلى الله عليه وآله وسلم ما مضمونه:

لو أخبرتكم أن وراء هذا الجبل كنزاً كنتم تصدقون أم تكذبون قالوا بأجمعهم: كلا نشهد بأنّك الصادق الأمين.

ومع ذلك لم يجبه أحد منهم إلى ما ندبهم إليه سوى الامام علي عليه السلام ولم يعبؤا بقوله حتى المدة الأخيرة جلس عمه أبو طالب (رحمه الله) على الباب - الذي يزعمون أنه مات كافراً- وسيفه على ركبتيه قائلاً:

«**لئن قطعتم على ابن أخي كلامه لاضعن سيفي هذا فيكم...؟**».

كان كابوس الجهل قد ضرب أطنابه على سواد الجزيرة وبركان التمرد والطغيان قد هيمن على رجالات الأمة فكان الضغط والإرهاب يحكمها والشدة والعنف يسوسها لا تستند إلى قانون فينظمها ولا إلى دين فيجمعها ويلم شتاتها على الوجه الصحيح ومع هذا كله كانت تتحلى بصفات حسنة وتتأثر بمزايا جليلة أقرها الشرع المقدس بقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«**جئت لأتمم مكارم الأخلاق**».

وحينما بزغت شمس الرسالة في ذلك الجو المظلم وانبسطت أشعتها على ذلك الجهل المطبق محفوفة بما أوتى من الألطاف ومؤيدة بما منح من المعاجز فكان ولا من شك أن تنقشع غياهب تلك الظلم وتنكفأ غواشي تلك الجهالة ببركة سيد الأمة وقائدها من كوة الحضيض الأدنى إلى أسمى أوج الفضيلة الأعلى ذاك محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وكم أب قد علا بابن ذوي حسب ... كما علت برسول الله عدنان

وكانت قريش غب ما ارتكبته من الجرائم بهذا البيت الرفيع تحذر بأسه وتخشى سطوته ان هو استولى وقدر ولما آتاه الله ذلك وزاغت أبصار القوم وبلغت القلوب الحناجر وارتقى الامام علي عليه السلام على كتفه صلى الله عليه وآله وسلم وحطم اصنامهم وهشم اوثانهم قال صلى الله عليه وآله وسلم مخاطباً لهم:

«**ما تظنون اني فاعل بكم**».

قالوا لا نظن بك إلاّ خيراً، قال صلى الله عليه وآله وسلم:

«**اذهبوا فانتم الطلقاء**».

من دون أن يأمر بقتل أو تنكيل أو حرق أو تهديم أو ما إلى ذلك مما يشفي الغليل ويثلج الفؤاد غير لا اله الا الله محمد رسول الله.

ولكن يا ترى هل طابت نفوسهم وصلحت ضمائرهم وحسنت نواياهم مع أنه صلى الله عليه وآله وسلم اختصهم بميزات تكريماً لهم وإعلاء لشأنهم حتى يعتنقوا دينه عن رغبة ويسلكوا سبيله عن عقيدة، كلا وحاشا لم يزدهم ذلك إلاّ فراراً و عتواً ونفوراً.

﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾.

ولما أختار الله لنبيه لقاءَه أمره بإتمام الحجة عليهم وإكمال الدين بقوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ﴾: الآية.

وقوله:

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ﴾ ...الخ.

فقام صلى الله عليه وآله وسلم برمضاء الهجير مبلغاً ما أراده اللطيف الخبير رافعاً صوته آخذاً بيد علي عليه السلام ما بين تلك الجموع المحتشدة مستفهماً منهم من أولى بالمؤمنين فاجابوا: الله ورسوله فاشهد الله عليهم.

ثم أدّى رسالته قائلاً:

«من كنت مولاه فهذا علي مولاه».

وأيدها بالدعاء ثم سألهم هل بلغت فاجابوا «اللهم نعم» فأشهد الله سبحانه عليهم بالأداء والتبيلغ وأمرهم بالسلام عليه بالأمرة حتى بخبخ له بعضهم قائلاً بخ بخ لك يا علي اصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة أو مسلم ومسلمة.

ومع هذا وغيره من العهود والمواثيق انبثقت حسيكة الشرك والنفاق وانفجرت عيون الظلم والضلال وما زج الموقف لغط القيل والقال وهمس البعض إلى الآخر ما يجن في فؤاده ويجول في صدره «زعم ابن أبي كبشه أنه عقد أمراً لابن عمه ظن أنه قد أحكمه هيهات ثم هيهات».

ومن ذلك الحين حيكت المكائد وأبرمت خيوطها وأحكمت الدسائس ومهدت جذورها حنقاً وحقداً على مسفه أحلامها ومغيّر سنتها ونابذ عادهّا وقاتل شجعانها ومجندل أبطالها والحاجز بينها وبين أمنياهّا أضف لذلك حسدهم لهذا البيت بما ناله ويتوخاه من الكرامة والشرف والسؤدد إلى غير ذلك من مزايا ومواهب وغرائز جمة.

وما مر من قليل من الزمن وبرهة من الوقت إلاّ وحان القدر ونفذ المحتوم بالقائد العظيم والنبي الكريم ولما يدرج في أكفانه وينقل إلى مثواه الأخير إلاّ وينقض العهد وتخل المواثيق وتنقلب الأمة على أدبارها كأن لم يسمعوا شيئاً ولا وعوا حديثاً ولا شاهدوا أمر السماء مبلغاً هذا والعهد قريب.

تسلّى الامام عليه السلام عن هذه الجرأة وهو جذيلها المحنك وعذيقها المرجب بسيرة ابن عمه وأخيه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم واعتاض بدل جلوسه في داره مشغولاً بجمع القرآن ومراعاته لشريعة أخيه من تغير أو تبدل وابقائه على الإسلام والدين إنْ هو لم يشهر سيفه في وجه خصومه.

ويا ليتهم اكتفوا منه بذلك بل كان ما كان حتى دارت أيام البصرة رحاها مع الناكثين وخاض غمارها أيام صفين مع الفاسقين وأخمد نارها يوم النهروان مع المارقين لا تأخذه في الله لومة لائم.

هذا والمؤامرات تحاك على الفتك به والقضاء به والقضاء عليه وعلى بيته حتى قالوا ذلك بدلوا القدر ونزول الأجل من علي عليه السلام على يدي أشقاها عبد الرحمن بن ملجم وصحبه وهو جالس في محرابه ماثل بين يدي ربه راغب فيما وعد الله الصابرين متوقع ما به أخبر الصادق الأمين ما أسفر الفجر وانزاح الظلام إلاّ والروح الامين ينعى دين الله القويم ومنار الحق المبين:

«تهدمت والله أركان الهدى ... الخ».

يالها من كارثة أثيمة على الإسلام وأهله.

تحدث حبائل الحقد والضغينة اثر هذه الفاجعة الأليمة يسديها الغدر والإرهاق ويحكمها المكر والإهراق أبناء علي عليه السلام وصحبه دون رحمة ورأفة حتى اصابت حجراً وقومه بالقتل صبراً وأردت الامام الحسن عليه السلام بعد الصلح والمواثيق صريعاً يقاذف كبده بسم جعدة وزعزعت آله عن مأمنهم بأبشع سيرة ومنعت جثمانه الزكي عليه السلام من زيارة جده وهو رابع أصحاب الكساء وسيد شباب الجنة.

كل هذا وذاك وغير ذلك بجرى من أبي عبد الله الحسين عليه السلام وليد علي وفاطمة ومهجة محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

الحسين عليه السلام في عالم التكوين – نشأة قدسية نقلها الحكمة وتقبلها القدرة وتكيفها الكرامة وتحوطها العناية نور يستضيء منه الملأ الأعلى ويهتدي به المقربون حاز المواهب العظيمة واتسم بالمزايا الجميلة مواهب العز والكرامة وسمات المجد والفضيلة لا يجاريه شيء من الكائنات ولا يوازيه أحد من الممكنات سوى من أودع في صلبه ونشأ

في حجره أنوار اصطفاها مكونها واختارها مدبرها علة للخليقة ورحمة للبرية وقطباً يدور عليه الوجود:

﴿ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾.

تلك صفة جميلة – وجوهرة أصيلة– تقدرها العقلاء وتميزها النبلاء –بها تحقن الدماء وتصان الأعراض وتحفظ الأموال وبها جاءت شريعة السماء فهي ميزة عظيمة وسجية كريمة لا يتوخاها إلاّ الصالحون ولا يتوسمها إلاّ المخلصون بها تلتئم الشعوب وتتحد القلوب ويصفو الجو ولا يغضب الرب وهي قميصه وردائه «سلام الله عليه».

ولما ظهر الإلحاد وانتهك الإسلام وعف الدين واستعملت البدعة وساد الأنذال وحرّف القرآن وانطمست أعلام الشريعة، والأمّة لا تدفع منكراً ولا تردع معتدياً مكتوفة اليد مكمومة الفم مصمومة السمع تائهة في حيرتها خابطة في عشوتها فهي لما بها من الإرهاق وسوء الصنيع في ندم لاذع وزفير حار على ما أسدته لشانيء علي عليه السلام ومبغضيه وحين شاع صيت امتناع الحسين عليه السلام عن البيعة وغادر المدينة إلى مكة واختلف الوفود إليه لتستفيد من نور علمه وتدخر الجوهر من حديثه وتشرب النمير من منهله.

تباشر الكثير من الأمة لهذا الامتناع وتلك الهجرة رغبة منهم في اماتة البدع واحياء السنن علماً منهم بمواهب هذا البيت الرفيعة – ويقيناً بمزاياه الجليلة وحيث لا يصلح لقيادة الأمة والذب عنها وصيانة دينها وشعورها إلا الحسين عليه السلام لما به من الشعور الحي والشمم الرفيع على أصحاب أبيه وأمه وجده اقبلت الرسل تترى أن ليس لنا إمامٌ غيرك ينقذنا من هوة الذلة ويفك رقابنا من رق العبودية.

رأيه وعزمه عليه السلام تجاه هذه الأدوار الأثيمة – التي أخذت دوراً ما مر على الأمّة مثله من نضيره إزعاج وإرهاق – طرد وحرق– غدر ونفاق إلى غير هذه المآسي

والكوارث المؤلمة وهو عليه السلام لما به من المؤهلات السامية – ونفس أبيه بين حناياه لا يقر على منكر ولا يداهن على مكروه كيف وهو عليه السلام قد رأى نسيج الحقد والظغائن وحوك الكفر والإلحاد من أعداء شرفه الرفيع وبيته المنيع ودين جده الشفيع لا يلتفت إلاّ عليه حتى ولو لاذ بأستار الكعبة حذراً من بأسه وخشية من دعوته والأمة لا تعدل سواه.

في أسلافه وبيته وأمة جده –وما بين تلك المواهب الممنوحة والموروثة من أماجد عزه وساسه فخره ان اقام على خد المواسي وهو بن ليث وغاها ومدير رحاها وسير نفسه على الدعة والذلة وحاشاه ثم حاشاه مقتول لا محالة ذلاً وصغاراً وذهبت نواميس الدين والشريعة وفرسان بيته وآمال أمته وشيعته أدراج الرياح لا أثر فتبصر ولا خبر فتذكر وان غادر مكة حرم جده وأم العراق عاصمة أبيه فلا يأمن غدرهم ولا يستغرب خيانتهم كما شاهد بأبيه وأخيه عليه السلام.

ولما كان عليه السلام –آية للحق– ومثالاً للعدل– ورمزاً للفضيلة– ومناراً للهداية ذو همة دونها قمم الجبال وعزيمة دونها أبراج السماء حق ولا من شك وترديد أن ينازل أعداء الدين والمثل العليا نزال المتلهف الحنون ويقضي حراً دون عقيدته ودين جده عزيزاً تجاه أمجاده وأمته فقدم لذلك القرابين وضحى من أجله بأنفس النفائس وأعزها في حياة إخوته وصحبه وبني عمومته ونفسه وأفلاذ كبده وما إلى ذلك.

دون أن يسوم نفسه الحياة في ظل المتمردين الطغاة ولعل في هذا أو مثله قال صلى الله عليه وآله وسلم:

«حسين مني وأنا من حسين».

هو البحر من أي الجهات أتيته فلجته المعروف والجود ساحله

هذه الذكريات دروس وعبر تعطى البصير منهجاً وتزيده خيراً ودراية في اكتساب

الفضيلة على ضوء السنة وناموس الشريعة ونبذ الرذيلة وإنْ طبعت بطابع خلاب – تعظيم شعائر– أو باسم أحد القادة الأطهار – أو باسم الحرية المغرية والكماليات المحبوبة– وما إلى ذلك من مواد الخلاعة وعناصر الاستهتار التي بذرها اليد الأجنبية وقومتها الروح العدوانية ابتغاء الفرقة وتشتيت الشمل والوحدة، فإن دين النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وسيرة الائمة عليه السلام واعتناق الشريعة يستغرب ذلك دون إلفة ووئام كما تستغرب النار الرماد والكتاب ينبذه ويهدي إلى الرشاد بقوله:

﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا﴾.

وبالختام نأمل منه التوفيق للجميع[٦٥].

(٦٥) مجلة رسالة الجمعية الخيرية الإسلامية –كربلاء– العدد –٥، ٦– السنة الأولى– ١٣٨٧هـ/ ص٣٢.

وقعة الطف

وتأثيرها على الأدب العربي

بقلم: علي الخاقاني

صاحب مجلة البيان

لعل من المواضيع التي لم يتطرقها كاتب عن واقعة الطف هو هذا الموضع الذي يتجلى لكل باحث وأديب خطره وأهميته، وإذا ما درس الباحث وقعة الطف درساً تحليلياً يجدها قد أثرت على الأدب العربي فوسعت مواضيعه، وجددت له مواضيع أخر، وعليه فقد تجد ما اعتقده كل باحث من أن وقعة الطف أحد العوامل القوية التي بعثت بالأدب العربي إلى سعته وتطوراته التي سيطلع عليها القارئ.

ولسنا في صدد البحث عن معرفة العوامل التي رفعت مستوى الأدب العربي الذي منها امتزاج الأدب الفارسي بالعربي وبذلك ظهر الأثر في (الأدب العباسي) حيث امتزج فيه العنصران فنجم من ذلك اتساع دائرة الخيال في الأدب العربي وظهرت الفروق بينه وبين الأدب الأموي جلية واضحة.

وقد علم بأن أدب الرثاء عند العرب قبل الإسلام وبعده بقليل كان محدوداً وله قالب خاص لايحيد عنه الشاعر لضيق دائرة الميت والصفات التي فيه مهما بلغ الفقيد من العظمة حتى صار أكثر الأدباء يعتقدون من جراء ذلك بأن فن الرثاء هو أضيق دائرة من غيره من سائر فنون الشعر كالغزل والنسيب والمدح والفخر والحماسة والوصف إلى

غير ذلك. ولعل البيت الذي تغنت به الركبان من كونه أحسن بيت قيل في الرثاء يعطينا صورة صادقة تؤيد ما أعتقده الأدباء في ذلك وهو قول ليلى بنت طريف ترثي أخاها:

أيا شجر الخابور مالك مورقاً   كأنك لم تجزن على ابن طريف

ومع ما في هذا البيت من سمو فأنه يتصف إزاء فن الرثاء بعد وقعة الطف، ولعل لحقني بعد اطلاعي على أدب الرثاء عند الفراتيين وما ابتكروه من معان وما حصلوا عليه من متانة ممزوجة برقة وانسجام.

وإذا ما أردنا أن نستعرض أدب الرثاء في القرون الإسلامية الأربعة عشر لاشك يحتاج إلى زمن مشفوع بدراسة دقيقة ونظراً لأني صرفت زمناً في دراسة أدب الرثاء. بشكل تدويني ولم اتتبعه من الناحية التحليلية إلاّ مستطرداً وذلك في كتابي (شعراء الحسين) الذي تضمن ترجمة ثلثمائة شاعر مع إثبات عيون ما قالوه في رثاء الحسين، وحتى الآن أنا جاد بكل قواي لاستيفاء هذا الموضوع الخطير الذي أرجو أن أوفق لإحاطة به وإشباعه، لذا تراني في بحثي هذا لم أخض إلاّ بشكل استطرادي، وكم كنت أود أن يتقدمني أديب شهير فيخوض هذا الموضوع بالشكل الذي أرومه لعلي أسير على ضوئه فلم أجد من كتب حتى أدى حرصي إلى أن اقترح على العلامة الكاتب الشهير عبد الله العلايلي في مقالي الذي نشرته في السنة الأولى من مجلة (الغري) تحت عنوان (مقتل الحسين وعناية المؤلفين به) أن يكتب مقالاً تحت عنوان (مقتل الحسين وتأثيره على الأدب العربي) في إحدى حلقاته التي أعدها حينذاك لتاريخ الحسين نظراً للثقة التي كسبها هذا الكاتب المبدع بين أدباء العرب وما اختص به من متانة الأسلوب ولا أدري هل قرأ هذا الاقتراح أو أنه لم يقف عليه أو كتب ولم يصلني منه شيء، ذلك ما تمنيت أن يكون لأسير أنا على ضوئه أولاً، وبعد ذلك من شاء فليكتب حيث أن هذا الموضوع يستوجب نهضة قلمية واسعة تقوم بإشباعه والكشف عن أسراره، ولا أشك بأني قد أخذت على عاتقي هذا العبء مع قصر الباع المشفوع بقصر الزمن.

ولعل القارئ يشعر معي أن إشباع هذا الموضوع يحتاج إلى سفر كبير وبالأخير يوشك أن يستوفيه من يحاول الكتابة عنه، وصحائف معدودة لا تكفل تأدية المقصود والوصول إلى البقية التي أحاولها، فإذا وجب عليّ أن أقوم بتأدية ما استطيعه مستمداً ذلك من استحضار الوقت.

ليست واقعة الطف من الوقائع التي خفيت على الناس لأقوم بتعريفها فقد مر عليها أكثر من ثلاثة عشر قرناً وهي كما قال الشاعر الخالد السيد جعفر الحلي:

في كل عام لنا بالعشر واعية	تطبق الدور والأرجاء والسككا
يا ميتاً ترك الألباب حائرة	وبالعراء ثلاثاً جسمه تركا

أو كما قال الشيخ عبد الحسين الأعسم:

انست رزيتكم رزايانا التي	سلفت وهونت الرزايا الآتية
وفجائع الأيام تبقى مدة	وتزول وهي إلى القيامة باقية

حقاً ما قاله هذا الشاعر فهي باقية خالدة وستبقى حتى يتلاشى الوجود بين طيات العدم، ولفداحتها التاريخية وعدم مشابهة واقعة لها أوجب أن تصرخ الإنسانية لها صرخة لا تهدأ حتى تنعدم الإنسانية من صفحة الوجود، وقامت زمر بالنياحة على ذلك الشهيد الذي خط بدمه الطاهر على صحيفة العدل الخالدة دروس الدين التي حاول الأمويون محوها من تلك الصحيفة الإلهية فخسئوا وكان عاقبة أمرهم الخزي والعار المؤبدين.

ولأثر هذه الفاجعة في القلب تعاقبت الزمر تلو الزمر يندبون بذلك البطل بشتى الأساليب وبمختلف اللغات وناحية شعراء القرون الإسلامية أجمع وفي طليعتهم شعراء القرون الأولى منهم سليمان بن قتة العدوي، والحسين بن الضحاك، وجعفر بن عفان حينما دخل على إمامنا جعفر الصادق عليه السلام ومثله دعبل الخزاعي، وعبيد الله

بن الحر الجعفي، والفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب، وعتبة بن عمرو العبسي وهو أول من رثى الحسين حسبما ذكر سبط بن الجوزي في كتاب (التذكرة) قائلاً:

مررت على قبر الحسين بكربلا ... ففاض عليه من دموعي غزيرها

وما زلت أبكيه وأرثي لشجوه ... ويسعد عيني مدمعي وزفيرها

وناديت من حول الحسين عصائباً ... أطافت به من جانبيه قبورها

ومنهم ذو الحسبين الشريف الرضي ذلك الذي أفهمنا عنه التاريخ أنه زار الحسين وأخذ يطوف حول قبره وهو يرتجل مقصورته الشهيرة التي أعربت عن حقيقة الرثاء قائلاً في مطلعها:

كربلا لا زلت كرباً وبلا ... ما لقي عندك آل المصطفى

فما أتمها إلاّ وقد أغمي عليه زمناً طويلاً، وتلميذه مهيار الديلمي ذلك الذي أدخل فناً على الرثاء لم يجيء بمثله من سبقه، وتراه يصف ضريح الحسين بإسلوب ثم عن بلاغة وسمو في الأدب يقول:

كأن ضريحك نشر الربيع ... مرّ عليه نسيم الخريف

ومنهم ابن الهبارية الحسين الشاعر الشهير الذي أبدع في الرثاء غاية الإبداع، ومثله من اسمه طابق مسماه بديع الزمان الهمداني.

وإذا ما حاولنا أن نذكر لك شعراء القرون الوسطى فنحتاج إلى أن نقدم لك سفراً ضخماً في أسمائهم كإبن أبي الحديد المعتزلي صاحب شرح النهج ومن في طبقته.

ولكن هلم فلتعرف فن الرثاء حينما أذكرك بشعراء القرون الأخيرة كالشيخ علي الشفهيني والشيخ جعفر الخطي، والسيد علي خان الشيرازي صاحب السلافة، والسيد ماجد بن السيد هاشم البحراني، والشيخ حسن الدمستاني، والسيد محمد الشاخوري،

والشيخ يوسف أبو ذيب، والشيخ عبد النبي الخطي، والسيد حسين بن السيد علي الشاخوري، والشيخ محمد بن الشيخ يوسف البلادي، والشيخ علي بن حبيب الخطي، والشيخ شهاب الدين الحويزي، والشيخ سلمان الماحوزي صاحب كتاب (بلغة الرجال)، والشيخ داود الجد حفصي، والسيد محسن البغدادي الأعرجي صاحب كتاب (المحصول)، والسيد سليمان الحلي، والسيد أحمد وولده السيد روؤف الجد حفصي، والشيخ لطف الله الجد حفصي، والشيخ سلمان الكبير، والحاج جواد بركت الحائري، والشيخ محسن أبو الحب، والشيخ أحمد قفطان، والشيخ حسن قفطان، والسيد مهدي بن السيد داود الحلي، والشيخ عبد الحسين، والشيخ عباس الأعسميين، والشيخ محسن آل الشيخ خضر، والشيخ محمد نصار، والسيد محمد القطيفي، والشيخ علي الخليعي، والسيد عبد المطلب الحلي، والشيخ أحمد زين الدين، والسيد مهدي القزويني، وأولاده السيد جعفر والسيد صالح والسيد محمد، والشيخ حسن إمصبح الحلي الذي أبدع في فن الرثاء إبداعاً لم يسبقه إليه أحد من عصبة الرثاء ولعله لا يأتي أحد من بعده فقد رثى الحسين بديوان ضخم وبضمنه «روضة» تشتمل على ٢٩ قصيدة على عدد حروف المعجم يبتدأ بالحرف الذي ينتهي به بمتانة وانسجام بالإضافة إلى ما قيد نفسه به، وهي على ما نسق ما صنعه الشاعر المبدع صفي الدين الحلي في الروضة التي خصها لمدح الملك المنصور.

ولعلك أيها القارئ استغربت في عدم ذكري لمشاهير عصبة الرثاء من الفراتيين المتأخرين الذي غنى بشعرهم أحمد شوقي وأخوانه المصريين كالشاعر الفحل السيد حيدر الحلي، والحاج هاشم الكعبي، والشيخ صالح الكواز، والسيد جعفر الحلي، ومن جاراهم في الحلبة كالسيد إبراهيم الطباطبائي، والشيخ محمد رضا الخزاعي، والشيخ سالم الطريحي وهو الذي يقول:

عـــانقوا المرهفـــات حـــتى تهـــاووا صـــرعا في الثـــرى بجـــر الـــصيوف

وبقـــي ابـــن الـــنبي لم يـــر عونـــاً في الـــوغى غـــير ذابـــل ورهيـــف

فـــأنثنى للـــنزال يكتـــال آجـــا لا فـــوفى بالـــسيف كـــل طفيـــف

كـــم جيـــوش يلفهـــا بجيـــوش وزحـــوف يلفهـــا بزحـــوف

كلمـــا هـــم أن يـــصول علـــيهم همـــت الأرض خيفـــة برجيـــف

لم يـــزل يـــورد المواضـــي نجيعـــاً مـــن رقـــاب العـــدى بقلـــب لهـــوف

فـــدعاه داعـــي القـــضاء فـــألوى عـــن هـــوان لـــدار عـــز وريـــف

لا أنكر استغرابك حينما تجدني قد تأخرت عن ذكرهم فلعمري لهم بيت القصيد وروح البحث ونقطة الدائرة، وقل أبطال الخلود، فلقد ضربوا رقماً قياسياً مما عجز باقي الشعراء عن الحصول عليه.

ولا تصح الدعوى ما لم تشفع ببينة، فهاك أولاً ما يقوله السيد مهدي عم السيد حيدر الحلي:

تحملـوا محنـاً لـو بعـضها حمـل الــ سبع الطباق هوت ضعفاً علـى التـرب

بـساعة لـو تكـون الـساعة اقتربـت منـــها تكافأتـــا في شـــدة الكـــرب

حيـث الكريهـة ترمـي للـسما شـرراً كالقـصر نيرانهـا مـن شـدة اللـهب

وحـين قامـت علـى سـاق جثـت غـضباً لهـا بنـو مـضر الحمـرا علـى الركـب

مـن تحتـهم لـو تـزول الأرض لانتـضبوا على الهوى هضباً أرسى من الهضب

أبطـــال حـــرب إذا عـــضوا نواجـــذهم لا منجـــد لأعـــاديهم ســـوى الهـــرب

أفهل سبق أيها القارئ أن قرأت شعراً بهذا الأسلوب من الفن الذي مزج فيه

الرثاء بالفخر والحماسة، ولعلك لم تعرف بأن ابن أخيه هو السيد حيدر الحلي الذي ولد ١٢٤٦هـ- وتوفي ١٣٠٤هـ قد سبق أبطال حلبة أدب الرثاء بشعره الذي سجله بمذاب القلب لقوله:

عجباً للعيون لم تغد بيضاً	لمصاب تحمر فيه الدموع
وأسى شابت الليالي عليه	وهو للحشر في القلوب رضيع
أينما طارت النفوس شعاعاً	فلطير الردى عليه وقوع
فأبى أن يعيش إلاّ عزيزاً	أو تجلى الكفاح وهو صريع
فتلقى الجموع فرداً ولكن	كل عضو في الروع منه جموع
زوج السيف بالنفوس ولكن	مهرها الموت والخضاب النجيع

أحسب أن هذه الأبيات لا تحتاج بمعناها إلى إيضاح لما حوته من نكت البديع بحسن الانسجام ورصانة تركيب بقوله: (زوج السيف) ولابدع إذا كان مفتوناً المرحوم أمير الشعراء أحمد شوقي بشعر هذا الفحل حينما اجتمع أحد طلاب البعثة العراقية في طريقه إلى السوربون فقال له إقرأ لي شعراً فراتياً فقرأ له من شعر بعض الشعراء المعاصرين فقال له إقرأ:

عثر الدهر ويرجو أن يقالا	تربت كفك من راج محالا
وقفوا والموت في قارعة	لو بها أرسي ثهلان لزالا
فأبوا إلاّ اتصالاً بالضبا	وعن الضيم من الروح انفصالا
أرخصوها للعوالي مهجاً	قد شراها منهم الله فغالى
أيها الراغب في تغلبة	بامون قط لم تشكوا الملالا

اقتعدها وأقم من صدرها	حيث وفد البيت يلقون الرحالا
وأحتفيها من لساني نفثة	ضرما حولها الفيض مقالا
وإذا أندية الحي بدت	تشعر إلهيبة حشداً وإحتفالا
قف على البطحاء وأهتف ببني	شيبة الحمد وقل قوموا عجالا
كم رضاع الضيم لاشب لكم	ناشئ أو تجعلوا الموت فصالا
قوموها أسلاً خطية	كقدود الغيد ليناً وإعتدالا
وأخطبوا طعناً بها عن السن	طالما أنشأت الموت ارتجالا
وانتضوها قضباً هندية	بسوى الهامات لا ترضى الصقالا

حق لشوقي أن يعجب ويعجب لأنه لا يعرف العظيم إلاّ العظيم كيف لا وقد جللها فن البديع بأنواعه من مقابلة إلى جناس إلى تورية كما نجد فن (البيان) قد صف بها لإقتران اللفظ بالمعنى ولا ننسى أنه هو الذي يقول:

يلقى الكتيبة مفرداً	فتفرُّ دامية الجراح
وبهامها اعتصمت مخافة	بأسه بيض الصفاح
وتسترت منه حياءً في	الحشا سمر الرماح

أفهل سبق أن سمعت من المتقدمين والمتأخرين قائلاً:

وتسترت منه حياءً	في الحشا سمر الرماح

وهل تعتقد بأن هذا شعر ينتزعه الإنسان من مخيلته ساعة أن يشاء كلا!!! بل كما قال الأستاذ الكبير الجواهري.

إنه ذوب قلوب	صيغ من لفظ مذاب

ولعلك ترغب أن أثبت لك من هذه القطع القلبية وأن نكون للسيد حيدر فخذ قوله في وصف الحسين وفتيته البواسل وأصحابه الأشاوس بأسلوب تداخلت فيه جميع أنواع الشعر وازدحمت عليه غير ان ظاهره الرثاء قوله:

غداة أبو السجاد جاء يقودها ... أجادل للهيجاء يحملن أنسرا

عليها من الفتيان كل ابن نثرة ... يعدُّ قتير الدرع وشياً محبرا

أشم إذا ما أفتض للحرب عذرة ... تنشق من إعطافها النقع عنبرا

من الطاعني صدر الكتيبة في الوغى ... إذا الصف منها من حديد توقرا

هم القوم إما أجروا الخيل لم تطأ ... سنابكها إلاّ دلاصاً ومغفرا

إذا ازدحموا حشداً على نقع فيلق ... رأيت على الليل النهار تكورا

كماة تعد الحي منها إذا انبرت ... عن الطعن من كان الصريع المقطرا

ومن يحترم حيث الرماح تضافرت ... فذلك تدعوه الكريم المظفرا

فما عبروا إلاّ على ظهر سابح ... إلى الموت لما ماجت البيض أبحرا

مضوا بالوجوه الزهر بيضاً كريمة ... عليها لثام النقع لاشوه اكدرا

فإن يمس مغبر الجبين فطالما ... ضحى الحرب في وجه الكتيبة غبرا

وإن يفضي ضمآناً تفطر قلبه ... فقد راع قلب الموت حتى تفطرا

تجلى لك ماذا أدخله الشاعر على فن الرثاء من أسلوب بديع وفن مبتكر فبينما تجده في صدر البيت يرثي فيقول: فإن يمس مغبر الجبين. تراه قد إنتقل إلى الفخر والحماس بقوله: فطالما ضحى الحرب، وهو لا يزال في البيت نفسه وهكذا الذي قبله والذي بعده، ولو تأملت في بيت من هذه القصيدة الطويلة يعني به عقيلة آل البيت زينب الكبرى إبنة علي لاستشعرت ما غمر أدب الرثاء من الفن العجيب والأسلوب

الساحر بقوله:

مشى الدهر يوم الطف أعمى فلم ... عماداً لها إلاّ وفيه تعثرا

أهل سبق أن شاعراً خاطب مثكلة بفقد عزيزها بمثل هذه اللغة العجيبة.

ولا أحسب أيها القارئ لو حدثتك عن هذا الشاعر وعرضت عليك صوراً من شعره أياماً وليالي أن يعتريك سأم أو يخامرك ملل، كيف وهو ينحت من قلبه ويقدمه لك كقوله:

وخائضين غمار الموت طافحة ... أمواجها البيض بالهامات تلتطم

مشوا إلى الحرب مشي الضاريات لها ... فصافحوا الموت فيها والقنا أجم

فالحرب تعلم أن ماتوا بها فلقد ... ماتت بها منهم الأسياف لا الهمم

قومي الأولى عقدت قدما مآزرهم ... على الحمية ما ضحوا ولا أهتضموا

عهدي بهم قصر الأعمار شأنهم ... لا يهرمون وللهيابة الهرم

ولا شك أن أصدق صورة للغة الشاعر شعره الذي تصعده نفثات صدره، وفي شعره هذا أعرب عمّا في قلبه من نار تركها هذا الفادح مما أدى أن يستنجد بقومه الذين قصرت أعمارهم لعدم قرارهم على الذل وما أجلاه حينما يستغرق في وصفهم بقوله:

متنافسين على المنية بينهم ... فكأنما هي غادة معطار

سمة العبيد من الخشوع عليهم ... لله إن ضمتهم الأسحار

وإذا ترجلت الضحى شهدت لهم ... بيض القواضب أنهم أحرار

فهل تأملت هذه المقابلة البديعة: عبيد وأحرار وضحى وأسحار، وعبثاً أحاول أن أحيط بالجيد من شعر هذا الفحل الخالد فلعمري ما فيه من غث. وأنظر ما يقوله الشيخ محمد رضا الخزاعي.

سلو الضبا بيضاً وقد راودوا فيها المنايا السود لا الخردا

ولو أراد أديب شرح هذا البيت لأستطاع أن يقوم بتأليف رسالة في الأدب، ولكن نظرة سريعة تعطيك ما فيه من حلاوة وما تضمنه من إبداع ومقابلة بيض لسود، وتراه أدخل في هذا البيت أسلوب الغزل بقوله: راودوا فيها المنايا. وغير خفي أن المراودة هي المحاولة من قبل الرجل والتمنع والتهرب من جانب المرأة، وقد جعل الشاعر آل هاشم يوم الطف أنزلوا المنايا منزلة الغادة الحسناء فراودوها فكانت تهرب من بين أيديهم وتخشاهم وهم يتبعونها، فهل مرَّ على خاطرك أيها القارئ من شعر العرب شيء من هذا الأسلوب، كلا!!!.. بل هذا ما أوجدته واقعة الطف في الأدب فخلقت شعراً شذَّ أن يحصل على مثلهم عند سائر الأمم.

وقد سبق هذا الشاعر الموهوب الشيخ محمد رضا الأزري فقد قام بجولة في ميدان أدب الرثاء أطلعنا فيها على فن عظيم فتراه يصف تهافت الهاتفين على الحرب ويقول:

حي من الشوس معتاد وليدهم على رضاع دم الأبطال لا اللبن

لعمر أبيه كيف اصطاد هذا المعنى ومن أوحى له بأن يفرغه بمثل هذا القالب الرصين، وترى الأزري الآخر وهو الشيخ كاظم يقول وهو العظيم: -

ما أبرقت في الوغى يوماً سيوفهم إلاّ وفاض سحاب الهام بالمطر

هم الأسود ولكن الوغى أجم ولا مخالب غير البيض والسمر

قد غيَّر الطعن منهم كل جارحة إلاّ المكارم في أمن من الغير

قد كنت في مشرق الدنيا ومغربها كالحمد لم يغنِ عنها سائر السور

ولقد تنوع في هذا المعنى شعراء فأفرغوه بقوالب جميلة أخَر منهم السيد مهدي بن

السيد داوود الحلي قال:

سطت وأنابيب الرماح كأنها ... آجام وهم تحت الرماح أسود

ترى لهم عند القراع تباشراً ... كأن لهم يوماً الكريهة عيد

وجاء المرحوم السيد رضا الهندي فقال وأجاد:

أسد قد أتخذوا الصوارم حلية ... وتسربلوا حلق الدروع ثيابا

تخذت عيونهم القساطل كحلها ... وأكفهم فيض النحور خضابا

يتمايلون كأنما غنى لهم ... وقع الضبا وسقاهم أكوابا

برقت سيوفهم فأمطرت الطلى ... بدمائها والنقع ثار سحابا

وكأنهم مستقبلون كواعباً ... مستقبلين أسنة وكعابا

وأظن لم يفتك ما في قوله من استعارة فنية وسبك جميل «برقت سيوفهم فأمطرت الطلي» وإذا ما حاولت أن تثبت لك صورة من أدب الرثاء في وصف عقائل النبوة وما أصابها من شدة العطش وفقدان الكفيل فإنما نثبت شظايا قلوب صورتها لنا تلك المأساة التي لم يمر على بشر مثلها في التاريخ كمنع الماء على رضيع وقتله وعلى امرأة وسبيها وإليك ما يقوله الشيخ عبد الحسين شكر في قصيدة طويلة:

أذيبت برمضاء الهجير قلوبها ... فأسلبن من آماقهن مذابها

وأرياقها تشكوا النضوب من الظما ... فتوردها شمس الهجير لعابها

كيف صور هذا الشاعر شدة عطش النساء وقسوة بني أمية تجاهها في منع الماء عنها وهم بالقرب منه حتى أوجب أن تعطف الشمس على هذه الحرائر فتسقيهن من لعابها لتخفف عنهن مضاضة العطش، وهاك ما يقوله أمير فن الرثاء السيد حيدر:

كجمر الغضا أكبادهن من الضما ... بقفر لعاب الشمس فيه شرابها

وله من قصيدة يصف شكلهن فيقول:

تساقط الأدمع أجفانها … كالجمر عن ذوب حشى الهبا

فدمعها لو لم يكن محرقاً … عاد به وجه الثرى معشبا

فلو سألت أيها القارئ أن هذا البيت من أي فن ماذا تجيب..؟ أمن فن المديح أم الفخر أم الحماسة أم الرثاء. لا أحسب إلاّ أن تقول أنه من نوع الفخر ولكن بعد التأمل يعتريك خلاف ذلك وهكذا حتى تصبح بين عوامل تتنازع في مخيلتك فلا توصلك إلى هدف، باعث ذلك نتيجة التوغل والإبداع في فن الرثاء، وإليك ما قاله المرحوم العلامة السيد محمد حسين الكيشوان من قصيدة طويلة:

يوم به الأبطال تعثر بالقنا … والموت منتصب بست جهاتها

برقت به بيض السيوف فأمطرت … بدم الكماة يفيض من هاماتها

فكأن فيه العاديات جآذر … تختال من فرح على تلعاتها

حتى إذا نفذ القضاء وأقبلت … زمر العدى تستن في عدواتها

نشرت ذوائب عزها وتخايلت … تطوي على مر الظما مهجاتها

وتفيئت ظل القنا فكأنما … شجر الأراك تفيئت عذباتها

وتعانقت هي والسيوف وبعد ذا … ملكت عناق الحور في جناتها

فهل تصورت هذه القطعة وكيف صاغها ناظمها باسلوب مزج الغزل بالرثاء وقل مزج الفنون كلها وما احيلا قوله فكأن فيه العاديات جآذر.

والحق الذي دعي لئن تصبح الشيعة أعلى مظهر للأدب العربي وأقوى اتصالاً من غيرها وأكثر إبداعاً وإنتاجاً له حتى سار المثل «وهل رأيت أديباً غير شيعي» هو ما بعثته فيهم قصة الطف وما اعتقدوه من هضم حقهم وضياعه بيد الأعداء وهامت فيهم

النفوس وجرح الأسى أفئدهم بجراح لا يصلحه ضماد، وغمرهم لواعج الأشجان فأبرزت مكنونات تلك المواهب فأعربوا عنها بلسان الموتور، ولا أنسى ما نقل لي بعض شبابنا المثقف حينما كان طالباً (في دار المعلمين العالية) ببغداد في العهد الذي ولي فيه تدريس الأدب العربي بها الزميل الأستاذ أحمد حسن الزيات صاحب مجلة الرسالة فقال: «إن الشيعة امتازت عن سائر الأمم بالأدب التمثيلي لتأثير واقعة الطف في قلوبهم وحرصهم على تصويرها» وقد أصاب الهدف بقوله. ولكن لم تمتز بالأدب التمثيلي وحده وإنما إمتاز بجميع أنواع الأدب، والآثار شاهدة على ذلك – ومثلي من يعرف- وليعلم وغيره بذلك من أن للحاج هاشم الكعبي تحسب على الأدب التمثيلي فأصدر حكمة وهي:

وأقبلن ربات الحجال وللأسى	تفاصيل لا يحصى لهن مفصل
فواحدة تحنو عليه تضمه	وأخرى عليه بالرداء تظلل
وأخرى بفيض النحر تصبغ شعرها	وأخرى تفديه وأخرى تقبل
وأخرى على خوف تلوذ بجنبه	وأخرى لما قد نالها ليس تعقل
وأخرى دهاها فادح الخطب بغتة	فأذهلها والخطب يدهي ويذهل
وجاءت لشمر زينب أبنة فاطم	تعنفه عن أمره وتعذل
تدافعه بالكف طوراً وتارة	إليه بطاها جدها تتوسل
أيا شمر هذا حجة الله في الورى	أعد نظراً يا شمر إن كنت تعقل

وإني أتمنى بأن يتسع لي المقام لتزويد هذا الأستاذ الكبير وغيره بآلاف القصائد من هذا النوع مستخرجاً ذلك من كتابي (شعراء الحسين) أو«أدب الطف» ولما حوته هذه القطعة من دقيق الوصف فقد تحدوا بالسامع لها أنه أمام مشهد فضيع مريع[٦٦].

(٦٦) مجلة البيان -النجف- العدد- ١١، ١٢، ١٣، ١٤- السنة الأولى- ١٩٤٧/ ص٣٤٨.

مصرع السبط (عليه السلام) في سبيل الاصلاح

بقلم: الاستاذ عبد الهادي العصامي

صاحب مجلة الشعاع

قال الامام السبط عليه السلام لم أخرج أشراً، ولا بطراً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي، عندما طغى الباطل فغمرت موجته الحق، حتى أصبح الدين كما اعرب عنه قائلاً «الدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درت معايشهم، فإذا محصوا بالبلاء قل الديانون» فصيروا الغرس الذي غرسه المنقذ الأعظم محمد الخالد صلى الله عليه وآله وسلم متجرداً للدنيا، واتخذوه بضاعة رابحة تدرّ على المتجر بالربح الوافر، لإخماد لهب شهواتهم، وإذا امتحنوا بالبلاء تبين النحاس من الذهب الأبريز، وقليل هم عباده الصالحون.

لقد علا طغيان الظلم والجور، حتى غمر الحق، فلم يعد المستبصر يرى بصيصاً من الواقع، أو إشعاعاً من الحق فترى الحدود قد عطلت، واستبدلت الصلاة بعزف الأوتاد والتهجد آناء الليل وأطراف النهار بادارة الكؤوس والانتصاف للمظلوم بتحميل الأرض العامرة ضريبة الأرض الخراب وبعبارة أجلى - إن منقذ الإنسانية صلى الله عليه وآله وسلم اعتبر كلما يخدم الإنسانية، ويرفع قيمها الروحية معروفاً فأمر به وكلما يضر بالصالح العام، يحط من قيم الإنسانية منكراً فنهى عنه، فانعكست الآية وأصبح

المعروف منكراً والمنكر معروفاً وهذا ما دعا الامام السبط عليه السلام لأن يعلن بثورته ضد الظلم لينقذ الحق من طغيان الباطل.

ولن يخضع في مثل هذه الظروف لمشيئه عباد الرذيلة إلاّ من تربى على الخنوع، فاستنام الذل، وخضع للهوان، وضرع خده صاغراً للاستهانة والحسين بن علي عليه السلام قد تعالت نفسه عن كل ذلك لانه تربى بحجر النبوة، ونشأ في أحضان الفضيلة من معدن الرسالة، فكيف يعطي القادة عن يد إلى من تربى على الرذيلة ونشأ بين الكأس والطنبور ومغازلة القيان، وتحدى تعاليم القرآن حين غازل أمهات أولاد أبيه وخالاته وعماته؟!.. والإمام يرى نفسه هو المسؤول امام ضميره وأمام الله تعالى إن غض طرفه فضلاً عن المسالمة لمن دان بالرذيلة، وعبد أهواءه وشهواته فامتشق حسامه في وجه الظلم ولم يعبأ بكثرة جيشه وتظافر عباد الشهوات على طمس معالم الفضيلة.

علا أنف الظلم بحسامه الممشوق، وهو يقول:

«لا والله! لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقر لكم إقرار العبيد»

وكيف يعطي يده صاغراً؟!.. وقد أبى الله إلاّ أن يضع تاج العزة على مفرقه حين قال:

«العزة لله ولرسوله وللمؤمنين».

ومنح ضميره الطاهر الحرية في حدود الفضيلة.

اتخذ يزيد الرجس دين الله دغلاً وعباده خولاً، حينما جلس على أريكة الملك، وانتهى إليه الصولجان وذلك منتهى الاستهتار بحقوق الإنسانية، والضعة التي لحقتها بتولي أمور المسلمين من قبل شاب تربى تربية جاهلية واشتغل بلهوه ولعبه وأوكل الحقوق العامة إلى إغرار أدعياء ونحى عنها الصحابة والتابعين فساموا الأمّة الضيم، وهذا الأود لا يقومه، والظلام لا يبدده إلاّ بحر من الدماء متلاطم.

لما انتهت الخلافة إلى الخليفة الثاني، خطب بعد البيعة «أعينوني على الحق وإن رأيتم في أدداً، فقوموني بسيوفكم» ولعله إنّ معالم العدل لو لحقت، يرفع لها مناد بغير السيف، فالسيف سيشفي غلة الصادي، ويقتلع الظلم والجور من منابته ويدع جمع الباطل حصيداً، والجور هشيماً.

فلإسلام يريد من المسلم أنْ لا يقر على الضيم، ولا يخضع لمذلة، بل يطلب أن يقوم الخليفة بالسيف إنْ رأى فيه أدداً، فكيف إذا أراد أن يرجع بالمسلمين إلى الجاهلية الأولى، ووزر ذلك في عنق معاوية لما يعرف من ابنه الركون إلى ذلك، فان قوله «لولا هواي في ابني يزيد لاهتديت إلى رشدي» يعرب لنا عما يعرفه عن ابنه من إتباع الهوى، ومن تبع الهوى لا يصلح لأن يكون قائد أمة، وإمام جماعة.

ومن ينقذ المسلمين من هذه الهوة التي أنزلهم بها يزيد ولن ينقذوا إلاّ ببحر من الدماء متلاطم الامواج؟.. فلم يكن لذلك إلاّ من كمل إيمانه بالله، فرعى الله في خلقه، ومن هو يا ترى!؟ فهل غير الحسين بن علي عليه السلام؟ كلا!!.. فكانت مأساة رددتها الأجيال، وترددها حتى تمحي الإنسانية من لوح الوجود، ترددها كأنها ابنت ساعتها، لانها في سبيل الإصلاح، ونشر لواء العدل في ربوع الضاد، بل في بلاد القرآن.

فمأساة الطف – أيها السادة – دروس وعبر درس في التضحية للإصلاح والإباء والشمم والعزة والأنفة وعبرة لمن يتقاعد عن أداء الواجب ويرى من نفسه القدرة لان يأخذ بساعد أمته إلى حيث العزة والحرية والسعادةو يتقاعد خوفاً من القتل ولم يدر أنّ في القتل حياة ثانية ترددها الأجيال كما رددت ذكرى مصرع السبط عليه السلام.

يجب أن نضع بين أعيننا كلمة الإمام:

«مثلي لا يبايع يزيد لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقر لكم إقرار العبيد».

فنحطم أغلال الاستعباد ونخلع نير الذل من أعناقنا ونبادر لإنقاذ فلسطين من شذاذ الأفاق عباد العجل، فإنها لا تنقذ إلاّ ببحر من الدماء متلاطم الامواج والا اذا انتصر الباطل على الحق في الأرض المقدسة مهد المسيح عليه السلام فلن يذكر لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم اسماً.

قال الامام الصادق عليه السلام لفضيل:

«يا فضيل أتجتمعون وتتحدثون؟..

قال: نعم. فقال الامام:

يافضيل إحيوا أمرنا أما والله!.. إني لأحب تلك المجالس».

وما هو أمركم؟.. أليس نشر الفضيلة وإعلاء شأن العدل والحق، ومطاردة الظلم وقد قال الامام علي عليه السلام:

«انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً».

فقيل له وكيف ننصره ظالماً؟.. قال عليه السلام:

بكفه عن الظلم.

هذا هو أمرهم، فهلا نضحي بانفسنا لدفع الظلامة عن الأرض المقدسة فنموت كراماً أو نعيش سادة[٦٧].

(٦٧) مجلة الشعاع -النجف- العدد-١٣، ١٤- السنة الأولى- ١٩٤٨/ص١٩.

ذكرى أربعين سيد الشهداء (عليه السلام)

بقلم: الشيخ عبد الرسول كاشف الغطاء

رئيس جمعية الوحدة الإسلامية

في الوقت الذي تتداول أيدي قرائنا الأعزاء هذا العدد. تكون كربلاء البقعة المقدسة التي تضم رفات سيد الشهداء وصحبه المناجيد -قد ماجت بعشرات الألوف من الزوار الذين يؤمونها من سائر أنحاء العالم الإسلامي. غير مبالغين بكل ما يقف من الصعاب حائلاً دون اوائهم هذه الزيارة التي يستعيدون فيها أشد الذكريات وقعاً في نفوسهم مجددين بذلك ذكرى زيارة جابر الانصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقبر أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

وما كانت كل هذه القرون التي مرت على هذه الفاجعة لتستطيع ان تمحو هذا الأثر البليغ الذي خلفته في نفوس بل ما كانت إلاّ لتزيدها جدة وحدة.

وأنت لو رأيت هذه الجموع الزاخرة التي تظل تنصب كالسيل على أرض الطف طوال هذه الايام حتى تزدحم بهم المدينة على سعتها وحتى يضطر الآلاف منهم إلى النوم على أرصفة الشوارع وعلى سطوح المنازل مع هذا البرد الشديد. إنك لو رأيت هذه لآمنت ان هذه المئات من السنين التي مرت على ذكرى واقعة الطف لم تكن إلاّ لتزيدها لهباً وضراماً. ولم تكن إلاّ لتبعث الناس في مطلع كل عام إلى مضاعفة الجهود في سبيل تعظيم هذه الشعائر المقدسة وإحياء هذه الذكريات الغالية.

بربك قل لي.. أية ذكرى تفتت الأكباد كذكرى الأربعين حين تكون عقائل الوحي

«وهن على الاقتاب» يطلبن التعريج على الطف في طريقهن إلى المدينة بعد أن عانين من الهون والاذى وما لقين من الفجيعة والضيم ما يفتت كبد الإنسانية وما يترك صفحة سوداء قاتمة في تاريخ هذه الأمة المنكودة. يخلفها علوج بني أمية الأوغاد عليهم وعلى أتباعهم وأشياعهم لعائن الله وملائكته والناس أجمعين ... أجل إنّ عقائل البيت النبوي ليطلبن بالحاح ان يعرج الركب بعراص الطف ليلقين بكلمة الوداع على أسودهن الضياغم المناحير الذين توسدوا الثرى بعد ذلك النضال العنيف والمعترك الهائل.

وليجددن بهم العهد بعد أربعين يوماً من مصرعهم، فلا يلبثن أن تطالعهن كربلاء... ويعلوا النشيج... ويأخذ الركب بالبكاء..

أطفال صغار. عاينوا اليتم والصغار.. وهم البراعم الفضة من الدوحة النبوية المباركة.. ونساء حرائر.. عانين أفظع ألوان الثكل.. وأقسى أنواع السبي والذل. وهن عقائل البيت النبوي الطاهر.. وحرم الرسول العظيم.

كل هؤلاء وأولئك الأطهار الميامين. تشخص أبصارهم إلى البقية الباقية من سلالة الحسين عليه السلام إلى محطة الأمل ومناط الرجاء.. إلى زين العابدين عليه السلام وقد أنهكه المرض وأوهن قواه الأسر.. يريدون من أن يدلهم على قبر أبي الشهداء فيمشي بهم اليه.. وتتعالى صرخاتهم.. وتتجاوب بها أرجاء الأرض وأجواء الفضاء.. إنهم يبثون عميدهم الشهيد شكواهم وبلواهم.. ومالقوا بعده من عنت وجور.. وظلم وطغيان.. وذل وهوان.. ثم هم بعد يقومون إلى كل قبر فيقضون من البكاء عنده وطرهم. ويأخذون من الشكوى إليه نصيبهم. ولا يلبث الركب أن يسير إلى المدينة.

لله هي ذكرى الأربعين ما أوجعها ... وما أمض وقعها.

ولله هي مأساة الطف ما أشد ألمها.. إنها لسلسلة مفرغة الحلقات من الفجائع تنزل ببيت الوحي ومهبط التنزيل فلا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم[٦٨].

(٦٨) مجلة لواء الوحدة الإسلامية –النجف– العدد –٦– السنة الأولى– ١٩٤٩/ص١.

حديث الدهر الخالد

بقلم: محمد علي البلاغي

رئيس تحرير مجلة الإعتدال

أيها السادة :

سيبقى يوم الإمام الحسين - سلام الله عليه- حديث الدهر الخالد، مهما رافقه من ألم محض، يحز في نفوسنا، ولوعة محرقة تدمي قلوب المسلمين قبل عيونهم، وذلك لما أطيحت فيه من دماء زكية، ولما ضحى فيه من نفوس أبية كريمة لصفوة مختارة استهدفت لسهام الموت ذوداً عن عقيدة ثابتة، ودفاعاً عن إيمان راسخ، صفوة عزيزة على الله وعلى نبيه، وسيبقى يوم عاشوراء جديداً لما حدث فيه من خروج على مبادئ الدين الحنيف، وانتهاك لحرمة سيد المرسلين، وهدم لقواعد العدل والإيمان، وعدوان صارخ على آل البيت الأطهار، وستبقى ذكراه الدامية الحزينة أنشودة الأحرار والاباة في كل زمان، وعنوان البطولة والفضيلة والشمم والأريحية في كل عصر، ورمز الإيمان والفتوة لذوي النفوس الشريفة والأنوف الحمية التي لا تقبل الضيم ولا ترضى بالباطل ولا ترضخ لجور جائر ولا تستقر وتستكين على ظلم وفساد.

كما وستبقى اللعنة أبدية ترافق الطغمة الجائرة الوضيعة التي سيطر عليها الشيطان فحلى لها الحكم الطارئ وأغواها الطمع والسيطرة المؤقتة فدفع بها إلى المهاوي

السحيقة تلك الطغمة المشركة التي عدت على الحق باعتدائها على الإمام الحسين وصحبه الغر الميامين وتجاوزت على حرمات الإسلام، وحاولت دك دعائم الدين، ومحو شريعة الرسول الأعظم متدفقة وراء شهواتها الجامحة متراكضة، يلفها العمى، نحو حب الدنيا الفانية والجاه المزيف والسلطة الزائلة متناسية مقام شبل حيدرة الكرار عليه السلام والحبيب الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وفلذة كبده فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين، فجنت بعمل الأثم اللعنة والخزي والعار في الدنيا والآخرة والعذاب المهين وبئس للظالمين بدلاً.

ففي هذا اليوم الذي أطلّ على الدنيا بروعة أدمت القلوب وهزت المشاعر واستثارت كوامن النفوس، اليوم الذي ملأ الدنيا دوياً واستحال فيه النور إلى ظلمة إذ طغى فيه سلطان الباطل بانتصار مؤقت زائل وبغى فيه الشرك بعدوانه الأثيم وغدره اللئيم. في هذا اليوم الأغر سن لنا ريحانة الرسول سنة الآباء، ورسم لنا دستور الحق وأوضح لنا النهج اللاحب الذي ينير لنا الطريق، ويفتح أمامنا السبل، ويوجهنا وجه الحق والعدل التي أرادها لنا الإمام عليه السلام تركيزاً لمبادئ الإسلام وإحياءً لشريعة النبي الأعظم لنكون أحرارً نهدف إلى الحق، نعمل للخير وأن لا نكون عبيداً أذلاء.

لنأخذ (أيها السادة) من درس الحسين الخالد العبرة ولنستوحي من وحيه الأوحد الرفعة والعزة ولنهتدي بسني تعاليمه الرفيعة لننقذ أنفسنا من المهاوي والمهالك.

ولنحصل على كل ما ترومه الأمة الكريمة من حياة رغيدة، وهناء شامل، وأخوة صادقة تجمعنا في صعيد واحد لنعمل الخير ونقول الحق، ونسخط على الباطل وندعوا إلى توحيد الصفوف لتكون أمتنا مرهوبة الجانب يرتبط حاضرها بماضيها الزاهر، ولنواكب ركب الأمم الراكضة نحو سعادتها وإعلاء شأنها.

ولتغمرنا الغبطة إن تحدثنا عن الإمام الحسين وإن عطرنا أفواهنا باسمه وبذكراه

ولتغمر قلوبنا بالإيمان إن استعرضنا أيّة صفحة غراء من صفحات سيرته الوضاءة العطرة التي هي كتاب الدهر الأسمى، وسفر المجد الأسنى الذي لا يزول ما دامت الدنيا.

إن علينا أن نتدارس نهضته الرفيعة القصد، ونستجلي مثل الإمام الأعلى وهدفه الأسمى، وغايته النبيلة، في مواقفه البكر التي قضى فيها على دولة البغي، وعصابة الشرك وطغمة العتاة الذين أصبحوا سبة الدهر على كل لسان، وأمثولة للعار والشنار، وحثالة لا تلتقي بذمهم الشفتان.

أيها السادة:

يعز على الحسين، وقد أعاد للإسلام موقفه الرائع سيادته، ويعز على أبيه الذي قوم الدين بماضي حسامه الذي لعب في رقاب الخارجين على الدين، والعابثين بقدسيته، ويعز على جده الذي بعث لهداية الإنسانية، وإنقاذ البشرية من الضلالة فهدم الأصنام وأقام دعائم الإسلام، يعز عليهم جميعاً أن لا ننتفع من هذه الذكرى وأن لانستفيد من هذه السيرة الزاخرة، وأن لا نتخذ منها تعاليم مدرسة يتخرج عليها كل من آمن بالحسين كي لا نبتعد في جميع أعمالنا عما قصده وهدف إليه، وأن لاندع لأنفسنا أن تسيطر عليها الأطماع فتندفع إلى هوة الشهوات السحيقة. فنمشي إلى الباطل قاصدين وننحرف عن الحق عامدين، وأن يكون لنا من ديننا الوازع، ومن ضميرنا ووجدإننا الرادع لنقي أنفسنا مما نحن فيه من هوان لايطاق. وذل لا يحتمل.

إن علينا أن نتمسك بتعاليم الحسين وبتعاليم جده ليحق لنا الإعتزاز بديننا والإعتزاز بإمتنا، ولينطبق علينا قوله عز من قال:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾.

والسلام عليكم[٦٩].

---

(٦٩) في الرابطة الأدبية –النجف– السلسلة الأولى –١٩٥٦/ ص١٠١.

العبرة بالقدوة

بقلم: سلمان الصفواني

صاحب جريدة اليقظة

ثلاثة عشر قرناً مرت على ذكرى سيد الشهداء وهي خالدة في الأذهان متجددة مع الزمان، وستبقى هذه الذكرى المجيدة كذلك مخضلة بالدموع، مخضوبة بالدماء. ما بقي على وجه الأرض أناس يمجدون الفضيلة ويقدسون الحرية ويكبرون البطولة ويحبون الحق والكمال على انه مهما أوتينا من فصاحة في القول وبلاغة في البيان فلن نستطيع ايفاء هذه الذكرى حقها من الدرس والتمجيد وبعد ماذا أريد ان أقول؟

يحضرني أيها السادة في هذا المقام مقال كتبه المستشرق الفرنسي المعروف غوستاف لوبون، قال حضرت أحد مجالس التعزية في الهند وكان معي ترجمان، فسمعت الخطيب وهو على المنبر يقول: أيها الناس، إنّ سيدنا ومولانا ومقتدانا ابا عبد الله الحسين قد ضحى بنفسه وعياله وماله ولم يعط بيده إعطاء الذليل ولم يفر فرار العبيد، وإنما آثر المنية على الدنية فعلمت أنّ الخطيب يلقي على القوم درساً بليغاً في الوطنية إنّه يقول لهم يا أهل الهند إذا أردتم أن تكونوا أحراراً في بلادكم وأن لا يكون لأجنبي سلطان عليكم فاقتدوا بمثل هذا الرجل العظيم والإمام الكريم ثوروا في وجه الظلم كما ثار، وضّحوا من أجل المبدأ والكرامة كما ضحى ولكن الخطيب والسامعين

لم يفهموا هذا المعنى، وكلما قصدوا إليه في مجالس التعزية هو أن يبكوا ويتباكوا ليكن لهم ثواب ذلك في الآخرة. وهم يجهلون إنّ لكل عمل مادي نتيجة مادية في الحياة مضافاً إلى النتائج الأخَر، فاجتماع عدد كبير من الناس في مجلس واحد لغرض واحد عمل مادي يجب أن تكون له نتائج مادية أيضاً. إن مجالس التعزية مؤتمرات فعلية مجانية. مؤتمرات شعبية يحرص الغربيون على امثالها فلا يظفرون بها إلاّ بعد جهد كبير، فهل استطعنا خلال ألف وثلاثمائة سنة أن نخرج بهذه المؤتمرات الشعبية العديدة الدائمة -من البكاء والتباكي- إلى ما هو أعود على هذه الأمة بالنفع هل استطعنا في هذه المؤتمرات ان نفكر في حاضرنا ونعالج مشاكلنا؟

أيها السادة:

لقد قام الحسين عليه السلام بتضحيته الكبرى وليس فيكم من لا يعرف هذه التضحية الفذة في تاريخ الأبطال وها أنا ذا اقتبس لكم خطاباً من خطبه عليه السلام ومنه تعرفون لماذا اقدم -وهو عالم- على تلك التضحية قال ابن قتيبة في كتابه (الإمامة والسياسة):

قدم معاوية ليأخذ البيعة من أهلها ليزيد وقد أرسل إلى الحسين وابن عباس فاجلس الأول على يمينه والثاني على يساره ثم سأل معاوية الحسين عن حال بني أخيه الحسن عليه السلام ثم بدأ بالكلام عن ترشيحه يزيد للخلافة في خطاب طويل ستعرفون فحواه من جواب الحسين له، قال ابن قتيبة فتبسم ابن عباس للكلام ونصب يده للمخاطبة، فأشار إليه الحسين وقال: على رسلك فأنا المراد ونصيبي في التهمة أوفر، فامسك ابن عباس فقام الحسين عليه السلام فحمد الله وصلى على الرسول. ثم قال أما بعد يا معاوية فلن يؤدي القائل وإن أطنب في صفة الرسول من جميع جزأ، وقد فهمت ما ألبست به الخلف بعد رسول الله من ايجاد الصفة والتنكب عن استبلاغ البيعة.

وهيهات هيهات يا معاوية فضح الصبح فحمه الدجى، وبهرت الشمس أنوار السرج ولقد فضلت حتى أفرطت، واستأثرت حتى أجحفت ومنعت حتى بخلت وجرت فجاوزت ما بذلت لذي حق من اسم حقه من نصيب حتى أخذ الشيطان حظه الأفر ونصيبه الأكمل وفهمت ما ذكرته عن يزيد من اكتماله وسياسته لأمة محمد تريد أن توهم الناس في يزيد كأنك تصف محجوباً، أو تنعت غائباً أو تخبر عما كان مما احتويته بعلم خاص وقد دل يزيد من نفسه على موقع رايه فخذ ليزيد فيما أخذ به من استقرائه الكلاب المهارشة عند التحارش والحمام السبق لأترابهن والقينات ذوات المعازف وضروب الملاهي – تجده ناصراً ودع عنك ما تحاول فما أغناك أن تلقى الله بوزر هذا الخلق بأكثر مما أنت لاقيه من الله مابرحت تقدح باطلاً في جور وحنقاً في ظلم حتى ملأت الأسقية وما بينك وبين الموت إلاّ غمضة، فتقدم على عمل محفوظ في يوم مشهود ولات حين مناص. ورأيتك عرّضت بنا بعد هذا الأمر. ومنعتنا عن آبائنا تراثاً، ولقد لعمر الله أورثنا الرسول ولادة. وجئت لنا بما حججتم به القاء عند موت الرسول فأذعن للحجة بذلك وردة الإيمان إلى النصف فركبتم الأعاليل وفعلتم الأفاعيل وقلتم كان ويكون حتى أتاك الأمر يا معاوية عن طريق كان قصدها لغيرك فهناك فاعتبروا يا أولي الأبصار. وذكرت قيادة الرجل القوم بعهد رسول الله وتأميره له. وقد كان ذلك ولعمرو بن العاص يومئذ فضله بصحبة الرسول وبيعته له. وما صار لعمرو بن العاص يومئذ حتى أنف القوم إمرته وكرهوا تقديمه وعدوا عليه أفعاله. فقال صلى الله عليه وآله وسلم لا جرم معشر المهاجرين لا يعمل عليكم بعد اليوم فكيف تحتج بالمنسوخ من فعل الرسول في أوكد الأحوال وأولاها بالمجتمع عليه من الصواب؟ ام كيف ضاهيت بصاحب تابعاً وحولك من يؤمن في صحبته ويعتمد في دينه وقرابته وتتخطاهم إلى مسرف مفتون تريد أن تلبس الناس شبهة يسعد بها الباقي في دنياه وتشقى بها آخرتك إنّ هذا لهو الخسران المبين، واستغفر الله لي ولكم.

أيها السادة:

هو ذا نص خطاب الإمام عليه السلام -كما رواه ابن قتيبة- وواضح منه رفض بكل إباء أن يتولى أمر الأمة من ليس أهلاً للولاية كيزيد، يستبيح حرماتها ويسلط أسرارها على أخيارها ويحكم بالجور فيها، وقد تتابعت الاحداث بعد ذلك وهلك معاوية، وتولى يزيد الأمر، رغم أنف الأمة على نحو ما يجري الان في الشعوب المستضعفة والأقطار المغلوبة على أمرها ولكن هل استسلم الإمام عليه السلام لسياسة الأمر الواقع؟ وهل رضي لنفسه بالعافية والسلامة على حساب الأمة؟ كلا، ولم يكتف بقوله:

إنّ مثلي لا يبايع يزيد شارب الخمور وراكب الفجور.

بل دعا الأمة بذلك إلى أن تثب معه في وجه الظلم. فتثأر لكرامتها المهانة بولاية يزيد فنفر معه من نفر وفر عنه من فر. ثم حدثت المأساة التاريخية التي أطاحت بالدولة الأموية فيما بعد مما هو معروف.

أيها السادة:

اسمحوا لي أن أعود ثانية إلى ذكر «مجالس التعزية» هذه المؤتمرات الشعبية العظيمة وقد ذكرها مستشرق آخر هو الكاتب الألماني «مارتن» فوصفها بانها من أهم أسباب التقدم لدى المسلمين ان هم احسنوا تنظيمها والاستفادة منها. إننا في عصر لا يختلف كثيراً عن العصر الذي تولى فيه يزيد أمر الدولة إلاّ من ناحية واحدة، هي ان الله قيض للمسلمين إماماً كالحسين يضحي بنفسه فداء لدينه وأمته، أما في عصرنا هذا فليس بيننا -ونحن نبكي الحسين ونحي ذكراها- من يقتدي به في سيرته- وكان علينا أن نتخذ من هذه «المؤتمرات الشعبية الدائمة» خير حافز لتوحيد الكلمة وشحذ الهمة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لنقف فيها للظالمين بالمرصاد وللحاكمين المستبدين بالحساب، وبهذا فقط نكون قد أحيينا ذكرى سيد الشهداء وأحسنا الاقتداء. فهذا والسلام عليكم[٧٠].

(٧٠) مجلة الغري -النجف- العدد -٩، ١٠- السنة الثامنة- ١٩٤٧/ص٢٧.

وحدة الأمة ـ وذكرى واقعة الطف

بقلم: نور الدين داود

صاحب جريدة الرائد

كلما آن لنا أن نستعيد ذكرى استشهاد الحسين عليه السلام لابد لنا من استذكار الظلمة ووحشية الإنسان من جهة وأنْ نستذكر الإيمان بالعدالة ومن الدفاع عن الحق والتضحية في سبيله من جهة أخرى.

وقد أجمع المؤرخون - إلا من شذ منهم والشاذ لا يكون قياساً- إن سيدنا الحسين عليه السلام كان حريصاً على العدل واستقامة شؤون الدين وإحقاق الحق والرأفة بالرعية وتحمل مسؤولية إدارتها وفق قواعد الشريعة السَّمحة.

ولكن عندما قبض معاوية على أزمة الحكم في الشام فشق المسلمين على أنفسهم وقف علي بن أبي طالب عليه السلام يريد وحدتهم ولم يكن غيره يؤيد وحدتهم ولم يكن غيره لهذه الوحدة وهو ابن عم الرسول وصهره وخليفته فلما مضى ذلك الدور وجاء دور الأبناء كان يزيد بن معاوية أكثر استهتاراً بشؤون المسلمين وحقوقهم وكان الحسين بن علي عليه السلام قطب الوحدة ليس لها غيره أبى أنْ يقر يزيد وظلمه غير أنه كان في حاجة إلى عون المسلمين وقوتهم فلما دعي عليه السلام إلى العراق جاء ملبياً

واجباً دينياً ودنيوياً جاء لينقذ رسالة جده وأبيه من عبث الطغاة وحينما بلغ تخوم الكوفة وعلم بما مكر الطغاة مع أنصاره وأعوانه وما أعدّوا من قوات سدت عليه السبل لم تستهوه عليه السلام الحياة الدنيا فصمد لها والإيمان يملأ قلبه العظيم بحق المسلمين. صمد ببسالة فصبر وتجلد إلى أنْ دقت ساعة التضحية فتقبلها راضياً مرضياً. فكانت مأساة تركت في تاريخ العروبة والإسلام صحيفة سوداء لا تمحوها الأيّام إذ بدت وحشية الطغاة ازاء أحفاد الرسول بأفظع ما عرفته الإنسانية في تاريخها ولم يرتدع أولئك الطغاة بحكم الشريعة التي نشر الويتها جد الحسين محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولا بما نقضي به الضمائر. اذ تناسى أولئك الطغاة بأنّ آل الرسول جزء من الدين سيبقون كذلك ما دامت العصور ودام الإسلام وهو دائم إن شاء الله.

ولكن من المؤسف أن تمضي على المسلمين حقب لا يتعظون خلالها بهذه الذكرى المؤلمة في تاريخهم وان لا يتخذوا منها عبرة تجمع كلمتهم وتوحّد صفوفهم إزاء الظلم والطغيان بل على عكس ذلك رأينا المسلمين يختلفون بعد حقب من هذه المأساة ويفرقون شيعاً وطوائف بحجة ما كان من أمر هذه المأساة وأن تدوم هذه الفرقة إلى يومنا هذا مِن دون أن ينتبه لا الحكام ولا رجال الدين ولا السياسيون ولا المثقفون إلى أخطار هذه الفرقة أو منافاتها لمبدأ تضحية الحسين عليه السلام.

قلت إنّ المسلمين على اختلاف مذاهبهم يعتبرون آل البيت جزءاً من الدين بعكس غيرهم ممن حكموا المسلمين بعناوين مختلفة وفي أزمان وظروف وهل يحتاج هذا الأمر إلى دليل وكل مسلم كلما صلى قال «اللهم صل على محمد وآل محمد».

أمّا اختلاف الاجتهاد في التفرعات حسب ظروف المجتهد وزمانه ومكانه فليست مما تضير المسلمين وتؤثر على وحدتهم الأصلية التي قضت بها العقيدة الإسلامية وتناسق أصولها.

ولكن من المؤسف أن تدوم الفرقة بين المسلمين وأن تستمد هذه الفرقة قوتها من وقايع تاريخية مؤلمة لا يسئل عنها الجيل الحاضر ولسنا نشك في أن مسببات هذه الفرقة في العصر الحاضر لا تعزى إلاّ إلى عناصر ضئيلة تربط منافعها الخاصة بعوامل موهومة تذكى بها نيران الفرقة خلاف ما يقضي به صالح المسلمين وأوطانهم.

فكلما أتت ذكرى واقعة الطف أشعر بألم الفرقة واندفع بدافع هذا الشعور إلى المناداة بالوحدة التي أمرنا بها الله في قوله تعالى

﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾.

فبحق دم الحسين الزكي ودماء الأبرار الأطهار من آل البيت استحلف كل من يغار على الشريعة السمحة وصالح العرب والمسلمين أن يحارب كل «مفرق» وأن يعتبره دجالاً خارجاً على الدين مارقاً عاقاً لا يستحق من الأمة إلاّ الاحتقار والازدراء.

من العار علينا أنْ نقر في القرن العشرين ما أفسد شؤوننا في العصور الماضية فترك لنا تاريخاً مملوءاً بالمساوئ والمآسي.

من العار علينا أن نتخاذل لمصلحة أفراد وأن نرضى بما ينشأ عن تخاذلنا من ضعف وما يؤدي إليه هذا الضعف من تأخر وتدخل في شؤوننا العامة.

لقد شكونا ولا نزال نشكو التأخر ولكننا لم نفكر إلى الآن تفكيراً صحيحاً بمسببات التأخر. إنّ «الفرقة» السائدة فيما بيننا وعدم ثقتنا ببعضنا وتحكيمنا العواطف والمصالح الشخصية في شؤوننا العامة والأنانية المستقرة في نفوسنا كلها عوامل أساسية في تأخرنا، فسبيل التقدم هو «الوحدة» و«إنكار الذات» وإيثار الصالح العام والتضحية وبتأثير هذه العوامل ناضل الحسين عليه السلام وتقبل التضحية الكبرى وما علينا إلاّ أن نقتفي أثره عليه السلام فهل نحن فاعلون[٧١].

---

(٧١) مجلة الغري ـالنجف ـ العدد ـ٩، ١٠ ـ السنة الثامنة ـ١٩٤٧/ص٢٩.

مأساة الحسين بن علي

درس بليغ في العبرة والقدوة

بقلم المحامي: فايق توفيق

صاحب جريدة الجهاد

ليس من السهل على الكاتب مهما أوتي من مقدرة في البيان وسعة في التفكير وانطلاق واسع المدى في التحرير مما يدين به من آراء وأفكار. إن يكتب كلمة عجلى سائرة في سيرة عظيم من عظماء التاريخ شأنه في ذلك شأن الجواد الأصيل لا يسلم من كبوة إذا كان الطريق وعر المسالك صعب المرتقى، وسيكون الموقف أشد صعوبة إذا كان ذلك العظيم ممن أقدموا على تضحية يندر أن يكون شبيهاً لها في حياة العظماء، وهذا ما يصح أن تكون له مأساة الحسين بن علي أبرز مثال، لأنك مهما قلت عنه ومهما كتبت فإنك قصير الباع لا محالة، هو سبط الرسول الأعظم وابن علي بن أبي طالب زوج البتول، وهو رأس شامخ من روؤس العرب من قريش وهامة من هامات بني هاشم العظيمة وهو يجمع إلى ذلك من عظيم المروءة وعلو الهمة وإباء النفس ما يقصر دونه الرجال، وهو سيد آل أبي طالب على عهده وعلم من أعلام العلم والفضل ومع كل ذلك تأبى نفسه الكريمة أن يطأطأ الرأس إلى من يراهم هم أقل منه منزلة ونسباً ومقدرة وعلماً وجاهاً وورعاً وتقوى.

ثم يرى من واجباته الرئيسة أن يكون بجانب المسلمين ممن دعوه إلى أن يتولى أمرهم، فأقدم على العمل الخطير مضحياً بالنفس والنفيس كما يقال، إذ ترك موطنه ومسقط رأسه وأماكن صباه وساحات ذكرياته بل ذكريات جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وذكريات أبيه عليه السلام فضحى حتى بأولاده وأفراد بيته، وتأبى نفسه الأبية الكريمة أن ينزل على حكم عبيد الله بن زياد فيختار طريق البطولة والتضحية والشهادة العليا في سبيل الله وإعلاء كلمة الدين فيقدم على الحرب، من غير أن يكون له حليف أو نصير فيخذله أولئك الذين زينوا له موقفاً لابد وأن ينتهي إلى مثل هذه النتيجة، ثم تخلوا عنه في لحظة الجهاد، فكان اعتماده على قوة إيمانه وإباء نفسه وسيفه وآل بيته فجاهد جهاد الأبطال بل وأكثر من ذلك حتى قتل هو وآل بيته الأمجاد درساً بليغاً في العبرة والقدوة لمن يؤمن بالله وتعاليم دينه القويم ويدين بمبدأ سيد الشهداء العظيم وعلينا نحن المسلمين إن إردنا نجاحاً في الدنيا والآخرة أن نجعله سلام الله عليه القدوة الصالحة والعبرة البليغة في الجهاد والجلاد:

﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾[٧٢].

(٧٢) مجلة الغري –النجف– العدد –٩، ١٠– السنة الثامنة– ١٩٤٧/ص٣٦.

عبرة يوم عاشوراء

بقلم: شاكر الغرباوي

صاحب مجلة البطحاء

قيمة كل أمة من الأمم ترتبط ارتباطاً وثيقاً بقيم شهدائها الذين يقدمون حياتهم رخيصة في سبيل حريتها واستقلالها، وقيمة كل شهيد من الأمة تقدر بقيمة القضية التي يناضل ويكافح ويستشهد من أجلها، وكلما سمت القضية وارتفعت سمت قيمة الشهيد وارتفعت تبعاً لذلك، وأن الأمة التي لا تجد من يناضل ويكافح ويستشهد - إذا اقتضى الأمر- في سبيل سعادتها واستقلالها لأمة كتب عليها الذل والخنوع... وهي أمة لن تظل إلاّ في مؤخرة القافلة...

كذلك كان موقف الحسين عليه السلام في كربلاء. ذلك الموقف الذي لم يعرف التاريخ أروع ولا أقوى منه حينما وقف أبو عبد الله يحارب الباطل، ويدعو إلى الحرية والعدل فقد خاض غمرات المنايا، واقتحم هو وأصحابه وحواريوه صفوف جيش الباطل اللجب فسجلوا أروع انتصار للفضيلة، والمثل العليا في تاريخ الإنسانية، وتركوا في جبين التاريخ أنصع أثر، وأبلغ دليل على أن الإنسانية متقدمة إلى الخير ما دامت تنطوي على مثل هذه المعاني السامية التي تمخضت عنها حركة الحسين... وهي بلا ريب قضية سامية خالدة تتجدد ذكراها كل عام، حية كأشد ما تكون الحياة جدة وستبقى

خالدة ما كرّ الجديدان، وتعاقبت الأعوام، توحي بالعبرة، وتدل السارين على سبل الحرية والكرامة... فما كانت ثورة (عاشوراء) رغبة في الحكم، أو رجاء للسلطان، وإنما هي ثورة في سبيل احقاق الحق، وانتزاع الحكم من الأقلية الطاغية المستبدة... هي صرخة لا تزال تدوي كلما عنّ لفئة باغية أن تضطهد شعبها، أو تأتي الحكم من غير طريقه الشرعي...

هي ذكرى لن تبلى..؟.. ودم لن يغور، وصرخة لن تذوب، وفاجعة لن تغفل، ويوم لن ينسى...

ذلك هو يوم عاشوراء، وتلك هي ذكرى شهداء الطفوف وذلك هو دم الأطهار من آل النبي، وتلك هي صرخة الحق والعدل، وهذه هي فاجعة المحرم الحرام..

هي خالدة لأنها تستمد خلودها من خلود الحق.

وهي باقية لأنها تستمد بقاءها من بقاء العدل.

وستخلد، وستبقى. لأنه لا يخلد إلاّ الحق، ولا يبقى إلاّ العدل.

ومن ذلك جاءت قيمة القضية التي أقدم من أجلها أبو الشهداء على التضحية والاستشهاد.

إن موقف العرب ينبغي أن يكون موقف اعتزاز من تراثهم وتاريخهم لأنه لو خلا من كل أثر ذي معنى سام إلاّ من موقف الحسين، ومن تضحية الحسين، في سبيل الفكرة والعقيدة لكان ذلك كافياً في أن يزيد من حرصنا على تراثنا وتقديسنا له، وإن الأمم التي تريد أن تتبوأ مكانها تحت الشمس يجب أن تستهدي بسير عظمائها، وتحذو حذوهم، لأنهم شقوا لها الطريق اللاحب بدمائهم وأرواحهم وبذلوا نفوسهم رخيصة.

وأن هذه الظروف الراهنة التي نجتازها اليوم ظروف دقيقة تتطلب التحفز والاستعداد لاسترجاع ما سلف من مجدنا وكرامتنا ونأخذ مقامنا اللائق بين الأمم.. فما

أجدرنا كأمة متوثبة تنشد الحرية، وتتطلب المكان المرموق أن نترسم آثار الحسين في خطواتنا، وأن نتمسك بدعوته، بل نجعلها دستوراً وأمثولة في جهادنا في سبيل كرامتنا.

ما حرى العروبة في هذا اليوم أن تستمد معنى الوحدة والتكتل، من وحدة أصحاب الحسين وتكتلهم وأن تنبري لمناهضة الباطل كما انبرى له الحسين وأنصاره.. وأنْ تدعو إلى المثل التي استشهد أبو عبد الله من أجل تحقيقها.

فلنستخلص سيرتنا من سيرة الحسين بن علي ولنستق أخلاقنا من أخلاقه وليكن مبدأ الحسين هو المثل الأعلى الذي نهدف اليه(٧٣).

(٧٣) مجلة البطحاء -الناصرية- العدد- ١٣، ١٤- السنة الأولى- ١٩٤٦/ص٢٧١.

الصراع بين الحق والقوة

في حومة كربلاء

بقلم: توفيق الفكيكي

صاحب كتاب الراعي والرعية

أيها السادة:

إن لكل أمة نصيباً من الشهداء الخالدين كما إن لكل مجتمع من المجتمعات نصيب من المجرمين الساقطين، وبهذا الميزان توزن قيم الأفراد الروحية المثالية وبهذا المقياس تقاس خصائص الشعوب وحضارات الأقوام، فلما كانت صفحات الجهاد لامعة بنور الحق ارجوانية قانية بدم الشهداء كانت دليلاً ناطقاً على سمو الأمة الذاتي، وحجة بليغة على قوتها الروحية وتربيتها الاستقلالية وجدارتها بالوصاية على غيرها من الأمم، وبذلك نطق القرآن الكريم:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا ﴾.

فالأمة الصالحة التي ترث الأرض هي التي ترخص الدماء الزكية في بناء صروح مجدها الشامخة، وتشيد كيان عظمتها السامقة في نهضتها التحررية ضد الطغيان المتعسف

وبذلك يتم توحيد صفوفها ويسود العدل فيها وينتصر الحق وتعتز الشريعة وتقوى في المجتمع وحدة الإخاء المستندة على أساس العدل والحق والمساواة والحرية الصحيحة ويتجلى لنا هذا المبدأ القويم، في تضحية صاحب الرسالة الغالية من قوله صلى الله عليه وآله وسلم لعمه أبي طالب (ﷺ) عندما ظن فيه أنه خاذله ومسلمه إلى المشركين من قريش وإنّه قد ضعف عن نصرته فقال له:

(يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته).

فقال له عمه أبو طالب:

(اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك بشيء أبداً...).

وبهذا الإيمان العميق والعقيدة السامية استطاع الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أن ينشر مبدأ السلام العالمي الذي جاء به الإسلام بعد أن خمدت شوكة المشركين واندحرت الوثنية، وانهزمت اليهودية، وانخذل سلطان العقائد الجاهلية وتحرر العرب من ربقة الذل والخنوع والاستسلام إلى أهواء المستبدين الأشرار وفي العصر الأموي قد سادت الارستقراطية البغيضة في المجتمع الإسلامي وفي الوسط العربي وفشت تقاليد القوميات الأجنبية الدخيلة، وكانت النفسية العربية قد تأثرت إلى حد بعيد في هذا العهد بنزعات شتى فاندرست من جرائه معالم الحق وطمست منائر الشريعة الغراء المتألقة وكادت العقائد المطموسة كالوثنية واليهودية والصابئة وغيرها تعيد سيرتها الأولى ويتطاير شرر فتنتها في أنحاء جزيرة العرب وبلاد الإسلام لولا موقف شهيد آل لبيت الحسين عليه السلام، وإليكم نبذة من كتاب له إلى الطاغية معاوية وهو من احتجاجاته الصارخة على تصرف البلاط الأموي فقال عليه السلام:

(انظر لنفسك ولدينك ولأمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم واتق شق

عصا هذه الأمة وأنْ تردهم إلى فتنة، وإني لا أعلم فتنة أعظم على هذه الأمة من ولاية الأشرار عليها، ولا أعظم نظراً لنفسي ولديني ولأمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم أفضل من أن أجاهرك. فإن فعلت فإنه قربة إلى الله وإن تركته فإني استغفر الله لديني وأسأله توفيقي لإرشاد أمري».

وهذه الجاهرة التي جاهر بها سيد الشهداء عليه السلام صاحب البلاط الأموي وهو في بدء قوته وجبروته وطغيانه تصور لنا صوت الحق وقوته، وصوت الحرية العربية الحمراء الصارخ في وجه الارستقراطية الكريه وسيبقى دويه يجلجل في فم الزمان بجلائل البطولة الهاشمية الخالدة ما بقي الدهر الخؤون وتعاقبت الأجيال.

ذلك صوت الشهداء الخالدين في الدفاع والاستماتة في سبيل كرامة الشعب وحريته خوفاً من أن تغصبها قوة المستبدين الغاشمين، والسهر على حفظ عقائد الأمة السليمة من أن تهان وصيانة تقاليدها القومية الصحيحة، ومن ثم لأجل خلاص أفراد الأمة الآمنين من الإرهاب والأحكام الجائرة والانتصار إلى المثل الأخلاقية الرفيعة. وهذه الأهداف الحسينية قد صرح بها عليه السلام في وصيته لأخيه محمد بن الحنفية عند حركته إلى الكوفة فقال له:

(وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير سيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق ومن رد علي هذا، أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين».

ولهذا كان يقول:

«لابد أنْ أقتل في سبيل الحق ولا استسلم للباطل».

أيها السادة:

إنّ نهضة سيد الشهداء عليه السلام كانت صراعاً بين الحق المقدس وبين القوة الفاجرة الأثيمة، وقد وضع برنامجها بكلمته الخالدة حينما اعتزم المسير من البطحاء:

«ألا من كان منكم باذلاً فينا مهجته، موطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فإني راحل مصبحاً إن شاء الله».

فإنّ هذه الكلمة البليغة الواضحة الصريحة هي ركيزة المبدأ الإصلاحي لكل مصلح صادق في العالم يريد أنْ يسلك بأمته طريق الإصلاح الوعرة الخشنة لنصرة الفضيلة المضامة والحق المظلوم. والعدل المأسور بيد الأشرار تلك الكلمة الغالية الصريحة التي لا يقولها إلاّ مصلح ناصح لربه وعقيدته ولا تعيها إلاّ القلوب العامرة بالإيمان الصحيح، ولا تفقه معناها إلاّ النفوس المؤمنة بقدسية الحق، والمطمئنة بعقيدتها الراسخة.

وإن بذل المهج الغوالي في سبيل المبدأ السامي وتوطين النفوس الكريمة على لقاء الله لا يقوم به إلاّ الشهداء الأبرار والصديقون الأخيار وأمثال أصحاب الحسين عليه السلام الأطهار وأولئك قليل، كما قال عليه السلام في حومة الطف:

«ألا وإنّ الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة، وهيهات منا الذلة يأبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون، وجدود طابت وحجور طهرت، وأنوف حمية ونفوس أبية على أن تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام، ألا وقد أعذرت وأنذرت، ألا وإني زاحف بهذه الأسرة مع قلة العدد وكثرة العدو، وخذلان الناصر».

أجل أيها السادة: قليل أولئك الذين يفرقون بين جمال الحق ونوره وبين قبح القوة وظلماتها، بل هم أقل من القليل أولئك الذين يؤمنون بالحق كدين وروح وقلب، وهو الثورة على عبادة السلطان الجبار، وثورة على عبادة الشهوات الخسيسة وعلى

الذلة والمسكنة، والنهوض على دنيا الفساد والظلم، والفناء في خدمة العدل، والتمرد على السلطة المستبدة، والسياسة الفاسدة العابثة، وأولئك المؤمنون هم الشهداء حقاً..! الذين تبنى بدمائهم الزكية قواعد المماليك وتشاد على جماجمهم دعائم استقلال الشعوب وترفرف فوق هاماتهم ألوية الحمد والحرية، هؤلاء الذين قال الله تعالى فيهم

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَ﴾.

وتلك هي الشهادة العالية في الحق، والإذلال الشنيع للقوة والجبروت إذ لا تنال الأمم استقلالها إلا بضحاياها المقدسة من الشهداء، ولا تسترد حريتها المغصوبة إلاّ بدمائهم الزكية الفوارة.

ولو رجعنا إلى الدروس البليغة التي ألقاها سيد الشهداء عليه السلام في خطبه الجبارة يوم عاشوراء على مسامع الطغام اللئام، وأنعمنا النظر في غرر أنصاره العظماء وتحلينا درر المعاني في خطب (الحوراء) زينب الكبرى التي قالتها في قصر الإمارة في الكوفة وفي البلاط الأموي في الشام لرأينا كيف كان مصير الصراع بين الحق والقوة وأثرهما في النهضة الحسينية التحررية الخالدة.

يا أحباء الحسين عليه السلام إن الواجب يقضي علينا ونحن في هذا الموقف الحزين أن نذرف الدموع السخية على مصائب الحرائر الهاشميات والعقائل النبوية ونمجد بطولة (الحوراء) زينب الكبرى، وفي ذلك تطهير لقلوبنا وتهذيب لنفوسنا؛ لأن مصير الصراع بين الحق والقوة وبالأحرى بين الإسلام وبين نظام الحكم الجاهلي إذا لم نعبر عنه بالوثنية قد كشفت القناع عنه الحرة عقيلة آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم (زينب) الكبرى بعد واقعة الطف حيث أنها شاهدت بأم عينها ذلك الصراع بين الرشد والغي في ساحة كربلاء التي مشى فيها أبو الشهداء فرحاً جذلاً وبين أصحابه المغاوير غير

هيابين بالموت الأحمر حباً بنيل الشهادة في نصرة الحق وحرية العقيدة، وقد أدركت الحرة (الحوراء) في حياتها عاقبة القوة الغادرة الماكرة، ومآل الكيد والخيانة التي ارتكب جريرتها هؤلاء المجرمون الجناة من دعاة القوة المستهترة بقدسية الحق وحرمة البيت النبوي العظيم، وبعد أن انجلت الغبرة وانتهت المأساة التاريخية الموجعة بين جند الحق وجيوش الباطل سيقت الحوراء إلى قصر الإمارة في الكوفة ومعها الخفرات عقائل البيت الهاشمي المطهر وهن في قيد الأسر وحر الحديد وقد أشهرت فوق رؤوسهن حراب المنتصرين الأوغاد وسيوفهم، قال لها ابن مرجانة الزنيم بلسان الشامت – أرأيتِ صنع الله بأخيك الحسين والعتاة المردة من أهل بيته– فقالت له

«ما رأيت إلاّ جميلاً أولئك قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاج وتخاصم فانظر لمن الفلج ثكلتك أمك يا ابن مرجانة».

فقال لها ابن مرجانة الرذيل (الحمد لله الذي قتلكم وفضحكم وأكذب أحدوثتكم) فأجابته بقولها البليغ:

«إنما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر وهو غيرنا يا عدو الله».

ولما وصلت سبايا آل محمد عليهم السلام وأدخلهم عبيد التاج الأموي وحفدة يزيد الأوباش على صاحب القردة والفهود، وبنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرسفن بالأصفاد والأغلال فهش يزيد حليف الخمور والفجور ثم أنشد:

ليت أشياخي ببدر شهدوا ... جزع الخزرج من وقع الأسل

فنهضت إليه (الحوراء) وغضبت غضبتها العلوية وصرخت في وجه الجبار العنيد فقالت عليها السلام:

صدق الله كذلك حيث يقول:

﴿ثُمَّ كَانَ عَـٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾.

ثم قالت بعد كلام فصيح طويل:

«**فكد كيدك، واسع سعيك، وناصب جهدك، فوالله لا تمحو ذكرنا ولا تميت وحينا ولا تدرك أمدنا ولا تدحض عنك عارها، وهل رأيك إلاّ فند وأيامك إلاّ عدد، وجمعك إلاّ بدد يوم ينادي المنادي ألا لعنة الله على الظالمين، فالحمد لله الذي ختم لأولنا بالسعادة ولآخرنا بالشهادة والرحمة وهو حسبنا ونعم الوكيل**».

نعم إنّ كيد القوة الطائشة مهما كان شديداً، وإن سعي الطغاة مهما كان قوياً، وإن جهد الظالمين الأقوياء مهما كان عظيماً، فليس باستطاعة هؤلاء الأدنياء إمحاء ذكر آل البيت الأطهار، ولا بإمكانهم القضاء على أمناء الوحي والذكر الحكيم، وليس بمقدور الأشرار أن يدركوا أمد الأحرار وشأو أنصار الحق الأبرار، أما أبناء عبد شمس أنصار الباطل والظلم فقد تسربلوا بالعار وتلفعوا بالشنار والصغار ثم استحقوا لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

أيها السادة كان عرب الجاهلية يسمون هذا الشهر (بالمؤتمر) أي يأتمرون فيه للقضاء على المعتدين ولحل كل شيء مما يقع في السنة من الوقائع القضائية ويسمونه (المحرم) أيضا لأنهم يحرمون فيه القتال وكانوا يعظمونه حتى أن الرجل منهم لو لقى قاتل أبيه أو قاتل أخيه لا يمسه بسوء ولا يكلمه، وقد زاد الإسلام تعظيمه ورفع من شأنه وجعله من الأشهر الحرم المحترمة، إلا أنّ السلالة السفيانية المجرمة وعبيد العصا من أراذل الكوفة، قد خرجوا على التقاليد العربية النبيلة والتعاليم الإسلامية الشريفة فخرقوا حرمة هذا الشهر الحرام وارتكبوا فيه أفضع وأشنع جريمة في تاريخ الإنسانية وهي الفتك بريحانة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وبمهجة الزهراء البتول والتقتيل

الذريع في ذراري الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وفي أنصارهم أهل الشهامة والحفاظ ولله در القائل:

قتلوا بك التكبير والتهليلا ويكبرون بأن قتلت وإنما

وفي عاشر محرم قام الجناة من أهل الكوفة وهم عصبة يزيد وكلاب عبيد الله بن زياد القذر بنهب أموال الحرائر الهاشميات وسلب ثياب العقائل المصونات وقوضوا عليهن خيام عليا نزار وهن ودايع الهدى وكرائم الرسالة ثم ألهبوا في أطرافها النيران ولم يكتفوا بذلك فإنهم بعد أنْ مثلوا بالجثث الطواهر الزواكي حملوا رؤوس السادة الغطارف على الرماح مما تأباه طبيعة الوحوش الكاسرة وفي هذا يقول الأستاذ الأزري:

حملت بصفين الكتاب رماحهم ليكون رأسك بعدها محمولا

لو لم تنل أحقاد حرب منك ما جرأ الوليد فمزق التنزيلا

والآن أيها السادة الكرام أقول بأنّ الحسين عليه السلام كان قد بسط منهاجه الإصلاحي في سبيل تجديد الإسلام والوحدة العربية لنجاة الأمّة من شر الإنقسام وفتن العصبيات المردية ومعاطب الحميات المهلكة وإنّ الصراع العنيف بين الحق الذي استشهد هو وأصحابه في سبيل إعلاء رايته الخفاقة وبين سياسة القوة الوحشية التي سار على دستورها الأعياص والعنابسة من أبناء عبد شمس كان مستحكم الحلقات من عهد نصير الوثنية أبي سفيان إلا أن فيوضات النهضة الحسينية المباركة ما تزال عنوان تاريخ العروبة والإسلام والصفحة التي تشع بالنور في سجل الأحرار، وإن ذكرى هذه النهضة ستبقى منار الليالي ولأبد الآبدين عبقة فواحة الشذى في نفوس المؤمنين أمثالكم من أشبال الحسين عليه السلام، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته[٧٤].

---

(٧٤) ذكرى أبي الشهداء -حفلات الشباب النجفي- إخراج دار الغري- من دون تاريخ/ ص٢٥.

مكانة النهضة الحسينية في تاريخ القومية العربية

بقلم: توفيق الفكيكي

كان العرب قبل فجر النهضة المحمدية المباركة وبزوغ شمس الإسلام في سماء اباطح الحجاز وديار العروبة يتجشمون الرحلتين رحلة الشتاء والصيف لا تربطهم رابطة قومية بمعناها الصحيح ولا تجمعهم عقيدة دينية في سلك واحد أو تؤلفهم وحدة ثقافية يستطيلون بها على غيرهم وإنما كانوا قبائل متفرقة و بيوتات متشتتة تملكهم الاكاسرة وتستخدمهم القياصرة يحتازوهم عن ريف الافاق ونعيم الدنيا إلى منابت متناحرة الشيح ومهافي الريح اخوان دبر ووبر وكانت حالتهم الاجتماعية كما وصفهم سيد البلغاء أبو تراب عليه السلام:

«كانوا أذل الأمم داراً وأجدبهم فواراً لا يأوون إلى جناح دعوة يعتصمون بها ولا إلى ظل إلفة يعتمدون عليها عزها فالأحوال مضطربة والأيدي مختلفة والكثرة متفرقة في بلاء أزل وأطباق جهل من بنات موؤدة وأحشام معبودة وأرحام مقطوعة وغارات مشنونة».

وإنّ كل أمة من الأمم مهما كانت كذلك من اضطراب في النظام وتفكك في عرى الاتحاد ووحدها الروحية معدومة في نفوس أفرادها وجماعاتها فلا قومية مثالية لها في الحقيقة ولابد لها من مثل أعلى تتجة بشعورها العام نحوه لتقديسه وتعمل على مثاليته حتى تكون خير أمة أخرجت للناس عزيزة الجانب ومرهوبة السلطان بقوة العدل

والإحسان. أمّا العصبيات القبلية الجاهلية والعقائد المختلفة التي كان العرب يعتزون بها ويفخرون بمجدها ويشمخرون بقوتها فكانت في نظر العلم سر تأخرهم عن قافلة الأمم وأفتك أدوائهم ومصدر بلائهم وعلة انحلال وحدتهم القومية رغم ما كانوا يتحلون به من الصفات والمزايا الخلقية الحميدة والخصال الحسنة ومع ما كان لديهم من التقاليد والعادات المحمودة وإنْ قل فيها عنصر الخير فقد أقرّها الإسلام وأشار إليها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في وصيته لمعاذ بن جبل بقوله:

«أمتْ امر الجاهلية إلاّ ما حسن».

ثم انظر إلى حالهم حين بعث الله إليهم رسولاً من أنفسهم وصار صلى الله عليه وآله وسلم مثلهم الأعلى في حياتهم فكيف تبدل حالهم وتوحدت أمتهم في وحدة متماسكة العرى في شعورها وعقيدتها ولغتها وأدبها وبذلك تركزت القومية العربية الإسلامية على دعامة العقيدة والإيمان الصحيح والخلق المحمدي العظيم وأصبحت الأمة العربية بفضل تلك القوة الروحية الفعالة في ظل سلطان قاهر وقادتهم إلى كنف عز غالب وتعطف الأمور عليهم في ذرى ملك ثابت فهم حكام على العالمين وملوك في أطراف الأرضين يملكون الأمور على من كان يملكها عليهم ويمضون الأحكام فيمن كان يمضيها فيهم لا تغمز لهم قناة ولا تقرع لهم صفاة ولم يتم للأمة العربية ذلك إلاّ بعد أنْ نهض رسول الإنسانية النبي العربي بتوحيد قبائلها وقضى على عصبيتها الجاهلية الذميمة وأخضعها لفكرة الجنس فتكونت أمة عربية لها وحدتها العنصرية والدينية واللغوية والشرعية تحت راية زعيم واحد هو الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وبعد أن تحققت هذه الوحدة العربية تكونت الدولة العربية داخل الجزيرة ثم امتدت إلى خارجها فكانت الدولة الإسلامية التي دعامتها الإسلام ذلك الدين القيم الذي اتخذ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من شريعته وتعاليمها وسائل الاصلاح البشري العام. وقد كانت الوحدة العربية هي الأساس المتين للدولة الإسلامية بعد أنْ

هدم الإسلام النعرة القبلية ونهى عنها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأبطل دعوة الجاهلية وعصبيتها الرعناء وأقام مقامها دينه الجديد الإنساني وجعل دعامته الوحدة العربية ومن دون هذه الوحدة فلا وحدة إسلامية في الحقيقة؛ لان صبغة الإسلام الأولى عربية خالصة ثم البشرية في أفقها الواسع ولا تعأرض في أهدافها وخططها الإصلاحية كما يظن بعض أنصار القومية المغفلين.

وهذا واضح من قوله صلى الله عليه وآله وسلم

«**إني نذير لكم خاصة وللناس عامة**».

وعلى هذا الأساس قال صلى الله عليه وآله وسلم:

«**إذا ذل العرب ذل الإسلام**».

وقد شدد صلى الله عليه وآله وسلم في حب العرب وحذر من بغضهم لان في بغضهم النفاق والكفر فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«**أحب العرب وبقاءهم فان بقاءهم نور في الإسلام وإنّ فناءهم ظلمة في الإسلام**».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«**حب العرب إيمان وبغضهم كفر فمن أحب العرب فقد أحبني ومن أبغض العرب فقد ابغضني**».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«**يا سلمان لا تبغضني فتفارق دينك قال كيف. قال: تبغض العرب فتبغضني**».

إلى غير ذلك من الأحاديث القدسية الكثيرة ومنها ندرك أهمية وصاياه صلى الله عليه وآله وسلم في القرآن الكريم والعترة الطاهرة في حديث -الثقلين- ومنها قوله

صلى الله عليه وآله وسلم:

«**إني تارك فيكم ما إنْ تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيها**».

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«**اذكركم الله في أهل بيتي**».

وقال تعالى:

﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾.

قال ابن عباس لما نزلت هذه الأية قالوا يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال:

«**علي وفاطمة وولداهما**».

قدمنا المقدمة الوجيزة بين القارئ الكريم ليقف بعد هذا على موقف بني أمية من هذا الانقلاب العظيم الذي تطورت فيه حياة الأمة العربية ووحدتها القومية ومن ثم ليقف حضرته على موقفهم العدائي من وحدتها الدينية ودينها العربي الإنساني الجديد وعلاقة النهضة الحسينية الخالدة بمواقف القوم وسياستهم العصبية الجاهلية العدوانية ضد الوحدة العربية التي شيد بنيانها وقوى دعائمها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

لقد ظل الصراع بين زعماء دعاة الوثنية من البيت الأموي وأنصارهم اليهود بزعامة كعب بن الأشرف وبين البيت الهاشمي أبناء شيبة الحمد الحنفاء وهم حماة الوحدة القومية العربية وحملة لواء القرآن الكريم الذي رفع الله به ذكر العرب وفضلهم على العالمين فامعن أبو سفيان وحزبه ورؤساء اليهود الألداء في الكيد للعروبة والإسلام ما

شاء لهم الهوى والكيد والانتقام حتى أذاقهم الله وبال أمرهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فانتصر الحق وزهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقاً.

يقول المستشرق الالماني «ماربين» يلزمنا الالتفات قليلاً في تاريخ العرب قبل الإسلام لنفهم الدور الذي لعبه الامويون فإنا نرى قرابة قريبه بين هاشم وبني أمية وكان بينهم نفور شديد وحصلت بينهم مجالدات كبيرة وكان بين الطرفين ثارات بلغت نهايتها بظهور الإسلام ولكن تم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم الفوز الحاسم بفتح مكة فدخل الأمويون في طاعته وكانوا على استعداد للايقاع ببني هاشم حقداً عليهم فلما توفي النبي صلى الله عليه وآله وسلم اتسع لهم المجال لذلك فظفروا بالملك واضطهدوا خصومهم القدامى بني هاشم وانتهى الأمر بالانقلاب والثورة باسم الدين وسجلوا لانفسهم الفوز النهائي بصلح الحسن عليه السلام نعم لما بزغت شمس الإسلام ثارت ثورة حماة الوثنية وأتباعهم وفي مقدمتهم أبو سفيان وابنه معاوية وعتبة بن ربيعة بن حرب جد معاوية الفاسد حسداً منهم لآل البيت الميامين لأنّ في الرسالة المحمدية كل معاني الشرف والنباهة لبني هاشم لكن الرسول ومن معه من المؤمنين لم تصده معارضة هؤلاء فمضى بعزمه الصادق يوحد القبائل العربية ويؤلف بينها تحت راية القرآن حتى دوخ الوثنية وقضى على سلطانها.

أما العصبة الأموية فبانت مقهورة تغلي في صدور زعمائها مراجل الحقد الدفين ونار حسد المنافسة على الرئاسة وأخذ الثار فبقى الحزب الأموي يكيد لبني هاشم في الخفاء يتحين الفرص واغتنام المناسبات للانقلاب والنكوص على الاعقاب

﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾.

وفي عهد عثمان سنحت الفرصة للحزب الأموي فنهض العدو القديم الأثيم شيخ الطلقاء أبو سفيان ومعه بني أمية الموتورون فدخل على عثمان فقال أفيكم أحد

من غيركم؟ قالوا: لا! قال: يا عثمان ويا بني أمية تلقفوها تلقف الكرة فوالذي يحلف به أبو سفيان ما زلت أرجوها لكم ولتصيرن إلى صبيأنكم وراثة. فانتهره عثمان وساء ما قال. وبلغ ذلك المهاجرون والأنصار وقد كان من أمر معاوية ما كان بعد مصرع عثمان وكيف إنه كاد للمهاجرين والانصار وكيف جرأ على سلب تراث محمد ومواريث العروبة من أيدي بني هاشم وأعلن نفسه ملكاً فقال أنا أول الملوك فانقلب بذلك نظام الحكم من الشورى إلى النظام الملكي الاستبدادي الوراثي كما أراد أبو سفيان محزب الأحزاب مع إنّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يناديهم:

(لا تمشوا على أعقابكم القهقرى).

أي لا ترجعوا عن دينكم ولا تكفروا بعد إيمانكم فتكونوا كالراجع على عقبه وناكصاً بعد تقدمه إلاّ إنّ معاوية ورهطه كانوا يسخرون بهذا المنطق النبوي والعياذ بالله فاستولى على الملك واستأثر به وحصره في أسرته وصير الحكم ملكاً عضوضاً وراثياً. ومن أجل ذلك ركب الأعاليل وفعل الأفاعيل فعطل أحكام الشريعة وقتل وجوه الصحابة الكرام وسم المعصومين من العترة الطاهرة وازدرى بالمثل القرآنية ومزق راية الوحدة العربية بإحيائه العصبيات القبلية بين اليمنية والقيسية واستهتر واستهزأ بحرمة بيت النبوة ومعدن الرسالة وبمنصبهم الديني وقد تحلل من قيود الشعائر الإسلامية ولم يتحرج في أخذ البيعة لولده يزيد ونصبه على رقاب المسلمين ناكثاً بذلك عهده المقطوع للإمام الحسن عليه السلام واندفع بكل دوافع الشهوات والنزوات والأحقاد الجاهلية لجر مغانم فردية أو قبلية وكانت سيرته في سياسته العصبية الاعتدائية خاضعة لهذه النزغات والنزاعات الاموية التي أدت إلى دك ملك أمية وتفويض أركان سلطانها وذهاب ريحها.

هذه الأحداث المفزعة كانت تجري وتتلاحق وشهيد آل البيت عليهم السلام كان قلق الوسادة ينظر إليها وقلبه الشريف يضطرم من نكوص الأمة وانحرافها عن المحجة البيضاء ومشيها على أعقابها القهقرى بتولي ولاة السوء أمرها وأهل الظلم

والجور شؤون سياستها وهو لا يقدر أن يحرك ساكناً بحياة أخيه الإمام الحسن عليه السلام وقد كان كارهاً صلحه مع معاوية حتى هم أبو محمد عليه السلام أن يحبس أبا عبد الله إلى أن يهلك معاوية، ومن وصية أبي عبد الله الحسين إلى أصحابه:

(ليكن كل رجل منكم حلساً من أحلاس بيته مادام معاوية حياً فانها بيعة كنت والله كارهاً فإن هلك معاوية نظرنا ونظرتم ورأينا ورأيتم).

ولما أراد معاوية أن يأخذ البيعة لابنه يزيد بعد وفاة الامام الحسن عليه السلام كتب إلى الحسين عليه السلام كتاباً بذلك فجاوبه جواباً عنيفاً، ومنه:

«يا معاوية لكأنك لست من هذه الأمة وليسوا منك أو لست قاتل الحضرمي الذي كتب إليك فيه زياد أنه على دين علي ودين علي هو دين ابن عمه صلى الله عليه وآله وسلم الذي أجلسك مجلسك الذي أنت فيه ولولا ذلك كان أفضل شرفك وشرف آبائك تجشم الرحلتين رحلة الشتاء والصيف فوضعها الله عنكم بنا منة عليكم وقلت فيما قلت لا ترد هذه الأمة في فتنة وإني لا أعلم لها فتنة أعظم من إمارتك عليها. وقلت فيما قلت انظر لنفسك ولأمّة محمد وإنّي والله ما أعرف أفضل من جهادك فان أفعل فإنّه قربة إلى ربي وإنْ لم أفعله فاستغفر الله لديني وأسأله التوفيق لما يحب ويرضى ...»

وجاء في آخر:

«واعلم أنّ الله ليس بناسٍ لك قتلك بالظنة وأخذك بالتهمة وإمارتك صبياً يشرب ويلعب بالكلاب ما أراك ألا وقد أوبقت نفسك وأهلكت دينك وأوضعت الرعية والسلام».

ولما اجتمع معاوية بالحسين عليه السلام في المدينة لأخذ البيعة ليزيد نهض أبو الأحرار وابن الكرار وقال:

«هيهات هيهات يا معاوية فضح الصبح فحمة الدجى وبهرت الشمس أنوار السرج ولقد فضلت حتى أفرطت واستأثرت حتى اجحفت ومنعت حتى بخلت وجُرت حتى جاوزت. ما بذلت لذي حق من أتم حقه بنصيب حتى أخذ الشيطان حظه الافر ونصيبه الأكمل وفهمت ماذكرته عن يزيد من اكتماله وسياسته لأمّة محمد تريد أن توهم الناس في يزيد كأنّك تصف محجوباً أو تنعت غائباً أو تخبر عما كان احتويته بعلم خاص وقد دل يزيد من نفسه على موقع رأيه فخذ ليزيد فيما أخذ به من استقرائه الكلاب المهارشة عند التحارش و الحمام السبق لأترابهن والقينات ذوات المعازف وضروب الملاهي تجده ناصراً، ودع عنك ما تحاول فما أغناك أنْ تلقى الله بوزر هذا الخلق بأكثر مما أنت لاقيه فوالله مابرحت تقدم باطلاً في جور، وحنقاً في ظلم حتى ملأت الأسقية وما بينك وبين الموت إلاّ غمضة فتقدم على عمل محفوظ في يوم مشهود ولات حين مناص ورأيتك عرضت بنا بعد الامر ومنعتنا عن آبائنا تراثاً ولعمر الله أورثنا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولادة وجئت لنا بهاماً حججتم به القائم عند موت الرسول فاذعن للحجة بذلك ....الخ».

فاذا نظرنا إلى هذه الاحتجاجات الصارخة بعين الفاحص المدقق نجد أنْ الصراع العنيف بين العصبية الجاهلية التي يمثلها معاوية بعد أبيه نصير الوثنية وبين الإيمان الصحيح الذي يمثله شهيد آل البيت حسين السبط عليه السلام بعد جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وأبيه المرتضى عليه السلام مستحكم الحلقات، وكان أبو الشهداء على يقين بأنّه سيكون شهيد القرآن بقوله:

«لابد أنْ أُقتل في سبيل الحق ولا استسلم للباطل».

لذلك كان بنو أمية في اضطراب منه وقلق شديد من تربته الحمراء إلى أن زالت دولتهم من عالم الوجود وهذه الحقيقة التاريخية تؤيدها وصيته العظيمة إلى أخيه محمد

بن الحنفية عند خروجه من الحجاز، وإليك منها:

«وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدي أريد أنْ آمر بالمعروف وانهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق ومن رد عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين».

ففي هذه الوصية الكريمة قد وضع عليه السلام خطة جهاده في سبيل شريعة جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وبسط منهاجه القومي الإصلاحي في سبيل تجديد الوحدة العربية لنجاة الأمّة من الانقسام بفتن العصبيات ومعاطب الحميات المهلكة وقد بدأ في تنفيذ خطته ومنهاجه بعد ان هلك معاوية بجريرته وقام يزيد مقامه ليكمل جريمته فحاول أخذ البيعة من أبي الاحرار المغوار وسيد شهداء آل البيت عليه السلام فكتب يزيد إلى ابن عمه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ان يأخذ البيعة على أهل المدينة خاصة على الحسين ولا يرخص له في التاخر عن ذلك وان ابى عليه فليضرب عنقه ويبعث برأسه إليه فبعث الوليد على أبي عبد الله عليه السلام وعرض عليه الأمر فامتنع وقال له:

«إنّا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة بنا فتح الله وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق شارب الخمر قاتل النفس المحترمة معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون وننظر وتنظرون أينا أحق بالخلافة والبيعة».

ثم خرج يتهادئ وهو يتمثل بقول يزيد بن المفرغ:

لا ذعرت السوام في غسق الصبح   مغيراً ولا دعيت يزيدا

يوم أعطي مخافة من الموت ضيماً   والمنايا يرصدنني أن أحيدا

وقد طلب إليه مروان أن يبايع يزيد فقال عليه السلام:

«إنا لله وإنا إليه راجعون وعلى الإسلام السلام إذا بليت الأمّة براعٍ مثل يزيد ولقد سمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول الخلافة محرمة على آل أبي سفيان»

ثم إنّ الإمام قد واصل جهاده على هذا المبدأ المقدس وعلى عقيدته القرآنية الراسخة حتى الساعة التي فقد فيها النصير والمعين وهو يقول في حومة الطف:

«لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقر إقرار العبيد».

ثم خاطب أهل الغدر والخيانة من شيعة آل أبي سفيان بكلامه البليغ الجزل:

«فسحقاً لكم يا عبيد الأمّة فإنما أنتم من طواغيت الأمة وشذاذ الاحزاب ونبذة الكتاب ونفثة الشيطان وعصبة الآثام ومحرفي الكتاب ومطفيء السنن وقتلة أولاد الأنبياء ومبيدي عترة الأوصياء وملحقي العار بالنسب ومؤذي المؤمنين وصراخ المستهزئين الذين جعلوا القرآن عضين ولبئست ما قدمت لهم أنفسهم وفي العذاب هم خالدون. وأنتم ابن حرب وأشياعه تعضدون وعنا تتخاذلون وإنّ الخذل فيكم معروف» ومنه «ألا إنّ الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة وهيهات منا الذلة يأبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون وجدود طابت وحجور طهرت وأنوف حمية ونفوس أبية لا تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام .... الخ».

وقد اخترنا هذه النصوص من بين النصوص الأخَر الكثيرة للاستدلال بها على مكانة النهضة الحسينية المباركة في تاريخ القومية العربية وهي كافية لإقامة البرهان القاطع على أنّ نهضته عليه السلام وبذل تضحياته الغالية في يوم الطف كانت لصد تيار العصبية الحمقاء وصيانة لتقاليد القومية الصحيحة من أنْ تلوث بالبدع والغوايات وخلاص أفراد الأمة من الإرهاب والأحكام العرفية ودفع الظلم والبغي عن الضعفاء ومن بين العدوان على الحق وتجاهل العدوان والطغيان تنبعث الأحرار الأبطال. وإلاّ لم

تكن نهضة الحسين عليه السلام من أجل ملك أو الاستئثار بالملك أو السلطان وبهذه السيرة وحدها ترتفع الإنسانية عن دنيا الآثام وتتطهر البشرية من أدرانها وأرجامها حتى تغدوا إنسانية كاملة تسعى وراء المثل العليا والفضائل الطيبة والخير العام.

وإن الألى بالطف من آل هاشم تأسوا فسنوا للكرام التآسيا

وهذا بعكس ما أراده الأمويون من بعث القومية الاعتدائية أو العصبية الجاهلية من قبرها لهدم السيادة العربية والجامعة القرآنية وأسمع نداء سيد آل البيت عليه السلام في آخر لحظة من جهاده المقدس في ساحة كربلاء والذي هزَّ به الآفاق والأرجاء وهو لايزال يدوي في آذن الدهر وذلك عندما هجم الأوباش على خيام الحرائر الهاشميات وها هو زئير فتى الكرار في وجه الطغام اللئام:

«**ويلكم ياشيعة آل أبي سفيان إنْ لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون يوم المعاد فكونوا أحراراً في دنياكم هذه، وارجعوا إلى أحسابكم إنْ كنتم عُرباً كما تزعمون**».

وأريد أنْ الفت نظر القارئ اللبيب إلى اشارته عليه السلام في قوله:

«**يا شيعة آل أبي سفيان**».

فان فيها معنى بليغ ومغزى عظيم فأراد أن يذكرهم بموقف شيخهم أبي سفيان من الدعوة المحمدية وبوجه الشبه بين ذلك الموقف وموقفهم من نهضته الهاشمية وهم يعضدون ابن حرب وأشياعه في مقاتلته وهتك حرمته وحرمه، أي أنّ الصراع بين الوثنية والإسلام والعروبة قد تجدد في يوم الطف بين أبي سفيان وبين الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ثم إنّ السبط عليه السلام قد دعاهم إلى ترك مهاجمة حرم الرسول وترويع أطفاله وإلى احترام السنن العربية واتباع آداب الفتوة البدوية وأريحية الأحساب والمروءة والشهامة التي يرتكز عليها الخلق العربي الأصيل إنْ لم يكن لهم دين ولا يخافون يوم المعاد. إذ أنّ الخلق

العربي المهذب هو الذي دفع سادات العرب إلى (حلف الفضول) قبل أن يدينوا بالإسلام، وقد كان مصير دولة الباطل في يوم كربلاء كما قال الأستاذ العقاد:

«وتلك جريرة يوم واحد هو يوم كربلاء فإذا بالدولة العريضة تذهب في عمر رجل واحد حديد الأيام وإذا بالغالب في يوم كربلاء أخسر من المغلوب إذا وضعت الأعمار المنزوعة في الكفتين».

أجل: وعمر الحق إن صفحة النهضة الحسينية المباركة لاتوال عنوان تاريخ العروبة والإسلام والصفحة اللامعة الوضاءة في سبيل جهاد الأحرار وهي منه كالفاتحة من القرآن.

وإنّ ذكرى النهضة الحسينية ما تزال وستبقى إلى الأبد ندية عبقة عطرة الشذا في نفوس المؤمنين بإعادة مجد الوحدة العربية وتراث الإسلام.

ومن العجب العجاب كيف تذل الأمّة العربية وتضام قوميتها وفي تاريخها نهضة الحسين بن علي بن أبي طالب وسبط محمد صلى الله عليه وآله وسلم رمز الشرف العربي ومجد الإسلام ولابد يوماً أن ترجع مواريث العروبة بفضل الوحي الإلهي وقدسية جهاد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وبركة نهضة سيد شهداء آل البيت التي هي نبراس أحرار العرب في كل جيل هؤلاء الأحرار الذين سيحملون رسالة القرآن إلى العالم من جديد وذلك بنفحات شهداء الطف الأبرار الذين قدموا أرواحهم الزكية قرابين لنصرة الحرية العربية والجامعة القرآنية رغم أنف أبي سفيان ومعاوية ويزيد وأشياعهم الأنذال، فبعداً لهم ولأشياخهم الطلقاء.

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[٧٥].

(٧٥) مجلة الغري -النجف- العدد -٩، ١٠- السنة الثامنة- ١٩٤٧/ص١٢.

الحسين (عليه السلام)

بقلم: الأستاذ عبد الله العلايلي

سادتي: اعتقد بأننا من الحسين عليه السلام أمام شخصية لها صفة الطاقة التي نعرفها بآثارها الظاهرة فقط، وأما ما وراء ذلك من استكناه أسرارها والنفاذ إلى ماهيتها الباطنة فنحن في إيهام حقيقي منها.

إنها شخصية فوق مقاييسنا الضيقة المحدودة، هذه المقاييس التي في مسكنتها أن تعرض علينا صوراً من الحياة العادية وألواناً مختلفة من تشكلاتها البسيطة، وأما منابع القوة والعزيمة والمضاء والصارم والاستبسال للمثل ومكان الإيمان الذي يفيض تارة بالتبتيل واللين والخشية، وتارة بالاندفاع الماضي والقوة المحطمة، وما إلى ذلك من جوهريات أشياء النفس العليا، فإنها تقف بنا عاجزة مشلولة في روعة غير محدودة.

هذه المقاييس التي تملكها ونستعين بها على تفهم أية شخصية عادية أخرى، لن تصلنا بالحسين عليه السلام لأن ما استوى في شخصه السامي من شآبيب الروح الإلهي تجعله أشبه ما يكون بالهيكل القدسي الذي يموج بشتى المعاني المثالية، لا يملك معه الإنسان كائناً من كان إلاّ أن يستسلم ويذهل عن وجوده، بما يعروه من الخشية الصامتة والروعة السليبة والشعور الإيجابي.

فلنؤمن بمذهب الإلهاميين في المعرفة ونتصل بشخصية الحسين عليه السلام من طريق إشراقي خالص، ذكر الغزالي في رسالته (مشكاة الأنوار) التي أدارها على تفسير

قوله تعالى:

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

بأن الإشعاع الإلهي هو سر الوجود الساري في محيط الكون والفساد، وهو روح البقاء في عالم النواميس.

وإن تمايز الكائنات قائم على ما يستوي فيها من هذا الإشعاع المتفاوت الذي نسميه في دائرة معارفنا بالخاصيات.

فالأحجار الكريمة كانت كذلك لأنها مظاهر لأنعكاس هذا الإشعاع. وعلى هذه السنة يذهب في تفسير قضايا الخير والجمال والحب والبغض والإنجذاب النفسي إلى الأشياء، بأنها أفكار مركزة من ذلك الإشعاع.

والكائن الحي يتفاوت بكونه مظهراً لهذا الإشعاع الذي يخضع في محيط النواميس لعملها، فالوراثة واللون التربوي وما يتبع ذلك تدخل جميعها في توفير الإشعاع الإلهي في الفرد.

والأبشار الذين هم مظاهر أصلح لهذا الإشعاع يكونون قدوة الأجيال ومشاعل النور في دياجير الحياة الداكنة.

ولا شك في أن الحسين عليه السلام كان أسمى وراثة من كل إنسان آخر لأنها وراثة النبوة، وأسمى في مرباه بيئة لأنه مربى النبوة، فهو إنسان أكمل بكونه مظهراً لذلك الإشعاع الإلهي الأقدس.

وقد قرن حياته التي حيكت الفتها الفضائل بالكفاح والتضحية بسبيل المبادئ الصالحة المبادئ المهذبة، بسبيل الحق العام وخير الجموع.

والغزالي يجعل أمثاله قدوة الأجيال ومشاعل النور الهادية، فلا عجب إذا كان الحسين عليه السلام قدوة لنا اليوم وفي كل يوم... ومشعل النور الذي يهدينا اليوم وفي

كل يوم.. كافح الحسين عليه السلام لينقذ مبادئ العهد الذهبي في عهد الباطل إذا استوحينا المجاهد الراكد في فجر كفاحنا وأنبعاثنا الشامخ، نجعل نهاية العهد الذهبي في الإسلام فاتحة عهدنا الذهبي الخالد الذي لن تكون لهُ نهاية، لأننا عرفنا جيداً كيف نجعل النهاية على الدوام فاتحة جديدة لعهد جديد.

فيا بطل الكفاح مد إلينا يداً....

ويا بطل الجهاد كيف لنا بمثل خلائفك في الجهاد....

أنت مرة ذهبت تصنع الموت انتصاراً....

وذهب غيرك يصنع الحياة اقتداراً....

فماتت القوة وبقيت أنت وحدك رمز الخلود...

نحن في حياتنا الانقلابية ونهضتنا الانبعاثية نواجه صراعاً عنيفاً بين الحق والباطل، وقد إعطانا الحسين عليه السلام درساً مثيراً كله شمم، فإن ظفرنا فقد جعلنا كلمة الله هي العليا، وإن نبونا فقد قضينا أحراراً دون كلمة الله التي هي الواجب والحق والعدالة، شاعرين بمسؤليتها ذلك الشعور بالمسؤولية الذي دفع الحسين عليه السلام إلى التضحية، ذلك الشعور بالمسؤولية الذي يجعل المؤمن لايقر له قرار إلاّ إذا انتصر لها ومضى تحت شعورها بصفة غير شعورية..

فقولوا للذين يأخذون الحسين عليه السلام بحركته إنكم جامدو المشاعر لا تحسون بمسؤولية الإيمان بالمبادئ.

إن الإيمان الحقيقي تحجر في قلوبكم فتحجرت لذلك دماؤكم..

إن الإيمان – أيها الجامدون– حرارة وقيدة تفرض الحركة على صاحبها بإرادة وبدون إرادة، وإلاّ فأنتم جاهلون بطبيعة النفس البشرية وجاهلون بآلية الحياة ذات الشرايين.

فيا هؤلاء أنتم هامدوا الأعصاب وشرايينكم في إنحلال فلا تلوموا المؤمنين الشاعرين أتذكر بأني قرأت شاعراً هنجارياً إنخرط في حركة من حركات الجهاد القومي،

وكان صاحب الراية فأوحى بقوله: «إذا أنا متُّ فأسلخوا جلدي الذي طالما صاحبني في كفاحي وشدوا منه طبلاً تضربون عليه كلما دعاكم داعي الجهاد، ليصل ندائي إلى أذن كل مواطن حاملاً همته النافذة، إنه نداء الذي قضى تحت القلم».

هؤلاء الشاعرون بالمبادئ، المؤمنون، الذين يحسون بمسؤولية الإيمان وتبعة الواجب. والحسين عليه السلام سيد المؤمنين الذي لم يبق لابن حرة عذراً.

وإن الألى في الطف من آل هاشم تأسوا فسنوا للكرام التآسيا

أظن أنّ أحداً من الذين أعطوا دراسة طويلة عن الحسين عليه السلام لم يعن بفهم ماهية الحياة من وجهة نظره وأنا بعد دراسة في زمن طويل انتهيت إلى تكوين هذا الرأي:

«الحياة الإنسانية ليست إلاّ من تشكلات الفكرة فقط، منذ أصبح الإنسان حيواناً متعقلاً، وليس من المنطق في شيء أن ندرس الحياة كوحدة لمجموعة الأحياء لأن الإنسان انفصل انفصالاً تاماً عن الحياة الغريزية الخالصة التي يحياها سائر أصناف النوع، وأصبح ينقاد لسيطرات الفكر وحده.

فما الحياة الإنسانية إلاّ تشكيلات أو إنطباعات لفكرة بعينها تؤثر أثرها في كتلة ضخمة من الزمن ثم تذوي تحت تأثير تشكيلات أو إنطباعات أُخَر وهكذا».

فإذا كانت الحياة هي الفكرة فقط، فلا جرم أن نجد المؤمن بفكرة في الحياة يسعى لنشرها ويكافح من أجلها مهما كلّفته، لأن فكرته هي التي تمده بالحياة أو تجعل لها لوناً يجذبه إليها ويتشبث بها، فإذا خرجت الحياة عن قاعدة فكرته التي يؤمن بها، فأما أن يعيش غريباً متألماً، وأما أن يخلد مجاهداً، وكذلك فضل الحسين عليه السلام الخلود في الجهاد.

وأما الذي يعيش بدون فكرة فإنه حيوان ساذج يحيا بالغريزة وحدها أو بذلك ينحدر عن مستوى النوع حيث يتحرك في إبهام من الإحساس سوى الإحساس بمواقع الغرائز العاملة ومساقطها.

فجوابنا عن السؤال الذي لم يزل في الناس من يسأل عنه: لماذا ضحى الحسين عليه السلام. هو أنهم سعوا إلى تجريد الحياة من فكرتها الصالحة وإخراجها عن قاعدة ارتكازها، فانتصر لفكرة الحياة المهذبة التي آمن بها ونشرها النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قبل ونطق بها القرآن على الدهور. فالحزن الذي يغشانا في ذكرى الحسين عليه السلام هو حزن العقل الذي يذكرنا دائماً مبادئه التي انتهت به إلى تضحيته الحمراء.

وأما حزن القلب فأنه عاطفة حارة تذكي اللواعج والعبرات وتهيج الدموع.

حزنت عليه عقولنا وقلوبنا ... أبداً وحزن العقل شر مصاب

فالقلب ينسيه الغياب أليفه ... والعقل لا ينسيه طول غياب

وذكرى الأبطال من نوع حزن العقل الذي هو عامل بعث وتذكير بالمثل التي ضحوا من أجلها، مرعياً لذكرى الحسين عليه السلام لأنها ذكرى عهدنا الذهبي الخالد الذي يمر بنا كشريط يترك فينا آثاراً لابد أن تبعثنا بعد حين.

قال الخليفة عمر بن الخطاب يخاطب الحسين (إنما أنبت ما ترى في رؤوسنا الله ثم أنتم). ولنا هذه النجوى.

مجد العرب نواة غرسها في الهامات الله ثم أنتم...

وقد نبتت في جراح الكبرياء، حين أجرى إليها النمير الصافي الله ثم أنتم...

والتفت على الرؤوس كما تلتف العيضة بالأزاهير والنوار، بما روحها الله به من نسمات ثم أنتم...

وأزدهرت غصون المجد بالفضائل المنظومة والمكارم المنثورة، بما نفخ الله بها من روح ثم أنتم...

ومجد العرب والإسلام يعود كما بدأ فإنه مبعثه على التاريخ، الله ثم أنتم...[٧٦].

(٧٦) مجلة الغري –النجف–العدد –٦٣– السنة الثانية– ١٩٤١/ص١٠٩٧.

ذكرى حفيد الرسول

بقلم: الأستاذ محمد مبروك نافع

أستاذ تاريخ الأديان بدار العلوم

ما أحسست طوال حياتي برهبة الموقف وما تهيبت المنبر من قبل، قدر تهيبي هذه المرة. لقد ألفتم أيها السادة في هذا الموقف أن يتحدث الناس إلى عواطفكم فحسب، أما أنا فسأحاول أن أتحدث إلى قلوبكم وعقولكم معاً، فمن كان الحسين عليه السلام الذي تجتمع الآلاف المؤلفة للإحتفال بذكراه، ومن كان يزيد الذي نكب العالم في عهده النكبات الثلاث المعروفات فأما الحسين فهو أشهر من أن يعرف، هو ابن بنت رسول الله وابن الإمام الأكبر علي بن أبي طالب وكفاه هذا تعريفاً، وأما يزيد فهو ابن معاوية من ميسون الكلبية بعث به أبوه إلى البادية ليربى في قبيلة بني كلب المسيحية فنشأ على شر خصال البادية من معاقرة للخمر وولع بالصيد ومجالسة النساء والاستهتار بشؤون الدين، وأراد أبوه أن يأخذ له البيعة قسراً من جلة الصحابة وشيوخ العرب الأفاضل فقبل البيعة من قبل ممن جارى معاوية استجلاباً لرضاه، وأبى أهل المدينة أن يلي شؤون المسلمين شاب حدث تلك بعض صفاته، ولم يكن معاوية بالرجل الذي يترك ما إنتواه بسهولة، فلما فشلت الحيلة إذ بنا نراه يأخذ البيعة ممن ذكرنا قسراً في المسجد وقد أوقف إلى جوار كل واحد شرطي شاهراً سيفه على أهبة الاستعداد للإطاحة برأس كل من ينبس ببنت شفة. وكان الحسين قد أفلت من المدينة إلى مكة وبينما هو هناك إذ

بالرسائل تترى من أهل الكوفة والرسل تتوافد تحمل عرائض الثقة بالحسين وبأنهم كممثلية لأهل العراق لا يرضون بيزيد خليفة وأنهم عقدوا العناصر على بيعة الحسين والدفاع عنه، وحاول فريق أن يثنوا الحسين عن عزمه ولكنه أقدم وهو يعلم أنه مقدم على أمر خطر وهو لا يتردد أن يجعل دمه فداءً للفكرة السامية التي كانت تعمر قلبه ويؤمن بها وجدانه وهي أنه لا يجوز أن يلي شؤون المسلمين في ذلك الصدر الأول من الإسلام رجل غير تقي، بل رجل لا يتورع عن المجاهرة بالفسوق والعصيان.

كان الحسين عظيماً فما أقدم غير مقدر للموقف على هذا الأمر العظيم، والعظيم أيها السادة يركب الصعب من الأمور وهو عالم بركوبه وكذلك كان الزعماء في كل العصور.

وأتصل بالحسين وهو في ركبه إلى الكوفة من أنبأه بأن قلوب القوم معه ولكن سيوفهم مع بني أمية، ولكنه لم ينثن بل لم ينس أيضا عندما قيل له أن رسوله إلى أهل الكوفة وهو مسلم بن عقيل قد قتل، وقتل معه هانيء بن عروة، فلم يتحرك أهل الكوفة للثأر لهما، لم ينثن إذ أبت عليه مروءته وشهامته ألاّ يجيب بني عقيل الذين أصروا على أن يثأروا لقتيلهم فكان في طليعتهم، حتى إذا ما أشرفوا على أرض الكوفة إذا بجند الوالي عبيد الله بن زياد تحيط به فلا تفارق ركبه ويحاول الحسين التفاهم مع زعيمهم عمر بن سعد بن أبي وقاص فيتردد الرجل أو لا يتهيب أن يقتل حفيد رسول الله. ولكن خبث بن زياد وشناعة الملعون شمر بن ذي الجوشن تغير الموقف وتجعل عمر وهو ابن سعد بن أبي وقاص يخشى أن يفقد ما مني به من ولاية الري فيقدم على أكبر جريمة اقترفها الأمويون، وإذا بالمعركة تدور بين فريقين لا تكافؤ بينهما، فريق عدته الوف وآخر عدته عشرات، وأخذ أتباع الحسين وأقرباؤه وبنوه يتساقطون الواحد تلو الآخر أمامه بعد أن أبلوا بلاءً حسناً وقتلوا من عدوهم أكثر مما قتل منهم، وأخيراً خرَّ حفيد الرسول صريعاً، فروى بدمه الطاهر أرض كربلاء فأنبت دمه الطاهر بذور

المذهب الشيعي بأكثر مما أنبته أبوه وولدت الشيعة منذ اليوم العاشر من شهر محرم ولا أريد أيها السادة أن أذكر تفاصيل القتلة الشنيعة فأنتم تعرفونها جميعاً وتحذقون كل تفاصيلها، وما هذه الدموع المترقرقة في مآقيكم وهذه الآنات المتصاعدة من صدوركم، وذلك الوجوم الذي يعلو جموعكم الزاخرة إلاّ دليل على ما تنطوي عليه جوانحكم من التقدير والتبجيل لحفيد الرسول الشهيد والألم الشديد لشناعة مصرعه.

وقال قائل لقد فشل الحسين في محاولته ومات، فورب الكعبة إن الحسين لم يفشل، فما حدث أن حييت ذكرى رجل في التاريخ فحكم من ملايين الناس بعد موته كما حدث للحسين وأبيه من قبل وأولاده من بعد، إن الحسين لم يمت بل هو حي في كل شخص منكم، هو حي في جماهيركم وذاكرتكم، هو حي في هذا الحشد الحافل هنا في الكاظمية وفي كربلاء والنجف وأرض العراق وفي فارس والهند ومصر وشمال أفريقيا وأندنوسيا وغيرها من الأقطار التي يسكنها الأربعمائة مليون من البشر الذين يدينون بدين جد الحسين محمد صلى الله عليه وآله وسلم فمنذ اثنتين وثلاث مئة وألف سنة وملايين المسلمين تحتفل بذكرى هذا اليوم إن لم يكن احتفالاً عاماً رسمياً كاحتفالكم هذا فهو احتفال قلبي هادئ في كل بيت وفي كل مجتمع.

وألفتم أيها السادة منذ تلك القرون الغابرة أن تتخذوا هذا اليوم العاشر من محرم يوم مناحة وبكاء عام، أما أنا فأريد أن أقول يجب أن نتخذ من هذا اليوم عيداً لإحياء مبادئ الحسين ومبادئ جده رسول الله تلك المبادئ السامية التي نقلت العالم من الظلمة إلى النور، وخرجت الأبطال من أواسط شبه الجزيرة العربية إلى ربوع العالم الزاهرة في الشرق والغرب فنقلها من الظلم والطغيان إلى العدل والإيمان، أجل لنحتفل في هذا اليوم بذكرى الحسين الذي استشهد في سبيل تحقيق هذه المبادئ ولنقف جميعاً نحن معاشر المسلمين كالبنيان المرصوف كتفاً إلى كتف في تأييد هذه المبادئ لافرق بين مذهب ومذهب وصاحب رأي وصاحب رأي، فإن تحقيق مبادئ الإسلام ونصرة كلمة

الدين هي التي تطمئن لها أرواح أولئك الشهداء الذين فاضت أرواحهم في سبيل الحق، إن تحقيق هذه المبادئ تطمئن له أجسامهم في باطن الأرض أكثر مما تطمئن إلى أي شيء آخر، وأذكروا أيها السادة أنكم تجتمعون هنا في ساحة الإمام الكاظم فإكظموا غيظكم وأعفوا عن المسيئين إليكم.

أيها الأخوان إن الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس أحب إلى الله ورسوله من الذين قست قلوبهم ونقموا على إخوانهم ولم يغفروا لهم زلاتهم.

أيها السادة، لنتخذ من مبادئ الحسين عليه السلام أكبر هادٍ لنا ولنتكاتف جميعاً أفراد وجماعات على نصرة هذا الدين الحنيف ورفع شأن المسلمين.

ولنتخذ من هذا الاحتفال بداية عهد جديد يسود فيه السلام والوفاق بيننا جميعاً ولتكن وحدتنا العربية أقوى بداية للوحدة الإسلامية التي ينشدها الجميع وإذ ذاك تطمئن روح الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأرواح كل الأبرار الشهداء، وفقنا الله جميعاً إلى ما فيه صالح هذا العالم الإسلامي وهدانا.. إنه نعم الهادِ والسلام عليكم ورحمة وبركاته[٧٧].

(٧٧) مجلة الغري -النجف- العدد -٩، ١٠،١١- السنة الخامسة -١٩٤٤/ص٨١٣.

بطولة وارادة

بقلم: محمد أحمد خلف الله

المدرس بكلية الآداب / جامعة فؤاد - مصر

أيها السادة:

يسعدني وإني بعيد الدار أن أشاطركم في هذه الذكرى العزيزة ذكرى الحسين بن علي (عليه السلام).

ويسعدني وأنا ابن العروبة أن أجد المثل الحي في شخصية الحسين بن علي وأنْ نجعل منه الأسوة الحسنة والقدوة الصالحة.

أيها السادة: جرت عادة أولئك الذين يؤرخون للبطولة والابطال أنْ يقصروا الحديث على نفر بصفاهم هم أولئك الذين ينهضون بأممهم بعد كبوها ويأخذون بيدها لتصعد في سلم الرقي والنهوض درجات، ويهملون صنفاً آخر لا يقل عن هؤلاء مكانة حين نتحدث عن البطولة أو نؤرخ للأبطال. يهملون أولئك الذين يشعرون بالكارثة قبل أنْ تلم وبالمصيبة قبل أنْ تنزل أو تحيط فيصفون الداء ويباعدون بين الأمة وبين أنْ تنحط وتنهار، يهملون أولئك ومواقفهم قد تكون أبرز وأشد ضياء أو شخصياهم قد تكون أشد بأساً وأكبر قوة بل قد يكونون المثل الحي والشخصية النادرة التي نتطلع إلى أمثالها في هذا الزمان.

أيها السادة:

قد يلوم الناس الحسين لأنه لم يتداول الأمور ولم يتدبر العواقب فضحى بنفسه ولكنهم في كل هذا مخطئون.

إنّ البطولة لا تقاس بمقدار ما يحققه الفرد من غاية أو يصل إليه من نتيجة فذلك مقياس السياسيين التجار. وإنّ البطل لا يسأل نفسه حين يقف الموقف الذي اختاره عن الغاية والوسيلة وإنما يسألها فقط عما فيها من قوة إرادة وصدق عزيمة فإن أو مأت بالإيجاب ضرب ضربته ولو عادى الأهل والعشيرة ولو خالف في ذلك جميع العالمين.

ولقد سأل الحسين نفسه فأجابت واستشارها فاشارت فوقف موقفه الذي ضحى فيه بنفسه من أجل المبدأ والعقيدة.

أيها الإخوان:

لقد ضحى الحسين بنفسه دفاعاً عن مبدئه وإيماناً بعقيدته، وإنّه لدرس ينفعنا في هاتيك الأيام الحوالك التي نتلفت فيها حوالينا فلا نجد بطلاً نلتف حوله ولا إماماً مصلحاً نقتدي به ونهتدي بهديه فليكن لنا من القدوة الحسنة وليكن لنا من تضحيته العبرة والذكرى ولننشد في الاحتفال به قول القرآن الكريم:

﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ﴾[٧٨].

(٧٨) ذكرى أبي الشهداء –حفلات شباب النجفي– إخراج دار الغري– من دون تاريخ/ ص٤٤.

موقف الحسين ويزيد

بقلم: أحمد محمد الابيوقي

كلية الشريعة الإسلامية- مصر

رمز الخير والشر والحرية والاستعباد.

فالمسلمون يحملون كلّ البقاع حقاً مقدساً وبرهاناً نيراً جاء لتخليص العالم من شرور الأوهام وتعليمهم البسالة والصدع بالأمر والجرأة في الحق والثبات على العقيدة فمن أشرب قلبه حب الإيمان ونما في عاطفته جلال الدين وزكا في روحه غرام الشريعة: يزول رأسه عن جسده ولا يزول من قلبه هذا الحب العذري ولا يزعزعه عن موقفه بريق السيوف وتكاثر الجموع، ووخز السنان.

وإنّ أكبر مظهر تتجلى فيه رجولة الإسلام وبسالة النفوس وشجاعة القلوب وثبات العقائد ذلك الموقف الرهيب الذي وقفه الحسين أمام جند يزيد الفجور وشبح الظلم، وإمارة البؤس والطغيان يزيد التعاسة والشقاء وجنده الذين هم أذناب الرذائل وهو أنفها وهوسنام الفحشاء وأما موقف الخلود والذكرى بل موقف الشرف وقوة الروح وعلو النفس فقد صمد أمام ويلات الطغاة لا يلين ولا يتزعزع وقال كلمة الزعامة ودليل البطولة وعنوان الشهامة وهو بين السيوف والرماح يخاطب أصحابه:

«إنّـه نـزل مـن الأمـر مـا قـد تـرون وإنّ الـدنيا قـد تغـيرت وتنكـرت، وأدبـر معروفها واستمر حذاء، فلم يبق منها الا صبابة كصبابة الإناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون أنّ الحق لا يعمل به والباطل لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن في لقاء الله محقاً فإنّي لا أرى الموت إلاّ سعادة والحياة مع الظالمين إلا برماً».

فقام زهير بن القين البجلي من أصحاب الحسين وقال:

قد سمعنا (هداك الله) يا ابن رسول الله مقالتك والله لو كانت الدنيا لنا باقية وكنا فيها مخلدين (إلا أن فراقها في نصرك ومؤاساتك لآثرنا الخروج معك على الاقامة فيها).

وخطب الحسين مرة فقال:

أيها الناس إن رسول الله قال: (من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أنْ يدخله مدخله) ألا وأنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد وعطّلوا الحدود واستأثروا بالغي واحلوا حرام الله وحرّموا حلاله.

وقال يخاطب أصحابه:

(أثني على الله تبارك وتعالى أحسن الثناء وأحمده على السراء والضراء اللهم إني أحمدك على أن أكرمتنا بالنبوة، وعلمتنا القرآن، وفقهتنا في الدين وجعلت لنا أسماعاً وابصاراً وافئدة، ولم تجعلنا من المشركين، أمّا بعد فإني لا أعلم أصحاباً أولى ولا خيراً من أصحابي ولا أهل بيت ابرّ ولا اوصل من أهل بيتي ... فجزاكم الله عني جميعاً خيراً .... ألا وإني أظن يومنا من هؤلاء الأعداء غداً، ألا وإني قد رأيت لكم فانطلقوا جميعاً

في حل ليس عليكم مني زمام هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً ثم ليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي ثم تفرقوا في سوادكم ومدائنكم حتى يفرج الله ... فان القوم إنما يطلبونني ولو اصابوني لهوا عن طلب غيري).

فقال له أهل بيته:

لم نفعل؟ لنبقى بعدك؟ لا أرانا الله ذلك أبداً. فقال الحسين:

يا بني عقيل حسبكم القتل بمسلم. اذهبوا قد أذنت لكم.

قالوا: فما يقول الناس؟ يقولون: إنا تركنا شيخنا وسيدنا وبني عمومتنا خير الأعمام ولم نرم معهم بسهم، ولم نطعن معهم برمح ولم نضرب معهم بسيف ولا ندري ما صنعوا؟.

لا والله لا نفعل، ولكن نفديك أنفسنا وأموالنا وأهلونا ونقاتل معك حتى نرد موردك فقبح الله العيش بعدك.

وقام إليه مسلم بن عوسجة الأسدي وقال: «أنحن نخلي عنك ولما نعذر إلى الله في أداء حقك اما والله حتى أكسر في صدورهم رمحي وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي ولا أفارقك ولو لم يكن معي سلاح اقاتلهم لقذفتهم بالحجارة دونك حتى أموت معك...».

وقال سعد بن عبيد الله الحنفي: والله لا نخليك حتى يعلم الله انا قد حفظنا غيبة رسوله فيك والله لو علمت أني أُقتل ثم أحيا ثم أحرق حياً ثم أذر يفعل ذلك بي سبعين مرة ما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك فكيف لا افعل ذلك وإنما هي قتلة واحدة ثم هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً.

وقال زهير بن القين: والله لوددت أني قتلت ثم نشرت ثم قتلت حتى أقتل كذا ألف قتلة وأن يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتية من أهل بيتك.

ولم يبقَ أحد من أهل بيته أو من أنصاره إلاّ وقد قال كلاماً يشبه ذلك مظهر تفانيه في ذات الحسين وقالوا: والله لا نفارقك ولكن أنفسنا لك الفداء نقيك بنحورنا وجباهنا وأيدينا فإذا نحن قتلنا لنا وفينا وقضينا ما علينا.

وخطب الحسين يوم قتله وقال:

يا عباد الله اتقوا الله وكونوا من الدنيا على حذر فإنّ الدنيا لو بقيت على أحد أو بقى عليها أحد لكانت الأنبياء أحق بالبقاء وأولى بالرضاء وأرضى بالقضاء غير أنّ الله تعالى خلق الدنيا للفناء فجديدها بالٍ،ونعيمها مضمحل وسرورها مكفهر والمنزل تلعة والدار تلفة، فتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقوا الله لعلكم تفلحون.

ولما دنا منه القوم دعا براحلته فركبها ثم نادى بأعلى صوته:

أيها الناس اسمعوا قولي ولا تعجلو حتى أعظكم بما الحق عليّ وحتى اعتذركم من مقدمي عليكم فإن قبلتم عذري وصدقتم قولي، وأعطيتم النصف كنتم بذلك أسعد، ولم يكن لكم عليّ سبيل وإن لم تقبلوا مني العذر ولم تعطوا النصف من أنفسكم فاجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لايكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إليّ ولا تنظرون. أن وليي الله الذي نزّل الكتاب وهو يتولّى الصالحين.

وقال في خطبته:

أما بعد: فانسبوني فانظروا من أنا؟ ثم ارجعوا إلى أنفسكم، واعتبوها فانظروا هل يحل لكم قتلي وانتهاك حرمتي ألست ابن بنت نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم وابن وصيه وابن عمه وأول المؤمنين بالله والمصدق لرسوله بما جاء به من عند الله، أو ليس حمزة سيد الشهداء عم أبي؟ أو ليس جعفر الشهيد الطيار ذو الجناحين عمي؟ أو لم يبلغكم قول مستفيض فيكم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لي ولأخي

هذان سيدا شباب أهل الجنة؟ فإنْ صدقتموني بما أقول وهو الحق والله ما تعمّدت كذباً مذ علمت ان الله يمقت عليه أهله ويضربه من اختلقه وان كذبتموني فإنّ فيكم من أن سألتموه عن ذلك أخبركم.

سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري وأبا سعيد الخدري أو سهل بن سعد الساعدي أو زيد بن أرقم أو أنس بن مالك يخبروكم أنهم سمعوا هذه المقالة من رسول اله صلى الله عليه وآله وسلم لي ولأخي، أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي؟

ثم قال:

إنْ كنتم في شك من هذا القول أفتشكون أثراً ما أني ابن بنت نبيكم فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري منكم ولا من غيركم أنا ابن بنت نبيكم خاصة أخبروني: أتطلبوني بقتيل منكم قتلته؟ أو مال لكم استهلكته؟ أو بقصاص من جراحة؟.

ثم نشب القتال بين الفريقين واستمات أصحاب الحسين في القتال حتى فنوا وقتل الحسين، أمر بن سعد أصحابه أن يوطئوا خيلهم الحسين فوطأوه بخيلهم ثم حمل النساء ورأسه إلى يزيد بن معاوية بدمشق وذلك كان بالطف يوم عاشوراء من المحرم سنة ٦١هـ.

رحماك يارب وغفرأنك نستلهم منك الرضوان ونستدر العفو والحنان لهذا المنظر الذي تتفتت منه القلوب ويذوب الحشا وتهمع العيون.

مصرع سيد كريم ومقتل زعيم خالد استغفر الله بل مصرع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولو الحسين توانى في الدفاع ولانت قناته أمام هذه الفئات الطاغية لما أدّى رسالة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث ولد هو والإسلام ورضعا لبن ثدي واحد وتربيا في حجر واحد وانجبهما بيت النبوة المحمدية والرسالة الرحيمة فكان

حقاً على الحسين أنْ لا يتخلى عن نصرة الخليل الأوفى وصاحب الروح وعزيز القلب وهو الإسلام وصاحب الرسالة محمد بن عبد الله ولما لم يعوزه إلى الخوض في تلك المعامع ومغامرة هذه الحروب دنيا يريدها أو مال يجنيه أو زعامة ينشدها ورئاسة كاذبة يدعيها زج نفسه أمام نار ملتهبة يشعل شرذمة الضلال وإخوان السوء وأشباح الظلم ليصلاها نار حامية في ستين من أهل بيت الرسول ما بين نساء وغلمان وشيوخ.

وعمر الله انه اليقين الثابت والإيمان الخالص وحب الرسول الذي لا يتناهى دفعه إلى لجة في بحر الظلم وجولة في فسحة الطغيان وضرب في أرض الجور والخيانة للرسول وآله.

ومع ذلك فإنّ أحرج موقف وأضيق مأزق يعتز بنفسه ويعلن نسباً طاهراً وأصلاً عريقاً برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيقول اما تعلمون أني ابن بنت رسول الله وعمي فلان وأبي فلان لينبه هؤلاء الخونة الجفاة انه ليس إلاّ حامياً للدين وذائداً عن عقيدة ذاد عنها جده محمد بن عبد الله ومن بعده ... لأنهم كانوا يقاتلون الحسين على أنه لص مغتصب فقد عملت دعاية في بلاد الشام أنّ الرسول لم يعقب خلفاً من ابن أو بنت فكل ما نسب إليه افتراء ومعناه أنّ الحسين يجب أن يقاتل، وقد كان إن دارت رحى الحرب وقام الحسين يناضل عن أديان العالم وشريعة النبوات السابقة لأنها كلها جمعت في نبوة جده محمد بن عبد الله فهي جماع الشرائع وسلافة الرسائل.

وتذكرنا حادثة الحسين بأول مقتل شهده الإنسان من بني آدم (هابيل وقابيل) حينما تجسم الظلم وكبر في النفوس الحقد وأذكيت نار الضغينة والحسد فطغى كل هذا على الدماء فأريقت والأرواح البريئة فأزهقت وضاع من الصدور معنى الإيمان وأنهى أثر الرحمة واللطف وعاد القلب جافياً غليظاً وكان ما بين الصدر صخرة أو صلداً أصم وتحركت بهيمية النفس البشرية وفار دم الغضب واستحكمت قوى الشر وتضاربت

نزعات الهوى وانتفخت أوداج البغي وجرى في العروق دم الجور والطغيان فقتلت نفوس زكية بغير حق واستبيحت حرمات كانت أعز من عرانين الأسود ونطق لسان العزة والإباء في ثوب الحق وتمت راية السلام.

﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾.

وقد دار الفلك دورة اظهرت لنا من الأحداث ما يذكرنا بماضي التاريخ وسالف المآسي وفي كربلاء تمثل رواية بطلها حسين العزم ورمح الصرامة فهي صراع بين الحق والباطل ونضال بين الفضيلة والرذيلة وسجال بين الظلم والعدل ونزاع بين (قابيل) و (هابيل) وبين (نمرود) و(إبراهيم الخليل) وبين (موسى) و(فرعون) وبين (عيسى بن مريم) و(انتيباس) وبين (اهرمن) و (يزدان) وبين (محمد) و (أبي سفيان) وبين (حسين) و (يزيد).

فلفظ الحسين ميزان لكل عدالة وخير وسلام واسم الحسين رمز لكل قوة واستبسال، فإذا قلنا يا حسين تتكهرب القوى ويحل في الأجساد عزائم الفيلق الجرار والعرمرم المسلح. واسم الحسين يستأصل شافة الدول الطاغية ويجتاح جرثومة البغي والعناد للحق والكيد للفضيلة ويذل العروش ويرغم معاطس الجبارين.

لتحيا ذكرى الشهيد على مذبح التضحية والتوحيد الحسين بن علي إمام الأحرار وسيد الشهداء وليقبر كل يزيدي في الوجود لأنّ اسم (يزيد) أصبح علماً على كل بغي وجور ورمز لكل شر وفجور فلا كانت له ذكرى ولا دام له أثر.

أما الحسين فهو مصدر القوة تنشط بذكره القلوب وتستيقظ الجوارح وهو مثال العزاء للصفاء ومعجزة ناطقة لتصديق نبوة محمد بن عبد الله وإثبات آله.

وهومحرر النفوس وناشر لواء المساواة والحرية بين أتباعه وذويه وكان يكرم مثوى الأرقاء ويعتق رقابهم ويقربهم من نفسه ونيلهم العزة والشرف فهذا (جون) حينما خر صريعاً على الأرض قتيلاً في كربلاء فتواضعت السماء وخر الإباء والشمم وانطوى غصن النبعة الزكية في شخص الحسين على وجه (جون) الرقيق وقبله وأمال رأسه على فخذه الطاهر.

وإلى الآن لم أر مؤلفاً احتوى هذه المعاني بالتحليل الفلسفي العلمي لقصة مقتل الحسين وسأترجم كتاباً في هذا الشأن يحمل بحثاً دقيقاً تحليلاً نفسياً ويبين أثر مقتل الحسين في العالم في محق التقاليد السيئة وغرس أصول الفضائل في نفوس البشر ويبين ما أحدثته هذه القصة في الآداب والتاريخ من نظم ونثر وإنشاء وخطابة وفي عالم الفنون من المعاني الرفيعة والصروح المشيدة.

وماذا كونت من الأبطال والزعماء وماذا أحدثت من الأثر في نفوس الشعب وطبقات الأمّة رجالاً ونساء وشباباً وشيوخاً وسوقة وملوكاً. كما ترجمت كتاب الدنيا قبل الإسلام وأثر الرسالة المحمدية في العالم، وهو ينتشر تباعاً في أشهر مجلات مصر وأكثرها ذيوعاً وانتشاراً وهي مجلة (هدى الإسلام) ولا تسألني ماذا حدث بعد ظهور بعض فصول هذا الكتاب في أعداد من تلك المجلة فقد أمطرني البريد وابلاً من رسائل الاستحسان والتقدير لهذا العمل الشاق فاستفزوا من نفسي كل نشاط وحركوا في همتي كل إقدام حتى عزمت بمشيئة الله على إتمام تلك الرسائل وإخراجها في ثوب عربي قشيب ليرجح ميزان الثقافة في مصر خاصة وفي بلاد الشرق الناطقين بالضاد عامة وهذان الكتابان وكتاب الحسين وكتاب الدنيا قبل الإسلام وأثر الرسالة المحمدية في العالم

تاليف العالم الفاضل الباحث التاريخي الدكتور السيد مجتبى حسن كامرن بوري الذي أودع خزانته ذخائر من بحوثه وتأليفه وملاها بتلك الرسائل النادرة والكتب المبتكرة الممهورة بإمضائه وتدوينه وأخيراً أخاطب جميع الملل والأديان ولا أخص الإسلام... أخاطب جميع ملوك الدنيا ولا أخص ملوك الإسلام... أخاطب زعماء العالم قاطبة وقادته اخاطب الفضيلة البشرية جمعاء رجالاً ونساء وشباباً وكهولاً أنْ يجعلوا قصة الحسين المثل الاعلى لنفوسهم في الثبات وقوة العزيمة وقذف جماجم الغرور والأنانية وتطويح رؤوس نشوانة بصهباء الملك والقوة.

هبوا من نعاسكم فقد أعطى الحسين صمصامهُ البتار لكل ضعيف يدمدم به نفوس الظالمين ويطحطح رقابهم ويرغم أنوفهم، قوموا وثبوا وثبة الضيغم الهزبر.

ووجهوا العالم إلى مهيع الرشاد وسيروا به نحو لقم الصلاح والسداد وخذوا ثأر حسين من يزيد أي استنصروا للحق والعدالة واستصرخوا لكل عاجز ضعيف من كل زعرور أشر أنادي بأعلى صوت كل من ينتمي إلى نسب السلام ولحمته الهدنة وكل من يتمسك بأهداب الأمان والسكون أنْ يستضيء بهذا الذكاء المتألقة ويستنير بهذا السراج الوهاج[٧٩].

(٧٩) مجلة الرضوان -الهند- العدد-١، ٢- السنة الرابعة- ١٣٥٧هـ/ ص١٤.

يا أبا الشهداء

بقلم: الأستاذ جمال مهدي الهنداوي

الأستاذ بدار المعلمين ببغداد

هذه ذكراك يا أبا الأئمة... عِبرة من أعظم العبر، وعظة من أبلغ العظات، يعيدها علينا محرم من كل عام، يعيدها وكأنها ذكرى فاجعة وقعت منذ عهد قريب، رغم مرور قرون عدة عليها، يعيدها علينا ليرينا كيف أدّى ذلك الصراع العنيف بين جيش الفضيلة والرذيلة أو حزبي الحق والباطل إلى انتصار الحق والفضيلة بأسمى صور الانتصار، وإلى انخذال المجرمين الذين اقترفوا هذه الجريمة النكراء بالخزي والعار.

يعيدها علينا ليعلمنا بأنّه مهما شط أعزار وبعدت الشقة بيننا وبين ذلك العهد، فإنّ صدى صوت الحق، الذي هو صدى صرختك المدوية يوم الطف وأنت وحيد فريد أعزل تلك الصرخة التي هدمت صرح الباطل، وأبادت كيان قوم خرجوا عن حدود النبل والشرف، سيظل ذلك الصوت مدوياً في الآفاق يدور مع الزمن، ويمشي مع التاريخ الذي لم يعرف مثيلاً لهذه الفاجعة قط، في أخبار جميع الأمم على الاطلاق.

يا شهيد الطف هذه ذكراك. تعرض علينا صور الشجاعة وقوة الجنان والتضحية إذ تخرج من مكة نحو العراق تلبية للدعوات الموجهة اليك من المشايعين، ولكن عند وصولك تجد أنّ الأمر قد انقلب في وجهك، وإذا بأولئك المشايعين الذين استقدموك سيوف مشهورة عليك، وإذا بمن رافقك من أبنائك وحرمك وأهلك وأصحابك، وهم لا يتجاوزون السبعين، يغدون ضحية الغدر وضحية الأطماع.

ففي كربلاء يخر أبناؤك وأصحابك صرعى أمامك في ميدان الخلود يستشهدون، ولكن ذلك عندهم أحلى من الشهد وأشهى من السلسبيل. لأنهم مع الحق وفي سبيل الحق، غير أنك رابط الجأش مستقر في نفسك على مواجهة الموت، كالطود لا يتزعزع، يمنعك إباؤك وشممك من النزول على (حكم ابن مرجانة) ثم إذا بالقوم غير عابئين لايهمهم سوى أنْ يحققوا لانفسهم متاع الدنيا الزائل، نابذين كل شيء وراء ظهورهم، فلا محمد، ولا قرآن ولا شريعته الإنسانية ولا الضمير ولا الشرف، أجل لا هذا ولا ذاك يمنعهم من السير في طريقهم الملتوية، لتحقيق اهدافهم الرذيلة، فيسقون الرضيع الظامئ الذي تخرج به اليهم برشق من سهامهم، بدل ماء الفرات الذي يحولون بينه وبين آل محمد ليرووا ظمأهم بحر السيوف، فتعود به إلى أمهِ مضرجاً بدمه، وانت مع كل ذلك امضى من السيف في عزيمتك. في سبيل المحافظة على بيضة الإسلام وكيان النبوة وتراث الرسالة.

وإذا بهذه الصورة التي تقابل بها انت وآلك من قبل هؤلاء من أبشع صور اللؤم والضعة في الأخلاق. ثم إذا بك وحيد فريد لا ناصر ولا معين، وسط قوم كانوا اللطخة السوداء في تاريخ الإسلام والمسلمين، وإذا بك تنادي ولا مجيب، وتستغيث ولا مغيث وإذا لا تسمع الا نفسك مردداً:

إنْ كان دين محمد لم يستقم إلاّ بقتلي يا سيوف خذيني

أيها السبط الأبي، ما أعظم ذكراك! دروساً في كيفية الدفاع عن المبدأ والعقيدة، وتوضح لنا حقيقة أهل الضلال، وتصور لنا يوم كربلاء الدامي المفجع في تاريخ الشهادة والشهداء. يوم سحقت بحوافر الخيل جثث القتلى الأبرياء ويوم علا رماح الكفرة المارقين رأسك ورؤوس أصحابك ويوم سبيت مخدرات الهاشميين ليقدمن هدية إلى يزيد الفاجر الفاسق.

ذكراك يا أبا الغرباء، رعاها الله، يحتفل بها المسلمون اليوم في مشارق الأرض ومغاربها، وكلهم يبكون مصرعك الذي صار لهم الجذوة المتقدة التي تحفز الهمم للدعوة إلى

نصرة الحق والتسامي بالنفس الإنسانية إلى ذرى العز والعظمة، وقد أضحت تلكم الذكرى مبعث الوحي، وذلك المنهل العذب الزلال الذي يرتشف من كل شاعر أو ثائر عندما يريد اخراج صورة صحيحة واضحة عن المثل العليا والأهداف السامية، وهي ذلك الصراط السوي الذي يسلكه كل من يريد الخروج على مغتصب أو النهوض في وجه ظالم.

ذكراك يا أبا المعصومين نور وهاج يعلن لمن ضربت على أعينهم غشاوة من صغار العقول وضعاف النفوس من الذين لن يتفهموا سر فاجعتك الكبرى التي غيرت وجه التاريخ إنّ الحق حق وهو العلي وإنّ كان المغلوب، وإنّ الباطل باطل مهما كثر عدده وإن كان الغالب.

وإنّك أنت ذلك الحق، وإنّك أنت ذلك الخالد. وإنّك أنت ذلك النبراس الذي يجب ان يهتدي به كل إنسان مهما كان دينه وجنسه إذا أراد السعادة وأراد الخلود.

تمضي الدهور ولا نرى إلّاك في	**الدنيا شهيد المكرمات جليلا**
وكفاك تعظيماً لشأوك موقف	**أمسى عليك مدى الحياة دليلا**
ما اخس الدنيا اذا لم تستطع	**ان توجد الدنيا إليك مثيلا**
بسمائك الشعراء مهما حلقوا	**لم يبلغوا من الف ميل ميلا**

ذكراك يا بن حيدرة تعرض علينا صوراً ناصعة للإباء والشمم، والعمل في طلب الحرية ومعاندة الجور ونبذ الذل والاستبداد وعدم المبالات بالموت في سبيل تحقيق المثل السامية وبلوغ الأهداف العالية.

وستظل هذه الذكرى مهما دالت الدول وثلت العروش منشورة اللواء يبزغ نورها من جديد كلما بزغ هلال محرم ستظل دائرة مع الفلك تعلم كيف يجب أن يكون الذود عن العقيدة والدفاع عن الكرامة وتهدي كل إنسان طريق السعادة وطريق الخلود.

فسلام عليك يا مثال الإباء والشمم وعلى آلك وأصحابك وألف سلام(٨٠).

(٨٠) مجلة البيان -النجف- العدد -١١، ١٢، ١٣، ١٤- السنة الأولى- ١٩٤٧/ ص٣٣٨.

المعاني السامية في ذكرى الحسين (عليه السلام)

بقلم: الأستاذ بدوي أحمد طبانة

أستاذ الأدب العربي بدار المعلمين العالية ببغداد

تمضي الايام، وتمر الشهور، وتكر السنون، والذكرى الخالدة، ذكرى الحسين، تتجدد فتبعث الأسى وتثير الشجون.

خطب أي خطب، خطب ينفطر له القلب ذلك الذي نزل بالمسلمين في مختلف الديار، ومتفرق الأمصار فأعمل فيهم الكروب وأدمى منهم القلوب، وقوض بنيان الأمة المرصوص وقضى على الشمل الملتم، وطوح بالطود الأشم، الذي صدعوا صف الزمن شرقيها وغربيها وذل له ما استقصى وفتح له ما استغلق من الصياحي والحصون.

لم يكد يندمل الجرح الذي أصاب المسلمين بقتل باب مدينة العلم، زوج البتول وسيف الله المسلول، وهيهات له أنْ يندمل وأنّى له أن يلتئم حتى تواكلت الكلوم، واثخنتهم الجراح لقد التمس المسلمون العزاء في أبي الحسنين، بهذه البضعة الطاهرة زينة الدنيا، وهداة الأنام في الحسن والحسين، في ريحانتي أكرم النبيين وسيد المرسلين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم.

بقيت الريحانتان بقي الحسن والحسين، يضوع نشرهما فيعطر الكون، ويصل الشذا العبق إلى قلوب المؤمنين المخلصين فيكون بلسماً لأفئدتهم الكليمة، وشفاء لجراحهم

الدامية! عزاء وأمنية ما أعذبها. فالولد سر أبيه وظل المسلمون يعللون أنفسهم بهذه البقية الكريمة، والاثاره الحبيبة يحرصون على هذا التراث الغالي، والوديعة الفريدة وينظرون إلى المجد المذخور في طيهما، ويرون فيهما طلعة رسول الله، وإشراق جدهما الكريم.

ولكن أكثر إيماض البوارق خلب، وإذا هذا الأمل الذي جهدوا في التطلع إليه والتعلق بأسبابه وعشيت عيونهم في ارتقابه، تسطو عليه المحن، وتعبث به عوادي الزمن فيهوى أحد الفرقدين وما طال به المقام.

وضلت الاعناق تشرئب إلى أخيه أبي عبد الله الذي انحصرت آمالهم فيه ووقفت أحلامهم عليه.

ولكن ترى أيسعدهم الزمن فيمكنهم من هذه الاماني العذاب؟ صحا المسلمون من هذه الإغفاءة اللذيذة التي عبرت كما يعبر الحلم اللذيذ، على الحقيقة المفزعة، على الفاجعة المروعة على الأمل المرتقب على ابن بنت رسول الله، وإذا الاستجابة للحق تحفزه فيلبي دعوة الحق والباطل، إلى زياد العتاة الجبارين عن الغاية المثلى، والمبدأ القويم. فيخوض الميدان أشبه بالأعزل إلاّ عن الحمية الملتهبة، والإيمان الراسخ وإذا ضربة من شقي فاجر تهوى على السبط الكريم فيجود بنفسه الزكية، وتصعد الروح الطاهرة إلى ربها راضية مرضية.

خر ابن الزهراء، وأحب البشر إلى سيد البشر صريعاً على أيدي الرجال صرعة الحر الأبي الذي عاف دينه السوم وأبى له الدنية، وكره له أنْ يكون لعبة يتسلى بها طلاب العاجلة وعبردة الدنيا الغابنة، أولئك الذي ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

عاد الطغاة مستبشرين فلقد نكلوا بقتيلهم، ومثلوا بعدوهم عدو الظلم

والاستبداد، عودة الذئاب الضارية والوحوش الكسرة والقساة الظالمين. وما يظلمون إلاّ أنفسهم وما يشعرون وعاد المؤمنون العارفون، يعزي بعضهم بعضاً، فهم في الرزء سواء، وفي الخطب شركاء عالمين إنْ قد كتب للحسين الخلود والحياة على مر العصور وتتابع الدهور ولسان حالهم يقول:

يامن بمقلته زها الدهر ... قد كان فيك تضاءل الامر

زعموا قتلت، ومالهم خبر ... كذبوا، وقبرك، مالهم عذر

ياقبر سيدنا المجن سماحة ... صلى الاله عليك يا قبر

ما خبر قبر فيه شلوك ساكن ... إلا يمر بأرضه القطر

فلينبعن سماح جودك في الثرى ... وليورقن بقربك الصخر

وإذا غضبت تصدعت فرقاً ... منك الجبال وخافت الذعر

وإذا رقدت فأنت منكبه ... وإذا انتبهت فوجهك البدر

والله لو بك لم ادع أحداً ... إلاّ قتلت لفاتني الوتر

عودة إلى أمس الدابر، ونظرة إلى اليوم الحاضر ترى هل أشر الزمان وهل عبث بذكرى الحسين الملوان؟ إنّ في هذا الحشد الحاشد أمس واليوم لجواباً دونه كل جواب وفي هذا الجمع الزاخر الكريم فصل الخطاب[٨١].

(٨١) مجلة البيان -النجف- العدد -١١، ١٢، ١٣، ١٤- السنة الأولى- ١٩٤٧/ ص٢٩٤.

أسرار الشهادة

بقلم: أحمد رضا

عضو المجمع العلمي بدمشق

تعود عاشوراء من المحرم كل عام وتعود معها ذكرى الفاجعة الكبرى فاجعة كربلاء تلك التي لم يخلقها كرور الأزمان ولا تعاقب الأجيال والأعوام وإن في ميدان هذه الوقعة فئتين.

فئة تقاتل في سبيل الحق وفي سبيل المبدأ الصالح والتعاليم الفاضلة التي بني عليها الإسلام وبها علت كلمته وبه عز سلطانهم وبه كان العرب أمة فوق الأمم وبه محو تلك الظلمات الداجية ظلمة الشرك وظلمة الجهل وظلمة العصبيات القبلية الممقوتة التي فرقت كلمة العرب وجعلتهم عبابيد ومزقتهم كل ممزق تسيل دماؤهم وتفنى رجالهم لأجل عش قبرة أو سبق فرس تلك العصبيات التي يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيها:

(ليس فينا من دعا إلى عصبية).

قامت هذه الفئة إلى جهادها لما رأت أن المعروف لا يؤمر به والباطل لا يتناهى عنه على قلة العدد وخذلان الناصر بقلوب ملؤها الإيمان والتضحية وإنكار الذات والعمل لخير الإنسانية وتهذيبها ونصرة المبدأ النافع والعقيدة الصالحة تقدم على الموت الزؤام وفناء الأجسام بل على التمثيل بها أشنع المثلات وعلى هتك الحرمات عالمة بأن

ذلك كائن لا محالة ولكن قليل في جنب نصرة الحق حتى لم يكن لهم غيره غاية وراضوا أنفسهم على محاربة الطغيان فلم يبق له عليهم سلطان لا يبالون بالقوة القاهرة الظالمة مهما عظمت لأن إيمانهم أعظم وأثبت من كل قوة في نفوسهم وتضحياتهم أرسخ من كل خلق تمكن منهم.

وفئة أخرى تقاتل في سبيل الدنيا وباطل نعيمها ليبلغوا مدى أحقادهم ويعتزوا أياماً تمر كأنها أحلام في سلطانهم لم يؤثر فيهم تهذيب الهدى الإسلامي أثره لأنه لم يتجاوز حناجرهم ولم يدخل حنايا قلوبهم وقد كان لهم في الجاهلية الجهلاء شيء من السلطان على بلد مجدب وعشائر جمعوها حولهم بحكم العصبية الجاهلية القبلية التي نهى عنها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وهي التي فرقت شمل العرب وأخمدت ذكرهم بين الأمم – كان لهم ذلك– فإذا هم بعد هذا في سلطان واسع ونعمة كانوا فيها فاكهين وقديماً احرزوا بعض السلطة بالتفريق والعصبية فما بالهم لا يرجعون إلى طريقتهم الأولى (فرق تسد) وهم إنما دخلوا في الإسلام كرهاً بعد أن علا أمره وغلبت كلمته فليس لهم سابقة ولا قدم صالح فيه فكيف يثبت لهم الأمر..؟!

ما برحت نفوسهم تلك البغضاء لولا الحق فكانوا يريدون هدم الهاشميين بإعزاز هذا الدين ليضعفوا أثره في النفوس فيستأثروا بالسلطان.

ينهض أبو سفيان بن حرب يوم بويع أبو بكر يحرض ويحرش ويفرق فلم يسمع له صوت والدين ما يزال غض الأهاب.

ويقوم شاعرهم ليلقي الفتنة بين المهاجرين والأنصار يومئذ وفي تآلفهم كان عز المسلمين ونصرتهم فيخفت صوته بقوة إيمان الهداة المصلحين.

ولا يلبث أبو سفيان يوم بويع عثمان أن يقول تلقفوها يا بني أمية فوالذي بيده نفس أبي سفيان لاجنة ولا نار.

ويعمل مروان بن الحكم طريد رسول الله وهو مدير أمور الخلافة في زمن عثمان في جلب الفتنة والشر بين المسلمين.

ويقوم بعد ذلك معاوية بانتهاج هذا السبيل بدهاء وخداع بلغ بهما الغاية حتى إذا ولي يزيد فنفذ حكم أسرته وجاهر بأمجاده وهو يقول.

لعبت هاشم بالملك فلا   خبر جاء ولا وحي نزل

وانصرفت وجوه الناس يومئذ عن الاستمساك بعروة الدين إلى العصبيات فهاجت العصبية بين اليمن ومضر ولكل حزب يفخر بقومه ويهجو الآخرين.

وقام الأمويون وشاع في دولتهم احتقار كل من دخل الإسلام من الأعاجم ليبعدوهم عن هذا الدين فكان من ذلك نشأة الشعوبية في الإسلام وكانت أول هادم لسلطان العرب هذه هي الفئة الثانية التي وقفت في كربلاء مقابلة للفئة الأولى.

قامت هذه الفئة لحرب كربلاء وقد.

ملأوا الفضاء على ابن فاطمة   جنداً وملء قلوبهم ذحل

قامت بألوف مؤلفة وجيوش محتشدة وبعوث متتابعة وعدة وعديد في قبالة مائة مجاهد ليس لهم سلاح أقوى من الإيمان يصرعون بطلاً بعد بطل تفيض وجوههم سروراً بالموت مما عرفوا من الحق لا يعتريهم هلع ولا جزع بعد أن باعوا نفوسهم لله وللحق يوفون ببيعتهم ويستبشرون بصفقتهم الرابحة.

حصروهم في رقعة من الأرض بغير وزر ومنعوهم المناعة لتضعف قوهم وتنهك جسومهم بحر العطش ولكنهم لم يصرعوا حتى صرعوا أضعاف عددهم من القوم الظالمين وحتى طلب ابن سعد النجدة من ابن زياد.

ثم لم يشف أضغانهم أن أفنوهم عن آخرهم وقتلوا الأطفال حتى سبوا النساء الفاطميات مسلبات على الأقتاب العارية من العراق إلى الشام.

فما كانت العاقبة...؟

إن الفئة ذات القوة والسلطان القاهر تمكنت من الغلبة لامن النصر والنصر آخر ما يفوز به المحارب.

كانت هذه المعركة وهذا العمل الفظيع من أقوى الأسباب التي ذهبت بسلطان بني أمية ولو بعد حين.

ولم يلبثوا أولئك الذين اتبعوا ناعقهم وتبادروا لنصرهم واشتروا الضلالة بالهدى والدنيا بالدين والعاجل بالآجل لما برق لهم الطمع فاستحفظوا إليه موجفين. أن تشتت شملهم ولعبت بهم سيوف التوابين ورجال المختار بن أبي عبيدة وقامت عليهم قيامة الأمة تلقنهم وتتبرأ منهم ولم يتمتع عمر بن سعد بملك الري الذي أغروه به ولا انتفع ابن زياد بملك العراق الذي حرص عليه وقتل مذموماً مدحوراً وهكذا شأن كل من ساعد وعاون على باطل القوم.

وكان أمر أولئك المجاهدين الصابرين أنصار الحسين أن علا شأنهم وكانت لهم الدرجات العلى في الآخرة والدنيا والذكر المقرون بالإعجاب والإكبار والإعظام بل أمثولة يحتذيها كل طالب للحياة الصالحة الحياة الدائمة وهي حياة الروح.

ألا أن قتلى الطف من آل هاشم تأسوا فسنوا للكرام التآسيا

وهكذا تكون سيرة كل شهيد في سبيل الحق:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾.

وإنما المرء حديث بعده فكن حديثاً حسناً لمن روى[٨٢]

(٨٢) ذكرى أبي الشهداء –حفلات الشباب النجفي– إخراج دار الغري– من دون تاريخ/ص٤.

لماذا نهض الحسين؟

بقلم: الأستاذ عبد المنعم الشميساوي

مدير مدرسة جمعية التحرير الثقافي

لواقعة الطف عوامل وأسرار كثيرة، ولعل الظلم والإستبداد والتلاعب بالقوانين المقدسة من جهة، والوعي والتذمر من جهة أخرى ضد ذلك الظلم هي الأسباب الوحيدة والعناصر الفعالة في كل نهضة في العالم. يتلمس ذلك كل من قرأ تاريخ الثورات ووقف على أسرارها.

لقد تعود المسلمون من حين أن رن في آذانهم صوت محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن لا يعرفوا إثرة لسلطان أو ميزة لحاكم فالدين للجميع والحق للآمة والخليفة أو الحاكم واحد منهم له ما لهم وعليه ما عليهم حتى أن ابتز الحكم آل أبي معيط فإذا الأثرة النفسية والفوضى في الحكم طابعهم الخاص. نعم فما أن تسلموا دفة الحكم حتى انغمسوا في ملاذهم وشهواتهم متجاهرين بأنواع الفسق والفجور إذ لم يقيموا للنواميس الإسلامية ولا لحقوق الأمة أي وزن وإحترام.

أجل لقد تجلت هذه الصفات بأبشع مظاهرها في حكم يزيد. فقد كان لا يعرف من حياته – في خلافته– سوى غناء الجواري وشرب الخمور وسفك دم الأبرياء إلى غير ذلك من الموبقات التي يندى لذكرها جبين الإنسانية، ولا يندى لها جبين الأمويين.

ولا غرابة إذا كانت حياته مليئة بأفظع المنكرات متخذاً أمر الخلافة استعباداً إذا عرفنا أنه عصارة أبي سفيان الذي يقول (تلاقفوها يا بني أمية تلاقف الكرة بيد الصبيان فوالذي يحلف به أبو سفيان فلا جنة ولا نار ولا معاد) وإذا عرفنا أنه خلاصة أبيه معاوية حيث يقول (ما قاتلتكم لتصوموا ولا لتصلوا ولا لتحجوا وتزكوا وإنما قاتلتكم لأتأمر عليكم) فما عسى أن يكون من تغذى بتلك الآراء حين يتسلم دست الخلافة ويتولى رقاب المسلمين ويرقى منبر الرسول ويجلس للقضاء بينهم: نعم فإنهم رأوا عهداً لم يكونوا بالغيه من قبل. عهداً لم يكن الكتاب هي الدعامة لعرش الخلافة، ولا السنة المحمدية هي المفزع عند الملمات، وإنهم رأوا قوانين وأحكاماً تتنافى وما للمسلمين من مقدسات. فقد كثر قتل الأبرياء وساءت أحوال المسلمين وتفشت الفوضى وشملتهم الفاقة والفقر مع استهتار يزيد وظلم أشياعه عند ذلك هتف المخلصون من أعماق نفوسهم فانقدحت شرارة في وجه الظلم والاستبداد كما انقدحت الشرارة الأولى من بيت عبد المطلب في وجه الجاهلية العمياء – ومن غير الحسين اذا لم يشنها حمراء تظن بها العدا – فكان من الضروري أن تتطلع الأمة إليه وكرسي الخلافة يستغيث بإمام يحكم الأمة وهو يحمل الكتاب المجيد في يمينه والسيرة النبوية في شماله فيعيد إلى الناس اطمئنانهم ويهديهم إلى الصراط السوي.

وعندما نظر الحسين عليه السلام إلى اضطراب أحوال المسلمين وإلى ما حاق بهم من الظلم والجور ورأى ما آل أمر الدين والعقيدة من انهيار، وتفسخ ومن إنه اصبح العوبة بيد يزيد وعماله نهض حفيد محمد صلى الله عليه وآله وسلم في وجه الأمويين بعقيدة راسخة وإيمان ثابت لينقذ المسلمين من ذلك الظلم والأستعباد وينتشل الدين من أيدي المجرمين الذي أرادوا أن يطفئوا نوره الوضاء فأحيى بموته الدين، وأقام بمصرعه العدل بعد حين(٨٣).

---

(٨٣) مجلة النشاط الثقافي–النجف–العدد –٨– السنة الأولى– ١٩٥٨/ص٤٨٧.

من الذكرى الخالدة

بقلم: الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي

كلية اللغة العربية بالأزهر الشريف / القاهرة

أيها القارئ الكريم: كان الحسين عليه السلام سبط الرسول، وولد البتول، وابن علي سيف الله المسلول في الذروة العليا من الفضل، والمنصب الأسمى من ميراث النبوة، نشأ في كنف الرسول ورعايته، وبرّه وعنايته، وكان ميلاده بالمدينة في شعبان سنة أربع من الهجرة، وسماه الرسول حسيناً وكان أشبه أهل البيت برسول الله، فكان نبيلاً سرياً، وإماماً عبقرياً، وكان يقول الرسول فيه وفي أخيه:

(الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة).

ويقول:

(هما ريحانتاي من الدنيا).

وقد آتاه الله العلم والحكمة، ووهبه ما شاء أن يهبه إيا من سني الخلال، ورفيع الآداب، وكريم الأخلاق، وبارع البيان والفصاحة، وسديد الإلهام ونفوذ البصيرة، وشمول الفكرة وعمق التجربة والخبرة بالحياة وأحداثها، وعظمة الشخصية، وجلال الإيمان والإقدام في سبيل الحق وحب التضحية لخير الجماعة ومن أجل الدفاع عن الرأي ورد الظلم عن الأمة.

كانت أقواله وأفعاله تجل عن حكمة الحكماء وعن أن توصف بأوصاف القادة والزعماء، وكان شجاعاً في الحق لا يرهب الردى، ولا يخشى الأذى، ولا يخاف لومة لائم في سبيل الله... ومن ثم كان الصخرة التي تتحطم عليها رؤوس الطغيان والجبروت، الظل الوارف الذي يستظل به المحروم والمظلوم.

كان عليه السلام المثل الأعلى في الوفاء والإباء والتضحية والفداء، وكان بطلاً عظيماً في حياته ومماته، ولقد ضرب أروع الأمثال للناس في إيثار الحق، ونشد أن السلام وكفاح قوى الشر التي تضلل الإنسانية، ولا تعترف بحق الناس والشعوب في الكرامة والشرف والحرية وكان عليه السلام فذاً في الشجاعة والبطولة، وفي مروءته وفتوته، وحسبكم مواقفه الخالدة يوم الطف.

وقد مضى حياته في الله ولله، ثم لما شاهد دولة معاوية وابنه يزيد تنقلب بعد الخلافة الرشيدة إلى ملك عضوض وتحيد عن الصراط السوي القويم، حمل السيف، وخرج من مكة إلى العراق مهاجراً إلى ربه، ومعه أهل بيته وهو يقول للمتبسطين والمحذرين

(إني رأيت رؤيا، ورأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمرني بأمر، وأنا ماض له).

حمل السيف ليقاوم ويذود عن المظلومين، ولينشر في الدنيا هدى جده خاتم النبيين، وليمحوا منها مثل السوء الذي أذاعه فيها البغاة من آل أمية.. وخرج عليه السلام ومعه نساء بيته وأطفاله، لا يحمل نشباً ومالاً، وإنما يحمل قلباً يزول بإيمانه الجبال، ويهز بقوته في الحق الأبطال... وقف الإمام الشهيد الحسين عليه السلام يوم الطف هو وأنصاره موقفاً رائعاً خالداً على الزمان، حتى استشهد في سبيل الله لعشر ليال خلون من المحرم سنة إحدى وستين، فهز مصرعه عرش يزيد، وزلزل دولة بني

أمية، وقضى أخيراً على دولة الشر والظلم من الأرض علّمنا الحسين عليه السلام التضحية بكل ما نملك في سبيل الأمة وخيرها وحريتها، وعلّمنا البذل والفداء في سبيل الحق ورفع الظلم عن المظلومين، وعلّمنا الشجاعة والبطولة والإيمان بالكرامة والاعتزاز بالنفس وأن نحاول الطغاة بأن لا يسلبونا إيماننا ونستعز بأنفسنا وحرياتنا.

وعلّمنا كل معنى كريم من معاني المجد والعظمة والعبقرية، وعلمنا أن نحيا كراماً ونموت كراماً. وأن نحرص على الموت لتوهب لنا الحياة. وأن نؤمن بالله إيماناً عميقاً ونمتثل إرادته ونحاول أن ننشر هديه في الأرض وأن نحقق كلمته، التي هي كلمة الحق والخير والسلام والحرية..[٨٤].

(٨٤) مجلة الغري -النجف- العدد -٢- السنة الخامسة عشرة- ١٩٥٣/ص٢٨.

مواقف الحسين الخالدة

بقلم: الأستاذ حسن الجواد

مدير التعليم الثانوي العام

ايها المواطنون الأعزاء..!

إنني لم احضر هاهنا لأندب امامكم أو أنوح، ولم اقم خطيباً فيكم لأستدر منكم الدموع على مصيبة سيد الشهداء، ذلك لأن العشرة الأولى من المحرم قد كفتني هذا العناء فقد أديتم خلالها من الواجب الديني ما أرضى الله والملائكة وأرضى محمد والأئمة الأطهار من أهل بيته.

إنني أقصد من كلمتي هذه أن أحدثكم عن شيء قليل من النهضة الحسينية وما فيها من قوة وحق لأتعاون واياكم على ان نستمد من تلكم القوة وذلكم الحق روحاً جديدة، روحاً وثابة تأخذ بيد هذه الأمة، بما فيها من شباب ناهض متجدد فتجعلها أمة ذات كرامة قادرة على الوقوف في معترك الحياة الجديدة التي تجتازها شعوب الأرض اليوم.

سادتي من منكم لا يعرف أن الحسين الشهيد هو ابن سيدة النساء فاطمة الزهراء..؟ ومن منكم لا يعرف ان جده الأقرب هو محمد رسول الله وباعث النهضتين الإسلامية والعربية..؟ ومن منكم لا يعرف أن جدته خديجة الكبرى نصيرة الرسالة

المحمدية..؟ ومن منكم لا يعرف أيضاً أن أباه هو الإمام علي بن أبي طالب كاسر الأصنام وحامي بيضة الإسلام في أكثر الغزوات المحمدية..؟ اعتقد أنكم كلّكم تعلمون ذلك حق العلم، وتؤيدون معي إن الحسين ربيب بيت قائم على الشرف والإيمان والشجاعة والكرم.

نعم في بيت النبوة هذا ولد الحسين فورث هذه المزايا الأربع: الشرف والإيمان، والشجاعة والكرم.

ولكن (سادتي) هل تعلمون أيضا أن الإمام الحسين لم يكتف بهذه المزايا الموروثة فأضاف إليها صفات جديدة دوت خالدة في التاريخ فسجل بها للأجيال القادمة أروع صفات المجد والخلود.

سأروي لكم الآن بعض الصفحات من نهضة الحسين وأرجو أن تصبروا على ما فيها من مواقف ومشاهد رائعة تملك عليكم قلوبكم وتأخذ بألبابكم. وقد اخترت لكم المواقف الثلاثة التالية:

(١) موقف بينه وبين أصحابه.

(٢) موقف بينه وبين أعدائه.

(٣) وموقف بينه وبين نسائه.

الموقف الأول

بات الحسين ليلة العاشر من المحرم ومعسكره يغلي كالبركان نساء حائرات، أطفال عطاشى، شيوخ سجود وركوع وشبان يعدون العدة ويصلحون السيوف لقتال أعدائهم. أما سيدهم، وقد رأى عصراً الأعداء تحيط بمعسكره من كل جانب وتسد عليه الطرق والمسالك، استعظم أن يجد في مخيماته ضعاف الإيمان من أصحابه وخشي أن يؤثر في نفوسهم جزع الموقف وحراجته فأخذ يطوف البيوت خيمة خيمة ويوصي

الرجال بالرحيل إلى أهليهم والانفضاض عنه فلم يجد بينهم إلاّ من اشترى الموت بالحياة وقد ازدادوا تكتلاً وتحمساً لدينه ومبدئه فصادف أحد خدامه فقال له:

(يا جون إنك تبعتنا للعافية فما عليك إلاّ أن تأخذ هذا الطريق في ظلام هذا الليل وتتخذه لك جملاً).

فانتفض العبد كمن أصابته هزة كهربائية وقال: «سيدي أبا عبد الله إنني في أيام الرخاء ألحس قصاعكم وأيام الشدة أخذلكم. لا والله. سيدي..! إن لوني لأسود وأن حسبي للئيم فلا فارقتك أبا عبد الله حتى أقتل بين يديك فيبيض وجهي ويكرم حسبي). فجزاه الحسين خيراً.

تلاحظون من هذا الموقف أن الحسين لم يشأ أن يخدع أحد من أصحابه ليسوقه إلى الحرب قسراً. وقد خبر أصحابه تلك الليلة اختبار القائد المحنك وعرف نواياهم فضرب بهم مثلاً رائعاً في الطاعة والجهاد بين يدي الزعيم...

الموقف الثاني

لما وقف الحسين وحيداً بين الصفوف وقد قتل جميع أصحابه وأهل بيته، ولم يبق بينه وبين الشهادة إلاّ مدّة قصيرة من الزمن رأى ببعد نظره أن لا يترك أعدائه يقترفون جريمتهم بدون موعظة يعظهم فيها وإنّ من الإنصاف أن ينذرهم وخامة العاقبة في الدارين ويلقي عليهم الحجة فقال:

«ألا إنّ الدعي بن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة، وهيهات منا الذلة، يأبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون، لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقر إقرار العبيد، لقد استحوذ عليكم الشيطان، فأنساكم ذكر الله العظيم، فتباً لكم ولما تريدون».

فأجابه شمر بن ذي الجوشن بسهم وقال: «هذا جواب وعظك يا ابن فاطمة».

فتم للحسين ما أراد فألقى عليهم الحجة ثم أخذ يبارزهم وقاتلهم قتالاً شديداً حتى قال فيه أحد أعدائه: والله ما رأيت مكسوراً قط قد قتل أهل بيته وأصحابه أربط جاشاً من الحسين فقد كانت الرجال لتشدّ عليه فيشدّ عليها فتنتشر بين يديه انتشار المعزى إذا شد فيها الذئب.

لقد ضرب بموقفه هذا مثلاً أعلى في الإيمان والصبر والشجاعة والإباء رغم ما كان عليه من ضعف سببه نزيف الدماء ومن آلام تركها فراق الأحبة والأصحاب.

الموقف الثالث

لما جاء الحسين يودع نساءه وأطفاله الوداع الأخير أوصاهم بوصايا مختلفة واحدة واحدة ثم قال لأخته الكبرى:

(يا زينب إذا أنا قتلت لا تشقي عليَّ جيباً ولا تخمشي علي وجهاً. ثم نادى في تلك الساعة الرهيبة من يقدم لي جوادي...؟).

فقامت أخته الكبرى فأسرجت له الجواد وألجمته ثم قدمته إليه ليركب ويعود إلى جهاد أعدائه. وبهذا الموقف ضرب الحسين لنسائنا وبناتنا مثلاً أعلى في الخدمة التي تستطيع أن تقدمها المرأة حتى في ساحة الحرب والجهاد فتسد فراغاً قد يحدثه فقدان الرجل عند الشدة.

وبالاختصار:

إن الحسين بن علي بما يملكه من مزايا عالية موروثة من البيت الهاشمي، وبما أضاف إليها من مزايا سامية اختصّ بها هو نفسه، استطاع أن يجعل من نهضته قوة وحقاً بعثهما خالدين في الأجيال خلود الزمن وهما لا شك سر عظمته وخلوده في التاريخ[٨٥].

---

(٨٥) مجلة البيان -النجف- العدد -١١، ١٢، ١٣، ١٤- السنة الأولى- ١٩٤٧/ ص٢٩١.

لماذا قتل الحسين (عليه السلام)؟

«والجود بالنفس أقصى غاية الجود»

بقلم: عبد الهادي المختار

كان معاوية مصروف الهمة إلى تدبير الملك. يهون عليه كل شيء اذا انتظم أمره له فلما مرض مرضه الذي مات فيه دعا ابنه فأوصاه بعدة وصايا منها:

إني لست أخاف عليك أن ينازعك في هذا الأمر إلاّ أربعة من قريش: الحسين بن علي وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن أبي بكر فأما ابن عمر فرجل قد وقذته العبادة وإذا لم يبق أحد غيره بايعك وأما ابن أبي بكر فإن رأى أصحابه صنعوا شيئاً صنع مثله ليست له همة إلاّ في النساء واللهو وأما الحسين بن علي فهو رجل خفيف ولن يتركه أهل العراق حتى يخرجوه فإن خرج وظفرت به فأصفح عنه فإن له رحماً ماسة وحقاً عظيماً وقرابة من محمد. وأما الذي يجثم لك جثوم الأسد ويراوغك مراوغة الثعلب فإن أمكنه فرصة وثب فذاك ابن الزبير فإن هو وثب عليك فظفرت به فقطعه إرباً إرباً.

هذا بعض ما وصى به معاوية ولي عهده وخليفته من بعده يزيد وهذه الوصية تناقلها المؤرخون مع بعض التحريف فيها والتحوير إلاّ إنني أشك في صحة قسم منها. في القسم الذي يختص بالحسين عليه السلام ولي في شكي هذا عذر هو أن معاوية لم يتردد في دس السم للحسن عليه السلام حتى بعد ما بايعه وتنازل له عن الخلافة فكيف

يوصي ابنه يزيداً بالعفو عن أخيه الحسين إن هو ظفر به..؟

لم يكن معاوية بالذي يرعى لرسول الله حرمة أو قرابة حتى يوصي ابنه يزيد برعاية آل محمد. كلا أبداً فقد حارب الرسول في الجاهلية حتى أسلم كرهاً يوم فتح مكة. ثم حارب صهر الرسول وخليفته وابن عمه علياً ونزا على خلافة المسلمين وانتزعها قهراً وقوة وسم ابن بنت الرسول الحسن، فهل يصدق بعد كل هذا أن يوصي بمثل ما أوصى به..؟ قد يكون قد أوصاه أنْ يغتاله سراً ويدس له السم، ويبعث له من يطعنه بليلٍ. ربما كان هذا الفرض أقرب إلى الصحة من تلك الوصية.

ولكن المؤرخين – سامحهم الله – أرادوا إلا أن يبرؤا ساحة الأب ويلقوا جميع التبعات على الإبن وهما في الحقيقة غرس إثم واحد وثمرة جريمة واحدة.

أما ولي العهد يزيد فقد كان موفر الرغبة في اللهو والقنص والخمر والنساء والشعر لذلك لم يبال بارتكاب أعظم إثم في الإسلام فيسفك أطهر دم ويهدم أقدس بيت ويستبيح آمن حرم.

ولو أن الوصية المزعومة كانت صحيحة لما كان يزيد لاهم له بعد موت أبيه إلاّ تحصيل البيعة من الحسين وتشديده على عامله بالمدينة بلزوم إجبار الحسين على البيعة.

ولما كان الناس على دين ملوكهم. وكما تكونوا يولّ عليكم فقد كان عمال يزيد ممن هم على مشاكلته ومشربه ومن التف حوله وحولهم من حاشية لا يقلون عنه وعنهم قبح سيرة ومجاهرة بالإثم واشتهاراً بالقبائح والفضائح.

لا عجب بعد هذا أن يرتكب يزيد أعظم جرم في الإسلام ولا غرابة في أن يقوم عبيد الله بن زياد بن سمية بتنفيذ ذلك الجرم. ولكن العجب كل العجب والغرابة كل الغرابة أن يستمر حكم الدولة الأموية مدة أثنين وتسعين سنة وهي على ما هي عليه من بطش وسفك للدماء وانتهاك للحرمات وقضاء على الحريات وفسق وفجور وتنكيل

واعتداء ولا يعلم إلاّ الله كم كان يدوم حكمها لولا جرائمها وما اقترفته أيدي خلفائها وأمرائها وولاتها اللهم إلاّ باستثناء عمر بن عبد العزيز منهم..!!

من يدري ربما دامت أجيالاً وقروناً ولكن الظلم له حد وهو أن دام دمر وما ظالم إلاّ ويُبتلى بأظلم، ولله عاقبة الأمور.

كان الحسين عليه السلام قد اعترض على أخيه الحسن عندما تنازل عن الخلافة لمعاوية ونصحه أنْ لا يفعل ذلك ولكن الحسن أفهمه بأن يريد حقن دماء المسلمين قبل كل شيء ومن ثم إلقاء الحجة على الظالمين فالناس قد أصبحوا عبيد المال لا عبيد الحق لذا قل الناصرون وكثر المناوؤن. واقتنع الحسين بحجة أخيه ثم حدث أن دس السم للحسن فكان ذلك أبلغ حجة وأوضح عذر لذلك التنازل وعندها علم الحسين أن بني أمية لا تكف أيديها عن بني هاشم حتى بعد أن بايعوا لهم ويلقوا بمقاليد الأمور إليهم ويسلموا الخلافة لهم.

آثر عليه السلام السكوت طيلة حياة معاوية وبعد وفاة أخيه الحسن لا لأن معاوية كان عادلاً وخليفة حقاً بل رعاية لعهد أخيه وأداءً لواجب الوفاء وحرفة لبيعة أخيه. وأخيراً ربما يموت معاوية فيولي المسلمون أمورهم من هو أهل لها ويقلدوا خلافتهم من هو أولى من معاوية بها. قد يعودون إلى رشدهم و يثوبون إلى ضمائرهم فيعود الحق إلى نصابه.

ثم عهد معاوية بالأمر من بعده إلى ولده يزيد. فسكت الحسين أيضاً إذ لعل الأمر ينقلب بعد موت معاوية. ولو أنه جاهر وصرح ونادى في مواطن عديدة ومواقف كثيرة بأن يزيد ليس أهلاً للخلافة وأن معاوية قد ارتكب أعظم إثم في عهده لابنه ولكنه لم يترو ولم يشهر السيف انتظاراً لما سيأتي به الغد ففي الغد أسرار.

ولي الأمر يزيد وأصبح- لسوء حظ المسلمين- خليفة عليهم فلم يسع الحسين

عليه السلام السكوت على ذلك المنكر وهو حفيد الرسول ونجل علي فامتنع عن البيعة لخليفة انصرف عن رعاية المسلمين إلى رعاية القرود والكلاب والفهود.

كان الحسين يعلم حق العلم إنّه لا طاقة له بمناهضة الطغيان والجبروت والظلم والتعسف فأنصاره وأعوانه وهم أنصار الحق وأعوانه قليلون، أما الأكثرية المطلقة من الناس فهم عبيد المال رقيق للدنيا قد استهواهم بريق الأصفر الرنان وأخذ بلبهم رنين الذهب وأمات حب الدعة والسكون فيهم كل عاطفة وقضى حب الشهوات على كل شعور وطغى حب الحياة على كل فضيلة.

كان الحسين يدري أنه مقتول. بايع ليزيد أو لم يبايع فقد سم أخوه الحسن بعد أن بايع لمعاوية ويزيد لم يكن أعف من والده ولا اتقى حتى يتحرج من الدس إلى الحسين والإيقاع به. موت على كل حال وموت تحت خفق البنود ولمع السيوف وبريق الأسنة أشهى إلى نفس عالية كنفس الحسين سليل النبوة من ميتة عادية على فراش بعد بيعة تأباها نفسه الكريمة لرجل مثل يزيد.

ويزعم بعض المؤرخين أن الحسين عليه السلام قد أخطأ - وحاشاه عما يقولون- بتركه الحجاز وذهابه إلى العراق وعدم اعتصامه بمكة والتجائه إلى من خانوا أباه وأخاه وتصديقه لوعودهم له بعدما خبرهم وعرفهم.

أقول: إنه لم يعتصم بمكة لأن أمية لا يعظم عليهم أبداً انتهاك بيت الله الحرام وقد انتهكوا حرمته فعلاً عندما حاربوا عبد الله بن الزبير ولم يعتصم بالمدينة وقد استباحوها بعد ذلك ولم يراعوا حرمة الرسول لم يشأ الحسين أن تضاف بسبب اعتصامه بمكة والمدينة سيئة أخرى إلى سيئات بني أمية وهو سليل من أرسله الله رحمة للعالمين. لم يشأ عليه السلام أن يسفك دمه الحرام في البلد الحرام وأن يحرم المسلمون من الحج إن حوصروا ودام أمد الحصار.

كما إنه لم يصدق حرفاً مما كتبه إليه أهل الكوفة إذا كان يعلم حق العلم انهم قوم

لا يصبرون على طعام واحد خذلوا أباه وتآمروا على أخيه قوم لا يركن إليهم البتة.

سار إليهم إلى أهل العراق وهو يدري نتيجة مسيره واصطحب معه أفراد أسرته وعائلته وهو أدرى الناس بمصيرهم ولقيه نفر وحذروه العاقبة وهو أعرف منهم بها. ثم وصل والتقى بمن كاتبه وراسله وبايعه فأنكروا وتبرأوا وتنصلوا. ثم طلب الرجوع إلى بلده فأبوا وامتنعوا. وتنازل فطلب الذهاب إلى يزيد – عله يتمكن من هدايته إلى الطريق السوي– فجحدوا وأصروا إلاّ النزول على حكم ابن مرجانة سليل بن سمية وهو ما تأباه النفوس الأبية والضمائر الحرة والقلوب السامية.

موت وقتل بايع أو لم يبايع نزل على حكم يزيد أو لم ينزل سلم نفسه إلى ابن زياد أو لم يسلمها.

لم لا يموت اذن وقد القى عن كاهله الشريف عبء النصيحة وثقل الحجة..؟

لم لا يضحي بنفسه وروحه وأرواح من تابعه في سبيل الإباء والعزة..؟ ومن أحق بالتضحية من شبل علي.. حفيد محمد..؟

جعل من نفسه الشريفة قنبلة تحت عرش الدولة الأموية فهو إن لم يتمكن من دك ذلك العرش في حياته فسيكون موته شهيداً مدعاة قوية لتحطيم تلك الدولة وانحلالها.

ولاقى قبيل مصرعه مالم يلاقه بشر قتل أولاده وأطفاله وأتباعه. ومثل بهم وضجّت نساؤه عطشاً وولهاً. ثم أسلم نفسه بعدما تمزق جسده. وسالت دماؤه واضمحلت قواه. ولاقى الناكثون جزاءهم فقد سلط عليهم المختار والحجاج ولاقت بنو أمية جزاءها وما جنت أيديها فقد تولى أمرهم السفاح وأخيراً أعود فأكرر عجبي واستغرابي من دوام حكم الدولة الأموية مدة اثنتي وتسعين سنة بعد مقتل الحسين وهدم الكعبة واستباحة المدينة وملك مثل مروان ويزيد بن عبد الملك والوليد بن يزيد. ولكن لله في خلقه شؤون إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً[٨٦].

(٨٦) مجلة الغري –النجف– العدد –٩، ١٠– السنة الثامنة– ١٩٤٧/ص١٩.

النهج المطلوب

بقلم: الأستاذ عبد الصاحب المختار

إن لمن المستغرب حقاً أن نجد معظم النخبة الواعية من فلاسفة المسلمين وأدبائهم عاكفين عن طريق ملؤه هداية وضياء وعبرة وإرشاد وفلسفة وسياسة لأن يبذلوا أوقاهم ويصرفوا جهودهم بالنقب في ضلال بعض السبل الضئيلة المورد باحثين ومدققين عن دروب الهداية بين صفحات الماضي والحاضر في مسالك العظماء من البشرية ليخلصوا من أبحاثهم بين آونة وأخرى بظفر تحنُ إليه نفوسهم وكأنها مطمأنة إلى قياسها بواجب من الواجبات الملقاة على عاتقها واجب استخلاص المثل العليا لأفراد الأمة من سير الزعماء لتوجيههم نحو تلك الفضائل لينيروا بذلك الظفر جزءاً من سبل الجهل والضلال بين العامة كاتبين ومحاضرين عن أعظم السير صفحات.

ظفر في فلسفة فلان وآخر في سياسة فلان وثالث في جهاد فلان من سير جزئية انبعث شملها في شخصيات شرقية أو غربية اكتسبت من معاني العظمة شيئاً أسبغ عليها صفات القدوة أو شاء القدر لأن تكون كذلك زماناً ومكاناً ساعداها على ما وصفت به وما بدت فيه حسبما ترآى للأبصار.

وفي مثل هذا الشهر من كل سنة والباحثون في جدياهم تلك وبينما لا يركن الإسلام للاستفادة من آثار تلك السير نجد الشعوب المسلمة في كآبة تمور نأدبة تموج بالبكاء والعويل بينما نجد أولئك الزعماء لا يسعهم إلاّ أن يقفوا بمنعزل عنها يوهمون

أو يتوهمون بأن تلك الظواهر التي تتكرر كل عام ما هي إلا عقائد تقليدية أو دوافع عصبية شعوبية يجب أن لا يكونوا عنها إلاّ بمنأى عازل أو بموقف المتفرج الهازل دون أن يساهموا بحثاً أو إرشاداً في سيرة شخصية الذكرى هذه وكأنهم لا يعلموا أو أنهم إذ علموا فتغافلوا عن كون هذه الأصوات المتعالية بعويلها وأناشيدها الشجية إذ يعلوها مظهر التجرد لهياج المحزن ما هي إلاّ حاصل عدم توجههم نحو عظمة ذلك السبيل الهادي المنير الذي عكفوا عنه إلى سبيل أبعد يلتمسون بواسطتها غاية الوصول إلى السبيل نفسه دون أن يجدوا في البحث والتعمق بين طيات السبيل الأرشد عظمة والأكمل هداية ذلك السبيل الذي خط نهجه من أعاظم الشخصيات الإسلامية لتوجيه تخليدها بأعظم الاحتفالات وأشبع المحاضرات درساً وتمحيصاً بين تلك الكآبة وذلك الندب لنزعهما نحو الهدف المقصود من هذه الذكرى أما وأنهم قد نسوا أو تناسوا منهل هذا السبيل أو كانوا قد عجزوا عن تفهم مغزى ينبوعه الخالد بنواحي العظمة بما تعنيه هذه الكلمة من مثل سياسية أو دينية فلسفة أو إيمان وعقيدة أو جهاد فتركوا الإسلام ولا مرشد لشعبه إلى ما يجب أن يسلكه في الحياة من وجوب السير على هدى تلك العظمة ومنار سبيل عظمائهم فقد تركوا البون شاسعاً بين ما راحوا يتلمسون فيه التوجيه بالبحث في بطون التاريخ الغربي أو الجاهلي من عظمة جزئية وقدوات إعتيادية وبين من يلزم توجيههم ومن ذلك كانت الشعوب الإسلامية تصر على الاحتفاظ بتقاليدها الشكلية مصرة على تغافل إنتاج تلك الطبقة ما لم تستمد فلسفة هؤلاء الساسة طرائق رشادهم وإرشادهم مما تندبه تلك الشعوب ببكائها وتقاليدها من عظمة خالدة وشخصية خالدة هي أسمى من أن يتقدمها جاهل أو يستخلفها مكتسب للعظمة، عظمة الحسين عليه السلام تلك العظمة الطبيعية فيه إرثاً وتكويناً مما تعالت عن مجرد الحزن والبكاء أو التساوي بمن شاوءا بحثهم من العظماء كقدوة، الشخصية التي لا يلتقي عند سبيلها الطرفان من الرعاة والرعية وهما في سبيلهما التائه مالم تكتمل فضائل

البحث وتجتمع وسائل الإفادة بأن يتحمل الأولون وجائب تخليد تلك العظمة فينهجوا على استنباط وعظهم وإرشادهم من تلك السير النبوية ويأخذوا على عاتقهم إقامة تلك الذكرى فعند ذاك وعند ذلك فحسب ستخلد الشعوب إلى الإفادة بدلاً من الذكرى المجردة عن العمل وعند ذاك فحسب سيقال بأن الرعاة قد شاركوا الرعية أحاسيسها وساروا على إصلاحها وهدايتها وعند ذاك وحسب ما في ذاك من أوج الكمال سيجنح الرعاة إلى العظمة وسينفر الشعب لاستقائها والسير على منارها فتقوم الأخلاق وتقوض الجهالة وتلبس العقائد ويرعاها التمجيد ممن كان يتهزأ لجهالته مغزاها.

أما التساؤل عن كيف السبيل لبلوغ ما نهدف فجوابه أوضح من أن يجاب لو هبط البرجيون لبساط السواد ودرجوا بهم سلم المعرفة والكمال عن طريق القيادة الشعبية المسترشدة بما يحتفلون به وأعني لو أن الأدباء والعلماء قد تزعموا هذه الحفلات وأقاموا بأنفسهم تلك المشاعر على ضوء ما يتوصلون بالتعمق فيه من سيرة العظمة الحسينية تحدوهم ببعض ما يجب أن يقوموا به تجاه الأمة من خدمات لطالما كانت في مقدمة وجائب المثقفين ولعمري أن لفي ذلك تتجلى نواحي العظمة بإيمانها بواجبها فما من عظيم تعاظم شأنه دون رعية شعبية ولا تكون هذه إلاّ إذا تلمس ذاك أحاسيسها ولا يحصل ذلك إلاّ إذا عاش الرسول إلى خلفائه ومن الأئمة إلى من اكتسبوا منهم أو ساروا على نهجهم من عظماء وهي واضحة كل الوضوح بأن كلاً منهم قد عاش ومات بين الأمة لا فوقها ولا بمنأى عنها وهذه سر عظمة عظماء الأمم الآخرين من الذين أسحرتنا عظمتهم فعكفنا عما تبنته عظمة أمجادنا من كمال العظمة ومقامها العالي إلى معرفة السر الدفين في بقاء تلك الزعامة زمناً أو دوامها عمراً.

هذا سر من أسرار تلك الزعامات تعلوها زعامات عظمائنا الخالدين وسر آخر من أسرار الزعامة سلف ذكره عرض ما يتطلبه هذا الموضوع هو التوفيق بين ما جمعه

الزعيم وشذّبه من أفكاره الدراسية وبين ما تبعثر في أذهان الأمة عن طريق الصعود بالآخرين معهم من أسفل ما وقفوا عنده لا محاولة انتشالهم في حالة بقائه في أعلى القمم هذا ما يجب أن نعمله لأداء مطلب الذكرى الحسينية الخالدة ومن ثم مطلب الأمة الإسلامية المجيدة أما ما تتطلبه الذكرى فلا يمكن أن يؤدي بما تؤديه العامة من أحاسيس بالألم وتعابير شتى عن الحزن فلم يكن الحسين عليه السلام ولعمري قد ضحى بما ضحى به من نفسه وأنفس مشايعيه لغاية إظهار الأمة بمظهر الموالي أو الذاكر وإنما ضحى ويعنيه العمل على تفهم ما ضحى به لأجله والعمل على السير في ركابه وهو ما لا يمكن أن يؤدي إلاّ عن طريق توجيه الزعامة وعظمتها بتلك العظمة وعند ذاك فستلبس هذه الذكرى لبوسها الجدّي وثوبها الجديد ألا وهما لبوس العمل وثوب الفكرة كي يتسنى انتزاع ظواهر التظلم المجردة عن العمل بالدأب على السير في اهاض الشعور بالعمل لنصرة الحق المهضوم ولا نعني بكلمة الحق في هذا المجال حق الخلافة كما يزعمون فإنها الفكرة الأنانية والحق الشخصي اللذان تعالى نفسه وإنما إذ يضحي بها فلغيرها وكان ذلك الغير عند الحسين عليه السلام هو دينه الحنيف ومن ثم فيكون المطلوب لنصرة الحق هو العمل لاسترجاع الفضائل التي جاهد من أجلها لسعادة أمة هذا الدين فسلام على من ضحى في سبيلها وسلام على من اهتدى بذاك السبيل وسلام على من صارح بالحق وجاهد ضد الباطل وعمل على خدمة المجموع والله المعين(٨٧).

---

(٨٧) مجلة الغري -النجف- العدد -٢- السنة الخامسة عشرة- ١٩٥٣/ص١٣.

الصراع بين الحق والباطل

بقلم: محمود جواد جلال

سادتي:

هذا يوم مثله عبس وجه الزمان وتنكرت صورة الدهر وطغت موجة الباطل فيه على معالم الهدى والصلاح.

هذا يوم تمخضت فيه الأيام عن أروع صورة للنفس الإنسانية وأشنع صورة للنفس الإنسانية، يوم تقابل فيه الحق والباطل في ميدان صراع عنيف استطاع الباطل فيه أن يؤكد نفسه واستطاع الحق فيه أنْ يؤكد نفسه فإذا الباطل صريح لا لبس فيه وإذا الحق صراح لا غبار عليه.

فقد كان صوت الباطل عالياً فيما يكتبه ابن زياد لابن سعد:

اذا قتلت الحسين فأوطئ صدره وظهره فانه عات ظلوم. وكان صوت الباطل عالياً فيما ينادي به عمر بن سعد فرسانه:

يا خيل الله اركبي. وإذا بالجسم الهامد تتكسر عظامه تحت سنابك الخيل، وتتحطم أوصاله فتختلط بالتراب والدم. وكان صوت الباطل عالياً فيما يوعز به عمر بن سعد إلى حرملة: اقطع نزاع القوم، ارم الطفل بسهم ألست ترى عنقه كإبريق فضة؟ وإذا

السهم يثبت في منحر الوليد فيذبحه من الوريد إلى الوريد، وإذا أبوه يملأ كفه من دم الطفل المضطرب فيرمي به صعداً إلى السماء ليشهد ملكوت السموات على صنيع أهل الأرض.

وكان صوت الباطل عالياً فيما ينادي به منادي القوم عصر عاشوراء إحرقوا بيوت الظالمين. وإذا النار تشتعل في الخيام فتروع من فيها من أرامل وأيتام وإذا الأطفال الصغار يفرون خوفاً من الحريق والعقائل يتركن خيامهن ولكن إلى أين؟ إلى حيث لا يبصرون إلاّ جثثاً مطروحة ودماء مسفوحة من رجالهن وذوي قرباهن.

ثم ماذا ياسادتي؟

أجل، لقد كان صوت الباطل عالياً فيها يخاطب به ابن زياد في مجلسه عقيلة علي وسليلة هاشم وحفيدة عبد المطلب شامتاً بها غاضباً عليها: الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم وأكذب أحدوثتكم. وإذا بالعقيلة يثور تأثرها فتقف من خصمها موقف المناصر للحق المدافع عن الدين. وإذا بالخصم العنيد يقول لها فيما يقول: اسكتي ياعدوة الله. فتنفجر باكية لا ترى في ذلك المجلس من يرحم عبرتها أو يسعد زمزتها. وكان صوت الباطل عالياً فيما يتمثل به يزيد في مجلس شرابه يقرع رأس السيد بالقضيب.

لعبت هاشم بالملك فلا　　　خبر جاء ولا وحي نزل

ذلكم يا سادتي صوت الباطل بدأ مدوياً تستك منه الآذان، وتتقزز منه النفوس ولم يقابله في ذلك اليوم إلاّ صوت الحق الذي رن صداه في الأفاق ولم تصم عنه الآذان لجلاف الجفاة من آل سفيان وحزب مروان.

لقد كان صوت الحق عالياً كان يقوله سيد الشهداء وأبو الضيم:

لا اعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقر إقرار العبيد. ألا وإن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنين بين السلة والذلة.

ذلكم يا سادتي صوت الحق أعربت عنه الكلم الفصاح وبرهنت على صدقه البيض الصفاح فلم يستجب له من ذلك الشخص المعكوس والجسم المركوس إلاّ حجر أبي الحتوف بصك جبهة الحسين فيدميها وإلاّ سهم خولي بن يزيد يقع في لبة قلبه فخر صريعاً يتخبط بدمه.

ساداتي:

لقد كانت عرصات الطف يوم عاشوراء مسرحاً لتمثيل أفظع مأساة عرفها التاريخ فيه مثل شبل علي دور الملك الرحيم وفيه مثل الدعي بن الدعي دور الشيطان الرجيم. وقد شاء الزمن أن يجيد كل منهم دوره ويحسن أداء مهمته وإذا الفضائل والرذائل تصطرع صراعاً لا هوادة فيه ولا لين وإذا الحسين العظيم يزحف بما تحمل نفسه الزكية من إباء وكرم وعدل وغيرة وتضحية وصبر ومضاء وعزم وبصير بعواقب الأمور وإذا خصمه الزنيم يزحف بما تحمل نفسه الخبيثة من جشع وظلم وقسوة وأنانية وخسة نفس وفساد وسريرة وإذا المعركة تسفر عن انتصار الفضيلة باجمل صورها وانتصار الرذيلة باشنع مناظرها وياتي بعد ذلك التاريخ ليسجل حكمه فإذا الحسين بطل الإباء وأبو الشهداء وإذا خصمه أشقى الأشقياء ولعنة الأرض والسماء وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون(٨٨).

(٨٨) مجلة الميزان –العمارة –العدد –٢٧، ٢٨– السنة الرابعة– ١٣٦٧هـ/ص١٤.

يومان

بقلم: الأستاذ عبد الرزاق العايش

في أية بداية من بدايات العظماء يجد الكاتب لقلمه وبيانه متسعاً للبحث ومجالاً للتنقيب، إلاّ في بداية الحسين عليه السلام. فما من كاتب خاض البحث عنها إلاّ تملكاه دهشة وذهول. لأن في بدايته يداً تزج إلى نهايته، ونهايته خضم صاخب في وسط أمواجه المتلاطمة أقلعت سفينة النجاة، تحفها قدسية الإيمان وتكتنفها هيبة البطولة، ويعلوها علم التضحية..!!

لذا مهما حاولت أفصل بين نقطتي البداية والنهاية، وبالغت في أسباب الفصل بين بداعة هذه وفداحة تلك. ذهبت محاولتي سدى، إذ تغلغلت النهاية إلى أعماق نفسي، وتمثلت أمام عدسة إحساسي، فكأني – والحال هذه– اتعاطى مزيجاً من عسل وعلقم.

منذ ألف وثلثمائة ونيف وستين سنة خلت... استحالت إحدى أماسي الثلث الأول من شعبان ضحى سعادة وهناء، في مهبط الوحي الإلهي، ومحيط السمو المعنوي، (حيث كانت عبقات السماء تهب مثلما يتضوع شذا الغيث المندفق، هذا ليمد الصعيد بالحياة وهذا ليمد النفوس بالمعنى الحي، إذ تجلّت من الغيب طفولة سامية..!! كيف لا..؟ والمولود خامس خمسة شاء الله أنْ تعلو بهم كلمته ويتبع فيهم هداه كما دل بعدئذ – قوله تعالى:

﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾.

ولدت فاطمة حسيناً فأخذه النبي صلى الله عليه وآله وسلم –وأذن في أُذنه اليمنى كما يؤذن للصلاة– والأذان معناه اعلان العابد الإخلاص لمعبوده، والصلاة صلة بين الخالق والمخلوق.

هذا أول غذاء نفسي غُذّي به هذا المولود الجديد... وغني عن البيان ما لتهنين الطفل من يد في توجيه أخلاقه، وتثبيت انطباعاته. فلا عجب إذا مامنه وإليه، وعليه سمت نفسه، وهفا فؤاده، واتقدت حميته.. وهكذا أخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم يسكب في نفس فتاه خلاصة السمو بما فيها من جود وسخاء وشمم وإباء وتفانٍ في سبيل العقيدة والمبدأ مضافاً إلى هذا عاملين مهمين من عوامل تكوين الطفل وتنشئته من كلاهما نال الحسين أجل وأعظم صفات السمو...

أما العامل الأول فأجد فيَّ غنى عن الإفاضة للتدليل عليه ما دامت كلمتي هذه آخذة سبيلها إلى أذهان قوم يعلمون تمام العلم بأن (الحسين) تكون من مزاج ينبوعي النبوة والإمامة. – فاطمة وعلي عليهما السلام – وأما العامل الثاني فما عسى أن أقول في بيئته نما السمو وطاب جنيه.

هذه البداية.. ما أحلاها وأعذبها..! بل وأعلاها وأعزها، لدى ذو النفس السامية..! فيا حبذا لو استطاع الخيال أن يخلق في سمائها الصافية العبقة. ويتمتع بجمال نجومها الزاهية الألقة، ليملي على القلم بعض مشاهداته يملي (على الأقل) مشهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم قال:

(حسين مني وأنا من حسين).

هذه الجملة لو فاه بها بعض الناس لكان معناها – حسين مني بمنزلة المولود من

الوالد وأنا من الحسين بمنزلة الوالد من المولود- أو ما شابه هذا لكن القائل نبي عظيم:

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾.

من تكن هذه صفته لاشك أن كلامه يبعد كل البعد عن السطحي المبتذل. فلا بدع أن قلت إنما المقصود من قوله صلى الله عليه وآله وسلم حسين مني بمنزلة الصفة من الموصوف، وأنا من حسين بمنزلة الموصوف من الصفة- لذا عزز القول بما لن يتسنى لأحد سواه أن يقول- إني أحب حسيناً فمن أحبه فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله.

من هذه النقطة الحساسة وأمثالها كم وددت لو أني استطيع التغلغل إلى أعماق الواقع، لأتمتع بجمالها البديع فأشبع نفسي التواقة إلى الجمال الذهبي لكن..! أنى لي هذا ما دامت هناك نهاية تحطم القلم وتلعثم اللسان.

مامن منصف إلاّ ويؤمن بأن «الحسين عليه السلام كان البناء الثاني للإسلام بعد جده » فقد علم القاصي والداني ما بلغه المسلمون من الانحطاط – آنذاك- فبعد أن كانوا مثالاً للمزايا الحميدة، وعنواناً للسجايا المحببة – كالأخلاق والإباء، والشمم، وما شابه هذا من مقتضيات السمو المعنوي- بعد هذا انحطوا إلى الخضوع لما عليه وحشية «يزيد» مع علمهم بما جُبِل عليه يزيد من خساسة لا تتفق ومبدأهم السامي النبيل.

هكذا ويذهب سدى ما بنوه المسلمون من مجد خالد، وكادت آمالهم أن تخيب. لو لم يجعل الله الحق وضاح الجبين لا تخفيه حجب الضلال مهما تكالبت وقوي العزيمة لا تهزمه جيوش الباطل مهما تألبت.

وهكذا جاء يوم الحسين، فياله من يوم أجهد الليالي حمله، فولدته وحيداً لا ثاني له، مع أن الليالي (يلدن كل عجيب).

يوم تبلى الأيام وتفنى السنون وهو خالد خلود الشمس في الأفق... فكأن لم يزده البعد عن أعيننا إلاّ تعمقاً في نفوسنا. كما لم يزدنا الحزن فيه إلاّ تحبباً لقلوبنا. نستعذب

النهل من منهله مع ما فيه من شقاء وعذاب «والأبي يجد طعم المنية شهداً».

يوم جمع الحسين العظمة، وصاغها حلية يزدان بها كل عظيم، حين تلاها آية... أبكمت الألسن فصاحتها وأذهلت العقول بلاغتها، فأفاق الدين العليل من غشوته ولسان حاله يقول:

وما سمعنا عليلاً لا علاج له — إلاّ بموت مداويه إذا هلكا

وهذا صدى صوت الحسين يطبق الأفاق معلناً:

إن كان دين محمد لم يستقم — إلاّ بقتلي، يا سيوف خذيني

فسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً[٨٩].

(٨٩) مجلة البيان -النجف- العدد -١١، ١٢، ١٣، ١٤- السنة الأولى- ١٩٤٧/ ص٣٣٩.

الرائد أو رسول الحسين (عليه السلام) إلى الكوفة

بقلم: الأستاذ عبد الرزاق الهلالي

كانت مأساة كربلاء التي استشهد فيها سيد الشهداء الإمام أبو عبد الله الحسين عليه السلام صفحة سوداء في تاريخ العروبة والإسلام.

ونظراً لما حفل به موقف الإمام الشهيد وأصحابه الأبرار من صور البطولة والفداء والاستماتة في سبيل الحق والعقيدة والواجب.

ولما كان ابن عمه (مسلم بن عقيل) رسوله إلى الكوفة في مقدمة من استشهد دفاعاً عن الحق، فها نحن أولاء نعرض في هذه الرواية القصيرة صورة عن مهمة هذا الرائد الجليل منذ أن بدأت حتى انتهت بقتله ورمي جثته من أعلى قصر الإمارة في الكوفة بأمر واليها عبيد الله بن زياد وإليكم القصة:

المذيع (الراوية): لما تناقلت الأنباء وفاة معاوية بن أبي سفيان، استنشق الكوفيون روح الأمن وأبصروا بصيصاً من نور الإمامة فعزموا على أن يكتبوا إلى الحسين عليه السلام لا سيما بعد ما عرفوا أن يزيداً قد تولى الأمر بعد أبيه، وأن الحسين عليه السلام قد خرج إلى مكة المكرمة. وهاهم سراة الكوفة وقادتها مجتمعون للتداول في الأمر قبل فوات الأوان. وها هو ذا أحدهم يتكلم:

سليمان بن صرد الخزاعي – بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين وبعد فأن معاوية قد هلك وأن حسيناً قد تقبض على القوم ببيعة وقد خرج إلى مكة وأنتم شيعته وشيعة أبيه. فإن كنتم تعلمون أنكم ناصروه ومجاهدوا عدوه فأكتبوا إليه. وإن خفتم الوهن والفشل فلا تغروا الرجل في نفسه..!

(أصوات من الحاضرين). إنا نقاتل عدوه ونقتل أنفسنا دونه..!

سليمان – فلنكتب إذن رسالة إلى الحسين عليه السلام نستحثه فيها بالقدوم الينا فقد بلغ السيل الزبى..!!

(أصوات) أكتب بارك الله فيك..!

سليمان – إذن اسمعوا..!

بسم الله الرحمن الرحيم

للحسين بن علي عليه السلام من سليمان بن صرد والمسيب بن نجبة ورفاعة بن شداد وحبيب بن مظاهر وشيعته المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة. سلام عليك فأنا نحمد الله الذي لا إله إلاّ هو.

أما بعد فالحمد لله الذي قصم ظهر عدوك الجبار العنيد، الذي انتزى على هذه الأمة فابتزّها أمرها وغصبها فيئها وتآمر عليها بغير رضا منها ثم قتل خيارها واستبقى شرارها وجعل مال الله دولة بين جبابرتها وأغنيائها فبعداً له كما بعدت ثمود إنّا ليس لنا إمام فأقبل لعلّ الله يجمعنا بك على الحق.

والنعمان بن بشير في قصر الإمارة لسنا نجتمع معه في جمعة ولا نخرج معه إلى عيد ولو بلغنا أنك قد أقبلت أخرجناه حتى نلحقه بالشام إنْ شاء الله).

سليمان– يجب ارسال هذه الرسالة في الحال.

الراوية (ثم أخذت كتب الكوفيين تتوارد على الحسين عليه السلام حتى اجتمع

لديه ما يربو على العشرة آلاف رسالة فلم يسعه السكوت فكتب اليهم أجمع، صورة واحدة فوصلتهم وهم مجتمعون فدار بينهم الحوار التالي):

(بسم الله الرحمن الرحيم: من الحسين بن علي إلى الملأ من المؤمنين والمسلمين. أما بعد فإن هانياً وسعيداً قدما علي بكتبكم وكانا آخر من قدم علي من رسلكم وقد فهمت كل الذي قصصتم وذكرتم وكانت مقالة جلكم أنّه ليس علينا إمام فاقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الحق والهدى..!!

وأنا باعث إليكم بأخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل فإن كتب إليّ انه اجتمع رأي ملأكم وذوى الحجى والفضل منكم على مثل ما تقدمت به رسلكم وقرأت كتبكم فإني أقدم عليكم وشيكاً إن شاء الله. فلعمري ما الإمام إلاّ العامل بالكتاب والآخذ بالقسط والدائن بالحق والحابس نفسه على ذات الله والسلام).

مسلم في الكوفة

الراوية: «وعندما وصل مسلم بن عقيل عليه السلام الكوفة نزل في دار المختار الثقفي فأنثال عليه أهل الكوفة ولاث به حماة المصر وكماته «زرافات ووحدانا، مرحبين برسول الحسين عليه السلام حتى بايعه منهم ثمانية عشر ألفاً. ولما اجتمع لديه سراتهم وقادة الرأي فيهم قال مسلم).

مسلم – أيها المؤمنون الأبرار. إن ابن عمي سيجيبكم إلى ما تريدون إن لزمتم العهد وتدرعتم بالصبر على مكافحة أعدائكم. وأني لأمل أن يكون هذا الهتاف والترحيب صادراً عن طمأنينة بالتفاني في نصرة الحق..!

عابس بن شبيب الشكري– إني لأخبرك عن الناس ولا أعلم ما في نفوسهم وما أغرك منهم. والله أحدثك عما أنا موطن عليه نفسي. والله لأجيبنّكم إذا دعوتم

ولأقاتلن معكم عدوكم ولأضربن بسيفي دونكم حتى القى الله لا أريد بذلك إلاّ ما عند الله..!

حبيب بن مظاهر- رحمك الله يا عابس قد قضيت ما بنفسي بواجز من قولك وأنا والله الذي لا اله إلا هو على مثل ما أنت عليه..!

مسلم- إني أيها السادة أحمد الله تعالى على فضله وكرمه وسأكتب إلى ابن عمي برسالة أنقل له فيها ما رأيت منكم من طاعة وتلهف لقدومه عليه السلام وها هي ذي الرسالة. «بسم الله الرحمن الرحيم من مسلم بن عقيل إلى الإمام الحسين عليه السلام أما بعد فإن الرائد لا يكذب أهله وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشراً ألفاً فعجل الإقبال حين يأتيك كتابي فإنّ الناس كلهم معك ليس لهم في آل معاوية رأي ولا هوى والسلام».

في دار هاني بن عروة

الراوية: لم يكن أنصار بني أمية غافلين عن هذه الحركة بل كتبوا إلى يزيد بالأمر وأخبروه بقدوم مسلم إلى الكوفة ومبايعة الناس له. فأهتم بالأمر وأصدر أمره بتولية عبيد الله بن زياد على الكوفة فقدمها هذا من البصرة مسرعاً مخافة أن يسبقه الحسين عليه السلام إليها فمسك زمام الأمور بيد صارمة وراح يتعقب أخبار مسلم بن عقيل متلهفاً للقضاء عليه.

ولما علم مسلم بقدوم هذا الطاغية رأى ضرورة الانتقال من دار المختار الثقفي إلى دار هاني بن عروة المرادي، وهناك في دار هاني التقى بشريك بن عبد الله الأعور الذي كانت له مع هاني صحبة ومواصلة وهو الآن مريض وقد بلغه أن عبيد الله بن زياد سيعوده للاستفسار عن صحته. وهنا يدور حديث بينه وبين مسلم.

شريك- ان غايتك وغاية شيعتك هلاكه فأقم في الخزانة حتى اذا أطمأن عندي

أخرج إليه وأقتله وأنا أكفيك أمره بالكوفة مع العافية..!

الراوية: ولم يكد ينهي شريك حديثه حتى يجيء من يقول إنّ ابن زياد في الباب فيقوم مسلم ويخفي نفسه ثم يؤذن لابن زياد بالدخول.

ابن زياد- شافاك الله وعافاك يا شريك. أن شواغلي الكثيرة هي التي أخرتني إلى هذا اليوم.

شريك: شكراً شكراً..!

الراوية: (ثم لما اطمأن شريك ورأى أن الفرصة سانحة بدأ بإعطاء الإشارة لمسلم وذلك بعد أن أخذ عمامته من على رأسه ثم وضعها على الأرض ثم وضعها على رأسه وفعل ذلك مراراً ولكن بدون جدوى ولما يئس من خروجه أخذ ينشد بصوت عال:

ما الانتظار بسلمى لا تحيوها	حيوا سليمى وحيوا من يحييها
هل شربة عذبة أسقى على ظمأ	ولو تلفت وكانت منيتي فيها
وإن تخشيت من سلمى مراقبة	فلست تأمن يوماً من دواهيها

ثم صاح بصوت عال. إسقوينها ولو كان فيها حتفي..!

عبيد الله بن زياد (يخاطب هاني بن عروة) - إن ابن عمك يخلط في علته..!

هاني- إن شريكاً يهجر منذ وقع في علته وأنه ليتكلم بما لا يعلم..!

الراوية: (وهنا يخرج ابن زياد مودعاً ثم يخرج مسلم من مكمنه فيدور بين الباقين الحديث الآتي):

شريك- ما منعك أن تقتله..؟

مسلم- بلغني حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

(إن الإيمان قيد الفتك لا يفتك مؤمن وكرهت أن اقتله في هذا البيت).

شريك- أما لو قتلته لجلست في الثغر لا يستعدى به أحد ولكفيتك أمر البصرة ولكنت تقتله ظالماً فاجراً..؟

في قصر الإمارة

الراوية: (وأخيراً يتمكن ابن زياد بما بث من عيون وجواسيس أن يعلم بالمكان الذي يقيم فيه مسلم فألقى القبض على هاني بن عروة وسجنه لأنه لم يسلمه مسلماً. وخرج مسلم بن عقيل من دار هاني يتلدد في أزقة الكوفة لا يدري إلى أين يذهب وقد بات وحيداً شريداً حتى انتهى به المطاف إلى دار (طوعة) وكانت واقفة على الباب فاستسقاها جرعة من الماء فأعطته وبعد ذلك أخبرها بأمره وحيرته فأدخلته دارها وخبأته في مكان في الدار، فلما عاد ابنها (بلال) رآها تكثر التردد على ذلك المكان فاستراب في أمرها فأستفهمها عنه فأخبرته بجلية الأمر بعد أن أخذت منه العهد بعدم إفشاء سر مسلم ولكنه قام مسرعاً إلى قصر الإمارة ليخبر عن مكان مسلم كي يحظي بالجائزة. فأرسل ابن زياد قوة كبيرة للقبض على مسلم وبعد معركة حامية وقع في الأسر مثخناً بجراحه فأقتيد محروساً إلى قصر الإمارة حيث ينتظره عبيد الله بن زياد. فلما دخل مسلم لم يسلم على ابن زياد وهنا يدور الحديث بين الحاضرين.

الشرطي- يخاطب مسلماً- ألا تسلم على الأمير..؟

مسلم- انه ليس لي بأمير يا هذا..؟

ابن زياد- وهو يضحك. سلمت أولم تسلم فإنك مقتول.إيهاً يا ابن عقيل أتيت الناس وأمرهم واحد فشتت أمرهم وفرقت كلمتهم وحملت بعضهم على بعض..!

مسلم- كلا لست أتيت لذلك. ولكن أهل المصر زعموا أن اباك قتل خيارهم وسفك دمائهم وعمل فيهم أعمال كسرى وقيصر فأتيناهم لنأمر بالعدل وندعوا إلى حكم الكتاب..!

ابن زياد- ما أنت وذلك يا فاسق أو لم نكن نعمل فيهم بذلك وأنت بالمدينة تشرب الخمر..؟

مسلم- أأنا أشرب الخمر..؟ إن الله ليعلم أنك غير صادق وأنك تقول بغير علم وأني لست كما ذكرت وأن أحق بشرب الخمر من ولغ في دماء المسلمين ولغاً فيقتل النفس التي حرم الله قتلها، ويقتل النفس بغير النفس ويسفك الدم الحرام. ويقتل على الغصب والعداوة وسوء الظن وهو يلهو ويلعب كأنه لم يصنع شيئاً...!

ابن زياد- إنّ نفسك تمنيك ما حال الله دونه ولم يرك أهله..!

مسلم- فمن أهله..؟

ابن زياد- أمير المؤمنين يزيد..!

مسلم- الحمد لله على كل حال رضينا بالله حكماً بيننا وبينكم..!

ابن زياد- كأنك تظن أن لكم في الأمر شيئاً..؟

مسلم- والله ما هو الظن ولكنه اليقين..!

ابن زياد- ستنال جزاءك..!

مسلم- اقضِ ما أنت قاض يا عدو الله..!

(وهنا يلتفت مسلم إلى عمر بن سعد بن أبي وقاص وكان جالساً يقول):

مسلم- (إن بيني وبينك يا عمر قرابة ولي إليك حاجة ويجب عليك نجح حاجتي وهي سر..!)

عمر بن سعد- لا أقبل الاستماع إليك..!

ابن زياد- لا تمتنع يا هذا بل استمع إلى حاجة ابن عمك..!

(يقوم بن سعد ويقف في زاوية مع مسلم فيوصيه بما يلي:)

مسلم- أريدك يا عمر أن تقضي من ثمن سيفي ودرعي ديناً استدنته منذ دخلت الكوفة يبلغ ٦٠٠ درهماً. وأن تستوهب جثتي من ابن زياد وتدفنها وأن تكتب إلى الحسين بخبري..!!

عمر بن سعد- يخاطب بن زياد غير محتفظ بما اسره ويقول: لقد أوصاني بكيت وكيت..!

ابن زياد - مخاطباً مسلم- لم يخنك الأمين ولكنك إئتمنت الخائن..! ولكن هيهات (ثم يصيح بأعلى صوته) يا بكير بن حمران: اصعد به إلى أعلى القصر ولتكن أنت الذي تضرب عنقه..!

الراوية: وهكذا انتهت حياة رسول الحسين عليه السلام إلى أهل الكوفة، ومات شهيداً، قبل أن يبلغ ابن عمه الإمام الحسين، تقلبات الأحداث ليكون على بينة من الأمر ولكن هيهات. فقد حكم القدر أن يقدم الإمام الحسين عليه السلام إلى العراق ويقضي شهيداً وأي شهيد..![٩٠].

(٩٠) مجلة الإيمان -النجف- العدد- ٥، ٦- السنة الثانية- ١٩٦٥/ ص٢٢.

صحافة كربلاء ـ و ـ عبد الله الرضيم

بقلم: الأستاذ عبد الحميد داوود الكنين

أهمل كتاب (كربلاء في التاريخ) – على وجه التخصيص- كما أهمل كتاب (أمية في التاريخ) – على وجه التعميم- ذكر الصحف التي كانت تصدر في كربلاء لتاريخ ١٠ محرم سنة ٦١هـ.

ومجال التاريخ غير متسع – على عادته- لاستيعاب الحوادث بحقيقتها المجردة ما دامت السلطة هي التي توجه التاريخ وتطوي ما تريد طيَّه وتنشر ما تسمح بنشره.

ويكاد أن يكون تاريخ الحركات الحربية بين الحسين وأعدائه مديناً لشاب من بني أسد قد أغفل التاريخ اسمه حيث كان يبعث النشرة تلو النشرة في أكثر أودية كربلاء.. وفي بعض الواحات المجاورة لها من الجهة الشرقية. رداً على ما كانت تنشره صحف أمية من شجب نهضة الحسين عليه السلام وكانت تعينه على كتمان أمره إمراة من تميم قيل إنها امراة أو أرملة الحر أو الحرث بن يزيد الرياحي أو التميمي على حد ما شاء إن ينسبه التاريخ.

ومن كبريات الصحف الكربلائية لذلك العهد ثلاث صحف مشهورة بصيغتها الرسمية وهي (سمية) و(شفية) و(الغاضريات) وليس يعنينا هنا ما كانت تحمله – على الإطلاق- من صفاقة اللهجة وموجع الطعن. وقارس الكلم، وبذئ القول في آل بيت رسول الله. وذلك إذا أيقنا أنها تنتمي كلها إلى حكومة يزيد. وتدافع عنها دفاع القاضي

بلهجة الشهوة من بيت مال المسلمين. ولا تنتظر بالطبع من صحف تصدر في إمالة عبيد الله بن زياد أن تنصف الذمة ـ على الأقل ـ خاصة ما سمى منها باسم جدته فهي لم تكتف بنشر الرسائل التي تمدها بها مراسلوها في ساحة الحرب، بل تضفي عليها من عندياتها أكثر من تجربة، وأوسع من إفك وبهتان.

وعمر بن سعد بن أبي وقاص ـ وأبوه سادس الإسلام ـ كان يتولى علاوة على وظيفته الأصلية ـ مراسلة «سمية» بما يبدو له من حركات الحرب وكانت رسائله تنشر بحروف بارزة في أولى الصفحات!

وقد سمح التاريخ بإيفاء بعض سطور نقلت على نشرة من نشرات الشباب الأسدي تحمل بعض ردود على بعض رسائل نشرت لابن سعد بعنوان «السم النقيع... في نحر الرضيع» و(أذقناهم الحتوف... يوم الطفوف) و(أشهدوا أني أول من رمى) وقد استخلصنا من تلك السطور ما له مساس بعبد الله الرضيع:

فقد نعتت «سمية» الحسين بالضعف لأنه تشفع بالرضيع ليحصل على غلة الماء..! وذكرت «شفية» أن أول من تشفع بالرضيع هي أمه حين لجأت إلى العباس وبين يديها طفلها ملتمسة إليه الماء وكانت هي السبب في تعجيل استشهاد العباس عليه السلام وقالت الغاضريات أن الحسين عليه السلام سمع ما دار بين الرباب والعباس فمنع زوجته من أن تثير عاطفة أخيه وخشى عليه من الذهاب قبل أوانه وجذب الطفل من يدي أمه ومضى به إلى حومة القتال وجعل يقول:

«**يا قوم إن كانت لرجالنا ذنوب في مبادئكم فما ذنب الأطفال..؟**».

فأحدثت مقالته هذه ضجة بين صفوف الأعداء ورقت للطفل بعض القلوب..! فخاف ابن سعد «الإنقلاب» فأمر جندياً معروف السجية والطوية من جنوده بأن (يقطع نزاع القوم) يقطع وريد الرضيع «بسهم» وهكذا كان...!

ولئن اختلفت الروايات الثلاث في بعض العروض فإنها متفقة دون شك – في الجوهر– وقد اتفق معها التاريخ بإجماع – على رغم السلطة– على أن للحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام سبط رسول الله إلى عباده صلى الله عليه وآله وسلم رضيعاً اسمه (عبد الله) وقد عطش في كربلاء عند واقعة الطف فلم يكف أمية منعه من الماء وحسب، بل تعمدت ذبحه عطشاناً بين يدي أبيه – الطفل الكبير الذي رقى على صدر الرسول– على خلاف عادة المحاربين حتى الذين هم من غير المسلمين فقد كانوا – وما زالوا– يجتنبون الفتك بالأطفال.

والآن...؟؟ يحار التاريخ إلى بني أمية..؟ أينميها إلى الإسلام..؟ وقد أوحى نبي الإسلام قواده إلى حرب غير المسلمين بأن يتحاشوا من العجزة والنسوة والأطفال بسوء... على حين أن أمية مثلت حتى بالأطفال..؟! أم ينميها إلى العرب..؟ وقد قال التاريخ «ما عرف التاريخ فاتحاً أرحم من العرب» على حين أن قسوة المراوفة أعرف من أن تعرف في إجبار مساكين أفريقيا على الإقامة بالقوقاز، وإفنائهم ببطئ عن طريق مشقة المسير البعيد وتبدل المناخ والأشغال الشاقة..؟! كل ذلك مما تفضل بتسجيله التاريخ وهو من بني الحوادث التي أنصف التاريخ بوصفها نفسه على ما جاء به من غموض واقتضاب..!

وذي شهرة قامت بأعمال غيره ... وذي عمل أعماله أبداً تخفى

فلو أنصف التاريخ بعض رجاله ... لما خط في أسفاره لهمو خطا

ومن أعجب العجب أن يدعي أذكياء أمية الإسلام..؟؟ وكتاب الله يقول:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾.

وما يروى عن نبي الإسلام:

«لافضل لعربي على أعجمي قط إلاّ بالتقوى» و «سلمان منا أهل البيت».

فضلاً عما روي عنه صلى الله عليه وآله وسلم من أقوال في بلال الحبشي. وصهيب الرومي وغيرهما من تلامذته الأحرار. مما يعتبر حجة قاطعة على أن قاعدة الأفضلية التي درج عليها الإسلام هي التقوى..

﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾.

وبعد..؟؟! فليس تألب الشعوب الأُخر على العرب من أسبابه -إن لم نقل سببه الوحيد- أمية بالذات، فهي التي أذكت نار الشعوبية وعملت على تغذيتها وإيقادها، وهي التي أحفظت على العرب شعوباً كانت جدُّ موالية صاغرة مستكينة تلتمس المزيد من عطف الإسلام وتستمد الانتعاش الحيوي في ظل الإسلام... وأمية هي التي غيرت مجرى التاريخ الإسلامي وبعثت التفسخ بين صحائفه وسطوره وهي التي أفسدت ضمائر الشعراء وقتلت مشاعرهم الحساسة، وهي التي وارت مواهب الكتاب ووجّهت تفكيرهم إلى حيث الضلال، وهي التي ابتاعت ذمم المؤرخين في سوق المزاد وأعدمت ما أشيع عنهم في بقايا من الوجدان...!!

وناهيك بوقائع الزنوج والتتر فقد وقعت انتقاماً من همجية أمية وإشفاء لغليل يتوقد في النفس حيث قوبلت البربرية بمثلها - والبادئ أظلم- وما عرف التأريخ ظالماً مثل أمية.

واحربا يا آل حرب منكمو	**يا آل حرب منكمو واحربا**
فيكم ومنكم ولكم	**ما لو شرحناه فضحنا الكنبا[91]**

(٩١) مجلة الغري -النجف- العدد -٢- السنة الخامسة عشرة- ١٩٥٣/ص٧.

المروءة الحسينية

بقلم: الأستاذ يحيى كاظم الثعالبي

الحمد لله الذي شرفني بالمشاركة في ذكرى الإمام الشهيد الحسين بن علي ريحانة رسول الله وابن بنته الزهراء البتول، هذه الذكرى التي أسيلت الدموع مدراراً وخشعت لها الأبصار وتصدعت لمرارتها القلوب، واطمأن بها الحق المسلوب، وارتجف لهيبتها الباطل المدموغ هذه الذكرى التي تذكر المسلمين بحقيقة دينهم تلك الحقيقة التي طعنها في الصميم قوم لم يدخل الإيمان في قلوبهم فضلوا في مفاوز الظلم يتخبطون وأذيقوا العذاب في العاجلة لأنهم كانوا ظالمين، الحقيقة الإسلامية التي شملت كل شيء وعالجت كل أمر، وحققت للنفس الإنسانية طمأنينتها، فالإسلام دين التوحيد لتتحد القلوب والعقائد فتجتمع الآراء وتعمل للخير العام دين الإسلام ليسلم الناس من الاعتداء على نفوسهم وأعراضهم وحريتهم وما يملكون والإسلام دين الحق ليعطي كل ذي حق حقه، فإذا أنكر التوحيد عدنا إلى وثنية جاهلية حمقاء متفرقة مفرقة، وإذا نقض الإسلام حطمتنا العداوات وأكلتنا الأطماع، وإذا اغتصب الحق نهضت دولة الباطل وساء المصير، فلابد من الجهاد، وما ترك الإسلام الدنيا فوضى، ولا أراد الدين عبادة صماء وإنما أرادها دنيا عدل وسعادة ودين وأخوة وخير.

أيها المحتفلون لستم أول من بكى الحسين وذكرى الحسين، فأحب الحسين، سلوا المنابر في بلاد المسلمين كافة تخبركم بمآثره، استنطقوا المساجد والمجالس والمعابد تعلمكم

بجهاد بن علي، سلوا التاريخ يدهشكم بتضحية الحسين، اسمعوا الشعر، نشيد الزمن يفت أكبادكم في فاجعة ابن الرسول، إنه لذكر خالد.

يا ابن رسول الله أحبك الناس حباً روحانياً خالصاً لأنك أردت أن تنصر الحق فنصرته وتخذل الباطل فخذلته، والناس - يا سيدي- في كل مكان يبحثون عن الحق وينصرونه ويفجعهم الظلم فيقبحونه، وإن مروءتك يا مولاي دنيا فخر أولست الذي خطبت في جماعة الحر بن يزيد- وقد أرسل ليصدك عن دخول العراق - فقلت:

أيها الناس، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: «من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعمل في عباد الله بالأثم والعدوان فلم يغير ما عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله..».

ياسيدي، يقدسك عشاق الفضيلة لأنك حفظت عفاف أرينب زوجة عبد الله من فجور يزيد، ولأنك جمعت بين قلبين محبين كادت الرذيلة تحطمهما بتفريق.

أينسى الناس مروءتك - وأنت في أحرج المواقف- أولم تقل للذين جاءوا معك من المدينة وقد سمعت في طريقك بمقتل مسلم وهاني:

(وقد خذلتنا شيعتنا فمن أحب منكم أن ينصرف فلينصرف فليس عليه منا ذمام..!).

فتفرق عنك من أردت له السلامة... وهل للمروءة صورة أوضح من صورة سيد مقدام لا يهاب الموت ولا يخشى الطعان، رابط الجأش ثابت الجنان يحف به فرسانه وهم قليل عديدهم، كثير عدوهم، يقف هذا السيد أمام جيش عدوه وهو موقن أنه مقتول، فيعلن مبدأه ويقول:

(ألا ترون أنّ الحق لا يُعمل به وأنّ الباطل لا يُتناهى عنه ليرغب المؤمن في لقاء الله فإني لا أرى الموت إلاّ سعادة والحياة مع الظالمين إلاّ بَرَماً).

إنه يود أن يكافح وحيداً الا أنهم بايعوه على النضال...

تعالوا، معي لتروا بطل النهضة في صورة أخرى فقد سمعت زينب ما عزم عليه الحسين فنادت

(واثكلاه ليت الموت أعدمني الحياة اليوم).

فجاء إليها الحسين ونصحها وختم نصيحته بقوله:

(يا أخية إني أقسم عليك لا تشقي علي جيباً ولا تخمشي وجهاً ولا تدعي بالويل والثبور إن أنا هلكت).

ولم تكن مروءة الحسين وقفاً على أصحابه وأقربائه بل كانت إنسانية عامة حتى بلغ إحسانه أعداءه فما من موقف وقفه إلاّ ذكرهم فيه ونصحهم ووعظهم خوفاً عليهم من عذاب شديد، فالحر الذي أرسله ابن زياد ومعه ألف فارس لكي يقطع الطريق على الحسين كان هو وقومه قد أشرفوا على الهلاك، فأمر الحسين أصحابه وفتيانه فقال:

(اسقوا القوم ورشّفوا الخيل ترشيفاً).

فكان من فضيلة هذه المروءة أن انحاز إليه الحر وكان من الشهداء... وألمسوا هذه المروءة في ضمير الشهيد تجدوه يتفقد صرعى الطف، ويدفع عنهم ذئاب الطمع، وجنود الباطل، فذاك مسلم بن عوسجة الأسدي من أنصاره خر صريعاً فمشى إليه الحسين – وكان به رمق– فقال:

(رحمك الله يا مسلم بن عوسجة).

إنّه يضمد قلباً امتلأ بالإيمان، إنه ليترحم لجندي باع دنيا ذل بأخرى عز وكرامة.

ورأى حسين النخوة زوجة الكلبي وهو يقاتل تحمل عموداً وهي مقبلة تقول: (فداك أبي وأمي، قاتل دون الطيبين ذرية محمد..) فناداها الحسين وقال:

(جزيتم من أهل بيتي خيراً ارجعي رحمك الله، فإنه ليس على النساء قتال..).

ولما قتل الكلبي ذهبت إليه تمسح التراب عن وجهه وتقول له: «هنيئاً لك الجنة..!» فأمر شمر فشج غلامه رأسها بالعمود فماتت.. وكان حسين الرجولة يهجم على أعدائه لينتصر لأولئك الذين باعوا أنفسهم لله مشتاقين فيبدد عنهم جحافل الجبن والغدر.

ثم أنظروا هذا القائد المنافح الناصح المؤمن بالحق العامل على إحقاقه بالروح وقد سقط على الأرض فأدركه طفل هو ابن أخيه فجاءه وغد من جيش يزيد وأهوى عليه بالسيف فصاح الطفل:

(أتقتل عمي..!).

فضربه الغاشم بالسيف وقطع يده فصرخ الغلام فأفاق الحسين من سكرة الموت وقال له:

(ياابن أخي أصبر على ما نزل بك فإن الله يلحقك بآبائك الطاهرين).

هذه مروءة الحسين وهذه نخوته وهذا جهاده الذي ادال دولة وهدم ظلماً، فهل نحن مؤمنون حقاً بالمروءة، ومتى نعمل..؟ أنكتفي بالدموع..؟ أنسير ظالمين مظلومين، وحتى متى..؟[٩٢].

---

(٩٢) مجلة الميزان -العمارة- العدد -٢٧، ٢٨- السنة الرابعة- ١٣٦٧هـ/ص٣٧.

الحسين يدافع عن حقوق الإنسان

بقلم: الأستاذ عبد الحسين الراضي

بدأت قصة الصراع والتخاصم منذ نشوء الحضارة التي ولدت إلى جانبها السيطرة والعبودية. وباستمرار تلك العبودية أو تلك السيطرة ضل النضال مستمراً على مسرح الحياة للتخلص والتحرر منها.

وقد اختلفت وجهات نظر تلك الجماعات التي كانت تقوم بصد ذلك الطغيان بالنسبة للتطور العسكري والاجتماعي فمنها من كان يحول دون استئثار طبقة من الحكام بالحكم، غير أنها حالة انتصارها تنهج مسلكاً مماثلاً للفئة التي قاومتها لذا لم يشهد العالم خلوداً لها، كما لم تكن لها القدرة الكافية على إعزاز كيانها وتحصين مركزها العام لأنها لم تستهدف تحرير الأفراد، ولم تؤمن بذاتية الإنسان.

وقد سايرت حياة الأفراد منذ القدم نهضات إصلاحية تبنت تقويض أسس النظم التي استعبدت الإنسان فرفعت علاقة الأفراد وأمنت حقوقهم وحددت واجباتهم نحو مجتمعاتهم. وليس من الغريب عن الذهن الإنساني أن الإسلام وحده هو الذي من الفرد قوة أعلى من قوته وأشعره بالعزة أكثر مما يشعره بالاستعباد، وحقق له كيانه وشخصيته أكثر مما استذله وأهانه، وأخرج الفرد والجماعة من نطاق الغايات الصغيرة إلى فسوح الأهداف العليا، وإلى آفاق الإنسانية الرفيعة. فأعلن المساواة بقوله تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾.

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

(الناس سواسية كأسنان المشط).

كما نص على صيانة حرية الناس وحفظ حقوقهم: كالحرية والتملك والحياة والأمن ومقاومة الظلم. فدعا الناس إلى احقاق الحق ونشر العدل بين الأنام وأمرهم بأن يغيروا المنكر وقع من حاكم أو رعية فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

(إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يده أوشك أن يعمهم الله تعالى بعقابه) و(من رأى منكم منكراً فليغيره).

وقد نشأت في كل أمة وزمان طبقة أخذت على عاتقها الجهاد في سبيل تحقيق الإصلاح والوقوف بوجه طغيان الحاكمين وتحقيق العدالة الاجتماعية كي يستطيع كل فرد أن يحقق ذاته في الوجود الكوني، وفي سبيل هذه الغايات الإصلاحية يضحي أولئك الرجال بأنفسهم مهما كان الثمن.

فما كان الحسين عليه السلام في ثورته على يزيد إلاّ مثال الرجل المدافع عن حقوق الإنسان التي أقرها رسالة جده وانتهج عليها السلف الصالح من الحكام في الصدر الأول للإسلام، فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فاستعبدوا الناس وتحكموا عليهم من بدون رضا منهم أنكروا حقوق الإنسان وأزدروا بهافشهد الناس في عهد أمية حكماً غريباً عن ديمقراطية الإسلام وتعاليمه السامية مما أدى إلى إثارة حفيظة الشعور الإنساني عن طبقة كبيرة ممن تفهموا الواجب المقدس وآمنوا برسالتهم في هذا الوجود.

أجل نهض الحسين بأعباء هذه الحركة الإصلاحية آخذاً بسفينة المسلمين إلى

شاطئ الأمن والسلامة مضحياً بنفسه وعياله في سبيل هذه الغاية، فهو القائل:

(اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان أو التماس شيء من فضول الحكام، إلاّ لنرد معالم دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك. فيأمن المظلومون من عبادك، وتقام المعطلة من حدودك).

حقاً لقد كان هذا شعاره في الحياة. وكان ذلك هو هدفه الذي لم تمل عنه عيناه، فانبرى لقيادة الناس على النهج الواضح المرسوم بعد أن آلت إليه الأمور، فتهيأ بقلبه العامر على الاضطلاع بالأمر ومجاولة الأحداث.

رأى جموعاً تجيء دارعة تدج بالسلاح. ثم يلتفت يميناً وشمالاً فيرى حاضراً مراً صخاباً بصليل السيوف وقعقة الرماح وأزيز القسي عند انطلاق النبال. فلم يكترث بل أخذ ينتقل كالنجم السيار لا يهدأ له قرار. فلمثل هذه الحياة الحاملة بالدماء عاش ولمثل هذا اليوم ادخره جده الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وإلى الغاية التي من أجلها يخوض غمار القتال كان يرنو ببصره وهو طفل صغير.

بقي الحسين عليه السلام في محنته هذه قوياً صابراً يسدد خطاه إلى هدف واحد لم يبرح مطلقاً مرمى بصره، فلم ينسَ أبداً في زحمة هذا الصراع ولجة هذه الآلام أن له في دنياه رسالة وأن وجوده في هذا الوجود يمنع الحق من طغيان الباطل.

يا لها من رسالة مجيدة أبلغ دلالة على ما في النفس البشرية من مقاييس الرقي والعظمة (ولسوف ينطلق الزمن في بروجه بالجميع وتنطوي صحائف الرجال فلا ينشرها بعد على الأجيال إلاّ ذكر يرفع بصاحبه أن يهوي به إلى قرار. فإذا ذهب العمر وبقي الذكر فستظل تنشر من أمجاد الحسين عليه السلام أسفاراً تجعله في الموت أقرب إلى حسد عدوه منه في حياته) ذلك أنّه اشترى الحق بهذه الدنيا فراجت سلعته ونفقت بضاعته وضلوا هم عن سوائه فأقبلوا على تجارة مآلها عند الأحقاب المتعاقبة ثم عند ربهم الخسران والبوار.

فالسلام عليك يا أبا عبد الله يا سيدي... وعلى المستشهدين بين يديك... قضيت شهيداً في ساحة البطولة الخالدة فخلفت لنا تأريخاً لا نقرأ فيه غير الجد. فلا غرور يا سيدي- فإنك المثل الأعلى للشدة في الحق، صدعت به لا تخاف لومة لائم، فجالدت الباطل بالإيمان، وصارعته بالعقيدة، وكافحته بالعبر. وكان ربك قديراً على عصمتك من اذى الناس ولكنه أراد أن يذيقك حلاوة النصر بعد مرارة الصبر.

ويفتح أعين الذين آمنوا: بأن الموت في سبيل الله هو الحياة الخالدة. وأن أهواء النفوس الحرة ومطامع القلوب الكبيرة أحرى بها أن تكون وسيلة وأجمل بها أن لاتكون غاية. وأن ذوي المثل العليا شعل تضيء للناس فلا يضيرها أن تفني ما دامت قد أفاءت على الجموع الضياء.

بلى – يا سيدي- أضاءت نهضتك المسالك وأنارت لنا المرافق تراها بصيرة المؤمن كلما استشفت حجاب التاريخ عنواناً وضياءً في حوادث الدهر وجبين الأيام.

من أجل ذلك مكر الله بالذين مكروا بك، فأذن للزمن العاتي أن يعبث بهم. فكنت انت المعول الهدام في تحطيم دعائمهم وإخفاء رسومهم. إذ مزقتهم ثاراتك بيد المؤمنين برسالتك شر ممزق وأذاقتهم عذاب الهوان وتلك عقبى الظالمين.

فإذا كان المسلمون اليوم يترنمون بنهضتك من دون أن يفقهوا أسرارها ويرددون ذكرها من غير أن تترك فيهم آثارها، فما برح لها في بعض النفوس أثر وذكرى تنفع المؤمنين بالموعظة، وتدعوا بالحكمة وتهدي إلى سبيل الكرامة والحرية والحياة. فما أجدر القلوب الواعية على اختلاف منازعها أن تخشع إجلالاً ليومك. يوم انطلاق الإنسانية من أسر الأوهام، وسلطان الجهالة. إلى ظلال التوحيد والوحدة، وميادين الوئام والمودة، وفسوح الكرامة والعزة[٩٣].

(٩٣) مجلة الغري -النجف- العدد -٢- السنة الخامسة عشرة- ١٩٥٣/ص٢٤.

رمز الحق والوحدة والإخاء

بقلم: الأستاذ نجيب الراوي

يوم الحسين في التاريخ يوم الحق، فقد أبى الله إلاّ أن يكون الحق جوهر الحياة الإنسانية، والقوة التي توجه كفاءات الناس في حقول الخير والفلاح، وأن يكون لهذا الحق حماة وأنصار ينشرونه في الدنيا رغم أنف الظالم، ويقرونه في الأرض رغم قوى الباطل، لهم من إيمانهم به قوة، ومن الإعتقاد من سمو مبادئه نصير، وقد كان الإمام الحسين عليه السلام - والتاريخ يشهد- إمام هؤلاء الأنصار، بل كان المثل الأعلى للتضحية دون الحق، بل كان دمه المداد الذي كتب به الدهر تأريخ الحق.

فالإمام الحسين عليه السلام لم يكن طالب ملك، أو مفتوناً بسلطان- كما يظن البعض على جهل وغي- إنما كان فداء الحق الذي وقع عليه اختيار القدر، لأنه كان الشخص الذي تتمثل فيه عناصر الإنسانية ومثلها العليا، والشخص الوحيد الذي يقدر بما حباه ربه أن يقف بوجه الظلم ويلقي الحجة على الظالمين فان أجابوه فقد فاز الحق، وأن تنكروا له واعتدوا عليه، فقد أيقظ في الأمة عوامل الثورة والتمرد، ونفخ فيها قوة الكفاح والشجاعة وأرشدها إلى مواطن الضعف في حاكميها الطاغين وهذا ما كان، فدم الحسين الذي أريق في كربلاء هو النور الذي أضاء للمسلمين طريقهم السوي.

ومن هنا كان الحسين أعظم مدافع عن الحق في الإسلام بل في الدنيا، ولولاه ولولا إيمانه الذي لم يثبط عزمه وعقيدته التي وطّنت نفسه على التضحية وهو عارف بها

منذ البدء لكان الإسلام غير ما عرفناه، وكان الحق وهماً تردده الأساطير.

وليس هذا فقط، بل أن تضحيته عليه السلام كانت سبباً قوياً في جمع قلوب الناس على رأي واحد، وفي توحيد جهودهم وقواهم للدفاع عن الحق أينما كان وفي كل زمان، فكان بهذا أقوى عامل في وحدة القلوب وأقوى رابطة بين الأقوام، ومن الوحدة يطلع الإخاء والحب والرحمة والحنان، والإسهام في السراء والضراء وحين الضر، وهكذا جمع الإمام الكريم في شخصه الفذ أسمى صفات الإنسانية، جعلها الناس جيلاً بعد جيل، وقبيلاً أثر قبيل مهما كانت مذاهبهم، ومهما كانت طرائقهم، الرموز المقدسة في الحياة، ما أن يصلها الإنسان، أو يبلغ حدها، إلاّ ويبلغ درجة الكمال.

لئن باعد الزمن بيننا وبين يوم الشهيد فقد قربنا منه التاريخ الذي ما برح يعرضه لنا وضاءً مشرقاً كله شمم وإباء، ونخوة ونجدة، وحمية وتضحية، وأخلاق هاشمية ما بعدها من أخلاق. ولكن إذا كان سلفنا الصالح يكتفي من يوم الإمام بالدمعة الحارة، والزفرة الملتهبة، وتلاوة سورة الفاتحة فإننا في يومنا هذا غيرنا بالأمس، ويجب أن نكون غيرنا بالأمس.

نحن اليوم وقد طلعنا على الدنيا في عصر رائدهُ العقل، وعنوانه تحرر الفكر، وعشنا مع شعوب تأتي كل ساعة بالعجب العجاب من مبتكرات العقل حتى أوشكت أن تسيطر على الدنيا بالذرة، يجب علينا أن نأخذ من الحسين ويوم الحسين أنفع الدرس، درس الإنسانية الأكبر، وأنها لخسارة عظمى إذا لم يستفد منه المسلمون وعلى ضوء هدايته يسيرون.

وعندي أول درس يجب أن نأخذه هو الإتحاد، الإتحاد في الحق على الباطل، وفي الإخاء على التفرقة، وفي الحرية على الاستبداد، وفي الإسلام على عنفات الرأي، فأعظم ما تبلى به الأمة التفرقة، وتمييز هذا عن ذاك، لمذهب أو جاه. أو عنصرية أو رأي.

إن الأمة وحدة متجانسة. كما يشترك جميعها في الواجبات يجب أن تتمتع جميعاً في الحقوق. فلا يقدم كسول ويظفر بكل شيء لأنه ابن جاه أو الثروة والنفوذ، أو بدافع النعرة المذهبية أو العنصرية. فيكون تقدمه للأمة تأخراً. وللعدل الإجتماعي تقهقراً. وللإتحاد صدعاً. ويؤخر المجد النابغ لأنه ابن الفقر لاسند له إلاّ ساعدهُ. ولا معين له إلاّ ربه. فتخسر الأمة فيه العقل والنفع.

فإذا كنا أمة تشعر بأنها أمة موحدة الرأي والهدف. لها آمال مشتركة تسعى لتحقيقها. لها وطن واحد تذود عنه. يجب أن تكون خصومتنا لمن يفرق بيننا بأية صفة ولأية غاية.

ولا شك أننا نناشد قادة الرأي والمثقفين هذه الوحدة. فليتقوا الله في ضمائرهم. وليتقوا الله في مستقبل أمتهم وليمدوا يداً لمن يستحقها ولمن تستفيد أمته منه. وأنه لخجل والله عظيم أن نبقى في فرقة نفسية واجتماعية وفكرية وفوق هذا كله ندعي أنّنا أمة. ويجب أن نحتل مكاننا تحت الشمس[٩٤].

---

(٩٤) مجلة البيان ـالنجف ـ العدد ـ١١، ١٢، ١٣، ١٤ـ السنة الأولى ـ ١٩٤٧/ ص٣١٢.

ثورة على الظلم

بقلم الأستاذ الحاكم: عبد الحميد كبة

قلما يجود الزمان بمثل الحسين عليه السلام ففي شخصه الكريم اجتمعت أطيب الصفات وأفضل الميزات فإلى جانب بطولته وفروسيته تجده كريم النفس وفياً لخلانه مرحاً بشوشاً مع أهل بيته في أشد أيام محنته مخلصاً في عقيدته قوي الحجة مع من يحاجه خير مرشد للناس ورفيقاً متواضعاً معهم لم يتبرم يوماً ولم يضجر من عوادي الزمن فهو بحق مثال للخلق العربي القويم فلا عجب اذا اشرأبت الأعناق إليه ولا عجب ما كان المرجع الذي يرجع إليه في كل الملمات.

لقد هال الحسين عليه السلام أن يرى الظلم الفادح ينزل بأبناء قومه من طغمة لاهم لها إلاّ قضاء الوطر وحفظ الجاه فثار ثورته المعروفة بوجه الطغاة المستبدين غير آبه بما ينتظر أهل بيته ومريدوه من ويلات ومصائب فلاقى ما لاقى في سبيل ذلك ومع هذا فلم يزدد إلاّ إيماناً ورسوخاً في سبيل الحق.

لقد خط الحسين عليه السلام تأريخه بدمه الزاكي فكان تأريخه ملهباً للنفوس والمشاعر ومثير الكوامن.

لقد علم الحسين عليه السلام بمصيره فلم يشأ أن يلحق غيره الأذى مع علمه بأنه أنما ثار من أجل هذا الغير فخبر أصحابه ومريدوه للانفضاض من حوله فكان مثالاً للتضحية ومثالاً لكرم النفس.

فسلام على الحسين يوم ولد وسلام عليه يوم ثار ثورته على الظلم وسلام عليه يوم قتل شهيداً مظلوماً – معفراً وجهه بالتراب.

ستظل ذكراك ياسيدي مبعثاً للألم والتفجع ومعيناً لا ينضب التزود من العبر والعظات ومناراً يستنار به في الملمات وحافزاً للعمل على كبح جماح الظالمين من دون الخنوع لغطرستهم وجبروتهم وستظل ذكراك ماثلة تشير إلى عظيم تضحيتك وعلو همتك وخلودك.

والآن وفي زماننا هذا حيث تتضارب الأطماع وتتكالب النفوس ما أحوجنا إلى شخصية كريمة كشخصية الحسين عليه السلام تنير لنا السبل وتعلمنا معنى الحياة وكيف يجب أن يعيش الإنسان أبياً عزيزاً بعيداً عن حب الذات[٩٥].

(٩٥) مجلة الغري –النجف– العدد –٢– السنة الخامسة عشرة– ١٩٥٣/ص١٨.

مأساة مُرّ

بقلم الأستاذ: جميل رؤوف

في مثل هذا اليوم روع العالم الإسلامي بأعظم مأساة عرفها التاريخ وسجلتها الأيام، وأفظع جريمة ارتكبتها يد الإنسان، ألا وهي مقتل الإمام الحسين بن علي رضي الله عنه، وأي جريمة يا سادة..؟ إنها جريمة سوّدت وجه التاريخ والإنسانية، وصمت جبين الدنيا الإسلامية بالخزي والعار... جريمة يشيب من هولها الوليد وترتعد لها الفرائص وتخمد عند رؤيتها الأنفاس.. جريمة جعلت في كل بيت مناحة وفي كل قلب لوعة وآهة.

جريمة تستدر الدمع السخين وتملأ القلوب أسى على مرِّ السنين كلما تجدد ذكرها ولاح خيالها..

جريمة خرَّ فيها سبط الرسول وابن فاطمة الزهراء صريع الظلم والعدوان، جريمة ملأت آفاق الأرض وأرجاء السموات بكاء وعويلاً على حفيد محمد نبي الله ورسوله، الذي استشهد في سبيل الحق والمبدأ..

أيها السادة مهما نبكي ونشق الجيوب ونضرب الصدور ونفج الرؤوس فلن نوفي إمامنا حقه.. إنه ضحى بنفسه وأولاده وعشيرته في سبيلنا وتلبية لدعوتنا وإعلاء لكلمة الله في بلادنا، ومن أحق بإعلاء كلمة الله غير حفيد محمد، وريحانة محمد، ناهيكم أيها السادة بما يتصف به إمامنا من صفات تجعله بحق خليفة المسلمين وزعيمهم ومربيهم.

ولأترك البحث عن الخلافة والزعامة إلى غيري ممن يحق له البحث فيهما وتثبيت أحقية إمامنا بهما، ولأبحث عن الإمام رضي الله عنه «كمرب» بصفتي مربٍ ولو بموجز القول لأن الحفل في هذه المناسبة لا يتسع للإسهاب والتطويل، أقول إن الإمام رضي الله عنه كان مربياً بحق لأنه اتّصف بصفات هي من مستلزمات المربي الناجح، منها الإيمان بعدالة قضيته والحماس لها بدرجة لا تعرف الوهن والفتور، وهكذا يتطلب من المعلم المربي أن يكون شديد الإيمان بالحياة ومتحمساً بلزوم تحسينها وترقيتها، وقد كان الإمام ذا شخصية قوية وخلق عال وشجاعة متناهية ونفس أبية فارطة في الإباء، وقد تجلت هذه الصفة الأخيرة بأروع مظاهرها عند امتناعه من مبايعة يزيد على يد عمر بن سعد بن أبي وقاص والنزول على حكم عبيد الله بن زياد عندما طلب اليه، بالرغم من حراجة موقفه، ومعرفة نهايته، وهو الموت المحقق..

وهكذا يطلب من المعلم المربي أن يتصف بهذه الصفات ليلقنها إلى طلابه ويدربهم عليها..

وقد كان الإمام صادقاً أميناً مخلصاً منصفاً عادلاً نزيهاً صبوراً عطوفاً يؤثر غيره على نفسه كما يتجلى ذلك بشكل لم يسبقه نظير حينما طلب إلى أصحابه في آخر ليلة أن يتركوه لوحده يقاتل ويستسلم للقدر، ويتخذوا هم من الليل جملاً يفرون به من الموت المحتم – ولكنهم أبوا عليه ذلك– وهذا مما يجب أن يتصف به المعلم المربي ليكون قدوة لطلابه ومثلاً أعلى لهم.

ومما تقدم يتضح لكم أيها السادة أن الإمام رضي الله عنه كان يجب أن يكون بحق «مربياً» للأمة الإسلامية حينذاك ليقودها إلى الهداية والصلاح ويعمل على توحيد صفوفها واعلاء شأنها لتكون خير أمة أخرجت للناس(٩٦).

(٩٦) مجلة الميزان –العمارة– العدد –٢٧، ٢٨– السنة الرابعة– ١٣٦٧هـ/ص٩.

نهضة الحسين (عليه السلام)

تفوق كل نهضة

بقلم الأستاذ: رؤوف البحراني

لقد مضى على نهضة الحسين بن علي عليهما السلام ما يزيد على الثلاثة عشر قرن وهي تكاد تكون حديثة في مفعولها وتأثيرها على الشعوب والأفراد ومدار درس عميق من قبل القسم الكبير من الفلاسفة والعلماء ورجال الفكر سيما في القرون الأخيرة أما في العصر الحاضر فقد أخذ قادة الرأي والفكر تتطلع إلى كنهها ودراسة عواملها دراسة وافية لعلاقة هذه النهضة الوثيقة بما درجت عليه الشعوب والأمم في أقطار المعمورة وتحضيرها لأخذ مكانها تحت الشمس مستمدة العون من زعمائها وقادتها كما أن أفراد الشعوب في كل قطر أخذت تتطلع إلى رجل الساعة والزعيم الأوحد من بين زعمائها لكي تسبغ عليه صبغة الزعامة العليا التي لا ينازعه فيها أحد في بناء نهضتها. فالعالم الإسلامي بصورة عامة والعالم العربي بصورة خاصة يشعر في قرارة نفسه أنّ الحسين عليه السلام بنهضته العظمى كانت له الزعامة العليا للأمم والشعوب لما في تضحيته الغالية من عظمة لا يدانيها تضحية مهما عظمت على كرِّ السنين والأيام.

لقد اجتازت النهضة الحسينية الطريق وعَبّدته أمام قادة الأمم والشعوب وأوضحت لهم السبيل الموصل إلى المجد التليد في بناء النهضات.

لقد مرَّ على احياء هذه الذكرى العظيمة سنين عديدة وكل منا يحييها سنوياً بما توحيه إليه انطباعاته الفكرية عنها وقد تمرُّ هذه الذكرى على الكثير من الناس دون أن يتفهموا مغزاها الحقيقي ولم يبق عالق في ذهنهم منها سوى ما اعتادوا مشاهدته من مراسم وإلقاء ما ينشره الخطباء من مراثي مؤثرة دون أن يتخذوا منها نبراساً قويماً يسيروا بهداه وبذلك يكونوا قد أخذوا نصيبهم من هذه الذكرى العظيمة ونالوا من وراء إحيائها ثواب الدنيا والآخرة فادعوا الشباب ورجال المستقبل إلى الإلتفاف حول الزعامة الحقة التي وضع أساسها لنا أبو النهضات الحسين بن علي عليهما السلام في نهضته المباركة ولتكون لنا ملجأ أو ملاذاً تصد عنا عادية الدهر وصروف الحدثان والله الموفق إلى سواء السبيل(٩٧).

(٩٧) مجلة الميزان –العمارة– العدد –٢٧، ٢٨– السنة الرابعة– ١٣٦٧هـ/ص٦.

من مشاهد كربلاء

بقلم: عبد المجيد لطفي

مؤلف كتاب: الإمام علي رجل الإسلام المخلد

إنّ لعظمة الحسين الشهيد جوانب متعددة. وسيبقى التاريخ يكتشفها للمنصفين بين حين وآخر... وستمر أجيال طويلة متلاحقة وعظمة الحسين خالدة كحادثة فذة في تاريخ العرب والإسلام وفي تاريخ البطولات العالمية.

فاسمحوا لي إذن أن أتكلم بعاطفتي الجياشة عن هذا الجانب من العظمة.. عن البطولة التي تهزء بالجبن والجبناء وتصمد لخضم من حوادث الدهر وكوارثه.

هذه مقدمة لابد منها. فأنا أريد التخلص منها إلى مناجاة تلك البطولة في ذكراها الباعثة على الألم والإعجاب معاً.

من بيده عبر الصحارى والأهوال جاء البطل، لم يكن طامعاً ولا مغتصباً، وإنما كان رائداً للحق..! ولصوت الحق استمع ولهتافه لبى. وكان أمله عظيماً بالحق لأنه لم يعرف سواه في الحياة. وحين لاح له سواد العراق. ارتسمت في مخيلته جسامة ما هو مقدم عليه، وثقل ما هو على عاتقه من حمل، وتلفت هنا وهناك، وأمر الركب أن يسير، ومشى الركب السرى، وأخذت المسافات تضيق. والحدود تتقارب، والأعوان، انصار الحق..! انصار العدل البطولة..؟ لم يبق منهم إلاّ القليل.

أما الباطل فلم يسكت فلقد جاء بخيله ورجله. جاء بجنود تملأ رحب الفضاء ووقف الظلم في ظل الذهب. ووقفت العدالة في ظل المروءة. وتلاقى الخصمان. الظلم بالمأجورين من جنود ومرتزقة، والحق بصورة بطل فذ غير هياب.

ومرت ليلة وأخرى. والظلم يتجمهر ويتجمع في كل مكان، وحلقة الحصار تضيق، وتضيق ويشتد اللهب.. فيحمل البطل. بطل الحرية الإسلامية هذا الطفل الصغير على يديه يريد له ماءً من الأعداء. ولكن لا. فليس هناك قلب ولا ضمير ولا عاطفة. أيريد الحسين الماء لولده عبد الله..؟ أمن جنود يزيد يريد الماء..؟ أمن مرتزقة زياد يريد العطف على طفل. وطاش سهم. أو ريش سهم إلى وريد الطفل. وضحك حرملة ضحكة الدناءة الظافرة. واخترق السهم عنق عبد الله. ورجع البطل إلى معسكره.. ورجع مخضباً بدم ولده ليخضب بدمه بعد حين.

وجاءت ليلة اليوم العاشر من محرم. ليل حالك مخيف. إنّ نهاية المأساة تقترب.

والبطل العربي يشعر بذلك، ويجتمع بأصحابه السبعين..! فيطلب اليهم أن يتخذوا الليل ستراً ويذهبوا ناجين بأنفسهم ويشرق الصباح.. صباح يحمل كراهية التاريخ ولعنة الأبد على الظالمين.

ويلتفت الحسين إلى أصحابه فيجدهم كما كانوا لم يهرب أحد منهم ولم يتسلل في جنح الليل أحد.

إنّ البطولة تريد أن تموت بكرامة كما عاشت بكرامة ويلتحم الأبطال في ضحوة النهار بالجيش اللجب.

أيها التاريخ أنّ خير ما فيك حفظ الذكريات للبطولات ولقد حفظت ذكرى تلك البطولة الحية التي لا يجد المرء أمامها غير الانحناء والإعجاب صادقاً أميناً فلك الشكر الجزيل.

أيها التاريخ الحافل بجلائل الأعمال. هل من عظمة أسمى من عظمة الحسين..؟ وهل من بطولة صاعدة إلى الأعالي كبطولة الحسين..؟

لقد هوى البطل... بين النبال والرماح. وتخضب بالرمل والدم والعرق، وجاشت نفسه الحرة الأبية وتذكرت أعزاءها.

تذكرت العباس وتاقت له...

ووضع بطل مخضب رأسه على حجر بطل مخضب... وقال التاريخ كلمته... فيالها من كلمة لم تنس جلالها الأجيال[٩٨].

---

(٩٨) ذكرى أبي الشهداء -حفلات الشباب النجفي- إخراج دار الغري- من دون تاريخ/ص٧.

عظمة الشهيد

بقلم: السيد محمد رشيد المرتضى

إن في ثنايا التاريخ العربي الإسلامي أو بعبارة أشمل التاريخ العالمي ثغرة وثلمة من الزمان خطيرة ليس في وسع الكتاب البلغاء أن يبلغوا حد خطورتها كما ليس في مقدور الخطباء الفصحاء أن يصفوا مدى تأثير حادثتها ولكنها في الوقت نفسه حادثة تشع من نوافذها أنوار الكمال الإنساني والخلقي أنوار المبادئ السامية والمثل العليا أنوار الشمم والأباء والتضحية العظمى.

تلك هي حادثة يوم عاشوراء التي استشهد فيها ريحانة رسول الله ومن قتل معه من آل وأصحاب وإنها لحادثة عظيمة في معناها وغايتها خليلة فيما خلقت من أجواء تحريرية يجد فيها المتكلمون عزاءهم وسبيل التعبير عن آرائهم.

لقد اهتز هذا الشهيد اضطراباً لأنين الشعب المضطهد تحت إرهاق جبابرة ذوي أطماع استبدوا به وأرهقوا ومضوا على خطتهم في الضغط عليه وتكميم فاه.

فقام الحسين بحملة عنيفة وهب لثورة عتيدة ثار بعشيرته وصحبه متحملاً كل عبء مرهق هب يقاوم جيوش الطغيان منتصراً للشعب المهضوم الراسف في القيود ليرد عنه عادية الطغاة المستبدين.

لقد كان قرير العين هادئ البال وهو يرى نفسه يسام المر حيث يرى صبيته تتلوى من شدة العطش ويرى نساءه يتفجعن بين يديه ثم يشاهد مصرع فتيانه من آل وأصحاب يتهاوون على وجه الصعيد حتى الرضيع فتارة يقول في طفله:

(هون عليَّ ما بك أنه بعين الله).

وتارة يقول لشبله:

(قاتل فاني أرجوا أنك لا تمسي حتى يسقيك جدك).

وتارة يصيح في بني هاشم:

(صبراً يا بني عمومتي صبراً يا آل بيتي فوالله لا رأيتم هواناً بعد هذا اليوم).

وتارة يقول لأصحابه:

(قوموا رحمكم الله إلى الموت الذي لابد منه فهذه السهام رسل القوم إليكم).

ولعل هذا الموقف من أروع مواقف بطولته وأقوى مشاهد إقدامه لأن هذه الفقرة كما قال بعضهم:

«ترسم بكل وضوح نفسية الحسين غير هياب ولا وجل يدعو أصحابه إلى الموت كأنما هو يدعوهم إلى مأدبة لذيذة».

ولقد كانت لذيذة عنده حقاً لأنه وهو ينازل الباطل يرتسم له برهان ربه الذي هو مبدأه ويسمع صوت الله الذي هو ضميره.

ولذلك كان يرى تلك الفظائع كلها وهو قرير العين هادئ البال في نشوة من المبادئ الحرة الخالدة التي يدافع عنها ويتفانا دونها وفي غمرة من المثل العليا التي تشع انوارها الساطعة بين ناظريه لأنّ من تسيطر عليه الفكرة السامية وتملك شعوره الأماني

العذاب لا يشعر بمريرات العذاب لا يحس بآلام الحياة وأزمات الأعصاب ولو سجر من حوله الأتون.

وكما قال الأستاذ العلايلي في الحلقة الثالثة من حياة الحسين عليه السلام المطبوعة حديثاً «إن الحياة الإنسانية الحقيقية هي الفكرة فقط بلا جرم أن نجد المؤمن بفكرة في الحياة يسعى لنشرها ويكافح من أجلها مهما كلفته لأن فكرته هي تمده بالحياة أو تجعل لها لوناً يجذبه إليها فإن خرجت الحياة عن قاعدة فكرته التي يؤمن بها فأمّا أن يعيش غريباً متألماً وأما أن يخلد مجاهداً.

وكذلك الحسين فضل الخلود في الجهاد على العيش في غربة.

ثم يقول وأما الذي يعيش بدون فكرة فإنه حيوان ساذج يحيا بالغريزة وحدها وبذلك ينحدر عن مستوى النوع الإنساني.

اذاً فلشهادة الحسين عظمتها البالغة وأهميتها العظمى لأنها تركت تيارات كبيرة في مجر ى التاريخ الإسلامي العربي وكيّفت الوضعية العامة في الشرق الإسلامي بكيفية بقيت طوابعها ملموسة قوية ورائعة مشعة كما كان ذلك الحدث الخطير مثلاً فذاً خالداً في التضحية والاستماتة في سبيل المبدأ.

فظل الحسين بطلاً إنساناً كما ظل بطلاً دينياً لأنه استشهد في سبيل الدين والأخلاق وضحى من أجل المبادئ والحريات ولذلك تقيم حادثته العالم وتقعده في كل مكان وزمان من مشارق الأرض إلى مغاربها فيقفون جميعاً واجمين خاشعين إعجاباً وإجلالاً يملأ القلوب وإكباراً تفيض به الأرواح وسيبقى ذلك كذلك على مَرّ الدهور والأعوام.

أيها الذائد عن شرع الهدى	**أنت رمز للمعالي يا حسين**
ذكرك السامي سيبقى خالداً	**أبد الدهر يهز الخافقين[٩٩]**

---

(٩٩) مجلة الميزان –العمارة– العدد –٢٧، ٢٨– السنة الرابعة– ١٣٦٧هـ/ص٧.

الحسين بن علي فكرة باقية ومعنى خالد

بقلم: قدري حافظ طوقان - فلسطين

الحسين بن علي مجموعة من الفضائل. وهو مثل كامل للرجل الشجاع المخلص للحق والمتفاني فيه.

كان الحسين جريئاً في الحق وصريحاً. وقد انتصر بأخلاقه وإيمانه. وهو في حياته الأسوة الحسنة يلتمسها الناس والأجيال.

لقد سيطر عقله على هواه. وحوت نفسه أشرف ما تحويه النفس الإنسانية، من غيرة على الحق وإعلاء لشأنه وأذل شهواته ورغباته وجعل من نفسه سلطاناً، وأبعدها عن الرياء والتصنع فكانت النفس الصافية، وكانت النفس النقية الطاهرة.

وفي الحسين تجسمت الأخلاق النبوية حياة وحركة، وقد آمن بالحق فسعى إلى التماس طريقه والفناء قولاً وعملاً.

في سيرته تتجلى التضحية في أروع صورها وأسماها في سبيل العقيدة والإيمان، كما تتجلى صفات هي أنبل الصفات وأعلاها من فداء وإيمان وإيثار وشجاعة، وصبر ورعاية للحق. وقد سرت منه إلى الذين حوله فبعث فيهم هزة روحية أبانت لهم طريق الاستشهاد والفداء فآثروا جمال الإخلاص على متاع الدنيا. فكانوا الشهداء وكان أبا الشهداء في بذل الدنيا في سبيل الخلق والروح والفضائل. والحسين في شجاعته بلغ

الغاية بل غاية الغايات. وهذا ما يجعل من حياته سفراً تستمد منه الأجيال أبد الآبـدين، الفضيلة والإقدام، ويستلهمون العزيمة والإلهام.

كان الحسين صاحب عقيدة راسخة في الدين وفي رسالة الدين، وقد تمكنـت هـذه في نفسه فعمل على أدائها على أشـرف وجـه وأتمـه. عـز عليـه الإذعـان. لأن قلبـه كـبير عامر بالإيمان.

فلم يأبه للنصر العاجل فخرج بالأهـل والأصـحاب، خروجـاً انتـهى باستـشهاده واستشهاد جماعته وأهله ففاز بالنصر الآجل بعد موته، وهو نصر عظيم أحيى بـه قـضايا الخلق والفضيلة والبطولة، وكشف معارج الخلود والمجد لمن يريد أن يعرج فيها.

إنّ الحسين آية من آيات الله، في رسالة الكمال الإنساني والإنسانية الكاملة. الهدى والحق سمتها في أرفع درجاتها، والحكمة والخير شعارها في أسمى معانيها.

وهو الآن فكرة باقية. وهو الآن معنى خالد.

فكرة الكفاح في سبيل الحق وإعلاء كلمته. ومعنى الأريحية والبطولة، والتـضحية، والشرف[١٠٠].

(١٠٠) ذكرى أبي الشهداء –حفلات الشباب النجفي- إخراج دار الغري- من دون تاريخ/ص٣٥.

السعادة الخالدة في مبدأ الحسين (عليه السلام) ونهضته

بقلم: محمد صفي الدين الحسيني

ليست السعادة في بناء قصور شامخة وجنائن يانعة وخزائن قارونية إذ كلها تنهار ولا في جلال جمال مزان بتيجان يذهب شعاع سناها الأبصار وكلها تذبل.

ولا في سلطة وسلطان يتّسع سير الأمر والنهي فيهما اتساع مسير النيرين وكله عرضة للزوال. أجل ليست السعادة في هذه المتع لذاتها وبما هي هي.

بل السعادة في معرفة الحق ونصرته والعدل وسيرته والجهاد فيهما، وحب الخير وعمله والتضحية بالمال والأهل والنفس في سبيل الواجب ونزع رداء الكبرياء والعجب للمثول بالخلق الجميل.

السعادة في قيادة الأمة ورفع مستواها لنيل خير الدارين في كبح جماح الظلم عنها في تحطيم أنياب الظالم المستخف بحرمة الشرائع والأنظمة في تجنيد المثل العليا بالعلم والعمل لتحويل الألم إلى أمل والكبوة والغفلة إلى وثبة جبارة وثورة فعالة تسحق عروش الاستبداد في تلبية صوت الحق للقيام بفكرة الفنان المبدع لتوحيد الميول إلى أسمى مطامع العزة والإباء والعبقرية والشمم وبعث النفوس من أعماقها لحب الفناء في مرضاة خالقها وحماية شعائر دينها وشرف عرضها وكرامة أوطانها في هذا السبيل ولهذه الغايات الشريفة كانت الوثبة الهاشمية والنهضة الحسينية حيث طغت الغفلة على الإنتباه والأوهام على الحقائق والظلمة على النور ودولة الباطل على الحق وصولة الجائر على

العدل حيث تاهت الإنسانية تتخبط في سراديب الظلمات المطبقة الملتوية المتعفنة برذائل شهوات النفوس المنحطة سعياً وراء خيال سعادة موهومة.

وارتفع الكامل بالإنسانية عن ذلك الأفق المظلم والمرتع الوخيم ارتفع ناظراً بمدارك العقل ونور العلم إلى السعادة الخالدة سائراً في طريقها المنير المستقيم المعبد العباق بطيب كمال النفس الرفيعة المحفوف بجداول ينابيع الحكمة شاكراً مولاه على ما أولاه والكامل في إنسانيته الشاكر لمولاه قليل في كل زمن وقليل من عباد الله الشكور.

ارتفع الحسين عليه السلام بنفسه العالية وصحبه عن مساوي سلطان النفوس المنحطة ليفتح للأمة طريق المجد الخالد والسعادة الدائمة ورأى لزاماً عليه خروجه من حرم جده الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم كخروجه من حرم الله المعظم كي لا تنتهك حرمة أحد الحرمين.

خرج متوجهاً نحو العراق بأثقال بيت الوصي وتراث النبوة وشعار الإمامة واعلام الشرف والعزة تخفق عليه كخروج موسى خائفاً يترقب.

وعلى مقدار ارتفاع الحسين عليه السلام اللامتناهي بآله وبمن والاه في سماء الفضائل والكمال كان انخفاض طاغية أمية بآله وأتباعه في حضيض الرذائل والفحش والفجور حتى غرقوا في أوحال المتع الدنسة ولفظوا على أبوابها أنفاسهم.

توجه السبط مرتفعاً ونفس أبيه بين جنبيه يستعذب الموت في سبيل استقامة الدين واقتلاع الأسلاك الشائكة من طريقه وتطهير أرضه وسمائه من جراثيم أوباء فساد السلطة الأموية الفتاكة المنتشرة التي حنضلت ذوق الحجاز ومصر والشامات ونخلات العراق.

العراق الذي تجند بحلاوة الإيمان وفيض الشهامة ونجدة العروبة تحت الراية الحيدرية قبل حين مجاهداً حتى أحرز النصرة بواقعة البصرة وأخمد أنفاس الشياطين يوم النهروان وصفين.

وليس العراق بمر المذاق لأهل بيت النبوة كغيره. أوجف يوم صراع الحق والباطل والخير والشر يوم واعية الطف حينما أرجف ابن زياد بأشرافه وحال بينهم وبين نصرة الحق بالحبس والقتل والتهديد والوعد والوعيد بمعونة الحرورية وأشياع الأموية.

اختار الحسين عليه السلام من العراق كربلاء على أنها رمز كرب وبلاء طالت به على سواها وعلت، حل بها السبط مستبدلاً موارد عذب فراتها بورود مناهل الصبر على طعن الرماح وبضع السيوف بأصحابه وأسرته وأبنائه وأخوته ونفسه مستعذباً مرارة كل خطب وألم في سبيل إحقاق الحق ورفع منار الشرف الهاشمي والشرع الأحمدي والشمم العربي ضارباً بموقفه الذي لم يزل مفرداً في التاريخ المثل العليا بالحكم البالغة بقوله والحكم الفاصل بعمله حيث انفجرت براكين البغي والظلم والطغيان والحقد القديم والعدوان من عرش أمية في الشام وتاه يزيد بتفكيره وضل في تدبيره واستباح بجيوشه الجرارة أعظم الحرمات وداس بحوافر خيول ضلاله وبدعه مقدسات الشرائع وسوّد بمساوئ أخلاقه ومخازي فحشه وجه الكرامة العربية والسيادة القرشية وتغطرس في هواه واستشعر رداء الكبرياء فأخذه الله تعالى أخذ عزيز مقتدر واقتلع من تخوم أرضه بذور شجرته الموصوفة في كتابه وجعله لعنة الأولين والآخرين.

ولأن تكن أصابت سهام واقعة الطف مضارب الحسين عليه السلام وجسمه الشريف فقد فتكت بروح طاغية أمية وأدمت قلبه وهدمت علاه ومجده واجتثت أرومته فلا عين ترى شخصاً ولا إذن تسمع صوتاً ينتسب إليها فأما اجتثاث أرومة وقطع دابر أو قبح سيرة كاشف عن خبث سريرة يتهرب العامل من الإنتساب إليه فآية من آيتين وكرامة من كرامتين يثبتها العقل بعد الانتباه والتحليل لسيد الشهداء سبط الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

فالسعادة الخالدة إذن في مبدأ الحسين عليه السلام ونهضته.

والأمة السعيدة أمة تقتفي أثره وترد قوله:

(لا أرى الموت إلاّ سعادة والحياة مع الظالمين إلاّ برما...).

أرفع كلمتي هذه إلى من لهم الفضل علينا بما قاموا به من إحياء ذكرى سيد الشهداء بهذه الصورة التي تتمشى مع ميول الثقافة العالمية فهي جهاد في ميدان الثقافة تتصرف فيه الأفكار مرشدة من لا يزال يرى هذه الذكرى سداً في طريق الوفاق والتقدم إلى ما تبعثه في النفوس من الانتباه للاقتداء بسيد الشهداء عليه السلام[١٠١].

(١٠١) مجلة الغري -النجف- العدد -٩، ١٠- السنة العاشرة- ١٩٤٨/ص٢٠٩.

دروس بليغة في التضحية

بقلم: علي الملا ضامن

ما أعظمك يا يوم عاشوراء وما أفدحك وما أجلك بل وما أقساك وما أخطرك بل وما أفجعك. عظيم لأنك أمليت دروساً بليغة في التضحية يعجز عنها وصف الواصفين وعلمت العظماء عظمة المبادئ وكيف أنه يجب التضحية من أجلها.

عظيم وكيف لا تكون عظيماً وفيك وفي نهارك الأغبر القاتم عرفت قيمة الإباء ومعناه وفي اليوم الحالك عرفت الشهامة والمرءوة بل يومك هذا عرف الحق وتميز الباطل.

عظيم وكيف لا تكون كذلك وهذه صيحتك الداوية بقيت خالدة على مر الدهور والأجيال عظيم وهذه ذكراك المجيدة التي تعج بها أصوات الأحرار مستمدة تلك الروح من عظمة ذلك اليوم المشهود.

عظيم وعظيم جداً اقترأنك في مستهل كل عام من أعوام التاريخ لتمل علينا تلك الدروس الخالدة لتكون عبرة للمعتبر ومنهاجاً قويماً يحسن العمل به والأخذ بتعاليمه.

عظيم ومدى تلك العظمة ظاهرة بأجلى مظاهرها على مر السنين وتعاقب الأزمان.

عظيم لأنك الهبت النفوس حماساً وعلمتها كيف تثور على البغي والطغيان وعلى الظلم والجور والباطل فتمزقه شر ممزق.

عظيم لأنك اذكيت تلك الشعلة في النفوس ولولا اذكائك لهذه الشعلة لبقي العالم خاضعاً لتلك النواميس العابثة والعبودية العمياء التي لا يمكن أن يسود فيها سوى الجور والظلم والطغيان.

وما أفدحك يا يوم عاشوراء لأنك أثكلتنا رمز الحرية ونبراس الحق ومبدأ المجد وغذي النبوة وصفوة الخليقة فجدير بك بعد أن سودت صحائف التاريخ بتلك الفوادح الممضة أن تسمى يوماً فادحاً مشؤماً.

وما أجلك يا يوم عاشوراء لأنك لم تدع لناهض من عذر في التضحية مهما بلغت منه ومهما كان نوعها بعد الذي جرى في طف كربلاء من ذلك القتل والسلب والنهب الذي لم يزعزع ولم يؤثر في موقف سيد أباة الضيم مع علمه بوقوع هذه الكوارث بل وما هو أعظم منها فأقدم ذلك الإقدام المهيب الرهيب الذي حق أن يخلده له التاريخ بل وأن يسجل له صفحات القلوب بمداد العبرة.

وما أقساك يا يوم عاشوراء حيث عدوت على توزيع أوصال رمز الحق والحقيقة فقطعتها بخنجر البغي ظلماً منك أنك قضيت على كل شيء ولم يدر بخلدك أنّ الآيةتنعكس وذلك الرمز يعود زاهياً بل أنه ينمو ويربو كأنما كأن هذا النمو موقوفاً على سفك تلك الدماء الزكية التي لولا سفكها لما سميت قاسياً.

وما أخطرك يا يوم عاشوراء وما أخطر موقفك ذلك الموقف العصيب الرهيب الذي كاد أن يديل الحق فلا يعرف له ذكر ولا يؤثر له خبر لولا أن تنهض بالحسين وبالنخبة الذين آزروه حميتهم فيهب إلى ذلك الكفاح الذي لم يشهد له التاريخ من مثيل ويضحوا بكل ما عز لديهم من أجل انتشال الحق من تلك الهاوية السحيقة حتى لقد برهنوا على خساسة نوايا أولئك الطغاة بأنهم أشر قوم عرفهم التأريخ حيث أدت بهم النوايا الخسيسة إلى ذبح الرضع من الأطفال وقتل من لاذنب لهم من أولئك الصغار فحقيق بك أن تسمى يوماً خطيراً لأنك أوقعت الزلزال في صفوف أولئك الجائرين بعد ما شعروا بما ارتكبوا فشتت شملهم. وما أفجعك يا يوم عاشوراء حيث أرتكبت فيك منتهى الفجائع من قتل شنيع وتمثيل فضيع(١٠٢).

(١٠٢) مجلة الغري –النجف– العدد –٦٠– السنة الثانية– ١٩٤١/ص١٠٥٧.

ذكرى استشهاد الحسين (عليه السلام)

بقلم: السيد كاظم محمد النقيب

إن ذكرى استشهاد الإمام الحسين عليه السلام التي تمر على أُمتنا الإسلامية كل عام ونشاهد فيها مظاهر الحزن والأسى والمصاب واللوعة.

إن هذه الذكرى العظيمة هزت التاريخ البشري وتركت للناس عامة وللمسلمين خاصة دروساً وعبراً، فما أجدرنا أن نستلهم من وحيها وننهل من معينها التضحية والفداء ونكران الذات والاستهانة بالحياة في سبيل المحافظة على عقيدتنا وديننا وإسلامنا وشريعتنا. ما أحرانا ونحن نمر في ظرف دقيق وحاسم من تاريخ أُمتنا الإسلامية أن ننظر إلى معطيات هذه الذكرى الأليمة والفاجعة الكبرى بعين فاحصة وقلوب عامرة بالإيمان لنتعلم الكثير من دروسها مما نستفيد به في مرحلتنا الحاضرة. أمّا الاستهانة بهذه الذكرى والاستخفاف بها والوقوف السلبي إزاء مرورها، أو الاكتفاء بوصفها بالمظلومية ووصف الإمام الحسين عليه السلام ومن قتل معه من أهل بيته وأصحابه ومن بقي من حرمه بما لا يليق بهم من الذل والهوان لاستدرار الدموع. فإن ذلك معناه القضاء على اهداف الحسين عليه السلام ومن ثم تضييع الجهود التي بذلها وتضييع شهادته والإنحدار بها دون مستواها اللائق بها.

فلا نكون نحن الذين نحب الحسين عليه السلام ونقيم ذكرى استشهاده من الذين يأخذون بأيديهم المعاول ليهدموا الدين الذي ضحى في سبيله بترك العمل من أجل

إقامة أحكام الله في الأرض إن الحسين ثار ونهض وضحى عندما رأى بني أمية يتلاعبون بالدين ومقدرات المسلمين ولم يسكت ولم يداهن بل خرج من مدينة جده تاركاً مسقط رأسه ووطنه والأرض التي ترعرع على ثراها ومفارقاً قبر جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قاصداً إلى هذه الأرض الطاهرة ليضحي بنفسه وأهله وأولاده وأخوته موضحاً أهدافه وغاياته التي من أجلها فعل كل ذلك ولأنها عنده سلام الله عليه أسمى من كل شيء حتى من حياته إذ أنه ضحّى بها في سبيل اهدافه التي أعلنها على الملأ العام عند خروجه حيث قال:

أما بعد فإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي رسول الله ولآمر بالمعروف وأنهى عن المنكر.

هذه هي الأهداف السامية والغايات النبيلة التي عمل الحسين من أجلها لقد عاش الحسين بن علي عليه السلام في عصر طغى فيه الظلم من قبل الحاكمين الجائرين من بني أمية الذين تربعوا على كراسي الحكم في البلاد الإسلامية دونما رضاهم ولا أهلية ولا قابلية فيهم فما كان من الحسين وهو ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي جاء بهذا الدين الإسلامي إلى الناس كافة.

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَـٰذِيرًا ﴾.

فما كان من الحسين وهو ابن علي أمير المؤمنين الذي جاهد وأبلى بلاءً حسناً بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليشيد أركان الدين الإسلامي فما كان منه عليه السلام إلا أن أعلنها صرخة مدوّية في أجواء العالم الإسلامي يسمعها ليس فقط أولئك الذين عاصروه وعاشوا في أيامه بل يسمعها كل من كانت له أذن واعية في كل عصر ومكان وها هو صوته معلناً:

«أما بعد فإني لا أرى الموت إلاّ سعادة والحياة مع الظالمين إلاّ برما».

وهكذا أعلنها الحسين عليه السلام صراحة دون لف أو دوران فهو لا يرى للحياة ثمناً وهو ينظر إلى الظالمين المستبدين يتولون رقاب المسلمين ويتلاعبون بمقدراهم بل على العكس من ذلكم كله انه كان يرى القتل والموت في سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفي سبيل إقامة أحكام الله ونبذ أحكام الكفر والطاغوت أحلى من الشهد وخير من الحياة التي يحياها المؤمن ذليلاً وقد اختار الله له العزة والكرامة ولقد أجاد سيد حيدر الحلي حيث قال:

كيف يلوى على الدنية جيداً ... لسوى الله ما لواه الخضوع

فأبى أن يعيش إلاّ عزيزاً ... أو تجلى الكفاح وهو صريع

هكذا كان الحسين لقد عاش عزيزاً وأبى أن يموت إلاّ عزيزاً لقد عرض أعداء الله ورسوله على الحسين عليه السلام الأمان مراراً وتكراراً ولكنه كان يعلم أنه لا أمان للغدرة الكفرة الفجرة، ولقد رد عليهم بقوله عليه السلام:

«**والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقر لكم إقرار العبيد..**».

ولقد خطب عليه السلام أصحابه ذات مرة فقال بعد الحمد والثناء:

«**أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً عهده مخالفاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعمل في عباد الله بالأثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا قول، كان حقاً على الله أن يدخل مدخله. ألا وأن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتولوا عن طاعة الرحمن وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود وأستأثروا بالفي وأحلوا حرام الله وحرموا حلاله. ثم قال ألا وأن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة وهيهات منا الذلة يأبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وحجور طهرت وأنوف حمية ونفوس أبية من أن تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام ألا قد اعذرت**

وأنذرت ألا وأني زاحف بهذه الأسرة مع قلة العدد وكثرة العدو وخذلان الناصر».

أي رجل هذا الذي يلتفت إلى أصحابه في أحلك الساعات وأحرج المواقف يقول لهم ليأخذ كل واحد منكم بيد رجل من أهل بيتي وتفرقوا عني فإن القوم لا يريدون غيري فما كان جواب أصحابه إلاّ أن يقولوا أنحن نخلي عنك لا كان ذلك أبداً لأنهم اطّلعوا على أهدافه التي خرج من أجلها أولاً والتي أعلنها مراراً وتكراراً بقوله عليه السلام:

«اللهم إنك تعلم أنه لم يكن ما كان منا تنافساً في سلطان ولا التماساً من فضول الحطام ولكن لنرد المعالم من دينك ونظهر الإصلاح في بلادك ويأمن المظلومون من عبادك ويعمل بفرائضك وسننك وأحكامك..».

أيها المسلمون لم ينهض الحسين تلك النهضة التي قتل فيها إلاّ لعلمه أنه بقتله حياة الدين الإسلامي وأنه بقتله ومصرعه على هذه الأرض الطاهرة يكون انهيار عروش الظالمين المستبدين بالأمة من بني أمية وأنه عليه السلام قد ترك لنا درساً يجب أن لا ننساه ولا نغفل عنه برهة واحدة وأن صوته لا يزال في أجواء كربلاء يتردد ألا هل من ناصر ينصرنا وإني اقسم بالله قسماً عظيماً بأن الحسين ما كان يريد الناصر لكي يخلصه من القتل وإنما يريد الناصر لينصر هذا الدين الإسلامي والآن وقد عصفت بهذا الدين الذي ضحى أبو الشهداء بمهجته في سبيله عواصف الكفر من جميع الأركان وأصبح الدين غريباً بين أهله وذويه وأصبح أهله لا يعرفون منه سوى أنهم مسلمون بالاسم وبالاسم فقط فهل يوجد اليوم من يستجيب لنداء الحسين عليه السلام لينصر هذا الدين ويخلصه من شوائب الكفر ويجعله شريان الحياة ويحكمه في كل صغيرة وكبيرة بعد أن عزله الكافر المستعمر عن شتى ميادين الحياة والجأه إلى طقوس وآداب تؤدى في زوايا المساجد وخبايا البيوت والله سبحانه يقول:

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾(١٠٣).

(١٠٣) مجلة رسالة الجمعية الخيرية الإسلامية -كربلاء- العدد -٥، ٦- السنة الأولى ١٣٨٧هـ/ص٣.

عِبرة وعَبرة في ذكرى سيد الشهداء

بقلم: عباس جودي

أيها السادة

لقد قضي الأمر، ووقعت الواقعة، وانجلت معركة الطف الدائرة بين أنصار الحق والخير والفضيلة، ودعاة السوء والباطل والرذيلة، وبين جنود العدل والنور، وجيوش الظلم والظلام عن مصرع إمام الشهداء وفخر الإنسانية في التضحية والشهامة والإباء، أبي عبد الله الحسين عليه السلام ومصرع الأنجاد المغاوير من آله وأنصاره، تسفي عليه الريح في العراء، وتبكيهم الملائك في السماء، بل بكتهم السماء بوكفها وإحمرارها، والأرض بآكامها وأحجارها، وحتى الوحوش في آجامها وأوجارها، وعن جزع الفواطم وحيرتهن وذعر الأطفال وعويل اليتامى في ذلك المهمة القفر والموقف الرهيب في البلد النازح الغريب.

وراح الجيش المبتهج بالنصر المزيف والظفر المؤقت يقرع الطبول ويضرب بالصنوج مسرعاً في سيره نحو الشام حيث يعتصم طاغيته الرعديد، وطاغوته الأرعن البليد، يجرجر خلفه السبايا من عقائل هاشم وبنات محمد، ويحمل إليه ذلك النبأ المرعب الأثيم، نبأ اندحار جيوش الحق، وانتحار جنود الفضيلة، وليستنجزه وعوده وأمانيه من غرض زائل وعطايا تافهة لا تلبث أن تذوب وتتلاشى في حمأة الرذيلة والشهوات، الشهوات الدنيئة التي جبلت عليها نفوس ذلك الجيش المجموع من سفلة

الأوباش والأذناب، وطبعت عليها نفوس قادته الذين أرخصوا ضمائرهم في سبيل شهواتهم، وباعوا آخرتهم بدنياهم وفضلوا عرض الجاه والسلطان على جوهر الدين والإيمان.

الى هذا الموقف الحاسم - أيها السادة- انتهت معركة الطف منذ ثلاثة عشر قرناً وسبع سنين عدداً، فلمن كان النصر المؤزر بعد ذلك..؟ ولمن كان المجد والخلود..؟ أللحسين الشهيد، أم ليزيد الظالم العنيد..؟

هنا يقول الأستاذ عباس محمود العقاد في كتابه (أبي الشهداء) «وقد بلغ كلاهما من موقفه أقصى طرفيه وأبعد غايته، فأنتصر الحسين بأشرف ما في النفس الإنسانية من غيرة على الحق وكراهة للنفاق والمداراة وانتصر يزيد بأرذل ما في النفس الإنسانية من جشع ومراء، وخنوع لصغار المتع والأهواء».

لقد انتصر يزيد في جولة من جولات الباطل الفاشلة وفلتة من فلتات الزمن الغادرة ولكن (الحق يعلو ولا يعلى عليه) ولو بعد حين، (والظلم لا يدوم فإن دام دمر).

إذا شاء القدر العادل مرة أخرى وفي بضع سنين فقط أن يظهر الحق فيدمغ به الباطل وأن ينصر الفضيلة فيقمع بها الرذيلة، وأن يديل الظلم والجور ويزلزل أركانها فيبعث رجلاً من ثقيف هو (المختار) ابن أبي عبيد يؤازره قوم عرفوا بالتوابين اتخذوا الأخذ بثارات الحسين وآله شعاراً لثورتهم التي قاموا بها ضد البغي والطغيان، فنصرهم الله نصراً عزيزاً، ومكنهم من أولئك المجرمين فمثلوا بهم وجزوهم مثلما فعلوا، وما كان ربك بظلام للعبيد، وكذلك يجزي الظالمين.

ثم تلاحقت الثورات وتعاقبت الدعوات وكلها تتذرع بذريعة واحدة هي «فاجعة الطف» وتتخذ شعاراً واحداً هو اسم الشهيد الأعظم، فلم يمض نصف قرن على تلك

الفاجعة العظمى والمصيبة الكبرى إلاّ وأنهارت أعظم إمبراطورية عربية على وجه الكرة الأرضية، ذلك لأن تلك الفاجعة الأليمة كانت أشبه (بالديناميت) وضع في أساس تلك الدولة التي قامت على الظلم والبغي والغصب فنسف كيانها وهدَّ بنيانها وتركها أثراً بعد عين، ولم يبق لأولئك الذين خيل اليهم أنهم انتصروا على جند الله وسيوف الحق في تلك الملحمة التاريخية الموجعة غير الذكر السيء والاسم المقرون باللعنة والخزي والعار لتسويدهم صفحات التاريخ الإسلامي تلك الجريمة الشنعاء والجريرة النكراء، وما أعقبها من جرائم لا تقل عنها بشاعة وشناعة، كجريمتي هدم الكعبة واستباحة مدينة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

تلك عاقبة الذين ظلموا، وفي ذلك لعبرة لقوم يعتبرون.

هذا ما كان أيها السادة- من نتيجة منتظرة وعاقبة سيئة مقررة لتلك الفئة الباغية والعصابة الطاغية التي حاربت قلبها لأجل بطنها وحاربت ربها لأجل منافعها وشهواتها، وبئس العاقبة وبئست النتيجة.

أمّا العاقبة التي صار إليها الشهيد الأعظم الحسين بن علي عليه السلام، الحسين الذي سخى بنفسه وضحى بأولاده وأخوته ورضي بسبي حريمه وأطفاله، وذلك في سبيل إعلاء كلمة الله وشأن الدين ورفع منار الحق وراية الفضيلة، الحسين الذي خط لبني الإنسان طريق التضحية والتفاني في سبيل المبدأ والكرامة والعزة وعلمهم القيام في وجه البغي والعدوان، فقد انتصر انتصاراً أبدياً وبقي اسمه الكريم وسيبقى إلى أبد الآباد محاطاً بهالة من التقديس والإجلال والإعجاب من قبل المسلمين وغيرهم، وكذلك شأن الشهداء الذين باعوا أنفسهم رخيصة في سبيل نصرة الحق ومبدأ الحسين.

وليس أدل على انتصار الشهداء في تلك المعركة الخاطفة من اهتمام العالم الإسلامي بتخليد ذكراهم وتمجيد أعمالهم على كرِّ العصور ومر الدهور، وتقديس

قبورهم الطاهرة وإقامة المباني الفخمة والقباب الرفيعة عليها المآذن السامقة من الذهب الأبريز والحجر النفيس، وزيارتها في كل مناسبة وفي غير مناسبة للتبرك بها والتقرب إلى الله تعالى بمن حل فيها، تلك القباب المقدسة الزاهرة التي يقول عنها كاتب العرب وأديب القاهرة (العقاد) ما نصّه «فما أظلت قبة السماء مكاناً قط هو أشرف من تلك القباب بما حوته من معنى الشهادة وذكرى الشهداء» ويقول أيضا «فهي اليوم مزار يطيف به المسلمون متفقين ومختلفين، ومن حقه أن يطيف به كل إنسان لأنه عنوان قائم لاقدس ما يشرف به هذا الحي الآدمي على سائر الأحياء».

وأخيراً أيها السادة فما هذه المآتم والاحتفالات، وما هذه المجالس والزيارات، إلاّ مظهراً من مظاهر ذلك الانتصار الروحي الذي توخاه الحسين الشهيد من وراء استشهاده وتضحيته لأنها خير واسطة لنشر حقائق الدين وتعاليمه وارشاداته وتهذيب النفوس وصقل العقول بما يجري فيها من مواعظ وحكم وما يروى فيها من سير الأبطال من المسلمين الذين خدموا الدين وذادوا عن حياضه ونشر لوائه في أركان المعمورة ولا يبغون من وراء ذلك إلاّ الأجر والثواب من الله، فهي في الحق مدرسة جامعة للشعوب الإسلامية جمعاء فأجدر بها أن تقوم وتبقى ما دامت الأرض والسماء(١٠٤).

(١٠٤) مجلة الميزان –العمارة– العدد –٢٧، ٢٨– السنة الرابعة– ١٣٦٧هـ/ص٢٤.

مواقف

بقلم: السيد محمد موسى الموسوي

روعة الإيمان الصادق. وجلال التمسك بالمبدأ المقدس وعظمة المفاداة والتضحية. كل ذلك يتجلى رائعاً في كل مشهد من مشاهد القضية الحسينية... وإنّ واحداً لا يستطيع المضيَّ في استجلاء دقائق هذه النهضة ولا أن يمر بها استطراداً دون أن تقف به الحوادث مرات ومرات مكبراً بادرة واحدة من أولئك الصحب تارة أو معجباً بموقف من هاتيك المواقف تارة أخرى.

فلله هم ما أعظمهم من أصحاب ولله هي ما أجلها من مواقف ثلاث مرات وقف فيها أبو عبد الله عليه السلام في أماكن ثلاثة.. جلى فيها الحقيقة ناصعة لمن تبعه من الناس. فليس هناك.. من وراء مسيره غير تلك الغاية ليس غير الموت.

كان في مكة حين قام في الناس خطيباً - عند عزمه على الخروج إلى العراق- فقال فيما قال:

(من كان باذلاً فينا مهجته وموطناً على لقاء الله نفسه.. فليرحل معنا فأنني راحل مصبحاً إن شاء الله تعالى...).

وشاء الله أن يرحل فرحل. بجموع من الناس غفيرة كان عليه السلام يعلم أن كثيراً منهم لم يلحق به إلاّ طمعاً في وفر وإلاّ أملاً في غنيمة. أغرهم بذلك آلاف وآلاف من كتب شيعته في الكوفه وشيعة أبيه وأخيه من قبل تستعجله القدوم على جند له

مجنده وسيوف معه مشرعة فلا غرو اذا ما رأينا جموعاً منهم تلحق به فبنود النصر لا شك خفاقة فوق ركبه رفافة..

وكان لابد لأبي الشهداء من أن ينصح أولئك الذين قادهم أطماعهم الدنيا إلى الموت.. ولكن أنى وقد اختمر في رؤوسهم أن دون بلوغهم الكوفة فوات غنائم آلوا على أنفسهم ألاّ تفوت... حتى كان أن انتهى إلى زبالة حيث اتاه بها نعي ابن عمه مسلم بعد ذلك الخلاف المشين الخذلان الذي أعاد فيه التاريخ نفسه.. بمدد جداً متقاربة.. أجل لقد وجد أبو عبد الله فسحة ليعيد فيها النصح تارة أخرى وليمحّص أصحابه المخلصين من جديد فأخرج إلى الناس كتاباً فقرأه عليهم وفيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فانه قد أتاني خبر قتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة وعبد الله بن يقطر. وقد خذلنا شيعتنا. فمن أحب منكم الانصراف فلينصرف في غير حرج. ليس عليه ذمام...».

فكان ما هو متوقع.. حين كانت الناس تنسل مثنى وثلاث ورباع.. ولكن نفراً منهم ظل ثابتاً حيث هو فلم يكن وقع تفرق الناس عن نصره الحسين. أن في الكوفة وإن في زبالة. لم يكن وقع ذلك ليثبط من عزم أولئك. ويفت في عضدهم فالمبدأ الذي حدا بهم إلى النهوض أولاً.. هو هو الذي ما زال يحدو بهم إلى أن يضحوا بأرواحهم الطاهرة ليعيدوا إلى الدين الحنيف الحياة مشرقة نظرة... لقد كره أبو عبد الله أن يسير في ركبه السامي أحد أو يعلم بأنه يقدم بلداً لم تستقم له طاعة أهله. وهو إذ فعل فقد استخلص لنفسه أصحاباً استهانوا بالموت في سبيل نصرته. فكانوا المثل الأعلى للمفاداة والتضحية وكانوا المثال الأسمى للإيمان الراسخ.

ثم مساء اليوم التاسع من المحرم يقترب رويداً رويداً. وكانت الشمس تجنح إلى المغيب حين جمع الحسين أصحابه مرة أخرى وحين قال:

«أما بعد فأني لا أعلم أصحاباً أصلح منكم ولا أهل بيت أبر ولا أفضل

من أهل بيتي فجزاكم الله جميعاً عني خيراً. وهذا الليل قد غشيكم فأتخذوه جملاً وليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي وتفرقوا في سواد هذا الليل. وذروني وهولاء القوم. فأنهم لا يريدون غيري..».

فهكذا يعود أبو عبد الله وبهذا الأسلوب الرائع المغري- إلى فسح المجال لمن اعتملت في نفسه عوامل الرهبة وساورته خلجات الخوف بعد أن ألقى الأصحاب أنفسهم حيال أمر واقع بين جنود عليهم مجندة وقد كانت لهم.

أجل هكذا يعود عليه السلام إلى اختبار أصحابه ولكن لا ليراهم ينسلون الواحد بعد الآخر. بل ليراهم كتلة متراصة وشعلة متقدة. تنحرق لأدواء البيض بالأحمر القاني لقد وقفوا ذلك الموقف الرهيب الفذ.. فكانت وقفة ظهر فيها مدى تغلغل الإيمان في نفوس لا تعرف غير صونه من الدنس إلاّ انقاذه من براثن أناس جعلوا منه إلعوبة بينهم يتلقفونها كالكرة.. وقفة دلت الورى كيف يكون النضال من أجل العقيدة المقدسة.. ووثبة كم فيها من مشهد رائع جليل سجلها التأريخ بفخر.. فردد ذكرها الدهر وما زال ولن يزال.

هذا عمر بن قرظة الأنصاري. يستأذن الحسين ليأخذ من الجهاد نصيبه. فيأذن له فيبرز ولكن لا ليبعد عن موقف الحسين كثيراً فإنّ سهاماً من هنالك وهنا كانت تتصوب نحو شهيد الإباء فيتلقاها عمر بيده.. وإنّ سيوفاً تحاول أن تمتد إلى الحسين فيحول دون ذلك جسم عمر الذي جعله لها عرضة وهدفاً.. وخارت قواه مذ أثخن بالجراح.. فألقى نفسه بين أحضان المنية.. ولكن نفسه الرفيعة هذه لم تطمئن بعد إلى أن جاهدت حقاً. فهو يلتفت إلى الحسين قائلاً. يابن رسول الله أوفيت..؟ ولم ينعم باله بالراحة قبل أن يسمع ابن رسول الله يقول.. نعم.. أنت أمامي في الجنة.. فهكذا تظهر روعة هذه النهضة. وهكذا يبين جلالها.. نحن نعرف أنّ الموت في سوح الوغى يتباين تبعاً للظروف، فأنّ موتاً مع ظن السلامة. ومع الأمل في النجاة. موتاً يأتي بغتة لأهون من

موت من لا يرى محيصاً عن الموت فهو مساق إليه سوقاً. كمن يقاد إلى (المقصلة)... وهذا أيسر بكثير من موت يندفع إليه المرء من تلقاء نفسه مع تمكنه من النجاة ومع سنوح الفرصة له للهرب. ولقد أرتنا القضية الحسينية من كل من تلك. أنواعاً وألواناً.. فكثيرون أولئك الذين خاضوا لجج الوغى فذهبوا وعلى حين غرة طعمة للسيوف.. وهناك من اقتيدوا إلى الموت بعد أسر.. كنافع بن هلال وهناك أيضاً من عرضوا أرواحهم للردى مع طرق للسلامة لاحبة وسبل للنجاة ممهدة.. فذاك عمر بن قرظة.. ثم هذا حنظلة بن سعد الشامي يقف بين يدي الحسين عليه السلام يقيه السهام والرماح والسيوف بوجهه ونحره في وقت كان يمكنه فيه أن يتقي الموت... أو أن يموت من سبيل أهون.. ولكنه مع ذلك يرى المنية تسير إليه وئيدة وببطء. وهذا شيء لا تتوق إليه نفسه الثائرة سيحمل على القوم حيث يلقى منيته.. وكسعيد بن عبد الله الحنفي. ذلك العظيم الذي وقف يقي الحسين عليه السلام من النبال بنفسه حين كان أبو عبد الله يؤدي فريضة الظهر.. وقف ثابتاً في مكانه لا يريم.. في حين كانت النبال تنتاشه من هنا وهناك حتى سقط إلى الأرض صريعاً وهو يقول:

(اللهم أبلغ نبيك عني السلام. وأبلغه ما لقيت من ألم الجراح فأني أردت ثوابك في نصر ذرية نبيك).

وبعد فلنعد الآن لنقف ملياً عند مشهد رائع. كان بطله مسلم بن عوسجة. ذلك الشهيد الجليل الذي برز فتحامته جيوش العدى ولكنه أقحم نفسه بينها إقحاماً وراح سيفه يطحن الرؤوس طحناً. وانجلت الغبرة بعد حين. عن مصرع مسلم هذا بعد نضال عنيف وكان به رمق حين وقف عليه الحسين عليه السلام وحبيب بن مظاهر. وحين قال أبو عبد الله:

(رحمك الله يا مسلم. فمنهم من قضى نحبه. ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلاً).

ودنا منه حبيب فقال - يعز عليَّ مصرعك يا مسلم. أبشر بالجنة..! فقال مسلم بصوت خافت ضعيف (بشرك الله بخير) ثم قال له حبيب لولا أني أعلم أني في الأثر لأحببت أن توصيني بكل ما أهمك. وهنا تلقي أرهب المواقف وأشرفها. فما هو يا تُرى ذلك الشيء الذي يهم مسلماً وهو يجود بروحه..) فاستمع إليه يجيب حبيباً وهو يشير إلى الحسين قائلاً (أوصيك بهذا فقاتل دونه حتى تموت) ولقد راح أولئك الأبطال الأشاوس يروون ظمأ سيوفهم من دم أعدائهم، حتى أعادوا بها الأرض حمراء قانية، وعادوا ليطهروها من تلكم الأرجاس بدمائهم الزكية. لتعود تلك الأرض مزاراً لملائك القدس ومهبطاً، فسلامٌ عليهم من الله ورضوان[١٠٥].

(١٠٥) مجلة الغري -النجف- العدد -٩، ١٠- السنة الثامنة- ١٩٤٧/ص٦٢.

ثورة الحسين (عليه السلام) عصرها. أسبابها. نتائجها

بقلم: عبد الرزاق محمد علي

الحمد لله وسلام على عباده الطاهرين

للبحث عن أية ثورة على الباحث أنْ يتخلى عن جانبه العاطفي لدراسة الثورة دراسة موضوعية تدور حول ظرفها وأسبابها ونتائجها ومن ثم يحكم عليها أولها والآن ونحن نريد الحديث عن ثورة الحسين عليه السلام علينا أن ندرس:

أولاً: عصر الثورة

إن الثورة أية ثورة لا يتقد جمرها ما لم تكن هناك دواعي تبعث فيها روح الإنفجار للإحاطة بحكم الدولة ولا نستطيع معرفة ذلك إلاّ عن طريق عصر الثورة في جميع مجالاته، فلنستعرض بشيء من الاختصار والإجمال:

١- مع الحكام: تنافست كتب التاريخ فيما بينها حينما عرضت لوضع الحكام الأمويين بنحوٍ عام بقصد كشف الحقائق من بين ذرات التراب المتراكم والمتطاير من هنا وهناك والتي تتجسد في جور الحكام في عصر الثورة وتلاعبهم بمقدرات الأمة يقول التاريخ: لما استولى مسلم بن عقبة على المدينة دعا أهلها إلى البيعة ليزيد بن معاوية على (أنهم خول يحكم في دمائهم وأموالهم وأهليهم فمن امتنع عن ذلك قتله).

تقول بعض وثائق الثورة الحسينية على لسان مفجرها الإمام الحسين عليه السلام:

(إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة بنا فتح الله وبنا يختم، ويزيد رجل فاسق شارب الخمر قاتل النفس المحترمة معلن بالفسق ومثلي لا يبايع مثله).

٢- مع الرعية: حيث تقاعسوا عن مقاومة هذه الإنحرافات ومحاولة علاجها وعودة الإسلام إلى سيادة الدولة والمجتمع وإنا لنجد الكتب مفعمة بالفضائح الأخلاقية التي طغت على ذلك المجتمع الذي رجع القهقري إلى الجاهلية من جرّاء الفساد الذي انتشر بين حوزة الأمراء، ولترى هذا واضحاً ففي بعض وثائق الثورة أمثال كتاب الحسين عليه السلام إلى رؤساء الأخماس في البصرة الذي يقول فيه:

(قد بعثت رسولي إليكم بهذا الكتاب وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه فإنّ السنة قد أُميتت والبدعة قد أُحييت).

وأقرأ له ايضاً:

(ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء وأحلوا حرام الله وحرموا حلاله).

ويعني بذلك بني أمية.

وفي ضوء ما سبق تعرف طبيعة العصر الذي تمخضت فيه الثورة والظروف التي دعت إليها.

ثانياً- أسبابها

يبدو للباحث في أول وهلة عند مراجعة تاريخ الثورة إنها انفجرت من جراء النزاع الثائر بين الهاشميين وبني أمية بعد التعمق تبدو أن الحقيقة عكس ذلك وأن الثورة

قامت على أساسين مهمين كانا سبب اشتعال نيرانها هما :

١ـ قامت ثورة الحسين عليه السلام على أساس ديني للأمرين التاليين :

أـ السبب الرئيس والمهم في اشتعال نائرة الحرب هو وقوع الإسلام ضحية بأيدي الأمويين، ففي وصية الإمام عليه السلام لأخيه محمد بن الحنفية :

(إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله وسلم أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب عليه السلام).

ب- كون الخلافة متعينة في أهل البيت عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولاسيّما الحسين عليه السلام بوصية من النبي صلى الله عليه وآله وسلم نصّت عليه وعلى أخيه الحسن عليه السلام :

(الحسن والحسين إمامان إن قاما وإن قعدا).

والى هذا يشير الحسين عليه السلام في قوله :

(ونحن أهل البيت أولى بولاية هذا الأمر من هؤلاء المدعين ما ليس لهم).

٢ـ أما الأساس الثاني الذي قامت عليه الثورة هو عدم وفاء معاوية بشروط معاهدة الصلح المبرمة بينه وبين الإمام الحسن عليه السلام والتي كان بموجبها رجوع الأمر للحسن بعد معاوية إن لم يكن الحسن قد أصابه شيء وإلاّ فهي للحسين عليه السلام من بعده (أي بعد معاوية) فإن حدث به حدث فلأخيه الحسين عليه السلام وليس لمعاوية أن يعهد له إلى أحد» ولكن معاوية بعد أن أتم العقد وختمه بخاتمة وبذل عليه العهود المؤكّدة وأشهد على ذلك جميع رؤساء أهل الشام لم يف بأي شرط بل ولى لعهده ابنه يزيد وكان هذا هو الموجب الثاني لقيام الثورة الحسينية.

ثالثاً- نتائجها

إنّ الثورة الحسينية وإن لم تكن قد انتصرت وقتياً بالنظرة العرفية العامة ولكن انتصاراها كانت معنوية أو تمهيدية إذ أنها أثارت الضجة في أوساط ذلك المجتمع في عصر الثورة فموقف الحسين عليه السلام وثباته يوم الطف هو الذي أثار هذا الوعي الفكري مضافاً إليه مواقف شريكته في الجهاد أخته الحوراء زينب عليها السلام في تلك المجالس المكتظة بالناس التي كانت الدعامة القوية التي استندت عليها الثورة في امتدادها وسببت انتشارها فكشفت بتلك المواقف جميع الستارات المدلة من قبل الأمويين تمويهاً على الثورة فكان مما اسفر عن ذلك:

أ- اتخاذ دم الحسين عليه السلام ذريعة للقيام بالثورة الداخلية وخاصة عند العلويين ومنها ثورة الشهيد زيد بن علي عليه السلام.

ب- افتضاح الحكام الجائرين وأنكشاف واقع النفوس الأموية المطبوعة على الشر مما ألبّ الناس عليهم.

ج- بقاء الذكر الحافل لصاحب الثورة في ضربة المثل الأعلى للتضحية في سبيل الحق[١٠٦].

(١٠٦) مجلة البذرة -النجف- العدد -٥- السنة الأولى- ١٣٨٦هـ/ ص٧١.

كيف نفهم ذكرى الحسين (عليه السلام)

بقلم: عبد الصاحب جواد الفضلي

في ذكريات العظماء والعباقرة... آفاق رحبة، تقف عندها الأمم لتتقظ وتعتبر وتتذكر... فهي كما عبر عنها بعض المفكرين (علامات مرورية) وضعت على مفترق طرق لتستطيع الأمم في مسيرتها أن تواجه الواقع وجهاً لوجه.. ومن ثم تسير في دروبه بسلام متسلحة بالضمانات الواقية لحين تحقيق الهدف المنشود وبلوغ الغاية.

وإلى هنا حيث اتضحت لنا بجلاء خطورة هذه الذكريات وأهميتها.. في مجال بعث الحياة في روح الأمم وإثارة العزم والمواصلة في نفوس أبنائها.

أقولُ إلى هنا حيث اتضحت لنا جميعاً أهمية هذه الذكريات فنحن مدعوون جميعاً إلى أن نتفهمها تفهماً واقعياً لنستطيع أن نستفيد منها مجال تقويم الواقع وإنعاشه.

وعند حلول شهر محرم الحرام في كل سنة تقف الأمة الإسلامية أمام ثورة الحسين وجهاً لوجه فتتذكر.. وتتعظ.

تتذكر بالرسالة المفروضة على كل فرد من أفراد المسلمين في جميع مجالات الحياة.

وتتذكر أنّ دولة الباطل لا محالة زائلة ولا تستطيع أن تصمد أمام واقع الحياة الحقة.

وتتذكر تلك المجزرة الرهيبة فتعرف من آمن وضحى فبدد ظلمات الكفر عن سماء

المجتمعات وأعلن عن بزوغ فجر الحق وتعرف من انحرف وشط عن الحق فبات لعنة للأجيال ورمزاً للانحراف والطغيان.

ولكن مهلاً فالأمر ليس يقتصر على هذا التذكر والتوعيظ بل إنّ هذا التذكر والتوعيظ لا تجدي ثماره إذا لم تتم بعده المرحلة الثابتة وأعني بها صياغة هذا التوعيظ وبرمجته في واقع السلوك كإنموذج مثالي احتفظ به التاريخ عن كل النماذج الثورية الأخَر للمسلم الواعي.

وهذه ـ كما أتصوّر ـ تتطلب منا أن نتفهم هذه الذكرى المؤلمة تفهماً عميقاً.. تفهماً واقعياً بحيث نستطيع ان نبرعم في نفوسنا روحاً حسينية... تثور على القيم البالية والأجواء اللاإسلامية والواقع المنحرف.

يقول مستشرق فرنسي عند زيارته إلى إحدى مدن الهند وقد شاهد هناك عشرات من مجالس التأبين والعزاء في هذه المناسبة الأليمة يقول:

(حضرت إحدى مجالس التعزية في الهند فسمعت الخطيب يقول أيها الناس إن سيدنا ومولانا ومقتدانا أبا عبد الله الحسين عليه السلام قد ضحى بنفسه وأهله وعياله وأطفاله ولم يعط بيديه إعطاء الذليل ولم يفر فرار العبيد...

أما أنا فعلمت أنّ الخطيب يلقي على القوم درساً بليغاً أنّه يقول لهم يا أهل الهند إذا أردتم أنْ تكونوا أحراراً وأن لا يكون للأجنبي سلطان عليكم فاقتدوا بمثل هذا الرجل العظيم، ولكن الخطيب والمستمعين ـ على حد قول هذا المستشرق ـ لا يدركون مغزى هذا القول ولا يفكرون إلاّ في البكاء أو التباكي والثواب الأخروي وهم لا يعرفون أن كل عمل مادي لابد من أن يكون له نتيجة مادية أيضا مضافاً إلى الثواب».

وليس العسير علينا ـ نحن المسلمون ـ أن نتفهم ثورة الحسين ودوافعها ونتائجها

بقدر ما نلاقي من صعوبة وعسر في تفهم هذه الذكرى واستثمار عطاءها الحيوية في تغيير الأجواء اللاإسلامية على مرِّ الزمن.

وقد استمعتم إلى حديث المستشرق الفرنسي في هذه المناسبة بالذات والذي كان مؤكّد لحديثي هذا، فالمسيرات الشعبية والشعائر الحسينية التي تقام هنا وهناك ما هي في الحقيقة إلاّ نوع مؤكد على ضرورة التذكرة والتوعظة ومن ثم خلق نماذج حسينية في كل جيل لا إسلامي ليستطيع أن يعبّر هذا الجيل عن إرادته الفطرية في التغيير.. في التطلع نحو شمس حياة إسلامية مشرقة.

فمن هذا الأساس ترون خطورة وأهمية هذه الذكرى عن باقي الذكريات الإسلامية الخالدة.

وحديث آخر لمستشرق في هذا المجال يقول (إنّ مجالس التعزية (مؤتمرات مجانية) فحسب المرء أن يعلن عن عزمه على إقامة المجلس الفلاني للعزاء في المكان الفلاني أو الساعة الفلانية فيقصده الناس من كل جهة فلا يكلفه ذلك غير قليل من السكائر والقهوة.. فما أكثر المؤتمرات المجانية عند المسلمين ولو أنهم أرادوا الاستفادة منها في دراسة شؤونهم ومعالجة مشاكلهم في وقت لا نستطيع فيه نحن الغربيين إقامة مؤتمراً من أفراد معدودين إلاّ بشق الأنفس وبذل الجهد والمال) إنّ تفهمنا لهذه الذكرى ومواكبتنا إليها في التطلع نحو حياة حرة.. نحو حياة سعيدة.. تلزمنا أنْ نطبق هذا الإتجاه الثوري كدستور لانطلاقتنا عليه.. حديث ساقه مستشرق جاء هو الآخر مؤكداً على ضرورة وخطورة هذه الشعائر والظواهر الحسينية.

ولكن أتساءل بحرارة...

ماذا استفدنا من هذه المؤتمرات المجانية التي تقام في مجتمعاتنا في كل يوم وليلة..!

فأين وحدة الكلمة ورص الصفوف وأين التضحية والجهاد..؟ أين العقيدة

والكفاح في سبيلهما..؟

لنكن صرحاء في الحديث.. فهذا أجدى لنا وأثمر انها مرآة ترينا سلوكنا بوضوح لنتلافاها في مسيرتنا الصاعدة.

وبكلمة قصيرة: أين من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر..؟

إنني أعتقد جازماً بأنّه من النادر أن نجد أشخاصاً درسوا سيرة هذا العظيم.. هذا الثائر على النحو الذي يجب أن تدرس بها حياة عظيم.. ثائر مثله.

كما أعتقد جازماً بأنه من النادر أن نجد أُناساً فهموا عطاءات هذه المواكب والشعائر والمسيرات الحسينية التي تقام هنا وهناك في ربوع العالم الإسلامي.

فلو درسنا هذه العطاءات بعد دراستنا العميقة لحياة هذا العظيم لكان حال الأمة الإسلامية غير ما عليه اليوم[١٠٧].

(١٠٧) مجلة البذرة ـالنجف ـ العدد ـ٥ـ السنة الأولى ـ ١٣٨٦هـ/ ص٩٦.

طبيعة الخلود في الجهاد الحسيني

بقلم: عبد الغني شوقي

تفتقر الأمم كلما هبت عليها رياح الفتن وغشيتها دياجي الظلال إلى زعامة دينية سديدة ترد إليها يقينها ويهديها إلى محجة الصواب وتجنبها مزالق الغواية، ولم يكن المسلمون في سائر عصورهم يفتقرون إلى الزعامة الدينية الرشيدة مثل افتقارهم إليها في الآونة الحرجة التي اغتصب فيها الطاغية يزيد منصب الخلافة العظمى وأكره المسلمين على أن يلقبوه بأمير المؤمنين وهو أبعد الناس عن ذلك اللقب.

ولقد كان من مهازل الدهر وعجائبه ومنكراته أن يتبوأ يزيد مرتبة الخلافة وهو على ما هو عليه من ارتكاب الفواحش وتظاهر بالفسق واستخفاف بالدين وأهله. ففي ذلك الوقت الذي تحكم فيه يزيد بمصائر الأمة العربية بمقتضى أهوائه الدنيئة ونزعاته الشيطانية كانت الأمة على مفترق طريقين: اما أن تخضع ليزيد خضوعاً يسوده الجهل واليأس فتفتقد أعز ما تتباهى به من عقيدة وكرامة، واما أن يظهر فيها الزعيم الديني الذي يقودها إلى سواء السبيل فينقذها، وإذا فقد كانت حاجتها إلى الزعيم الديني كحاجتها إلى سائر عناصر الحياة ولم يكن ذلك الزعيم المنشود سوى الحسين عليه السلام.

رأى الحسين ما جرّه حكم معاوية بن أبي سفيان من مساوئ على المسلمين وفطن ببصيرة الإمامة إلى أن تلك المساوئ لا تكاد تذكر بجانب المساوئ التي تنتظر المسلمين

من جراء طغيان يزيد، وأبصر الحسين عليه السلام ما حوله من سائر أقطار المسلمين الذين يجب أن يؤازروه في مقاومة يزيد وهم ما بين حائر منعزل أو خائف مصانع فأنفرد بالنهوض بأعباء الزعامة الدينية مستجيباً لمبدئه ومحققاً لآمال الجماهير الإسلامية المعقودة عليه فوقف في وجه يزيد وعصابته مدافعاً عن الدين ذاباً عن كرامة المسلمين متحملاً في سبيل ذلك أشد مما تحمله سائر الصديقين والشهداء، وكيف لا يكون تحمله أشد وقد فقد في ميدان الطف نفسه وأنفس أنصاره وأهل بيته حتى طفله الرضيع، ولكنه أنقذ الدين وأيقظ المسلمين.

فبهذا الجهاد والحسين المنقطع النظير قد اكتسب بحق وجدارة طبيعة الخلود، فلا عجب إذا كان أثره خالداً في نفوس المسلمين جيلاً بعد جيل وعصراً بعد عصر(١٠٨).

(١٠٨) مجلة الغري –النجف– العدد –٢– السنة الخامسة عشرة– ١٩٥٣/ص٢٦.

نهضة الحسين درساً وعظة

بقلم: السيد محمد علي خان

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد شاءت الحكمة الإلهية والمنحة الربانية أن يكون أبو عبد الله الحسين سيد شباب أهل الجنة كما قدر أن يكون سيد الشهداء، وأمير أهل العز والإباء أبا الأئمة الميامين، وأن يكون قدوة صالحة للأجيال يقتدى به ويستضاء بنور تضحيته وثباته وحزمه، وأن تكون نهضته أكبر درس وأجل تعليم يوحيان إلى العالم التحسس كيف ينبغي أن يكون الإنسان ناهضاً في مقابل الظلم والعدوان ومتحفزاً ضد الجور وثورة الباطل وأن لا يقر على الهوان ما دام فيه عرق ينبض وقوة يستطيع بها المقاومة.

أجل كانت نهضة الحسين السبط درساً بليغاً وعظة واسعة النطاق أفهمت الناس معنى الجهاد وحقيقته وأوقفتهم على واقع الدفاع عن المبدأ والعقيدة وأنه يجب أن يبذل في سبيل الدين والمحافظة على نواميسه كل غال ونفيس وكل حول وقوة وأن يستهين الإنسان بكل عزيز وخطير في سبيل الحرية أو الخروج عن أسر القيود وذل العبودية فنهضة الحسين الريحانة كلية ومدرسة لها فضلها الكبير على كل أبي ومتحرر بل لها فضلها الجزيل على العالم الإسلامي كافة وبلا استثناء كيف لا وقد كان سبباً لتحررهم من قيود الأمويين وعبوديتهم التي كانوا ينوفها للإسلام ورجالات المسلمين وعظماء الدين فانتشلهم أبو عبد الله الحسين من مخالب ذلك التيار المنحدر بموقفه الجبار

ومكافحته القهارة وثباته الذي لم يحدث التاريخ بنظيره إلاّ لأبيه الوصي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ذلك الموقف الذي أقام العالم وأقعده وتركه حائراً في تلك العظمة والبطولة والبسالة التي أظهرها أبو الأئمة وسيد الأئمة يوم الطف ذلك الموقف الذي ضحى به سيد شباب أهل الجنة بأبنائه الغر وفلذة كبده حتى الرضيع في سبيل الدين والذب عن كرامة الإسلام.

ضحى بتلك الوجوه النيرة والسلالة الطاهرة من أهل بيته للتحصيل على سعادة الأمة وإعلاء كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة وجمع شتات المسلمين.

ضحى بحياته الغالية وروحه الزكية ودمه الطاهر حتى رفع رأسه على القناة ورض صدره بالصافنات وبقي مطروحاً في الفلاة ثلاثة أيام تصهره الشمس وتسفي عليه الرياح هو وتلك الثلة المنتخبة من العالم أجمع كل ذلك في سبيل إحياء الشريعة وتأييداً للسلام والإسلام فبعين الله يا حبيب القلوب ويا ريحانة الرسول.

ما لاقيت وما عانيت وبعين الله ما تحملت وما قاسيت ألست أنت القائل:

إن كان دين محمد لم يستقم ... إلاّ بقتلي يا سيوف خذيني

أولست أنت القائل مخاطباً ربك وباريك:

تركت الخلق طراً في هواكا ... وأيتمت العيال لكي أراكا

فلو قطعتني في الحب إرباً ... لما مال الفؤاد إلى سواكا

ولئن رفع رأسك يا سيد الأُباة على الرماح فلقد رفعت راية الإسلام ونشرت لواء الدين وسيظلان منتشرين يرفرفان ما دامت الفضيلة والوجود وإن بقيت ملقى ثلاثاً على الرمال فستبقى أعمالك مخلدة ما خلد الدهر وسيبقى جهادك الوضاء متلألأً ناصعاً على مر الزمن وستبقى تضحيتك الكريمة ما بقيت الإنسانية وما ترددت كلمة لا إله إلاّ الله محمد رسول الله يا أبا الشهداء ويا إمام السعداء أرسل نظرة من ضريحك

المقدس فشاهد ما يقوم به المسلمون لك من تعظيم وتمجيد وما تقوم به أمة جدك المرحومة لك من تكريم وتبجيل وتبذل في سبيل تخليد ذكراك النفس والنفيس وترخص في سبيل إظهار ولائك وإقامة شعائرك كل غال وعزيز راجية أن يكون لها ذلك ذخراً لليوم الذي لا ينفع فيه المال والبنون الذي تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها اليوم الذي لا يجوز فيه أحد على الصراط مهما كانت شخصيته وعظمته ما لم يكن حاملاً صك ولائكم وعلم حبكم وموالاتكم جعلنا الله من مواليكم وناشري فضائلكم والجاري على سيرتكم وطريقتكم[١٠٩].

(١٠٩) مجلة الغري -النجف- العدد -٢- السنة الخامسة عشرة- ١٩٥٣/ص٣٢.

عبر التاريخ

بقلم: محمد علي الشيرازي

مع الدهور والأجيال، بات هناك عنصران متناقضان تقارعا بالحجة والبرهان، بين خضم المعترك الإنساني، تجسم الخير كله بأولهما، وتسربل الشر برمته بثانيهما، واستمر هذا الصراع بانفعال عنيف على مسارح الحياة وتلوين الظروف، ومنذ الوجود حتى يشاء الله في إدماغ عنصر الشر وانتصار الحق بقدوم المنتظر عليه السلام.

من خلال هذا المعترك المتقد تظهر الحقيقة بوضوح من أعماق المجتمع الإنساني المطل بكلّه إلى فضاء مشحون ببريق الشر والفساد، لعله يحول هذه الشظايا المحرقة إلى أضواء هادئة ليمشي الفرد المعثر على هديه، وبعد أن أكدت التجارب الهائلة فشل محاولات هذا المخلوق الناقص لاستصلاح الوضع، فبقي هو ينتظر بعين ملية استقامة الأمور- بعد أن عهدها إلى الزمان- على طبيعتها وسجيتها.

من عوامل فشل المجهود البشري في هذا الصدد هو تصلف عناصر الباطل ووقوفها حجراً للحيلولة دون انسياب آمال البشر نحو ذلك الرحاب المنير الذي يحلم به كل إنسان عساه يتقي من لفحة الشر وسطوة الغرور.

منذ عصور نائية كافح المربون وجاهد المصلحون لخلق آفاق خيرية، وسعادة أبدية، لينعم المخلوق بحقوقه الطبيعية التي منحها الخالق وأقرها حقاً له في ظل المبادئ المقدسة والرسل المرشدين وخلفائهم من بعدهم.

ومن خلال انطواء صفحات التأريخ تعرض هذه الصفحات لنا واقع هذا الصراع البين، الذي شهده الزمان في المدّة الأموية السوداء، لقد خيمت شبحاً على قسم غير قصير من العصور الإسلامية، فعانى هذا القسم من الإهمال والهبوط لأداء واجب الرسالة الحقة، إلى حد أخذت الأمة الإسلامية بالقهقري إلى ما قبل شروق أنوار الرسالة وأنذر المغول الأموي بهلاك الأمة وتحطيم وحدها.

لذا كان حكمهم مفعماً بالتنازع والاضطراب وخطر غار إلى جذور الإسلام وأصوله، وكاد أن يقلع الفكرة الإلهية والشريعة السمحة من أذهان المسلمين.

تمخض من هذا الوضع المتأزم، مبادئ ثلاثة متضاربة:

مبدأ أموي جائر أثبت حكمه بالصوت والسوط وكانت هذه السياسة أساس حكمهم الأول، ثم العصبية وحصر الخلافة في البيت الأموي بالوراثة، وهذا أساس حكمهم الثاني الذي أرسوا عليه عماد نظامهم الباطلي، وقد انتابت الأمة الإسلامية وصفوفهم المتراصة من علل وأعباء أوشكت أن تصل إلى الدمار والتخريب، في جو حكمهم الملبّد بالظلم والفساد.

ثم مبدأ قبلي يروم اختيار أقذر أفراد القبيلة.

ومبدء إسلامي يرمي إلى أصلح أفراد الأمة للقيام بمهام مسؤولية الحكم.

جاءت النهضة الحسينية تعبيراً عن هذا المبدأ السماوي عندما أدرك رائدها أن كيان الإسلام قد اعتراه الأفول بمحاولات أموية لشل حركة دعاة الحق وخنق صدى دعوهم وعقيدهم، لبعث الحمأة الجاهلية من جديد.

همَّ الإمام الحسين عليه السلام للقيام بالمسؤولية الخطيرة بصفته إماماً ليحمل على كاهله أعباء الدعوة، ويلوح بمشعل الثورة الوقاد بكلتا يديه، لموكب المد البناء، واحياء التصور الإسلامي، ونظامه السماوي الخالد، لإنقاذ الناس من الشقوة الجاهلية المبعوثة.

من هذه النقطة انطلق إمام الأحرار بصوت الحق الهادر لدك سلطان الجبروت والطغيان، وتفتيت الحكم الأموي الجائر، إكمالاً بعمل الرسالة التي بدأ بها جده سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

تنفيذاً لهذا العمل المشرف ضحّى عليه السلام بكل شيء لديه قرباناً على مذبح الإنسانية والشرف، حتى نحره الطاهر ليروي بدمه السمح رمال الطف الضامئة ورمضاء كربلاء الجدب، لتستقي هذه البقعة منه وتأتي أكلها حين الأوان ثم تقطف ثمارها الأجيال تلو الأجيال ويتظلل بفيء أيكتها البشرية، ويعم خيرها العالم كلّه حتى قيام الساعة(١١٠).

(١١٠) مجلة البذرة –النجف– العدد –٥– السنة الأولى– ١٣٨٦هـ/ ص٧.

نهضة الحسين (عليه السلام) دروس في التضحية

بقلم: عبد العظيم الجصاني

أي تضحية كتضحية الحسين عليه السلام..؟ وأي جهاد كجهاده..؟ وأي شجاعة كشجاعته..؟ وأيّ إباء كإبائه..؟ لقد ضرب سلام الله عليه أكرم الأمثال وأنبل المقاصد في ثورته. ضد الظلم، وضد الدكتاتورية وضد الشرور والطغيان، ثورة لم ينقطع صداها منذ تفجيره إياها متى ما شاء الله من بقاء الدنيا. ثورة وقف لها كل إنسان من مختلف الملل والنحل منذ ذلك اليوم وإلى يومنا هذا. ويقف إلى الأبد وقفة إعجاب وإكبار أمام عظمة الذكرى. أمام البطولة، أمام الصبر، أمام الحق، أمام الانتصار العظيم الذي حققه عليه السلام هذا الانتصار الذي ما شابهه ولن يشابهه أي انتصار آخر. ولقد اثبت سلام الله عليه أن الحياة لا قيمة لها مع أُناس لا يستحقون الحياة. وأن لا كرامة في ظل الاستعباد والظلم، ولا خير في الإنسان أن يقبل التعسف والهوان ويرى الكفر والإلحاد والفسق والفجور ولم يثر. ورسم عليه أفضل الصلاة والسلام في ثورته دروب السعادة وطرائق الفضيلة للناس كافة. وعلّم الطيبين المجاهدين في سبيل الله وفي سبيل المثل العليا. كيف يجب أن يثوروا وكيف يجب أن ينتصروا، وأكد أن الظالمين هم المغلوبون وأن المظلومين هم المنتصرون. فلا انتصار مع الظلم ولا هزيمة مع العدل والإنصاف. كل هذه الدروس خطها عليه السلام في ثورته الدائمة الأبدية. والتي خاضها مع الأمويين الكفرة. أتباع يزيد الذين لم يعرفوا للإنسانية معنى ولا للدين قيمة ولا هدفاً.

إن الأمويين الطغاة ما فتروا قط في محاربة الإسلام. فناهضوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم وظاهروا عليه في يوم مبعثه إلى يوم مماته. وانتقلت حروبهم وعداوتهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أهل بيته عليه السلام يحاربون بحربهم الإسلام وأثار معاوية بن هند الذي يدّعيه أبو سفيان الحرب على أمير المؤمنين علي عليه السلام حلقة من حلقات الحروب التي أقامتها أمية على محمد صلى الله عليه وآله وسلم. وعلى الإسلام، وغدر معاوية وخيانته للحسن عليه السلام وإعلان سب أمير المؤمنين علي عليه السلام على المنابر وحمل الناس على التعبّد به تمهيداً لحمل الناس على سب رسول الله والرجوع بهم إلى الجاهلية الأولى. هذه الأمور حلقة من تلك الحلقات.

إن أمية عدوة الإسلام. وعدوة محمد وآل محمد وعدوة المسلمين في صورها الشتى وأحوالها المختلفة فهي عدوة لبني هاشم في الجاهلية. وعدوة لبني هاشم ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم عندما بعث الإسلام، وعدوة بني هاشم ومحمد وآل محمد والمسلمين عندما قام الإسلام وأشرق نوره ودخل فيه الناس أفواجاً. وعدوة لبني هاشم ومحمد وآل محمد والمسلمين بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن يتتبع سيرة بني أمية من يوم وجدوا إلى أن أبادهم الله يجد عداوتهم صارخة عاتية لبني هاشم ولله ولرسوله بما كانت أمية تقوم به في الجاهلية والإسلام من التأليب والإثارة- وظلت عداوة أمية لبني هاشم ولمحمد ولآل محمد وللمسلمين متلهبة حتى في حكم أبي بكر وعمر وعثمان ولكنها بقيت كامنة في صدور الأمويين كمون النار في الحجارة. حتى إذا أفضى الأمر إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام برزت تلك النار من مكمنها فكانت نار جاهلية محرقة. فأحرق بتلك النار معاوية ما استطاع إحراقه من الإسلام والمسلمين، وخلفه ابن ميسون، فصار يحرق بتلك النار ما استطاع إحراقه. حتى قتل الحسين سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. واستباح المدينة وهدم الكعبة. إلى ما تجاهر في محاربة الإسلام والتظاهر بالفسوق والفجور وارتكاب الفواحش والمنكرات.

لم يكن الحسين مكتوف الأيدي ولم يبق ولم يصبر على هذا الضيم من أعمال بني أمية ومخازيهم. فاستنكر آل أمية في خطبه وعدم البيعة لهم ومحاولاته في تعديل ما عوّجوه من قوانين الإسلام، ونصائحه المتكررة لأتباعهم في أن يميزوا بين الحق والباطل. وأن لا ينفضوا أيديهم مما علق بها من تراث الإسلام. وتذكيره أياهم بأيّام الرسول وأيام أبيه أمير المؤمنين عليه السلام وما كانوا عليه من إيمان وعقيدة. كل ذلك لم يحرك ساكناً من الأمويين وأتباعهم بل زادهم تعنتاً وتجبراً، مما اضطره أن يواجه الأمر الواقع.

فخرج من المدينة إلى مكة قاصداً الحج وكانت حجة الوداع. فخرج من مكة في يوم التروية في الثامن من ذي الحجة الحرام. لأن المجرمين من بني أمية كانوا يريدون قتله في بيت الله الحرام وفي الشهر الحرام غيلة كما قتلوا أباه عليه السلام وهو يصلي في المحراب، ولما قيل للحسين عليه السلام ما الذي أعجلك يابن رسول الله عن الحج..؟ قال:

(إن يزيد قد دس في الحج سبعين رجلاً من شياطين بني أمية وأمرهم بأغتيالي ولو كنت متعلقاً بأستار الكعبة وأن بني أمية لن يتركوني حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي، فخرجت لئلا تستباح بي حرمة هذا البيت).

فخرج متوجهاً إلى العراق بعد أن تسلم من العراقيين آلافاً مؤلفة من الكتب والرسائل التي كانت تطالبه بالقدوم إلى العراق قائلة: لقد اخضر الجنان واينعت الثمار، فأقدم إلينا فلعلّ الله أن يجمعنا بك على الحق والهدى وإنما تقدم على جنود لك مجندة. وفي بعضها: فإن لم تقدم خاصمناك عند جدك رسول الله يوم القيامة. فبعد أن رأى الحسين ذلك أصبح مضطراً من مغادرة الحجاز إلى الكوفة، فخطب خطبته الشهيرة المعروفة وهي:

(الحمد لله وما شاء الله ولا قوة إلاّ بالله.خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة. وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف. وخير لي مصرع انا لاقيه. كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء فيملأن مني أكراشاً جوفاً وأجربة سغباً لا محيص عن يوم خط بالقلم رضا الله رضانا أهل البيت نصبر على بلائه ويوفينا أجور الصابرين لن نشذ عن رسول الله لحمته وهي مجموعة له في حظيرة القدس تقربهم عينه وينجز بهم وعده. من كان باذلاً فينا مهجته وموطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فإنّي راحل مصبحاً إن شاء الله).

ومن هذه الخطبة يظهر له إن الحسين عليه السلام لم يكن مغتراً ولا مخدوعاً ولا سالكاً على غير بصيرة من أمره ولكن يدري بما سيصير إليه ويعرف ما سيلاقيه في وجهته هذه وأن لا محيص عن يوم خط بالقلم لعلم علمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وأمر ندبه الله إليه للثورة في وجه الطغيان الأموي فكانت الثورة وكانت الدروس الثمينة والمعنويات العظيمة والعبر الخالدة فيها. ومن أوضح وأظهر ما في هذه الثورة المقدسة هو هذا الانتصار العجيب والفريد من نوعه حيث إنّ الأمويين سفكوا الدماء وقتلوا ونهبوا وأسروا وارتكبوا كبائر الأجرام ولكنهم خسروا المعركة دنياً وآخرة ولحقهم الخزي والعار أين ما ثقفوا وباؤا بغضب من الله. وغضب من الناس. وغضب من التاريخ. وإنّ الإمام الحسين عليه السلام قتل في هذه المعركة هو وأهل بيته وأصحابه، وسبوا عياله ويتمت أطفاله. ولكنه ربح المعركة دنيا وآخرة وانتصر ذلك الانتصار الباهر وخلد التاريخ ثورته بأحرف من نور وحصل على إعجاب كل الناس ورضا الله ورسوله.

إنّ هذا السر في هذا النصر المبين وبقائه كبقاء القرآن الكريم. هو حكمة أخرى من حكم الله جل وعلا وحجة على العباد في أن ينتهجوا نهج هذا الإمام العظيم

ويضعوا أقدامهم على الطريق الذي سار فيه وعلى الأثر حتى يصلوا إلى نهايتهم السعيدة كما انتهى إليها الإمام عليه السلام، ولكن إذا لم يلتفتوا إلى سر الثورة ومعناها الكبير ومحتواها القيم وينظرون إليها بنظرة العطف والحزن والبكاء فقط، ويلقون التوصيات وما أمر به الإسلام وما قام من أجله أبو الأئمة جانباً، فلا ينفع البكاء ولا الحزن ولا العطف إنّ الإمام عليه السلام والأئمة من بعده ومؤسس الإسلام جدهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومركز دعائم الإيمان والتقوى وصيه أمير المؤمنين علي عليه السلام. يريدون العمل بالإسلام والجهاد في سبيل الإسلام كافة غاية ما تتطلبه النفوس من سعادة ورخاء وأمن واستقرار وعدل وانصاف ومساواة وهناء وكل الصفاة الطيبة والمثل العليا والأخلاق الكريمة فإذا ما توفرت كل هذه المكرمات في المسلم كان من شيعتهم والمتبعين لأولئك القادة الذين نهجوا الطريق المستقيم للمسلمين والصراط السوي للمؤمنين ورسموا وخططوا الحياة السعيدة لمواليهم ومحبيهم ومؤيدي فكرهم والمؤمنين بما جاءوا به من عند الله فيا أيها المؤمنون عليكم بالإسلام وتعاليمه وتمسكوا بأهدافه لأنها المنجي لكم دنيا وآخرة وتفهموا جيداً نهضة الإمام أبي عبد الله عليه السلام وتضحيته من أجلكم. فسلام عليك أبا عبد الله يوم ولدت وسلام عليك يوم استشهدت وسلام عليك مع الخالدين(١١١).

(١١١) مجلة الأخلاق والآداب -كربلاء- العدد -١٠- السنة الرابعة- ١٣٨٤هـ/ص٣٦١.

عظمة الحسين والفتح المبين

بقلم: السيد حسين الموسوي

إنّ سماء عظمة الحسين لا يبلغها المحلقون مهما طار صيتهم ودوخت العالم شهرتهم فمن كتب فيها شيئاً وأجاد وسما ببراعة وأفاد، هو طاقة مشعة من أنوار تلك العظمة التي ترفعت بسمو الجلال واعتلت سرادق الفخار فأنحط شؤالها القمر والتقمت من أنوارها الكواكب فهي هالة أحاطت بها من النجوم مواكب. ترمي بنيازكها كل مسترق أفاك أثيم. هذه عظمة جلت عن الوصف وعزت بالمثال تخيل جملة من الناس أن الحسين عليه السلام من عظماء البشر فحسب له تصرف محدود في نطاق ضيق ومجال مكتظ بمجموعة آراء ونزعات أهواء بينما الحسين عليه السلام جعله الله رحمة للمطيعين ونكالاً على العاصين. وأن نهضته المقدسة قد عقدت بيعتها في عرش الملكوت وصدقت بتواقيع الأنبياء السالفين وجددت على عهد جده النبي الأمين صلى الله عليه وآله وسلم فطبقت حرفياً في طف كربلا. وتم ميزان الاختيار لعموم الناس. فظهر للعيان أهل العذاب وأهل النعيم اعتزم الحسين على الفوز بالتضحية في سبيل الله والدين. وهذه الغاية الشريفة والنهاية الموفقة لم تكن في نفس باعثها فقط بل إنّه عليه السلام أظهر مكنون سره على خلاف الزعماء والساسة بقوله:

(من لحق بي فقد استشهد ومن لم يلحق بي لم يبلغ الفتح).

كلمة تتنزل من الإيمان الصادق فتصدق عنها أسماع، أجل إنها كلمة انبعثت عن

مصدر العصمة لامتحان النفوس واختبار الإيمان. فلقد سمعوا تلك الكلمة وعرفوا فحواها وإنّ الفتح لا يتم إلاّ بالشهادة.

ولكن العاجل من متع الحياة الزائلة وبهرجة الدنيا المشغلة طمست حقائق ناصعة. وأطفأت نفوس الأغلبية الساحقة جذور الإيمان.

ولقد كان باب النصر مفتوحاً على مصراعيه ولم يزل سواء بالاستشهاد بين يديه أو السير على سننه الوضاء أو الأخذ بتعاليمه الدينية لأنه الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر. ودعوته مركزة على دعائم الحق وتحت لواء العدل يسودها الدين القويم وتهيمن عليها روعة الاستشهاد في سبيل الله.

نعم كان الناس في سنة ملهية وسبات مطبق آخذ بالأسماع والأبصار والأفئدة، كما قال عليه السلام:

(إنهم قوم استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله العظيم).

فلما وقعت الواقعة وفاز بالشهادة والسعادة الأبدية من كان موطناً على لقاء الله نفسه تبين لذلك الجيل خسران الصفقة وفوات الفرصة فبين هالك بعاجل عقاب الدنيا ومنتظر لخزي الآخرة وبين من قتله الأسف وأتلفة الندم على فوات الفرصة وذهاب النصرة.

وإنّ أتباع الحسين عليه السلام واللحاق به ذلك اليوم هو الفرض على كل فرد في رقعة الأرض وبقعة الدنيا. وأنّ الجهاد بين يديه هو الواجب المحتم ولقد اشترك فيه من سقط عنهم الجهاد اشترك الهرم الكبير والطفل الصغير والمرأة الضعيفة والعبد المملوك. وما ذلك منهم إلاّ للمعرفة التامة بواجب الطاعة للإمام المفتدى والحقيقة المنكشفة لهم بالفتح المبين في سبيل الله ولإعلاء كلمة الدين وقمع غوائل المشركين. صعيد واحد تجتمع فيه ألوف وألوف على شيء يزلزل في الأرض زلزالها ويدك جبالها.

وعلى ذلك الصعيد الصاخب يتوافد آحاد وآحاد ممن عرفوا الحقائق وأنكشف لهم النتائج الموفقة من كسب الغاية.

فتفانوا عند حلولها وصاروا يؤثرون الموت على الحياة والتقدم على مدرجة الشهادة إلى معارج السعادة كي يدركوا ما أملوا.

أدركوا بالحسين أكبر عيد فغدوا في منى الطفوف أضاحي

ولما تصاعدت أرواح إلى لقاء ربها وتساقطت جسوم موزعة الأشلاء على رمضاء كربلاء تنزلت أكاليل النصر وطوق الفتح على مراقدهم وجعل الله أفئدة من الناس تهوي اليهم. هؤلاء هم الذين أظلتهم عظمة الحسين وغمرتهم أنواره[١١٢].

(١١٢) مجلة صوت الوحدة الإسلامية –النجف– العدد –١– السنة الأولى ١٩٥٣/ص٣٠.

الوثبة الحسينية

بقلم: خليل رشيد

وللحرية الحمراء باب بكل يد مضرجة يدق

عشاق الحرية هواة العدل والإنصاف هذا اليوم وقف ابن علي حسين الطهر والفضيلة قبالة أشياع يزيد الرجس والرذيلة منددا بأعمال الخليفة الأموي وبطانته: بمثل هذا اليوم وقف حسين المجد والشرف متوسطاً تلك الجموع الزاخرة التي يناضل من أجل حرياتها ويسعى في سبيل إسعادها وهي شاهرة في وجهه سيوف البغي والعدوان فلم يأبه ذو النفس الأبية بتلك السيوف المشهورة في وجهه ولا بالجموع المحتشدة لقتله حيث ساءه أن يرى وهو ابن علي صرح العدل والإنسانية والإخلاق والمساواة والحق وما ينظم تحت الدين ينهار بالمعاول الأموية. ساءه أن يرى الحق مضاعاً والأمن مشوشاً والظلم سائداً ولا من مذكر ساءه أن يرى الخليفة تضرب من دونه الخمائل والستور وتقف عند بابه الحجاب والنواب ترد ذوي الظلامات والحاجات عن رفع ظلامتهم وحاجتهم: ساءه ان يرى تركيز بيت مال المسلمين بيد حفنة من ذوي الجاه والسلطان تلعب به كيف تشاء وتضعه حيث تريد ولامن رادع أو وازع. ساءه أن يرى حرمان الطبقة الكادحة وهي الشعب كله حتى من العيش تلك الطبقة التي تنسج القز والحرير لتلبس غيرها وتعرى هي تلك الطبقة التي تبني القصور الفخمة وتشيد البنايات الضخمة

لتنام هي في العراء تلك الطبقة التي تزرع ما لذ وطاب من الخيرات وتقدمه للطبقة الخاصة لتأكل هي الذرة والدخن أجل رواد الحقيقة: وثب ابن علي روحي فداه في وجه تلك الطغمة الغارقة في البذخ والترف والنعيم والمستغلة لآتعاب الملايين الغارقة في الجهل والفقر والمرض ليظهر للملأ أن ليس هذا من الدين في شيء حيث قال عز من قائل:

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾.

وقال جلّت قدرته:

﴿وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾.

وقال تعالى:

﴿أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾.

أجل أيها الجمع الكريم:

وثب الحسين روحي فداه في وجه السلطة الزمنية الحاكمة ليقطع الفساد من جذوره وينتشل ذلك المجتمع المريض من تلك الهوة التي حدرته إليها بنو أمية وذلك بتحطيم العرش الأموي ونيل تاج يزيد غير مبال بالتضحية في سبيل إسعاد البشرية وإنقاد الإنسانية من المخلب الأموي جاعلاً دمه الزكي شعاراً للحرية وأحسن من وصف وثبة الحسين كاتب لا أذكره الآن حيث يقول (فأتخذ الحسين من نفسه لغماً انفجر تحت الصرح الأموي): فليس بالكثير أن تساقط العيون دموعها وتصاعد الصدور زفراتها لمثل هذا المنقذ العظيم ألا ولمثل هذا فليعمل العاملون(١١٣).

(١١٣) مجلة الغري -النجف- العدد -٩، ١٠- السنة الثامنة- ١٩٤٧/ص٦٧.

الرجل الذي عرف كيف ينتصر وكيف يحيى

بقلم: السيد مرتضى الحكيمي

ليس في مصرع الشهيد- في ميادين الجهاد المقدس- ما يبعث على الحيف والأسف، وليس في مصرعه دور للفناء والحرمان بل فيه - أول ما فيه- دور دام لتركيز الجهاد، وفيه - آخر ما فيه- دور للحياة والخلود، وإنما الشهيد الخالد هو ذلك الإنسان الذي فدى بدمه وحياته أُمة شكت إليه فقر الدم والحياة، وضحى بحياة خالدة قد أزهقها، وبدم زكي قد راقه في سبيل الحق في ميادين الجهاد المقدس.

أجل، لا تموت الشهداء، ولا يفنى ذكرهم ما داموا قد عملوا في الحياة أكثر مما تعمله أمة كاملة، وما داموا يملون على الناس دروسهم في التضحية والإباء، ويبعثون فيهم روح الحرية والحياة معاً.

ولعل روعة التضحية، وأسمى معانيها إنما يتجلى في مصرع الشهداء أنفسهم وفي جهادهم وحده، وإنما التضحيات الحقيرة مما تعود هي أن يأتي بها الضعفاء من الناس، لغايات تافهة ولدواع حقيرة وأما التضحيات الغالية فلا يقود حركتها الجبارة إلاّ جبابرة مثلها، فهم لابد أن يقبلوا تاريخ أمة دراسة، ويبعثوا فيهم من جديد حياة أبية داعية.

والحسين سيد الشهداء الذي قاد حركة الوعي والإرادة، وعلّمَ الناس ناموس التضحية والإباء، فقد آثر الجهاد المميت على السلم الذي رجاه من وراء حربه هذه، فكان موقفه - بحق- موقفاً عصيباً ينازل فيه الظلم والاستبداد ويقيم بيديه العدل والحرية وهو يريد أن يخلد مبادئ الإسلام في دنيا العدل والحرية.

وها هو الحسين - جاهد بالأمس القريب- وحيداً في ميادين الجهاد، وليس حواليه سوى آله وعياله، وهو غريب بين القوم أينما يتجه فيهم، ولقد كان يعلم هذا لغربة ويحسب لهذا الخذلان حسابه، وأنتم - أيها القراء- هبوا إن ليس لمثله أن يسكت على الظلم أو يبايع مثل يزيد، ولكن أليس له أن يختار غير العراق والحجاز ملجأ، أو يتحصن بجيش جرار ويتأهب أهبته للقتال، ما هذا السر الدفين في حال عقد البيعة مع أشياعه وأعوانه طيلة الطريق، وهو ماض على قلة أعوان وأنصار مجاهاً عدداً لا يلين، وهو غير آبه ولا هائب لا يثنيه عن عزمه ضعف في عدته ولا تروعه قوة في أعدائه، ولا يبالي- على تلك الحال- أن يحارب عدوه الطاغية يزيد كما يحارب أبوه معاوية هذا يبرز للقتال يوم صفين، وذاك يختفي تحت الفسطاط، وهكذا كان يزيد في الشام يقاتل الحسين السبط- يأبى أن يحيد - في الحياة عن سنة أبيه قيد شعرة، فهو - بالأمس- كان يخطو خطوات أبيه نحو الجهاد، وخطوات السلطان المقتدر غير مبال بقوة أو عدد كانتا له أم عليه.

ولقد قدر الحسين هو لنفسه هذا الموقف الرهيب، وأدار عليه محور هذا الجهاد كل ذلك ليعطي لعظماء الرجال بموقفه هذا درسين خالدين. درساً يبعث فيهم روح التفائل والرجاء في أحرج ساعة، ويريهم إعلاء الحق وغلبته على مسرح الخذلان

﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾.

ودرساً آخر يقول لهؤلاء أنفسهم، إن الجهاد كتب عليهم وحدهم، وأنهم جراثيم الحياة وروحها متى خلدوا خلد الحق بهم وإذا ماتوا مات الحق تحت أرجلهم.

فكانت نهضة الحسين عليه السلام كما علمتم لوناً جديداً من التضحية والإباء والبطولة والانتصار مثله على مسرح الطف يوم كانت تفر على الأفكار فكرة التضحية والإباء، وفكرة الحياة بالموت. إنّه كان حقاً نضال يوم واحد، ولكنه لم ينقطع- بعد ذلك صداه المدوي في الأرجاء بل ظلت في خفايا ذلك الصدى سياسة الغلبة والغزو الصامت ينهش من جسم أمية، وينتقم منه حتى سلبها ملكها وسلطانها وبنى على أنقاضه ما شاء لنفسه المجد والسلطان وهنا نجد العبرة والبطولة في قضية الحسين، العبرة التي يحق لنا أنْ نستخلصها من نهضة الحسين الدينية والسياسية وهي أن نعرف كيف اشترى الحياة بالموت، وكيف أحرز النصر بالخذلان واسترد بالصبر والمظلومية كل ما استهدفه من دعوته هذه.

فما أحوجنا اليوم لمثل هذه النهضات في نواحي أخلاقنا، وديننا وسياستنا تلك النواحي الروحية والحياتية التي يعوزها كثير من الإصلاح والتقديم ولعلنا لا نجد لتلك المشاكل العامة حلاً حاسماً إلاّ الدين. والنهضة الدينية وحدها هي التي تكفل لنا تحقيق هذا الإتجاه الروحي وهذا التركيز الديني والمدني جميعاً وإذاً فما أحوجنا إلى تجديد ذكرى تلك النهضة المباركة، فلعلّها تجد إلى نفس أحد سبيلاً، أو تثير فيها تجاوباً ونهوضاً، فإنّ المصلح الذي نهيب بالرجال أن نتبع نهجه هو الحسين وحده، وقد كانت نهضته مطالبة بالسياسة العادلة، وكان نهجه الأخلاق الإسلامية السامية وهدفه الحياة السعيدة للمسلمين.

فلنجدد ذكرى نهضة الحسين في كل عام، ونقتفي أثره في ميادين الجهاد أو نموت تحت قيود الذل والصغار.

صلوات الله عليك يا أبا عبد الله فقد عرفت وحدك كيف تحيى وتحيي أُمتك لأنك عرفت كيف تموت(١١٤).

(١١٤) مجلة لواء الوحدة الإسلامية -النجف- العدد -٦- السنة الأولى- ١٩٤٩/ص١٣.

بطل الشهادة والتضحية

بقلم: محمد الشماع

لكل أمّة سلسة من الأبطال والشهداء والمصلحين إلاّ أن شهداء الإسلام وأبطالهم قد فاق عددهم باقي الأمم والشعوب. وإذا رجعنا نقلب صفحات التاريخ فاننا سوف لن نجد مأساة أفضع من تلك التي أحاطت ببني هاشم وخاصة على سيد شهدائهم الحسين بن علي لقد أقدم أبو الشهداء على التضحية لإعلاء كلمة الهدى ودين الحق، أقدم على الكفاح وهو عالم علم اليقين ومتأكد من نتيجته المحتومة. أقدم عليه وغايته القصوى القضاء على من عاث في الأرض فساداً على من لصق في وجه التاريخ الإسلامي لصقة عار. ولقد أقدم الحسين بن علي ليغسل ذلك العار أقدم وشأنه شأن كل بطل أو مصلح أو حكيم لا يهمه سوى المصير الواجب ونصرة الحق.

أقدم مدفوعاً بإرادة وإيمان واثقاً من النصر لا محالة.. وقد انتصر..!

لم يكن يدور في خلد الإمام الشهيد من أنّ القوم الذين حبذوا قدومه وتظاهروا لنصرته سيخذلونه وينفضون عنه. بل سيتآمرون عليه ويقاومونه.. ومع كل ذلك فقد وقف وثبت كالطود أمام الخيانة والغدر لم يحجم ويتراجع إذ الإحجام والتراجع جريمة وكيف يتراجع وهو ابن ذلك البطل الكرار..!

لقد أقدم ولسان حاله يقول: كُتِب القتل والقتال علينا.. الموت ولا العار.. التضحية ولا الحياة بذلة..

لقد آلمه ارتداد القوم عنه وتألبهم عليه.. بل جبنهم وتراجعهم فأخذ ينادي يا قوم ماذا تريدون ولمن تبغون..؟! وأنا ابن بنت نبيكم ووليكم وناصر دينكم. الحافظ لكرامتكم والذائد عن حياضكم الساعي لاسترداد حريتكم وحقوقكم التي سلبها الجبابرة واللئام والأشرار الطغاة..!

فلم يجبه أحد ولم يلتفت إليه إنسان..!

وهكذا نزل إلى الميدان لمقارعة الطغيان وهو يقول:

(والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقرُّ لكم إقرار العبيد فان لم يكن لكم دين فكونوا أحراراً في دنياكم أيها المستعبدون. أجل إن لم يكن لكم دين فكونوا أحراراً..!).

وهل يوجد في العالم أثمن من الحرية في كل عصر وزمان ومكان كلا وأيم الحق.. لقد ضرب للناس مثلاً أعلى ودرساً بليغاً ليس له مثيل.. مثل أعلى في التضحية يعلم الأفراد والجماعات والأمم حيوية النهوض والدفاع عن الحق والعدالة.

إن عداء بني أمية لبني هاشم ليس وليد الإسلام فحسب بل كان مستحكماً منذ أيام الجاهلية. لقد كانوا أول من حارب النبي وآله وأصحابه وحزازاتهم قد خلّدها التاريخ ولما جاء نصر الله والفتح ودخل الناس في دين الله أفواجاً وحصحص الحق وزهق الباطل خضع الأشرار قسراً ورأسهم في الرغام. وعلى رأسهم رئيسهم الذي تظاهر بالإسلام فعفا النبي صلى الله عليه وآله وسلم عنه بناءً على حماية العباس له... ولكنه لم يرتدع عن غيّه وبقي صامتاً منتظراً وقتاً مناسباً للانتقام ثانية.. للانتقام من النبي وأهله خاصة ومن الإسلام عامة وهكذا رأيناهم بعد أن مكنتهم الفرص ينتقمون.. ينتقمون ممن قضى على شركهم وحطم أصنامهم ولم يترك وقتذاك داراً من دور آكلة الأكباد إلاّ وفيه ناع وناعية.

ولما تغلب المداهنون واستتب لهم الأمر والسلطان بالخداع والتضليل والوعد والوعيد وبعد ما أسسوا ملكاً وراثياً بدلاً من نظام الشريعة الإسلامية..! راحوا يقوّضون دعائم الدين ويهدون من أركانه فأبطلوا الصلوة وهدموا الكعبة ونهبوا الحرم الشريف ونبشوا قبور الأولياء واستباحوا الأعراض وأمعنوا في الصحابة والتابعين لآل النبي قتلاً وتشريداً.. ولم يرعوا حرمة النساء ولا كرامة الأحرار فكان عملهم هذا سبباً لتصديع الدين وتشتيت كلمة المسلمين.

أمر معاوية الناس وأجبرهم قسراً على مبايعة يزيد وهو حي ولما مات وخلفه على إمارة السوء أراد الله أن يفضح امرهم بهذا الفاسق الفاجر.. وإلاّ فكيف يكون المداهن إماماً مطاعاً والمأفون خليفة للمسلمين.

وعلى كل فيجب أن نجدد ذكرى أبي الأحرار والشهداء لا بالبكاء والعويل بل بتقديس ذلك اليوم يوم البطولة والشهامة ولنجعله رمزاً خالداً ونبراساً نستضيء به في مقاومة المستبدين والذود عن المبدأ والحرية والكرامة ضد كل ذي سياسة خرقاء وعبدة الشهرة والحكم والجاه المزيف والسلطان الكاذب.

جددوا.. جددوا ومجدوا الأبطال والشهداء واتخذوا التضحية سلماً للخلاص والارتقاء[١١٥].

---

(١١٥) مجلة الغري -النجف- العدد -٩، ١٠- السنة الثامنة- ١٩٤٧/ص٣٥.

يا حسين أنت الذي أحييتنا فلنحيين ذكراك

بقلم: السيد عبد المطلب الهاشمي

أجـل: أنـت أحييتنـا بعـد أن أمـات يزيـد فينـا - نحـن معاشـر الأمـة العربيـة الإسلامية- روح الإيمان. واستلب منا النخوة والحمية، وبذر بين صفوفنا بـذور التفرقـة والشقاق والنفاق وأجّج في ربوعنا نار الحزازات القبلية والـضغائن العنـصرية وبـسط يـد المنكـر وقطـع لـسان الحـق والعـدل، وطمـس معـالم التعلـيم المحمـدي، ونفـخ في بـوق الشيطان. وتـرنم بأهـازيج جـده سـفيان: - مجـاهراً بعقيدتـه المارقـة رافعـاً عقيرتـه بكفـره وجاهليته حيث هتف على مائدة خمره ولهوه قائلاً بأعلى صوته:

لعبت هاشم بالملك فلا ... خبر جاء ولا وحي نزل

فهل يستغرب مسلم- أيها السادة الأفاضل أو يستنكر عاقل منصف قد سبر غور التاريخ العربي.. ووقف على حقيقة ما قدمناه من فضائح يزيد وفسقه وتنكبه عن جـادة الـدين وإصـراره وإصـرار أبيـه مـن قبلـه علـى التنكيـل بـالمؤمنين بجنـوده الـشيطانية أو العسلية.

أقول هل يستنكر منا أحد قولنـا أن يزيـد أمـات فينـا روح الإيمـان وهتـك حرمـة الإسلام والمسلمين بأعماله الشنيعة طيلة مدة حكمه الجائر المفعم بالفضائح والقبائح..!

وهـل أن أحـداً أخـذ علـى نفسه أن يقـول الحـق ويحكـم بـين النـاس بالعـدل لا

يشاركنا رأينا ويوافقنا على إعتقادنا المحق بأن الحسين بن علي قد أحيانا بنهضته حياة طيبة وبعث فينا روح الإيمان وعلمنا الإباء والنخوة ودرسنا دروس الشهامة والحمية، وأجّج فينا نار الكفاح والتضحية في سبيل الحق والدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..

أي: والله لقد علمنا ودرسنا بتضحيته هذه الدروس في النبل والفضيلة فتألّق بنبراسها دين جده وشع نوره في العالم كلّه وعادت تعاليمه المقدسة إلى سيرتها الأولى وبذلك قد أخرج الناس من ظلمات السياسة الأموية الغاشمة إلى نور الدين المحمدي.. ذلك النور الإلهي الذي أجمعت وتجمّعت بنو أمية على إطفائه وقد أبى الله تعالى إلاّ أن يتم نوره بنهضة سيد الشهداء وأبي الأئمة النجباء الحسين بن علي سبط رسول الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وإذا قام الدليل القاطع- أيها الحفل الكريم- وثبتت الحجة البالغة وصحت العقيدة الراسخة بأنّ الحسين السبط قد أحيانا وأخذ بأيدينا من مهاوي الضلالة وانتشلنا من حضيض الجهالة وصدّنا عن مفاوز الرجوع إلى الجاهلية الأولى التي عبد الأمويون لها الطريق وساقوا الأمة إليها بكل وسيلة سوقاً عنيفاً وكادت بمكرهم هذا تتردى في مهاويها السحيقة لولا أن قيض الله حسين الشهامة منقذها الأكرم وسبط منقذها الأعظم:

أقول- أيها الأفاضل- لما ثبت وتجلى أن الحسين أحيانا بعد أن أماتنا يزيد: فهل يصح لنا أن ننسى يوم بعثنا وإخراجنا من الظلمات إلى النور..؟

وهل يجدر بنا أنْ نتناسى موسم حياتنا الروحية...؟

وهل يليق بوفائنا العربي أنْ ننكر الجميل ونضيع إحسان المحسنين وكيف يكون ذلك وقد قال الله تعالى:

﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴾.

إذن يجب علينا وجوباً عينياً أن نقابل الإحسان بمثله ونشكر المنعم فإنّ شكر المنعم واجب إسلامي لا مندوحة لمناعته عقلاً وشرعاً.

فليس لنا- والحالة هذه- إلاّ أن نقدس الحسين أبي الضيم ونقيم لذكراه القدسية الحفلات العظيمة في كل مناسبة ونتشرف بالاحتفاء بها وبذل كل نفيس في سبيل إحيائها وإقامة معالمها ونشر لوائها بين ربوعنا الإسلامية في كل عصر ومصر وإلى الأبد.

وأنْ نهتف عالياً بقلوبنا وألسنتنا وفي كل حفل يقام لقدسية هذه النهضة المباركة نهتف عالياً قائلين

يا حسين:

أنت الذي أحييتنا فلنحيين ذكراك ما دام نور نهضتك ساطعاً في ربوعنا وما دامت هذه النهضة مدرسة لكل جيل من أجيالنا، مدرسة زاهية أسفارها بالفضائل والمكارم تلك هي التي يجب على كل فرد من أفراد الأمة أن يتمسك بها ويسير على غرارها مستنيراً بنورها الوهاج، ولا غلو ولا عجب في ذلك كله لأن نهضتك يا حسين قد علّمت الأمم الأبية كيف تحيا حياة أبدية، فسلام الله عليك يا أبا الشهداء يوم ولدت ويوم استشهدت ويوم تبعث حيا..[١١٦].

---

(١١٦) مجلة الميزان -العمارة- العدد-٢٧، ٢٨- السنة الرابعة- ١٣٦٧هـ/ص١٣.

ماذا نريد من هذه الذكرى؟

بقلم: السيد صالح جواد طعمة

بعد أنْ مضت ثلاثة أرباع الحقب الأول تقريباً، من الهجرة النبوية، هب الهزبر من عرينه بلد الرسالة والوحي..

ثار «الحسين» وسار إلى وادي الرافدين، ثائراً لكرامة الدين، وذائداً عن حرمة الخلافة والإسلام، ومطالباً بحقه الذي هو جدير به وأهل له، معتمداً على مساعدة من وعدوه من أبناء الكوفة لينافح المعتدين، ويكافح الظالمين الآثمين، بما أتاه الله من حول وصبر وإيمان.

ولكن – وماذا وراء ولكن فمن شأنها ان تثير الريب – أجل ولكن ما خطر للبال، إنّ تلك الأفئدة التي رحبت به ومالت إليه، ستمسي قلوباً راغبة عنه، وسيوفاً مشهرة عليه.

وفي هاتيك البقاع –بقاع الطف– حدثت حادثة الطف المريعة..

وكانت فيها للحسين السبط وأشياعه، جولة للحق وصوله على الباطل...

وكانت فيها ليزيد الأثيم وأتباعه، غضبة على العدل، وغبة في الظلم...

وشتان ما بين الذي كان للطرفين. طرف ابن حيدرة ومناصريه، وطرف ابن معاوية ومؤازريه.

انتهت الحرب الضروس بعد أن خر صاحب الحق صريعاً ولكن هيهات هيهات أنْ يصرع الحق، وتنطفئ شعلته. قال نابليون «لا محالة في الحياة» فان انطفاء نور الله محال، وشعلة الحق من نوره الكريم.

لقد رأينا هذه الحادثة، مطالبة بحق، ودفاعاً عن حرمة، وثورة على الظلم والعبودية، وميلاً إلى العدل والإصلاح وتضحية بما هو غال وثمين.

فنحن لا نرجو إعادة هذه الذكرى أنْ نستبكي ونبكي ولا نريد مجرد اللطم لأنّ هذه الأعمال ليست تمجيداً للذكرى، بل التمجيد هنا.

أنْ نتعلم كيف نطالب بحقوقنا إذا اغتصبها مغتصب. ونذود عن حرمتنا وكرامتنا إنْ اعتدى عليها أحدٌ ومسها بسوء، ونثور على الظلم والعبودية إذا ما أراد مجرم أثيم أنْ يجور علينا ويستعبدنا. ونضحي في سبيل حقوقنا وكرامتنا بما هو أثمن شيء في الوجود ألا وهو «الروح».

والسلام على من اعتبر بالعظات، واتعظ بالعبر[١١٧].

(١١٧) مجلة البيان -النجف- العدد -١١، ١٢، ١٣، ١٤- السنة الأولى- ١٩٤٧/ ص٣٤٢.

الحسين الشهيد في روائع التضحية

بقلم: محسن جمال الدين

سادتي الأماجد:

استعرض الفكر حكمة الفيلسوف الفرنسي الشهير (باسكال) إذ قال (في النور الضئيل يكتب أنصار الحرية وتحت ظلال السيوف يعمل رجال العقيدة وعلى نغمات أجراس السجون يسير أبناء الثورة).

ولقد كتب أبو الشهداء عليه السلام التضحية على نور الحق اللامع، وكتب سطور المجد، وجمع صفحات الخلود وصنع كتاب الإباء، وطالب بالحرية والحرية شيء ثمين غالي، ونشيد الانطلاق والانطلاق فكر حر وعقيدة راسخة وسعي لتحرير يحتاج لنضال وكفاح وجلد، هذا وهو لم يكتب ولم يسطر ولم يجمع تلك الأحرف النورانية بنور خافت ضئيل، بل بشعلة لامعة وهاجة تنير سبل الضالين، وتهدي طرق التائهين، ممن يتعرفون إلى معاني الجهاد ولم يتفقهوا دروس العمل.

ومن بين شفار السيوف الحادة التي بعثها الباطل وسممها التزييف والتسويف وأرسلها الاستبداد والمال وناضل الحسين عليه السلام عن عقيدته الناصعة وخلف من وراءه التاريخ العربي الإسلامي والنفوس المعتقدة بالإيمان الصادق يلهجان بذكراه

وينشدان أناشيد بطولته الرائعة ويذكران آيات حكمته الطيبة، ويرفعان رايات ثورته الحمراء الدامية التي سارت على النور ومشت على السيوف البيض وتفننت على الأجراس الناعمة المهدهدة للقلوب المنعشة للأفئدة الباعثة للرقود الموقظة للأموات.

الحسين أيها السادة:

يجب أن لا يذكر بالحزن الممض وحده بل بالإعجاب الوافر والفخر العظيم. فهو قد غرس شجرة الحرية بدمائه. وأثمرت خير الثمار ألا وهو العقيدة والمبدأ.

العقيدة على أنّ الشباب العربي والإسلامي اليوم -ورجالات الغرب المستشرقين أخذوا يتحسسون ذكرى الشهيد لا لأنها تبعث الألم والحزن واللطم واللوعة وحدها بل لأنّها تشيد البناء القائم الراسخ على العمل وتشيده على انقباض الاستكانة والخمول والندب والعويل.

أمّا المبدأ فهو مبدأ التضامن بين طبقات الأمة على اختلاف طبقاتها وأجناسها. مبدأ الأخوة والمحبة. مبدأ السعي واليقظة.

حتى تعاد أيّام محرم الحرام والشعب في أهنأ العيش وفي وارف العز وتحت أردية الصحة وفي مدراج العلم، وبين وافر الخيرات... وهناك يحتل الشباب الصدارة ويرسلون الألحان إلى العالم كافة تردد أنّ ايام الحسين الشهيد عليه السلام هي أيام العز وساعاته ساعات اليقظة وذكراه ذكرى الأمجاد.

وإنّني من لبنان هذا البلد العربي الجميل: أرسل هذه الصرخة وهذا النداء مغتنماً هذه الفرصة السانحة الكريمة للتعبير عن خوالج وخواطر شاب عربي عراقي يشارك إخوانه الناهين وأخوته العاملين «لجنة الشباب النجفي» في تقديم أحر الرغبة ومنتهى التجلة إلى المثاب بطل العروبة والإسلام رجل العمل مولانا سيد الشهداء عليه السلام.

الذي استمد من قوة إيمانه هذه الكلمة المختصرة. وآخذ من مجال خلوده هذه النفحة العابقة وسطر على ضوء أنواره وعلّمه هذه الأحرف المثبتة. لتتلى على جمع محب وعلى مسامع واعية ممن حضروا وأقاموا هذا الاحتفال مستخلصاً منها أنْ تكون هي وما سبقها ولحقها عظة وعبرة وهداية وإرشاداً إلى طريق التحرر وإلى ميدان العمل والنشاط وإلى بوادر الخير منشداً مع الشاعر العربي الفلسطيني المجاهد قوله:

فأمّا حياة تملأ الأرض عزة وأما ممات يترك الطير ناعياً

والسلام عليكم ورحمة الله(١١٨).

(١١٨) ذكرى أبي الشهداء –حفلات الشباب النجفي- إخراج دار الغري- من دون تاريخ/ص٤٧.

مُحَمَّد (صلى الله عليه وآله) والحُسَين (عليه السلام)

بقلم: السيد جعفر أمير القزويني

النفـوس المريـضة، لا وجـه غـير التخـبط بالآثـام، ولا تهـدف إلى معـنى يرمـز إلى الاستقامة، والضمائر لا حياة فيهـا ولا نبـل، والعقـول لا تفكـر إلاّ بـالجحود والطغيـان مجتمع ثائر على المعاني الـسامية ينفـر مـن الفـضيلة ويتـهافت علـى الرذيلـة كلمـا بـدا في الافق بصيص من النور. من مرشد أو ناصح أسدلوا عليـه مـن غياهـب الجهـل، أسـتاراً كثيفة، تحجبه عن دنياهم، ويعود إلى مصدره ضئيلاً لا يجد منقـذاً يـدخل منـه إلى تلـك النفوس المرضى فكمن ثم كمن، إلى أن انبعث ساطعاً وهاجاً من الإنسانية الكاملة، التي تتدفق بالحيوية والإصلاح. وتريد من الإنسان ان يكون على غاية من التهذيب والـسمو في الأخلاق. صرخ محمد صلى الله عليه وآله وسلم في دنيا الأباطيل، صرخة إصـلاحية لا تزال تدوي في الأحقـاب والأجيـال لتـزول دنيـا الباطـل وتبيـد، ولتؤسـس دنيـا الحـق ويدعم بنيانها على تقوى من الله وهدى وفلاح ولكـن الجاهليـة الرعنـاء لا تتنـازل عـن باطلها ولا تغـض الطـرف عـن سفاسـفها وتـضحي في هـذا الـسبيل الأنفـس والأمـوال والطمأنينة والسلام وإذا العتـاة مـن قـريش والـصناديد مـن العـرب وفي الطليعـة الحـزب الأموي، يرغون ويزبدون على الـدعوة الحقـة والقـائم بها وينزلـون في سـاحته أصـناف الأذى وضروب الآثام والنبي بادئ ذي بدئ يقابل السفه بالحكم، واللؤم بالكرم، داعيـاً إلى سبيل ربه، بالحكمة والموعظة الحسنة إلى أن استفحل الداء فلم تؤثر به الأدويـة، وإن

كانت ناجعة ولم يبل المريض من دائه رغم محاولة الطبيب، وحسن علاجه، إذن فالمجال للبضع يستأصل شافة الداء العياء ولقطع دابر المرض المزمن فإنّ الفساد إذا حل بعضو من الأعضاء، عمد الطبيب إلى استئصالهِ محافظة على سلامة البقية الباقية لتكون في مأمن، نقية ناصعة بريئة صحيحة.

جلجل صوت الداعي هداراً مهتاجاً يحفز العصبة المستترة بضياء الحق أن تتأهب لإزهاق الباطل، وتعد للمبطلين الضالين، ما استطاعت من قوة، ومن رباط الخيل، ترهب به العدو اللدود الخطر، فاستجابت له، بقلوب مؤمنة، ونفوس موقنة، باذلة الدماء قرباناً ليقوم أساسها على أشلائهم، وتشمخ بنيانها في أجسادهم، والحق في كل زمان وفي أيّة بيئة، يحتاج إلى تضحية ومفاداة، والباطل أينما كان لا يزهق إلاّ بالمغامرة والهيجاء، فالدعوة الإسلامية، بعد ان تجهم لها العرب في أول الأمر، تهافتوا عليها: بعد ان فهموها. ووعوا واقعها، وما فيها من أصالة وفكرة، كأنها جزء من عقائدهم القديمة، التي مارسوها، وجبلوا على حبها واعتناقها وانقلب الأمر رأساً على عقب، فبعد محاربتها دافعوا عنها، وناضلوا من أجلها، حتى استقرأوها رغم كل محاولة.

ولكنّ الأمويين، أرادوا أن يعيدوها جاهلية ثانية، فإن أبا سفيان ومعاوية ما دخلوا الإسلام إلاّ حقناً لدمائهم، والتربص والكيد والوقيعة في مقدساته، وكل من يرجع لتاريخ الأمويين، وجد هذه النيات عريانة مكشوفة، لا يعترفون بنبوة ولا وحي ولا إسلام.

فهذا قول أبي سفيان (تلقفوها يا بني أمية، تلقف الكرة، فوالذي يحلف به أبو سفيان، لا جنة ولا نار) وهكذا بعده نجله المدلل معاوية، الذي اتخذ من دنيا الضلال دستوره الأمثل:

(إني لم أقاتلكم لتصوموا وتصلوا، ولا لتحجوا، ولا لتزكّوا ولكن قاتلتكم لأ تأمّر عليكم).

فهم يضمون الدين وكل معنى أقدس، للوصول إلى غاياتهم المادية، وملكهم العضوض.

والحظ يسعف أحياناً، من لا أخلاق له ولا دين، ويوصله إلى رغباته وتمنياته، ليزداد في الإثم، ويتخبط في الباطل، جزاءً لخبث سريرته، وسوء سيرته، فيضطرب شأنه، كريشة في مهب الريح، لا يستقر على حال من القلق... وذلك يكون حافزاً قوياً للمصلحين الذين لا تأخذهم لومة لائم، في سبيل إحقاق الحق، وإعلاء كلمته، ويستثير الحفيظة في نفوسهم، لتركيز الوضع، وإعادة الحق إلى نصابه، ونبذ المتزعم المتطفل، الذي هو ليس من الزعامة في شيء، عتاة يتكالبون على المادة، ولا يقيمون أي وزن للمثالية ورجالها، وجاهدوا بعنف وقسوة، الرجال المثاليين لينفثوا سمومهم في المجتمع، ويوجهوه توجيهاً فاسداً ملتوياً، يتلائم وطبيعة نفسياتهم المعقدة، وعقائدهم المضطربة، فراحوا يغرسون الشرور، بمعونة أذنابهم، لتتغلغل في الجمهور المسلم.

وبذلك أدرك.. أمنية الخليع يزيد، الذي نشأ نشأة، لا تمت إلى النشأة الإسلامية بصلة ولا نسب، فهو معلن للفسق، قاتل النفس المحترمة، يميل مع النعماء وكيف تميل، ولم يكن متكتماً ومع هذه المنافاة، يتحمله الملأ المسلم، خليفة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحتل مكانته القدسية، ويزعق المسلمون لأوامره وزواجره، كما اذعنوا إلى الخلفاء كأن يشبههم أو أحد منهم...

بالسخرية الاقدار... أين تلك الروح السامية، التي بثها النبي العظيم في أمّته، أين تلك التعاليم العالية، التي تركها تراثاً ضخماً، في قرآنه وسنته...

هل ذهبت أدراج الرياح ... وطوّح بها الزمان؟.. كلا إنها خالدة خلود الزمن، راسخة رسوخ الأطواد الشامخة ...، ولكن الناس على دين ملوكهم، يتلاعبون بمقدراتهم ويسيطرون على عقولهم.

ولابد من حملة عنيفة وشن غارة شعواء، على مثل هذا السلطان الغاشم، الذي يسير بالأمّة سيرة الفراعنة، ويحملها على نبذ مقدراتها، والتغافل عن تعاليمها القديمة والحياد عن جادتها المستقيمة...

ومن غير الحسين، ربيب النبوة، يفكر بالإصلاح والتضحية، لإنقاذ الإسلام من محنته، والخطر المحدق به، فان جده النبي صلى الله عليه وآله وسلم أقام الدنيا وأقعدها لبناء صرح الإسلام وأباه الوصي، الساعد الأيمن لتوطيد ذلك وإنّ تلك الارتسامات المثالية، جزء من كيان الحسين، رضع لبانها وترعرع في أحضانها، وإنّ تلك التضحيات نمت مع نموه ورسخت في نفسه رسوخ عقيدته، فيستسهل كل صعب في سبيل عقيدته الحقة واشتقاق دين جده الحنيف...

صرخ الحسين عليه السلام صرخة مدوية في دنيا الإسلام هذه الملتوية. كما صرخ جده صرخته الأولى في دنيا الشرك والأباطيل فكان هدف الصرختين واحداً. تلك لإعداد المجتمع الجاهلي إلى التوحيد والإسلام بديلاً عن الشرك والآثام، وهذه لاستعادة المثاليات الإسلامية التي فقدها الإسلام بسبب الأحداث الأموية وتهافتهم على الملك الجائر والحكم المستبد حتى أبدلوا الأوضاع الإسلامية وغيّروا مجرى الإسلام عن مصبه وأهدافه. ولكن الحسين تدارك الأمر بنهضته وأنقذ الإسلام بتضحيته فكانت نفسه القدسية فداءً عن سمو الإسلام وقداسته وكانت هذه التضحية رجة عنيفة في دنيا الإسلام ارجعتها إلى ماضيها والاتصال به وألقت عليها درساً نافعاً في الفداء والمغامرة في سبيل المبدأ القويم والانتقام من المستبدين الغاشمين.

ورأت عملياً كيف تدك العروش الطاغية وتبيد الحكومات الظالمة التي لا هم لها سوى المحافظة على تسنم أريكة الحكم وإن ضحت في سبيله المبادئ...

وبعد..فلنعد إلى أنفسنا.. أنفسنا نحن ماذا جنينا من نهضة الحسين عليه السلام وماذا ارتسم في قلوبنا من معالم آثارها ونور قبسها وعظمة تضحيتها. ماذا اكتسبنا منها؟ لا شيء أجل لا شيء ألم يجز في النفوس فيثير الآهات ويدمي القلوب؟

نعم. رسمنا على الصحائف كيف يعود الإسلام. ثم كيف يحضى بسيادته وتمثلناه دولة عظمى عشناها على صعيد من الورق وعدنا نقول انه هو وحده كفيل لإسعاد الأمة رأينا التجربة وهل هي مجرد أقوال وما قيمة الاقوال اذا لم تسندها الافعال انها زبد يذهب جفاء نريد ما ينفع الناس نريد تطبيقاً لأقوالنا نريد أن نكون أُناساً عمليين لا نكتب ثم نلف ما نكتبه وندعه زاوية مهملة ثم نبكي على الإسلام المبعد.. إنّ الإسلام لا يأتي إذا لم نثابر للعمل من أجله والدعوة إليه بصورة عملية متلاحقة ولا تتحقق الدعوة إليه بصورتها الصحيحة ونحن شِيعاً وأحزاباً متفرقة. كل يدعو لتركيز فكرة معينة ثم يحاول ألاّ يدع لغيره معأرضة فكرية فيلتمس لذلك الطريق الذي يستطيع بواسطته نشرها وتطبيقها ولو كان بإراقة الدماء وقتل النفوس والإرهاب والتشريد فهي وسيلة، ومادامت توصله إلى غايته وتحطه عند هدفه. هذه محنة ما يزال يعيشها الإسلام ويتجرع من ويلاتها أنواع العذاب.

ففي كل يوم لنا يد تصفعنا وفي كل ساعة سوط يلهب ظهورنا وفي يد كل جلاد سكين تفصل رقابنا. أما يكفي الذل والهوان والحرمان ألا ندري أنّ لنا في كل أرض قلباً دامياً وحرية مسلوبة وحقاً مغتصب وحرمةً مهدورة وكرامة منهارة وأخاً يصرخ وأختاً تنعى والأيادي الأثيمة لا ترحم وهل العيش على هذه الشاكلة مسر؟ وهل هذا اللون من الحياة إلاّ الموت. وما الموت إلاّ موت الشعور بالمسؤولية الملقاة على عاتقنا وما الموت إلاّ موت اللامبالات بما يحدث في أرضنا الإسلامية وما يعانيه أخونا المسلم على يد المستعمرين الكافرين الذين يهون عليهم أن يذبحوا الأطفال والشيوخ ليصمت صوت الحق والحرية.

أما يكفي كل هذا لنشعر بعظم المسؤولية. فنهب من رقدتنا لنوحّد صفوفنا ونجمع كلمتنا لنعود من جديد ونحن أشد قوة وأعظم عزيمة - يجب أن نمحو كل هذه المعالم وندك آثارها ثم نخرج عن صعيد الورق إلى دنيا الواقع من الخيال إلى الحقيقة لنلبي صوت الله المدوي (اقيموا الدين) وبعد ذلك نأخذ بقوة ما غصب من أرضنا لنعيد المشردين البائسين إلى أوطانهم أعزة مكرمين ليعيشوا في كنف الدولة الإسلامية وظلها الوريف كما عاش آباؤهم من قبل سادة الأمة وحماة لأرضهم ودينهم لتعيد للصوت المجلجل روعته اخْسَأوا ياطغام لا حكم إلاّ لله[١١٩].

(١١٩) مجلة الإيمان -النجف- العدد -٣، ٤- السنة الأولى- ١٩٦٤/ص٢٧٤.

الحُسَين رجل العقيدة والواجب

بقلم: مهدي الآزري

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾.

في مثل هذا اليوم من السنة الحادية والستين للهجرة المباركة دلف الحسين عليه السلام فدلف معه رعيل من أبرّ الأبناء وأوفى الإخوان وأصدق الأصحاب. دلفت هذه العصبة الطاهرة بهدوء وسكون تاركة خلفها ضجة رددتها الآفاق وأعادتها الأيام في عالم هو بحاجة إليها. هي ثورة تحركت من مكة واستقرت في الطفوف، هي صرخة انبثقت من شعاب الحجاز فتجاوبت بها بوادي العراق. هي ثورة وليست بالثورة الدينية فحسب، وهي ثورة وليست بثورة العزة العربية فحسب بل هي من هذا وذاك وفوق هذا وذاك. هي صرخة لها صدى وليس كبقية الأصداء التي تتجاوب ومصيرها التلاشي بل الصرخة التي يتردد صداها مع الدهر فتقف أمامها النفوس بخشوع وإكبار وترمقها العيون بإجلال وتعظيم. هي ثورة نفوس لها من نكران الذات ما يبعدها عن حب الحياة وفيها من الإخلاص للعقيدة ما يمنعها من التهاون ومن الإباء ما يجلها عن التهاون وعندها من الرغبة في التفاني في سبيل العقيدة ما سجل لها الخلود في سفر الإنسانية. نفوس لها من هذه المزايا والخلال ما يطهر تضحيتها من أيّة شائبة قد تنسب لمن يقدم على التضحية السامية.

دارت الأرض حول الشمس ألفاً وثلثمائة دورة دالت خلالها دول وتبدلت عقائد وجدت أمور واستبدلت مما ينير البطولة ومقاييس التضحية بأخرى غيرها، حدث كل ذلك ومصرع هؤلاء الشهداء قائم لا يبلي التكرار جدد ذكراه بل يكسبها قوة ويزيدها سمواً لما يكشف عنه غامض أسرارها كما تمنح هذه الذكرى النفوس سلوى وعزاء وتربها صورة من حياة الكفاح وكفاح الحياة تبدو ناصعة جلية فتبعث فينا شعوراً غامضاً يضطرب في النفوس وينمو رويداً رويداً كما ينمو الجنين في بطن أمّه حتى إذا اكتمل خرج إنساناً سوياً، وما ذلك الشعور المضطرب، وما ذلك الجنين النامي الا العقيدة والإخلاص لها والتضحية في سبيلها وإن شئت فقل هو العقيدة ومسؤوليتها. إنّ في نفوسنا لصلاحها وإنّ في قراراتنا لنبلاً فلنولهما العناية ولنتعهدهما بما يبعث فيها نشاطاً ويمنحها قوة تسهل لهما السيطرة والنفوذ وليس هنالك ما هو شحذ للهمم من عرض الذكريات وأشد هذه الذكريات أثراً وأبلغها تأثيراً أوضحها صورة وأبرزها منظراً والذكرى تنفع المؤمنين.

يجهل جهلاً بينا ويخطئ خطأ فاحشاً ويسيء إساءة بالغة من يتوهم أن قدوم الحسين عليه السلام إلى العراق كان سعياً وراء الخلافة وطلباً لها أو هرباً من المطاردة واحتفاظاً بالحياة، فقد كان له من مركزه الاجتماعي ومنزلته الدينية ما يصرفه عن التفكير في الخلافة كفاية وأُمنية، كما كان له من الاتجاه صوب اليمن ما يكفيه شر المطاردة ففي اليمن بعد عن حاضرة الخلافة وفي اليمن ضمان لحياته إن لم يكن أكيداً فهو ولا شك أقوى مما هو في العراق لقد كان في رحيله من مكة معنى العزم على أمر هو غير الهرب وفي أسرائه عنها طلب شيء غير النجاة؟ لقد سمع صوت الواجب يناديه من ربوع العراق على لسان أهله قائلين له: لئن لم تأتنا ونحن على ما عرضنا من استعداد وتهيؤ فستكون مسؤولاً أمام ربك وسنكون نحن خصومك يوم الحساب.

لقد ألقوا بذلك عليه الحجة فكان عليه أن يرحل وأن يتقدم ولو كان في ذلك

هلاكه فقد ناداه الواجب فعليه أنْ يجيب لقد كان عليه ان يجيب وأنْ لم يطمع في النجاح وكان عليه أن يقدم وأن لم يضمن الغلبة ففيما قطع أهل العراق من عهد كفاية وفيما أعطوا من مواثيق حجة. وليت شعري ماذا يمكن ان يكون موقف المؤرخ من الحسين لو أنّه امتنع بعد هذا الإلحاح وتشكك بعد هذا التوثيق وأحجم بعد هذا الإغراء؟ لو أنّ الحسين لم يفعل ما فعل إذن لحامت الشكوك وثارت الظنون حول صحة عدم قدومه وصحة امتناعه وصحة إحجامه. ولو أنّ الحسين لم يفعل ما فعل إذن لجاز للمؤرخ أن يلقي عليه مسؤولية أي وهن يصيب الدعوة المحمدية وأيّ ركود يصيب الحماس لها.

لقد كان الحسين يعلم حق العلم أنّه مقتول على يد خصومه وأنهم لن يتركوه حتى يبايع على الأقل وهو يرى ان المبايعة امر لا يجوز له ان يفكر فيه فكيف يفعله؟ ولسنا نفتئت على التاريخ اذ نقول ان المؤامرات كانت تحاك حول الحسين للايقاع به؟ ولسنا نفتئت على الحسين أن نقول أنه كان يعلم حق العلم أنّه مقتول على يد خصومه إن لم يبايع على الأقل إذ في تركه مكة في اليوم الثامن من شهر ذي الحجة سر لا ينكشف، وغموض لا ينجلي إلاّ إذا صدقنا ما قبل بشأن مجيء عمر بن سعيد مع ثلاثين رجلاً مدججين بالسلاح ليقتلوه ولو وجدوه متعلّقاً بأستار الكعبة إذ عدم الأخذ بهذا القول يجعلنا نتسائل لماذا ترك الحسين الحج مع اعتزامه عليه وانتوائه إياه؟ إذن فقد خرج الحسين من مكة وفي نفسه أمر غير طلب النجاة لوثوقه من أنّه مقتول وإذ تيقن ذلك فقد صمم على أن يخلق من مصرعه رمزاً يذكر الأجيال بأنّ صاحب العقيدة يجب أن يهلك في سبيل عقيدته وأراد أن يضفي على مصرعه روعة ومهابة تشحذ همم ذوي العقيدة على الثورة والتضحية. فإنّ الإنسان يتشجع للإقدام على التضحية إذا علم أنّ التاريخ سيسجلها بأحرف من نور؟ ويتحمس للإقدام على الموت إذا علم أنّ الأجيال ستتخذ من سكونه حركة وتنشد من موته حياة وتقتبس من ظلمة رمسه ضياء تستنير به في كفاحها وتستعين به في جهادها؟ إنّ درس الشعور بالواجب الذي يلقيه

علينا مصرع الحسين كاف لأن يوجب ويحتم علينا أن نهتم لهذه الذكرى ونجددها. ولو كان هذا الدرس من جملة الأغراض التي حدت بالحسين إلى الاستشهاد ودفعته إلى طلب الموت. لقد ضرب لنا الحسين مثلاً عالياً ورسم هدفاً سامياً إن لم نطمع في بلوغه ففي الاستباق إلى ذلك غاية القصد. لقد كتب الحسين نهايته بيده متخذاً من دمه الزكي الطاهر مداداً لتلك الكلمة القاسية المروعة المخيفة التي لابد وأن يكتبها القدر على جبين كل مخلوق، والحسين إذ فعل ذلك سجّل اعظم انتصاراً للعقيدة وأعنف صورة للبطولة وأجلى مظهر لقوة الارادة ومضاء العزيمة. مصرع الحسين سِفر كلما عاودته قراءة خرجت منه بمعان جديدة فهو الينبوع الذي كلما زدته حفراً زاد ماؤه اندفاقاً والأفق الذي كلما زدت فيه تحديقاً وإمعاناً ازداد أمامك بسطة واتساعاً.

إنّ للبطولة علينا حقاً فلا تنكرن حقها فتتنكر لنا وتنكرنا وإنّ للعقيدة علينا واجباً فلا نحاولن الافلات منه فتفلت منا فانها لا تقيم عند قوم لا يقيمون لها وزناً ولا يوفون لها حقاً ولا يرخصون لها غير كلام أجوف رنان فيه صدى حركات اللسان في الفم أكثر بكثير مما فيه من الافصاح عما يجيش به الصدر والتبيان لما يضطرم به القلب وتطمع إليه النفس إذ ليس في نفوس هكذا قوم من المطامع إلا ما أن تحرر لا يخرج عن حدود منافع الذات وما إن سما لا يرتفع عن مستوى الشهوات الجامحة التي تدفع بصاحبها إلى سحق العالم في سبيل تحقيقها؟ وما إنّ حال نيله حائل انقلب صاحبه إلى معول هدم متحرك يريد التخريب ويعلن الشخط ولا لغرض إلاّ التخريب.

إنّ العقيدة شجرة لا تسقى بغير دماء معتنقيها ولا تتغذى بغير رفاقم فان لم تسق وإن لم تغذ فلن تؤتِ أكلها للطالبين ولن تنشر ظلها للقائلين.

نحن بحاجة لأنْ نعتقد ولأن نؤمن فأنّ من لا يعتقد ويؤمن لا يسير إلى الأمام خطوة إلاّ ليرجع إلى الوراء اثنتين نحن بحاجة إلى تناسي وإنكار الذات ولن ينسى ولن

ينكر المرء ما لم يشغل بغيره فلتكن العقيدة شغلنا ولتكن العقيدة سلوتنا. ولنختر من العقائد أكثرها على الواقع انطباعاً ومع الطبيعة البشرية انسجاماً وبالعقل اهتداء وللعدل تحقيقاً مما يضمن خير الدارين وسلام الموقفين ولنؤمن بها كما آمن الحسين ونناضل عنها كما ناضل الحسين ونستشهد كما استشهد الحسين وليحاول كل منا أن يكون حسيناً فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته[١٢٠].

(١٢٠) مجلة الغري -النجف- العدد -٦٣- السنة الثانية- ١٩٤١/ص١١٠٥.

نهضة الحسين (عليه السلام)

بقلم: السيد محمد جواد الطباطبائي

نهضة الحسين عليه السلام إذا حللناها نجدها في الحقيقة شعلة النبوة المقدسة بالفطرة الغالية الفذة ورموز العالم المجهول فهي روح إلهي نفخت في طبيعة بشرية ومعنى لاهوتي في حروف من أشباح الوجود في الناسوت لها سر الحياة الخالدة وهي حتى الآن وان لم تتضح في ظاهرها أو ظاهرات محدودة ولم تتحد مهما بالغوا في تحديها كما لو وضعت عليه اليد فلم تزل تغزو القلوب وتقتحم إلى النفوس من مناطقها الخفية وتسيطر على فضاء الشعور النفسي فهي عظة من التاريخ ولكن تجمع التاريخ كله فليس معناها في حدود ما وقعت من الزمان والمكان بل حدودها حيث لا تتسع لها حدود وتقصر عنها الأخيلة وتنحسر التصورات وفي أخصر عبارة هي دروس إلهية وتعاليم روحية والتضامن الاجتماعي الصحيح وتحطيم القوة الغاشمة والسياسة الجبارة للاستعباد البشري وحفظ لكيان الحرية في العقيدة والمبدأ وإرجاع الحق إلى نصابه إيقاف للفضائل في نقطتها المركزية الخالية عن كل إفراط وتفريط غالبة في صورة المغلوبية فاتحية في ثوب الأنكسار والتدهور هدم وبناء هي كل الفضائل وكلها الفضائل ففيها القدوة الصالحة وفيها المثل الأسمى للإنسان الكامل والصراط السوي للمسلم القرآني امتازت عن النهضات التاريخية الأُخَر بانها تقع في مضاعفات كبيرة تجمع شتى الصور بحيث تعطي في كل صورة إنسانية دقيقة وإذا وفق العلم بعض التوفيق إلى تحليل

الحوادث التاريخية جمة الفضائل التي تجئ في لون واحد ووضع واحد فانه لم يوفق حتى الآن لتحليل هذا النوع من الحادثة المتضاعفة أو المركبة التي تستند على أوضاع وتقويم في عدة صور سرية لكل منها شكل أخّاذ ونفوذ عميق بعيد الغور لأنّ فيها ما توزع في الجماعة على مثل البلور تجمع خيوط النور وتضمها في بؤرة لتعكس شكلاً متجانساً من أشكال متفاوتة هذه النهضة لا تقاس بغيرها مما يقوم صاحبها على شهوات النفوس والمطامع الدنية هذه نهضة يقوم فيها صاحبها على اسم الله ويمضي على اسم الله ويموت على اسم الله تسمو به الغاية ويعلو به الهدف هو هدف ولكن ليس من شهوات النفوس وغاية ولكن ليست كمثلها الغايات غاية تحقر كل ما في الحياة من أشيائها ولا ترى سوى الملكوت الأعلى هدفاً وسوى السماء مستقراً لأنّ مهدها فلا بدع ان حنت إليه وطلبت اللحاق به فللناس أوطانهم وللناس حنينهم وكان الحسين عليه السلام على علم من أنهُ هو الظافر الفاتح أنّه الغالب وإن كان مغلوباً وقد صرح بنفسه في كتابه إلى بني هاشم وذلك لما فصل متوجهاً إلى العراق أمر بقرطاس وكتب:

(بسم الله الرحمن الرحيم) من الحسين بن علي إلى بني هاشم أما بعد فإنّ من لحق بي منكم استشهد ومن تخلف عني لم يبلغ الفتح والسلام.

وأشارت إليه أخته الحوراء زينب في مجلس يزيد بقولها:

(أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء فاصبحنا نساق كما تساق الإماء إنّ بنا هواناً عليه وبك عليه كرامة فوالله ما فريت إلاّ جلدك ولا حززت الا لحمك فكد كيدك واسع سعيك وناصب جهدك فوالله لا تمحو ذكرنا ولا تميت وحينا ولا تدرك أمدنا).

أجل زعم يزيد أنّه قتل الحسين عليه السلام فاخمد ذكره واطفأ نوره ولكن ما درى أنّه أوجد بكل قطرة من دم الحسين حسيناً آخر.

كذب الموت فالحسين مخلد ... كلما أخلق الزمان تجدد(١٢١)

(١٢١) مجلة الغري -النجف- العدد -٢- السنة الخامسة عشرة- ١٩٥٣/ص٦.

الرسالة المثالية الخالدة في جهاد الحسين (عليه السلام)

بقلم: يوسف سلمان كبة

للتاريخ في كربلاء جبين تعلوه غرة ساطعة، هي رمز نهضة الحسين عليه السلام وللكفاح سجل في صفحاته شعلة وضاءة هي ذكرى جهاد الحسين عليه السلام وللمثل العليا دروس قاسية تستوحي من مصرع الحسين عليه السلام وللإنسانية الكاملة مبادئ عرفت اصولها بتضحية الحسين عليه السلام.

هذه السنين تتصرم والأعوام تدور وفيها تتقادم الأحداث حتى تعفو ويخلق الجديد ويبلى وتمحو الآثار وتتلاشى الذكريات. ولكن أثراً واحداً مازال جديداً يفيض بالمعاني الجسام وحادثة مزيدة لا تأتي عليها الدهور والأزمان مابرحت حية تختلج بالأسرار وتحفل بالجلائل من الأعمال في تاريخها المجيد، وتتقدم مع السنين نحو السمو والتألق والخلود، وتلك هي حادثة الطف وذكرى أبي الإباء وسيد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

تعاودنا كل عام ذكريات مصرع الإمام عليه السلام الحسين الشهيد فتجدد في نفوسنا آثار تلك الرسالة الحسينية السامية التي صرخت صرخة الحق في وجه الاستبداد الأثيم والطغيان الغاشم، فكانت صراعاً بين الحق والباطل، ما لبث بعدها الحق أن سما.. وقد زهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقاً..!!؟ فما أجلّها من رسالة عرجت بالروح إلى أوج الشهامة والعزة والإباء. لقد كانت رسالة الحسين عليه السلام جليلة القدر ظاهرة الغرض متسامية الكمال، غايتها توطيد دعائم المثالية المحمدية التي أخذت طريقها إلى التدهور والاضمحلال وكادت تعصف بها الأهواء..!! كان ذلك حين تبوأ على

عرش الخلافة الإسلامية يزيد بن معاوية، وإذا ذكر يزيد في هذه البحث كان المقصود ذلك الشخص المستهتر البغيض، الذي هو والدين على طرفي نقيض... لم يكترث للخلافة ولم يعترف بالرسالة ولا بما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم. كان يقضي أوقات عمله بمعاقرة الندماء ومقارعة الكؤوس، ويهرع في ساعات فراغه للصيد والمجون. ويفوع في لياليه إلى مجالس العهارة حيث التهتك والخلاعة والفجور، فغدت حينذاك التعاليم الإسلامية تتضائل شعلتها الوهاجة رويداً رويداً، وأخذت المبادئ المحمدية تخمد فيها تلك الجذوة التي كانت تبعث حرارة الإيمان، وسادت المبادئ السافلة وعوامل الرذيلة الطائشة الرعناء، وعم الفساد خلال تلك الفترة، الحالكة من عهد الحكومة الجائرة القاسية، والخارجة على الحدود الإسلامية التي رسمها صاحب الشريعة الأعظم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكان الوضع الإسلامي في حال من التضعضع يدعو إلى مصلح يقوم أوده ويعيد إلى الدين مجده، ويرد إلى حضيرة الإسلام ذلك التراث الغالي والنظام الرصين. ومن لهذا الامر غير الحسين ...؟؟ وهو ابن حامي الدين وسبط سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم وهو الفرع الناظر لتلك الدوحة الهاشمية الطاهرة لقد رأى من واجبه أن يقوم بذلك الغرض الذي اقتصر عليه بوصفه حامي الشريعة وإمام المسلمين، ولكنه علم أنّ النجاح يقضي بتضحية كبرى، تضحية تصبغ أرض الطف بدمه الزكي فيسطرها التاريخ مأساة محزنة بأحرف من نور لتقرأ فيها الأجيال أبلغ الدروس وأجل العظات لقد نهض الحسين عليه السلام مجاهداً في سبيل الله مستجيباً لاستغاثة الدين الحنيف. نهض بدافع عن الحق الذي ضاع وعن الدين حين وهن فقام ليضع تعاليم الرسول في نصابها والقرآن في مركزه ليبقى المسلمون يعيشون بتعاليم القرآن. وفي كنف الأصول الدينية وبنظام الحكم العادل الذي تمت به الرسالة ونهجه للمسلمين سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم.. كان مبدؤه أنْ تعلو راية الإسلام خفاقة كما أرادها الله وأن تعلو كلمة الإسلام كما يذكرها الكتاب وأن تكون

للحكم الإسلامي تلك الصلابة والقوة التي يتطلبها الدين الحنيف، فصمم أن يفنى في سبيل هذا المبدأ ويؤدي ثمن الجهاد وأن كان غالياً..! تلك هي رسالة الحسين عليه السلام وذلك هو الغرض الأسمى الذي من اجله ضحى الحسين وناضل في سبيله ودفع بنفسه وأهله وصحبه إلى الموت تحت ظلال السيوف فاستشهد مجاهداً على تلك الصورة التي مزقت بين الهدى والضلال وباينت بين الكفر والإيمان، لقد وضع الحسين عليه السلام بجهاده أسس المدرسة الجليلة للمبدأ بصورته الشاملة وأقام بصبره وقوة إرادته ودعائمها الكاملة وشيدها برسالته التي جاءت ظاهرة الغرض سامية المعنى فاعطى خير الدروس في التضحية التامة كان لها الأثر الفعال حين تقابل الحق والباطل للنزال.

قتل الحسين في سبيل المثالية المحمدية وأرخص نفسه لصيانة أسس ذلك الكيان الذي بشر به جدّه وشاد بناءه أبوه، فقاد حركة الجهاد بزعامته التقليدية وأحيا بموته دنيا من السعادة ينعم بها المسلمون كاملة على الوجه الصحيح، فلم نر الإنسانية في تاريخها حادثة كحادثة الحسين عليه السلام كانت التضحية فيها خالصة لوجه الله ولتحقيق الفكرة التي آمن القائم بها. لقد كانت تضحية مروعة لم يشهد تاريخ العالم مثلها في الفجيعة والرزء والجلال ...!!

تضحية بالغة حد الإباء والشمم حيث لم تقتصر على قتل الحسين عليه السلام وقتل أنصاره وبنيه، بل امتدت إلى التمثيل بهم والتشفي بحمل رؤوسهم على الأسنة وسبي الأطفال والنساء. تباً لتلك الفئة الطاغية التي عميت بصيرتها فاغفلت دينها وتابعت هواها، كيف استساغت محاصرة الحسين عليه السلام ابن بنت الرسول وانزلته صحراء كربلاء ليعطي إعطاء الذليل..!! كلا لقد خاب ظنهم وخسئت تلك النفوس الدنيئة فعمدوا إلى منعه وحرمان نسائه وأطفاله من ماء الفرات في ذلك الحر الهجير ليقضوا ظمأناً وعطشاً..!! ولقد استعذب الحسين تلك التضحية في سبيل مبدئه السامي الذي لولاه كان في هذا الكون من يذكر الشهادة أو يدين بالإسلام فظل في ساحة

الوغى يحمل من قوة الإيمان ومضاء العزيمة ورباطة الجأش ما لا يخطر على بال إنسان، وجاهد بقدم ثابتة وإيمان راسخ قويم، حيث أيقن أنّ كل سيف سل في وجهه من سيوف بني أمية معولاً يهدم في كيان الأمويين وكل جرح في جسمه لغماً ينهار به ذلك الملك الذي قام على الزيغ والظلم والطغيان.

ما أكبر تلك النفس الأبية نفس الحسين عليه السلام وما أعجب تلك البطولة الرائعة بطولة الحسين عليه السلام يشهد أبناءه وأخوته وأنصاره يتهاوون صرعى تمزقهم مواضي الأعداء ويسمع صراخ الأطفال وعويل النساء حين برح بهم الظماء! ويرى نفسه وحيداً فريداً بين جموع الأعداء، فلا يفتر عزمه ولم يضعف له جنان. ذلك خطب – لعمري – لا يقوى عليه صبر، ورزء يعز الاحتمال عليه ولكن إرادة الحسين المصممة التي شاء أن يضحي بنفسه على تلك الصورة المحفوفة بظروف يتعذر على الفرد المخلوق أن يملك فيها الصبر أو الهدوء، نعم أراد تلك الشهادة ليكون لها أبلغ الأثر فيما قصد إليه فسجل عليه السلام اعظم انتصار للمبدأ في نكران الذات، وأعطى أعنف صورة للبطولة متمثلة في إنسان، وأبان أجلى مظهر لقوة الارادة في ميدان الجهاد.. فكان في صبر الحسين عليه السلام أن عرفت الإنسانية كيف تسمو بالمبادئ وتتحرر بالفكرة وأدركت كيف تخلد الحياة بالموت.

لقد تخرج من مدرسة الحسين عليه السلام نفر هم الصفوة من أهل الأرض في ذلك الحين سمت أنفسهم إلى الأفق الذي حلق فيه سيد الشهداء قائدهم فآمنوا بمبادئه وشغفوا بدعوته وتعشقوا الغاية التي أنشدها، فخطبوا تلك المثل العليا وكان مهرها الموت فدفعوا بأرواحهم للقائه باسمين وأسرعوا إليه يتزعمون بنشيد الأبدية والخلود... نفوس أبيه أشرق في جنباتها سنى الشهادة ولاح في افاقها نور الإيمان، فالفت التفاني في سبيل مبدأ الحسين عليه السلام والموت في الدفاع عن مثالية الحسين عليه السلام زيناً لنفوسهم الكبيرة، والشهادة في انقاذ الفضيلة التي يدعو لها الحسين عليه السلام تخليصاً لها من الأدواء الموبوءه بها تلك الحياة، فاقدموا على الموت ولم يثنهم هول المصير، وكم حاول الحسين أن يصرفهم

عنه ليلقى مصرعه وحده وهو أروع مصرع خطته يد القدر على جبين. ولكن نفوسهم الطاهرة أبت ورأتْ في ذلك أشنع ضروب الذل والاستكانة في الحياة.

لقد عافوا الحياة الدنيا لما فيها من أوضار وادران، فاستاثروا بمصرعهم النبيل، وأقدموا مع الحسين يحمل كل منهم أكبر نفس للجهاد وأوسع قلب للقاء الحمام، تتمثل في شخصياتهم أسمى روح تعالت عن مادية الجسد وازدانت بالإيثار والغيرة تغلغلت العقيدة السامية في انطباعاتهم وأشرب في قلوبهم حبُّ الإيمان فاستبشروه بالآخرة واستشعروا بالخلود وحاربوا أئمة الكفر بتلك الروح المستبسلة ودافعوا عن ريحانة الرسول بتلك الفكرة الواضحة، فكانوا يزدادون مضاءً واندفاعاً وتعلو وجوههم ابتسامات الفوز والنجاح كلما أمعن الأعداء في الهجوم واشتدت وطأة القتال ... فسجل ذلك العدد القليل من الرجال أنصع صفحات التاريخ في واقعة الطفوف. وكانت جولتهم تلك الجولة الخالدة والدور الذي مثله على مسرح كربلاء أولئك الأنصار الموقنون بقدسية الإيمان رائعة من روائع سير الأبطال المخلدين فلم تزل حادثة الطفوف يوم العاشر من المحرم من الحوادث الحية تخلق الوعي في الحياة الإنسانية كل عام. وتضفي عليها من معاني الكمال كلما امتد بها أمد الأجيال ذلك لأنّها واقعة من الوقائع الفذة التي برهنت بمغزاها اللانهائي، وأقامت الحجة القاطعة بفصولها المتتابعة، وظهرت الحقيقة بمأساتها الكبرى فاثبتت أنّ المثالية التي جاءت بها المدنية الإسلامية لم يعتورها الوهن ولن تموت، وإنّها ممكنة التطبيق في العصور كلّها وعلى كر الدهور من أجل ذلك مازالت ذكرى أبي عبد الله الحسين عليه السلام تمجيداً لدين الإسلام وتأييداً للمثالية المحمدية وتخليداً للكرامة الإسلامية والشهامة والإباء فما أجل العظات بمصاب الحسين عليه السلام وما أحرانا أنْ نقتبس فيضاً من تلك الدروس البليغة لشحذ الهمم وما أكبرنا أن تكون لنا في الحسين الشهيد أسوة حسنة والله حسبنا ونعم الوكيل[١٢٢].

(١٢٢) مجلة الغري -النجف- العدد -٩، ١٠- السنة الثامنة- ١٩٤٧/ص٥٥.

الحُسَين (عليه السلام) مدرسة

بقلم: الأستاذ محمد عبد الحسين

ما أروع هذه الذكرى! وما أعظمها معنى ومغزى وذكرى أحياها السلف الصالح منذ القدم، وسيظل يحييها الخلف ما شاء الله أنْ تبقى حية فالحسين مدرسة شعت انوارها فاضاءت الأجيال وشاعت تعاليمها فأخذها المسلمون، وتواصى بها المسلمون.

وقف الحسين في كربلاء فوقف معه الإيمان كلّه، في وجه طغمة من البشر، يحدوها الشرك كله ويقودها شعور بالحزازات القبلية، ظلت تتآكل في نفوس آل أمية منذ غزوة أحد وفتح مكة وقد رمى الحسين سهماً أصاب موضع مقتل حتى لم يمض قرن كامل إلاّ وتداعت أركان تلك الدولة، وتهاوت على رؤوس أبناءها.

فالحسين مدرسة. من تعاليمها. إنّ الضعف لا يعيق المظلوم من مقاومة الظالمين، مهما بلغوا من عدة وعدد، فإنّ الله قد تكفل علو الحق وسقوط الباطل. وإنّ الثورة الدموية سبيل يؤدي إلى الله مادام هذا السبيل مضاء بنور الحق معبداً بالإيمان.

وإنّ قيمة الإنسانية في الحياة، تساوي ما يرخصه ويبذله في سبيل الله من نفس ونفيس وإنّ الإنسانية لا تسعد دون أن تتحلى بالفضائل والمكارم. وإنّ من أفضل الفضائل وأسماها أنْ يبذل الإنسان ماله وولده وأهله ثم يضحي بنفسه والجود بالنفس اقصى غاية الجود.

هذه التعاليم التي لم تكتب بمداد أسود، ولم تخط فوق قرطاس، هذه التعاليم التي لم تلق من فوق المنابر، ولم توضع في قوالب من الكلم الجذاب، هذه التعاليم التي كتبت بالدماء الزكية، وبالدموع النقية وبالنفوس الطاهرة البريئة، أتت أُكلها، وأخرجت ثمرتها بعد ردح من الزمن ليس بالطويل هذه التعاليم هي التي عصفت في وجه الدولتين الأموية والعباسية وبعثت سلسلة من الثورات أخذت بعضها بأعقاب بعض، وارتفعت الويتها الحمراء في كل قطر وفي كل مكان واقضت مضاجع الخلفاء والأمراء، وحرمتهم لذة الكرى.

ألوية حمراء رفعها سادة من أحفاد علي والحسين، من زيد بن علي ويحيى ابنه، وعبد الله بن الحسن المثنى، وإبراهيم أحمر العينين واسماعيل ومحمد وعلي أحفاد الحسن المثنى وغيرهم من المغاوير، من أولئك الذين خاضوا المعارك بعد المعارك وشهدوا من الشدائد ما يشيب المفارق، وهم لم يسكبوا دمعاً لقتيل، ولم ينظموا قصيدة في رثاء شهيد، بل كان قائلهم إذا أراد الرثاء يقول:

سأبكيك بالبيض الرقاق وبالقنا	فانّ بها مايدرك الطالب الوترا
ولست كمن يبكي أخاه بعبرة	يعصرها من ماء مقلته عصرا
فإنّا أناس لا تفيض دموعنا	على هالك منا وإن قصم الظهرا

هؤلاء السادة النجب من أحفاد علي والحسين، تسابقوا إلى ساحات الشرف والفخار وكان شعارهم (حي على خير العمل) فبذلوا مهجهم، وأسالوا دمائهم، وقدّموا أرواحهم قرباناً لوجه الله في سبيل مرضاته، وكانوا كالعواصف في وجه أولئك الظلمة العتاة، ولم يرهبهم الوعيد، ولم يكسر عزائمهم الموت الزوام، فذهبوا شهداء بعضهم في أثر بعض.

هذه السلسلة العلوية من الشهداء كانت مفزعاً للمظلومين وملجأ للخائفين.

وكانت أعلامهم تخفق فوق أولئك الذي نذروا أنفسهم لله، وأعتقوها من الدنيا، وحرروها من الشهوات، وانطلقوا ينشدون الحرية بلغ ثمنها ما بلغ فكانت الشهادة ثمنها المحتوم.

ولقد كانت هذه الثورات عاملاً من الضغط على السلطات الحاكمة، لتعود إلى حكم الله وتتنكب سبيل الظلم والتعسف. وأمسى أحفاد علي والحسين حراساً لدين الله قواماً عليه. وأصبح المسلمون يلجؤون إليهم في الشدائد، ويفزعون عند المصائب.

تلك هي أيها السادة أثر المدرسة الحسينية، التي أنشأها أبو عبد الله في العاشر من المحرم والتي أقامها فوق الأشلاء والجماجم. تلك هي أيها الناس أثر تعاليم الحسين التي خطها بدمائه الطاهرة، ورواها بدموع أهل بيته الأبرار.

تلك هي المدرسة التي ظلت أنوارها طيلة ثلاثة عشر قرناً من الزمن، تنشر تعاليمها في البلاد القصية، وتدخل في كل بيت وكل كوخ. بل هي شعلة الحق التي شاء الله أنْ تظل متقدة، تبعث النور والنار، للأجيال ما تعاقبت العصور وكرت الدهور[١٢٣].

---

(١٢٣) مجلة البيان -النجف- العدد -١١، ١٢، ١٣، ١٤- السنة الأولى- ١٩٤٧/ ص٢٨٦.

«سَيّدُ الشُهَداء الامام الحُسَين (عليه السلام)»

بقلم: السيد أحمد الحسيني

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾(سورة الانبياء).

قل بربك أيها القارئ الكريم هل رأيت وصفاً ينطبق على الموصوف انطباق هذه الآية الكريمة على الإمام الحسين عليه السلام وإليك قوله تعالى جلت قدرته:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ (سورة التوبة).

لقد قام الحسين عليه السلام ولبّى دعوة الحق لإظهار دين الله وبعد أن عم الفساد في الأرض من طغيان يزيد ورجاله الأشرار مما يعجز عن وصفه القلم ويكفيك أيها القارئ الكريم وقعة الحرة واستباحة أهل المدينة وفيها مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقبره ثلاثة أيام وقتل أكثر خيار الصحابة رضوان الله عليهم وفيهم سبعمائة حافظ للقرآن. لقد شاهد هذه الأعمال المنكرة وتذكر حديث جده صلى الله

عليه وآله وسلم:

(من رأى منكم منكراً فليغيّره بيده فمن لم يستطع فبلسانه فمن لم يستطع فبقلبه وذلك من أضعف الإيمان).

لقد مضى ثلاثة عشر قرناً على هذا الحادث المشؤوم، والمسلمون في مشارق الأرض ومغاربها على اختلاف عناصرهم ومذاهبهم قد اتفقوا على استنكار هذه الفاجعة التي أصابتهم بابن بنت نبيهم وكل حادث لابد وأن ينسى مع مرور الأيام والأعوام غير أنّ هذا المصاب يتجدد بتوالي السنين وتعاد ذكراه المؤلمة في كل عام جديد.

لقد سبق أنْ قُتِل معظم الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم من جراء إعلانهم كلمة الله وقتل معظم أصحاب رسول الله بما فيهم خلفاؤه من بعده ولكن لم يسجل التاريخ لتلك الفواجع ما سجله إلى الامام الحسين عليه السلام من بطولة خالدة ودعوة إلى الحق في أحلك أيام ذلك العهد البغيض لقد ورد في الخبر عن سيد البشر ما أورده الحافظ البيهقي في سنده عن الحكم عن الأوزاعي عن أم الفضل بنت الحارث إنّها دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت يارسول الله إنّي رأيت حلماً منكراً الليلة قال وما هو؟ قالت: رأيت كأن قطعة من جسدك قطعت ووضعت في حجري قال: رأيت خيراً: تلك فاطمة إن شاء الله تلد غلاماً فيكون في حجرك فولدت فاطمة الحسين عليه السلام فكان في حجري كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فوضعته في حجره ثم حانت مني التفاتة فإذا عينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تهرقان الدموع قالت: قلت يا نبي الله بأبي أنت وأمي: ما لك؟ قال أتاني جبرئيل عليه السلام فأخبرني أنّ أمتي ستقتل ابني هذا بأرض العراق فقلت هذا؟ قال: نعم وأتاني بتربة حمراء.

وقال الإمام أحمد بن حنبل حدثنا عفان عن حماد عن عمار بن أبي عمارة عن

ابن عباس قال رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيما يرى النائم بنصف النهار. وبيده قارورة فيها دم: فقلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله! ماهذا؟ قال دم الحسين وأصحابه فلم أزل التقطه منذ اليوم! قال فاحصينا ذلك اليوم فوجده قتل في ذلك اليوم سلام الله عليه.

يتضح للقارئ الكريم بأنّ ما أوردناه من هذه الاحاديث ما فيه الكفاية لإثبات أنّ مقدم الامام الحسين عليه السلام إلى العراق لم يكن من المصادفات التي تقع عادة لطلاب العروش أو لمن يبتغي الدنيا بل أنّ مقدمه إلى العراق لا يختلف عمن أمر بأمر سماوي لابد له من القيام به وهكذا فقد تم للإمام الحسين أن يلبي دعوة الله لهذا الأمر، أمّا عدم نجاحه فقد أخذته اقلام المؤرخين ولا نرى ثمّه حاجة لذكره فمن أراد أن يتوسع في الموضوع فعليه بكتب التواريخ وفيها الكفاية[١٢٤].

(١٢٤) مجلة الغري -النجف- العدد -٩، ١٠- السنة الثامنة- ١٩٤٧/ص٣٣.

العقيلة زينب مثال المرأة المسلمة

بقلم: حسين علي السبهان

كانت المرأة في الجاهلية مهانة ونصيبها الموت ولم تنل حقها في الحياة إلاّ في مجيء الإسلام! فالإسلام أنقذ المرأة من براثن الجهل والانتقاص وطورها أيما تطوير في مجال العقيدة والإيمان ورد إليها اعتبارها وصار يعتمد عليها في البيت ويأخذ برأيها ويأنس بحديثها ويركن إليها في الشدائد والملمات. وقد شرع لها حقوقها في الزواج والطلاق والإرث وما إلى ذلك ورسم لها خصائص ومميزات شخصيتها.

ومن النساء المبرزات اللواتي ركن الإسلام إليهن في الشدائد والملمات الفضيلة زينب بنت علي بن أبي طالب عليها السلام والتي قامت بمهمتها خير قيام مادياً ومعنوياً بنحو عجز ويعجز عن تحملها أعاظم الرجال؛ لهول المأساة وما استلزمت من مضاعفات.

إن زينب عليها السلام امرأة، والمرأة عادة تقتضي الرعاية والعطف والتقدير ولكن عقيلة بني هاشم تحمل قلباً عامراً بالإيمان ويمثل الإسلام الأعلى.

وأكرم بالمرأة المسلمة زينب عليها السلام التي دوت كلماتها فاوقرت مسامع القتلة الطغاة إذ قالت لأخيها الشقيق: الحسين بن علي عليهما السلام في اللحظة الحرجة:

(يا بن أم طِبْ نفساً وقِر عيناً ستجدني كما تحب).

كلام بليغ رائع خلو من التكلف والتصنع إنْ دل على شيء فإنّما يدل على تقبل الحوراء ذلك العبء الثقيل عن طيبة خاطر خدمة لدينها وعقيدتها ومن هي؟ أليست هي ابنة الزهراء فاطمة عليها السلام التي أنبأها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالموت فتبسمت للموت ابتسامة المستبشر.

إنّ المرأة التي تبتسم للموت هي نموذج المرأة المسلمة المتقيدة بأحكام الإسلام إنّها زينب المثل الأعلى للمرأة المسلمة والتي كابدت المحنة يوم الطف بعقل متزن وجنان ثابت تعالج المريض وتداري الطفل وتواسي الأرملة وتندب الأهل والأبناء وتسهر الليل حتى اوصلت الركب إلى محط الرحال هذه زينب الحوراء عليها السلام أسهمتْ بقدر كبير مع أخيها أبي الشهداء عليه السلام في السير الظافر إلى الأمام، لانتشال الإسلام الموؤد على أيدي الطغاة المتجبرين حتى لحق بهم هذا التقهقر الوبيل وارتفعت راية الإسلام خفاقة إلى الأبد.

فإلى بناتنا المسلمات أسوق كلمتي هذه لأنّ الدرب لاحب في خضم التيارات وأهيب بهن بكل أدب واحترام إلى الإسلام وإتباع أحكامه في العبادة والصدق والحشمة والعفة ومكافحة الأضاليل فبالإسلام النجاة من الإنحراف. وبالإسلام تكتمل شخصية المراة! وفي حياة المرأة البطلة الخالدة عقيلة بني هاشم قدوة للمرأة المسلمة الصالحة والله من وراء القصد(١٢٥).

---

(١٢٥) مجلة الاضواء -النجف-العدد-٦، ٧- السنة الرابعة- ١٩٦٤/ص٢٨٦.

عبرتنا من عاشوراء

بقلم: السيد جعفر شرف الدين

ورث علي بحكم مولده، ونشأته، أسرار النبوة وخصائص الرسالة، ودرج في أحضان تلك ترضعه أسرارها، وشبّ في كنف هذه تعطيه أبكارها، حتى كانت له شخصية إن لم تكن نبوية فهي من آلها، وعلى مثالها. وإن لم تكن رسولية فهي من أشبالها وعلى منوالها.

وحشد بمعطياته هذه في معركة الدين الجديد: بعقل جوال، وإخلاص ليس كمثله مثال، وإيمان أرسخ من الجبال. مشعل النبي بيمناه، وذو الفقار بيسراه، سلامة الإيمان ودليله القرآن، ورائده بعث الإنسانية في الإنسان.

إنّها معدّات بكر المعركة ذات أهداف بكر. وقف أعداء الدين الجديد في ساحها عزلاً من سلاحها، فالجاهلية قاعدتهم بكل ما في معانيها من تحجر في العقول ورين على القلوب وغشاوة على الأبصار. بكل ما في مدلولها من أنانية تسخر الجماعة للفرد وقبلية تصب المجتمع في قبيلة، ومعتقد يجدف على كرامة العقل وتقليد يهزأ بإنسانية الإنسان.

وأذهلهم سلاح الدين الجديد بمحتواه وإطاره، ولكنهم خاضوا معه معركة تنازع البقاء، فبرز الإيمان كله إلى الشرك كلّه في حمى صراع عارم تدكدكت فيه الأصنام، وسقطت الأقنعة، وسالت الدماء، وكفى الله المؤمنين القتال، فكان النصر حليفهم

معقوداً لواءه لأميرهم. أما وقد استوت وأينعت فلم يكن له غنمها بل كان عليه غرمها، تواجه الأحقاد وتنغل عليه الثارات، وتعصب في رأسه الدماء، فالأولى حاربهم على التنزيل هم هم الآن يخوض معهم حرب التأويل، ناكثين أو قاسطين أو مارقين.

وهم حين دخلوا دين الله طلقاء، أو مؤلفة قلوبهم، فالدين لم يستقر في لهواتهم ولم يتجاوز تراقيهم، بل كان لعقاً على ألسنتهم يلوكونه مادرت عليه معائشهم فإذا محصوا بالبلاء قل الديانون.

وذيد الفاضل عن القيادة ليتولاها المفضول، ثم تطاول عليها أعداء الله، أعداء الرسول، بعد تاريخ لا تقوى على وصفه سوى الأعراب أشد كفراً ونفاقاً، وأجدر أن لا يعلموا رد ما أنزل الله على رسوله.

ودرت على بنيه وأهله هذا الخط العاثر، وذلك القدر الجائر، فدبّ الموت للحسن بكأس مذعوفة، وقتل الحسين قتله ما يزال يرعد من هولها الدهر، وصلب زيد وقتل يحيى، وتتابعت الفواجع الأموية وتتابع آل الرسول شباباً وشيوخاً لم يجعلهم وفاء الشيب، فقد جللهم السيف الذي لا يرحم.

لم تكن صدفة أن هبط الوحي على محمد فكان خاتم الأنبياء ولم يكن صدفة، أن يختص محمد علياً فيكون منه بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبي من بعده. ولم تكن صدفة أن كانت فاطمة لعلي زوجاً، وان كانت سيدة النساء. ولم تكن صدفة إنّ النبي لم ينجب ذكوراً، كما لم تكن صدفة أن يحصر الله ذرية محمد بعلي وفاطمة.

فلم تكن صدفة إذن أن يحمل علي وبنوه لواء الرسالة ثم يحملون ذحولها، وثاراتها فيكونون السادة، القادة، ثم يكون الضحايا والشهداء ضحايا وشهداء في حياتهم وفي مماتهم على السواء. ثم لم تكن صدفة أن يحارب آل البيت على تنزيل القرآن، ثم يحاربون على تأويله.

نعم لم تكن صدفة أن يكون هذا الصف محمداً وعلياً وفاطمة عليهم السلام والسلسلة النبوية ويكون ذلك الصف أبا سفيان ومعاوية بعد ذلك كما أنه لم يكن صدفة أن يكتب الحسن لأخيه الحسين عليهما السلام النصر العظيم بتلك الهدنة الرائعة التي فضحت نوايا المتربع على عرش الخلافة ظلماً وكفراً.

ويشرفني في ليلة الحسين الليلاء هذه أن أرفع راية الحسن الغراء وأشير إلى غايته العصماء، وطريقته السهلة السمحة.

إنّ وظيفة الحسن عليه السلام في بناء الإسلام لاشد هولاً من وظيفة الحسين عليه السلام، وأمر فجيعه من قتل الحسين.

ولولا موقف الحسن البطولي الفذ لانطمست معالم الإسلام قبله، واندثرت ملامحه بعده. فموقفه هو الذي كشف القناع عن وجه الخليفة الزائف الذي لم يقاتل المسلمين، ليكرس الإسلام وإنما ليتآمر عليهم ويمسخ الخلافة إلى ملك، يتخذ دين الله دغلاً وعباد الله خولاً ومال الله دولاً. وموقف الحسن هو الذي أبرز معاوية عرياناً بكل ما في العري من انتهازية ووصولية وبشاعة.

نعم موقف الحسن هو الذي زيف إسطورة الدهاء بمعاوية، فبرز لا ينظر إلى العبد من أنفه: إنّه يحكم باسم النبي ويجذف على رسالة النبي، ويحارب باسم الإسلام ويهزأ من الإسلام، أي نصر هذا الذي أحرزه الحسن فأعطى ضوءاً على ما قبله من مفارقات ومآسي وسلط من ما بعد نوراً يكشف المحبة لأخيه فيرى. ولولا أسلوب الحسن لما استطاع الحسين أن يتبين معالم الطريق بل لو حارب الحسن لقتل الحسين قبل الحسن، وفقد التسلسل الإمامي حلقة كنا نفتش عنها فلا نجدها بل كان المسلمون عبر التاريخ، على مد التاريخ يبحثون عن الحلقة المفقودة فلا يجدون لضياعها طريقاً أو مسوّغاً بل، ولا أثراً.

هو ذا الموقف البطولي الذي أحيى الماضي ومهّد للمستقبل وأتاح للتاريخ أن يسجل وثبة الإسلام ورسالته بالزكي من أنفاس الحسن ثم بالطاهر من دم الحسين الشاخب.

فكما إن الحسين وقف في كربلاء بقلة من أهله وصحبه إزاء كثرة كاثرة من المرتزقة والمأفونين واللاآدميين، وجلجل صوته فيهم:

أما من ناصر فينصرنا.

كما إنّ الحسين هتف بأولئك احتجاجاً لا عليهم فهو يعلم أنّه لا نصرة منهم بل يعلم أنّ أوصاله سوف تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء ولكن هتف إذ هتف... هتف بالتاريخ يسجل ومن ثم بالإسلام لتتركز دعائمه، وبالقطيع الضائع ليرتدّ إلى الواحة.

كما إنّ الحسين استنجد غير منجد واستنفر غير نصير كذلك صالح الحسن غير صالح وهادن غير هادن. وكما إنّ الوحش البشري في أهاب مجرمي كربلاء اغتال الحسين كذلك اغتال الوحش البشري في أهاب مجرمي الشام شروط الصلح وخفروا ذمة الإسلام.

وانبلج النور نور الإسلام على أسلات سيوف محمد وأُضيئت ذبالة من أعصاب آل محمد وأطلّت على العالم راياته مضمخة بعبير آل محمد.

تلكما عقليتان ومزاجان عبر التاريخ في كل خلف من هذه الأمة وكل أمة.

عقليتان ومزاجان: عقلية ومزاج صنفاً من البشرية في أصفى إنسانيتها وتحلياً بأسمى معانيها.

وعقلية ومزاج ركبا من طينة تخجل الإنسانية أن تعيرها اسماً أو تخلع عليها رسماً.

فالنبل والشهامة والشجاعة في هرم شامخ يوزع النور وينشر العبير، واللؤم

والخسة والجبن في هرم مجرم يذيع الفجور ويزرع الزور.

والآن أين نحن؟ من نحن؟ ماذا نريد؟

نحن هنا في منطلق من التاريخ. ونحن نسأل الله أن نكون مسلمين. ماذا نريد فإنّنا قطعاً نريد أن نُحييَ رسالة الإنسانية الفاضلة من خلال الإنسان الفاضل. من خلال عصمة الإنسان في النبي وفي الإمام. ونسترشد بالنور من دم الشهيد الإنسان. ونهتدي بمعطيات الرسالات السماوية وحملتها وخاتمهم محمد ومكاسب الشهداء وبسيدهم الحسين.

نريد أن نحييَ هذه المكاسب قبل أن نحييها. نريد أن نعبد الله ببعث الأفكار الرسالية من جديد، من وراء حملتها الصادعين بها المتمثلين لكنهها العاملين عليها.

نريد أن نحييَ هذه المعطيات ونحييها. نريد أن نعبد. نريد أن نعبد الله بخنق الشر في صدور الأشرار من جديد. أن نهدمَ صروح الظلم.

ويكفي أن يعرف نفسه ليعرف ربه ليعرف لماذا بعث الانبياء ونصب الأوصياء هذه أمثولة الحسين إنّ كنا حسينيين، وبهذا احياء ذكراه إن كنا نريد إحياء ذكراه. وهكذا نكون صادقين لا متزيدين ولا مبالغين حين نقول:

يا ليتنا كنا معكم فنفوز فوزاً عظيماً.

اللهم وأمر الكرام الكاتبيين أنْ يسجلوا اعترافاتنا ويفتحوا في صفحاتهم صفحة جديدة لنا.

اللهم وبحق نبيك المصطفى ووصيه المرتضى، بحق صبر الحسن على البلوى وعطش الحسين في كربلاء، اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين[١٢٦].

(١٢٦) مجلة النهج –لبنان– العدد –٨– السنة الثامنة– ١٩٦٢/ص٣.

ذكرى الحسين (عليه السلام)

بقلم: محمد جواد الفقيه

الذكرى. محك السنين حيث تتصارع القيم على صخرة البقاء.

الذكرى صدى الأجيال وهمهمة الرقي بين أسراب الخيال الملتهب بنار الواقع.

نقف خاشعين أمام الذكرى الخالدة ذكرى أبي عبد الله الحسين- خاشعين لمأتم الهالة القدسية- نقتبس إشعاعه من سناه تضيء لنا دربنا المظلم - وتوحد طرقنا المتشعبة.

نقف خاشعين أمام ذكرى رائد الكلمة - حيث تبرز القيم بإبراز التحرر الذاتي - لنستشف أبهى صور تألقت في سماء العقيدة.

في عصر بدائي لا مكان للتطور فيه بل ولا طمع. رمال الصحراء حية في ربوعها تنبيك عن شخصية سالكها - لهيب الشمس المحرق أسلوب شيق في تعبيره عن تلك الجماجم التي نشأت على الجمود- منعرجات تلك القفار تنبئ عن وحشية الموطن وناهيك عن هذا فقد يشذ التعبير عما شذ.

وعلى حين فترة من الزمن - والكون في فتور- انتفضت إشراقة سمحة تفرش الصحاري برياحين الأمل - وتزرع النور في طريق الوافد.. ساعة رهيبة تملأ الزمن رهبة وغبطة - إنها ساعة الميلاد - بوركت أبا عبد الله وليداً.. ترعرع بين أكناف النبوة- غذّاه جده الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بلبان الإيمان وإن كان جبل عليه - وما

أن بلغ شاؤاً من العمر حتى صار مواكباً لأبيه أمير المؤمنين عليه السلام في سيره وعمله وحروبه.

فهو إذن ربيب الرسالة حليف النبوة –وفي هذه المدّة وبعدها – إمام وابن إمام–.

وهنا أن للعظمة أن تتجسم – وللفضيلة أن تأخذ مقرها السامي كما آن للرذيلة أن تنبذ– أو ترد إلى واقعها– وأن تجسمت في شخص ذلك الطاغية يزيد الأرعن – سليل حمامه–.

نعم– وإنّه ليقف الفكر عند حل هذا اللغز، ولكن هناك عقل سماوي تكفل بهذه وأمثالها.. إنّ الحسين عليه السلام حيث انتفض رافعاً أعلام النصر مرفرفة فوق عرش الإسلام داكة لحصون الظالمين والطغاة.

ولكن لم يحصل ذلك إلاّ بإراقة دمه الشريف على مذبح الفضيلة. فهو اذن سلام الله عليه يهدف إلى معالم سامية علت في نفسها ليلقن الأجيال معنى التضحية والفداء في سبيل العقيدة المنتجة –وكأني بصداه يجلجل.

ان كان دين محمد لم يستقم إلاّ بقتلي يا سيوف خذيني

فهو إذن سلام الله عليه وقف وقفته تلك ليعبد لنا دربنا الوعر ويضئ أفكارنا التي نسجت الشقاء لأنفسنا نحو حياة أفضل.

فيجب علينا أنْ نحيي هذه الذكرى –بإيمان صادق وعقيدة قوية مؤمنين بأنها السعادة الأبدية– لكن بالعمل والتكاتف–

ويجب علينا أن نكيف أنفسنا تكييفاً روحياً –وأن نصمد أمام التيار ولنهدم العقبات التي تقف حائلاً دون أملنا بمعاول من الإيمان– ونحرق جذور الوهن بنار العزيمة.

ونفتح صفحة من الزمن جديدة يخلد فيها العمل...(١٢٧).

(١٢٧) مجلة الأضواء –النجف–العدد –٢– السنة السادسة– ١٩٦٦/ ص١٣٠.

ثورة سيد الشهداء

بقلم: السيد محمد كاظم القزويني

لو تصفحنا التاريخ لوجدنا عدداً ضخماً من الذين فازوا بالشهادة في سبيل الله، ونالو السعادة فبقى لهم الذكر الخالد والثناء الجميل والأثر الحسن في التاريخ. والشهادة فضيلة ليس فوقها فضيلة كما في الحديث النبوي إنّه صلى الله عليه وآله قال:

«**فوق كل برّ برّ إلاّ الشهادة**».

لأنّ الشهيد يبذل أعز شيء عنده وهو الحياة، والحقيقة: إنّ الإنسان يريد كل شيء لأجل حياته، وإنّ فقد الحياة فقد كل شيء.

وإنْ كان المقصود من الشهيد في لسان الشرع الإسلامي هو الذي يقتل في ساحة الجهاد، بأمر نبي أو وصي نبي أو المنصوب من قبلهما، ولكن قد يطلق كلمة (الشهيد) على غير المقتول في جبهة القتال كالمقتول في سبيل الدفاع عن دينه أو عرضه أو ماله، أو في سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكالغريق والحريق والنفساء والمهدوم عليه وغيرهم مما هو مذكور في محله.

وكل شهيد قتل في سبيل الله كان لشهادته سبب واحد وعلة واحدة ضبطها التاريخ ولكن التاريخ سجل ترجمة شهيد واحد كانت لشهادته أسباب عديدة، وجهات مختلفة وعلل كثيرة وذلك الشهيد هو سيد الشهداء الإمام أبو عبد الله الحسين بن علي عليهما السلام.

فالقرآن الكريم أخبر عن الشهيد قبل شهادته بقوله تعالى:

﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾.

أي فديناه إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام بذبيح آخر، أي رفعنا حكم الذبح عن إسماعيل وكتبناه على ذبيح آخر، وقد ورد في التفسير: إنّ جبرئيل نزل بكبش من الجنة وأمر إبراهيم أن يذبح الكبش عوضاً عن ابنه إسماعيل، ولكن أترى أنّ الله الحكيم يعبر عن البهيمة بـ(العظيم)؟؟

حاشا، فإنّ منطق القرآن على خلاف هذا الأسلوب من الكلام، وقد وردت أحاديث متواترة عن أهل البيت الذين نزل القرآن في بيوتهم - وأهل البيت أدرى بما في البيت- إنّ المقصود من ذلك الذبيح هو الحسين بن علي عليهما السلام، راجع تفسير البرهان.

وهلم معي إلى الأحاديث المتواترة الواردة في بيان ولادة الحسين عليه السلام وإنّ أفواج الملائكة كانت تهبط على جده الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وتهنئه بولادة الحسين وتعزيه بشهادته أضف إليها الأخبار التي تتضمن أخبار النبي بشهادة الحسين وبكائه صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك.

ثم ارجع البصر على ما ذكره التاريخ من حوادث تاريخية. وذلك حينما مات معاوية في منتصف رجب سنة ٦٠ من الهجرة، واستولى ابنه يزيد على منصبة الحكم والإمارة، يدعى خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وزعامة المساكين في ذلك العهد، ولم تكن أعمال يزيد ومخازيه خافية عن الناس، بل كان الرجل مستهتراً بكل خلاعة، متظاهراً بكل مجون وفجور، ولا غرو فهو وليد الخمور وربيب الفسوق أضف إلى ما كان عليه من أصل معلوم ونسب معروف وبيئة فاسدة ترعرع فيها وكبر.

فلم يرضَ المسلمون أن يكون يزيد ولي أمرهم وشاغلاً لمنصب الخلافة خلافة

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأنّ الخليفة ينبغي أن يمثل صاحب الشريعة الإسلامية علماً وتقوى وورعاً وغير ذلك يزيد لم يكن كذلك، ولم تكن فيه مؤهلات لزعامة المسلمين وقيادهم، وخاصة مع وجود الإمام سيد شباب أهل الجنة وسبط رسول الله الحسين، وما كان فيه من فضائل وفواضل ومؤهلات للخلافة، أضف إليها النص الصريح الوارد عن جده الرسول الاعظم بقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

(الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا).

وغير ذلك من النصوص التي قرعت مسامع المسلمين يومذاك في شأن الحسين عليه السلام.

فجعل أهل العراق يكاتبون الحسين، ويطلبون منه التوجه إلى العراق لتكون له الخلافة بجميع معنى الكلمة، ووعدوه لينصروه ويبذلوا في سبيل نصرته كل غال ورخيص، حتى اجتمعت عند الحسين اثنا عشر ألف كتاب وكلها لسان واحد ومضمون واحد وهو الدعوة إلى العراق، فرأى الحسين لزاماً عليه شرعاً (في الظاهر) أن يلبي دعوهم ليستنقذهم من استعباد بني أمية ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم من تلك الحكومة الظالمة الغاشمة فنهض وسار نحوهم، وسرعان ما انقلب الأمر وتقلبت القلوب والأهواء، وإذا بالأنصار خرجوا شاهرين سيوفهم في وجه الحسين، كأنهم لم يكتبوا إلى الحسين ولم يطلبوا منه شيئاً.

هذه قضايا ظاهرية أي نحكم عليها ظاهرياً، وهناك أمور واقعية باطنية يمكن استخراجها من زوايا بطون التاريخ فنقول:

تختلف الأمور الإلهية والتكاليف الشرعية باختلاف أفراد المكلفين وباختلاف الظروف والأزمنة، فالنبي مأمور خاص، والإمام مكلف بتكاليف لا يشاركه فيها أحد، فكما إنّ الله أمر النبي بالجهاد وإلقاء النفس في معرض الخطر والهلاك في سبيل الدين

كذلك الإمام يرى من الواجب عليه أنْ يثور وينهض محافظة على بيضة الإسلام، وإن كانت نتيجة تلك الثورة والنهضة القتل والشهادة. فليكن، فإنّ الدين أعزّ من كل شيء وأعزّ من كل أحد.

إنّ الحسين عليه السلام كان مأموراً بالقيام ضد تلك الحكومة التي كان رئيسها يعتقد:

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل

وماذا كان مصير المسلمين لو دامت تلك الحكومة، وهل كان يبقى من الإسلام والقرآن اسم أو رسم أو أثر؟؟ فقام الامام ثائراً ضد ذلك الجهاز الفاسد، مستعداً للقتل والقتال مستميتاً موطّناً نفسه على كل ما ينزل من مكاره وشدائد، وقصد نحو أرض الجهاد والتضحية قصد نحو كربلاء، وكانت هذه نيته من ساعة خروجه من مكة، تشهد بذلك خطبته الغراء التي خطبها في مكة بقوله:

(خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة وكأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء ...الخ).

وفي أثناء الطريق حينما بلغه خبر مقتل مسلم بن عقيل وانقلاب الأمور قام خطيباً في أصحابه وقال فيما قال:

(ألا ومن كان منكم يصبر على حر السيوف فليكن معي)..

وكشف الامام عليه السلام الغطاء للناس وأزاح الستار عن تلك النهضة المقدسة حينما منعه بعض أقاربه عن التوجه نحو العراق قال:

إنّ رسول الله أمرني بأمر أنا ماض فيه،

فسأله ابن عباس قائلاً: وبماذا أمرك جدك؟ قال عليه السلام:

قال جدي: ولدي حسين اخرج إلى العراق فإنّ الله شاء أن يراك قتيلاً.

فتعجب ابن عباس وقال: فما معنى حملك هؤلاء النساء معك؟ فقال الحسين عليه السلام:

هن ودائع رسول الله، ولا آمن عليهن أحد، وهن أيضاً لا يفارقنني.

فسمع ابن عباس امرأة تخاطبه من داخل الهودج قائلة:

يا ابن عباس: أتشير على شيخنا وزعيمنا الحسين أن يتركنا هيهنا ويمضي وحده؟ لا والله بل نحي بحياته ونموت بمماته، وهل أبقى الزمان لنا غيره؟

فقال ابن عباس من هذه؟

قيل له: هي زينب الكبرى بنت أمير المؤمنين عليه السلام(١٢٨).

(١٢٨) مجلة الأخلاق والآداب -كربلاء- العدد -٤- السنة الرابعة- ١٣٨٣هـ/ ص١٤٩.

لماذا ثار الإمام الحسين (عليه السلام)؟

بقلم: عبد الأمير شمس الدين

تضحية إنسان بنفسه وآله وصحبه، من أجل عقيدة ومبدأ ودين وإقدامه على جلائل الأمور، في سبيل إشعاع حق، إنارة لشعب وشعوب، وإيقاظاً لأمة وأمم، وهداية لأجيال...، ميزتان من ميزات جبابرة الإرادة، ونوابغ العالم وعباقرة القادة.

خاض الامام الحسين عليه السلام معركة الكفاح الإسلامي فكان المثل الأعلى للبطولة والفداء، والقدوة العظمى في التضحية وأنكار الذات، من أجل الإبقاء على رسالة هي خلاصة رسالات السماء، بعدما اصطدمت بها عواصف الأهواء والغايات، وكادت ان تقضي على مثلها العليا، ومبادئها الإنسانية السامية التي انتزعت الأغلال السابقة عن كل إنسان في كل مكان.

فكان كفاحه امتداداً لكفاح جده وأبيه، اللذين اعملا معمولهما الأقدس في بناية العبوديات الراسخة. التي شهدت من نوع تلك العواصف الشيء الكثير.

ولقد عبر عن ذلك عليه السلام بهذه الكلمات الخالدات:

«**إنّي لم اخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً. وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق**».

من ذلك يتضح لنا أنّ ثورته عليه السلام لم تكن على يزيد فحسب بل كان

الهدف منها تقويض حكم يزيد، لأنّ حكمه امتداد لحكم أمية، واستمرار حكم على الإسلام بالزوال، وفي زوال الإسلام، عودة لظلمات الجاهلية العمياء.

هدم الرجعية إذن! الهدف من ثورة الحسين، وما الرجعية إلاّ كل ماهو مخالف لعدالة الإسلام وشريعته الحقة، والرجعية بكل ما تنطوي عليه من مبادئ هدامة، منحصرة في بني أمية. فقضاء الحسين عليه السلام على حكم أمية لاشك أنّه قضاء على الرجعية بكل معانيها.

ولابرام هذا الحكم عليهم لابد لنا من شواهد وأسانيد مما حفلت به صفحات التاريخ، فإذا ما أتينا على ذكر بني أمية، بعد الإسلام أول ما تطالعنا شخصية أبي سفيان، ذلك الرجل الذي لقى الإسلام منه والمسلمون الأمرّين قبل الهجرة وبعدها.

ما أسلم إلاّ بعد أن خاف على نفسه من غلبة الإسلام، فهو إسلام الشفة واللسان لا إيمان القلب والعقل، لقد ظلّ يتمنى هزيمة المسلمين، ويستبشر لها في يوم حنين، وفي قتال المسلمين والروم فيما بعد، وحينما تخطت الخلافة علياً لأبي بكر. استعرت في قرارة نفسه نار الفتنة. فخف يصرخ (يا بني هاشم وعبد مناف، أرضيتم أن يترأس عليكم أبو فضيل أما والله لو شئتم لأملأنها عليه خيلاً ورجلاً) فاسكته الإمام علي عليه السلام بعد أن تبين قصده بقوله:

(إنّك والله ما أردت بهذا إلاّ الفتنة، وإنّك والله طالما بغيت للإسلام شراً).

ولقد كان يحلم بملك وراثي في بني أمية، حيث انبرى يقول: لما تولى عثمان الخلافة (يا بني أمية تلقفوها تلقف الكرة، فوالذي يحلف به أبو سفيان، مازلت أرجوها لكم ولتصيرن إلى صبيأنكم وراثة).

ما كان أبو سفيان ليؤمن بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم أو يعتقد يوماً أنه نبي. وما كان يتصور حكم المسلمين إلاّ ملكاً. وقف ينظر إلى جيوشهم يوم فتح مكة، ويقول للعباس بن عبد المطلب: (والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك اليوم

عظيماً). أجابه العباس (إنها النبوة) قال (نعم إذن).

نعم إذن! إنّ النبوة لكلمة يسمعها بأذنه فلا يفقهها قلبه، فما كان مثل هذا القلب ليفقه إلاّ معنى الملك والسلطان.

ذلك القليل عن أبي سفيان ... أما زوجته هند أم معاوية، هي تلك التي استعملت شتى وسائل الإيذاء للرسول الكريم. وهي تلك التي وقفت يوم (أحد) تلغ في الدم، اذ تنهش كبد حمزة بن عبد المطلب حققت في هذه الفعلة الشنيعة حقد الثار على حمزة عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتنقل هذه النفسية الخبيثة بالوراثة، إلى باكورة إنتاجهما معاوية، الذي أطلق لأمية العنان: بعد استشهاد الامام علي وولده الحسن عليهما السلام فلقد أنهى الحاجز القوي الصلب الذي كان يحد من مطامعه وأهوائه.

وهوى العملاق الجبار الذي كان يهابه ويخشاه. وبموتهما حلت الكارثة التي قصمت ظهر الإسلام.. فأمية ارتدت إلى أعمال ورثتها من الجاهلية، وانحاز إليها المنتفعون الذين اعتادوا على التفضيل في العطاء، ومردوا على الاستئثار.

انحاز جميعهم إلى معسكر معاوية، حيث يجدون فيه غاية لأطماعهم وتوطئوا على عناصر الحق والعدل والضمير في السيرة وفي الحكم سواء.

ولن اتعرض لذكر ماحفل به التاريخ الإسلامي، من اعمال مخزية مؤسفة قام بها معاوية وأعوانه ضد الإسلام واهله..، بل اكتفي بذكر صورة بسيطة من عشرات الصور المخزية التي استعملها معاوية.

سار معاوية إلى مكة، مصطحباً معه الجند والمال، فجمع ساداتها، وقد ضاق ذرعاً بمحاربتهم له وكشفهم لعوراته، قال يتوعدهم (أعذر من أنذر، إنّي كنت أخطب فيكم فيقوم إلى القائم فيكم، فيكذبني على رؤوس الناس فاهمل ذلك وأصفح، واني قائم بمقاله فاقسم بالله: لئن رد علي أحدكم كلمة في مقامي هذا لا ترجع إليه كلمة غيرها حتى يسبقها السيف إلى رأسه، فلا يبقين رجل إلاّ على نفسه).

وما كان من بعدئذ، حتى أقام على رأس كل من هؤلاء رجلين من جنده إذا قام أحدهم يرد عليه بكلمة يضربانه بسيفهما.. ثم رقى المنبر وقال:

(هؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم لا يبرم أمر دونهم، ولا يقضى إلاّ بمشورتهم، انهم رضوا وبايعوا يزيد فبايعوا على اسم الله).

فبايع الناس يزيد.

فمن هو يزيد هذا؟ الذي استعمل أبوه معاوية شتى صنوف الخداع والتضليل والإكراه، كي يوليه الملك بعده، ويجعله قيماً على شريعة الإسلام.

إنّه لا يكلفنا بذل الجهد للبحث عن أخباره، فأشعاره التي نطق بها في مناسبات عدة صورة صادقة عن نفسيته الخبيثة، ودليل قاطع على خروجه عن الإسلام فنظرة يزيد للنبوة ما كانت لتختلف عن نظرة جده أبي سفيان، فهو ينكر على رسول الإسلام نبوته، وينكر نزول الوحي عليه.

إنّ النبوة في نظر يزيد لا تعدوا أن تكون وسيلة أبدعها محمد صلى الله عليه وآله وسلم للفوز بالملك والسلطان، هاكم قوله:

لعبت هاشم بالملك فلا ... خبر جاء ولا وحي نزل

ما كان يزيد ليهتم بما يصيب الأُمّة الإسلامية من نكسات وما يحمل بالمسلمين من ويلات، بل كان همه إشباع غرائزه الحيوانية الجامحة والنوم على الأسرّة المنمقة والأسماط الثمينة.

جاء يوماً خبر فتك الجوع والمرض بالجيوش الإسلامية الزاحفة لغزو القسطنطينية، فأنشأ يقول:

ما أن ابالي بما لاقت جموعهم ... بالفرقدنه من حمى ومن حوم

إذا اتكأت على الأنماط مرتفعاً ... بدير مروان عندي أم كلثوم[١٢٩]

(١٢٩) مجلة الأضواء -النجف-العدد-١، ٢- السنة الرابعة- ١٩٦٣/ص٤٦.

أثر نهضة الحسين في سعادة الأمة

بقلم: السيد عبد الصاحب الحيدري

إنّ من وقف على تعاليم الإسلام أيقن بأنها ترمي إلى سعادة البشر في المبدأ والمعاد وقد بالغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قيادة المسلمين إلى سبيل السعادة الحقيقية معلناً في الأمة قوله تعالى:

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾.

فبادر المسلمون الأوّلون في السعي وراءها واتفقوا في العمل لنيلها فكانت السعادة هدفاً لذوي العقول السليمة والأفكار الحية وغاية تطمئن لها النفوس وترتاح عندها الأرواح.

ولما جاء دور بني أمية ضاعت المقاييس وانعدمت الموازين فاختلط الحابل بالنابل والتبس الحق بالباطل، والناس عادت إليهم جاهليتهم فضلّوا سبيل السعادة واختلفوا في سبل الوصول إليها وطرائق الحصول عليها وذهبوا في تفسيرها مذاهب تتفق مع ميولهم ورغائبهم.

ولما استفحل الشر وفشى البغي والجور أعلن الحسين ثورته على الظالمين المستبدين العابثين بشؤون المسلمين وأرسل صرخته المدوية تجلجل في أطراف الأرض وأكناف المعمورة.

(لا أرى الموت إلاّ سعادة والحياة مع الظالمين إلاّ برماً).

وكانت نهضته المقدسة وأعماله الجبارة وتضحياته الغالية أشعة كشفت عن مخازي أمية ومساوئ يزيد وأنارت للأمة سبيل سعادتها ووسائل فوزها.

سادتي: إنّ قيام الحسين وقيام نفر من آله الأطياب وأصحابه البهاليل بتلك المفاداة العظيمة دليل على ان لا سبيل إلى سعادة الأمة الا بقيام كل فرد بما يترتب عليه من واجبات نحو الله ونحو الناس ونحو نفسه.

وقد كانت سيرة الحسين في أعماله تساير ما يقتضيه الواجب الديني فحياته عليه السلام زاخرة بالمآثر والفخر مِلْئ بالحنان والإحسان. فمن مآثره التي تتلألأ في سماء المجد وتشع في انصع صفحات التاريخ انقاذه ارينب زوجة عبد الله بن سلام من مهاوي الخسران والشقاء من بيت المكر والخداع من حبائل يزيد ومكائد معاوية وذلك بعد ما علم عليه السلام بأنّ معاوية سعى في طلاقها من ابن عمها بحيلة ومكيدة وينبغي تزويجها من ابنة يزيد نظراً لكمالها وجمالها خطبها حامي الحقيقة لنفسه ثم أعادها إلى حضيرة زوجها ودار سعادتها فسر الزوجان بذلك وشكراه على عنايته ورعايته.

ومن جلائل أعماله عليه السلام إرواء الماء لأعدائه الذين جعجعوا به وروّعوا حرائره وذويه ومنعوه من التوجه إلى بلاد الله المترامية الأطراف.

وذلك لما أقبل الحر بن يزيد الرياحي ومعه ألف فارس والتقوا مع الحسين قريباً من ذي (جشم) أظهروا العطش الشديد والجهد الأكيد فأمر الحسين عليه السلام صحبه الكرام بسقايتهم وسقاية خيلهم فشكرته الإنسانية على هذا الصنيع العظيم الذي برهن على سمو تلك النفس القدسية وشرف ذلك البيت الطاهر بيت الرسالة والأمانة بيت الرياسة والزعامة. ويعيد لنا شبل علي في هذا الإيثار الصحيح ذكريات الماء في صفين سبق معاوية علياً في الاستيلاء على الماء ومنع أصحاب علي من الورود فأرسل أمير

المؤمنين بعض أصحابه فأزالوا جنود معاوية عن المشرعة ثم تركها مباحة للمعسكرين وقال (كلا لست أمنع عنهم ماء أحلّه الله عليهم) يتجلّى من هذه الأعمال الخالدة شرف تلك النفوس الزكية التي تأبى أنْ تقابل مناوئها بالسوء.

وأعظم تلك الحوادث مفعولاً وأبلغها في النفوس تأثيراً وأجدرها إكباراً وتقديراً وأعمها ذيوعاً وشيوعاً وأولاها بحثاً ودرساً وأكثرها إرشاداً وإسعاداً هي نهضته الإصلاحية الكبرى التي لم يعرف التاريخ حادثة اطلت على الدنيا البشرية اروع وارفع منها.

وقد رسم الحسين عليه السلام خطط النهضة المقدسة وصوّر سبلها ومواقعها ودرس شؤونها وشجونها وألّم بحوائجها ونتائجها فأيقن بعوائدها وفوائدها.

كل ذلك قبل خروجه من مدينة جده الرسول. فكان عليه السلام عالماً بنجاح القصد وحسن المصير عارفاً بفوز أُمته بعد شهادته. وحياة دين جده بعد تضحيته فشرع بالعمل والتنفيذ. وجمع الهاشميين فقال:

(خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة).

حتى بلغ إلى قوله:

(كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء فيملئن مني أكراشاً جوفا وأجربةً سغباً لا محيص عن يوم خط بالقلم رضا الله رضانا أهل البيت نصبر على بلائه فيوفينا أجر الصابرين: الا ومن كان باذلاً فينا مهجته وموطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا اني راحل مصبحاً ان شاء الله).

وصرح في مقام آخر عن عمله بنهاية أمره فقال:

(من لحقنا استشهد ومن تخلف لم يبلغ الفتح).

أجل لقد بارح الحسين مع أهله مدينة جده وقد أظهر استياءه ونقمته من تصرفات أولياء الأمور في أحكام الدين وشؤون المسلمين. فأعلن للعالم امتناعه عن مبايعة يزيد الفسق والفجور قائلاً:

(لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقر لكم إقرار العبيد أنوف حمية ونفوس ابية).

(فلا تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام).

نهض ريحانة الرسول في زمرة من آله الاطهار ولفيف من صحبه البهاليل مدافعاً عن دستور الإسلام وأحكام القرآن فقام بتلك المفادات العظيمة والتضحية التي لا مثيل لها في تاريخ البشر.

فعلينا أنْ نتخذ من هذه النهضة المقدسة دروساً تعلمنا معنى القيام بالواجب الذي هو طريق السعادة(١٣٠).

(١٣٠) مجلة الميزان –العمارة– العدد–٢٧، ٢٨– السنة الرابعة –١٣٦٧هـ/ص١٧.

صوت النصر

بقلم: حسن رشيد ناجي

من لهيب أرض كربلاء المحرق.. وهج في عيني القائد..

ومن انبساط الرمال أمام وهج الشمس.. صراحة على شفتيه.. ومن عصف الرياح الهوج ثورة في نفسه.. وإقدام في عزمه!!..ومن صدق العزيمة وقوة الإيمان ورباطة الجأش وشجاعة الحق مضاء في حسامه ورسالة في يمينه.

ذلك هو الحسين عليه السلام الخالد محطم الظلم ومحطم الفساد وقاطع دابر الظالمين والفاسقين..

إنّه حامل لواء العقيدة التي لا يبالي من أجلها.. والدفاع عنها بكل شيء نفيس وغال وعظيم.. بالأرواح.. بالأموال.. بالأعزاء.. بالأنفس.. بالثمرات.

ياللعقيدة العظمى.. ياللرسالة الكبرى.. حين يكون ضحيتها أبا الشهداء.. يا لشموخها وسموها حين يكون قرابينها أفضل رجال البشرية حينما تتجرد للعقيدة ونصرها.. ويضمحل أمامهم كل شيء عراها.

﴿قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ﴾ ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ ﴿قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾ ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ﴾ ﴿نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾.

لا يستوحشون في طريق الهدى لقلة أهله.

كثرة بإيمانهم عزة بعقيدتهم.. حيث كل ذليل لا يجد عزته إلاّ في عقيدة الإسلام لأنّها الروح ولأنها الجسد وكلاهما متقاربان متجانسان متقارنان متعانقان والحياة الفضلى من بين جوانبهما تظهر وتبان..

هؤلاء العظماء.. هؤلاء قرابين العقيدة والحق وضحايا الدين..

هؤلاء الأحياء المكرمون في جنات النعيم.. لنا في جهادهم وصبرهم واستماتتهم من أجل العقيدة وتطبيق الشريعة حين لا ينضب من الخبرة والعبرة والإيمان والأمل فهم القمم التي نتطلع إليها بشوق ورغبة ولهفة.. وهم المغارات التي تكسح الدياجير من أمام أرجلنا وأبصارنا..وهم الذين يجدون ثقتنا بأنفسنا مرة أُخرى ومرات. وبالحياة وأهدافها البعيدة النبيلة ولولاهم لتولانا القنوط.. وخيم علينا الملل في كفاحنا المرير.

ولكنا ما استسلمنا يوماً للقنوط ولن نستسلم أبداً فالنصر لنا بشهادة الذين انتصروا قبلنا.. فالحسين عليه السلام وأصحابه منهم وهم معنا في كل حين.. فإن قامت بيننا وبينهم وهرات سحيقة من الزمان والمكان فلا الزمان بقادر أنْ يخنق أصواتهم في آذإننا.. ولا المكان بماح صورهم في آذهإننا.. إنهم أناروا طريق الجهاد.. طريق الحياة.. ففي كل خطوة نخطوها نرى أجسادهم متماثلة أمام أعيننا وأرواحهم تخيم علينا فصلتنا بهم مدعاة نهضة كبرى للخير والصلاح وجهاد لتعمير القلوب (التائهة) بذكر الله.

﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾.

وهي بعد ليست صلة عابرة لا رصيد لها من الواقع وإنما هي صلة ارتسمت في فجاج قلوبنا.. فكلما خطر ببالنا جهادهم وتضحياتهم وعملهم العظيم.. وهانت الويلات وهانت الأراجيف ورخص كل صعب.. فهم المحفز للعمل وهم النصر الأكبر وهم الراية التي تظل على جموعنا المجاهدة.. أجل.

﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾.

هذه هي العقيدة الإسلامية شعلة للجهاد وهؤلاء المجاهدون

العقيدة الإسلامية عزيزة مصونة والقرآن الكريم منزل محفوظ من لدن الخبير العليم.. فيأبى تعالى أن تكون شعوراً هائماً يدور في افكارها بعض من الناس أو ينال البعض الآخر منها ظلماً وعدواناً على الحياة البشرية في حين أنها هي السعادة، وهي النعمة وهي معز الرخاء والفضيلة.. بل هي الحياة بأوسع معانيها.. لهذا هب الشيبة والشبان لمجرد سماعهم صوت النصر غير مكترثين بقلة عددهم وعدتهم وكلهم نصر لانهم جاءوا لنصر عقيدتهم وانتصروا.. فنصرهم مضمون من الأرض والسماء..

﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ﴾ ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾.

وانطلق من قريب.. صوت جهوري.. وكله مفعم بالقوة.. بالإقدام بالشجاعة وكلّه عزم وتصميم.. وكلّه زخم ودفع للجهاد.. فراية النصر.. راية الإسلام المنصور بدت في ذلك اليوم خفاقة عالية ترفرف عليهم ورجل العقيدة يصرخ ليوجه.. يصرخ ليحشد الجمع الكثير، الكثير بإيمانه ورجولته وإقدامه، القليل، القليل بعدده وعدته ليؤهل الحشد الإيماني كأستعداد للحرب ثم يروي ثباته:

(والله لو علمت أني أُقتل ثم أُحرق ثم أُذرى بالهواء ويفعل بي ذلك سبعين مرة ما فارقتك ...).

الله ما أجمل هذا الصوت الفدائي الرخيم... وما أفضل هذا الايقاع العظيم في النفوس وما أجمل أرساخ هذا الثبات الشديد حين يكون في أعز وقت وأثمن فرصة وحين تكون التضحية بالنفس وتعذيبها وتمثيلها سبعين مرة ولا يفارق عندها العقيدة ورسول العقيدة اليوم فكيف وهي قتلة واحدة!!

كان ذلك الصوت.. صوت البطل الغيور سعيد بن عبد الله الحنفي بطل المعركة المخيف..

ومن هنا وهناك انطلق صوت دوى في عنان السماء ونزل إلى تخوم الأرض.. صوت كأنه الحديد في قوته والأسد في فروسيته.. صوت تقشعرّ له الأبدان وتشغف لمجرد سماعه القلوب والاسماع والابصار.. صوت انطلق من صدق العزيمة وقوة الإرادة ليبين منهج الثبات والاستمرار.. ومنهج التواصر. صوت من الأنصار والمنصورين..

«نحيا بحياتك.. نموت معك.. »

بهذا النداء.. بهذا الصدى. ماج الجمع وهاج.. وسائل يتسائل وقوي رعديد يرعد في الميدان لسانه قبل سيفه وفارس يجرب تأهيل نفسه وفكره وعقله قبل غضبه وانتقامه من المارقين.. فتيسرت للقائد معاني قوة أصحابه فصاح..

«أما إني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي..».

وجلجلت هذه الأصوات الإيمانية.. وباحت في المعركة وتقسمت في الميدان وإذا كل بزة صوت، منها يسمعها كل مقاتل آثم مرتد كافر من الصوب الفاسد.. فإذا هي حجارة من سجيل يقع صداها في آذانهم فإذا هي وقراً وعلى أجسادهم فإذا هي تخور.. ثم يصبح الواحد من جيش العقيدة وأنصارها ألفاً من أولئك أو يزيد وقد كانوا كذلك لا بأجسادهم ولكن بإيمانهم وصحة نياتهم.. بجهادهم وعزمهم وثباتهم حيث ثبت في قلب كل واحد منهم أسمى معنى التضحية والفداء:

«أنحن نتخلى عنك ولم نعذر إلى الله في أداء حقك!! اما والله لا أفارقك حتى أكسر في صدورهم، رمحي وأضربهم بسيفي والله لو لم يكن معي سلاح لقذفتهم بالحجارة دونك حتى أموت معك».

كان ذلك الصوت صوت أسد الواقعة المخيف المقدام الهمام مسلم بن عوسجة!!

وباحت الأصوات من جديد.. ولكنها انتهت بصوت زهير بن القين زاهر الوجه وزاهر الحسام والشجاعة إذ زار في الميدان صارخاً:

«والله لوددت أني أقتل ثم أنشر ألف مرة ما فارقتك».

أجل هكذا وبهذا الثبات ثبتت العقيدة وبقت واستمرت وستستمر إلى يوم الحساب والنشور.. وبهم انتصرت وكل صوت منهم صوت النصر لأنهم أرادوا نصر العقيدة.. فانتصرت..

أجل هكذا قام رجال العقيدة بكل بقية من قواهم وطاقاتهم وجهودهم وكل بقية من عوائلهم وأطفالهم لينقلوهم إلى حيث معركة الشهادة التاريخية. ولينشلوا العقيدة مما أنابها وخطب عليها..

هكذا الرجال العقائديون.. تقلب الأمم والجماعات لتعيد وتؤلف وتجمع وتذكر وحيثما تذكر بعجب إلى رجال الحسين عليه السلام فلا يزيدوا عن كونهم أصحاب عقيدة.. ومتى التزمت النفوس بالعقيدة استطاعت أن تمحوا كل قوة ضارية وكل فكرة سيئة وتنزع عن الحياة كل رأي أو مبدأ لتحل بدلها سمو الآراء والمبادئ..

والذين يجولون في ميدان الآراء والمبادئ كثيرون.. والذين يبدلون ويحرمون كثيرون والذين تبهرهم كثرة جولاتهم دون ممانعة.. كثيرون أيضاً.. وأمل لهؤلاء أيضاً خير درس ما لحق بيزيد وأصحابه وحزبه وعبرة وعظة ينبغي الحذر الشديد من النزول إليها.

إنّ صوت النصر يدعوكم للعمل.. للجهاد حيث كان ضربة للظلم والفساد والكفر والطغيان.. وثورة الحسين عليه السلام تزداد توهجاً واشعالاً للسائرين معه لنصرة دينه فمن قبله بقبول الحق فالله أولى بالحق وهو يتولى الصالحين..

فسيروا وصوت النصر ليكن دافعكم ومحفزكم للجهاد فما كانت الدماء لتذهب هدراً والأرواح لتزهق عبثاً وإنما لإحقاق الحق وإبطال الباطل

﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾(١٣١).

---

(١٣١) مجلة الأضواء -النجف-العدد -٣- السنة الخامسة- ١٩٦٤/ ص١٢٤.

دروس من مأساة كربلاء

بقلم: السيد سلمان هادي آل الطعمة

تحل في هذا الشهر ذكرى حادثة أليمة عرفها التاريخ الإسلامي منذ أمد طويل ألا وهي فاجعة الطف التي ما زال صداها يردد في سمع الزمن.

إن مأساة كربلاء أو حادثة الحسين عليه السلام مثلت دوراً من أسمى أدوار الإنسانية الفذة ولقنت العالم الإسلامي دروساً لن تنسى بد الدهر. فمن هذه المدنية الخالدة وجه الحسين عليه السلام ضربته القاضية بوجه الأمويين، وفي هذه البقعة الشريفة خاض الشهداء معركة الحق والكرامة، فأهرقت دماؤهم البريئة وروت أرض الطف فاصطبغت بدمائهم. وبذلوا انفسهم الكريمة من أجل العزة والسيادة، فكانت أحسن وقع في نفس الإسلام وفي تحقيق الوحدة الإسلامية النبيلة. ومن يتصفح التاريخ الإسلامي يلتمس تلك المنزلة والقداسة التي جلت بهذه المدينة المقدسة منذ مقتل سيدنا الحسين عليه السلام حتى يومنا هذا.

لقد أعطى الامام الحسين عليه السلام لشباب العالم وشيوخ الأمم دروساً بليغة في النضال والحرية والدفاع عن شرف النفس، فقدم نفسه وأهله وأطفاله ضحايا على رمال الصحراء، وقرابين مذبح الشرف والإباء في سبيل تقويم شرعة جده، وهكذا وقف الحسين موقفه الجبار في عرصات الطفوف غير هياب ولا مكترث، ولسان حاله يقول:

ان كـان ديـن محمـد لم يـستقم	إلاّ بقتلـي، ياسـيوف خـذيني
هـذا دمـي فلتـرو صـاديه الظبـا	منـه، وهـذا بالرمـاح ونـيني

ويوم عاشوراء يمر علينا كل عام بعد استشهاد الحسين في العاشر من المحرم، ليعيد لنا ذكرى بطولة أبي الأحرار وموقفه الحازم من الطاغية يزيد، ذلك الصراع الذي دار بين الحق والباطل، فكاد الظلم أن ينـدحر والعدالـة أن تنتـصر.. والحـق يعلـو ولا يعلـى عليه.. ومن يتعمق في هذه الفاجعة الرهيبة ويتصور موكب المجد السائر في طريقه نحـو التضحية والشهادة ومواقف بطل العلقمي في الدفاع عن حرم الحسين ومصرعه الرهيب في كربلاء، ويستمد منها دروساً وعبراً.. فحري بنا أن نمجد بطل هـذه الـذكرى وحامـل لواء التضحية والبطولة في التاريخ، وحري بنا أن نتعظ بتلك الدروس ونتقبل تلك العبر لكي نستطيع أن نشق طريق الحياة بحرية محبته ونبني مجدنا ونعيد للأمة الإسلامية مكانتها المرموقـة في التـاريخ.. إنّ التـشاور والتـآزر ووحـدة الـصفوف وجمـع الكلمـة وضـرب الحزازات والعمل في سبيل المصلحة العامة وغيرها من جلائل الأعمال تمهد لنا السبيل لتحقيق رسالة الحسين وتأدية الواجب المقدس والعمل على تمجيده وتخليده(١٣٢).

(١٣٢) مجلة الأخلاق والآداب -كربلاء- العدد -٦- السنة الثانية- ١٣٧٨هـ/ص١٣٢.

وثبة الحياة في شخصية

بقلم: محمد جواد الشري

ليس من المبالغة في شيء إذا قلنا إنّ الدراسة مهما كانت عميقة وشاملة لن تمكن الذين يقومون بها من استيعاب ما تنطوي عليه النهضة الحسينية من معانٍ سامية ومرام بعيدة، فلسنا نحاول في هذه الوقفة القصيرة أن نستجلي ما في تلك الحركة التاريخية الخالدة من خطوط وتفاصيل ونتائج. بل نحن في هذا الموقف أبعد ما نكون عن ذلك، ولكنا سنحاول أن نتأمل بعض تلك اللمحات القوية ونتفهم بعض ما فيها على ضوء التطور التاريخي الإنساني ولكي نوفق إلى ذلك لابد لنا من الرجوع إلى النهضة النبوية التي سبقت هذه الحركة بعشرات السنين فإنّ هذه من نتائج تلك.

لقد كانت الرسالة النبوية رسالة إلهية مطلقة جاءت تستهدف خير الإنسانية في أوسع حدودها وهي رسالة إصلاحية والإصلاح فيها شامل وعميق يتناول الجذور والاسس في عالم كان متداعياً يميل بنيانه إلى السقوط ومعنى ذلك إنّ غايتها لم تكن ترميم بناء المجتمع بإصلاحات موضعية محدودة وإنما كانت الغاية بناء ذلك المجتمع الإنساني بناءً جديداً شاملاً بكل معاني الجدة والشمول، وبتعبير آخر إنّ الرسالة النبوية كانت وسيلة من أكبر الوسائل لوصول الحياة إلى مقاصدها التي وجدت من أجلها وهي الاستمرار في التقدم بإحداث أنواع جديدة راقية.

وإيضاحاً لذلك نقول: إنّ الحياة التي وجدت على هذا الكوكب وحلت في هذه

الأجسام -التي لم تكن قبل حلول الحياة فيها إلاّ قسما من أقسام المادة الطبيعية- إنما حلّت لتخترق تلك المادة وتنفذ من خلال حجبها الكثيفة وتحررها من تلك الكثافة إلى حد بعيد فاستمرت في سبيل تحريرها تملؤها خفة ورشاقة ورقة ورهافة لتسير بها نحو الروحانية وقد تم ذلك في وثبات حيوية متقطعة ودفعات ابداعية إلهية كانت تنبثق فيها الانواع وتتمايز معلنة عن تقدمها ووجودها وإذ كان النوع الإنساني قد تم وجوده بدفعة من تلك الدفعات الإبداعية ووقفت عنده الحياة في رقيها النوعي - بدأ هذا النوع الجديد حراً تتضاءل حرية الأنواع إذا وضعت إلى جنبه إذْ ظهر في عالم الأحياء مسلحاً بعقل مفكر يمكن من النظر في الأمور وتخير ما يريده من بينها إلى درجة إنّه يمكن من استخدام المادة الطبيعية والأحياء في سبيل مقاصده وتحقيق إمكانياته الكثيرة فهو لذلك حائز على حرية لم تصل إليها الأحياء وتفكير هو مفتاح لأبواب التقدم والتجديد ووسيلة لظهور أنواع جديدة راقية.

والحقيقة إنّ الرقي النوعي الحيوي لم يقف عند الإنسان إنهاءً لتقدم الحياة ورقيها وإنما وقف عند الإنسان استئنافاً لتقدم الحياة ورقيها بسرعة وقوة أكثر من قبل ولكن من طريق جديد. ذلك إنّ تقدم الحياة قبل ظهور الإنسان إنّما كان بدفعات إبداعية رمت إلى التقدم عن طريق التنوع الحيوي وترقية صنع الأجسام الحية وتلطيف أجهزتها وتعقيدها فهو رقي جسمي ومن طريق الجسم فحسب. أما وقد ظهر الإنسان في عالم الاحياء مزوداً بهذا السلاح الخطير فقد بدأ طريق جديد للتقدم أوسع من ذلك الطريق وأقرب في الإيصال فهو طريق العقل والتفكير الذي أصبح به باب التقدم مفتوحاً على مصراعيه والذي به اطمأنت الحياة على مستقبلها وارتقائها فإذا كان ارتقاء الحياة قبل ظهور الإنسان قد تم بدفعات ووثبات حيوية فإنّ رقيها بعد ظهوره أصبح يتم أيضاً بدفعات ووثبات ولكنها دفعات ووثبات روحية تتجسد في أشخاص إنسانيين أو إنّ أولئك الأشخاص تتقيد نفوسهم بتلك الوثبات الروحية ويمثلون دفعات الحياة

ويفجرون من الإنسانية أنواعاً إنسانية جديدة أرقى بما يسبقون على بني الإنسان من روحانية وسمو فإذا الناس بعد ظهور أولئك الأبطال غير الناس قبل ظهورهم وبهؤلاء الأبطال يستمر التطور الإنساني وكل من هؤلاء يمثل بمفرده نوعاً جديداً يتقدم بالإنسانية نحو كمالها المنشود.

إنّ الإنسان منذ ظهوره بدأ مصحوباً بقوتين متعاكستين تتجاذبان فبينما الحياة تحاول دفعه إلى الأمام اذا بالمادة تجتذبه إلى الوراء وكلما اتقد القلب الإنساني وثارت به الحماسة إلى الرقي يرتد بفعل الجانب المادي على أعقابه خاسراً. وهو من جراء ذلك يدور على نفسه في دائرة مغلقة. وبالفعل فإنّ النوع الإنساني منذ القديم قد انقسم إلى كتل لا حصر لها يمثل كل منها مجتمعاً مقفلاً مغلقاً على نفسه أو قل اتخذت تلك المجتمعات من نفسها دوائر مغلقة لا تنفرج عما تتضمن ولا تسمح بدخول مؤثرات خارجية اليها.

فمهمة أولئك الأبطال أنْ يحطموا تلك الدوائر المغلقة بما لديهم من روحية فياضة لتتداخل ولتتحول تلك الكثرة الهائلة من الدوائر إلى دائرة واحدة تتعاظم سعة وشمولاً حتى تشمل الإنسانية جمعاء.

وبهذا نستطيع أن نفسر الرسالة المحمدية حيث ظهرت في عالم منقسم إلى مجتمعات كثيرة كانت مغلقة ومنكمشة على نفسها بل وفي بلاد كانت -بالرغم مما يجمعها من لغة وعادات وتقاليد وعنصر- منقسمة إلى شراذم قبلية هي أصغر من مجتمعات صغيرة، وكل تلك المجتمعات وهذه الشراذم كانت منغمسة في المادة بكليتها فهي لا ترى شعاعاً من نور ولا تسمو إلى أفق روحي والقوى السياسية الحاكمة يوم ذاك أشبه بالقوى المادية في قساوتها واستبدادها وشدة وطأتها وعلى الإجمال كانت تلك المجتمعات والشراذم مادية الحياة وكان الكثير منها يعبد المادة ويتخذ من الأحجار آلهة،

ومن ذلك نفهم إنّ روح تلك الرسالة تتلخص في تحرير مجتمع الرسالة ومنبتها من سيطرة المبادئ المادية – إنْ صح أن نسمي ما كان يتمشى عليه ذلك المجتمع باسم المبادئ – وقيودها تحريراً ايجابياً يضمن الارتفاع بذلك المجتمع إلى افق روحي تشعر فيه النفس العربية بوجودها الروحي لتتصل بينبوع الحياة وتعب من فيضه وتنهل من رشحاته ولتصبح وحده إجتماعية قوية نستطيع بوحدها أن تحرر العالم بعد تحررها وتفيض عليه من روحيتها ما يرفعه إلى المستوى اللائق بإنسانيته، وبتعبير أقرب إلى الدقة كانت مهمة الرسالة الإفاضة من الجانب النبوي على مجتمع الرسالة أولاً فيضاً روحياً تحريرياً قوياً يؤدي إلى تحطيم تلك الدوائر المغلقة لتصبح القبائل العربية المتباعدة ومجتمعاً متحداً يصبح وسيلة فيما بعد إلى بلوغ ذلك الفيض أقصى تلك المجتمعات المغلقة.

ومعنى ذلك إحداث انقلاب شامل يتقدم بالإنسانية لتعلو على نفسيتها وتصبح نوعاً جديداً راقياً بكل معاني الجدة والرقي.

وهكذا سارت وثبة الحياة التي كانت تمثلها الشخصية النبوية والرسالة النبوية في طريقها إلى الأمام سيراً متواصلاً في الصدر الإسلامي الأول وسيراً كان يرجى منه بلوغ الاهداف والغايات البعيدة لو لم يلتو الطريق على تلك الوثبة الحيوية وقف أمامها السدود القوية لتمنعها من بلوغ مداها البعيد ولترتد بالإنسانية إلى الوراء تثبيتاً لقوة سياسية مستبدة تفرض ما يتلائم مع أهوائها معترضة طريق نحو المبادئ وانتشارها بتنمية ما يضاد تلك المبادئ ويناقضها فإذا الحرية التي أفاضها الإسلام على الشعوب تتحسر مياهها ليطغى على العالم الإسلامي استبداد أموي غاشم يهزأ بالحقوق الفردية ويحكم بالموت على كل من تحدثه نفسه بثورة مشروعة فتراق الدماء البريئة بسخاء لم يعهد له مثيل في أشد ظلمات العهود الكسروية والقيصرية.

وتثار النعرات الرجعية الجاهلية لتعود القبلية سيرتها الأولى عداءً متبادلاً وعصبية جاهلية تفتك بوحدة المجتمع العربي وتشيع الإنقسام منه على نطاق واسع من ذي قبل وفي ذلك ما يؤول إلى القضاء قضاءً مبرماً على القوة العربية، والوحدة العربية التي اتخذتها وثبة الحياة وسيلة ناجمة للوصول إلى الوحدة العربية.

لقد التوت الطريق فالتوى معها كل شيء وأصبحت الحرية الإنسانية ومبادئ الرسالة النبوية بحاجة إلى شخصية منقذة تتمثل في وجودها الذاتي مبادئ الإسلام وتنطوي على بطولة من نوع تلك البطولة النبوية.

أجل إنّ المبادئ النبوية أصبحت بحاجة ماسة إلى شخصية تتقيد بالوثبة الحيوية وتشمل بمفردها نوعاً جديداً مجدداً فلم تجد إلاّ (حسيناً) سليل الممثل الأوّل لتلك الوثبة وحامل لواء تلك الرسالة وهل (حسين) غير شخصه قد تعاظمت روحيتها حتى استحالت روحية خالصة ومبدأ إسلامياً وامتلأت بالبطولة الفياضة امتلاءً جعلها كالشمس لا نستطيع إلاّ أن نسكب ضوءها؟

هكذا كان الحسين عليه السلام الذي أبى له غناه الروحي وامتلاؤه الذاتي بالبطولة إلاّ أن يهز أركان السياسة الأموية هزة قوية يتداعى بها بنيانها القوي إلى الانهيار الأبدي تحريراً للعالم الإسلامي من عبادة تلك الأصنام السياسية عساه يمضي في طريقه التقدمي من جديد ليصل إلى الغاية التي رسمت باديء بدء، وإلاّ فإنّ في هذه الهزة العنيفة ما يضمن انقاذ ما يمكن انقاذه من مبادئ الإسلام التي كانت السياسة الأموية تريد أن تؤدي بها وسارت بالفعل في سبيل ذلك حتى شارفت المبادئ الإسلامية نهايتها.

لقد استطاع الحسين عليه السلام أن يقدم لنا النماذج الخالدة الكيفية التي تلهمنا طرائق الدفاع عن الحريات المشروعة المقدسة ونضع أيدينا على فعالية المبادئ الروحية حينما تستحيل كياناً وجودياً وتهيب بأخلاقنا القائمة على فكرة تجارية هي فكرة

التوازن والجزاء بالمثل أن تتحول إلى نوع من الأخلاق جديد تمتزج فيه المحبة الشاملة الفياضة والتفاني في سبيل الحق والحرية الذاتية الكاملة التي تهزأ بالموت وتتحدى القوة في شتى مظاهرها.

فنحن إذ نُعنى بتجديد ذكرى الحسين عليه السلام لا نحاول الرجوع إلى الوراء لنستعيد الماضي ولنعيش فيه ونحياه ولا أن ندعو الناس إلى العيش (في قبور المتاحف أو متاحف القبور كما يزعمون) ولا أن نقدس القديم لقدمه فليس شأننا هذا ولا ذاك لإننا متطورون نعتنق المبادئ القابلة للتطور ونناضل من أجلها، وهتافنا على الدوام (علواً بالنفوس وسيراً إلى الأمام)، وإنما نحاول أنْ نستلم رسالة البطولة الخالدة والعظمة الحية فالحسين ليس من أولئك العظماء اليوميين الذين تبتلعهم الأزمنة وتطويهم الأيام وإنما هو شخصية فذة لها قدرة على الإشعاع غير محدودة وينبوع فياض لا يستنفذ ما فيه شخص من الأشخاص أو جيل من الأجيال. وفي الحقيقة إنّ معاصري تلك الشخصية والأجيال القريبة التي تلتها لم يتمكنوا أن يعرفوا الآفاق التي ستمتد إليها وتغزوها ولم يعلموا أن الحسين عليه السلام قوة متجددة تبدد لكل عصر بصورة قوية جديدة ملهمة.

أجل إنّ الحسين من أولئك العظماء الذين لم يشهد التاريخ الإنساني منهم غير آحاد والذين يتسمون بطابع الاستمرار والخلود، منهم ليسوا عظماء عصور قديمة أو حديثة وإنما هم عظماء العصور كلها وأعمالهم وشخصياتهم لها خاصية الإلهام والتجديد وخاصية الأدب الحي الخصب الذي يقوي على مناهضة الأيام وتستلهمه الأجيال وتثقف على تقديره البيئات فهو أدب العصور والأجيال والبيئات كلها. ذلك إنّ الأدب الحي الخصب لا يقدم إليك ما يرضي عقلك وشعورك فحسب وإنما يلهمك ويوحي إليك بتجديد ويعيرك من خصبه خصباً ومن ثروته ثروة ومن قوته قوة وهو في ذلك يشبه أولئك الآحاد – إن جاز التشبيه – من هذه الناحية وإن كان الفرق بينه وبين أولئك عظيماً في شدة تلك الخصوبة وقوة ذلك الإلهام من ناحية وفي سعة الإلهام وشموله

من ناحية أخرى فأعمال هؤلاء وشخصياتهم لا تلهم الأجيال تقدماً وسمواً في ناحية محدودة وإنما تلهم السمو والتقدم في ميادين كثيرة وتقدّم للأجيال مادة لاستلهام رسالات إنسانية تكاد تكون الصورة النهائية لما يمكن أن تكون عليه الإنسانية في حاضرها ومستقبلها البعيد ولأعمالهم وما تلهمه سمات قوانين الطبيعة والحياة من خلود واستمرار وانطباق دائم وشامل زماناً ومكاناً مع فارق واحد وهو إنّ القوانين الحيوية والطبيعية قوانين لما كان ويكون أما أعمال هؤلاء وما تلهم فهي قوانين لما يجب أن يكون.

والحقيقة إنّا حين نمتثل شخصية الحسين في تفكيرنا ونحياه في وجدإننا نجدنا أمام وثبة من وثبات الحياة تمثل لنا نوعاً إنسانياً منفرداً تهيب بنا كل لمحة من لمحاته القوية أن نتأمل فنطيل التأمل وأن نتعمق مضمونها الروحي كي نستخلص منها دروساً هي أثمن ما نحتاج إليه ومن دروس في نهضتنا العربية الجديدة وختاماً (لتعش مبادئ الحسين ولتعش فكرته)[١٣٣].

(١٣٣) ذكرى أبي الشهداء –حفلات الشباب النجفي- إخراج دار الغري- من دون تاريخ/ ص٢٢.

شَهادَةُ الحُسَينُ بن علي (عليهما السلام)

بقلم: خليل عزمي

لم تكن واقعة الطف وليدة محرم الحرام ولم تتأتى بسبب سفر الحسين عليه السلام من مكة المكرمة فإلى جهة العراق وإنّما هي نتيجة طبيعية لأحقاد متغلغة في جذور الشجرة الملعونة في القرآن منذ عهود قديمة سبقت عهد الرسالة المحمدية أما فيما بعدها فقد امتلأت قلوب الأمويين حقداً على الهاشميين لما رأوا تفوقهم عليهم تفوقاً لم يسبق له مثيل بالنظر لبروز صاحب الرسالة صلى الله عليه وآله وسلم من بينهم هذا رغم ما كانوا عليه من التظاهر بالإيمان والنصرة للإسلام. فلقد تظافرت أخبار علماء التاريخ وجهابذته على أنّ معاوية بن أبي سفيان بذل كل ما في وسعه وجهده لنقل الملك من حضيرته الدينية وفضائلها اللامعة إلى السلطة الدنيوية واتخذ كل الوسائط الفعالة على اختلاف أنواعها سلاحاً قارع به المعنوية المقدسة التي تركها الرسول الأمين صلى الله عليه وآله وسلم في قلوب أتباعه من المؤمنين حتى هدم دعائم الحق والعدل والمساواة والإنسانية وأقام على أنقاضها دعائم الغدر والإرهاب والوعد والوعيد من جهة وإفساد الأخلاق من هدايا وأموال وما ينصبه من شرك ودسائس وأضاليل من الجهة الأخرى.

إنّ أول عمل إجرامي قام به بعد توليه الملك هو خرقه الشرطين اللذين

اشترطهما عليه الحسن بن علي عليه السلام لقاء تنازله عن الخلافة وهما ترك الضرائب التي تجبى من بلاد الفرس إليه ومنع السباب والشتائم عن أبيه المرتضى عليه السلام ولم يكن همّ الحسن عليه السلام من الشرط الأول الحصول على المال لحسابه وإنما كان يبتغي من وراء ذلك إسعاف المعوزين من أصحابه والمشردين تحت ضغط المارقين من خصومه ولم يكفه الإخلال بعهده هذا، بل تعداه إلى جريمة أفضع وأقسى وهي دس السم بوساطة أتباعه إلى الحسن عليه السلام فاماته غدراً دون خشية من الله ولا حياءً من رسوله. وهكذا كان شأنه مع عبد الرحمن بن خالد بن الوليد فإنّه لما تحسس بنفوذه في الشام خشي مزاحمته لابنه الخبيث فكلّف طبيبه الخاص ابن الأثال فسمّه بشربة من عسل وبالطريقة عينها أمات القائد الباسل والتقي الورع مالك الأشتر النخعي لمجرد كونه من أصحاب علي عليه السلام حتى قيل إنّه عندما بلغته وفاة مالك على السبيل الذي اختاره له قال لعمرو بن العاص: (لقد كان لعلي بن أبي طالب ساعدان أحدهما عمار بن ياسر والثاني مالك الاشتر فأماتهما الله وتخلصنا منهما) فاجابه عمرو متهكماً (ويقال إنّ لله جيشاً من عسل)- وهكذا كان دأبه مع من يستطيع الغدر بهم دون إثارة للرأي العام أمّا إذا وجد في خصمه وبغيضه مناعة وباساً يخشاهما فإنّه يلين أمامه ويجاريه إلى أقصى حدود المجاراة بل يغدق عليه الهدايا والأموال والأدلة على ذلك كثيرة متوافرة. مثال ذلك إنّ الأحنف بن قيس زاره يوماً ما بعد توليه الملك ففتح معاوية بحث حرب صفين فقال مخاطباً الأحنف (كلما تذكرت حرب صفين تتأجج النيران في أحشائي) فأجابه الأحنف بقوله (ولكن القلوب التي تبغضك لم تزل تخفق في صدورنا والسيوف التي قارعناك بها لما تزل في أغمادها) حتى وإنّ أخت معاوية سألت أخاها عندما خرج الأحنف من عنده (من هذا الذي أجابك بتلك اللهجة الجافة الوقحة) فقال لها (هذا شخص لو غضب غضب لغضبه مائة ألف تميمي دون أن يعرفوا سبب غضبه) وهكذا كانت مظاهرة مع عبد الله بن الزبير كان يتمشى على مثل هذه الخطط

الغادرة الماكرة على مرأى ومسمع من ابنه يزيد فيلقي عليه دروس المستقبل الرهيب ولكنه نشأ فضاً غليظ القلب سفاكاً مجرماً فاسقاً مبتذلاً قد امتلأ بغضاً لآل بيت محمد صلى الله عليه وآله وسلم من قمة رأسه إلى أخمص قدميه.

فقد تولى الملك من بعد أبيه ولم يدم حكمه أكثر من ثلاث سنوات ونصف ومع قصر هذه المدة فانه جاء في خلالها من الشرور والأثام مالم يأتها أحد من قبله ولا من بعده واهمها الجرائم الكبار الثلاث:

فالجريمة الأولى: هي واقعة الطف التي نحن بصددها فإنّ اللعين يزيد عندما تولى الملك من بعد أبيه لم يكن همه في الدرجة الأولى غير إبادة الحسين ابن علي بن أبي طالب للتخلص من نفوذه الشخصي وسطوته الروحية مهما كلف الثمن غالياً. أمّا الحسين عليه السلام فلمّا أنس في أهل الكوفة رغبة ملحة باستقدامه وبيعتهم له بوساطة مسلم بن عقيل لم يجد بداً من تلبية دعوتهم بالأخص وإنّه رمى إلى غاية مقدسة سامية ألا وهي انقاذ أهل العراق من براثن اللادينية التي استهدفها يزيد وأتباعه ولكن سرعان ما أوصلت العيون المترصدة خبر هذه البيعة والدعوة إلى يزيد فاستدل من ذلك ضعف والي الكوفة (نعمان بن البشير) فعزله فوراً وعيّن بمحله (عبيد الله بن زياد) (زياد هو ابن غير شرعي لأبي سفيان) بعد ما زوده بأوامر وتعليمات صريحة خلاصتها القضاء على بيعة أهل الكوفة والحيلولة دون وصول الحسين عليه السلام وأتباعه إليها وإلزامه بشرطين لا ثالث لهما. أما بيعته ليزيد بالخلافة أو التسليم بدون قيد ولا شرط فصدع اللعين عبيد الله بن زياد بالأمر وطبق كما أمره به سيده حيث أرسل جيشه اللجب وعلى رأسه عمر بن سعد فأحاط هذا بالحسين عليه السلام وأتباعه بما فيهم حرم الرسول والأطفال على حين غرة فأرسل الحسين عليه السلام رسولاً يسأله عن قصده فأفضى إليه بالشرطين المذكورين فطلب الحسين عليه السلام إليه أن يسمح بأحد أمور ثلاثة:

١ ـ أن يعود هو وأتباعه إلى الحجاز.

٢ ـ أو يتركه وأتباعه يذهبون إلى أحد ثغور المسلمين ليقيموا هنالك.

٣ـ أو أن يجتمع وحده بيزيد ليناقشه الحساب.

فرفض عبيد الله بن زياد الطلب الواقع من الحسين عليه السلام وأصرّ على تنفيذ الشرطين اللذين اشترطهما عليه ولما وجد الحسين أنّ البيعة ليزيد هي بمثابة الإيمان كله للكفر وبهذا هدم للدين واضح وإنّ التسليم لعدوه بدون قيد ولا شرط معناه خنوع الحق للباطل ورضوخ المكرمات المحمدية للرذائل اليزيدية فقد أبت شهامة (أبي عبد الله) ان يسلم بأحدهما وعلت الغضبة العلوية جبهته الوضائة (نادى الله أكبر وعلى الإسلام السلام ان كان مثلي يبايع يزيد) فبدأت الحرب بين جند الإيمان وجند الشيطان فكانت النتيجة المؤلمة أن وقع الحسين عليه السلام وأصحابه البررة صرعى الإباء والشمم واقتاد المجرمون حرم الرسول ومن بقي من الأطفال أسرى إلى يزيد ومعهم رأسه المقدس عليه السلام ليشفوا غليله ويطفئوا لهيب حقده المتأجج بين حنايا ضلوعه ولم يعلموا ويعلم سيدهم اللعين بما خبأه العدل الإلهي لهم من الإبادة الزمنية واللعنات المستمرة التي تنصب عليه من ملايين المسلمين كلما ذكر الحسين وذكرت حادثة الطف.

أما الجريمة الكبرى الثانية: فهي حصار مكة المكرمة ورمي الكعبة الطاهرة بالمنجنيق.

والجريمة الثالثة: حصاره المدينة ثم دخول جيشه إليها وأباحتها ثلاثة أيام بلياليها اقترفت خلالها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت من الموبقات والمنكرات التي يستحي القلم من أن يأتي على تفاصيلها.

هذه هي صفحات يزيد السوداء التي حفظها التاريخ بين جنبيه إلى يوم الدين هذه وهي جناياته الفضيعة التي خلدها الزمن حتى تصبح الأرض غير الأرض، ولعذاب

الآخرة أشد لو كانوا يعلمون. قد يقول بعض المنافقين والذين في قلوبهم مرض. إذا كان الحسين بن علي عليه السلام معصوماً فلابد له من العلم بما تؤول إليه نتيجة خروجه من مكة فكيف رمى بنفسه إلى التهلكة عمداً؟

فنقول لهؤلاء لو لم تكن واقعة الحسين عليه السلام لما بقي للدين الإسلامي أثر. أما تمسك بني أمية بعد حادثة الحسين بمظاهر الإسلام فهو أمر اضطراري لا مناص لهم منه نظراً للشعور الذي ساد الأكثرية الساحقة من المسلمين فحملهم على الاعتقاد بأنّ القصد الأساس من إبادة الحسين عليه السلام هو إبادة الدين الإسلامي من أساسه والقضاء عليه قضاء مبرماً فلم يجدوا بداً من مجاراة الرأي العام فكان من نتيجة ذلك ما نجده اليوم في الشعوب الإسلامية المنبثة في مشارق الأرض ومغاربها، هذا من الوجهة الظاهرية، البادية للعيان أما ما بقي مستتراً وراء الحكمة الإلهية فذلك أمر لا يعرفه إلاّ الله وأصحاب القلوب المنزهة عن نزغات الشيطان إذ لو لم تكن هنالك حكمة مستترة عن العقول القاصرة فبماذا تعلل مثلاً؟

١ ـ تسلط أبليس على صفي الله آدم عليه السلام وهو النبي الذي أمر ملائكته بالسجود له، أمّا كان في استطاعة الرب تقدست ذاته أن يبيد هذا اللعين؟

٢ـ استيلاء الأمراض المبرحة على نبي الله (أيوب) وهو من عباد الله المخلصين.

٣ـ تمكن اليهود من صلب المسيح عليه السلام (بحسب الأنجيل) وهو الذي يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى ويبرئ المقعد ويأتي بالمعاجز الكبرى والقدر الباهرة أما كان في استطاعة المسيح أن يخسف بأعدائه الأرض أو ينزل بهم العذاب الأليم؟

٤ ـ تمكن قريش من تهديد الرسول الأمين صلى الله عليه وآله وسلم صاحب المعجزات التي أبهرت الكفار والمنافقين بالقتل حتى اضطر إلى الهجرة خلسة من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة فهلا كان في استطاعة الرب أن يقضي على أعدائه أو يشل

أيديهم فلا يمسوه بسوء؟ وأمثال هذا كثير لو أردنا الاستدلال.

ولم تكن التضحية في سبيل المبادئ السامية من خصائص الانبياء أو الأوصياء عليه السلام وإنما هي من أسمى صفات العظماء أيضاً. مثال ذلك (سقراط الحكيم) ذلك الفيلسوف العظيم الذي اشتهر اسمه حتى أصبح ناراً على علم. أما كان يعلم بما يؤول إليه مصيره من أصراره على نشر تعاليمه وبث مبادئه فلقد كان الملك والكهان كلهم ضد معتقداته فنصحوه أولاً ثم هددوه بالإعدام ثانياً ولكنه لم يعبأ بهم بل تمادى على تلقين تلامذته وأتباعه بفساد عقيدة الملك وأتباعه (عبادة الأصنام والأجرام) وسمو عقيدته الرامية إلى توحيد المعبود الأزلي حتى حكم عليه بالإعدام سماً فتجرع كأس السم راضياً مرضياً ومات قرير العين مطمئن الروح في سبيل مبدئه القويم ونهجه السوي المستقيم، فهل بقي بعد هذا للذين في قلوبهم مرض شكٌ بعظم تضحية الحسين عليه السلام وثورته الخالدة أم أنهم سيقولون معي سلام الله عليك يا أبا عبد الله عشت إماماً كريماً واستشهدت إماماً أبياً.

﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾[١٣٤].

(١٣٤) مجلة الغري –النجف– العدد –٩، ١٠– السنة الثامنة– ١٩٤٧/ص٣٨.

أو لسنا على الحق؟...

بقلم: صاحب التوقيع

إذا كان يوم كربلاء فريداً في الدهر فإنّ فيه مواقف تتميز واضحة جلية تتملاها ونتملاها فتظل في عيوننا جديدة غضه تغرينا بالتأمل والاستزادة وتبعث بنا في كل ساعة روحاً متسامية وشعوراً وثاباً يظل يدفع إلى أعلى مدارج الرجولات...

فهذا الفتى الهاشمي علي بن الحسين الأكبر هو وحده في يوم كربلاء سفر ضخم من أسفار الخلود نقلبه صفحة صفحة في مجالات من الإنسانية لا نعرف بأيها نعجب وامام أيها نقف هذا الفتى الهاشمي النضر الشاب الغض الأهاب الذي كان يقف على أبواب العشرين مثقل الصدر بذكريات مريرة تتمثل له في مصرع جده العظيم وخيبته في أمته التي أراد أن يقودها إلى سعادتها فأبت إلاّ أن تتردى في شقائها وتتمثل له في أبيه الكريم الذي اجتمع له من المزايا ما يصعد به إلى القمة في الأمّة فإذا على القمة أقزام ومسوخ يعبثون بتراث محمد ويمزقون رسالته ويلهون بأمجاده وينكلون بأنصاره وحماته وتتمثل في هذا المستقبل الغامض الذي يتجلى من وراء الغيب مربد الوجه كالح الجبين.

هذا الفتى الهاشمي ابن العشرين يلتفت إلى الوراء فإذا ماض دام وينظر إلى الإمام فإذا مستقبل تكاد كلومه تبين!...

كان الركب الحسيني يطوي الصحراء في قلب العراق ويطلع من بين الكثبان مقبلاً على ساعته الحاسمة وكان عميد الركب يسير في الطليعة مرفوع الجبين مزهو النفس كأنه يسير بقافلته إلى الفتح الذي مابعده فتح.

لقد كان يتلفت إلى جيشه الصغير الذي لا يكاد يتجاوز المائة عداً فما يستطيع الا أن يرسل من شفيته ابتسامة فيها المباهات بهؤلاء الانصار الذين تخلو عن الحياة لئلا يتخلوا عنه وفيها السخرية بهذه الدنيا التي جعلت منه قائداً للمائة وجعلت من يزيد أميراً للمؤمنين ومن ابن زياد قائد للملايين!..

وكان يختلس النظر من ابنه الشاب (علي) ويتطلع إليه في دروعه ومغفرة وسيفه ورمحه وقوسه ويرى هذه الفتوة المتغطرفة فيود لو فسح لها مجال الحياة والكفاح لتطلع على الدنيا بأروع صور البطولات وأسمى مظاهر الرجولات ولتعمل على تشييد الصرح الإسلامي ونشر رسالة النبي!..

وكان الشاب يرنو إلى أبيه ويرى سجاياه الشماء فيهوله أن تكون معطلة لا تقود الأمّة خير مقاد!..

لقد كان كل منهما يأسى على صاحبه ويأسى على أُمته وكان كل منهما يود لو يفتدي الآخر بحياته ويدفع عنه عوادي الدهر بدمه وكانا يسيران صامتين هادئين يكتبان ما يعتلج في صدريهما وما تزخر به نفساهما وكان كل منهما يقرأ على قسمات الآخر ما تنطق به نفسه وما تتحدث به عاطفته.

ولكن الصمت لم يدم فإنّ الحسين أعلن بالتكبير فأقبل عليه ابنه وقد هاج شعوره وثارت كوامنه لأنّ أباه إنما يكبر مهموماً ويهتف مغموماً وسأله يا أبتي لم كبرت؟..

فقال الحسين:

لقد هتف بي هاتف إنّ القوم يسيرون والمنايا تسير بهم فعلمت أنها نفوسنا نعيت إلينا.

هذا الفتى الهاشمي ابن العشرين يفاجئه أبوه لا بما يرضى الشباب ونضارة الصبا يفاجئه بأن المنية تنتظرهم على الطريق:

وانتظر الحسين ليسمع جواب ابنه ولم يطل انتظاره.

قال علي:

أو لسنا على الحق؟

قال الحسين:

بلى.

قال علي:

إذن لا نبالي أنْ نموت محقين!

يا فتيان العرب ويا شباب الإسلام إذا عصفت بكم مكايد الزمن، وتألبت عليكم عوادي الدهر فتطلعوا بقلوبكم إلى ذاك الماضي البعيد واصغوا بأسماعكم إلى صوت البطل الشاب يصرخ بكم من أعماق الأجيال أو لسنا على الحق؟ اذن لا نبالي أن نموت محقين ...[١٣٥]

(١٣٥) مجلة الغري -النجف- العدد -٩، ١٠- السنة الثامنة- ١٩٤٧/ص٤٣.

الموكبُ يسيرْ

بقلم: عباس علي القره غلي

ابتلع الظلام مهبط الوحي والرسالات، وضلت القافلة الطريق وأَنَ صوت الإسلام الجريح. رب القافلة مغتصب أثيم أهوج، وصنائعه يجذبهم الرنان الأصفر ويخيفهم الغدر الأحمر.

تكالبت النفوس على بهوج الحياة وزينتها ونسيت ربها وصدت عن ريحانة نبيها وانقادت لشهواتها الآثمة وآمالها الفانية. ذهب الهدى والرشاد، وصارت الأمور إلى دولة الملك العضوض، والجور والعدوان.

ها هو موكب النور يشق الطريق، وهو يردد انشودة الحياة ويبعث الأمل في القلوب يتقدمه سيد شباب أهل الجنة، ويضم سيوف الإسلام وأبناء سيد الأنام.

في كل قلب غصة وفرحة، وفي كل عين دمعة وبريق، وفي كل نفس آلام وآمال. الموكب يسير، ركب الحسين يتقدم.

الصحراء ترتدي جلباب الليل الساكن الرهيب وينبعث من أعماقها أناشيد القلوب الجبارة، ويضوع فيها عطر سبط سيد المرسلين، وتعانق رمالها أنفاس النسائم الندية، والنجوم تطل من علٍ متلألأة واجمة لأنها تشهد موكب الحق يتقدم لسحق الظلم، ولأنها ستكفن رسل الإنسانية والرحمة بعد صرعها الجبار وتضحياتها الخالدة، ولكنها ستكفن أجسادها الطاهرة، ودمائها البريئة، أما أرواحها فخالدة ما مر الزمان تبعث النور والأمل وتهدي الضالين إلى مرفأ الهدى والسلام.

ما أروعك يا ليل! إنّك لتضم في أحضأنك أخيار الأرض وأشرارها، وإنك لتشهد الحق والباطل في صراع دائم وحرب عوان.

لا حياة إلاّ بالعدل والصلاح، وعدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة، وجور سلطان يقود الأمة إلى الغش والخداع والاستلئام، ويميت العزة والنخوة والاستقامة. إنّ من غشنا فليس منا. فكيف يكون دليل العرب وخليفة المسلمين صاحب قيان وخمور وجور واستعباد؟ وكيف يرضى مثال جمال الخلق والخلق، ورجل العدل والصلاح وسبط أشرف من مشى على الأرض وأحب الخلق إلى الله أن يرى الظلم ويسكت، وأن يطلب منه قيادة الأمة فيتهاون وأن يستدعي ويبايع لخلافة المسلمين فلا يجيب؟

وعلى ايقاع مركبة الجليل تعبر البطولات عن أسمى معانيها وتردد الدنيا أبلغ أناشيدها.

التقى الجمعان بعد سلام يتمخض عن حرب شعواء وغدر يسود جبين التاريخ.

التقى أتباع الحق بأنصار الحق، وكانت رغبة الدنيا ورهبتها قد ضمتا أكثر أشياع الحسين ومبايعيه إلى صفوف المارقين الأعداء، فصار الصديق عدواً، وصار الطمع والخوف يعبثان بالقلوب ويلتقيان بها إلى الحضيض.

هكذا صارت فاجعة كربلاء، وهكذا صارت نكبة التاريخ، وهكذا جمع الثرى أشرف الأشلاء وأطهرها وأحقر الاجساد وأنتنها.

يا دماء الأبطال، يا عبير الإنسانية يا مصابيح الهدى، أين بصيص الأمل أين منار الحياة؟! تلك حقب ذهبية مرت. تلك أيام ثار فيها الحق ليقود السفينة إلى الطريق اللاحب إلى السعادة والسلام.

ما لنا إلاّ ذكريات سجلها آساد الإنسانية وحماة الإسلام وبيت الوحي بدمائها الزاكيات. تعاليت يا ربّ، إنّها لصورة تقشعر منها الأبدان وتشيب منها الولدان، ولكنها صورة الموت للحياة والتضحية للعبر والذكريات[١٣٦].

(١٣٦) مجلة الغري -النجف- العدد -٩، ١٠- السنة الثامنة- ١٩٤٧/ص٦٦.

الحُسَين

بقلم: مشكور الأسدي

سادتي:

ماذا تروني قائلاً في هذه الذكرى؟ ذكرى أبي عبد الله الحسين عليه السلام.. وهي لا تذهب عن الخاطر، ولا تند عن الفكر ... كنا في العراق أو خارجه، فشعاع النهضة الحسينية المثالية قد أنار أرواحنا، وزكّى دماءنا منذ أن فتحنا أعيننا على هذه الدنيا.

وما زالت السيرة الرائقة تأخذ اللب، وتطفى على القلب حتى أحالت منا طيفاً يذهب حسرة عند التذكر، وخاطراً لا يرى في الوجود وما يداني تلك النهضة مجالاً وكمالاً ... فلا جرم أن تهوى عند هذا كل دموع الحياة، وتتهافت كل (اهتمامات) ابن آدم، وتتفتح عوالم خيرة فريدة ذات ألق..! تسير في ركاب صاحبها حيثما يولي وجهه.

ماذا أقول أيها السادة- والحالة هذه؟، ماذا أقول والذكرى لا تحول، بل ماذا أقول وإلى خطوات مني ما يقرب لي الذكرى جداً، على قربها، ويلف بها وجودي، ويذهب بي في طرفة عين إلى كربلاء على بعد المزار، فيعقل الشوق لساني. هنا مسجد حسيني فاطمي قاهري بديع الجمال، عظيم الجلال، طالما تلألأت نفوسنا في رحابه يضم-في رأي بعض المؤرخين- رأس الحسين الشريف. فترى الناس في البكور والعشي تترى إلى زيارته والتبرك به والنذر له والرجاء عنده بقلب خاشع وطرف دامع.

وإنّ صاحب الذكرى لا يرضى لمريديه هنا وهناك إلاّ أن يذكروه الذكر الجميل النافع -كما تفعلون الآن في احتفالكم المهيب الذي دعت إليه لجنة الشباب النجفي الكريم -الذي يهدف بهم إلى الخير والحق وترك القشور. والتمسك بالفضائل ويحملهم على العبرة بسيرته المثالية الغراء والتقرب منها ويدلهم على درب الكرامة والحرية والرحمة في الحياة. وينير لهم طريق السعادة في الدارين.

سادتي:

إنّ القول في الحسين -كالبحر- لا ينضب والعافية لا تتعب. ولكنني كلما ادرت خاطري على هذه الذكرى أُريد أن أقول شيئاً ... شط وانقطع؟

وحسبي فخراً إنني عاجز عن القول. فالذكرى قد استوفت كل جوانب تفكيري وسدت علي الطريق ولم تدع لي منفذاً ألجُ منه إلى ما أريد ... وكم أنا بهذا سعيد(١٣٧).

---

(١٣٧)ذكرى أبي الشهداء -حفلات الشباب النجفي- إخراج دار الغري- من دون تاريخ/ ص٢١.

ماذا نتعلم من سيرة الإمام سيد الشهداء؟

بقلم: رشاد دارغوث

لم يكن الإمام الحسين عليه السلام قدوة وحسب، بل كان مدرسة قائمة بذاتها.

مدرسة أخلاق، أولاً ومدرسة علم ثانياً. ثم فوق هذا وذاك، كان الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء.

وفي الشهادة، في الاستشهاد في سبيل الحق، ونصرة الحقيقة، أعظم درس يلقيه إنسان على الدنيا، وأكبر تضحية يقدمها في سبيل إرساء المثل العليا، واستمرار الحياة الفاضلة.

تلك المثل، التي لا قيمة للوجود من دونها وهذه الفضيلة التي لا تعيش المجتمعات إذا لم تسد هي فيها.

فكانت سيرة الإمام عليه السلام، منذ نشأ في أحضان الرسول صلوات الله عليه، حتى سالت دماؤه على رمال الصحراء، كانت سيرة سيد الشهداء مدرسة حية، مثالية ومخططاً سلوكياً لا أعلى ولا أنبل، ولا أكرم.

ماذا نتعلم من سيرة الإمام سيد الشهداء؟

أليس الحسين بضعة من ذلك النبي المصطفى، وابن عمه العظيم، ووليه الصميم ووصيه المختار؟

ثم كيف لا يكون الحسين صورة تعكس ملامح الوالد والجد، وهو ابن فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين؟

هذا الإنسان الذي زكا أصلاً، من فوقه ومن تحته، وأُشرب روح الخير كما أُشرب روح النبوة، في أحضان صاحبها وأبيه العظيمين ـ لايمكن إلاّ أن يكون جندياً من جنود ذلك الخير، وحارساً على مقدرات الأمة التي كانت أمة وسطاً، لتحكم بين الناس، بالحق والعدل والقسطاس المبين!

هذا الدرس الأول مما إعطانا الإمام الشهيد من دروس باقية، ومواعظ لا تبلى جدتها على كربلاء زمان: لقد كان الحسين جندياً من الخير، في هذه الأمة، فلما رأى الشر يسود، أو يكاد، انبرى له، بحزم دونه كل بطل، وبتصميم فوق تصميم كل إنسان! وماذا يكون لو قتل في سبيل ذلك الخير الذي آمن به؟؛ لأنه جزء من رسالة نبيه وجده، بل وجه من وجوه تلك الرسالة الإنسانية، التي حملها الله محمداً وآله، ليكونوا أئمة للناس، وقدوة ومثالاً ينسج الخلق على منواله.

بل إنّ استشهاد البطل، حينئذ، مما يُذْكِي تلك الرسالة، وينشر مبادئها، وما دانت به أو دعت إليه من مثل وقيم، كما ينتشر الزيت على صفحة الكتاب، أو ينتشر النسغ في عروق الشجر، أو الدم في شرايين البشر، ليحيي الموات، ويبعث الرميم.

وأما الدرس الثاني، في سيرة الإمام الشهيد. فهو ذلك الإصرار على الاستشهاد، في سبيل الحق، مهما غلا الثمن! فإمامنا، ككل من سبقه من أركان هذه الدوحة المحمدية، وكل من تلاه من فروعها الطيبة لا يخاف في الحق لومة لائم، ولا يخذل ذلك الحق، ولو خذله من حوله الناس أجمعون.

إنّه إصرار الأبطال على خوض المعارك الحاسمة، في سبيل إعلاء كلمة الحق، ولو على جثث المستشهدين، وجماجم الطغاة المستبدين.

الحق عندهم سلطان يستمد قوته من ذاته، ومن ذواتهم، من نصوعه، ومن إيمانهم... وهم، دون سائر الخلق، مؤهلون لرؤية ذلك الحق، والإيمان به، لأنّ لهم عيوناً ترى ما لا يراه المبصرون!

إنّهم مزودون بتلك الآلات الخفيه، نوع «من الرادار» الإلهي، يحسون به، ويحاولون نقل أحساسهم إلى الآخرين، وقد رأى الامام الحسين عليه السلام دولة الإسلام التي شيدها جده وأبوه وأصحابهما العظام المنتجبون، رآها تكاد تنهار، بفعل ذلك الدجل، والظلم، والاستبداد – بعد أن سادها الحق والعدل والحرية – زمانا.. فهب الامام ابن الامام، هبة المصلح البطل، والأسد الهصور، ليصفع الدجل والدجالين، والظلم والظالمين، والاستبداد والمستبدين، فقضى دون غايته، واستشهد في سبيل تلك الغاية العظمى!

وذلك درس لا تنساه الإنسانية. وهي في الواقع لم تنسه. ففي كل زمان يهب في الأمم الحية من يناضل في سبيل الحق، ولو دفع حياته ثمناً لذلك الكفاح، الذي كثيراً ما انتهى وينتهي إلى استشهاد صاحبه أو أصحابه، وهم على الدرب. سواء وجدوا أعواناً لهم أو كافحوا بمفردهم. ولكن الثمرة التي جنتها البشرية من استشهادهم، كانت وما تزال هي قاعدة الحياة الحرة، وقوام الديمقراطية السليمة، ورأس مفاخر الأفراد والأمم، يوم يضفر التاريخ لهم تيجان الوفاء بما عملوا، والتقدير لما قدموا في سبيل بقاء الإنسان، واستمرار حياة الكرامة والعزة والفضيلة في المجتمع!

والدرس الثالث، في رأيي نستخلصه نحن، هنا في لبنان، من استشهاد الإمام الحسين عليه السلام إنّه في موقف ذلك الراهب الذي يحدثنا عنه أبو مخنف لوط بن يحيى، مؤلف كتاب «مقتل الحسين» في القرن الأول الهجري –حيث يقول، وهو يصف رحلة «السبايا» من آل البيت، ورؤوس الشهداء المحمولة على الرماح، في ركب الشهادة

العظمى... على قرب زوال الحكم الاستبدادي إذ ذاك، وانهياره -فيقول صاحب القصة عنهم، بعد خروجهم من بعلبك إلى دمشق في طريقهم إليها من الكوفة: «باتوا تلك الليلة»... ورحلوا عن بعلبك، ثم أدركهم المساء عند صومعة راهب. فأنشد زين العابدين -علي بن الحسين-، وهو الشخص الوحيد الذي نجا من مجزرة كربلاء بسبب مرضه- أنشد يقول:

هو الزمان فما تغني عجائبه　　عن الكرام، ولم تهدأ مصائبه

فليت شعري إلى كم ذا تجاذبنا　　صروفه، وإلى كم ذا نجاذبه؟

فلما جن الليل رفعوا رأس الحسين إلى جانب الصومعة. فلما عس الليل سمع الراهب دوياً كدوي الرعد. وتسبيحاً وتقديساً، واستأنس من أنوار ساطعة. فاطّلع الراهب رأسه فنظر إلى الحسين، وإذا هو يسطع نوراً إلى عنان السماء. ونظر إلى باب قد فتح من السماء والملائكة ينزلون كتائب، ويقولون: السلام عليك يا ابن بنت رسول الله، السلام عليك يا أبا عبد الله.

فجزع الراهب جزعاً شديداً. فلما أصبحوا هموا بالرحيل. فأشرف الراهب عليهم ونادى:

- من زعيم القوم؟

فقالوا: خولة بن يزيد!

وقال الراهب: وما الذي معكم؟

قالوا: رأس خارجي خرج بأرض العراق قتله عبيد الله بن زياد.

قال الراهب: ما اسمه؟ قالوا: الحسين بن علي ابن أبي طالب، وأمّه فاطمة الزهراء، وجدّه المصطفى!

حينئذ قال الراهب: تباً لكم... لقد صدقت الأخبار في قولها: إذا قتل هذا الرجل تمطر السماء دماً، ولا يكون إلاّ بقتل نبي أو وصي نبي!

ويقول أبي مخنف: ثم طلب الراهب أن يدفعوا إليه بالرأس الشريف ساعة واحدة، لقاء، عشرة آلاف درهم، كان يؤمل خولة بن يزيد أن ينالها من سيده... الظالم. فأخذ الراهب الرأس الشريف وجعل يقبله ويبكي ويقول:

-«يعز والله علي يا أبا عبد الله أن أواسيك بنفسي... إذا لقيت جدك رسول الله فاشهد لي... عنده!» ثم دفع الرأس إليهم، فجعلوا يقتسمون الدراهم، وإذا هي بأيديهم خزف، مكتوب عليها:

﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ﴾!

هذا الراهب الذي بكى، وآسى، وأعلن غضبه على الظالمين... درس آخر نتلقاه في لبنان، وفي كل بلد يؤمن بالخير والقيم الإنسانية المطلقة،ثم نعمل بموجبه!

إنّ شهداءنا، وفي طليعتهم الامام الحسين عليه السلام كانوا، ولن يبرحوا، مدرسة تعلمنا تلك القيم، وتزكي نفوسنا المحبة وروح الخيرة والعدل والإيمان بالحق وبالله، على انه مصدر لتلك الخيرات جميعها! وفي كل مؤمن، أياً كان لون إيمانه، إذا صح أنّ للإيمان ألواناً، مدعواً، في كل زمان ومكان، إلى الاتعاظ بسيرة هذا الإمام العظيم، الفذ في تاريخ الإنسانية، لا أمة الإسلام وحدها. ومتى اتعظ الناس تجنبوا الأسباب التي كانت وراء تلك الكارثة الكبرى، والبلية العظمى التي أدت إلى مصرعه، ومصرع آل البيت المحمدي بيد أتباع جدهم، والقابعين على سدة خلافته!

إنّ الحق واحد، كما هو الله واحد، وقد كان الإمام الحسين عليه السلام عنواناً لذلك الحق، بل تجسيداً له، في أروع صوره وأجلى بيان! فجاء استشهاده تأكيداً لذلك الحق ودلالة عليه، وكان بذلك سيد شباب أهل الجنة وإمام الأبطال المنقذين[١٣٨].

(١٣٨) مجلة النهج -لبنان- العدد -١٢- السنة التاسعة- ١٩٦٤/ص١٧.

المأساة والأصداء ثورة الحسين (عليه السلام)

بقلم: يوسف عبد المسيح ثروت

ها قد بغى الظلم وتوسع واستشرى الشر وتأصل، وتناهب (السادة) سواد الناس، في أرزاقهم وأموالهم وضمائرهم، فساموهم الخسف والذل، وأخذوهم كل مأخذ، إذ سقطت هيبة الحكم، بتناثر الشورى -إثر مقتل أبي الحسنين، فالتبس الأمر، وتخاذل القوم، وارتج على أصحاب الرأي، بصعود يزيد إلى دست العرش القيصري من غير أن يكون للناس إلاّ الطاعة والخضوع والقبول المزري بالحال العابث الجاني العهد العنيد يتبختر بصولجانه!

وتوالت المصائب يأخذ بعضها برقاب بعض، فإذا الحوادث المرعبة تتدلى وتدور في غابة كثيفة من ظلام دامس، وإذا الاختبار العسير ينتظر رجلاً، مثل عز نظيره، رجلاً صادق العزم، نبيل التحدي، جريئاً في الحق، صامد الإيمان، ثابت الثقة بالنفس وبأتباعه أيضاً، وكان الحسين مثل هذا الرجل، عرف الطواغيت ودواخلهم ومساربهم ومخارجهم، عرفهم أصناماً وأوثاناً جاهلة، مزوقة بزي جديد، كله نفاق وخداع يضفي على السلطان أبهة الحكم وعلى الرعية ذل الطاعة.

ووقف الرجل في المدينة يتسائل ويتأمل، ويغرق نفسه في استجلاء الأمور واستقرائها، بعد أن نال السم من أخيه الحسن ما ناله، وينهض الحسين بالعبء الثقيل، ويمتثل الأحداث الجلائل المواضي والأحوال التي تنتظر الأمّة، وقد طعن رباها بيد آثمة.

ويطيل التأمل والاستقراء والتوقع والتفكير، فيرى المشهد المتسربل بالدماء قدامه، ويجد نفسه في وسط الساحة تحيط به من جهة أكاليل الشهادة الشائكة، وحرقة العطش، وفظاعة الإثم، وجناية الظالمين، وتعلوه من جهة أخرى نجوم تتلألأ جلالاً وبهاء وسمواً، إيذاناً بالساعة الحاسمة، ساعة التحدي والمجابهة، ومقارعة الظلم والظالمين ساعة الثورة وتحمل المسؤولية: الرجل المليء بالعزم والثقة والصبر والشجاعة، لا يجد بداً من الانتظار العسير لأنّ الانحياز للحق والدفاع عن المستضعفين والتصدي للباغين أمور لابد من إمعان البصر والفكر والقلب فيها وإلاّ انقلب الهدف، وضاقت الغاية، وتلاشى القصد..

ماذا يفعل وقد احيط به من كل جهة، والمحيطون به عصابة من الآبقين برئاسة رجل داهية وهو مروان بن الحكم؟..

الظلم يريد أن يركز قدامه في المدينة نفسها، برغم وجود الحسين حياً يرزق، ليثبت أنّ هذا الوجود حقيقة واقعة، وأنّ الشورى، كانت، إذا كانت، تعله للضعفاء، ومصيدة للأقوياء، لأنّها ظلت حجة يتلاعب بها الأقوياء ويتحاشاها الضعفاء الذين لم يكونوا موجودين، إلاّ للقتال وخوض المعامع، وسفك الدماء، لتحقيق أهداف متناقضة بحجج فريدة غريبة كانت متشابكة أصلاً. وظاهرة ثورة الحسين ظاهرة طبيعية، لأنّها استنهاض على الجور وانتقاض عليه، وهي –مع ذلك– فريدة في بابها لأنّها دلالة على الإيمان بحق ضائع إيماناً لا يتزعزع، مهما انتفت ظروف هذا الإيمان، ومهما قل النصير وعز الأتباع والمريدون، وهذا الإيمان المثالي حقيقة تدل على إصرار على موقف، واستماتة من أجل الدفاع عن هذا الموقف مهما تكن النتائج وكيفما مالت الريح، وهذا برهان على بعد نظر أصيل، ذلك أنّ القائد، ولو افتقد جيشه مؤقتاً، مدعو ألا يترك الساحة في ساعة المحنة، وإلا فقدت القيادة سمتها الرئيسة، وهذا ما فعله الحسين، فإيمانه بحق الأمّة في حكم نفسها، ظل القاعدة الأمينة التي فرضت على الإمام الخروج على

يزيد والتوجه إلى العراق، استعداداً لذلك معاقل الخارجين على شرعة الأمة وسارقي حقها في حكم نفسها ولصوص قوتها وما من شك في أنّ المشاهد التي انتفضت من المدينة، لتواكب الحسين حتى مصرعه، في كربلاء مشاهد تنتظم عقداً عجيباً من الفواجع التي لم تعرف حدوداً، ففيها أنين ليل عجيب، لأنّه لم تزل أصداؤه تتعالى وتتعالى: ليل فيه تنكر أصحاب له يتنكروا للظلم الذي لف أرض السواد بسواده، وقيل هذا التنكر الغريب، تمت المؤامرة عليه، لافي الكوفة حسب بل في المدينة أيضاً، ذلك أنّ إخراجه بأيّ وسيلة من المدينة، سيفسح المجال للطامعين في الخلافة من اهتبال هذه الفرصة الذهبية وهاهوذا ابن الزبير ينصح الامام الحسين قائلاً: «على أي شيء عزمت يا أبا عبد الله؟» فلما أعلمه بعزمه الأكيد على إتيان الكوفة قال له ابن الزبير: «فما يحبسك. فوالله لو كان مثل شيعتك بالعراق ما تلومن في شيء» ولكن ماذا عن هؤلاء الشيعة وقد نبذهم شرفاؤهم، ملتحقين بابن زياد والي الكوفة الجديد، وقاتل مسلم بن عقيل، الأمير الذي وضع نصب عينيه خدمة العرش الأموي ويزيد بالذات، لأنّ ابن الدعي كان يريد أن يثبت أصالته الأموية، وليكن هذه المرة متفنناً مع المنقضين على هذا الحكم المبني على الجماجم، المتجلبب بالجاهلية، المتخذ من طاغوت يزيد رحماناً له يستذكره ويستخيره ويلوذ به، عملاً بشريعة الحكام، الذين جاءوا إلى الحكم وأنوف الناس في الرغام وعيونهم في أقفيتهم، وجباههم في مواطيء أقدامهم. وكيف لا يكون الأمر كذلك وقد استهل ابن زياد ولاية الكوفة بقوله: «أما بعد، فإنّ أمير المؤمنين.. أمرني بإنصاف مظلومكم وإعطاء محرومكم» توطئة لقوله: «والشدة على مريبكم.. وسيفي وسوطي على من ترك أمري وخالف عهدي» وهذا التهديد وحده كان للتعرف على حق ابن زياد، ولمعرفة موقفه الحاسم وتلون منطقه بين الإنصاف والشدة ينبئ بعقليته المتجبرة المخاتلة، التي تعطي بيد لتسترد بيد أُخرى.. ابن زياد هذا ممثل الحكم المكيافيلي، المتحصن بسيوف أشراف الكوفة ومرتزقتها، يقف في قباله

الحسين، الإمام المؤمن بحق الثورة على الظلم والانتفاض على الشر واقتلاعه، هذا الأمير- في عرف الحكم والواقع الراكض كالكلب وراء هذا الحكم يلهث من جوع وعطش يريد أن ينتزع البيعة لسيده يزيد بالقوة والعنف والتسلط، وأن ينزل الحسين على حكمه خاضعاً يعطي إعطاء الذليل، فماذا كانت نتيجته مساعي عمر بن سعد بين الاثنين؟ كانت نتيجة قول الإمام:

«لا، معاذ الله أن انزل على حكم ابن مرجانة أبداً».

وفي هذا الجواب فصل الخطاب في الرد على المتعللين بحجج الانتكاس والنكوص ومن ثم فلا مرد للموت ولا سبيل إلى حياة الأجيال من غير الوصول إلى شريعته المقدسة دفاعاً عن حق الناس في حكم أنفسهم ورفع الظلم والجور والسلطان عن كواهلهم، ولو كانت القلة الرائدة في الدفاع عن هذا الحق أقل من آل الحسين وصحبه وبذلك كانت ريادته – في هذا الشأن – حافزاً قوياً لا يمكن نسيان أثره، في كل الفعاليات الثورية التي هزّت أركان حكم الطغاة من يوم استشهاده، وسط أحوال تعجز شم الجبال احتمال بعض من وطأتها. ولكن صدر الحسين برحابته التي تتجاوز كل رحابه، يأبى إلا يحمل الامانة، فتعقد – من أجل ذلك – مقاليد الريادة في جيده، حقاً لا ينازعه فيه منازع.. ومن أجل ذلك، قد امتلأ صدر ابن زياد بسم الحقد والضغينة والشماتة، فكان أمره وقد فارقت روح الحسين جسده الفاني أن «يوطأ صدر الحسين، وظهره، وجنبه فاجريت الخيل عليه» وهكذا ترى كيف يمكن أن يكون شموخ التحدي بديلاً لا مفر منه لذي الطاعة العمياء، الذي يولد مع الناس الأذلاء، الذين يستطعمون الهوان فيستذوقونه، ولو على حساب عمى قلوبهم قبل عيونهم ... وأمام هؤلاء الناس يقف الحسين يداً تطرد العمى من النفوس والبصائر قبل الأبصار يداً تفتح العيون لترى اين هي سائره، ولخدمة من تتمرغ على جنوبها، في وقت يعز عليها حتى القيام والنهوض مشاهد الإمام كثيرة ومتنوعة تغري كلّها بالتأمل والإعجاب، مشهده وهو

يقف الموقف الصلب تجاه الوليد بن عتبة والي المدينة، الرجل الثعلب الذي يحاول الإغراء بمختلف السبل والإشراك، لكن دون جدوى. مشهده مع مروان بن الحكم وما كاد يتطور إليه من نتائج، ومع ذلك فالإمام قائم بأمر الأمّة لا يحيد ولا يميد، وبذا ذهبت كل محاولات يزيد وعبيد أدراج الرياح ومشهده وقد وصل أرض الكوفة، وعرف بمقتل مسلم بن عقيل، وبالقدر عليه، والعطش الذي عاناه مع آله وصحبه، الذي فرض على الجميع توطئة لذلك القدر، ومشهده وهو يخطب قومه ويريد منهم اعتزاله، لأنّه أوصلهم إلى ما أوصلهم إليه كل تلك المشاهد تزلزل الجبال الرواسي، ولكنها عجزت عن المس بوتر من أوتار أعصاب الإمام الحسين وهذا امر واقع وحقيقة فذة ذلك ان المشاهد التي اراها على مدى التاريخ العربي والإسلامي – لم تسطع مهما اتاها الحظ – ان ترقى سفح الجبل الذي قمته مشهد ثورة الحسين واستشهاده الفاجع مع من استشهد معه، ومن ظل من أتباعه ينتظر الشهادة بعده، احتذاءً بأسرته واقتفاءً لاثره، فالمثل الذي ينتصب شامخاً امامنا والقدوة التي تجتذبنا إليها بكل تلك الروعة والجلال، والدرس الذي خطه على جبين الزمن تلك الشهادة اليتيمة، والرمز العظيم الذي حفر في كل قلب حزاً ندياً أبد الدهر، والصفعة التي كالها الإمام لوجه طاغوت الظلم والشر والاستبداد، كل ذلك يحفزنا على ألا نمر بالعاشر من المحرم مر العابثين السادرين في غي الاقيون، اللاهثين وراء ملذات الجسد والتراب، المتنكبين الجادة، باسم الدعة والاطمئنان، وهم أولى بالسكينة الذليلة، والنكوص الأذل، وعاد السكوت! هذه الخواطر وأصداؤها كانت تثير في منذ زمن بعيد، وكنت أمن إلى الكتابة عنها بين الحين والحين، غير أن المناسبة التي كنت انتظرها كانت تفلت مني لهذا السبب أو ذاك.. أمّا لأنها كانت غير مؤاتية، أو ضعيفة الاستجابة، أو عرضية أو ظاهرة الانفعال والتكلف. وكل ذلك لا يفيد في إثارة دخائل النفس وتحريك أغوارها وكشف مظانها لتكون قاعدة الصدق في الحديث وبؤرة التعبير الأصيل وعلى كثرة ما قرأت عن المأساة، فان الذي

كنت افتقده أشد ما يكون الافتقاد وهو خلود أدبنا العربي – وفي القرن العشرين بالذات من أثر مسرحي واحد يعالج المأساة عرضاً دراميا جديراً بجلالها ومداولاتها وصنوف تأثيرها في مجمل التاريخ والأدب وكل دروب الحياة، انطلاقاً منها ورجوعاً إليها تقويماً للدرس وصيانة للأثر، وفضحاً للأستار الكثيفة من تبريرات الحكام، وتلبيات أذنابهم وجلاوزتهم وكتبت مسرحيات من أوائل القرن وتابعتها أُخر، وكلها عن المأساة لاهيه متغاضيه، متجاهله، وكأن الطالبيين وأشياعهم لم يهزوا التاريخ هزات متواليات. وكان انتظار طويل، كنت أحسبه ليلاً واجباً مديد العمر، خلت منه النجوم والأقمار. وأغلب المسرح العربي يعني بكثير من توافه الشخوص فيضعها هنا وهناك في مجالات الصراع منحدراً بالملهاة من شامخ اهتماماتها إلى حضيض المهزلة المبتذلة، جراً لمغانم آتية، من طريق إثارة أوسع الاجراء الهزلية، التي تتلاعب بالأحاسيس الرخيصة.

غير إنّ استطالة الزمن مع هذا النحو من المسرح، وهذا النوع من الإثارة قد أعاقت نحو مسرحنا وأخرت انفتاحه على المسرح العالمي، الذي لا يعرف قيمه للعبث والعابثين، وطال هذا الانتظار أكثر مما يجب، حتى وجدت نفسي وبمحض المصادفة قبالة ثنائية (الحسين ثائر –والحسين شهيداً) لعبد الرحمن الشرقاوي. وقرأت الثنائية بنهم ما بعده نهم، واستطعت أن أقول بعد جهد جهيد: «وجدتها» فما الذي وجدت؟ وهل اوفى الشرقاوي بالعهد؟ وهل تمكنت الثنائية من تسليط الأضواء على المأساة؟ وهل استطاعت أن تملأ الفراغ المرعب بالأسلوب المشرق شكلاً، وبالروح الحية مضموناً وإدراكاً؟ ليس لي بعد هذا إلاّ أن أحاول الإجابة عن هذه الأسئلة فلا فعل ...

ها نحن في رحاب المسرحية الأولى، فماذا نجد أول ما نجد؟ جماعة من أهل المدينة تنادوا للاجتماع في دار أحدهم للتشاور في أمر الأُمّة بعد أن قضى معاوية نحبه. وطبيعي أن تثور المناقشة في هذه المناسبة لتناول قضايا مهمة، فمؤيّدو الحسين ينصرون توليته الحكم بحجج: منها إن الأمة ليست غير الفقراء، وإنّ حكم الأمة ينبغي ان يستند على

الشورى، وإنّ الشورى التي كان معاوية يتوسّل بها – وهو في دست السلطان– لم تكن إلاّ لاستكمال أُبهة الحكم. ولهذا كانت الشورى – بهذا المعنى – فخاً لاصطياد الضعفاء، من طريق رجال كان كل همهم وعملهم ومشاركتهم في السلطة، لا يتعدى نطاق كلمة «نعم» الخبيثة. وإذا كانت دولة الظلم قد ولّت وأدبرت، فإن معاوية لم ينس أن يمد ظل هذه الدولة على ابنه يزيد. ومن ثم انتفت الشورى، لأنّ الناس لم يؤخذ برأيهم، ولو أجبر بعض سادهم على بيعة يزيد إجباراً، أو دفعتهم مصلحتهم إلى هذه البيعة اخياراً فإمارة يزيد لابد أن تثير «النقمة ... في النفوس الطيبة» لأنها «بيعة إكراه وخوف.. وطمع» ولما كانت الإرادة الطوعية أول شرط من شروط البيعة، وانتفاؤها في قضية تولية يزيد واردة أصلاً. فبيعته منقوضة شرعاً: والرجل الوحيد الذي يمكن أن يحظى بهذه الارادة الطوعية هو الحسين، فولايته هي الولاية الشرعية الوحيدة حتى لا تتحول دولة الشورى إلى أرث موروث لآل أمية. فالبيعة لا يمكن أن تنال قسراً أو طمعاً، وإلاّ انقلب إلى تسلط قيصري أو كسروي، وهذا معناه الاستهتار بأبسط شرائع القوم.

أمّا أصحاب يزيد فلا يذهبون مذهب الأكثرية، لأنّ الحسين وأصحابه أصحاب تقوى وورع، و(الدولة تحتاج إلى كيد سياسي حصيف) ذلك بأنّ لكل زمان دولة ورجالاً، وقد مضى عهد التقوى والورع، ليحلّ محله جديد هو عهد السياسة الحصيفة والكيد والمكر... وبما أنّ الحسين لن يسلك إلاّ مسلك أبيه، فيحكم الأُمة كما كان أبوه يفعل، بما عرف به من عدل وإنصاف وتسوية أمور الناس على وفق الحق والخير، بالضرب على أيدي الظالمين والأخذ بناصر الضعفاء والمسحوقين وهذا لا يتفق في شيء– مع مصالح الأغنياء الأقوياء، الذين يريدون من الدولة أن تكون أداة طيعة في أيديهم للاستزادة من الاستغلال، والتحكم في الرقاب، والارتفاع على الكواهل كما كانت الحال أيام معاوية، وكما كان يريدها أن تكون بعده! وبعد الاتفاق بين الوليد وابن الحكم، الاتفاق الذي يفلسفه الأخير بقوله: «كثرة الآراء تغري بالتردد، إنّ ضرباً

في رقاب الضعفاء سوف يعطينا ولاء الأقوياء» يجتمع حاكما المدينة بأبي عبد الله، فيعلمه الوليد ببيعة يزيد المزدوجة، بيعته التي يريد يعقدها الآن والأخرى التي عقدت قديماً، أمّا الأولى فليس لها قوام شرعي لأنها «أخذت في ظل إرهاب البوارق» أمّا الثانية التي يراد لها مثل الذي أريد الأولى، فهي لابد ان تكون قسراً واغتصاباً وتحت حد السيف وعندئذ لابد أن يكون الأمر قائماً على الإرهاب أو الطغيان أو البغي، وفي تلك الحال ينحسر الحق عن أهله ويصبح المال والقوة والاستبداد مطايا لافساد الضمائر وتخريب النفوس وسحب ثقة الناس من أنفسهم ومن قادتهم. ابن الحكم يمتطي صهوة المال ليحول بينه وبين خير الناس، فهو صاحب بيت المال، فمن حقه إذن أن يجود على من أرضيه وأن يقبض يده عمن لا يرضيه، لأنّه يتصور نفسه ظل الله على الأرض، بكل زهو وخيلاء. وظل الله ذاك. لا يمكن أن يكون الممثل الشرعي لمصالح سادات قريش، الذين لا يمكن أنّ يرتضي لهم ابن الحكم الهبوط من عليائهم ليكونوا سواسية مع رعاة الماشية.. بيد ان الحسين لا يجد الحال كذلك، بل يراه على الضد من ذلك، فالعمل ونيس المحتد هو الذي يسبغ على الإنسان القيمة الحقيقة لوجوده. الحسين يرى «الناس سواسية كأسنان المشط» ولكن «الظلم (الذي) يعشعش في أعماق النفوس الخربة» هو الذي جعل الناس لخطر الموت جوعاً، وهو خطر رهيب! ويتقدم بما في جعبته من رأى سديد، فإذا باغراء العطاء يزداد أكواماً أكواماً، إن كان أبو عبد الله راغباً في السلامة: وتجنب عواقب الفتن ولظى الثورات والانشقاقات والانقسامات والحرص على الحياة الآمنة في جو الرفاه وبحبوحة العيش..

بيد أنّ كلمة الحرص التي يلوح بها الوليد، لا تلبث إلاّ أن تنفجر بركاناً في قلب أبي عبد الله (حرص لعين) لأنّه يهون قيمة الإنسان فهو كالخوف يهدر إباء الرجل العزيز. من غير أن يطيل عمره لحظة واحدة وبعد أن يعجز الوليد عن استلال كلمة واحدة تومىء إلى شيء يسير من الاهتمام بما يراوغ به لتكن كلمة واحدة وحب

الحسين. ويجد باب الإباء مؤصدة في وجه تشتيتاته واحتيالاته والاعيبه، يعود إلى آخر سهم في كنانته، فيطلب من أبي عبد الله بضراعه غريبة أن يعتزل الناس. ويعتكف على تدريس علوم الدين والتقوى.

ولكن الكلمة التي يستسهلها الحاكمان بأمرهما، تظل في وجدان الحسين معنى المعاني. لأنها تعني الشرف والرجولة والمروءة والنبل، ومتى ما استلبت بالقهر والجور ضاعت كل هذه المعاني وتبددت كل هذه القيم، فالكلمة التي (زلزلت) المظالم وحضت (الحرية) واسبغت على الإنسان إنسانيته، تصبح مقبرة لمثل هذه الإنسانية إذا ما ديست في ثنايا التراب، بفعل الظلم وما يفتعله الطاغوت من أفانين! ومن ثم فالحسين يقف الموقف الصحيح الوحيد، لأنه لا يمكن أن يقف موقفاً غيره، وقد عرف شرف الكلمة وأدرك قدسيتها وارتضى لنفسه طائعاً مختاراً الدفاع عن وجودها تاريخياً. وبذا شق الحسين الطريقة الصحيحة في التاريخ العربي الإسلامي متأثراً بذلك سيرة أبيه التي لم تعرف المهانة أو المساومة، أو المخاتلة، أو المراوغة، وهذه الجدية من الحسين والحزم والعزم. جعلت ابن مروان يستل سيف الإجماع لمحاربة الحسين بدعوى أنّ الخروج على الإجماع بدعة وشق لعصا الطاعة، ومن ثم فمقاتلة الخارجين على طاعة أمير المؤمنين واجب ينبغي تنفيده وبأسرع وقت ممكن تجنباً لإراقة الدماء، ورأباً للشقاق والانقسام.

مروان ينصح الوليد بهذه المشورة بعد أن يكون الوليد قد عجز عن اقناع الحسين بالبيعة، ولكن أبا عبد الله يفوت على الوليد فائدة المشورة التي محضها له مروان، فلا يجد معنى للانتصاح ولا للراحة و(الحق والحرمان والعدل) أيعز من معنى للراحة واستباحه كل منهن شرط من شروط هذه الراحة؟ فمن حق الحسين إذن ألاّ يجامل في مثل هذا الحق، وألا يهان أو يصانع، أو يداجي أو يجاري.. إنّ المسألة مسألة مبدأ ومتى ما تتزحزح أساس المبدأ، فلم يبقَ لكيانه أن ينتظر شيئاً غير الانهيار. وثبات المبدأ – عند الحسين– أمرٌ مفروغ منه. ولهذا فقد تحتم على الوليد أن يتعثر بأذيال خيبته، وأن ينهار

هو أمام صمود الحسين وأن يبدى هذا الانهيار في كلماته:

«علامَ يقوم إذن ملكنا؟ أنبنيه فوق ذيول الكلاب؟ أنبنيه فوق ذليلي الرقاب.. فوق رؤوس الثعالب».

وبهذه الكلمات التي لا تحتاج إلى شرح وإفاضة، بدفع الوليد -صاغراً- حكم للظالم بميسم الذلة والصغار والتفاهة! وفي منظر آخر نجد بعض أتباع الحسين يرتاؤون عليه هذا الرأي أو ذاك وكلهم مخلص فيما فاعل إلا الشيخ أسد الذي يبرر التنازل بوفائه لخير الجميع، وحقناً للدماء التي سالت بما فيه الكفاية. الشيخ أسد هذا ضرب على وتر تجنب الفتنة لأنّها ستؤدي إلى (القتل والحرق وألوان الخراب) وهل على ذلك فالحكمة تفترض التنازل، ولو إكراهاً واعسافاً وتفترض المسايرة والحجارة.. وهذه هي حال الدنيا على كر العصور وتعاقب الأيام. الحكمة هذه يرفضها الحسين رفضاً باتاً، لأنّ (أكثر الناس ضلالاً عارف بالله لا يهديه قلبه) وعلى ذلك إن كان هذا الرفض سكوتاً، فلن يصيب الحسين الهدوء الذي يرتجيه، لأنهم لن يطمئنوا إن لم يدركو ما يطلبون ومن الحسين بالذات السكوت قد يكون مجلبه للاصلاح وبراً وسلاماً، ولكنه لن يفسر إلا بصفته الحقيقية، بصفته رفضاً للبيعة وإشارة للانتفاضة، وليس للحسين إذن من خيار غير الانتفاض والثورة على الظلم.

أدلهم الخطب إذن، وجاء دور الامتحان امتحان الضمير واختيار صلاحه واثبات صموده أمام الملمات والكوارث والمحن. ترى أممكن لأبي عبد الله يمنح يزيد (بيعة ذل) ليطمئن على نفسه واله وشيعته (مثل شاه في قطيع)؟ أم ترى يجهر بالثورة في وجه الطغاة؟ السؤالان واردان، وهما جناحا مأساة الحسين ومأساة كل قائد إنساني في موقف يماثل موقف الحسين.

وفيما أبو عبد الله يتأمل في أشباه هذين السؤالين، يظهر له عن كثب أخوه محمد

ابن الحنفية كأنّه إعصار جبار هب ليقتلع أركان الطغيان، وكل جبار عنيد، هب يطالب الحسين وأتباعه أن ينقذوا العالم (المجنون الذي ظل طريقه) أن ينقذوا (الدنيا من الفوضى وطغيان المخاوف) وكيف لا وقد (قامت لأهل الشر دولة)؟ فماذا يكون من عزم الحسين وقد رأى أخاه ناراً تتأجج وثورة تتماوج، ورجولة كلها إباء وشمم، أيكون أخوه أمضى منه حداً، وأهدى منه سبيلاً، وأشدّ منه على البغي مقتاً؟ يقسم أبو عبد الله ألاّ يترك الظالم حتى يأخذ حق المظلوم منه، واذن هي الثورة، هي الحرب العوان التي لا محيص منها ولا مناص. وهنا تبرد حرارة محمد بعد التهابها، لأن الحرب تعني ما تعني بالقياس إلى الحسين، وهو -وقد جد الجد- لا يريد لأخيه أن يحل به ما حل بأبيه، فلهذا السبب بالذات تضرع بأخيه ان ينأى بنفسه عن الخطر، لأن أعداء الحسين من أغلظ الناس أكباداً وأشدهم حقداً وأبعدهم صيتاً في تأريث العداوة، وأفضعهم فتكاً، ولكن ماذا يعني ذلك النأي عن الخطر، ألا يعني قبول بيعة طاغية مستبد؟ ألا يعني بيع كل ما ثمن وغلى وشرف واعتلى في سوق النخاسة في مقابل ذلة ذهبية ويقرر الحسين أمره إقراراً لا رجعة فيه ولا انتكاس، وتسمع أخته زينب بهذا الأمر، فتهتز لوعة وأسىً، لأنها تعرف معنى ذلك الأمر وذلك القرار، ويتدارك مخاوف زينب بالتلويح بالنداء فيقول: «فإذا نوديت فلا مهرب» معلقاً قيامه بالأمر بهذا النداء. وتدرك زينب ما في قرارة أخيها فتقول: «فلينهض غيرك للأشرار، فليس لأهل البيت سواك» وهنا ينطق الحسين بلسان القدر قائلاً: «جف القلم بما قد كان! » فلا فائدة اذن في تضرعات زينب أو محمد ولا مندوحه من الجهاد في ساعة عسيرة تتطلب الجهاد. صحيح إنّ الدولة قد شيدتها المطامع والمخاوف، فما هو صانع في هؤلاء الذين اختطفتهم المطامع لبيعة يزيد أو دفعتهم المخاوف لهذه البيعة؟ هؤلاء بحكم مصلحتهم أعداء الداء، ولهذا السبب بالذات لابد ان يحسب لهم كل حساب وأن يقرر ما يمكن أن يقرر من حقهم، فيما لو استتب له الأمر ورجع الحق إلى نصابه.

وتشدد الحال سوءاً وتتظافر زمر الأعداء في المدينة، حتى لا يجد الحسين مفراً من اللجوء إلى مكة، وهناك يلتقي بابن عمه ابن جعفر، فيعلمه الأخير بكل تفاصيل المؤامرة المدبرة بحقه من قبل زبانية يزيد، ويزيد على ذلك رأيه في مهادنة الطغاة، حتى تهدأ سورة يزيد، وينفسح له المجال، بعد أن يشتد أزره، فينتقص على ما فعله من مهادنة، ويكون، قد تمكن من تحقيق مأربه والوصول إلى هدفه، في ظروف غير الظروف التي يمر بها الحسين وهو لائذ بأعتاب الكعبة. وهنا وقد رأى أبو عبد الله ما راى من ابن عمه، هبط على نفسه كآبة حزينة سحابة داكنة من الأسى تثقل على نفسه، وماذا حاله غير تلك إذ «أصبح الخير طريد، وغدا الحق شريداً، والدنيا تزدهي بالطيلسان»؟

ماذا ينتظر من باطل يعتلي عرشاً؟ ومن ملك ملكه الزيف والنفاق والدجل؟ ومن حكم مبني على الرياء والبغي والمذلة والمسكنة؟ ومن دنيا ذليلة، الخوف فيها ملك ذو سلطان وصولجان؟ ومن حياة كلما طالت أصبحت ناراً وعذاباً وشراً لا نصيب إلاّ الرجال الأخيار؟ عند ذاك لابد أن (يختنق ضوء النجم في الليل الثقيل) وتصبح الحكمة مذلة، ويرتفع صوت الفجور عالياً، وينخفض إباء النفوس ليحل محله سلطان الإرهاب وعاد الطاعه، (ويصير الصمت والإذعان من حزم الأمور) ويتم للسلطان كل ما يشتهيه من أفانين الاستعباد والاستذلال والاسترقاق، فلا تعود الدولة إلا ضيغة كبيرة يتلاعب بمصيرها السلطان كما يتلاعب الطفل بالكرة!

الأمور تتأزم شديداً وبصورة سريعة مذهلة، فماذا يفعل أبو عبد الله؟ لابد له أن يفعل شيئاً ليتأكد من أحوال شيعته في الكوفة ومدى تأييدهم له. وماذا يفعل خيراً من إرسال ابن عمه مسلم. ويذهب مسلم بن عقيل ويستقبل الفاتحين، ويحاصر ابن زياد في قصر الإمارة، ولكن مكر الأخير الذي عرف به سرعان ما يحول الحصار إلى مطاردة تتعقب آثار مسلم حتى يتم القبض عليه وتلقى جثته من أسوار القصر المنيف. وقبل أن يتم ذلك تكون رسائل مسلم ومؤيدي الحسين قد وصلت إلى أبي عبد الله. ويكون

التشاور الأخير بين الحسين ولاسيّما أتباعه قد وضع اللمسات الأخيرة على المنظر الجديد، المرعب الفاجع، الذي كان – في الواقع تجسيداً دراميًّا حياً لإرادة الحسين في شق الطريق نحو الشورى والحرية والكرامة الإنسانية، ولما كان هذا التشاور منحى خطراً حاسماً في طريق الشوك والآلام والمآسي، طريق الدم والموت والفجيعة، طريق الحسين. فلا مناص من الإلمام يسيراً. مما جرى قبل أن يتخذ أبو عبد الله قراره النهائي. محمد بن جعفر يعرض حقيقة ابن زياد بقوله: «إنّه يملك في الكوفة الآن الفساد. يملك المال والسلطة، والضمير الميت القادر على أن يلوي أعناق العباد» وهذا يعني إنّه يريد من ابن عمه التمهل والانتظار، بينما حال الحسين تنطق بهذه الكلمات: «لا... بل انهض لاناضلهم.. لا بل انهض ضد الظلم وضد البغي وضد الجور» حفاظاً على حقوق الضعفاء وأخذاً بأيديهم، لأنّ المنكر لا ينبغي السكوت عنه حتى الموت. وآراء الحسين هذه تثير حزناً عميقاً في نفس ابن جعفر، لأنها تشير إلى نهاية معلومة مسبقاً، فليقدم ابن جعفر إذن وساطته فعسى ولعل.. غير إنّ الحسين وقد أدرك ما هو فيه من حرج، من ذئاب الليل وثعالب النهار، من صمته الثقيل الفظيع، من الخنجر الغدار الذي سيطارده أينما يمضي، لا يرى مفراً من التحدي لأنّه الطريقة الوحيدة الباقية أمامه وبخاصة وقد وصلته رسالة مسلم وصرخات المعذبين في أرض العراق، فضلاً عن أنّه – لو فرضنا المستحيل– والتزم أبو عبد الله الصمت فهو لن ينجو من إحدى اثنتين أما البيعة وأمّا الموت. وهكذا قدرللحسين أن يسير ليرد (غاشية المظالم) وإذا كان الحسين سيقتل حتماً بسبب الظروف الغريبة في الكوفة، فإنّ العبرة ليست في قتل الحسين. إنّما العبرة فيمن قتلوه ولماذا قتلوه؟ العبرة في الثأر الأعظم، ثأر الحسين، في الثأر من كل سفاح مهما يكن ومن تابعه من قتلة الحسين على مدى التاريخ الذي وضع أبو عبد الله أساساً جديداً له ببعد نظره وحكمته وأصالة إيمانه بحق الفقراء والضعفاء الذين ظلوا ينتظرون مخلصاً من السماء قروناً وقروناً، فجاء استشهاد أبي عبد الله تعبيراً جديداً لهذا الخلاص،

لانه انبثق من إرادتهم في أن يكونوا بشراً أسوياء، لا ماشية هملاً يساقون للذبح، وهم محنيو الرؤوس، متثاقلو الخطى، عبيداً لإرادة جبار شديد، كريه، مقيت، اسمه (ملك) لأنهم جميعاً مملكون. وقبل أن نساير أبا عبد الله، في مسيرته الدامية، ينبغي لنا أن نلتفت إلى سلوك ابن زياد وكيف تمكن من لي رقاب أهل الكوفة، ابن عروة يجد الأمر غريباً كل الغرابة، وفي الحق إنّه غريب، إذ كيف ينقلب الناس بين عشية وضحاها هذا الانقلاب المفاجئ ومن ثم فمن حق ابن عروة أن يتسائل: «كيف بالله قلبت الأمر حتى صار لك؟» فيجيبه ابن زياد ضاحكاً: «قد أخفت الناس حتى رهبوا، وبذلت المال حتى رغبوا» وطريق ابن زياد هذه، هي طريق جميع الساسة الطغاة، المحنكين الذين لا يعتبرون «الحياة غير صياد وصيد» ومن ثم ففي الغابة الكبيرة لا يعيش أخو عدل لا يملك سيفاً قاطعاً وقوساً ونشاباً. وإلاّ كان هو أول الصيد. وموقف ابن زياد وهذا موقف منطقي ومنسجم مع مجمل سلوكه، غير أن سلوك أسد الحربائي، الذي تمثل بالتلاعب بالمشاعر، والتنقل من صف واللعب على حبال المساومة والمخادعة، هذا السلوك هو الذي ينبغي أن يفتح عيون الناس جميعاً، فأسد الحجازي صاحب الضياع الواسعة في الكوفة، لا يمكن أن يكون – بأيّ حال– مؤيداً للحسين ولو تظاهر – في أول الأمر بذلك– لأنّ مصلحته العليا تتنافى ومصلحة الحسين وأتباعه، والسائرين في أثره.. مصلة هذا الرجل جعلت منه منادياً منه متطوعاً يبحث عن رأس مسلم قبل مقتله، وجعلت منه سنداً يركن إليه ابن زياد باطمئنان وثقة! ومشهد الاختلاف في قضية مسلم بن عقيل مشهد فيه خصوبة درامية رائعة التفنن، عميقة التحليل، سليمة المنطق، قوية الأداء زخمة العطاء، فالمختار الثقفي يمثل الجانب الثوري الصادق، يمثل الموقف الصارم الحازم الذي لا يعرف التساوم والتخاذل أو التراجع، فالمختار يذكر القوم بالعهد والذمة، ويحذرهم من الخيانة والجبن ويستثير إباءهم وشهامتهم ومروءتهم، وها هو يعبر عن كل ذلك بقوله: «تذكروا إن نحن خنا عهدنا ماذا يكون؟ ستعربد الأشباح فوق

شموخنا. سيبصق الأطفال فوق قبورنا..».

ويؤكد (الشيخ) المختار في رأيه الصائب الجريء، غير أنه يتملص من هذا التأييد باستناده على حجة القدر البالية، فالقدر هو الذي رمى بابن زياد، ومع أنه (فاجر يقتل بالظنة والريب ويلهو بالدماء) فهم مضطرون للإذعان له، لذلك «إنّ المكره المضطر لا إثم عليه» وهكذا تغدو (الحكمة والرأي.. والتقوى) تجارة رابحة ومصداق ذهل هو ما يتفضل به (التاجر) من آراء، ومن هذه الآراء الحكيمة: «هذا الرجل (يعني ابن زياد) يعطي في سخاء» وعلى ضوء هذه الحكمة يسير سائر شيوخ مذحج ومراد، فإذا بالرؤوس تنحني أمام الذهب، وإذا بالحشود التي نفرت لنصرة الحسين تضافرت لاستقباله، تتناثر وتتبعثر وتتلاشى، وإذا بالمختار يبقى وحيداً يتآكل قلبه الكمد لأنّ «الآكلين على المآدب كلها، السابحين وراء تيار الزمن الباحثين عن السعادة الماثلين إلى الشموس إذا طلعن.. يتسلقون إلى ذؤابات الشجر» وهذا التشبه المتسلسل للوصوليين، فيه إيماضات ولمعات تخطف البصر لما فيها من أوج الحق وسلامة المنطق وإصابة الهدف ودقة الوصف، وإذا اضفنا إلى ذلك قول المختار وهو يدفع المنافقين بما يستحقون من سمة! الطابعون على شفاههم ابتسامات النفاق مطبعة تحت الطلب. الراسمون على ملامحهم جهامات الكآبة والتأمل والترقب.

استطعنا أن نحس بالنار التي كانت تسرى في عروق المختار وهو يجد الحق يذبح ذبحاً، والباطل ينتصر انتصاراً رخيصاً هيناً، وعيون القوم غافية، بل غارقة في نوم عميق، سخيف، ثقيل، ذليل وتمضي صيحة المختار هذه لتلف نفسها بطيات الرياح الهوج، ويبقى المختار مثخن النفس جرحاً.

مثقل الروح هماً، لأنّ العاقل من ينافق، لأنّ المجرم من يجابه السلطان، لأنّ (من يشرب قلبه بعض الحاكم تكثر أحزانه) وبخاصة و(الناس يؤخذون بالنوايا.. بالأفكار

المكتومة، بالخلجات والخفقات وهمس الهمس) هذه هي فلسفة ابن زياد وهي فلسفة ذوي السلطان طوال هذه الدهور الموغلة في العراقة والقدم ولو لم يكن الأمر كذلك لما كان يمكن لنخاس كابن زياد أن يبتاع ولاء الأمّة بحد السيف أو ببارق المطامع، فيتمرغ الأذلون في الذهب كما تتمرغ الحمر في أكوام التبن، وإلاّ ما تتداعى أشراف الكوفة على الذهب، كما تتداعى الغربان على الجثة النتنة، وإلاّ ما مس الأبرار صرٌ وأباؤهم أغلى من ذهب الدنيا قاطبة. وإلاّ ما «دب على قدميه الرجل وليس سوى جدث في نعش» كما يقول المختار محسناً في القول والتشبيه معاً. وإلاّ ما استطاع ابن زياد ان يكون قضاء الله حالاً في الدنيا بأخذ الناس بالهمس بل بالخلجات الراجفات. وممن يقف في صف المختار زيد بن الأرقم، الفقيه، المفكر، الذي يخشاه ابن زياد أشد الخشية، لأنّ الرجل ذو فكرة، فهو اذن أخطر أهل الأرض طراً ولأنّ الفكر والفقه لا يمكن ان يجد له موضع قدم في ظل الإرهاب وظلمة الجور، وغاشية القهر.

وهذا أمرٌ يصح قبوله حتى عند الشيخ أسد، الذي لا يفلسف أيّ ما يصلح شأنه، ويعلي مقامه لدى الأمير الجليل ابن زياد!

وإلى هذا البلد، المكفهر، المقهور، الخانع لابن زياد، يتوجه أبو عبد الله، وهو يحسب أنه يتوجه إلى بلد المكرمات والمروءات البلد الأمين، الذي سيحمى ذماره، ويفتح له صدره،ليكون منطلقة إلى ما يصبو إليه من نصر على الطواغيت، وهم في عقر دارهم..

وبعد مسيرة العديد من الأيام، في أشد ما تكون هذه الأيام حراً وغباراً ونصباً، تصل قافلة أبي عبد الله إلى مشارف الفرات ليستقبلها عدد ضئيل من أصحابه في الكوفة، وعلى رأسهم برير فزعين من جور ابن زياد لائذين بالحسين ثم يتبعهم أعرابي مع ثلة من صحبه، يتوج هؤلاء جميعاً مراد ومذحج، يتم إجماع بين كل أولئك وأبي

عبد الله ومن معه وتتطاير أخبار الشر ويتضح مقتل مسلم وتلوح الكارثة التي تنتظر الجميع ويدلي الأعرابي بدلوه وينصح الحسين قائلاً :

«**عد ولا تمض إلى من خذلوك**».

فيرد الإمام بعزم راسخ :

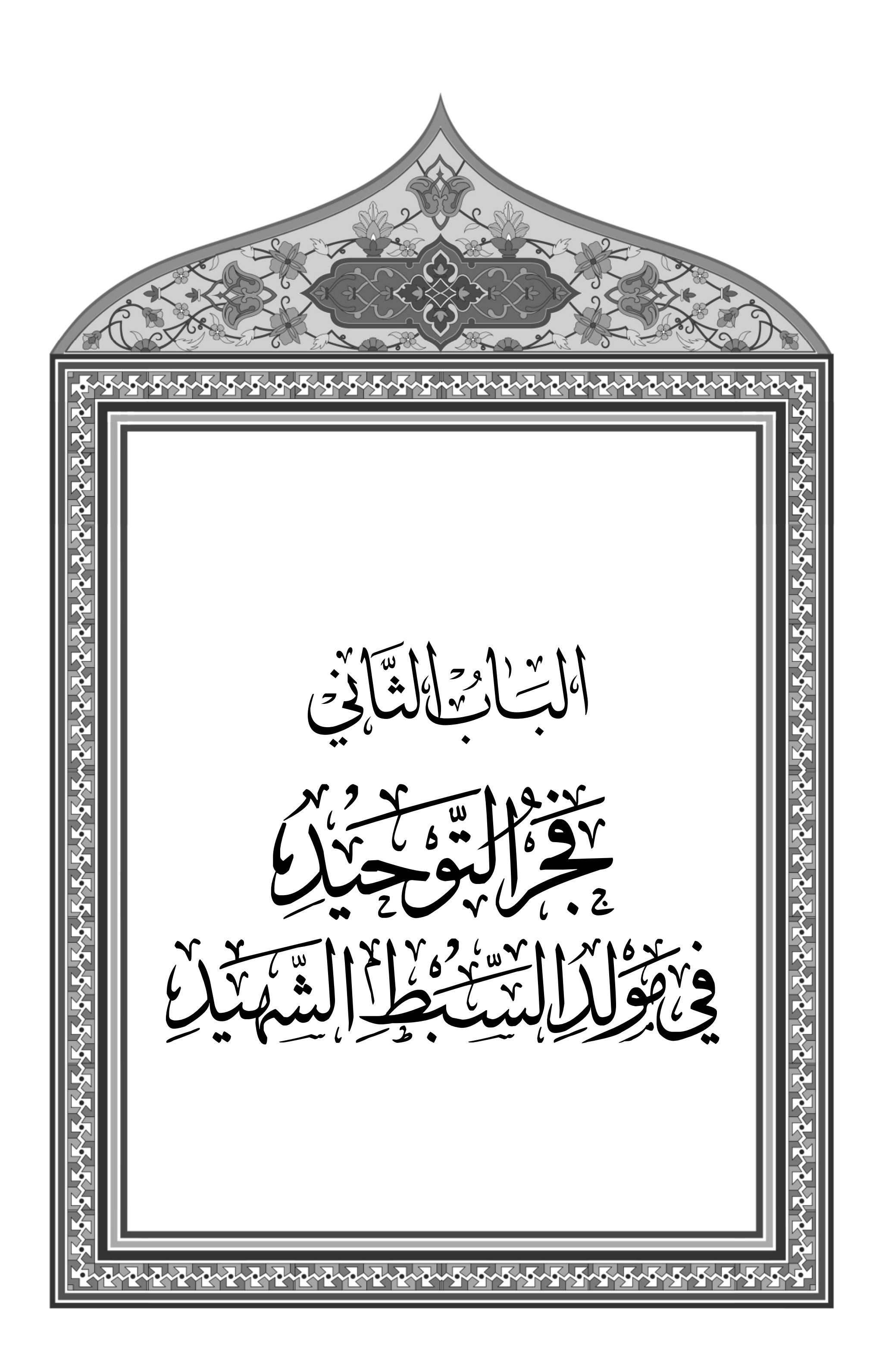
«**إنما هذا طريقي ليس لي غير ارتياده**».

ويتفضل شيخ مراد على القوم بنصيحته : «نحن يا سبط رسول الله لا نغدر بك، غير أني حائر والله في الأمر، إذا كانت هي الحرب الضروس، فكلا الحزبين مسلم» فإذا النصيحة حكمة الشيوخ، حيرة ظالمة مظلمة، حيرة تنكر حقاً ناصعاً، لتحل محله باطل الذل، وحقهم المسكنة، وفقر الضمير، والتشبث الرخيص بنشب الدنيا الحقير لزوغان في البصر وعمى مصطنع، وضلال مفتعل.. فما مرد كل ذلك وما مصدره؟ إنّ مصدر كل ذلك، وكل ماله صلة بذلك عن تبريرات وتحذيرات وتحفظات، هو الخوف من المسؤولية في الساعة الحاسمة، الخوف الذي يفسد في الإنسان فعالية الحرية واختيار المواقف وتحديد التخوم، الخوف الذي يقهر النفوس الضعيفة، فيبدد قممها ويحطم روحها، ويمزق كيانها الإنساني، شيخ مراد هذا يعترف بهذا الخوف قائلاً : «إنّ بعض الخوف يقهر.. » فيرد عليه الامام قائلاً : «إن تخاف الله أولى بك من خوف الولاة» وعند هذا الحد الحاسم من المسألة، يضع شيخ مراد القضية في موضعها الإنساني بقوله : «إنّ هذا الامتحان لنبي.. نحن لسنا أنبياء» وفي هذا الوضع الذي يصطنعه شيخ مراد تتبين حقيقة ذات دلالات، وهي إنّ اعتماد «الأشراف» لقضية شريفة، أمر فيه كثير من المحاذير في ساعة الحسم ساعة تقرير المصير، لأنّ مصلحة «الأشراف» قد تتضارب مع القضية الشريفة في أغلب الأحيان، وعندئذ تكون طريق الخذلان، طريق الأمن والسلام والعافية، هي الطريق الوحيد التي يسلكها «الأشراف» لكي تبقى نعمتهم في محلها

الرفيع وجاههم في علياء مقامهم عند ذوي السلطة والنعمة والأيـادي البيض والخيرات الكثيرات. و«إذا ما سامهم (السلطان) سوم الإبل» واقتضاهم ميثاق الـذل وبيعـة فلـيس لهم إلاّ أن يخنعوا ويـستظلوا بظـلال أولي الـنعم، لأنّ هـذا شـرط مـن شـروط الوجاهـة والحكمة والشرف والسيادة. وإذا كانت زينب أخت الإمام تريد أن تعمل شيئاً من أجـل أن ينفر الرجال في نصرة أخيها، فإنها لم تجد فيما أجارت فيه خيراً من قولها: «لأن يشهر سيف فوق هام المفسدين الظالمين، لهو عند الله أزكـى مـن جهـاد المـشركين» ذلـك إنّ في هذا القول حقاً، وأن يكن جريحاً، فهو حق منتصر لا محالة في النهايـة. ويـأتي دور شـيخ مذحج ليجيب عن سؤال بشر: «إنكم أصحاب حق.. فلماذا تنكصون؟» فإذا به يقـول لافض فوه: «نحن نرجو أن يعود العز فينا، غير إنّا ينبغي أن نتشاور» فإذا هـذه الـشورى في ساعة الخوف، غير (غطاء للنذالة) كما يقول سعيد والـبطش الـذي هـو أداة الخـوف، (يخفى الحق حتى عن عيون العقلاء) ويجعلهم كما يقول برير (يتـسكعون ببعض وديـان الضلال) وهكذا أضاع الحق، وانثلم حده وتناثر أنصاره بدداً، في مواجهـة نهـر الفـرات، ليتسلم نثاره أبو عبد الله ورهطه في وحدة قاسـية، ويقـل أصـحاب الحـق سـاعة حـتى لا يظـل - في الـساحة منـهم غـير سـبعين وحـسب. ومـن هـذا المـشهد المهيـب، وطريـق اللاعودة، والإخلاص لراية المبدأ يبدأ الموكـب الفـاجع، موكـب الـشهداء في الـسير نحـو الحتوف ببطولة خارقة وشجاعة تمرغ جباه الجبابرة[١٣٩].

---

(١٣٩) مجلة الرابطة -النجف- العدد-٣- السنة الأولى- ١٩٧٤/ ص ١٩.



الباب الثاني

فجر التوحيد في مولد السبط الشهيد

﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾.

سورة الزمر: الآية ٦٩

توطئة

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على رسوله الصادق الأمين، وعلى آله الطيبين المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

وبعد: هذا هو الكتاب الثالث من سلسلة مقالات في العترة القسم الخاص بمولد سبط الرسول الأعظم وريحانته سيد شباب أهل الجنة سيد الشهداء الحسين بن علي عَلَيْهِم السَّلاَم، وقد أسميته فجر التوحيد في مولد السبط الشهيد.

ولد الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم في الثالث من شهر شعبان (لسنة ٤) للهجرة النبوية المباركة على مهاجرها ألف الصلاة والسلام، فكانت ولادة الإمام الحسين بن علي سبط رسول الله وقرة عين الزهراء البتول سلام الله عليها نوراً يهدي إلى نور نوراً يملأ الآفاق ليدل على الحياة، فيحمل فيضاً من قلب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم الأمين العطوف على حفيده، وفيضاً من أنوار الحقيقة العلوية المقدسة التي لا يقف شعاعها في آفاق الفهم والمعرفة، وفيضاً من فاطمة الزهراء عَلَيْها السَّلاَم عند سدرة المنتهى.

فكان المولود المبارك والملكوت الرباني نفحة قدسية، وروح من أمر الله، خلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وفضله على كثير من خلقه.

أما شهر شعبان فقد ورد في الأخبار عن أئمة الهدى عَلَيْهِم السَّلاَم في فضله وأعماله روايات كثيرة، وقد ورد عن أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلاَم إنه كان يدعو في اليوم الثالث من شهر شعبان وهو ميلاد الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم بهذا الدعاء:

اللـهمّ إني أسئلك بحق المولود في هذا اليوم الموعود بشهادته قبل استهلاله وولادته بكته السماء ومن فيها والأرض ومَنْ عليها ولما يطأُ لابتيها قتيل العبرة وسيد الأسرة الممدود بالنصرة يوم الكرةِ المعوض من قتله أن الأئمة من نسله والشفاء في تربته والفوز معه في آوبته والأوصياء من عترته بعد قائمهم وغيبته حتى يدركوا الأوتار ويثاروا للثار ويُرضوا الجبار ويكونوا خير أنصار صلى الله عليهم مع اختلاف الليل والنهار اللهمّ فبحقهم إليك أتوسل وأسئل سؤال مقترفٍ معترفٍ مسيءٍ إلى نفسه مما فرط في يومه وأمسه يسألك العصمة إلى محل رمسه اللـهمّ فصل على محمد وعترته واحشرنا في زمرته وبوئنا معه دار الكرامة ومحل الإقامة اللـهمّ وكما أكرمتنا بمعرفته فأكرمنا بزلفته وارزقنا مرافقته وسابقته واجعلنا ممن يُسلم لأمره ويُكثر الصلاة عليه عند ذكره وعلى جميع أوصيائه وأهل أصفيائه الممدودين منك بالعدد الاثني عشر النجوم الزُهر والحجج على جميع البشر، اللـهمّ وهب لنا في هذا اليوم خيرَ موهبةٍ وأنجح لنا فيه كلّ طلبةٍ كما وهبت الحسين لمحمدٍ جده وعاذَ فطرس بمهده فنحنُ عائذون بقبره من بعده نشهد تربته وننتظر أوبته آمين ربّ العالمين.

ولشهر شعبان ذكريات خاصة في نفوس محبي آل محمد عَلَيْهِم السَّلاَم، ففي اليوم الثالث منه ولد الإمام الحسين بن علي عَلَيْهِ السَّلاَم وفي اليوم الرابع منه ولادة العباس بن علي عَلَيْهِ السَّلاَم، وفي الخامس منه ولادة الإمام علي بن الحسين زين العابدين عَلَيْهِ السَّلاَم وفي اليوم الحادي عشر منه عقيقة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم للإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم، وفي اليوم الثاني عشر منه مولد علي الأكبر عَلَيْهِ السَّلاَم، وفي اليوم الخامس عشر منه ولادة الإمام المهدي الحجّة ابن الحسن (سلام الله عليه).

وبفضله قال الشاعر:

لشهر شعبان فضل ليس يحصيه — إذْ كان مولد سبط المصطفى فيه

سبط النّبي ونجل الطهر حيدرةٌ — من فاق جاهاً ونال السؤل راجيه

صلى عليه آله العرش ما سجعت — ورق وما مال غصن في تثنيه

حينما نستذكر تاريخ مواليد أو وفيات أئمتنا عَلَيْهِم السَّلاَم فإننا لا نريد أن نُذكر أنفسنا بأن إماماً قد ولد في مثل هذا اليوم أو إن إماماً آخر قد توفاه الله... كما لا نريد أن نقول للعالم اثبتوا في تقاويمكم بعلامات بارزة إن في هذا اليوم حدثاً هاماً لنا فإننا لسنا بمقطوعي الجذور عن مجدٍ تزعمون أنّه قد ولّى؟ فما أهمية كل ذلك؟ إذْ لو كان الهدف – العياذ بالله – مجرد الاستذكار أو مجرد ملأ التقاويم بعلامات حمراء نُعرف بها لما جاز أن ندّعي بأننا حملة الوعي الرسالي الذي أرسى قواعده الوحي الإلهي، ولجاز للناقد البصير أن يظن فينا أسوء الظن.

فضلاً عن وسمنا بأقذع ألفاظ الأزدراء والتحقير، ويكون بذلك غير ملوم، لأن الوعي الرسالي يربأ عن التصنع وعن التكلف، إن الجواب الحق يستلهم من المعاني التي جسدها شخصية أئمتنا، أعني إنك حينما تنظر إليهم بمنظار شخصياتهم المستقلة تكون بمنأى عن فهمهم لأنك بنظرك هذا تكون قد فصلت بين الشخص الخارجي، والمعنى الذي ينضوي تحته وجوده كصانع لتاريخ أمته، وبعبارة أخرى فإنك حينما تنظر – مثلاً – إلى الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم من ناحية شخصيته بوصفه الرجل الذي ينتسب إلى أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم مع كل المزايا الأخرى في المظهر والجوهر ولا تلتفت إلى أنّه عين الرسالة التي جاء بها النّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم فإنك تكون مقصراً. ينبغي عليك أن تفهم أن ميلاد الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم ليس مجرد ذكرى بل هو ميلاد أمة بأسرها، وإنها بدونه ما ولدت ولن تولد. كما ينبغي أن تدرك بأن استشهاده ينبوع حياة لكل مسلم وجد أو سوف يوجد، وهوية لكل مؤمن غيور على مبادئ دينه...

إذا فهمت أنّ استذكار الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم إنما هو استلهام نفحات روح الإسلام لبلوغ دار السلام فأنت أنت، وإلا فلا.

وهكذا يبقى الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم رجل المبادئ الذي لم يساوم أبداً على مبادئه وعقيدته، إنه رجل الحق والإنسانية الذي لن يجود الزمان بمثله أبداً، حقاً إنه معجزة التاريخ والأجيال.

في هذا الكتاب من السلسلة سأحاول ما وسعني الجهد أن أجمع البحوث والمقالات ذات الفيوضات الدينية والتحقيقات العلمية، فهي مقالات وبحوث من منبع الثقافة الإسلامية الأصيلة، والتي هي سبحات رسالية غايتها نهج الحق.

وسأدخر لنفسي أربعين حديثاً في الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم لما ورد عن أهل البيت عَلَيْهِم السَّلاَم في الحديث الشريف

«من حفظ من أمتي أربعين حديثاً ينتفعون بها بعثه الله يوم القيامة فقيهاً عالِماً».

وأسأله تبارك وتعالى الملك العزيز القهار أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، إنه نعم المولى ونعم النصير.

ولست أستطيع أن أترك القلم دون أن أسجل في خاتمة هذهِ المقدمة شكري الخالص وتقديري العميق لكل المؤمنين الّذين أبدوا لي يد العون والمساعدة على ما أسدوا من نصح يدل على سخاء نفوسهم وحسن ظنهم بي، وأنا العبد الخاطئ القاصر المذنب المقصر.

عبدالسادة محمد الحداد

٧ ذي الحجة ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢/٢/٢٠ م

النجف الأشرف

الأربعون حديثاً في الإمام الحسين عليه السلاَّم

١- ألق من نور

لما حملت الزهراء (سلام الله عليها) بالحسين عَلَيْهِ السَّلاَم قال لها النّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم:

«إني أرى في مقدم وجهك ضوءاً ونوراً، وستلدين حجّة لهذا الخلق».

وقال الزهراء (سلام الله عليها):

«إني لما حملت به كنت لا أحتاج في الليلة الظلماء إلى مصباح»[1].

٢- الحسين مصباح الهدى

روى عن أبي عبد الله الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم قال:

«أتيت جدي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم فرأيت أُبي بن كعب جالساً عنده فقال جدي مرحباً يا زين السموات والأرض فقال أُبي يا رسول الله وهل أحد سواك زين السموات والأرض فقال النّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم يا أُبي بن كعب والّذي بعثني بالحق نبياً إن الحسين بن علي في السموات أعظم مما هو في الأرض واسمه مكتوب عن يمين العرش إن الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة[2].

(١) الخصائص الحسينية، جعفر التستري (ت ١٣٠٣هـ) المطبعة الحيدرية، النجف ١٩٥٦ / ص١٨-١٩.

(٢) مدينة المعاجز: هاشم البحراني (ت١١٠٧هـ)، طبعة حجرية ١٢٩٨ هـ /ص٢٣٧.

٣- لم يرتضع من أنثى بل من إبهام رسول اللّه صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم

عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلاَم في حديث قال:

«لم يرضع الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم من فاطمة ولا من أنثى كان يؤتى به النّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم فيضع إبهامه في فيه فيمص منها ما يكفيه اليومين والثلاث فنبت لحم الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم من لحم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم ودمه[٣].

٤- الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم في مهدهِ

روي في بعض الكتب المعتبرة عن الطبري، عن طاووس اليماني إن الحسين بن علي (عَلَيْهِما السَّلاَم) كان إذا جلس في المكان المظلم يهتدي إليه الناس ببياض جبينه ونحره، فإن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم كان كثيراً ما يُقبل جبينه ونحره، وإن جبرئيل عَلَيْهِ السَّلاَم نزل يوماً فوجد الزهراء عَلَيْها السَّلاَم نائمة، والحسين في مهده يبكي، فجعل يناغيه ويسليه حتى استيقظت، فسمعت صوت من يناغيه فالتفتت فلم تر أحداً فأخبرها النّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم إنه كان جبرئيل عَلَيْهِ السَّلاَم[٤].

٥- اسم الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم

عن علي بن الحسين (عَلَيْهِما السَّلاَم) قال:

«حدثتني أسماء بنت عميس الخثعمية قالت: قبلت جدتك فاطمة بنت رسول الله بالحسن والحسين، قالت: فلما ولدت الحسن جاء النّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم فقال: يا أسماء هاتي ابني، قالت: فدفعته إليه في خرقة صفراء، فرمى بها وقال: ألم أعهد إليكم أن لا تلفوا المولود في

(٣) مدينة المعاجز: هاشم البحراني (ت١١٠٧هـ)، طبعة حجرية ١٢٩٨ هـ / ص٣١٧.

(٤) بحار الأنوار: محمد باقر المجلسي (ت١١١١هـ)، المطبعة الإسلامية، طهران ١٣٨٥هـ، ج٤٤ /ص١٨٧.

خرقة صفراء، ودعا بخرقة بيضاء فلفه بها، ثمّ أذّن في أذنه اليمنى، وأقام في أذنه اليسرى، وقال لعلي عَلَيْهِ السَّلاَم: بما سميت ابني هذا؟ قال: ما كنت لأسبقك باسمه يا رسول الله قال: وأنا ما كنت لأسبق ربي عزّ وجلّ قال: فهبط جبرئيل قال: إن الله يقرأ عليك السلام ويقول لك يا محمد عليٌّ منك بمنزلة هارون من موسى إلاّ إنه لا نبي بعدك فسمِّ ابنك باسم ابن هارون، قال النّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم: وما اسم ابن هارون؟ قال جبرئيل: شبَّر، قال: وما شبر؟ قال: الحسن قالت أسماء: فسماه الحسن.

قالت أسماء: فلما ولدت فاطمة الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم نفستها به فجائني النّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم فقال:

هلمِّ ابني يا أسماء.

فدفعته إليه بخرقة بيضاء، ففعل به كما فعل بالحسن قالت: وبكى رسول الله ثمّ قال: إنه سيكون لك حديث! اللهمّ العن قاتله، لا تعلمي فاطمة بذلك.

قالت أسماء: فلما كان في يوم سابعه جاءني النّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم فقال:

هلميّ ابني فأتيته به.

ففعل به كما فعل بالحسن وعقَّ عنه كما عق عن الحسن كبشاً أملح وأعطى القابلة الورك ورجلاً وحلق رأسه وتصدَّق بوزن الشعر ورقاً، وحلق رأسه بالخلوق وقال:

إن الدم من فعل الجاهلية.

قالت: ثمّ وضعه في حجره ثمّ قال: يا أبا عبد الله عزيز عليَّ ثمّ بكى(٥).

(٥) بحار الأنوار: محمد باقر المجلسي (ت١١١١هـ)، المطبعة الإسلامية، طهران ١٣٨٥هـ، ج٤٤/ص٢٥٠.

٦- بكاء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم

روى عن أم سلمة (رضي الله عنها) قالت: بينما رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم ذات يوم جالس والحسن والحسين (عَلَيْهِما السَّلاَم) في حجره إذْ هملت عيناه بالدموع فقلت: يا رسول الله ما لي أراك تبكي جعلت فداك؟ فقال: جائني جبريل عَلَيْهِ السَّلاَم فعزاني بابني الحسين، وأخبرني إن طائفة من أمتي تقتله لا أنالهم الله شفاعتي(٦).

٧- حب النّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم للحسن والحسين (عَلَيْهما السَّلاَم)

أخرج الترمذي في صحيحه إن النّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم أبصر حسناً وحسيناً فقال:

اللهمّ إني أحبهما فأحبهما(٧).

٨- النظر إلى الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم

عن جابر بن عبد الله: قال من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى الحسين بن علي فإني سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم قال:

«من أحب أن ينظر إلى سيد شباب أهل الجنة فلينظر إلى هذا».

سمعته من رسول الله(٨).

٩- تأذي النّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم لبكاء الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم

عن يزيد بن أبي زياد قال: خرج النّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم من بيت عائشة فمر على بيت فاطمة فسمع حسيناً يبكي. فقال:

ألم تعلمي إن بكاء الحسين يؤذيني(٩).

---

(٦) بحار الأنوار: محمد باقر المجلسي (ت١١١١هـ)، المطبعة الإسلامية، طهران ١٣٨٥هـ، ج٤٤/ص١٨٢.

(٧) بحار الأنوار: محمد باقر المجلسي (ت١١١١هـ)، المطبعة الإسلامية، طهران ١٣٨٥هـ، ج٤٤/ص٢١٨.

(٨) بحار الأنوار: محمد باقر المجلسي (ت١١١١هـ)، المطبعة الإسلامية، طهران ١٣٨٥هـ، ج٤٤/ص٢٤٠.

(٩) بحار الأنوار: محمد باقر المجلسي (ت١١١١هـ)، المطبعة الإسلامية، طهران ١٣٨٥هـ، ج٤٤/ص٢٨٠.

١٠- أرض كربلاء

قال البغوي يرفعه إلى أم سلمة (رضي الله عنها) قالت: كان جبرئيل عَلَيْهِ السَّلاَم عند النّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم والحسين معي فتركه إلى النّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم فقال: جبريل أتحبه يا محمد؟ قال: نعم، قال: أما إن أمتك ستقتله، وإن شئت أريتك تربة الأرض التي يُقتل بها، فبسط جناحه إلى الأرض فأراه أرضاً يقال لها كربلاء(١٠).

١١- ذكر ما جاء فيما يُقتل به

عن ابن عباس قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم:

«إن جبريل أخبرني إن الله عزّ وجلّ قتل بدم يحيى بن زكريا سبعين ألفاً وهو قاتل بدم ولدك الحسين سبعين ألفاً»(١١).

١٢- الحمرة في السماء

روى سعد الإسكاف قال:

قال أبو جعفر محمد بن علي (عَلَيْهِما السَّلاَم):

كان قاتل يحيى بن زكريا (عَلَيْهِما السَّلاَم) ولد زنا، وكان قاتل الحسين بن علي (عَلَيْهِما السَّلاَم) ولد زنا، ولم تحمر السماء إلاّ لهما(١٢).

---

(١٠) كشف الغمة في معرفة الأئمة: أبي الحسن علي بن عيسى الأربلي، المطبعة العلمية، قم /١٣٨١هـ / ص٢٧٢.

(١١) ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى: احمد بن عبد الله الطبري، دار الكتب المصرية، ١٣٥٦هـ/ص١٥٠.

(١٢) كشف الغمة في معرفة الأئمة: أبي الحسن علي بن عيسى الاربلي، المطبعة العلمية، قم/١٣٨١هـ /ص٢٢١.

١٣- في إمامة أبي عبد الله الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم

عن أبي هريرة قال: سألت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم عن قوله:

﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾.

قال:

جعل الإمامة في عقب الحسين يخرج من صلبه تسعة من الأئمة منهم مهدي هذهِ الأمة.

وعن المفضل بن عمر قال: سألت الصادق عَلَيْهِ السَّلاَم عن هذهِ الآية قال: يعني بهذه الآية الإمامة جعلها في عقب الحسين؟ فقال:

إن موسى وهارون كانا نبيين ومرسلين أخوين فجعل الله النبوة في صلب هارون دون صلب موسى.

ثمّ ساق الحديث إلى قوله:

«**وهو الحكيم في أفعاله** ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾»[١٣].

١٤- زيارة قبر الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم

عن موسى بن علي الرضا بن جعفر قال: سُئِلَ جعفر بن محمد عن زيارة قبر الحسين فقال:

أخبرني أبي إن من زار قبر الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم عارفاً بحقه كتب الله له في عليين وقال وقال إن حول قبر الحسين سبعين ألف ملك شعثاً غبراً يبكون عليه إلى يوم القيامة[١٤].

---

(١٣) مناقب آل أبي طالب: محمد بن علي بن شهراشوب، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٥٦، ج٣ /ص٢٠٦.

(١٤) ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى: أحمد بن عبد الله الطبري، دار الكتب المصرية، ١٣٥٦ هـ /ص١٥١.

١٥- (إنّه كان منصوراً)

عن أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلاَم في قوله تعالى:

﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾.

قال:

هو الحسين بن علي عَلَيْهِ السَّلاَم قتل مظلوماً ونحن أولياؤه والقائم منا إذا قام طلب بثأر الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم: فيقتل حتى يقال أسرف في القتل وقال: المقتول الحسين، ووليّه القائم والإسراف في القتل أن يقتل غير قاتله (إنّه كان منصوراً) فإنه لا يذهب من الدنيا حتى ينتصر برجل من آل رسول الله عليهم الصلاة والسلام يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً[١٥].

١٦- الصفح عن فطرس

روي أنه لما ولد الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم أمر الله تعالى جبرئيل أن يهبط في ملأ من الملائكة فيهنئ محمداً، فهبط فمرَّ بجزيرة فيها ملك يقال له فطرس، بعثه الله في شيء فأبطأ فكسر جناحه فألقاه في تلك الجزيرة، فعبد الله سبعمائة عام، فقال فطرس لجبرئيل: إلى أين؟ فقال: إلى محمد، قال: احملني معك لعله يدعو لي.

فلما دخل جبرئيل وأخبر محمداً بحال فطرس، قال له النّبي:

قل له يتمسح بهذا المولود، فتمسح فطرس بمهد الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم فأعاد الله عليه في الحال جناحه ثمّ أرتفع مع جبرئيل إلى السماء[١٦].

---

(١٥) بحار الأنوار: محمد باقر المجلسي (ت١١١١هـ)، المطبعة الإسلامية، طهران ١٣٨٥هـ، ج٤٤/ص٢١٨.

(١٦) كشف الغمة في معرفة الأئمة: أبي الحسن علي بن عيسى الأربلي، المطبعة العلمية، قم / ١٣٨١هـ/ص٢١٩.

١٧- سورة الفجر

قال أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلاَم:

اقرؤا سورة الفجر في فرائضكم ونوافلكم، فإنها سورة الحسين بن علي (عَلَيْهِما السَّلاَم) وارغبوا فيها رحمكم الله تعالى.

فقال له أبو أسامة وكان حاضر المجلس: وكيف صارت هذهِ السورة للحسين عَلَيْهِ السَّلاَم خاصة؟ فقال:

ألا تسمع إلى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ﴾ ــ الآية ــ إنما يعني الحسين بن علي (عَلَيْهِما السَّلاَم) فهو ذو النفس المطمئنة الراضية المرضية، وأصحابه من آل محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم هم الراضون عن الله يوم القيامة، وهو راض عنهم[١٧].

١٨- شجرة النور

عن حذيفة، عن النّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم قال:

لما أسري بي أخذ جبرئيل بيدي فأدخلني الجنة،وأنا مسرور فإذا أنا بشجرة من نور مكللة بالنور، في أصلها ملكان يطويان الحليّ والحلل إلى يوم القيامة، ثمّ تقدمت أمامي فإذا أنا بتفاح لم أر تفاحاً هو أعظم منه، فأخذت واحدة ففلقتها فخرجت عليّ منها حوراء كأن أجفانها مقاديم أجنحة النسور، فقلت: لمن أنت؟ فبكت وقالت: لأبنك المقتول ظلماً الحسين بن علي ابن أبي طالب[١٨].

---

(١٧) كشف الغمة في معرفة الأئمة: أبي الحسن علي بن عيسى الأربلي، المطبعة العلمية، قم / ١٣٨١هـ/ص٢٢٢.

(١٨) ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، احمد بن عبد الله الطبري، دار الكتب المصرية، ١٣٥٦هـ/ ص١٣٠.

١٩- البكاء على الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم

عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلاَم قال:

كلَّ الجزع والبكاء مكروه، سوى الجزع والبكاء على الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم[١٩].

٢٠- سيد بن سيد

عن سلمان الفارسي (رض) قال: دخلت على النّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم وإذا الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم على فخذيه وهو يُقبل عينيه ويلثم فاه، وهو يقول:

أنت سيد ابن سيد، أنت إمام ابن إمام أبو الأئمة، أنت حجّة ابن حجّة أبو حجج تسعة من صلبك، تاسعهم قائمهم[٢٠].

٢١- ختان الحسنان (عَلَيْهما السَّلاَم)

عن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلاَم قال:

ختن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم الحسن والحسين (عَلَيْهما السَّلاَم) لسبعة أيام، وحلق رؤوسهما وتصدق بزنة الشعر فضة[٢١].

٢٢- طين قبر الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم

عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلاَم قال:

طين قبر الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم شفاء من كل داء وهو الدواء الأكبر[٢٢].

---

(١٩) ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى: احمد بن عبد الله الطبري، دار الكتب المصرية، ١٣٥٦هـ/ص١٤٣.

(٢٠) الخصال: أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين «الصدوق»، مكتبة الصدوق، ١٣٨٩هـ، ج٢/ص٤٧٥.

(٢١) مكارم الأخلاق: الحسين بن الفضل الطبرسي، مؤسسة النعمان، بيروت /ص٥٧.

(٢٢) مكارم الأخلاق: الحسين بن الفضل الطبرسي، مؤسسة النعمان، بيروت /ص١٦٨.

٢٣- عقيقة الحسنان (عَلَيْهِما السَّلاَم)

عن أبي عبد الله عن آبائه عَلَيْهِم السَّلاَم قال:

عق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم عن الحسن والحسين (عَلَيْهِما السَّلاَم) كبشاً يوم سابعهما وقطعه أعضاءً ولم يكسر من عظمها وأمر فطبخ بماء وملح وأكلوا منه بغير خبز وأطعموا الجيران[٢٣].

٢٤- قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم

«إن ابني هذا، يعني الحسين يقتل بأرض من العراق، فمن أدركه فلينصره»[٢٤].

٢٥- السجود على تربة الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم

روي عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلاَم إنه قال:

«السجود على تربة الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم يخرق الحجب السبع»[٢٥].

٢٦- زيارة الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم.

عن بشير الدهان، عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلاَم في حديث له، قال:

«يا بشير من زار قبر الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم عارفاً بحقه كان كمن زار الله في عرشه»[٢٦].

---

(٢٣) مكارم الأخلاق: الحسين بن الفضل الطبرسي، مؤسسة النعمان، بيروت /ص٢٣٧.

(٢٤) ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى: احمد بن عبد الله الطبري، دار الكتب المصرية ١٣٥٦هـ /ص١٤٦.

(٢٥) وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة: محمد بن الحسن الحر العاملي (ت١١٠٤هـ)، تحقيق: محمد الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٣/ص٦٠٨.

(٢٦) كامل الزيارات: أبي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه (ت٣٦٧هـ)، تصحيح: عبد الحسين الأميني، المكتبة الرضوية، النجف الأشرف، ١٣٥٦هـ /ص١٤٩.

٢٧- التبرك بتربة قبر الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم.

عن أبي اليسع قال: سأل رجل أبا عبد الله عَلَيْهِ السَّلاَم وأنا أسمع، قال: آخذ من طين قبر الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم يكون عندي أطلب بركته؟ قال:

«لا بأس بذلك»(٢٧).

٢٨- السعي في حاجة المؤمن.

عن صفوان الجمال قال: كنت جالساً مع أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلاَم إذْ دخل عليه رجل من أهل مكة يقال له: ميمون فشكا إليه تعذر الكراء عليه فقال لي: قم فأعن أخاك، فقمت معه فيسر الله كراه، فرجعت إلى مجلسي فقال أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلاَم:

ما صنعت في حاجة أخيك؟ فقلت قضاها الله - بأبي أنت وأمي - فقال: أما إنك تعين أخاك المسلم أحب إليّ من طواف أسبوع بالبيت مبتدئاً ثمّ قال: إن رجلاً أتى الحسن بن علي (عَلَيْهِما السَّلاَم) فقال: «بأبي أنت وأمي - أعني على قضاء حاجة، فانتعل وقام معه فمر على الحسين (صلوات الله عليه) وهو قائم يصلي فقال له: أين كنت عن أبي عبد الله تستعينه على حاجتك، قال: قد فعلت - بأبي أنت وأمي - فذكر إنه معتكف، فقال: أما إنه لو أعانك كان له من اعتكافه شهراً(٢٨).

٢٩- تعويذة الحسنين

عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم يعوذ حسناً وحسيناً.

---

(٢٧) بحار الأنوار: محمد باقر المجلسي (١١١١هـ)، المطبعة الإسلامية، طهران، ١٣٨٥، ج١٠١ /ص١٢٥.

(٢٨) الشافي في شرح أصول الكافي: قدم له وشرحه: عبد الحسين المظفر، مطبعة الغري، النجف، ١٣٨٨هـ، المجلد الخامس/ ص٢٦٦.

(أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة» وكان يقول: «كان أبوكما يعوذ به إسماعيل وإسحاق»(٢٩).

٣٠- ما أعطاه الله (جل جلاله) للحسين عَلَيْهِ السَّلاَم.

عن حذيفة بن اليمان (رض) قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم يقول:

«يا أيها الناس إنه لم يعطِ أحد من ذرية الأنبياء الماضين ما أعطي الحسين بن علي خلا يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عَلَيْهِم السَّلاَم يا أيها الناس إن الفضل والشرف والمنزلة والولاية لرسول الله وذريته فلا يذهبن لكم الأباطيل(٣٠).

٣١- إن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم فداه بابنه إبراهيم عَلَيْهِ السَّلاَم

روي في بعض الأخبار أن النّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم أجلس يوماً الحسين على فخذه الأيمن وولده على فخذه الأيسر وجعل يلثم هذا مرة وهذا أخرى من شدة شغفه بهما فهبط جبرائيل عَلَيْهِ السَّلاَم من ربّ العالمين وقال يا محمد إن الله لم يكن ليجمع لك بينهما فأختر من شئت منهما فإن الله قد أمر عزرائيل أن يقبض روح أحدهما فقال:

يا أخي جبرائيل إن مات الحسين بكى عليه علي وفاطمة والحسن وأنا وإذا مات ولدي إبراهيم بكيت عليه أنا وحدي فسل ربك أن يقبض إليه إبراهيم ولدي فقبض بعد ثلاثة أيام فكان النّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم إذا رأى حسيناً مقبلاً إليه يقول له مرحباً بمن فديته بابني إبراهيم(٣١).

---

(٢٩) ينابيع المودة: سليمان الحسيني البلخي القندوزي، منشورات مكتبة العرفان، صيدا – بيروت، ج١/ص١٦٦.

(٣٠) المصدر نفسه.

(٣١) مدينة المعاجز: هاشم البحراني (١١٠٧هـ)، طبعة حجرية ١٢٩٨هـ /ص٢٣٦.

٣٢- سبحة من طين

عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلاَم قال:

«من كانت معه سبحة من طين قبر الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم كُتب مسبحاً وإن لم يُسبح بها»(٣٢).

٣٣- آداب زيارة الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم

روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلاَم:

«أردت زيارة الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم فزره وأنت حزين مكروب شعث مغبر جائع عطشان وسله الحوائج وانصرف عنه ولا تتخذه وطناً»(٣٣).

٣٤- زيارة النصف من شعبان

عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلاَم:

«إذا كان النصف من شعبان نادى منادٍ من الأفق الأعلى إلى زائري قبر الحسين ارجعوا مغفوراً لكم وثوابكم على ربكم ومحمد نبيكم»(٣٤).

٣٥- زيارة الملأ الأعلى للإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم

عن إسحاق بن عمار قال: سمعت أبا عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلاَم يقول:

«ليس شيء في السموات إلاّ وهم يسألون الله أن يأذن لهم في زيارة الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم فوج ينزل وفوج يعرج»(٣٥).

---

(٣٢) بحار الأنوار: محمد باقر المجلسي (١١١١هـ)، المطبعة الإسلامية، طهران، ١٣٨٥هـ، ج٨٥/ص٣٤٠.

(٣٣) الكافي: محمد بن يعقوب الكليني: تحقيق: علي أكبر الغفاري، طهران ١٣٧٩هـ، ج٤/ص٥٨٧.

(٣٤) الكافي: محمد بن يعقوب الكليني: تحقيق: علي أكبر الغفاري، طهران ١٣٧٩هـ، ج٤/ص٥٨٨.

(٣٥) تهذيب الأحكام: أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ)، تحقيق: حسن الخرسان، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ١٩٥٩م، ج٦/ص٤٦.

٣٦- الحث على زيارة الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم

«لا تدع زيارة الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم أما تحب أن تكون فيمن تدعو له الملائكة»(٣٦).

٣٧- الأمر بزيارة الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم

عن أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلاَم قال:

«مروا شيعتنا بزيارة قبر الحسين فإن إتيانه مفترض على كل مؤمن يقر للحسين بالإمامة من الله عزّ وجل»(٣٧).

٣٨- الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم يكشف الغطاء لأصحابه

عن محمد بن عمارة عن ابيه عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلاَم قال: قلت له أخبرني عن أصحاب الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم وإقدامهم على الموت، فقال:

«إنهم كشف لهم الغطاء حتى رأوا منازلهم من الجنة فكان الرجل منهم يقدم على القتل ليغادر على حوراء يعانقها وإلى مكانه من الجنة»(٣٨).

٣٩- إغتسل في الفرات

عن بشير الدهان قال: قلت لأبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلاَم في حديث طويل قال:

«ويحك يا بشير إن المؤمن إذا أتى قبر الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم عارفاً بحقه

---

(٣٦) كامل الزيارات: أبي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه (ت٣٦٧هـ)، تصحيح: عبد الحسين الأميني، المكتبة الرضوية، النجف الأشرف، ١٣٥٦هـ /ص١١٩.

(٣٧) علل الشرائع: أبي جعفر محمد بن علي (الصدوق)، (ت٣٨١هـ)، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم، دار التربية، بغداد، ١٩٨٠م /ص٢٢٩.

(٣٨) كامل الزيارات: ابو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه (ت٣٦٧هـ)، تصحيح: عبد الحسين الأميني، المكتبة الرضوية، النجف الأشرف، ١٣٥٦هـ /ص١٨٥.

فاغتسل في الفرات ثمّ خرج كتب له بكل خطوة حجّة وعمرة مبرورات متقبلات، وغزوة مع نبي مرسل أو إمام عدل»[٣٩].

٤٠- خبر أم سلمة (رضي الله عنها)

روي عن أم سلمة (رضي الله عنها) إنها قالت: كان الحسن والحسين يلعبان بين يدي النّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم في بيتي، فنزل جبرئيل عَلَيْهِ السَّلاَم فقال يا محمد إن أمتك تقتل ابنك هذا من بعدك، فأومأ بيده إلى الحسين. فبكى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم وضمه إلى صدره، ثمّ قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم:

«وديعة عندك هذهِ التربة، فشمها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم وقال: ريح كرب وبلاء.

وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم:

يا أم سلمة إذا تحولت هذهِ التربة دماً فاعلمي إن ابني قد قتل.

(قال الراوي) فجعلتها أم سلمة في قارورة، ثمّ جعلت تنظر إليها كل يوم وتقول: إن يوماً تحولين دماً ليوم عظيم.

---

(٣٩) مجمع الزوائد: نور الدين علي الهيثمي (ت٨٠٧هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ج٩/ص١٨٩.

الرسالة الفكرية والقيادة

بقلم: السيد الشهيد محمد باقر الصدر

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة على أشرف أنبيائه وآله الطاهرين.

إن الأمة أيُّها الأعزاء – أية أمة – توجد نتيجة لامتزاج عاملين، عامل الفكر البناء وعامل القيادة الرشيدة وبقدر ما تحمل الفكرة من طاقات البناء وتجسد القيادة من روح الفكرة تنمو الأمة وتشتد وبقدر ما تتصف به الفكرة الرسالية من رحابة أفق وإنسانية في المفاهيم وما يتوفر في القيادة من سعة قلب وموضوعية في العمل تمتد الأمة وتتحدد أبعادها.

فالفكرة الرسالية والقيادة هما إذن القاعدة الأولى لوجود الأمة وتحديد أبعادها المكانية والزمانية. ونحن بوصفنا نملك هذهِ القاعدة لوجودنا بكلا حديها الفكري والقيادي.

فالفكرة الرسالية هي الإسلام الذي وضع للأمة بذرتها الروحية والنظرية وأعطاها مقوماتها الفكرية.

وعامل القيادة تمثل في أبطال الرسالة كالحسين عَلَيْهِ السَّلاَم وغيره من تلامذة القائد الأعظم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم الّذين وضعوا للأمة بذرتها البشرية وحددوا لها الطريق وجسدوا الفكرة وأناروا الدرب وزودوا الأمة برصيدها من المثل والتضحيات.

وإذا كانت الأمة تولد بمولد الفكرة الرسالية ومولد القيادة التي تجسد الفكرة فمن

الطبيعي أن تحتفل أمتنا الإسلامية العظيمة بيوم كهذا اليوم المبارك لأن مولد الحسين أو أبي الحسين يحمل معنى من معاني مولد الأمة.

وإذا كان يوم المبعث هو يوم مولد الفكرة التي تمخضت عنها السماء متمثلة في رسالة الإسلام الكبرى فإن أيام الميلاد المباركة هي التي قدمت للرسالة قادها الميامين وأكملت بذلك القاعدة الإسلامية في وجود الأمة فامتزجت الفكرة بالقيادة وأسفر ذلك عن أمة هي خير أمة أخرجت للناس.

هكذا نجد أنفسنا مشدودين إلى هذهِ الذكريات المباركة ومرتبطين بها ارتباط حياة لأنها ذكريات وجودنا الأكبر كأمة تحت الشمس تحمل لواء الإسلام ومشعل التوحيد وتحمي كلمة السماء عن وجه الأرض.

فذكرى الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم في مولده أو شهادته أو ملحمة حياته الكبرى ليست بالنسبة إلينا مجرد استرجاع لماضي مجيد وإنما تعبر عن جزء من القاعدة التي يبتني عليها وجود الأمة، فالأمة إذْ تحتفل بذكريات الحسين وعلي (عَلَيْهِما السَّلاَم) أو بسائر ذكريات الإسلام إنما تؤكد وجودها كأمة واعتناءها بكل المقومات الأساسية لهذا الوجود.

وعلى هذا الأساس ندرك أن كل محاولة لتعميق ربط الأمة بمصادر وجودها الرسالية والقيادية وشدها إلى رسالتها الإسلامية الكبرى وقادها الميامين هي في الحقيقة عمل في سبيل وجود الأمة بالذات. وكل محاولة تستهدف تبعيد الأمة عن الإسلام أو قادته الميامين في أي مجال من مجالات الحياة الفكرية والعملية هي في الحقيقة مؤامرة على وجود الأمة ومحاولة لسرقة مقوماها الأساسية منها وتعريتها عن مسوّغات وجودها كأمة تحت الشمس.

وعلى هذا الأساس أيضاً نعرف أن إصرار الأمة المتمثل في إرادتكم أيتها الجماهير المؤمنة على اختيار طريق الإسلام في كل مجالات الحياة العقائدية والاجتماعية

والانطلاق في نفس اتجاه القيادة الكبرى التي جسدها الحسين وأبو الحسين (عَلَيْهِما السَّلاَم) هذا الإصرار إنما يعبر عن إدراك الأمة أن هذا هو الطريق الوحيد لمواصلة وجودها وأصالتها والحصول على سعادة دنياها وآخرتها.

ومن خلال هذا الترابط الجذري الذي يشد الأمة إلى رسالتها الإسلامية وقيادتها الرائدة يمكنكم أن تعرفوا أيُّها الأخوة حقيقة الدور الذي تمارسه حوزة الإسلام الكبرى هنا في النجف حوزة الإمام جعفر بن محمد عَلَيْهِ السَّلاَم التي نذرت نفسها خلال ألف عام تقريباً من تاريخها المجيد لتذكير الأمة دائماً بمقومات وجودها وربطها برسالتها المقدسة والتضحية في سبيل مصالحها الحقيقيّة والكشف عن مؤامرات أعدائها والإعلان عن كلمة الإسلام دائماً وفي كل حين.

فهذه الحوزة الكبرى أيُّها الأخوة هي التي تسهر على حماية رسالتكم وهي التي تعبر عن آلامكم وأمالكم الحقيقية وهي التي تضع طاقاتها في سبيل خيركم وسعادتكم وهي التي تحدد لكم طريق الإسلام الواضح في كل مجالات الحياة الذي يغني المسلمين عن استجداء الأفكار والأنظمة من معسكر الشرق أو الغرب والتطواف على موائد الرأسمالية وغيرها من المذاهب الاجتماعية التي يرفضها الإسلام ويقدم البديل الأفضل عنها متمثلاً في نظامه الاقتصادي والاجتماعي وطريقته في تنظيم الفرد والمجتمع التي تشمل جميع مناحي الحياة أن هذهِ الحوزة هي همزة الوصل بين الأمة ورسالتها الكبرى وأيّ محاولة لتفتيت هذهِ الحوزة أو القضاء عليها يعني قطع همزة الوصل وفصل الأمة عن رسالتها الكبرى ومن ثمّ عن مقومات وجودها.

فبحرمة هذهِ الذكرى الشريفة وصاحبها العظيم صلوات الله عليه أن يحقق إرادتها الواعية ويجسد ارتباطها بدينها في كل مجالات الحياة ويحفظ الحوزة ويقيها شر الأعداء لتكون دائماً التعبير الأصح عن الإسلام في الأمة ودليلها إلى خير الدنيا والآخرة[1].

(١) مجلة الأضواء – النجف – العدد ٦ و ٧ – السنة الخامسة، ١٩٦٥/ ص٢٥٦.

خطبتي صلاة الجمعة المقدسة في مسجد الكوفة المعظم

بقلم: السيد الشهيد محمد الصدر - في ٧ شعبان ١٤١٩هـ

قبل يومين أو ثلاثة مرت الذكرى السنوية لميلاد الإمام أبي عبد الله الحسين سيد الشهداء عَلَيْهِ السَّلاَم فلا ينبغي أن تمر هذهِ الجمعة دون ذكره وعلى الرغم من أن الحادثة الأشهر للإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم هو واقعة الطف وهي لا شك أعظم حوادث الإسلام أو التاريخ بعد وفاة النّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم وإلى عصر الظهور. إلاّ إنني أريد في هذهِ الخطبة أن اتجاوز ذلك إلى تلك الفضائل والخصائص التي لا ترتبط بهذه الواقعة؛ لأن المناسبة هي مناسبة ولادة وإن كان قد ورد عنهم عَلَيْهِم السَّلاَم «أفراحنا أحزاننا».

قالوا: وفد أعرابي المدينة فسئل عن أكرم الناس بها فدل على الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم فدخل المسجد فوجده مصلياً فوقف بإزائه وأنشد:

لم يخب الآن من رجاك ومن حرك من دون بابك الحلقة

أنت جواد وأنت معتمد أبوك قد كان قاتل الفسقة

لولا الذي كان من أوائلكم كانت علينا الجحيم منطبقة

قال: فسلّم الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم فقال يا قنبر هل بقي من مال الحجاز شيء قال نعم أربعة آلاف دينار فقال: هاتها قد جاء من هو أحق بها منا ثمّ نزع برديه ولف الدنانير بها وأخرج يده من شق الباب حياءً من الأعرابي وأنشأ:

خـــذها فـــإني إليـــك معتـــذر واعلـــم بـــأنّي عليـــك ذو شـــفقة

لـــو كـــان في ســـيرنا الغـــداة عـــصا أمـــست سـمانـــا عليـــك منـدفقـــة

لكـــن ريـــب الزمـــان ذو غـــير والكـــف مـــني قليلـــة النفقـــة

قال: فأخذها الأعرابي وبكى فقال له: لعلك استقللت ما أعطيناك. قال: لا ولكن كيف يأكل التراب جودك.

توجد بعض الإيضاحات يحسن التعرض لها:

أولاً: من الرواية أن الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم أنشأ الأبيات على البديهة فإن كان الأعرابي قد حضّر أبياته فإن الحسين لم يحضرها قطعاً. وقول الشعر مروي عن الأئمة وديوان الشعر لأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلاَم مشهور وإن كان ضعيف السند إلاّ أن مجموعه متواتر. كما إنه مروي عن علمائنا كالشريف الرضي وغيره كثير.

ثانياً: أما قوله من حرك دون بابك الحلقة أي دق الباب وقال: لولا الذي كان من أوائلكم كانت علينا النار منطبقة: فأوائلكم يقصد بها الجيل السابق لكم أي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم وأما منطبقة أي مغلقة وفيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ﴾.

وأما قول الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم: لو كان في سيرنا الغداة عصا أمست سمانا عليك مندفقة: لأن الإنسان العاجز يستعمل العصا في سيره ولولا العصا لم يتمكن من السير فتكون العصا هنا كناية عن التمكن المالي وإن كان عندنا مال أمست سمانا عليك مندفقة.

وفي رواية أخرى أن الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم ساير أنس بن مالك فأتى قبر خديجة الكبرى فبكى ثمّ قال لأنس اذهب عني قال أنس استخفيت عنه فلما طال وقوفه في الصلاة سمعته يقول:

يـــارب يـــارب أنـــت مـــولاه طـــوبى لمـــن كنـــت أنـــت مـــولاه

يـــاذا المعـــالي عليـــك معتمـــدي فـــارحم عبيـــداً إليـــك ملجـــاه

طوبى لمن كان خادماً ارقا ... يشكو إلى ذي الجلال بلواه

وما به علة ولا سقم ... أكثر من حبه لمولاه

إذا اشتكى بثه وغصته ... أجابه الله ثمّ لباه

إذا ابتلى بالظلام مبتهلاً ... أكرمه الله ثمّ ناداه

فنودي:

لبيك عبدي أنت في كنفي ... وكلما قلت قد علمناه

صوتك تشتاقه ملائكتي ... فحسبك الصوت قد سمعناه

دعاك عندي يجول في حجبي ... فحسبك الستر قد سفرناه

لو هبت الريح في جوانبه ... خرّ صريعاً لما تغشاه

سلني بلا رغبة ولا رهب ... ولا حساب إني أنا الله

ويعدُّ هذا الشعر من الحديث القدسي ومعناه أنّ كل ما روي من القول والكلام غير القرآن الكريم يسمى حديثاً قدسياً.

ومما يروى عن الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم من الشعر في الموعظة:

اغن عن المخلوق بالخالق ... تسد على الكاذب والصادق

واسترزق الرحمن من فضله ... فليس غير الله من رازق

من ظن أن الناس يغنونه ... فليس بالرحمن بالواثق

أوظن أن المال من كسبه ... زلت به النعلان من حالق

ومن ذلك قوله:

ناديت سكان القبور فاسكتوا ... وأجابني عن صمتهم ترب الحصى

قالت أتدري ما فعلت بساكني ... مزقت لحمهم وخرقت الكسا

وحشوت أعينهم تراباً بعدما ... كانت تأذى باليسير من القذى

أما العظام فإنني مزقتها ... حتى تباينت المفاصل والشوى

وفي كتاب البداية والنهاية:

روى البخاري عن عبد الله بن عمر وسأله رجل من أهل العراق عن المحرم يقتل الذباب فقال: أهل العراق يسألون عن قتل الذباب وقد قتلوا ابن بنت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم وقد قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم:

«وهما ريحانتاي من الدنيا».

وهناك روايات أُخَر بهذا الصدد.

الآن ندخل في ما نستطيع بيانه من فضل الحسن والحسين (عَلَيْهِما السَّلاَم) ومنزلتهما العظيمة عند الله مع التركيز على ما هو محل الحديث وهو فضل الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم بالخصوص وقد روي عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم أنه قال:

«إنهما إمامان قاما أو قعدا».

والإمام هو القدوة والمرشد والقائد والموجه وقوله: قاما أي قاما بالمسؤولية وتولوا أعباء الإمامة فعلاً كما يمكن أن يفسر قيامهما بالسيف (أي الثورة باللغة الحديثة) فيكون القيام إشارة إلى ثورة الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم مع معاوية كأنه قال قاما كما قام الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم أو قعدا كما قعد الحسن عَلَيْهِ السَّلاَم فإنّ فعلهما على أي حال فعل إمام مفترض الطاعة لا يجوز الاعتراض عليه وهو مطابق للحكمة والمصلحة الواقعية وروي عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم إنه قال عنهما سلام الله عليهما إنهما ولداي من صلب علي عَلَيْهِ السَّلاَم يعني أن الولادة الظاهرية أو الجسدية وإن كانت من صلب علي عَلَيْهِ السَّلاَم إلاّ أن الولادة الواقعية أو المعنوية إنما هي من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم، لذا كان ينادي كل منهما على مدى حياتهما يابن رسول الله. وهذا على وجه الحقيقة المعنوية وليس على وجه المجاز فإذا أضفنا إلى ذلك وحدة النورين محمد وعلي أو قل نور محمد ونور علي (عَلَيْهِما السَّلاَم) في العالم

الأعلى كما هو المفهوم من قوله تعالى:

﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾.

إذن، يكون أولاد علي هم أولاد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم إلاّ أن هذا مما لا يمكن أخذه على إطلاقه إلاّ في أولاد الزهراء سلام الله عليها وهما الحسن والحسين سلام الله عليهما ولربما المحسن رضوان الله عليه؛ لأنهما من ناحيتها أيضاً يرتبطان بنسب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم من دون سائر أولاد أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلاَم وهم كثيرون إلاّ أنه ليس فيهم من ينادى أو يجوز أن ينادى يابن رسول الله إلاّ الحسن والحسين (عَلَيْهِما السَّلاَم) كما أن هذا هو ظاهر قوله تعالى:

﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾.

فإنه لم يكن مصداق الأبناء بضرورة التاريخ إلاّ الحسن والحسين (عَلَيْهِما السَّلاَم) كما نفهم من أنفسنا وأنفسكم وحدة محمد وعلي نفسهم أيضاً أن الحسن والحسين (عَلَيْهِما السَّلاَم) ابنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم والملحوظ أن عنوان الأبناء مقدم في الآية على العنوانين الآخرين.

﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾.

كأنما آخر الأنفس تواضعاً لأنه هو المأمور أن يقول (قل تعالوا ندعو أبنائنا...) وروي عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم أيضاً بالتواتر أنه قال:

إنهما سيدا شباب أهل الجنة.

فإذا علمنا كما هو واضح أن كل أهل الجنة شباب أو قل شبان وأن كان من يدخل الجنة يعطيه الله سبحانه وتعالى عمر الشباب إكراماً له لأن عمر الشيخوخة صعب ومكروه للناس فيعطيه عمر الشباب لأجل إكرامه وإسعاده في الجنة إذن فلا يمكن أن يوجد شيخ في الجنة ليصدق على بعضهم كما قيل (إنهما سيدا شيوخ أهل الجنة أو سيدا

كهول أهل الجنة) بل كلهم شبان حتى المعصومون عَلَيْهِم السَّلاَم بل هم أولى بهذه الصفة من غيرهم لأنهم أحق بالسعادة في الجنة والإكرام من الله سبحانه وتعالى، ونحن نعلم من ناحية أخرى أن الجنة طبقات ودرجات وفيها المتدني نسبياً وفيها العالي قال تعالى:

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾.

وهذا يدل على أن هناك جنة ثانية أيضاً فيكون معنى كونهما (عَلَيْهِما السَّلاَم) سيدا شباب أهل الجنة.

أولاً: إنهما سيدان لكل أهل الجنة لأن كلهم شبان ولا يحتمل أن نفهم من هذا التعبير وجود صنف آخر يعني الكهول.

ثانياً: إنهم الأعلى درجة على الإطلاق في الجنة لأن معنى السيادة:

(سيدا شباب أهل الجنة).

والعظمة في الجنة هو ذلك. لا يستثنى من ذلك أحد على الإطلاق إلاّ ثلاثة فقط هم جدهما رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم وأبوهما أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلاَم وأمهما فاطمة الزهراء سلام الله عليها ولا يستثنى من ذلك حتى المعصومون من أولاد الحسين عَلَيْهِم السَّلاَم بل حتى الأنبياء السابقون على الإسلام فإنهم كلهم في الجنة وكلهم شبان والحسن والحسين (عَلَيْهِما السَّلاَم) سادتهم جميعاً بحسب إطلاق هذهِ الرواية فضلاً عن غيرهم بطبيعة الحال.

وروي عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم:

«إنهما سبطا من الأسباط».

والسبط هو ابن البنت وهما ابنا بنت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم نسباً إلاّ أن هذا وإن كان صحيحاً إلاّ أنه ليس كل المقصود من الرواية إذْ يكفي في ذلك أن يقول: إنهما سبطا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم وأما قوله من الأسباط فيعني معنى آخر

زائداً على ذلك لأن الأسباط مذكورون في القرآن الكريم وهذا ينتج عدة نتائج منها:

أولاً: إن لكل نبي من أولي العزم وصياً وكذلك لمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم وصي وهو علي عَلَيْهِ السَّلاَم فليست الوصاية للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم أمراً غريباً بل هو الحال المعتاد الذي عليه كل الأنبياء السابقين.

ثانياً: إن بعض الأنبياء السابقين من أولي العزم كإبراهيم عَلَيْهِ السَّلاَم له أسباط ولأسباطه صفات جليلة مذكورة في القرآن فتكون نفس تلك الصفات ثابتة للحسن والحسين (عَلَيْهِما السَّلاَم) لأنهما صفات أسباط الأنبياء أيّا كانوا. كمفهوم كلي ينطبق عليهما وعلى كثيرين. والمشهور بين المفسرين أن المراد بالأسباط أولاد يعقوب وهو قابل للمناقشة من أكثر من وجهة.

أن السبط هو ابن البنت وهذا لا يصدق على هؤلاء سواء من جهة نسبتهم إلى يعقوب لأنهم أولاده الصلبيون ولا من جهة نسبتهم إلى إبراهيم لأنه جدهم لأبيهم وليس جدهم لأمهم معروفاً أو مشهوراً ليفتخروا به إلاّ أن نقول أن يعقوب متزوج من ابنة إسماعيل عمه فيكون أولاده أحفادا أو أسباطا لإبراهيم عَلَيْهِ السَّلاَم في الوقت نفسه فيصدق عليهم الأسباط في الجملة على أي حال. إلاّ أن هذا لم يثبت أولاً كما إننا نعلم أنّ يعقوب متزوج من زوجتين أو أكثر فيبقى الأسباط مختصين حسب المشهور بأولاد إحداهما وهي الأولى أو الكبيرة وهذا معناه أن يوسف وبنيامين (عَلَيْهِما السَّلاَم) الّذين هما أولاد الزوجة الثانية ليسا من الأسباط مع إنه بكل تأكيد هما أفضل الأخوة على الإطلاق كما إنهما أعزهم بطبيعة الحال.

٢ـ أن هؤلاء وهم أولاد الزوجة الأولى ليعقوب عَلَيْهِ السَّلاَم غدروا بأخيهم يوسف الذي هو من الزوجة الثانية والحادثة يقينية ومروية تفصيلاً بالقرآن الكريم ويقول عن كلامهم:

﴿ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴾.

وعندئذ بدأت المؤامرة إلى أن انتهت والمهم أن مثل هؤلاء الذي أضروا بأخويهما وأبيهما لا يمكن أن يتصفوا بالصفات الجليلة المذكورة في القرآن للأسباط قال تعالى:

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ ﴾.

وقال جل جلاله:

﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ ﴾.

وعلى أي حال فلابد أن يكون المراد بالأسباط في هذهِ الآيات غيرهم.

ومن مزاياه سلام الله عليه أنه من أصحاب الكساء الخمسة بعد الالتفات إلى بعض النقاط.

أولاً: إن حديث الكساء إجمالاً بحسب المعنى مروي بطرق الفريقين.

ثانياً: إننا أشرنا في الشذرات إلى أن أصحاب الكساء هم خير الخلق على الإطلاق حتى التسعة المعصومين من ذرية الحسين عَلَيْهِم السَّلاَم فلا يفضل الإمامين الحسنين (عَلَيْهِما السَّلاَم) من البشر أحد إلاّ الثلاثة الآخرون من أصحاب الكساء وهم جدهما وأبوهما وأمهما سلام الله عليهم.

ثالثاً: إننا نسمع في حديث الكساء أنه يقول: فلما اكتملنا جميعاً تحت الكساء أخذ أبي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم بطرفي الكساء وأومأ بيده اليمنى إلى

السماء وقال:

«**اللهمّ إن هؤلاء أهل بيتي وخاصتي وحامتي لحمهم لحمي ودمهم دمي يؤلمني ما يؤلمهم ويحزنني ما يحزنهم أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم وعدو لمن عاداهم ومحب لمن أحبهم إنهم مني وأنا منهم فاجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك وغفرانك ورضوانك عليهم وأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً**». وهذه إشارة واضحة إلى الآية الكريمة ثمّ يقول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم ضمن الحديث الشريف: «**والّذي بعثني بالحق نبياً واصطفاني بالرسالة نجياً ما ذكر خبرنا هذا في محفل من محافل أهل الأرض وفيه جمع من شيعتنا ومحبينا إلاّ ونزلت عليهم الرحمة وحفت بهم الملائكة واستغفرت لهم إلى أن يتفرقوا...**

إلى أن يقول:

ما ذكر خبرنا هذا في محفل من محافل أهل الأرض وفيه جمع من شعيتنا ومحبينا وفيهم مهموم إلاّ وفرّج الله همه ولا مغموم إلاّ وكشف الله غمه ولا طالب حاجة إلاّ وقضى الله حاجته فقال: علي عَلَيْهِ السَّلاَم إذن فزنا وسعدنا وكذلك شيعتنا فازوا وسعدوا في الدنيا والآخرة ورب الكعبة».

ومن فضائله سلام الله عليه الحديث الشريف (المستفيض) عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم والمروي بطرق الفريقين:

«**حسين مني وأنا من حسين**».

وهذا معنا مروي بالنسبة إلى كل أصحاب الكساء وقد سمعنا قبل قليل في حديث الكساء قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم إنهم مني وأنا منهم، وورد في الزهراء عَلَيْها السَّلاَم أيضاً عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم:

«**إنها مني وإنها أم أبيها**».

وهي من أصحاب الكساء بطبيعة الحال. وحقيقة ذلك من الأسرار الإلهية التي لا يطّلع عليها إلاّ خاصة الخاصة ولكن فهمها ممكن أن يكون على عدة وجوه منها:

أولاً: إن كون فاطمة سلام الله عليها والحسن والحسين من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم واضح؛ لانتسابهم بالنسب والأبوة الحقيقية وأما كون النّبي منهم فباعتبار كونهم سبباً لنشر دينه وعلو الإسلام بجهادهم وجهودهم بما فيهم الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم بتضحياته العظيمة والجليلة في واقعة الطف التي لولاها لمات دين الإسلام وانمسخت شريعة الله فقد أحياها سلام الله عليه بمقتله وشهادته وبهذا صدق أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم من الحسين لأن استمرار دينه حقيقة بسببه وكذلك الباقون من أصحاب الكساء علي وفاطمة والحسن عَلَيْهِم السَّلاَم بمشاركاتهم المهمة في نصرة الدين.

ثانياً: إنه لا تكون طاعة الأعلى إلاّ بطاعة الأدنى فلا تكون طاعة الله إلاّ بطاعة النّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم ولا تكون طاعة النّبي إلاّ بطاعة الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم وكذلك لا تكون طاعة الأئمة المعصومين سلام الله عليهم إلاّ بطاعة الحوزة الشريفة ولا تكون طاعة الحوزة إلاّ بطاعة الوكلاء والمبلغين.

ومن مميزاته عَلَيْهِ السَّلاَم ما روي فعلاً في مصادرنا ومعاش في أذهاننا أن الله جعل الأئمة في ذريته واستجابة الدعاء تحت قبته والشفاء في تربته. وكل هذهِ الأمور قطعية ومجربة إلاّ ما خرج بدليل أي أن الحكمة الإلهية تمنع حصول ذلك وإلاّ فكل ما يستحق الشفاء أو استجابة الدعاء لحصل عليه. وهنا ينبغي الإشارة باختصار إلى أنه ليس كل دعاءٍ مستجاباً بل بعد أن يعلم الله سبحانه وتعالى صدق النية والانقطاع والمصلحة الواقعية فعند ذلك يستجيب الله تعالى وإذا ضممنا إلى ذلك أن الدعاء تحت قبة الحسين فإنه من الأولى الاستجابة والأعظم أجراً[1].

---

(١) مجلة الهدى – النجف – العدد –١١ – السنة الأولى ١٤١٩ هـ /ص٨.

بمناسبة ميلاد الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَام

بقلم: السيد الشهيد محمد مهدي الحكيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

أيها المؤمنون:

إننا نفتتح باسم الله سبحانه وعلى بركته هذا المهرجان الديني الكبير بمناسبة ذكرى ميلاد أبي عبد الله الحسين عَلَيْهِ السَّلَام رافعين أكف الضراعة إليه سبحانه بأن يحقق آمال المسلمين، في قيام حكومة صالحة، تتخذ من القرآن الكريم دستوراً ومن الإسلام نظاماً، ومن سيرة أهل البيت عَلَيْهِم السَّلَام طريقة ومنهاجاً، وأن يوفق العاملين في سبيله، ويجعل كلمتهم هي العليا وكلمة أعدائهم هي السفلى، إنه الموفق المعين وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أيها المؤمنون:

إن الاحتفال بذكرى ميلاد أبي الضيم عَلَيْهِ السَّلَام لهو احتفال بذكرى ميمونة مباركة، تعيد إلى أذهان المسلمين ذكرى ذلك العهد المضيء، عهد الإسلام في أيامه الأولى يوم كان المجتمع الإسلامي مجتمعاً فاضلاً سليماً قوياً متمسكاً، تسوده أحكام السماء وتظله شريعة القرآن وتجري في ربوعه اليانعة الممرعة منابع القوة والعزة والجلالة.

فلقد كان مولد سيد الشهداء عَلَيْهِ السَّلاَم في ظل الدولة الإسلامية المباركة التي أقام صروحها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم على أسس قوية رصينة تمثل الإيمان بالله سبحانه والعمل وفق شرائعه وأحكامه والتحلي بالأخلاق السامية، وإننا إذْ نستعيد هذهِ الذكرى إنما تستعيدها والألم يحز في نفوسنا، ونحن نرى الحالة المزرية والهوة السحيقة التي وصل إليها المسلمون، وندرك المسافات الشاسعة البعيدة التي تفصل بينهم وبين إسلامهم وعقيدتهم تكالبت عليهم قوى الضلال والانحراف وتناهبتهم أيادي الدمار والبوار، وعبثت فيهم مبادئ وآراء ما أنزل الله بها من سلطان. واستبدت بهم في معظم أقطارهم وديارهم حكومات طاغية عاتية، أثقلت كاهلهم وأنهكت قواهم وفرقت جماعتهم فعادوا أمة مقطعة الأوصال مخرقة الأشلاء لا تعتمد على قوة ولا تأوي إلى ركن شديد.

أيُّها المؤمنون:

إن لكم من تاريخكم أبلغ المواعظ وأروع العبر، فقد رأيتم كيف كان المجتمع الإنساني في الجزيرة العربية بشكل خاص لا صوت فيه إلاّ للقوة والزعامة فيه للطغيان، قد هدرت فيه الحقوق وانتهكت فيه الحرمات، واختلط الحق بالباطل والحابل بالنابل وبات فيه الناس جميعاً وهم أشتات لا تجمعهم كلمة ولا تؤمهم عقيدة ولا تظلهم راية حتى إذا جاء الإسلام وهو دين الله الذي ارتضاه لعباده وتم نعمته به عليهم وإذا به يصنع المعجزة منه هذهِ الأمة التي كانت تشكو كل عوامل الضعف والانحلال، أمة سوية فاضلة تمتلك كل عوامل القوة والتماسك، وليستعين الإسلام على تحقيق هذهِ المعجزة بقوة العقيدة وتأثيرها البالغ في النفس الإنسانية، والعقيدة – أيُّها المؤمنون – قوة جبارة هائلة لا تقف في وجهها أية قوة أخرى، وتاريخ الإسلام الجهادي حافل بالخوارق والمعجزات التي كان أحدهم يبرز لعدوه وقد وضع قلبه فوق درعه ويبرز إليه عدوه وقد وضع درعه فوق قلبه وشتان بين دروع تحميها القلوب وقلوب تحميها الدروع.

وما واقعة الطف الدامية إلاّ مثل رائع للقوة الهائلة التي تملكها العقيدة حيث يقف نفر معدود، لم يبلغوا المائة وقد فقدوا كل مقومات النصر ليعلنوا للإلوف المؤلفة التي جمعت بينها عوامل أرضية زائفة أن العقيدة أقوى من العدة والعدد والسلاح والمال والجاه والسلطان، إنهم لا يعطون بأيديهم إعطاء الذليل ولا يقرون إقرار العبيد، وماذا كانت النتيجة؟ كانت النتيجة أن انجلت المعركة عن الصرعى الّذين حققوا إرادتهم فماتوا أحراراً ثمّ استعصوا على الموت وتمردوا على الفناء لتبقى ثورتهم مشعلاً هادياً للثورات الهادية التي كانت امتداداً لثورتهم والتي قامت لتدك عروش الجور والبغي والطغيان ولتطالب بالدم المسفوح، دم الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم وصحبه البررة الميامين.

واليوم - أيُّها المسلمون - وبعد أن أضعنا عقيدتنا من أيدينا تحول مجتمعنا إلى مجتمع تدهورت فيه القيم وضاعت فيه الحقائق وانقلبت فيه المقاييس، وأصبح الناس بين باكين، باكٍ لدينه وباك لدنياه، وسر ذلك كله هو عزوفنا عن أحكام الإسلام واستبدالنا إياها بأحكام وقوانين شرعها الإنسان لنفسه، لتعود عليه بالدمار الماحق والبوار الساحق، ولتكون برهاناً واضحاً على نقص الإنسان وقصوره عن وضع التشريع الصالح لحياته ومجتمعه.

والآن وقد عرفنا هذهِ الحقيقة، فهل آن لنا أن نعود إلى أحكام الله؟ وهل آن للمسؤولين أن يستجيبوا لدعوة الحق ونصح الناصحين، فيحققوا للأمة المسلمة في استئناف الحياة الإسلامية الكريمة في ظل راية القرآن، ويعيدوا بذلك مجدها وعزها وكرامتها؟

«اللهمّ إننا نرغب إليك في دولة كريمة تعز بها الإسلام وأهله وتذل بها النفاق وأهله وتجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك والقادة إلى سبيلك وترزقنا بها كرامة الدنيا والآخرة»

إنك ولي الإجابة سميع الدعاء والسلام عليكم[1].

(١) مجلة الإيمان - النجف - العدد -٣ و ٤- السنة الأولى ١٩٦٤م /ص٢٢٩.

ما أحوج المسلمين إلى تذكر الأهداف الدينية التي جاهد من أجلها الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم

بقلم: السيد محسن الحكيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

أبنائي الأعزاء أهالي النجف الكرام، أيها الوافدون والمؤمنون:

السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته، وبعد فإني أشكر لكم قيامكم بشؤون الاحتفال بهذه الذكرى المباركة، ذكرى ميلاد سيد شباب أهل الجنة الإمام أبي عبد الله الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم كما وأشكر أخواننا المؤمنين الّذين شاركوا بالحضور في هذا الحفل الديني البهيج، وشكر الله سبحانه أعظم وثوابه أوفر.

وإنني لا أستكثر عليكم نخوتكم الدينية وتعظيمكم شعائر الله لأنكم -والحمد لله- قد خصصتم بجوار سيد الأوصياء عَلَيْهِ السَّلاَم فغمركم بروحانيته، واكتنفتم الحوزة العلمية الدينية فاستشعرتم شعارها، فمنكم يأخذ الناس معالم دينهم وبكم يقتدون.

ونحن حين نستعيد هذهِ الذكرى المقدسة إنما نستعرض في أذهاننا عصر النبوة الزاهر يوم أطل المولود العظيم على دنيا مباركة أقامها النّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم على

أساس الإسلام، تستمد من مفاهيمها وشرائعها، وترجع إليه في حل مشاكلها وجميع شؤون حياتها فكانت دنيا تفيض بالعدل والاستقامة وتزخر بالسعادة المادية والروحية.

فمن الجدير بالأمة اليوم وهي تعيش واقعاً فاسداً بعيداً كل البعد عن تلك الحياة الإسلامية المشرقة أن تجعل من ذكرى الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم نبراساً لها تهتدي بهداه وتستضيء بنور سناه، وما أحوج المسلمين عموماً إلى تذكر الأهداف الدينية المقدسة التي جاهد من أجلها الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم والتي ناموا عنها طويلاً وما أحوج حكام المسلمين اليوم في جميع البلاد الإسلامية على اختلاف شعوبها إلى الاعتبار بهذه الذكرى التي طالما أسمعتهم من وعدها ووعيدها شيئاً كثيراً وحذرتهم من سخط الله سبحانه وانتقامه، ونصحت لهم أن يقدروا مسؤولياتهم أمام الله تعالى الذي أوجب عليهم الأخذ بالإسلام وتعاليمه وتطبيق شرائعه وأحكامه ولم يرض عنه بديلاً:

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

دعوتهم إلى هذا مراراً وتكراراً ونصحت لهم سراً وجهاراً:

﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا﴾ ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾.

وختاماً أبتهل إلى المولى عزّ اسمه رافعاً أكف الضراعة إليه سبحانه قائلاً:

﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته[1].

---

(١) مجلة النجف - النجف - العدد - ٩و١٠ - السنة الرابعة ١٩٦١م /ص٢.

خلود النهضة الحسينية

بقلم: الشيخ محمد رضا المظفر

عميد كلية الفقه / مؤسس جمعية منتدى النشر

بسم الله الرحمن الرحيم

إن ذكرى ولادة سيدنا الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم هي ولادة لذكرى مأساة الحسين التي لم يخلق مثلها ولم يخلق جدهما الملوان، فما أن يخطر بالبال اسم أبي عبد الله إلاّ وتتضخم في القلب تلك النازلة بالإسلام والمسلمين فيعظم هولها وتصغر المصائب دونها، ولا ندع للنفس مجالاً لفرحة عيد ميلاده أن نسلك إليها، ولا نترك للقلم مجالاً واللسان أن يصعدا في تصوير هذا الحدث الذي ملأ بيت النبوة بمشرق نوره الوهاج غبطة وحزناً في آن واحد.

على أن مثلي لعاجز عن تصوير ما لأمامنا عَلَيْهِ السَّلاَم من عيد في ميلاده أو من ميلاد في عيد، وما أوتي كاتب من بيان فإن بلاغته لا تتجاوز التكرار لما هو مكرراً آلاف المرات ليل نهار.

ولكن الشيء البكر الذي لم يتكرر في وجود الإنسان ولم يعرف له مثيل في تاريخ البشرية أن يظهر في الوجود إنسان مثالي كالحسين عَلَيْهِ السَّلاَم بنهضته الجبارة التاريخية في مصاولة الظلم ومكافحة الطغيان ومقارعة الجور، ومناهضة الكفر والإلحاد، مضحياً بكل ما عنده من قيم واعتبارات، وبكل ما يملك من مال وبنين وحياة، فليستدر عطف

الأجيال المتعاقبة لنصرة الحق، ويثير حماس النفوس الأبية على مقاتلة الظلم، ويعلم كل محب للعدل على التضحية في سبيل الواجب، ويفضح أعمال الطغمة الفاسدة المستبدة، ويكشف للناس الروح الجاهلية الخبيثة التي أرادت باسم الإسلام أن تخادع الناس للقضاء على كل معاني الخير وخير كل المعاني الإسلامية التي نادى بها محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم.

أعود فأقول: إن الذي لم يتكرر في التاريخ أن ينهض رجل كالحسين عَلَيْهِ السَّلاَم في ظروف الإسلام الخاصة فيعلنها حرباً شعواء على الظلم والفساد والكفر والإلحاد فيعيد للإسلام جدته، وللتوحيد صولته، ويعلن للعدل سراطه، وللحق منهجه، ولإباء الضيم والذل طريقه.

ولئن تكن هذهِ الثورة عبرة لنا – نحن أبناء هذا العصر من المسلمين– فهي أحق من أن تكون عَبرة نعصر فيها الدموع اعتصاراً ونقعد ملومين مدحورين عن مصاولة الظلم والإلحاد جبناً واستكانة.

وما أجد فيما وجدت عصراً كعصرنا الحاضر ولا يوماً كيومنا الذي نعيشه الآن طوع بدعائم الإسلام فهدمها وشتت شمل المسلمين فقوضهم، وملأ الأرض ظلماً وجوراً والدنيا فساداً واستهتاراً. وقد مضت سنون طويلة والمستعمرون الصليبيون يدكون حصون الإسلام حصناً حصناً وينشرون راية الإلحاد نشراً نشراً ويبخسون حق الفضائل بخساً بخساً. ونحن – المسلمون لا بارك الله فينا من مسلمين– أعنّاهم على أنفسنا إعانة الضعيف المتخاذل للقوي المهاجم، وساعدناهم على ديننا مساعدة العبد اللئيم لسيدهِ الجائر الحاقد، وشاركناهم في هدم قواعدنا مشاركة الدنيء الغبي للعدو اليقظ الجائر.

وإني لأتمنى على كل واحد من المؤمنين الأخيار الغيورين أن يجوب البلاد

الإسلامية من أقصاها لأدناها كما شاهدت قسماً من مظاهرها العابرة، ليرى بأم عينيه كما رأيت إلى أي مدى تردت الحال بتعاليم الإسلام الصحيحة، وإلى أي تحلل خلقي إقتبسناه من أعدائنا الغربيين، إلى أي استهتار وحشي بروح الدين بلغناه تقليداً لخصومنا المستعمرين.

وفوق كل ذلك وهو موضع الداء ومحزه أن ولاة الأمور في بلادنا الإسلامية من أقصاها لأدناها مفخرة أحدهم أن يستجيب إلى داعية الغرب للاستهانة بتعاليم الإسلام والانغماس بمفاتن الشهوة واللذات الداعرة، ومبلغ حرية مفكرهم أن يستسيغ دعوة اللادينية والإلحاد وصولة قويهم أن يستعين بالظلم والجور ووحشية شريعة الغاب. ولا شك أن المستعمرين الطغاة يتضاحكون في سرهم بملء أشداقهم على هوساتنا في تقليدنا لهم، ويفرحون بمنتهى سرورهم على انكفائنا على أنفسنا وديننا وعلى انعكافنا على أصنامهم التي نصبوها لنا لنقلدها، ونحن نخادع أنفسنا بأنا بلغنا بتقليدنا لهم في الاستهتار الغاية من التقدم والعمران والرقي في الاستقلال حتى أصبحت دعوة أفيون الشعوب لها المجال لتخدير المغفلين المساكين منا وإغرائهم على هدم حصوننا الإسلامية.

وبهذه المناسبة يجب أن لا ننسى مواقف النجف الأشرف في هذا المضمار وبطولتها وتفهمها لنيات المستعمرين ودسائسه، فإنها بفضل علمائها الأعلام نواب الإمام هي التي أعلنت الجهاد على المستعمر حينما هجم على إيران لاحتلالها قبل الحرب العالمية الأولى وأعلنت الجهاد عليه أيضاً حينما هجم على العراق لاحتلاله في الحرب العالمية الأولى.

ومما يلفت النظر حقاً أن جهاد النجف كان في صفوف العثمانيين مؤازرة لهم.

نعم كان جهادهم في صفوف العثمانيين مع أنهم كانوا من ألد أعداء النجف، وقد ذاق العراق منهم والنجف بالخصوص من صنوف الآلام وأنواع العذاب، ولم

يمنعهم ذلك من واجبهم المقدس الإسلامي في جهاد الكافر المستعمر.

وبعد هزيمة الأتراك بخيانة قوادهم واحتلال العراق من قبل الإنكليز ثلاث سنوات تعلمون من الذي نهض في وجههم بالثورة الكبرى التي قادها العلماء بكل إخلاص وتضحية وحكمة. ثمّ أنتم تعلمون كيف نفض العلماء بعد ذلك أيديهم من الحكومة التي اصطنعها المستعمر فحرموا انتخاباتها ووظائفها حتى أبعدوهم عن العراق.

وما تزال النجف – وعلى رأسها العلماء المجتهدون ينظرون إلى المستعمر وأحابيله الخادعة نظر الحذر المستيقظ، ولا ننسى أن من أعماله التي دأب عليها ولقن أذنابه بها محاولة الانتقام من العلماء بتشكيك الناس في إخلاصهم وحسن نواياهم وفي ميزتهم الثقافية وعلو كعبهم في الإسلام. ومن بعض تلك المحاولات للانتقام منهم إنكار جميلهم في الثورة وتناسي جهادهم في الدين، وبالأخير محاولة عزلهم عن الشعب وتقليل نفوذهم فيه وتصغير شأنهم عنده لإماتتهم. وقد نجح المستعمر في ذلك إلى أبعد نجاح فيما سبق، غير أن صبر رجال الدين وصمودهم أمام تلك المحاولات المرهقة وأمام نتائجها المنغصة من ضنك العيش وحنق الحريات هو الذي أبقى النجف وسيبقيها مرفوعة الرأس دائبة في أداء رسالتها الإسلامية خالصة لوجهه الكريم.

ولاشك في أن هذا الموقف المقدر لعلماء النجف مستوحى من جهة استغنائهم عن الحكومات على اختلافها في شؤونهم المادية وقناعتهم بكل ما هو ميسر لأدنى كفاف العيش، ومستوحى من جهة أخرى من فتح باب الاجتهاد، إذْ ينشأ في كل جيل علماء هم في الدرجة الأولى من ناحية الكفاية العلمية ومن ناحية الثقة بالله والانقطاع إليه والجهاد في سبيله لا تأخذهم فيه لومة لائم.

ومنزلة المجتهد عند الشيعة –كما تعلمون– منزلة الإمام في أنه المرجع للناس في شؤونهم الدينية وغيرها وليس لأحد غيره حق الإفتاء، وليس لأحد غيره حق الحكم

والتصرف في شؤون الناس العامة، له ما للإمام من الفصل في القضايا والحكومة بين الناس، والراد عليه راد على الإمام والراد على الإمام راد على الله وهو حد الشرك بالله، كما جاء في الحديث.

فليس المجتهد الجامع للشرائط مرجعاً في الفتيا فقط بل له الأولوية العامة وذلك من مختصاته ولا يجوز لأحد أن يتولاها دونه إلاّ بإذنه وإجازته، كما لا تجوز إقامة الحدود والتعزيرات إلاّ بأمره وحكمه.

تلك حدود الله تعالى التي فرضها على عباده.

وبعد هذا أفلا يكون موقف الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم عبرة لنا للنهضة بأمتنا الإسلامية للرجوع إلى حضيرة الإسلام والرشد الديني والهداية الإلهية. وما أرخص النفوس والمال والجاه في سبيل إقامة عدل الله في الأرض وصرح الدين الإسلامي في الكون. ولنا بسيدنا أبي عبد الله الأسوة الحسنة وبطريقته المثل الأعلى الذي يحتذى.

ألهمنا الله تعالى الصبر ووفقنا لوحدة كلمتنا وجمع قوتنا وهدانا سواء السبيل. اللهمّ وإليك المشتكى وعليك المعول في الشدة والرخاء. فأفض علينا من رحمتك ما يغير من حالنا

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[1].

---

(١) مجلة النجف – النجف – العدد – ٩و١٠ – السنة الرابعة ١٩٦١م /ص١٠.

كلمة التوحيد

بقلم: الشيخ مرتضى آل ياسين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ولا إله إلاّ الله إلهاً واحداً ونحن له مسلمون لا إلـه إلاّ الله ولا نعبـد إلاّ إيـاه مخلصين له الدين ولـو كـره المشركون لا إلـه إلاّ الله ربّنـا ورب آبائنـا الأولـين لا إلـه إلاّ الله وحده وحده أنجز وعده ونصر عبده وأعز جنده وغلب الأحزاب وحده لا إله إلاّ الله.

هذه هي كلمة التوحيد الـتي أراد الله سـبحانه وتعـالى إعلاءهـا في بـلاده وتلقينـها لعباده على ألسن أنبيائه ورسله من لدن أبينـا آدم عَلَيْـهِ السَّلاَم إلى عهـد نبينـا الأعظـم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم.

وهذه هي كلمة التوحيد التي أخذ الله على سفرائه التبشير بها والدعوة إليها مهمـا أصابهم في سـبيلها مـن ظلـم وضـيم ومهمـا حـاق بهـم مـن خطـوب وكـروب وناهيـك بالأذى الذي أصاب خاتم الأنبياء في سبيل هذهِ الدعوة حتى قال:

«**ما أوذي نبي بمثل ما أوذيت**».

وهذه هي كلمة التوحيد التي جعلت لها من علي أمير المؤمنين جندياً فدائياً يقـذف بنفسه في لهوات الحروب غير هياب ولا وجل وهو يقول:

«**إن علياً لا يبالي أوقع على الموت أم وقع الموت عليه**».

وهذه هي كلمة التوحيد التي تبناها صاحب هذهِ الذكرى فقدم نفسه قرباناً بـين يـديها

بعد أن ضحى في سبيلها بسبعة عشر شاباً من أهل بيته ما لهم على وجه الأرض من مثيل.

وهكذا انتصر أنبياء الله وأولياؤه لكلمة التوحيد انتصروا لها بكل ما لديهم من حول وقوة حتى فازت وانتصرت وغزت المشرق والمغرب ورفرفت رايتها على الرطب واليابس ثمّ تركوها وديعة في أيديكم أنتم أيها الموحدون فماذا صنعتم لها وماذا أنتم صانعون.

لا شك في إنكم ستتخذون من ذكرى صاحب هذهِ الذكرى (سلام الله عليه) منهاجاً ينير لكم الطريق إلى العمل الصالح ويقودكم إلى القيام بما يفرضه عليكم الواجب تجاه هذهِ الوديعة الغالية فقد علمكم هذا الأمام الشهيد أبو الشهداء بما ألقاه عليكم من دروس التضحية في سبيل الحق أن الدين فوق كل شيء وقبل كل شيء وأنه لا قيمة للحياة في سبيل الذود عن الدين ولا وزن للروح في سبيل الحفاظ على المبدأ والعقيدة.

ومن الحق أن يعترف لكم التاريخ أمام الأجيال الآتية بأنكم لم تنكصوا عن الاستجابة لنداء الوديعة حين دعتكم للحفاظ عليها والدفاع عن كيانها وإنكم عانيتم في سبيلها أشد العناء. وتحملتم لأجلها ألواناً من الخطر والضرر وإنكم واكبتم حزب الله حين نهض لحماية دين الله ووازرتم قادتكم من رجال الدين في جهادهم وجهودهم التي بذلوها في هذا السبيل إلى أن كتب الله الخذلان لأعدائه فباؤا بالخزي والهوان فجزاكم الله عن الإسلام خير الجزاء وأوفر الجزاء ولكني أعيذكم أيها الأخوة الأعزاء أن يغركم ما ترون من انكماش الضلال في هذهِ المدّة فإن العاصفة قد تهب فجأة من غير إنذار وإن أعداء الله من حولكم ما زالوا يكيدون لدينكم ما استطاعوا له من كيد يكيدون له في الليل إذا يغشى وفي النهار إذا تجلى، فعليكم بالحذر كل الحذر وعليكم باليقظة كل اليقظة وإياكم والغفلة عما يكيدون، ثمّ إياكم والسِّنة عما يمكرون إنهم يريدون أن يطفؤا نور الله ويأبى الله إلاّ أن يتم نوره ولو كره المشركون[1].

(١) مجلة الأضواء – النجف – العدد – ٥و٦ – السنة الثانية ١٣٨١هـ /ص٣٨٥.

ميلاد سبط الرسول أبي عبد الله الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم

بقلم: الشيخ محمد الخالصي

كان مبدأ خطاب سماحته بعد أن رتل آيات الحمد والتعظيم لله تعالى والإقرار بوحدانيته والشهادة لنبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم بالرسالة والصلاة عليه وعلى أهل بيته أوصيائه من بعده وعلى من اتبعه من أصحابه، حث على التقوى وعدد مزاياها وكنهها السامي فأوصى بالتمسك بها وقال: اتقوا الله وتعاونوا على البر والتقوى، اتقوا الله وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر، اتقوا الله وأغيثوا اللهيف، وأسعفوا الضعيف، اتقوا الله وارحموا الفقراء والمساكين وتحننوا عليهم، ثمّ قال هذا شهر شعبان وهو شهر المبرات، والخيرات، وفيه أطيب الذكريات، ففي هذا اليوم كان ميلاد سيد شباب أهل الجنة سبط رسول الله الأعظم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم ومؤسس الإسلام الثاني وباني صرح الدين ومشيده، ذاك الذي فدى نفسه وأولاده وأخوته وأصحابه في سبيل إحياء دين جده ومكافحة الطغيان الأموي الذي كاد أن يقضي على الإسلام ويعيد الجاهلية الأولى، وقد وقف الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم موقفاً خلده التأريخ له بصفحات من نور، ومجده المسلمون على مر العصور والأجيال، فذكراه خير درس للمسلمين وهو نبراسهم الوهاج الذي ينير لهم طرق الهدى والصلاح، والرقي إلى درجات السعادة والفلاح، وذكرى الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم مدرسة كبرى لبث التعاليم

الإسلامية العالية، تعلمنا دروس التضحية والمفاداة في سبيل المبدأ أو العقيدة والثبات على الحق والإباء للضيم والمواساة في الجهاد.

وعلينا أن لا نضيع تلك التضحية المثلى وأن نتفهم مغزاها، ونسير على هداها وندعو المسلمين إلى الاقتفاء بآثار آل محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم والسير على منهاجهم، فالحسين عَلَيْهِ السَّلاَم لما رأى أنّ الدين لا تقوم له قائمة إلاّ أن يضحي بنفسه ليثير النقمة في نفوس المسلمين على دولة الكفر الأموية جاد بنفسه في سبيل الله والإسلام، أما نحن معاشر المسلمين فلم نزل نرزح تحت كابوس الضيم والهوان، حتى تجرأ اليهود علينا، وخضعنا ورضينا الذل لأنفسنا إذْ انتزعوا قلب البلاد الإسلامية من بين أيدينا، ومن الذي سلطهم علينا؟؟ ألسنا نحن الّذين تخاذلنا وتفرقنا وهجرنا الدين والكتاب وفشا ما بيننا الظلم والفساد، وتخلقنا بأخلاق أهل الكفر والإلحاد، واستجبنا لأهواء المستعمرين وراجت فينا دعايات اللادينيين، ولو إننا نهضنا بنصر الله والإسلام وعملنا بتعاليم محمد وآل محمد لما تسلط علينا كافر، ولما أحلّ بساحتنا بلاء، ومضى في خطابه منددا بمفرقي كلمة المسلمين، داعياً إلى التوحيد والاتحاد، والمعاضدة والإخاء، لتتظافر جهود المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها على العمل الجدي لرفع كلمة الإسلام، وأخذ يتكلم تنبيه المسلمين إلى ما يهددهم من الأخطار بتياراتها الجارفة التي تعصف بكيانهم إذا لم يستعملوا الحكمة، ويوحّدوا الكلمة ويطهروا الأرض من الفسوق والفساد ودعايات التضليل والكفر والإباحية والفوضوية والإلحاد، فليتقوا غضب الله وسخطه فقد بلغ السيل الزبى وتجرأ الشيوعيون على الجهر بإلحادهم ومحاربتهم لله والإسلام والأخلاق والشرف وبالأخير لجأوا إلى الوقيعة بالمسلمين وإلقاء الفتنة بينهم ببث دعوة التفريق والاختلاف والمنابذات وترويج النعرات الطائفية طلباً للحصول على احداث الفوضى والاضطراب وإماتة معنوية الإسلام، وايم الله لن يصلح الحال ما دام على وجه الأرض شيوعية وكفر وفساد فقد استحلت المحارم وأصبح المنكر معروفاً

والمعروف منكراً فالخمور مراقة على الموائد ويتجاهر بها معاقروها علناً، وفشا الفجور ما بينهم والزنا واللواط والقمار ولم يبق منكراً إلاّ ارتكبوه ولا محرماً إلاّ استحلوه وهذه الذنوب والآثام تستوجب نزول غضب الرحمن وسخطه وإن البلاء الذي حل من محنة الفيضان ما هو إلاّ بادرة لنزول العذاب وكذلك حلول البؤس والشقاء وارتفاع البركات وتسلط الكافرين على بلاد المسلمين ولولا رحمة الله سبقت غضبه لأطبق العذاب على أهل الأرض جميعاً فالرحمة والغضب في عراك، لأن ما يقترفه العباد من الذنوب والآثام يستوجب الغضب والعذاب ولكن رحمة الله وسعت كل شيء، فطهروا الأرض من الظلم والفساد والفجور والإلحاد قبل أن يطهرها الماء أو النار.

ثمّ رفع يديه متضرعاً إلى الله تعالى أن يأخذ بيد الأمة الإسلامية إلى ما فيه خيرها وصلاحها وسعادتها ويسبغ عليها الرحمة والرضوان ويكشف عنها العذاب والهوان[1].

(١) مجلة مدينة العلم – الكاظمية – الجزء الثاني – السنة الأولى ١٩٥٤م /ص١٩٤.

ما هذهِ العاطفة العاصفة التي لا تفارق ذكر الحسين حتى عند الابتسامة بميلاده

بقلم: الشيخ محمد أمين زين الدين

بسم الله وله الحمد

أيها الحفل الكريم:

ما هذهِ الحبسة التي ملكتني أكثر من يومين وأنا أريد أن أعد هذا الحديث؟

ماللكلمات تموت على شفتي حتى كدت أن أيأس وأن ألقى اليراع؟

ثمّ مالي أريد أن أقول ياللبشرى فيكتب قلمي ياللأسى، فهل أنا في حفل مولد أم في ذكرى شهادة؟

لا أكتمكم أيها السادة إني بكيت قبل أن أكتب، وبكيت بعد ما كتبت وما أدري ما هو شأني إذا وقفت لأقرأ لكم ما كتبت.

ما هذهِ العاطفة العاصفة التي لا تفارق ذكرى الحسين حتى عند الابتسامة بميلاده؟

وقد ورد في الأثر الكريم: أنّ الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم بشر في يوم ميلاده فبكى، وإنه دخل على ابنته الصديقة ليهنئها بوليدها فبكت، وأن أهل البيت الطاهر قد استقبلوا هذا الوليد الحبيب بالابتسامات والدموع.

بدموع الحزن.. نعم، وأحزان أهل هذا البيت هي الأفراح لهم في الصميم!!

أحزان أهل البيت هي أفراحهم الأثيرة عندهم، لأن الغايات العظمى التي أنيطت بهم لا تتحقق إلاّ بهذه الأحزان. وكان السهم الذي ينالونه من قبل الوليد هو السهم الأوفر ولذلك كان الحزن بمقدمه أكبر. وعلى ذلك المقياس المختص بهم فقد كان فرحهم بمولده أكثر.

أيها السادة:

يقول العلماء وهم يفسرون كلمة الرسول المشهورة أو المتواترة:

«**حسين مني وأنا من حسين**».

يقولون: أن الكلمة تعني أن الحسين شريك جده في الدعوة. ومن عقائد شيعة أهل البيت أن الأئمة الاثني عشر أجمعين شركاء لجدهم الرسول في الدعوة، فهو المؤسس لها والقيم الأكبر عليها، وهم من بعده الأمناء القوامون على حفظها. فيما هذهِ الخاصة التي يعنيها العلماء بقولتهم تلك؟

إن الجواب عن هذا مبسط يتشعب به القول ويطول، وحسبي أن أقف على ناحية واحدة تتصل بموضوعي الذي بدأت به الحديث.

أيها السادة:

إن الإسلام دين الله العظيم الذي اصطفاه للناس وتوج به الشرائع وختم به الأديان إن هذا الدين منهاج إنساني متكامل، شرعه الله لتنظيم هذهِ المجموعة الضخمة من الغرائز والعواطف والمشاعر والأحاسيس، لتنظيم هذهِ المجموعة التي يسمونها الإنسان.

والإنسان – كما تعلمون – موجود واحد ركائزه النفسية المذكورة وإن كثرت وتنوعت آثاره واختلف تأثيرها إلاّ أنها متشابكة متداخلة، ووحدتها بعد آنية من قبل القوة الحيوية الواحدة التي تحرك جميع هذهِ القوة، والطاقة العامة الواحدة التي تمدها،

والإرادة الإنسانية الواحدة التي تصرفها، والعقل المفكر الواحد الذي يملك أن يتحكم فيها.

ومن أجل هذهِ الوحدة بين نواحي الإنسان وهذا التشابك بين غاياتها وبين مجالات نشاطها أصبحت كذلك متبادلة التأثير فلكل واحدة منها أثر قوي أو ضعيف في سلوك الأخرى وفي اتجاهها إلى أهدافها.

والدين الذي يروح إصلاح الإنسان وتقويم أخلاقه وضمان الخير الأعلى له في حياته هذهِ الأولى المنقطعة وفي حياته الأخرى الدائمة، لا محيد له من أن يسع هذهِ النواحي كلها تنظيماً ويعمها تهذيباً وإصلاحاً وكيف يبلغ غايته إذا لم يصنع ذلك؟ بل وكيف يمكنه أن يصلح بعض نواحي الإنسان دون بعض إصلاحاً حقيقياً كاملاً بعد أن كانت لها هذهِ الوحدة الملحوظة وهذا التفاعل المحسوس؟

قلت إن الإسلام منهاج متكامل شرعة الله العظيم لتنظيم علاقات الإنسان وسلوكه، وتهذيب غرائزه وعواطفه إصلاح سره وعلانيته وأعماله وصفاته. وبديهي أن الدين لا يستطيع أن يدرك هذا المدى من الإنسان وأن يحقق له هذهِ الغاية ما لم يثبت عقائده وأسسه في عقل الإنسان ومشاعره وما لم يمتزج بعواطفه وأحاسيسه وبلحمه ودمه، وكيف يملك أن يهدي العقل ما لم يتصل بالعقل؟ وكيف يقوى أن يوجه العاطفة ما لم يمتزج بالعاطفة وكيف يقدر أن يهذب الأخلاق والعادات ويصلحها إصلاحاً جذرياً ما لم يتصل بينابيعها من النفس وبجذورها في الطبع؟

إن الدواء مهما احتوى تركيبه من العناصر الفعالة فلن يضمن الشفاء حتى ينفذ إلى مكمن الداء، وأن الدين مهما جمع تشريعه من دقائق الحكمة فلن يقوّم طباع النفس حتى يصل إلى أعماق النفس.

والبراهين التي عضدت هذهِ الدعوة في كتابها الكريم وفي حديث رسولها العظيم

تنير آفاق النفس من الإنسان كما تضيء آفاق العقل، فهي مدد للفكر ليقتنع، وهي مدد للقلب ليؤمن، وهي مدد للمشاعر والإحساس لتعترف وتتوجه.. والعواطف ومنافذ الشعور ومصادر وبرهنة القرآن قولية حين تمد الفكر وفعلية تمثيلية حين تكون مداداً للنواحي الأُخَر.

ولكن العاطفة أيها السادة.. ولكن هذا الشعور الدقيق.. ولكن الخفقة الإنسانية بالجمال.. تبغي ما هو أقرب من ذلك وألصق.. إنها تبغي امتزاجاً.

لقد تعودت عاطفة هذا الكائن أن لا يشفيه إلاّ القرب فلابد للدعوة أن تلج العاطفة وأن تمتزج بها.

وكيف السبيل؟ وكيف الوصول؟ إلاّ بدم الفداء من وريد أبي الشهداء.

أيها السادة: لقد قام حسين بهذا الدور من الدعوة أفلا يكون شريكاً لجدهِ فيها؟[1].

(١) مجلة النجف – النجف – العدد – ٩و١٠ – السنة الرابعة ١٩٦١م /ص٣٢.

مولد الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَام

بقلم: الشيخ محمد طاهر آل راضي

بسم الله الرحمن الرحيم

ولد أبو عبد الله – عليه أفضل الصلاة والسلام – في ثالث شعبان من السنة الثالثة من الهجرة – وجاء إلى الدنيا بعد أن شع حول عرش ربه نوراً مع أنوار خلقهم الله – جل وعلا – وجعلهم بعرشه محدقين، وكل مخلوق ميسر لما خلق له، فهم للعرش خلقوا وإلى هداه يرشدون، وعلى مرضاته يدلون، وهم الطريق إلى الغاية التي لأجلها خلق الله عباده، قال عزّ من قائل:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾.

ولوسائط الغاية حكم الغاية، لذا ورد في الحديث ما مضمونه:

«**لولاكم لما خلقت أرضاً ولا سماءً**».

والى هذا أشار أمير المؤمنين – عليه أقدس الصلاة والسلام – في كتابه إلى معاوية:

«**نحن صنايع ربّنا والناس بعد صنايع لنا**».

وإنهم ما برحوا من عالم العرش إلى عالم الدنيا إلاّ ليكونوا سبل معارفه ومسالك

الإيمان به ومنار هدايته، ولما حول معاوية زعامة الدين إلى الملكية والسلطان القاهر انحصر وعي الإرشاد إلى أن يتميز صراع الحق والباطل في أن يتمثل الحق مظلوماً بظلامة يملأ العالم صداها، وهي لا تكون إلاّ في تضحية دامية لا تهدأ وأعيتها ولا تخبو جمرتها ولا تهون رزيتها ولم يكن لها في ذلك الوقت إلاّ أبو عبد الله فخرج – سلام الله عليه – من المدينة مصمماً على أن يكون قربان الدين وكبش فدائه، وصرح بالخطة التي رسمها في جوابه لابن عباس حين منعه عن الخروج وعن حمل حرمه معه بقوله:

«**شاء الله أن يراني قتيلاً، وأن يراهن سبايا**»

وفي خطبته في مكة حين عزم على الخروج إلى الكوفة بقوله:

«**وخير لي مصرع أنا لاقيه كأني بأوصالي هذي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء**».

وفي كتابه إلى من تخلف عنه:

«**من لحقني منكم استشهد ومن لم يلحقني لم يبلغ الفتح**».

والمتحصل من مجموع كلامه – سلام الله عليه – أن إنقاذ الدين في ذلك الوقت منحصر في أن يكون هو وأهل بيته على الكيفية التي وقعت، وأن تسبى حرمه وذراريه من كربلا إلى الكوفة ومنها إلى الشام، وبذلك يتم كل ما يمكن أن يكون شاهداً ودليلاً على مناكير وجهة الضلال ويتجلى الصراع واضحاً بين الحق والباطل وقد أقدم سيد الشهداء على ما أقدم عليه ولم تمس كلمة التوحيد بسوء ولم يكن موقفه المشرف للدفاع عنها، بل كان للدفاع عما دونها، فأنعموا النظر في الموقف الذي يجب أن تقفوه، وقدمني التوحيد فما دونه بالخطر، محاطاً بجميع جهاته، وها هو نصب أعينكم قد كان ما لم يكن بالحسبان أن يكون، وقد وقع مالم يدر في خلد أن يقع، وهل فوق أن يغزي الإسلام في معاقله ومعاصمه مضطهداً بكلمة الكفر يجهر بها دعاة الإلحاد علانية،

متخذين لها مختلف الوسائل من دون أي خوف أو وجل، يريدون بها إطفاء نور الله، وهل فوق أن ينكمش الدين متلدداً، تطارده الطغم السافلة، مندفعين بصراحة لمحو كلمة: (لا إله إلاّ الله) فلا حول ولا قوة إلاّ بالله وإنا إليه راجعون.

لقد طلب النصرة أبو عبد الله مرات عديدة، ولم يطلبها تفادياً من القتل ولا استيحاشاً من الانفراد والوحدة، وهو من لا تزيده كثرة الناس حوله عزة، ولا تفرقهم عنه وحشة، وإنما طلب أن ينصر الدين، وأن يدافع عن أوامره ونواهيه، فهو ما يزال يطلب النصرة، بل هو في الوقت الحاضر أشد طلباً لها من زمان يوم الطف... فجاهدوا في سبيل الله إعلاءً لكلمته فإن الحرب ما تزال قائمة ولم تضع أوزارها، بل اليوم قد حمي وطيسها.

فأثبتوا لها صفاً كالبنيان المرصوص:

﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾.

وما كانت الدعوة من أئمة الهدى إلى إحياء أمرهم بعزاء سيد الشهداء للتشجيع على الشجى، ولمحض البكاء والعويل، بل كان غرضهم أسمى من ذلك فأمروا بذكرى واقعة الطف إيماء إلى عرش الحق الذي بها استقام بعد ما كاد أن ينهد، وإلى نور الدين الذي بها أضاء من جديد، ولولاها لانطمس، ولتشهدوا التضحية في سبيل الله ملموسة، ولتعرفوا أنه يهون كل شيء في مقام الدفاع عن الدين ونواميس الإسلام، فما العذر بين يدي الله لمن نأى بجانبه ولم يدافع عن كلمة «لا إله إلاّ الله».

وكيف الاعتذار عند رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم إذا غضى المسلمون عن سنته، وهم يشهدون الضلال يرميها بأقصى مراميه، ويرونه يبلغ غاية ما يمكن أن يبلغ إليه حتى عاد وكأنه الحق المتبع، لا غضاضة في ارتكابه ولا غميزة على مجترمه، بل أصبح الإجرام مفخرة واتباع معاوية هي العزة والكرامة، وانقلبت الآية الكريمة فعادت

العزة للالحاد ولدعاته وللمجرمين بعد أن كانت لله ورسوله وللمؤمنين.

فيا أيها المجتمع المسلم: أخاطبكم ونفسي لنتقي الله الذي لابد لنا من لقائه ولا منتهى لنا من دونه، فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها، ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه، إن الله لغني عن العالمين.

«**اللهم إنا نرغب إليك في دولة كريمة تعز بها الإسلام وأهله وتذل بها النفاق وأهله**».

وأن تحفظ دينك بحماته، وتؤيده برعاته، وتصونه بنفوذ كلمة العلماء وأولي الأمر فيه، وفقتم لاتباع قادة الحق وأعلام الهداية، والله ولي التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل[1].

(١) مجلة الأضواء - النجف - العدد - ٥و٦ - السنة الثانية ١٣٨١هـ /ص١٢٨.

مولد الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَام

بقلم: السيد عبد الله الشيرازي

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تبارك وتعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾.

أيها المسلمون، أيتها الأمة الإسلامية، يا أيها الّذين آمنوا بما أنزل على محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم، إن الله تعالى قد اختار لكم الدين الإسلامي، وجعلكم شهداء على الناس كافة، على سائر الأمم جميعاً، فلكم السيادة على ساير الملل، وقد جعل لكم القيادة عليهم بلا نقص وكلل، فما وجه نومتكم هذهِ، المانعة عن الاستفادة من هذا المقام الشامخ، وغفلتكم عن سلوك هذا الطريق الواضح. فاتفقوا أيها المسلمون في قبال الشرك والإلحاد ومكافحة الكفار من النصارى واليهود وأهل التضليل والإلحاد.

أيها المسلمون: إن أحكام الإسلام لا تختص بزمان دون زمان، ولابد أن يُعمل في جميع الأعصار والأمصار بقوانين القرآن، ولا نقص فيه من أي جهة من جهات نظر البشر بل مبيّن لكل ما يبتليه الإنسان خير أو شر.

أيها المسلمون: قد قلت مكرراً: الغربيون إنما قرروا القوانين لأنفسهم حين كان دينهم فاقداً للأحكام الكافية، وما كان كتابهم السماوي حاوياً للقوانين الوافية، فوضعوا هذهِ القوانين لأنفسهم، وادخلوها بين المسلمين للتغلب عليهم، أما سمعتم قول قائلهم قبل قرن أو أزيد آخذاً بيده القرآن الكريم وهو يقول: ما دام هذا القرآن بيد المسلمين لا نتمكن من الاستيلاء عليهم فلابد من إفنائه أولاً ومن التدخل في شؤونهم ثانياً.

ما كان مقصودهم إفناء الجلود والأوراق وإزالة ما في الدفاتر والقرطاس، كيف وقد ترى أن وجوده فعلاً أكثر من السابق بمراتب شتى، فأنادي بأعلى صوتي، وأخاطب جميع المسلمين، والحكومات الإسلامية: هل كان نقص في أحكام القرآن الكريم وشريعة سيد المرسلين، أم أنتم أعرف بمصالح البشرية من الله العزيز الحكيم، أم لا تقبلون قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم:

«**حلال محمد حلال إلى يوم القيامة، وحرامه حرام إلى يوم القيامة**»

فانتبهوا أيها المسلمون من نومتكم ولا تلتمسوا الكفار في وضع القوانين، ولا تولوا اليهود والنصارى ولا تتبعوهم في الأفعال والآداب.

نحن لا نقول: لا تقلدوهم في العلوم والفنون، نحن لا نقول: لا تتبعوهم في المخترعات والصنائع فإن الإسلام أساسه على العلم وحثه على تحصيل القوى والصنعة، قال الله تعالى:

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾.

وقال النّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم:

«**أطلبوا العلم ولو بالصين**».

ومن المعلوم ما كان في الصين محل الفقه والأصول، بل كان في ذلك الزمان محل الفنون ومركز الصنائع، نحن لا نقول لا تكتسبوا العلوم منهم ولا ترحلوا إليهم لتحصيل هذا الغرض، بل نقول: خذوا الفنون منهم ولابد أن يأخذوا الدين منكم، نحن نقول: تعلموا منهم الصنايع وعلموهم القوانين، نحن نقول حافظوا على الاستقلال واتركوا الاستعمار، نحن نقول: أدبوا أولادكم بأخلاق الأنبياء وجنبوا نساءكم من الملاهي والمنكرات، نحن نقول: ستّروا بناتكم ولا يكن لاهيات، وحجبوا أزواجكم ولا يكن سافرات فإن ذلك من أعظم الأخطار، وإن أعظم ما حث عليه القرآن ونبينا سيد المرسلين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم والأئمة الطاهرون عَلَيْهِم السَّلاَم محجوبية النساء وترك تبرجهن، وهذا النحو من كشف الحجاب الذي أسسه الاستعمار في غير واحد من الدول الإسلامية على خلاف صريح القرآن وخلاف لضروري الدين والإسلام، فوا أسفا على المسلمين مع كثرتهم إنهم لم يتفقوا على ما جاء به القرآن كي لا يحتاجوا إلى الأجانب في وضع القوانين.

لو كان المسلمون متفقين لم تتغير أحكام الدين.

لو كان المسلمون متفقين لم يدخل الاستعمار في بلادهم.

لو أنّ المسلمين متفقون لم تؤخذ بلاد القفقاز في السابق.

لو أنّ المسلمين متفقون لم يمكن جمع حثالات اليهود في فلسطين.

لو أنّ المسلمون متفقين لم تقع سلطة الهنود على كشمير.

لو أنّ المسلمون متفقين كان العلماء وأهل العلم في جميع الأقطار محترمين.

لو ان المسلمون متفقين وكانوا بأحكام الدين عاملين لا تنفذ اللادينية إلى صفوف المسلمين ولا الصهيونية إلى بلاد العرب.

فاتفقوا أيها المسلمون ولا تفرقوا، وتمسكوا بالقرآن واعملوا بأحكامه والتزموا

مساجدكم وعظموا علماءكم وارفضوا البدع، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم:

«كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار».

وأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر فإنها وظيفة الكل، ولا تختص بطبقة دون طبقة. قال الله تعالى:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾.

وإن نهضة الحسين بولادته أُضيء العالم، وأنزلت الملائكة لتبريك النّبي بولادته، كانت لإحيائه دين جده والنهي عن المنكر ورفع البدع لا لمجرد البكاء عليه وإقامة مأتمه ومحال عزائه، وإنه عَلَيْهِ السَّلاَم علم البشر طريق النجاح والفلاح، واستنقذ العباد من الجهالة وحيرة الضلالة، فبه نقتدي في رفع الظلم والطغيان، وفي الدفاع عن الحق والقرآن.

﴿لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾.

وأهنئكم جميعاً بهذا الميلاد العظيم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته[1].

(١) مجلة العدل – النجف – ج١٣و١٤ – السنة الأولى ١٩٦٦.

في ميلاد سيّد الأباة

بقلم: الشيخ محمد مهدي شمس الدين

أيها المسلمون؛ السلام عليكم ورحمة الله.

لقد عاش الحسين وسيعيش في قلوب الملايين من المسلمين وغيرهم رمزاً حياً باهراً للدفاع عن المبدأ والنضال في سبيل العقيدة. وسيظل الحسين على الدهر رمزاً حياً باهراً للإنسان المسلم الذي يضحي في سبيل عقيدته بكل ما يملك حتى الحياة.

لقد كافح الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم طغيان الأمويين وفضح مؤامراتهم على الإسلام مع أبيه وكافحهم وفضحهم مع أخيه، وكافح في سبيل الإسلام بعد ذلك وحيداً، حتى توج كفاحه القاسي المديد بسقوطه صريعاً في سبيل مبدئه، وفي سبيل خير مجتمعه.

وإن العبرة التي يجب أن نخرج بها - نحن المسلمون- من هذهِ الذكرى ومن مثيلاتها عظيمة القيمة بالنسبة إلينا في حاضرنا الراهن.

لقد دأب الاستعمار وأعوانه منذ وطأت أقدامهم أرض بلادنا يتآمرون على العقيدة الإسلامية، ويحاولون صرفنا عنها بشتى الأساليب وذلك لأجل السيطرة على كياننا. فلقد أدرك الاستعمار وأعوانه إنه لا بقاء لهم في بلاد تدين بالإسلام، وتتبع نظامه، وتسير على برامجه في الحياة، ولذلك وجهوا جهودهم إلى القضاء على الدين الإسلامي وتعطيله عن أداء مهمته التحريرية الكبرى في المجتمع. وكان هدفهم وما يزالون هو أن يجعلوا الدين الإسلامي ديناً غريباً في مواطنه، وبين أهله ومعتنقيه.

وإن هذا ليذكرنا بما ورد عن الآثار المروية عن نبينا الأعظم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم وهو قوله:

(لقد بدأ الإسلام غريباً. وسيعود غريباً كما بدأ).

لقد بدأ الإسلام غريباً. بدأ في مجتمع وثني جاهلي، لا يعرف هدى الإسلام، ولا يتبع في حياة نظام الإسلام في الاجتماع والسياسة والاقتصاد، ولكن الله أعز دينه، وخذل أعداءه، حتى صارت كلمة الله -كلمة الإسلام- هي العليا ولو كره المشركون.

وها هو الاستعمار وأعوانه يريدون أن يعيدوا الإسلام غريباً كما بدأ. ولئن بدأ الإسلام غريباً لأنه بدأ بين قوم جاهلين لا يعرفونه ولا يؤمنون به، فإن المستعمرين يريدون أن يجعلوا الإسلام غريباً بين أهله الّذين آمنوا به.

ولعل قائلاً يقول: إن الاستعمار لا يمنع المصلين من أن يصلوا، ولا يمنع الصائمين من أن يصوموا، فكيف يكون الاستعمار حرباً على الإسلام؟ ولكن هنا وجه الخطأ والالتباس، فإن الإسلام ليس صوماً وصلاة فقط، إنه بالإضافة إلى هذا نظام للاجتماع ومنهج في الاقتصاد، وأسلوب في السياسة، ودعوة إلى التحرير ومكافحة الطغيان والاستبداد.

ولقد خاف الاستعمار وأعوانه من الشعوب المسلمة أن تثور بهم. وأن تعبر عن وجودها، وقد عرفوا أن سر ثورتها هو دينها فراحوا يحاربون الإسلام نفسه.

وقد حاربوا الإسلام بشتى الأساليب، لقد حاربوه بالمبشرين المسيحيين الّذين انتشروا في البلاد الإسلامية يدعون المسلمين أن يتركوا دينهم ويعتنقون الدين المسيحي: لأن المسيحية تدعو إلى الخضوع والخنوع والاستسلام، والإسلام يدعو إلى الثورة على الظلم، وعلى الطغيان، وعلى الاستعمار. وحاربوا الإسلام بتشجيع المنكرات والمحرمات وتسهيل ارتكابها، وحماية أصحابها لأن المجتمع إذا انحدر في ميدان

الشهوات هانت عليه نفسه، ولم يعد فيه استعداد للثورة على الفساد والاستبداد، واشتغل بخدمة شهواته عن إصلاح نفسه. وحاربوا الإسلام بعزله عن حياة الناس، وواقع الناس، فلقد انطلق الكتاب والمثقفون الّذين استأجرهم أو خدعهم الاستعمار انطلق هؤلاء يكتبون ويقولون: إن الدين شيء والحياة شيء آخر؛ وإن الدين ليس: إلاّ علاقة بين الإنسان وربه فقط، وإن الدين ليس إلاّ عبارة عن صوم وصلاة فقط ولكنهم في هذهِ الدعوى كاذبون فإنّ الإسلام هو العقيدة التي شملت بنظامها الدنيا والآخرة جميعاً، فليس الإسلام علاقة بين المسلم وربه فقط، وإنما هو بالإضافة إلى نظام دنيوي لم يترك صغيرة ولا كبيرة من شؤون الإنسان الاجتماعية والاقتصادية والسياسية إلاّ ونظّمها، ورسم حدودها.

ولكن الاستعمار وأعوانه - على الرغم من هذا- استطاعوا أن يخدعوا المسلمين عن حقيقة دينهم، وافلحوا في إبعاد المسلمين عن الإسلام الصحيح، الإسلام المتكامل، لكي يأمنوا ثورتهم ولكي يفرضوا عليهم ما يشاءون من القوانين.

اسمعوا ما تقوله (مس بل) عن العراق، قالت: (إن رجال الدين كانوا من أكبر دعاة الثورة في العراق خلال الحرب العالمية الأولى وبعدها؛ هذا مما دعا رجال الحكم إلى انشاء المدارس الحديثة لكي يضعفوا بها الدين في نفوس الجيل الجديد، ويقتلعوا جذور الثورة من أساسها). هذهِ هي مؤامرات المستعمرين على الإسلام، دين الحرية، ودين الانعتاق، ودين التكامل الإنساني.

وإن العبرة التي يجب أن نخرج بها من هذهِ الذكرى ومثيلاتها هي أن نتابع خطوات أبطال الإسلام الحقيقيين في الدفاع عن الإسلام ضد أعدائه، وأن نكون يقظين لكل المحاولات المجرمة والمؤامرات الدنيئة التي يحيكها المستعمرون وأعوانهم لمحاربة دين الإسلام العظيم.

أيها المسلمون: إن للإسلام دوراً تاريخياً في هذا العصر، لابد أن يقوم به، لينقذ البشرية من ويلاتها وشرورها وضلالها. فقد سارت البشرية في طريق الضلال شوطاً بعيداً. سارت في طريق المادة وأهملت الروح، وشغلت بالشهوات وغفلت عن نداء السماء.

ولا ينقذ الإنسانية من الخطر الماحق الذي يتهددها إلاّ الإسلام، الإسلام الذي نظر إلى الكائن الإنساني نظرة متكاملة، فلم يهمل الجانب المادي فيه كما المسيحية ولم يهمل الجانب الروحي فيه كما فعلت المذاهب المادية، وإنما اعتبر الإنسان روحاً وجسداً، وأعطى كلاً منهما ما يستحقه من العناية والتوجيه والتنظيم.

الإسلام الذي لم يغلب حقوق الفرد كما هو شأن بعض المبادئ الأخرى؛ وإنما راعى حقوق الفرد وحقوق المجتمع، ووازن بين هذا وذاك، فنظّم نشاط الأفراد على وجه لا يتنافى مع مصالح الجماعة، ونظم مصالح الجماعة على وجه لا تتصادم مع مصالح الأفراد. وإن المسلمين مدعوون اليوم لخوض معركة حاسمة للدفاع عن الإسلام كدين تحريري عظيم؛ وللدفاع عن دوره التاريخي في إنقاذ البشرية والسير بها إلى شاطئ الأمان. وللدفاع عن مهمته في الحياة ضد أكاذيب الاستعمار وأعوانه ومؤامراتهم.

وإن العبرة التي يجب أن نخرج بها من هذهِ الذكرى ومن مثلاتها العظيمة القيمة بالنسبة إلى واقعنا الذي نحياه ومستقبلنا الذي نرجوه -إن العزة هي أن نجعل جهاد الحسين ونضاله رائدنا في كفاحنا ونضالنا، وليكن جوابنا لكل من يدعونا إلى مبدأ غير مبدأ الإسلام قوله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾.

والسلام عليكم(1).

(١) مجلة الأضواء – النجف – العدد – ٥و٦ – السنة الأولى ١٩٥٩م /ص٣١.

أهداف علي والحسين (عَلَيْهِما السَّلاَم)

بقلم: الشيخ محمد مهدي شمس الدين

لقد اعتاد الكثير منا أن ينساق في هذهِ الذكرى ومثيلاتها وراء الرغبة في الثناء والإطراء، وذكر أمجاد مفاخر أهل البيت عَلَيْهِم السَّلاَم، جاعلين من المناسبة العظيمة مناسبة محصورة في نطاق إطارها التاريخي المحدود، مهملين مغزاها الإنساني العام.

وبذلك نجعل من هذهِ الذكرى وسيلة للهرب من الواقع الذي نعيشه الآن بينما كان من الواجب أن نجعل منها طريقاً لمواجهة الواقع وتحديد ومحاولة التفوق عليه بإصلاح ما فيه من فساد، وتقويم ما به من اعوجاج.

صحيح إن هذهِ الحفلات كانت تمثّل في وقت ما مظهراً من مظاهر الاحتجاج على الانحراف الصارخ عن مفاهيم الإسلام وأحكامه، ولكن فائدتها كانت تقف عند حدود الاحتجاج ليس إلاّ، ولذلك فهي تمثل في أفضل حالاتها موقفاً سلبياً وعقيماً في إصلاح واقعنا الديني، بينما كان الواجب أن نتجاوز مواقف الاحتجاج الكمي إلى محاولة إيجابية للإصلاح.

كان علينا أن نواجه مشاكلنا بصراحة، فنبحثها من جهة ونضع لها الحلول من جهة أخرى مستمدين من أهداف علي والحسين (عَلَيْهِما السَّلاَم) ووسائلها في تحقيقها أهدافاً ووسائل، فعصرنا الآن يشبه في واقع مشاكله ما كان عليه عصر الإمام الحسين.خذوا على ذلك مثلاً مشكلة الطائفية. هذا القول البشع الذي يهدد المسلمين

بالانقسام والتناحر وابحثوا جذورها فستجدوها منحدرة عن تراث الأمويين الّذين حاولوا أن يزيفوا بها الحياة الإسلامية. وبينما نجد أنّ الإمام علياً عَلَيْهِ السَّلاَم يفسح في دولته مكاناً لكل من ينتحل الإسلام على اختلاف أهوائهم ونزعاتهم ومنهم الخوارج الّذين كانوا يحكمون عليه بالكفر، نجد أن معاوية وخلفاءه من أمية قد أبوا أن يمنحوا حق الحياة الحرة الكريمة لغير الموالين لهم في الهوى والاتجاه، لذا فقد تعقبوا شيعة أهل البيت، ومنعوهم حتى من التعبير عن مشاعرهم، واستعملوا معهم مختلف وسائل القمع والإرهاب ومضت العصور، وجاء هذا العصر وهذا الإرث التاريخي البشع ما يزال يقوم بدوره الهدام في تقويض وحدة المسلمين وتضامنهم في وقت هم أحوج ما يكونون لوحدة الصفوف والتضامن من تجاه أعدائهم الكثيرين.

أما كلمة الإسلام في هذهِ الظاهرة فصريحة واضحة: إن الإسلام الذي أمر أتباعه أن يكونوا صفاً كالبنيان المرصوص لا يرضى بأن تفرقهم الأحقاد والعداوات الناشئة عن سلوك بعضهم إزاء بعض، وإن الإسلام الذي رفع لواء التسامح بالنسبة إلى أتباع الأديان المخالفة له وأوصى المسلمين بمعاملتهم بالعدل لا يمكن أن يرضى من المسلمين أنفسهم أن يتعصب بعضهم على بعض وأن يظلم بعضهم بعضاً وإن المثل الأعلى الذي رفعه النّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم للمسلمين في هذا المجال يتمثل في قوله:

(مثل المسلمين في توادّهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى).

ولقد كان من أهداف ثورة الحسين العظيمة القضاء على هذهِ الظاهرة التي أوجدها الأمويون، ولوّثوا بها جو الحياة الإسلامية.

ومثل آخر من مشاكلنا الدينية هو توزع ناشئتنا بين الأحزاب ذات المبادئ

والأهداف المنافية للإسلام والتي تريد أن تعود بالناس إلى جاهليتها مما تنطوي عليه من استهتار وتنكر لجميع القيم، ومنشأ هذهِ المشكلة هو الفراغ الديني، فالناشئ المسلم عندنا لا يتلقى تعليماً دينياً صحيحاً، وإنما يتلقى تعليماً يوحي إليه برفض الإسلام والتنكر له والابتعاد عنه وعن دعاته، والتعلم الديني الذي يتلقاه بسيط في مادته وضعيف في مستواه ونوعيته ولا يحاول القيمون على شؤون التربية والتعليم في البلاد الإسلامية

من معلمين وغيرهم – أن يبنوا شخصية الطالب الناشئ على المفاهيم الدينية الصحيحة ولا يعملون على جعل الناشئ ذا تحسس بجذوره التاريخية التي تتصل بدينه ومثله العليا، بل قد صيغت مناهج التعليم في البلاد الإسلامية لتخرج مثقفين (علمانيين) يتنكرون للإسلام، ويبنون حياتهم على المثل والمفاهيم الغربية، وبهذا نكون حققنا هدف الاستعمار الصليبي والماركسي في إيجاد فراغ ديني، ولما كان الإنسان مفطوراً على الانضواء في عقيدة فلابد أن يبعث الفراغ العقائدي صاحبه إلى البحث عن عقيدة منافية للإسلام، وحينئذ تتحقق أهداف الاستعمار البعيدة المدى في تكوين أجيال من المسلمين مرتدين، معزولة عن الإسلام فكرياً وتاريخياً.

ولقد بدأنا نجني الثمر لهذا الوباء الثقافي الغربي في صورة انحلال مروع يجتاح شبابنا وشاباتنا، يمهد له ويُدعى إليه باسم المدنية والتقدم ونقض أغلال الماضي، وبدأنا نشهده في الدعوات الكافرة التي احتلت عقول شبابنا وشاباتنا، الدعوات التي تنشر الشكوك حول أصالة الإسلام وتفرده وكونه منزلاً من الله سبحانه، الدعوات التي جعلت من الجاهلية مثلاً أعلى ومن عتاتها أبطال مقدسين وجعلت من المنحرفين عن مناهج الإسلام قادة ومن التوافه في تاريخ العقيدة رجالاً خالدين.

فماذا فعلتم في صد هذا الطوفان الذي دهمكم، والّذي يوشك أن يجرد أبناءكم

من عقيدتهم، ويعزلهم عن تاريخهم، ويقطع الصلة فيما بينهم وبين المثل العليا التي نشأتم عليها وأردتم لهم أن ينشؤوا عليها.

إنكم لن تنجحوا في تكوين جيل مؤمن من أبنائكم يحمل الشعلة وهو كفؤ لحملها إلاّ إذا اتحتم لهؤلاء الأبناء الثقافية التي تجعل منهم مسلمين واعين لواقع الإسلام كما أنزله الله عاملين على الاحتفاظ به كما أنزله الله. وأن تبلغوا هذهِ الغاية إلاّ إذا اتحتم لهؤلاء الأبناء تعليماً يحققها ويؤدي إليها، تعليماً يتلقى فيه الناشئون ثقافة إسلامية ينشئون بها مسلمين عارفين بدينهم وتارة، متشيمين بروحه وأخلاقه ومثله، ولن تحصلوا على تعليم كهذا إلاّ إذا أقمتم أنتم بإنشائه، فلا تترقبوا من أشخاص أو جماعات لا تحمل أفكاركم، ولا تعتنق منكم أن تحقق لأبنائكم ما تريدون لهم من ثقافة تقيهم مزالق الكفر والضلال والإلحاد، وتؤهلهم لحمل الرسالة الخالدة إلى الأجيال الآتية وهذا هو السبيل الوحيد لتكوين جيل مؤمن بالله أمين على دينه وثقافته الإسلامية ومثلها العليا[1].

(١) مجلة الأضواء – النجف – العدد – ٦و٧ – السنة الرابعة ١٩٦٤م /ص٢٢١.

في ذكرى مولد الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم

بقلم: السيد حسين بحر العلوم

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلاة وسلام على رسول الإنسانية محمد وآله الهداة الميامين، وصحبه الّذين اتبعوه بإحسان.

يشرفني أخي العلاّمة الجليل الشيخ محمد باقر الناصري حفظه الله تعالى بدعوته إياي لأن أكتب للمهرجان الديني الكبير الذي يقيمه (لواء الناصرية) في كل عام بمناسبة ذكرى ميلاد وليد الحق والثأر الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم - فأرحب بالدعوة- مرفوع الجبين، منطلق الواقع-.

وبقيت بعد ذلك أفكر ماذا أكتب، وأي جهة من جهات الموضوع أسلك أفق رحب، وميدان فسيح، وحقل مخصب من عامة أطرافه، وإن الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم معناه بإيجاز وبالحرف الواحد: الصورة الثانية لجده محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم -وامتداد طبيعي لرسالته الخالدة: (حسين مني وأنا من حسين).

واجتزاز الزمن مسرعاً أمام حيرتي المفكرة، إذْ تشرق أمام عيني وقلبي بطاقة الدعوة من قبل (لجنة الاحتفال) فأقرأ على صفحتها اليمنى تلك الآيات البينات الثلاثة

التي تنبع من معين واحد، وتصب في مجرى واحد، فهنالك أدركت الهدف الأسمى من إقامة هذا المهرجان العظيم، وانفتح أمامي مدخل الحديث، فكان الموضوع جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر النابعين من شخصية صاحب هذهِ الذكرى المباركة:

وقبل أن نجرح عواطفنا بالحديث الصريح والواقع المر، لنستمريء حلاوة الذكرى العطرة، فنلتقي تهاني العيد الأغر في غبطة وسرور، ونعانق نخب النشوة من كؤوس القهوة وأواني الحلوى، ونعطر آفاق الحفل المبارك بنجود الخيال المجنح، ودخان اللفافات المحلق. وأرجو -بعد ذلك. أن لا تكون حصيلتنا من هذا المؤتمر الديني الرائع حصيلة الشاعر الصناع من خياله، والمدخن المدمن من سيجارته.

ولسوف يفضحنا غد حذر خطواته بالفكر تتصل

لنتحول -الآن- بواقعنا الحاسم - عبر التاريخ فنتعرف على صاحب الذكرى من جانبه الرسالي البناء، فنتحلى بياناته الثورية الإصلاحية التي أطلقها واقعه المدروس المنظم منذ خروجه من مهبط الوحي مكة إلى حيث عروجه في منطلق الوحي كربلاء.

يستهل رائد الحق والإصلاح حركته الانقلابية - وهو يوحي إلى أخيه ابن الحنفية - بالبيان الأول لمخطط ثورته الهادفة البناءة.

«... إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي (محمد) أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي رسول الله...»

وينادي بالناس بلسان جده الرسول محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم وهو على مقربة من نهاية مطافه:

«أيها الناس، إن رسول الله قال: من رأى سلطاناً جائراً، مستحلاً لحرام الله، ناكثاً عهده مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير عليه بفعل ولا قول، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله».

وفي منطلق أشواطه الأخيرة -ظهيرة عاشوراء- يتفجر بذلك البيان الساحر، الزاخر برباطة جأش، وصرامة إيمان، وثقة بالغاية المنشودة، فيطل على الفتح المبين والظفر الأبلج بقوله:

«الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم، يحيطونه ما درت معايشهم فإذا محصوا بالبلاء قل الديانون. ألا ترون إلى الحق لا يعمل به، وإلى الباطل لا ينهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله، فإني لا أرى الموت إلاّ سعادة والحياة مع الظالمين إلاّ برما».

أرأيتم -أيها الأخوة- كيف يقف المصلح الثائر في ميدان الثورة -وهو أعزل، إلاّ من الإيمان الصريح، والإصرار الواعي، والإطلالة على الفوز كيف يتصلب الحق المتضامن أمام الباطل المجلجل بقوقعة الجبن والريب كيف يضوع الهدف الرسالي من خلال حياة الرسول وأقواله وأفعاله وفنائه في سبيل الله، ومن ثمّ كيف يقبض المصلح الخلاق على أزمة القدر الجموح بيد من حديد وقلب من وجدان، وفكرة من صلاح ورحمة.

ذلك المصلح العظيم، وتلك الشخصية العملاقة، التي تمد الإسلام وتمتد منه، هو صاحب هذهِ الذكرى التي نحتفل الليلة - على شرفها لنعلن إلى الملأ الحاقد والتاريخ المنحرف، والنفوس المدخولة: إننا -كمسلمين- حينما نحتفل بأمثال هذهِ الذكريات، إنّما نحتفل بذكرى محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم وإحياء رسالته النابضة في قلب (كتاب الله الصامت) والمخصبة بلسان (كتاب الله الناطق).

كل كتاب الله، لكن صامت هذا، وهذا ناطق مبين

ونستقطب من وراء ذلك أن نعيد للأمة المسلمة ذكرى أمجادها الخالدين، الّذين رصدوا للأجيال الصادرة: منار الهداية، وشفق الفتوح.

«ليحيى من حيي عن بينة، ويهلك من هلك عن بينة».

أيها الأخوة المؤمنون برسالة (محمد والحسين) لنكن عمليين في سلوكنا الفردي والاجتماعي تجاه واقعنا الإسلامي، لنعانق الغاية التي من أجلها زحف الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم بالصفوة من أهل بيته وأصحابه البررة، فكانوا قرابين فداء، ومصابيح هداية، وأدلاء خير، وبناة تأريخ. لنستثمر -بصدق والخلاص- جهاد الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم وموقفه المشرق في سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كيلا يسلط علينا شرارنا، ثمّ ندعو، فلا يستجاب لنا دعوة -كما ينذرنا بذلك الحديث المشهور:

إن أئمتنا -عليهم السلام- يريدون من إحياء أمرهم، والفرح لفرحهم والحزن لحزنهم، حتى نكون امتداداً حياً لوجودهم السخي المعطاء، فإنّا خلقنا من فاضل طينتهم وعجنا بطيب ولايتهم -كما شرفونا عَلَيْهِم السَّلاَم بهذه المنزلة السامية -فهنالك نحضى بشرف الغاية، وصدق المثال. إن أئمتنا عَلَيْهِم السَّلاَم وهم حماة الشرع وبناة الإسلام - لا يرتضون منا بمحض التظاهر والمباريات لعرض العواطف المؤمنة، والأساليب المزوقة - في حالتي الفرح والحزن- فإنهم أوسع أفقاً وأسمى هدفاً من أن يكونوا دعاة المظاهر والفعاليات القاحلة إنهم يريدون الألفاظ لتمتلئ بالمفاهيم المرصودة، ويحثون على سلوك الطريق للوصول إلى الغاية المنشودة. ورب مجاز أبلغ من حقيقة، ورب كناية أركز من تصريح.

وإن معنى شيعة أهل البيت عَلَيْهِم السَّلاَم في كل زمان ومكان المتابعة بالقول والعمل بما للمتابعة من معنى كامل، وأن نكون الصورة الواضحة، والصدى الحاكي لتأريخهم عَلَيْهِم السَّلاَم لا أن نكون كمن آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض -ويجب علينا- كشيعة أهل البيت عَلَيْهِم السَّلاَم -أن نعمل- بإخلاص - لربّنا، ولأنفسنا ولمجتمعنا، على وتيرة واحدة، وأن نحشد مواهبنا وإمكانياتنا -المادية والمعنوية في سبيل إعلاء كلمة الله، التكامل الإسلامي والتكافل الاجتماعي، بحيث تكتمل الصورة، ويرتكز الواقع ويشمخ العرض.

﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾.

أيها الجماهير المحتشدة على شرق الإسلام، أيها المؤمنون برسالة أهل البيت عَلَيْهِم السَّلاَم – إنّ إسلامنا – اليوم في مختلف البلاد الإسلامية، بدأ يواجه التيارات المعادية، والمبادئ المستوردة من خارج الحدود –الشرقية منها والغربية – وبدأ يتعرض إلى الأخطار المحيطة به: من (العلمانية) القائلة بتعرية الدين عن مجالات الحياة، والتميع المسيحي وتغلغل دعوة (الكنيسة) إلى بيوت المسلمين وعوائلهم والاعتداءات الصهيونية على كرامة الإسلام وأرض المسلمين – بمرئ ومسمع– من بعض العيون الرمد، والآذان الصم.

أضف إلى تلك الأخطار الخارجية: أخطار داخلية هي أعمق تأثيراً وأدل على مركز الداء ومنشأ الضعف: من النفاق الاجتماعي بين المسلمين –أنفسهم– وتواكل دعاة المسلمين فيما بينهم وتنمر حكام الشعوب الإسلامية في غلوائهم، والغفلة عن مغبة المصير، وسوء المنقلب. الأمر الذي مكن للاستعمار الكافر – بمختلف ألوانه وجهاته– أن يبني قواعده الملحدة في عقول المسلمين وبلادهم.

ما كان أهون أمره مستعمراً   لو لم يقم وسط العقول قواعدا

ولو ضيقنا النظرة إلى عراقنا الحبيب المسلم، لاصطدمنا بكثير من المفارقات السياسية والاجتماعية والاقتصادية بتشريع بعض القوانين والقرارات التي لا تمت إلى الإسلام بصلة، ولا تنبع من صميم الشعب الوديع:

﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

وأخيراً - فالواجب علينا- كمسلمين مواطنين موالين لأهل البيت عَلَيْهِم السَّلاَم أن نقف موقف الصرامة والإصرار في سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بقلوبنا وألسنتنا وأقلامنا وأيدينا -وجميع طاقاتنا ونطالب المسؤولين- بإلحاح- أن يعالجوا المشكلة بالحل لا بالتعقيد، ويعالجوا الداء بالدواء لا بداء مثله. ولينظروا إلى الشعب العراقي المسلم من عامة أطرافه، لا من طرف مرصود، وليعلموا -أخيراً- أن العراق التاريخ شيعي الولاء لا تنحو في صعيده الطاهر بذرة النفاق والنصب لأهل البيت عَلَيْهِم السَّلاَم مهما سقاها الزيغ وتعهدها الباطل:

﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾.

وسلام على من اتبع الهدى[1].

(١) مجلة التضامن الإسلامي - الناصرية - العدد -١و٢ - السنة الرابعة ١٩٦٧م /ص٧٢.

لمحات من نهضة الحسين عَلَيْهِ السَّلَام

بقلم: السيد محمد هادي الصدر

أيُّها السادة:

لابد لي أن أتحدث إليكم – على قدر ما يسمح به الوقت – عن شخصية سيدنا الشهيد أبي عبد الله الحسين عَلَيْهِ السَّلَام وعن البيئة التي نشأ فيها والمدرسة التي تخرج منها لاستخلص بعض صفاته وميزاته الكاشفة عن تكوين شخصيته المثالية الفذة التي انحنت أمام عظمتها الشخصيات العالمية الجبارة فكانت وما زالت ولم تزل ملئ الأسماع والأبصار ومثار الإعجاب والإكبار.

لقد ولد سيدنا الحسين في بيت أذهب الله عن أهله الرجس وطهرهم تطهيراً وطبيعي أن ينشأ في مهبط الوحي بين أسرة أحاطها النّبي الأعظم بهالة من عنايته ورعايته فرسم لها مناهجه الروحية المقدسة النابعة من صميم الوحي والتنزيل حيث تولى علي أمير المؤمنين تطبيقها ورعت الصديقة الطاهرة تنسيقها وانتهل الحسنان رحيقها. إنها المدرسة المحمدية التي تخرجا منها محرزين التفوق في كل حلبة من حلباتها والسبق في كل مضمار من مضاميرها وبذلك استحقا من جدهما الأعظم درجة الشرف التي منحها لهما عن جدارة فبوأهما مركز الزعامة والإمامة فاسمعه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم حيث يقول فيهما وقوله الحق:

«الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا».

حاول نبينا الأعظم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وسلم – بعد أن نص على إمامة سبطيه – الإشارة لقعود الحسن الزكي عن مقارعة أضداده وقيام أخيه الحسين بنهضته وجهاده وأنهما مصيبان في رأيهما بحكم إمامتهما ذلك أن الإمام المجتبى كان يعلم أن استمراره على الجهاد فيه حتمية القضاء على شخصه الزكي دون أن يترتب على مصرعه الأثر البليغ الذي ترتب على استشهاد أخيه الإمام الحسين. لذلك آثر الصلح مع أعدائه حقناً للدماء أن تهرق جزافاً، ضارباً أروع الأمثلة في الصبر على المصاعب والنوائب التي ما انفك مناوؤه يعترضون فيها سبيله للدعوة إلى الله ورسوله بالحكمة والموعظة الحسنة. فحالوا بذلك دون وصوله إلى أهدافه الدينية والروحية المقدسة. وما برحوا يتربصون به الدوائر بكل ما أوتوا من خداع وتضليل. ولم تهدأ نفوسهم الشريرة حتى دسوا له السم فقض به نحبه ثمّ راحوا يبيصون ويصفرون حسبما أرادوا وكيفما شاءت أهواؤهم.

إنها لعمري حقبة سوداء أناخت على العالم الإسلامي بكلكلها فسامته ألوانا من الاستهتار بالقيم الروحية وضروباً من الاستهانة بالمثل العليا. فانهدرت خلالها كرامة المجتمع وانعكست مفاهيمه الدينية والإسلامية، وإذا بالفساد يطغى على كل مرفق من مرافق الحياة. وإذا بالظلم يضرب أطنابه في أرجاء الجزيرة العربية. وإذا بالأنانية وحب الذات هما الأساس الذي ترتكز عليه دعائم الحكم. وإذا بالاستبداد في الرأي يصبح السبيل الوحيد لإصدار الأحكام الجائرة وتطبيقها. بذلك وغيره مما لا يتسع المجال لسرده تعطلت أحكام القرآن ودرست معالم الشريعة وأصبحت السنة النبوية أثراً بعد عين. مضافاً لذلك تجاهر ذوي السلطة بالموبقات وارتكابهم المنكرات وإزهاقهم الأرواح البريئة وانتهاكهم الخدور المصونة وابتزازهم أموال الناس بالباطل دونما رادع من ضمير أو وازع من دين. حتى إذا بلغ السيل الزبى وجاوز المستهترين أرقامهم القياسية في الجرأة على الله ورسوله نهض سيدنا أبيّ الضيم مشمراً عن ساعديه للدفاع عن المبدأ والعقيدة. فجمع أولاده وأبناء عمومته وأهل بيته وأعلمهم عن قصده في الجهاد وغايته

منه قائلاً:

«من لحق بي فقد استشهد ومن لم يلحق بي لم يبلغ الفتح»

ثمّ سار بمن معه من الصفوة المختارة من أشباله وأبطاله نحو كربلاء بعزيمة ثابتة وجأش رابط وهو على بينة من أمره لعلمه بأن جميع الوقائع حفل بها التاريخ الأموي انما جرت وفق خطة مرسومة وضع تصميمها شيخ الأمويين منذ فجر الرسالة المحمدية حيث قال من دون خجل أو وجلّ وهو الذي دخل الإسلام كرهاً (تلاقفوها يا بني أمية تلاقف الصبيان للكرة فوالذي يحلف به أبو سفيان لا جنة ولا نار) وكأنه أراد أن يفصح لأولاده وأحفاده عن المنهج الذي يرى لهم ضرورة تطبيقه والعمل بموجبه. ولعمري فقد كان له ما أراد ولله در الشاعر حيث قال:

عبد شمس أضرمتموا لبني ها ... شم حرباً يشيب منها الوليد

فابن حرب للمصطفى وابن هند ... لعلي وللحسين يزيدُ

ومما تقدم ظهر أن صراع سيدنا الإمام الحسين مع أعدائه انما كان صراعاً بين الحق والباطل وجهاداً في سبيل الدين ضد المنحرفين عنه. وكان يرى صلوات الله وسلامه عليه ضرورة موقفه البطولي ليصرخ في وجوههم ويحول دون تحقيق مآربهم. فدافع عن الإسلام ومبادئه والشريعة وتعاليمها حتى الرمق الأخير من حياته لئلا يتغلب عليها أولئك النفر المارقون فينسخون كتاب الله وآياته ويقضون على الدين ومقوماته.

حضرات السادة

إنّ سيدنا أبا الشهداء لم يُشهر سيفه بوجه أعدائه طلباً لجاه أو طمعاً بسلطان. لانه غني بجاهه عن كل جاه زائف أو سلطان زائل فقد خصه الله سبحانه بأرفع مقام وحباه أعلى منزلة حيث فرض مودته على عباده فقال مخاطباً نبيه الكريم في محكم كتابه:

﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾.

كما أنه عزّ و جل أمر نبيه أن يباهل به وبأخيه وأمه وأبيه نصارى نجران من دون أن يختار سواهم من الخلق أجمعين وناهيك عن المأثور عن جده المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم حيث قال:

«إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً».

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم:

«مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق أو هلك أو هوى»

على اختلاف الروايات فيها وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم في حديث آخر:

«أهل بيتي فيكم كباب حطةٍ من دخله كان آمناً».

إلى غير ذلك من الأحاديث النبوية الناطقة بما لسيدنا الحسين وبقية أهل بيته الميامين من مقام رفيع عند الله ورسوله. ودونكم اعتراف معاوية بن أبي سفيان بقدسية سيدنا السبط فقد طلب إليه مرتزقته أن يكتب له كتاباً يصغر إليه نفسه فقال لهم (ما عسيت أن أعيب حسيناً والله ما أرى للعيب فيه موضعاً) أجل وهل يتسنى لمعاوية أن يعيب سيد شباب أهل الجنة وقد قال فيه جده الأعظم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وسلم:

(حسين مني وأنا من حسين).

حضرة السادة: ـ

إنّ سر عظمة نهضة سيدنا الحسين يكمن في تضحيته وفدائه. فتوقيته ساعة الصفر بالثورة لدليل واضح على مدى عزمه وثباته وشجاعته وإقدامه وإلا فكيف يمكنه التغلب على أعدائه ـ وهم سبعون ألفاً ـ بهذا العدد النزر من أهل بيته وأصحابه لولا أنه رأى أنّ السكوت عن المجرمين لا يُعتبر منه إلاّ بمنزلة الإقرار لجرائمهم المنكرة ومن ثمّ

الرجوع بالإسلام إلى عهد الجاهلية الأولى. وهيهات لسليل النبوة – وهو في مثل مقامه الروحي ومركزه الديني – أن يرضخ لذلك. فآثر أن يفدي بنفسه دين جده ولسان حاله يقول:

إن كان دين محمد لم يستقم إلاّ بقتلي يا سيوف خذيني

واسمحوا لي – أيُّها السادة – أن أكشف لكم صفحة رائعة من صفحات بطولاته الخالدة وقد أحاط بها شاهد عيان يوم عاشوراء فراح يرويها للتاريخ مدوية مجلجلة فاستمعوا إليه يقول (ما رأيت مكسوراً قط قتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جأشاً من حسين فكانوا يشدون عليه فيشد عليهم فينهزمون من بين يديه كما تهزم المعزى إذا شد بها الذئب) وهكذا كان عرينه الملبد. فقد سجل أشباله وأبطاله أروع آيات البطولات وأخلدها وأسمى معاني التضحية وأمجدها وسيبقى التاريخ يردد صدى مواقفهم المشرفة على مسمع الدهر فينحني أمام عظمتها صناديد العالم ويشمخ بعزتها سائر ولد آدم

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾.

إنّ واجب الأمة يحتم عليها أن تستخلص العبرة من نهضة الإمام الشهيد قبل أن تهمي العَبرة في مأتم عزائه. وبديهي أن مجرد البكاء عليه من دون إتّباع سيرته لا يرفع من مستواها الروحي والاجتماعي ولا يمهد لها السبيل للوصول إلى أهدافها المنشودة. وما عسى أن يكون لمجتمعنا من شأن إذا ما ضم بين صفوفه ألف ألف شمر ويزيد.وهو لا يسعى لكبح جماحهم.

ألا يجدر أن يستلهم من مواقفه الصارمة درساً يفيده الثبات على المبدأ والعقيدة فيوقف الخارجين عن الصراط عند حدهم ويصدهم عن كيدهم لذلك فإن نصيحتي لشبابنا الطالع أن يتخذ من مبدأ سيدنا الحسين وعقيدته وسيلة للثبات على المبدأ

والعقيدة، ثمّ يسعى جهده لمكافحة المبادئ الوافدة والنظريات الفاسدة التي واكب أدوارها وأطوارها وتلمس شرورها وأضرارها.

وأود – أيُّها السادة – أن استعرض درسا من دروس سيدنا السبط أملاه علينا يوم عاشوراء في أحرج ساعاته العصيبة حيث وقف عليه الصلاة والسلام ومن خلفه رهطه وأصحابه متجهين إلى الله بأرواحهم وقلوبهم ليؤدوا فريضة الظهر وقد أحاط بهم أعداؤهم واشرعوا عليهم سيوفهم وصوبوا نحوهم سهامهم حتى أثخنوهم بها جراحاً. ولكن أبا الشهداء لم ينثنِ عن إقامة الصلاة حتى أتمها. وبهذا أراد أن يؤكد ضرورة طاعة الله سبحانه بأداء فريضته رغم شراسة العدو وحراجة الموقف وهنا لابد لي أن أتساءل عن عدد المصلين في مجتمعنا بالقياس لسائر أفراده وأترك فرصة الإجابة عنه للمسلمين أنفسهم ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم. وبعد – فكم لنا في نهضة سيدنا أبي الشهداء ومواقفه الجبارة من صور وعبر يحتم علينا الواجب أن نتخذها شعاراً لحياتنا ومناراً نهتدي به إلى النهج القويم الذي أختطه لنا واستنه لأمتنا. وأين نحن عن إتّباع سيرته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لنقف سداً منيعاً ضد هذا التيار الجارف من المنكرات والموبقات. أم أين نحن من ثورته على الظلم والطغيان لنتخذ منها حافزاً لسحق الخونة والظالمين والقضاء على المستعمرين. أم أين نحن عن صبره الذي بهر به ملائكة السماء فنستمد من طاقته العزم والحزم والإيمان والجلد ثمّ نمضي في كفاحنا ضد هذهِ الأوبئة التي أخذت تفتك في كيان مجتمعنا الإسلامي.

وأخيراً: أراني عاجزا عن استيعاب أسرار نهضة سيدنا الإمام السبط والإحاطة بتعاليمه الخالدة لاسيما في مثل هذهِ الوقفة الخاطفة. فإلى استخلاص العبر منها أدعوكم أيُّها المسلمون. وقل اعملوا فسيرى الله عملهم ورسوله والمؤمنون ثمّ تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبؤكم بما كنتم تعملون. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته[1].

---

(١) ذكرى الإمام الحسين (عليه السلام) – منشورات حسينية آل الصدر – الكاظمية – ١٩٦٧م /ص١٤.

ذكرى مولد الإمام أبي الضيم

بقلم: الشيخ باقر شريف القرشي

يحتفل العالم الإسلامي بكل اعتزاز وفخر بهذه الذكرى العظيمة ذكرى أبي الشهداء ليستمد منه قوة الإرادة والعزم والتصميم في مصارعة الباطل ومكافحة قوى البغي والاستبداد والحصول على الحرية والكرامة التي سلبها منه المستعمر الغادر.

إن المسلمين ليؤدوا بهذه الاحتفالات الكبرى جزء من الواجب تجاه أبي الأحرار الذي فجّر ينابيع التضحية والكرامة، وأهاب المسلمين أن يصافحوا الظالم أو يخضعوا لجوره واستبداده.

أيها الأخوة:

لقد أطل على الدنيا مولد الإمام الحسين فأطلت معه العدالة الاجتماعية والثورة على الجحود والطغيان والفساد.

لقد أطل الإمام الحسين على عالم الوجود فأشرقت الدنيا وابتسمت الإنسانية لمولده، وقد استقبله النّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم بمشاعره وعواطفه وهي مترعة بالأفراح والمسرات ذلك لأنه استكشف في وليده المبارك إنه سيبعث الإسلام من جديد ويخلد رسالته وسيكون الطاقة الكبرى المحركة للدعوة الإسلامية في كل عصر وجيل،

فأخذ يتعاهد بأسمى ألوان الرعاية والعطف، ويفيض عليه أعظم صفات القداسة والتكريم فيقول تارة فيه وفي أخيه:

«الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة».

ويقول مرة أخرى فيه خاص:

«حسين مني وأنا من حسين».

إن الرسول الأعظم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم من الحسين لأنه لولا تضحيته وصموده أمام القوى الباغية على الإسلام للف لواؤه ولكان أثراً بعد عين، فقد حاول الأمويون القضاء على هذا الدين وقلع جذوره فكان الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم هو الذي أنقذ الإسلام من محنته، وبثه من جديد فكان النّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم بهذا المعنى من الحسين.

أيها الأخوة:

لقد ولد الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم ليثور في وجه الامبراطورية الأموية ويزعزع كيان أولئك الظالمين الّذين أعلنوا الحرب على تلك المبادئ الأصيلة التي جاء بها الإسلام فأشاعوا التفسخ والتحلل، وفرقوا الكلمة، وأذاعوا استعباد المسلمين واسترقاقهم، وقد أعرب عن استهتارهم الفظيع عمر بن العاص قائد الدولة الأموية وموجهها بقوله:

إنما السواد بستان قريش.

إن السواد بستان للأمويين، ومقدرات الدولة الإسلامية هي ملك لهم قد صرفوها بسخاء على المجون والدعارة ووهبوها للعملاء والعبيد.

بل تنكر معاوية نفسه لهذا الدين الذي تربع على دست خلافته فيقول في عام الجماعة:

إني ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا، وإنما قاتلتكم لأتأمر عليكم.

هذا منطق الأمويين تجاه الإسلام وتجاه مبادئه وأحكامه فهم خصومه وأعداؤه، وقد تنكروا بدورهم إلى جميع الشعوب الإسلامية فسلبوها حريتها وكرامتها، وقضوا على سر أصالتها، وحولوا الدولة الإسلامية إلى ملك عضوض ينزو على منبرها الخلفاء والماجنون في وقت لم يترعرع فيه الإسلام ولم تمتد جذوره إلى أعماق النفوس ودخائل القلوب، فرأى الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم أمل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم ووارثه إنه لا يمكن بأي حال من الأحوال تحطيم ذلك الجهاز الفاسد الذي بلي به الإسلام والمسلمين إلاّ بأن يعلن ثورته الكبرى عليه، وأن يبشر من جديد بالأهداف والمبادئ التي أعلنها جده تلك المبادئ التي تحمل في أعماقها وجوهرها نظاماً ثابتاً لإقرار الحق وتحطيم المنكر والاعتراف بالحريات والمساواة.

أيها السادة:

لقد ولد الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم ليقيم الحق المتلاشي ويحيي العدل الاجتماعي الذي اضطهد على يد صعاليك بني أمية وأقزام بني سفيان فسار عَلَيْهِ السَّلاَم في الخطوط العريضة التي رسمها له جدُه العظيم، واتبع الأهداف النبيلة التي رقمها له أبوه، وقد أعلن ذلك بوضوح أمام المسلمين فقال:

«**إني لم أخرج أشراً ولا بطراً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي**».

لقد سار عَلَيْهِ السَّلاَم بسيرة جده وأبيه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويطالبهم بالاقتداء بكتاب الله وتطبيقه على واقع حياتهم.

لقد خط أبي الظيم عَلَيْهِ السَّلاَم في نهضته الخالدة الدروس العملية فقد علم

المسلمين كيف يجب عليهم أن يضحوا في أي دور يكون محل التضحية والفداء.

إن الدروس الفكرية والنظرية ما أكثر صورها وألوانها في هذهِ الحياة ولكن الدروس العملية قليلة الوجود في التأريخ وهي أبلغ وأعمق في التأدية والتأثير والخلود بكثير من غيرها، وبهذا الدور العملي الرائع المهيب قام عملاق الأمة الإسلامية ورائد نهضتها الإمام الحسين فنمت دروسه الخالدة فلطخه بدمه الشريف فألقاها على الأجيال من أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم في الذب عن العقيدة والدفاع عن المبدأ والكرامة، وقد أعلن عَلَيْهِ السَّلاَم عن أن القتل في سبيل العزة والكرامة هي السعادة الكبرى فقال عَلَيْهِ السَّلاَم:

«لا أرى الموت إلاّ سعادة والحياة مع الظالمين إلاّ برما».

وقد أصبحت هذهِ الكلمة الخالدة شعاراً مقدساً للثائرين في وجه الظلم والطغيان يرددونها باعتزاز كلما وجدت ظلامة أو هدرت كرامة.

سيدي أبا عبد الله:

إن ثورتك على الحكم الأموي لم تكن إلاّ توضيحاً للمبادئ الرفيعة التي ورثتها من جدك الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم تلك المبادئ التي لا تنحني أمام عواصف الظلم، وإنما تشير إلى طريق الكفاح الإسلامي الذي هو طريق الانتصار وطريق الخلود(١).

(١) مجلة النشاط الثقافي – النجف – العدد – ١ – السنة الأولى ١٩٦٣م /ص٢٧.

الحسين حطم قُوى العبودية والاستغلال

بقلم الشيخ: باقر شريف القرشي

انطلقت قوى الإسلام الهائلة في دنيا الوجود وهي تحكم كيان الظالمين وتمزق ثمل المستبدين الطغاة وتهدم الحواجز الجاهلية، وتعلن المساواة العادلة بين جميع الطبقات، وتشيد بالقيم الإنسانية السامية.

وانطلق زعيم العالم محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم بطاقة من القوى الرهيبة يدعو الإنسانية إلى الخير العميم، وإلى تنمية الأفكار والعقول بالعلوم والمعارف وإلى تحريرها من الجهل والخرافات، ويدعو إلى بسط الأمن والرخاء بين جميع الشعوب لتجتمع في صعيد واحد فتتعاون على البر والتقوى وعلى إزالة البغضاء والكراهية من نفوسها، وقد استجابت النفوس واتجبت هذهِ الدعوة البناءة فدخل الناس في دين الله أفواجاً أفواجاً فرحين مسرورين بدعوة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم وبنظامه الرائع الذي حقق لهم السعادة والحياة الرفيعة بالخير والكرامة.

وفي فترات ذلك النصر الرائع الذي أحرزه الإسلام ولد الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم فكان يومه من أروع الأيام وأطيبها عند النّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم فإنه لما بشر بذلك خرج مسرعاً مسروراً إلى بيت البتول الطاهرة أعز أهل بيته عنده فأخذ الوليد المبارك وجعل يغذيه بريقه ويفيض عليه أشعة من روحه المقدسة وقد استشف صَلَّى اللهُ

عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم أن وليده هذا سيرفع راية الإسلام ويبعث قواه الإصلاحية من جديد، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم:

(حسين مني وأنا من حسين).

وأخذ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم يقابل الحسين بأنواع التكريم والاحتفاء ويعلن أمام المجتمع فضله وقربه منه، ولما انتقل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم إلى دار الخلود وفجعت الإنسانية بمصباح هدايتها ورائدها إلى شاطئ الأمن والسلام حلت الكوارث الهائلة والخطوب السود في الأمة المسلمة وانصبت عليها الفتن كقطع من الليل المظلم وكانت نهاية مطافها المحزن أن استولت أمية على زمام الحكم وقد قامت بدورها تحارب الإسلام وتنزل به الضربات القاضية لتلف لواءه وتزيل آثاره وأخذت منذ توليها على السلطة توالي الظالمين وأعداء الإسلام وتقرب الطغاة وتمنحهم السلطات التشريعية في الدولة كما قامت بخنق الحريات واستعباد الشعوب وسلب ثروتها الطبيعية فصرفتها على المجون والدعارة ووهبتها للعملاء والعبيد، وأخذت تطارد المصلحين الأحرار الشرفاء الناكرين لسياستهم الملتوية التي انحرفت عن طريق الإسلام.

وفي ذلك الظرف العصيب الذي سادت فيه قوى البغي انطلق الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم أمل محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم ومثاله الأسمى فرفع لواء الإسلام وأعلن من جديد الكفاح والنضال ضد الطغاة المستبدين وهو يهتف بكلمته الخالدة التي ستدور مع الفلك ثمّ ترسم فيه لتكون خطة للمصلحين قائلاً:

«**لا أرى الموت إلاّ سعادة والحياة مع الظالمين إلاّ برما**».

فقام عَلَيْهِ السَّلاَم محارباً لقوى الظلم والطغيان ووقف أمام تلك الطغمة الحاكمة يصرخ بها ويهدم كيانها وينشر مساوئها.

وقد قدم عَلَيْهِ السَّلاَم جميع طاقاته في سبيل العقيدة والمبدأ حتى استشهد وقد فتح

للعالم أبواباً من العزة والكرامة وإرضاء الضمير، ورسم في دنيا الوجود أن لا حياة للشعوب ما لم تناضل في سبيل تحريرها من الاستعباد والاستغلال والسيطرة.

أيها المسلمون:

إننا إذْ نحتفل بهذه الذكرى الخالدة فإنما لنفيد إلى ذاكرتنا صفحة من صفحات الإسلام المليئة بالعز والمجد والشرف والتضحية، وما احوجنا في مثل هذهِ الظروف الحاسمة من تاريخنا أن نضع أمامنا مسيرة إمامنا الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم لنقتبس منها الدروس الرائعة التي تحقق لنا الأمل والسعادة والتقدم في ميادين الحياة.

حقق الله أمل المسلمين وجمع كلمتهم لما فيه خيرهم وصلاحهم إنه ولي التوفيق[1].

---

(١) مجلة الأضواء – النجف – العدد – ١ – السنة الأولى ١٩٥٩م/ ص١٩.

قيم ومبادئ وشخصيات

بقلم: السيد محمد تقي الحكيم

عميد كلية الفقه

بسم الله الرحمن الرحيم

نكران الذات من أجل مبدأ ما، والفناء في فكرته بعيداً عن أي اعتبار صفة لا يسمو إليها غير القلة من الأفذاذ.

وتفاضل هذهِ القلة وتمايزها إنما يكون بقدر ما في مبادئها من السمو ثمّ بقدر ما تملكه من طاقات إيمانية بواقع هذهِ المبادئ وأقل القليل من تتجسد فيه فكرة مبدئه لتصبح واقعاً سلوكياً يحسه الجميع.

والمبادئ هي الأخرى إنما تتمايز وتتفاوت بمقدار ما تنطوي عليه من شمولية وعمق وأثمار.

فالفكرة التي لا تتناول بعطائها غير فئة من الناس لا يمكن أن تسمو بقيمتها إلى ما يتسع منها لأمته والتي لا يتجاوز عطاؤها أمة واحدة لا يمكن أن ترتفع إلى الفكرة ذات النزعة الإنسانية الشاملة.

ثمّ الفكرة ذات الشمول والاتّساع هي نفسها متفاوتة فيما بينها أشد التفاوت فبعضها ذات بعد واحد تتسع به أفقياً لا غير، وبعضها ذات أبعاد تكثر وتقل تبعاً

لإمكانيات مشرعيها ومدى اتساع آفاقهم الخاصة.

وخير الأفكار ما صنعت الإنسان في مختلف أبعاده حتى الزمانية منها وخير القائمين عليها ما تجسدت فيهم هذهِ المبادئ فحولهم إلى فكرة حية موحية.

وإذا صح هذا التقييم عدنا إلى واقع ما نعرف من أفكار ومبادئ وأشخاص لتقيمها على هذا الأساس.

والّذي أظنه أننا في غنى عن أي ادعاء بأن كل ما نعرفه من مبادئ لا تتجاوز في شموليتها بعض جوانب الإنسان لأنها تجهل أبعاده وما تراه من أبعاده فهو لا تتجاوز السطوح وأظن أننا في غنىً أيضاً عن التأكيد على إنه لا يفهم الإنسان ككل سوى خالق الإنسان وبالطبع إن خالق الشيء أعرف بمقوماته وعناصره من غيره.

فالإنسان ليس جسداً فحسب لنعالج قضاياه على أساس من مقومات الأجساد وليس روحاً خالصة لتعالج مشاكله على أساس من قضايا الروح ثمّ هو ليس فرداً مجرداً لتستأثر فرديته بأدوار العلاج ولا شخصية مجردة عن مقومات الفرد لننظر قضاياه على أساس جماعي.

فالدعوات التصوفية التي لا تؤكد على غير الروح، والدعوات المادية التي لا تؤكد على غير الجسد والدعوات ذات الجانب الفردي أو الجماعي، كل هذهِ الدعوات فيها سطحية منشؤها الجهل بواقع الإنسان وبخاصة تلك التي لا تؤمن بغير العامل الموحد لتقتطع على أساس جانباً من جوانب الإنسان فتؤكد عليه كالشيوعية مثلاً في إيمانها بالجانب الاقتصادي ودوره في خلق المشاكل وحلها على الإطلاق.

وقيمة الإسلام – بعد ذلك في نظرته الشمولية الواسعة ذات الأبعاد المتكثرة فهو بالنظرة إلى إصلاح الإنسان من خارجه بل يحاول التغلغل في نفسه إلى الأعماق فهو معه في مختلف جوانبه.

فالإسلام إنساني النزعة لا تقف دون انطلاقته حدود من زمان أو مكان أو لغة أو جنس.

والإسلام تكاملي النزعة فهو لا يؤمن بالتجزيئية في نظرته ولا يخطط على أساس من البعد الواحد فالإنسان عنده ذو أبعاد يتصل بعضها بربه وبعضها بنفسه كفرد وثالث بمجتمعه ورابع ببيئته وعصره فهو عندما يبرمج وسائل الإصلاح لا يغفل بعداً من هذهِ الأبعاد وأكثر هذهِ الوسائل متشابكة في تشريعاته.

فمن أراد أن يفهم الإسلام لا يسوغ له أن يقتطع جانباً من جوانبه ويسلط النظر عليه كما لو كان قائماً وحده.

فالمرأة في الميراث مثلاً لا يسوغ لها أن تعترض المشرع في تقليل نصيبها منه ومضاعفة نصيب الرجل ما دام قد قدر لها الإسلام أن تعيش في مجتمع يقوم على نظام الأسرة وتنهض على أكتاف الرجل فيه وحده جميع مسؤوليات البيت وتكاليفه المادية وهي معفاة من كل تكليف وليس من العدالة أن نصانع نصف الأمة على حساب نصفها الآخر دون أن نراعي في تشريعاتنا مختلف الجوانب.

وإذا عرفنا قيمة الإسلام وأردنا أن نجعله المنطلق إلى تقييم شخصياته وجدنا في القمة بالمقياس الذي ذكرناه في بداية الحديث قلة من الناس تحولوا في واقعهم إلى الإسلام متجسد يتمثل لديهم في مختلف مجالات السلوك.

وهذه القلة ذات الإمكانيات النادرة ما كان من الممكن أن نأخذ مكانتها من القمة لولا أن تصمم عناصرها المكتسبة وفق مخطط تربوي بنيت ركائزه على أساس من الواقع الإسلامي عن أن يرافقها هذا التصميم.

ليصنعها وفق ذلك الواقع من جهة ويبعدها عن جميع المجالات اللاإسلامية، من جهة أخرى ولولا هذا التصميم والبناء بالإضافة إلى ما تملكه هذهِ القلة من إمكانيات

طبيعية لما أمكن أن يتجسد فيها الإسلام.

وأظن أن هذا النوع من الفهم لواقع هذهِ القلة هو الذي يقوي على تفسير ما انطوى عليه سلوك النّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم مع النخبة من أهل بيته الكرام وإلا فإن مقام النبوة يقتضينا أن ننزه جميع الاعتبارات العاطفية في مجالات التشريع وكل سلوكه تشريع.

فليس من الصدفة أن يعمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم إلى حسين مثلاً فيحتضنه من بداية حياته كما احتضن أباه وأخاه من قبل ثمّ يتولى تربيته بيده الكريمة وفق مخطط إسلامي متكامل ثمّ يلقي بذلك المخطط إلى أبيه ليتم تربيته على أساس من بعده وهو يعده للقيام بشؤون رسالته ثمّ يؤهله هذا المنصب الكبير عندما يوحد بينه وبين نفسه من حيث ما يتصل بهما من الوظائف العامة بأمثال هذهِ الكلمة الخالدة:

«**حسين مني وأنا من حسين**».

وكأن و جهة نظر المشرع في ذلك ما كان يعلم به من أن العقيدة -أية عقيدة- لا تحقق نفسها جماعياً ما لم تتحول إلى واقع سلوكي يتمثل في طبيعة القائمين عليها لأن الناس -كل الناس- لا يقوون على التفكيك بين الرسالة وسلوك الناهضين بها من الحكام والحماة فالحاكم المتفسخ والحاكم المزدوج الشخصية والحاكم المستأثر بمقدرات الشعوب كل أولئك لا يمكن أن تؤمن شعوبهم بواقع دساتيرهم وأن تبنت أقدس المفاهيم وأشرفها وربما تأثروا هم في سلوكهم المنحرف أكثر من تأثرهم بطبيعة تلكم الدساتير ومن هنا قيل أصلح الحاكم يصلح المحكوم ولقد رأينا كمثل على ذلك مدى انهيار الإسلام في نفوس معتنقيه عندما رأينا انهياره من نفوس الحاكمين باسمه طيلة أيام الحكم الأموي.

والحقيقة أن الشعوب كالأفراد لا تصح شخصياتها وتسلم عن الانحراف إذا لم

تبن عناصرها على أسس تربوية سليمة فالتربية السليمة هي الأساس في بناء شخصيات الشعوب والأفراد على السواء.

وعلامة الصحة فيها من وجهة نفسية أن نعرضها لاختبار دقيق ثمّ ننظر ما ينجم عن ذلك الاختبار وعلى أساسه يتم الحكم لها أو عليها وما أقل ما يخرج من ذلك الاختبار وهو سليم معافى وسلام الله عليك أبا الحكمة البالغة حين أرسلتها كلمة خالدة:

«الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما دارت معايشهم فإذا محصوا بالبلاء قل الديانون».

وعلى هذا فالتربية المصممة وفق الأسس الإسلامية الصحيحة هي الركيزة لسلامة الشعوب شريطة أن تتبنى على أساها في مختلف المجالات والانحراف عنها انحراف عن مقوماتها الحياتية واقتراب من أهم عوامل التحلل والفناء ولقد رأينا بأعيننا نتائج ابتعادنا عن هذهِ التربية حين أدرك المستعمر قيمة بناء الأمة على أساسها فحاول إقصائها عن برامجه العلمانية التي فرضها على بلادنا ونشأ جيلاً من أبنائنا عليها ثمّ أراد أن يلتمس نتائج هذا الابتعاد فعرضنا بوسائله الملتوية لشيء من الاختبار والتمحيص وكان ما كان من نتائج ذلك الاختبار.

لقد تساءلت في غير هذا الحفل عن طبيعة هؤلاء الّذين الحدوا في دينهم وتنكروا لمقدساتهم وانتهكوا أعراضهم وسفكوا الدماء البريئة بوحشية الذئاب الحاقدة هل استوردناهم من بلد أجنبي أو إنهم كانوا أبنائنا وبناتنا فهل قدر لكم أن تسألوا أنفسكم لماذا انحرف هؤلاء وهم من أبناء من تسموا على الإسلام ثمّ لماذا فزعوا إلى هذهِ المبادئ المستوردة مع مجافاتها لطبيعة عقائدهم وتقاليدهم وأعرافهم ومن المسؤول عن ذلك كله ألسنا نحن المسؤولين أولاً وبالذات حين سلمنا أفلاذ قلوبنا إلى أياد غير أمينة لتصممها حسبما تريد[1].

(١) مجلة النجف – النجف – العدد –٩و١٠ – السنة الرابعة ١٩٦١م /ص١٨.

ثورة الحسين عَلَيْهِ السَّلَام في صعيدها الباسم

بقلم: السيد محمد تقي الحكيم

عميد كلية الفقه

بسم الله الرحمن الرحيم

اعتدنا أن نحيا ذكرى أبي الشهداء ونعيشها في موسمها من محرّم الحرام، فكنا نحن في غمرة المأساة وفي ظلالها المنجمة بأشلاء الضحايا لا نكاد نبصر معالمها المشرقة إلاّ من خلال الدموع وربما ضاعت علينا ركائزها الثورية وطاقاتها المبدعة في صخب من العاطفة وضجيج من البكاء.

ولقد أحسنت لجنة الاحتفال بهذه الذكرى الخالدة حسن أرادت لهذا البلد المقدس أن يكون له فضل السبق في أن يحيا مبادئ الثورة في أبهج وأروع ذكرياتها ذكرى ولادة فكرتها المقدسة بميلاد بطلها وباعثها ومخلدها أبي النخبة الخالدة من شهداء العقيدة – الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم.

وكأن اللجنة حسن نقلتها من موسمها الفاجع إلى موسمها الباسم أرادت أن تمكن لمعتنقي الفكرة ومشايعيها أن يجردوها من وهجها العاطفي لتبرز طاقاتها الثورية من خلال واقعها المشرق بدراسة موضوعية واعية.

وقبل أن نبدأ الاستجابة لهذه المحاولة نود أن نتساءل عن أهم المقومات التي يمكن أن ترتكز عليها أية حركة ليصح إطلاق كلمة الثورة عليها بما لها من مفهوم اجتماعي هادف وليمكن إجراء الموازنة في ضوئها بين أية ثورة وثورة.

وللإجابة على ذلك نرى أن أهم مقوماتها ثلاثة: أهداف، ومخططات، ونتائج. فإذا لم تكن الحركة هادفة أو لم ترسم وسائلها ومخططاتها مسبقاً أو لم يكن لها عطاء لا يمكن أن تسمى في عرفهم ثورة وكلما تجانست هذهِ المقومات والركائز كانت أقرب إلى الكمال، وفي حدود تكاملها وتجانسها يمكن الموازنة بين مختلف الثورات وتقييمها على هذا الضوء.

فمن حيث الأهداف نرى أن الثورة كلما اقتربت في غاياتها من النزعة الإنسانية العامة التي تسع بنتاجها أكبر عدد ممكن من الناس دون نظر إلى أجناسهم وقومياتهم وأوطانهم كانت أقرب من غيرها إلى التكامل ومن حيث الوسائل والمخططات نراها تقترب من التكامل حتى ابتعدت عن الوسائل الميكافيلية غير الشريفة كالعنف والخداع والتغرير بالسذج من الناس والهائهم عن واقعها بالوعود المضللة، ومن حيث النتائج نرى أنها لا تسمو مكانة إذا لم تكن غنية بعطائها الإنساني غير المحدود، فإذا توفرت هذهِ المقومات وتلاءمت أهدافاً ووسائل وعطاء كانت أركز من غيرها على الإطلاق.

وإذا صح هذا النهج لدراسة الثورات وتقييمها عدنا لنلتمس مواقع هذهِ الأسس من ثورة أبي الشهداء ومدى ما توفر فيها من عوامل التلاؤم والانسجام.

وقد يكون من نافلة القول أن نؤكد على أن أهدافه من ثورته هي نفس أهداف جده في رسالته السماوية الخالدة بما فيها من سعة وشمول لا تقف دونها حدود من زمان أو مكان أو عنصر أو جنس.

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ﴾، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ

وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾.

وإن هذهِ الرسالة بحكم ما وفرت للبشر من تشريعات عامة في مختلف مجالات الحياة -كانت كافية لأن تبلغ بالناس إلى أرقى قمم السعادة والرفاه، ولكن بعض من تعاقبوا على الحكم من دعاة الفوضى التشريعية والاستبداد رأوا أن في هذهِ المبادئ والتشريعات ما يضع حداً لتحكمهم بمقدرات الشعوب، فعملوا جاهدين على طمس معالمها من النفوس واستغلوا باعة الضمائر من نهازي الفرص وتجار المبادئ للعمل على تخدير الضمائر التي تنشأ على وفق هذهِ التشريعات وبخاصة أولئك المتهنين للدين والمتخذين من شعائره ستاراً يتسترون به عن أعين السذج من الناس.

وكان رد الفعل قوياً في نفوس المؤمنين بهذه المثل من أمثال أبي الشهداء – إن صح أن له أمثالاً– فكان صراعاً وكان جدالاً، ولكن هذا الصراع لم يكن سافراً أمام الرأي العام، حين كان الخفاء والتستر على المفارقات هو طابع الحكام والولاة.

وحين أجهر يزيد – وهو في طريقه إلى الحكم– بمبادئ جدهِ وأبيه الإلحادية المتمثلة بقولة أبي سفيان لبني أمية: (تلقفوها يا بني أمية تلقف الكرة فوالذي يحلف به أبو سفيان ما من عذاب ولا حساب ولا جنة ولا نار ولا بعث ولا قيامة) والتي طبقها معاوية عملياً ولكن بطريقته الخاصة.

وإذا لم يكن هؤلاء ليجرأوا على الجهر بمبادئهم إلاّ أمام الخاصة من الأتباع خوفاً من إثارة إيمانية ما تزال عالقة في النفوس فإن يزيد لم يعد له ما يخافه ويخشاه بعد أن خدرت أربعون عاماً من حكم أبيه وولايته إرادة الشعوب وبقايا مناعتها بما استعمل من وسائل العنف والإبادة والمساومة على المبادئ.

ومن هنا كانت مهمة الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم في تحقيق هدفه من إعادة الوعي العقائدي وإلهاب الروح النضالية في نفوس المسلمين من أشق المهمات وأعقدها

فالضمائر المخدرة لا يمكن أن توقظ بعد إغفاءتها الطويلة بمزيد من الوعظ والتحذير وإنما تحتاج إلى رجة عاطفية كبيرة لتزيل ما تراكم عليها من غبار الخنوع والاستسلام.

وتكشف الصراع ووقف الكفر والإلحاد معهما القوة والمال والأساليب الوضيعة في جانب وفي قبالتها وقف الإيمان وهو أعزل إلاّ من سلاح عقيدته بعدالة قضيته وكان يزيد، وكان الحسين، وكانت كربلاء مسرحاً لذلك الصراع.

أما وسائل تحقيق الدعوة فكانت وسائل سلمية سافرة لا تعتمد في أسلوبها على المكر وخداع الجماهير ولا تؤمن بأسطورة الغاية المبررة لأحط الأساليب في مجتمع كان يعج بأساليب المكر والخداع ومن هنا كان مثار استغراب المفلسفين لحوادث التاريخ أن يجدوا في الثائرين من يواجه الرأي العام وهو يستنهضه للثورة بالواقع الذي ينتظره.

(كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء)

أو يقول لهم وقد جاءه خبر مسلم:

(أما بعد فقد أتاني خبر فضيع قتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة وعبد الله بن يقطر وقد خذلنا شيعتنا فمن أحب منكم الانصراف فلينصرف في غير حرج وليس عليه منا ذمام).

وليس من الفراسة أن يقال بأن ثورة هذا أسلوبها وهذه وسائلها لا يمكن أن تقف لخصيمها بالمرصاد وأن صاحبها مقضي عليه لا محالة. ومن هنا كثر الناصحون والمحذرون، ولكن الإمام يرى نفسه في واد ويراهم في واد، يرى أن هؤلاء يريدون له السلامة والبقاء ويرى هو أن رسالته الخالدة لا تريد له إلاّ الشهادة والتضحية، لأن تلكم الضمائر المنومة لا يمكن أن توقظ إلاّ بالضجيج من هدير الدماء، ويقظة هذهِ الضمائر وشعورها بالمسؤولية وعملها الدائب على وفق مبادئه هي ذلك الفتح الذي أشار إليه الإمام وسار نحو الشهادة بأسلوبه الوضيء وموقفه دائماً موقف المدافع عن

عقيدته حتى أسلم نفسه الأخير وتمثلت جميع فصول المأساة، وهكذا التقى شرف الغاية ونبلها بشرف الوسيلة ونبلها في ثورة هذا الإمام العظيم.

وظن يزيد وهو بالقمة من النشوة نشوة الظفر نشوة الخمار وبين يديه الرؤوس ومن حوله السبايا أنه أجهز على آخر إثارة من دين، فأطلق نفسه على سجيتها يتغنى.

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل

وإذا بصوت الحسين ينطلق صاخباً هداراً ولكن لا من فمه الجريح بل من فم شريكته في الثورة:

«﴿ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴾.

أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء أن بنا على الله هواناً وبك عليه كرامة، فمهلاً مهلاً أنسيت قول الله:

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾».

وارتعد يزيد لهول المفاجأة وضاعت عليه منافذ القول من هراء من الكلام، ودبت اليقظة إلى الضمائر المخدرة وارتفع الخمار عنها شيئاً فشيئاً، وبدأ التساؤل واشتد ولاحت نتائج الثورة حين اهارت على الخليفة حتى بيته الخاص ثمّ توالى العطاء فتكثرت الثورات باسم الحسين ومبادئ الحسين، وكانت ثورة المدينة، وكانت ثورة مكة، وكانت ثورة الكوفة وإذا بالهيكل الذي أشاده الأمويون على جماجم الضحايا بدأ ينهار من الأساس وإذا بالخليفة المزعوم يحاول الهرب حتى من نفسه فلا يجد المنفذ إلى ذلك ما دام صوت زينب يلاحقه (كد كيدك واسع سعيك وناصب جهدك فوالله لا تمحو ذكرنا ولا تميت وحينا ولا يرحض عنك عارها. وهل رأيك إلاّ فند وأيامك إلاّ عدد وجمعك إلاّ

بدد) وتوالى العطاء فاندك صرح الكفر بموت يزيد وتحول الحسين وتحولت ثورته إلى فكرة صاعدة تجسدها ضمائر الشعوب كلما أوغل الحكام وغيرهم في ارتياد وسائل العنف والاستبداد للتلاعب بمقدرات الناس والعبث بعقائدهم.

وفي العهد القريب والقريب جداً رأينا أنفسنا حين بعث يزيد بأفكاره الإلحادية ووسائله المعروفة لتحقيقها من القتل والاغتيال والكذب والدس والخداع متجسداً ببعض الأشخاص وبعض الفئات كيف انطلق صوت الحسين ثائراً هداراً ولكن من فم ولده البار وأمينه على مبادئه الثورية ونائبه العام (المحسن الحكيم) انطلق ليقولها بصراحة لا مواربة فيها (الشيوعية كفر وإلحاد) انطلق ليوقظ الشعوب المنومة عن دينها وكرامتها وإنسانيتها بمختلف الوعود وكيف تنادي إخوانه في الجهاد من أعلام هذهِ الأمة وأمنائها وقادتها إلى الصلاح ليقفوا معه صفاً واحداً أمام حدة الجارف ومن خلفهم أبناء هذا البلد المجاهد الصابر وإخوانهم من المؤمنين في كل مكان وانتصرت بهم ثورة الحسين مجدداً وانحسر بجهادهم ذلك المد وسقطت ضحايا هنا وهناك في الموصل، في كركوك، في الكاظمية، في كربلاء سقطت لتشير إلى أن العقيدة لا يمكن أن تنتصر دون أن تقدم لها من فلذاتها أثمن الفداء[1].

(١) مجلة النجف – النجف – العدد – ٤ – السنة الخامسة ١٩٦٣م /ص٣٢.

شُكراً ليومِ ميلادكَ أبا الشّهداء

بقلم: الدكتور الشيخ أحمد الوائلي

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على محمد وآله الميامين. السلام عليك أبا الشهداء سيدي لقد نبعت فكرة الاحتفال بميلادك من الشعور بالحاجة إلى القرب من دنياك بما زخرت به من مثل رائعة وسطعت من أضواء مشرقة وبما احتوت من جوانب أخاذة ممتعة ففي دنياك البهجة والإشراق تلونها روى مولدك الكريم وفي دنياك السمو والإيمان تعكسها خلائقك الطاهرة وفي دنياك التضحية والفداء يمثلها موقفك الجبار وجهادك المقدس انتصاراً للحق وانتفاضاً على الباطل وما أحوجنا إلى التزود من هذا المقلع الفني بعد أن طوح فينا الضمير وماتت النخوة وكادت تجف منابع الإيمان فشكراً ليوم مولدك أبا الشهداء فقد قربنا من دنياك نافذ من شعاعها النور والبصيرة ومن حرارتها العزم والتصميم ولقد اختصر الزمن وطوى السنين فوضعني على كثب منك حيث يأخذك الرسول الأمين بين يديه ويحدق في وجهك بعمق ونفوذ ليقرأ في نفسك العزم الأكيد والتصميم القوي على الوقوف بذلك الموقف الصامد الذي مثلت فيه أروع البطولات على مسرح كربلاء والّذي أبان لنا موقفك امتداد لموقف جدك الرسول الأعظم أجر جدك على عزمه يوم قال:

«**والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذهِ الدعوة ما فعلت**».

ووقفت تعلنها صرخة مدوية يوم قلت:

(**والله لا أعطيكم إعطاء الذليل ولا أقر إقرار العبيد**).

شكراً لمولدك أبا الشهداء قد بعثنا – إلى تجديد إيماننا كما تريد لا كما نحن فيه إيمان ينشر كالطحلب على السطوح ولا يصل إلى الأعمال والجذور ويعيش على الألسنة ويموت على الأفعال ويكتب على اللافتات ولا يعمر النفوس إنك تريده إيماناً يكون صرخة بوجه الظلم والباطل، سيدي لقد صنفت الناس في موقفك يوم الطف إلى صنفين فقسم سميته عبيد الدنيا، والدين لعق على ألسنتهم وقسم زحفت فيه تواجه الموت وقلت:

«**اللهمّ إني زاحف بهذه الأسرة مع قلة العدد**».

فأثبت لنا أن الناس فريقان فريق يذوب ويقهر أمام أبسط العواصف وفريق يقف بوجه التيار مهما كان عنيفاً ولقد اقتبس المؤمنون السائرون على طريقك فصمدوا يوم البغي وثبتوا يوم انتشر المد الفوضوي الأحمر فسخوا بالنفوس وبذلوا النفيس حتى سحل من سحل وقتل من قتل ومزقت الأشلاء وأهينت الكرامات واستعذبوا ذلك كله لأنه رمز البقاء على دينهم وإيمانهم وحبهم لوطنهم مهما كان البغي عنيفاً حيث أرسلوها صرخة تطفي الكفر وترد كيد الشيطان إلى نحره حيث بدأ بها سماحة آية الله العظمى السيد محسن الحكيم فسماحة آية الله العظمى السيد عبد الهادي الشيرازي فسماحة آية الله العظمى السيد أبو القاسم الخوئي وتتابعت بعد ذلك فتاوى حجج الإسلام ووقفت من ورائهم الحوزة العلمية بكاملها ووقف الشعب المسلم من وراء الفتاوى يدعمها ويلتف حولها لأنها تعكس تمسكه بدينه ويرى فيها خلاصه لأن العراق بلد مسلم ولن يكون إلاّ مسلماً وقد وقفت النجف بجميع هيئاتها وطبقاتها هذا اليوم

فتظافرت جهود عمالها لتزيين البلدة وسخت نفوس تجارها بمختلف طبقاتهم وشحذت قرائح أدبائها ومفكريها لترصف الفكرة المجلوة والديباجة المشرقة ثمّ ليقدموا كل ذلك مجهوداً متواضعاً بين يديك ولا ننسى في هذا المجال موقف العلامة الجليل الشيخ نصر الله ممثل آية الله العظمى السيد حسين الطباطبائي البروجردي فلقد وضع المدرسة مدرسة البروجردي تحت تصرف الحفل سيدي نحن نقدم ذلك بضاعة مزجاة على أعتابك نأمل بها الفوز يوم لا ينفع مال ولا بنون إلاّ من أتى الله بقلب سليم[1].

(١) مجلة النجف – النجف – العدد –٩و١٠– السنة الرابعة ١٩٦١م.

تراث الحسين عَلَيْهِ السَّلَام

بقلم: الدكتور حسين علي محفوظ

أنعم الله على هذهِ الأمة؛ فأنقذها من الجاهلية، ورضي لها الإسلام ديناً قيماً، وجادة بيضاء، وطريقة مستقيمة. وأكمل الدين يوم الغدير بالولاية؛ فثبت دعائم الرسالة، ووطد أوتاد الحقيقة، وركز نظام الشريعة.

ثمّ أدلهمت أغباش الفتنة، وحُرِّف الكتاب، واستبيحت بيضة الهدى، وتعرّض الإيمان لريح عاتية، فكاد الإسلام يعود غريباً، وسلّط عن قصد السبيل، وعمهوا في سكرة الطغيان واستطالوا في غرور الغيّ، ومرقوا من الدين، وخلعوا ربقة الحق، ونقضوا عروة العهد، فأتم الله النعمة، وتغمد الأمة بالرحمة يوم عاشوراء، ونهض الحسين بالأمر، وأنكر كلمة الظالمين بالسيف، يبتغي مرضاة الله، ويرجوا إحياء الدين. فقتلوه، وذبحوا أطفاله، وهو يستحلي الشهادة من أجل الرسالة، ويؤثر العدل على الحياة. وترك - عَلَيْهِ السَّلَام - مواريث؛ خالدة الذكر، باقية الآثار، ثاقبة الشهاب، تنوء بالعد، وتنبو عن الإحصاء، ويضيق بها الحساب، وتند عن الإحاطة، ولا يرقى إليها الوصف ورأس تراثه:

١- الدين القيّم؛ رسالة الله؛ فدّاه بالدماء، واشتراه بالأنفس، وأنقذه من أيدي الفجرة بالأهل والبنين، والأنصار والأقربين.

٢- أدعية كان يسبح الله بها في العشي والابكار، يدعو بها قائماً ويجهر بها قانتاً ويرددها قائماً، ويكررها متهجداً.

ومن مشاهير المأثور من أدعيته؛ دعاؤه المبارك الجامع «دعاء يوم عرفة» فقد ذكر فيه أمر الخلق والتدبير، والدنيا والدين ما لا تتسع الكتب لشرحه. وحسبنا من محاسن فصوله:

«اللهمّ إني أرغب إليك، وأشهد بالربوبية لك، مقراً بأنك ربي وإليك مردّي. ابتدأتني بنعمتك، قبل أن أكون شيئاً مذكوراً. خلقتني من التراب، ثمّ أسكنتني الأصلاب، آمناً لريب المنون، واختلاف الدهور والسنين. فلم أزل ظاعناً من صلب إلى رحم، في تقادم من الأيام الماضية، والقرون الخالية. لم تخرجني - لرأفتك بي، ولطفك لي، وإحسانك إلي - في دولة أئمة الكفر؛ الّذين نقضوا عهدك، وكذبوا رسلك. لكنك أخرجتني للذي سبق لي من الهدى، الذي له يسرتني، وفيه أنشأتني، ومن قبل ذلك، رأفته بي، بجميل صنعك وسوابغ نعمك. فابتدعت خلقي من منيّ يمنى وأسكنتني في ظلمات ثلاث، من بين لحم ودم وجلد. لم تشهدني خلقي، ولم تجعل لي شيئاً من أمري. ثمّ أخرجتني - للذي سبق لي من الهدى إلى الدنيا - تاماً سويّاً، وحفظتني في المهد طفلاً صبياً، ورزقتني من الغداء لبناً مرياً. وعطفت علي قلوب الحواظن، وكفلتني الأمهات الرواحم، وكلأتني من طوارق الجان، وسلمتني من الزيادة والنقصان، فتعاليت يا رحيم يا رحمن. حتى إذا استهللت ناطقاً بالكلام، وأتممت علي سوابغ الإنعام، وربيتني زائداً في كل عام، حتى إذا اكتملت فطرتي، واتعدلت مرّتي، أوجبت عليّ حجتك، بأن ألهمتني معرفتك، وروّعتني بعجائب حكمتك، وأيقظتني لما ذرأت في سمائك وأرضك من بدائع خلقك، ونبهتني لشكرك وذكرك، وأوجبت عليّ طاعتك وعبادتك، وفهمتني ما جاءت به رسلك، ويسرت لي تقبّل مرضاتك، ومننت عليّ في جميع ذلك بعونك ولطفك».

٣- أخلاق عظيمة؛ جمعت أحاسن الخصال، وأوعت أفانين المعالي والمكارم. فالحلم - عنده - زينة، والوفاء مروءة، والصلة نعمة، والاستكبار صلف، والعجلة سفه، والسفه ضعف، والغلوّ ورطة، ومجالسة أهل الدناءة شر، ومجالسة أهل الفسوق ريبة.وقد صوّر - عَلَيْهِ السَّلاَم - المعروف رجلاً حسناً جميلا يسرّ الناظرين، واللؤم رجلاً سمجاً مشوّهاً تنفر منه القلوب، ونغض دونه الأبصار.

وكان يدعو الناس أن ينافسوا في المكارم، ويسارعوا في المغانم؛ إذْ من جاد ساد، ومن بخل رذل. وأجود الناس من أعطى من لا يرجوه، وأعفى الناس من عفا قدرة، وأوصل الناس من وصل من قطعه، ومن نفس كربة مؤمن فرج الله عنه كرب الدنيا والآخرة، ومن أحسن أحسن الله إليه.

٤- موعظة حسنة؛ أوصى الناس فيها بتقوى الله، والاعتبار بما وعظ، وحذّرهم الإصغاء إلى هتوف الشيطان بهم، وذكرّهم مصرعهم، ومصارع آبائهم وأبنائهم، ووصف لهم أهوال ذلك اليوم، وأوصاهم بطاعة أهل البيت الطيبين؛ حزب الله ومعدن العلم، وشجرة النبوة، وعترة الرسول، وآله الأقربين، وأحد الثقلين؛ الّذين جعلهم رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وسلم - ثاني كتاب الله؛ عليهم المعول في تفسيره، واليهم يُردّ استنباطه، وهم أعلم بتأويله.

وحضهم إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وانه دعاء إلى الإسلام؛ مع ردّ المظالم، ومخالفة الظالم، وقسمة الفيء والغنائم، وأخذ الصدقات من مواضعها، ووضعها في حقها. ولحاهم على تضييع حق الضعفاء، والاستخفاف بحق الأئمَّة، ولامهم على تفرقهم عن حقهم، واختلافهم في السنة بعد البيّنة الواضحة.

٥- كتب ورسائل؛ هي النمط الأعلى في أدب المراسلات، وهي كنز نفيس من الكلم الطيب، والمعاني الجليلة، والألفاظ الحسنى. دعا الناس بها إلى كتاب الله، وسنة

نبيه، وإحياء معالم الحق، وإماتة البدع. ونهاهم عن إسلام أمور الله إلى حزب الظلمة، وأولياء الشياطين؛ الّذين قتلوا كل من كان على دين علي من أهل الإسلام، ونفوهم من دورهم إلى دار الغربة.

٦- جوانب مسائل الملوك والأمراء، العلماء، والأصحاب، والناس، في أمور الدنيا، والحكمة والعلم، مثل أسئلة ملك الروم عن المجرة، وأرزاق العباد، والأشياء السبعة التي لم تخلق في رحم.

٧- مقالات في التوحيد، ومعرفة الله، والمشيئة، والإرادة، والقدرة والعلم، والجهاد، والزهد، والاحتجاج، واصطناع المعروف.

٨- خطب محكمة؛ في مختلف المجاري والمواطن، سلك فيها نهج والده، وطريقة أخيه ومنهاج جده.

٩- قصار الكلم، وجوامع الحكم، وطرائف الآداب.

١٠- الحسينيات المشيدة؛ بيوت مرفوعة يذكر فيها اسم الله، ومساجد تقام فيها الصلوات، ومدارس تلقن الجهاد، ومعاهد تهدي إلى الدين.

١١- المجالس؛ دروس تعلم التاريخ، وتوضح الحق، ومواعظ تدعو إلى سبيل الله، وتحض على الاستمساك بالشريعة، وخطب توحي الإباء، وتوحّد الصف.

١٢- المراثي؛ باب من القول يظل يغني الأدب - حتى يوم الدين - بالمعاني، وشعر صادق أصيل قرضه المخلصون فملئوا ديوان اللغة كنوزاً من الكلم الطيب.

١٣- ذكرى واقعة الطف، يوم عاشوراء، يوم الجهاد العظيم، ومشرق الإباء الأكبر؛ يذكر الناس الحق، وينفرهم عن الظلم، ويحرضهم على إزهاق الباطل.

١٤- الأئمة الطيبون المطهرون من أولاده، والسادة الكرام البررة من ذريّاته، والفئة الصالحة المكرمة من شيعته(١).

---

(١) ذكرى الإمام الحسين (عليه السلام) منشورات حسينية آل الصدر - الكاظمية - ١٩٦٧م /ص٣٦.

عبر تطورات الدعوة

بقلم: الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي

بقيت تلك الجثث الطواهر الزواكي، تنتابها العواسل، وتعفرها أمهات الفراعل وتتعطرها أريج الدم الإسلامي الثائر أجواء الطف المقدسة، وتستافها تلعات كربلاء المكرمة، عبق الجهاد الإسلامي المخلص..

وسار ركب علي وزينب ليحقق أهداف الثورة الإسلامية، الواحد تلو الآخر، أهدافها في إزهاق الباطل والضلال وإقامة الحق والهدى، في الوقوف أمام الردة الجاهلية التي عمت معاقل المسلمين، وفي دفع الإسلام ليعيش الحياة عقيدة ونظاماً، في المجتمع والدولة..

سار الركب الثاكل الثائر ليواصل مسيرة الوعي الإسلامي الثوري... فتقول زينب عَلَيْها السَّلاَم ليزيد بن معاوية:

(فكد كيدك واسع سعيك، وناصب جهدك،. فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحينا ولا يرحض عنك عارها،.. وهل رأيك إلاّ فند وأيامك إلاّ عدد، وجمعك إلاّ بدد، يوم ينادي المنادي: ألا لعنة الله على الظالمين).

لأنه الإسلام العظيم، ذلك الجبل الأشم الصمود الذي تتحطم على صخرته جميع قوى الشر، وتفل دونه كل مكائد الضلال.

فثار الوعي الإسلامي، وانتشر سريان البرق الخاطف يملأ أرجاء البلاد، وربوع

الدولة. فكانت ثورة المختار. وكانت ثورة زيد. وكانت ثورات أخرى هيأ في زخمها النضالي ومدها بشحنة الجهاد الدائب المخلص حادث يوم الطف الصارخ.

وهكذا انهارت دولة أمية، وهزم الباطل والضلال.. وفهمت الحياة كلمة الرسالة الخالدة التي فجرها صوت الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم الغام الحق في وجه الباطل:

(أيُّها الناس.. أن رسول الله صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام الله، ناكثاً عهده مخالفاً لسنة رسول الله صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله).

وذهبت هذهِ الألوان من الثورات وهذه الألوان من التوجيه الإسلامي الثوري تمد القوافل النضالية زخماً هائلاً، تؤكد من العقيدة، وتغلغل روح المسؤولية الإسلامية العظمى، في نفوس أبنائها من الدعاة الإسلاميين الواعين والمجاهدين فتتوارى عنها أشباح الباطل، وتتهاوى بين يديها أصنام الضلال، وتهرب أمام زحفها الإسلامي الرائع فلول الشر والكفر.

فما قامت للباطل دولة إلاّ وحطمتها الأشلاء والدماء، وبددتها هشيماً طعمة للرياح العاصفة بطولة الدعاة المسلمين من واعين ومجاهدين.

عاش هؤلاء الدعاة الإسلاميون مسؤولية إسلامية عظمى، ترهب الظلم والجور، وتخيف التطفل والانحراف، وتهيب بالأمّة أن تنام على ضيم، وأن تعيش على هوان وذلة وجف الكأس إلاّ من صبابة، وخلا الميدان من الإسلاميين المبدئيين.. فاستغل الاستعمار الكافر ذلك الفراغ العقائدي من أمتنا وانحسار الوعي السياسي الإسلامي من أجوائها وكلكل بجوره وطغيانه، يمتص دماءنا، ويسلب خيراتنا.

وله من مسارب السياسة الكافرة والتواءاتها ألوان وألوان من الخداع والتضليل..

وبهرنا بوسائل مدنيته، وقد كان على أبوابها، وغفلنا أن ندرك أنها الدعارة، لان الغرب لم يولع يومها بالأرقام ليقدم لنا إحصائياته في السلوك اللاانساني، في الجرائم والموبقات، ولأنه يحاول أن نذوق مرارتها بأغلى ثمن وعلى حساب الدين والعفة والشرف.

ووقعنا في الهوة، والتفت الشباك علينا، ورأينا أنّ الهوة سحيقة، والشباك كثيفة وشائكة،.. ووخزنا الألم، وقسا في وخزه، وانتبهنا.. ولكنه لم يكن وعياً إسلامياً.. لأنّ الاستعمار بادرنا قبل أن نتوعى كافياً، فصب مخدارته في الكؤوس المغرية، ديمقراطية، ولكن من طرازها في الغرب، شعبيتها عنقاء، وموجهتها دكتاتورية.. وحرية، حسبما يحلو لايديولوجياته الاستعمارية أن تحددها.

حرية مطلقة في العقيدة، لأنّ الإسلام يدعو إلى صيانة العقيدة..

وحرية مطلقة في الاقتصاد، لان الإسلام يحرم الاستغلال، ويوجه تداول الأموال في توفير الحياة الكريمة، للأمة كل الأمة.

وحرية ملطقة في السياسة،.. وحرية مطلقة في السلوك، وهكذا. لان الإسلام هو اللغم الذي ينفجر في وجه الاستعمار الكافر، متى وعى المسلمون مفاهيمه وأنظمته، وعياً شاملاً[1].

(١) ذكرى المولد – منشورات مكتبة الحكيم العامة – البصرة – ١٣٨٣ هـ/ص٤٧.

كلمة الولاء في أبي الشهداء

بقلم: الدكتور باقر عبد الغني

درجت في مرابع حبكم طفلاً، فما حبوت ولا نهضت ولا قمت من عشرة إلاّ على ترنيمة من اسم علي أبيك. وشببت عن الطوق فإذا بكل جنبيّ هوى لك ولآل بيتك. فرحت أصغي إلى قصتك وليداً تنهض عنك حرة أبوها رسول الله ويافعاً يغذيك علي بفيض من مروآته، وشيخاً تحمل القرآن بكف، وتفصد بالثاني وريد الفتنة. وشهيداً أطوف مع الحجيج بقبرك وانكبُّ عليه، وخلاصة مقلتيّ عبرة على مصرعك.

حتى إذا استوى بي الفكر وقرت العاطفة وتأست الشجون، عاودت سفرك أتلوه. فإذا به فكرة تدعو إلى الحق حين شاع الباطل وإلى العدل حين تجرأ الظلم. وإلى الحلال حين حلا السحت وإلى الهدى وقد تفشى الضلال. وإذا به عفة حين مرغت الفضائل، ورفعة إذْ استطيبت الضعة، ومروءة حين شحت النفوس، وأخلاق حين ديست القيم. ومضيت منكبا على فصوله، فإذا هو جهر بقمع الرد كجهر (محمد) بمحو الجاهلية. وإذْ بسيفك ذي الفقار يجتث في يومك، كأمس أبيك، دغل النفوس وغل الصدور ووثنية الأفكار وفساد البدع، ونهجك، بعد، كنهج أبيك وقصدك، بعد، كقصد جدك. إيمان بالله حشو الصدر، حشو الفكر، وإخوة في الإسلام لا استعلاء فيها ولا تنابز بالألقاب، ودعوة للتواد والألفة، وصفاء يشيع الخير، وراع تطمئن إلى عدله الأمة، وأمة بعضها أولياء بعض.

آمنت بك، سيدي، نهجاً للإسلام كما أراده الله، وبلغه جدك للناس، وآمنت بك صيحة للحق حين تأخذ الباطل نزوة الغرور. ودالت دولة خصمك مخضبة الأكف من دماء الأبرياء. يلعنها التاريخ من سوء ما سودت من صفحاته سيرة ما زالت توقع بين المسلمين حتى اليوم، حتى لكأنه قدر عليها، ان تظل لعنتها موصولة للذي تذره من رماد خرائبها غلاً وحقداً وضغينة.

وراحت دولة البغي خبرا أسود في التاريخ. دولة تأخذ الناس بالشبهات، وتقيم الحد على الظن، وتأخذ البريء أخذها للمجرم وتسطو على ما بأيدي الناس بالسوط. وتصيح ببيت المال نهباً. وتشتم التقاة على منابر لم تقم إلاّ لذكر الله. فما أخزى منابر أمية من منابر ما نطقت أعوادها النخرات إلاّ بخزي من حملتهم، من كل ملئ البطن بالنار ومتزر بالشر ومؤجج للفتنة. سنة سوداء سنها الأمويون لكل مدلج في الحكم. ودولة معوجة السيرة علمت كيف يكون الانحراف عن الجادة. وعصبة من عصابات الجاهلية. أغارت على مأمن الأخلاق وحصن الكرامات والقيم وعاثت فساداً بالتراث الكريم ووأدت كل حي من الضمائر والذمم، صلت سعيراً وتلّت للجبين. ستعلم يوم ينفخ في الصور أي عات زعزع سليف أرواح الجبابرة.

نهضت، سيدي أبا الشهداء، تقوم رأسها المتجبر وخدها المتصعر وتكسر سوطها الممدود على ظهر الأمّة. فخرجت لا متستراً كما تعثر بالمدلجين الجمل ولا خائفاً كما لاذ الآخرون بأستار الكعبة. في حزمة من أبناء عليّ، من كل رأس ما انحنى إلاّ لسجدة وعين لم تدر إلاّ على آية، ولسان لم يرسل إلاّ لهدى ونصيحة ومعروف، وإزار لم يشد إلاّ على ورع وتقى ودين.

وكانت بعدها جولتك. ومضيت شهيداً تحف بك الملائكة ويرتل الإسلام قرآنه على جدثك وآب الطغاة يواريهم غبار الذل والعار، يساقون إلى الحياة الميتة وهم

ينظرون. وجئت اليوم أتقصى معالم دولتك. تلك التي أقمتها في فلاة الطفوف. فإذا هي في بادئ أمرها قبر ما زاد على كومة من حجارة وحصى وتراب. ثمّ تستحيل حجارته بعد حين، جبلاً من ذهب، وحصاه أكداساً من جواهر، وترابه سيلاً من ياقوت. وإذا بميدانها، مجال الخيل بالأمس، يستحيل إلى واد مقدس، حفاة يطوف به الزائرون.

ومسجداً للصلاة والتهليل والتكبير، حشداً ترص به الصفوف وأمة تطوف به صباح مساء منذ قيامه إلى قيام الساعة لا يحصى عددها غير الله. وذكر الله فيه وترتيل لا ينقطع وتسبيح ودعاء وصلاة آناء الليل وأطراف النهار. وعبرة تسح أرق ما تعرب منه العواطف عن أساها. وأدب ينثر وفكر ينظم وأسفار تحبر في ذكر دولة الدين والمبادئ والأخلاق ما لا يكاد محص يحصيه ولا تعادله أو تماثله غزارة في دنيا الكتاب والأقلام وفقه وأحكام وتشريع وشيعة لك ولآل بيتك في مشارق الأرض ومغاربها ستظل أبصارها شاخصة إليك إلى يوم الدين وأفكارها موصولة بفكرك وفكرتك إلى يوم يبعثون. تلك هي دولتك، ولم ترد غير أن تظل في دنيا الخلود مناراً يهدي الأمة ويدلها على معالم الدرب. معجزة، فليحصي لي المحصون كم من شفة قبلت قبر الحسين وأخرى لعنت دولة الطغاة.

يا نهيض الحرة ويا ضلع علي في كل ما انحنت عليه أضلاعه من شغف بالحق. إليك هواي نفساً أصعده اليوم حباً ودماً يحركني هنا ويقعدني هناك. وإليك هواي روحاً تحوم على رملة أتوسدها في حمى أبيك. أشربت حبكم طفلاً أحبو على ترنيمة من أسم عليّ، وولائي إليك طفلاً تلملم مهدك يد الزهراء وشهيداً تتهادى بنعشك أفواج الملائكة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته[1].

---

(١) ذكرى الإمام الحسين (عليه السلام) منشورات حسينية آل الصدر ـ الكاظمية ـ ١٩٦٧م /ص٢٩.

ذكرى المولد

بقلم: السيد عدنان البكاء

عميد كلية الفقه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين والصلاة والسلام على أبي عبد الله الحسين الذي اجتمعنا في ذكراه. نعيش روحها ونستمد من معطياتها، وما أكثر معطيات هذهِ الذكرى – أيُّها المسلمون – وأمثالها من ذكريات أهل البيت عَلَيْهِم السَّلاَم فمن معطيات الذكرى في أمثال هذهِ المناسبة أن نجدد الصلة بقادتنا وأئمتنا، وأن نلتقي بهم عبر الفاصل الزمني عاطفياً وفكرياً، أن نسترجع تاريخهم بكل أبعاده، لنستجلي واقع شخصياتهم، وأعمالهم، وأفكارهم، ولنعرف على هذهِ الضوء حقيقة الرابطة التي تشدنا إليهم، وتجمعنا بهم، ومدى الفارق بين المستويين على الصعيد الروحي، والفكري، والعلمي.

من معطيات الذكرى في هذهِ المناسبة أن نرتفع ساعة من سوع واقعنا المعاش من ناحية روحية وأخلاقية، واجتماعية لنستروح شذا المستويات العالية التي تعيش بمستوى القيم، والمثل والمبادئ من معطيات الذكرى في مثل هذهِ المناسبة وأن تسلخ العاطفة هذهِ الجماهير – من أعمالهم وشواغلهم – فتجمعهم في مهب الذكرى ليعرفوا إسلامهم الذي لا يجهلون شيئاً جهلهم به، ولا يستهينون بشيء استهانتهم بتعلمه.

من معطيات الذكرى في مثل هذهِ المناسبة أن نتعرف معياراً تقيس به مستوى إيمان الناس، وصدق إسلامهم، ومقياساً نعرف به مستوى التضحية التي تفرضها مسؤولية الحفاظ على الإسلام والدفاع عن مبادئه في مجال الفكر والتطبيق.

من معطيات الذكرى أن يتضح لنا بصورة ما ما أداه وما يؤديه أهل البيت عَلَيْهِ السَّلاَم للمبدأ الإسلامي رغم إقصائهم عن الحكم، ورغم اضطهادهم، ورغم سد المنافذ في وجوههم.

نحن الآن بسبيل أن نحيا ساعة مع الحسين بمناسبة ميلاده، وكلكم يعرف الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم يعرف موقعه من الإسلام، ومكانه من المسلمين يعرف قدره من ناحية عقائدية، وناحية تاريخية، فلتكن هذهِ الساعة مع الحسين، وهو يؤدي دوره مع الحسين في ثورته.

كلكم أيُّها المسلمون يعرف قصة وجسامة التضحية التي قدمها الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم فمنذ مئات السنين والواقعة تعاد من قبل رجال المأتم، فحفظها أغلب الناس ولم يحفظوا غيرها وفهموها ولم يفهموا سواها فهل أن قصة التضحية هي غايتها.

إنّ الواقع يكاد يثبت – على رغمنا جميعاً – أن علاقة أغلب المسلمين بالواقعة، وفهمهم لها – من ناحية الدوافع والأهداف – لا يتجاوز من حيث الأثر المستوى العاطفي العادي، فالرد الذي تراه يتكرر دائماً.

ولا ترى غيره – كلما تليت المأساة – الحزن والدموع، ولا شيء غير الحزن والدموع، لدرجة أصبح ذلك بنظر البعض هدفاً لأجله يحضر المستمعون وفي سبيله ترقى الأعواد ويصاغ الشعر وتنظم الخطب.

إنّ ذلك فهم فيه شيء من البعد عن الغاية الحقيقية والهدف الأصيل للحركة، ولهذا عوامل لا شك أن وضعية الأمة الراهنة، من حيث الوعي ومن حيث المستوى

الفكري من ناحية، والتوجيه الاستعماري غير المباشر من ناحية أخرى من أهمها أيُّها المسلمون:

إنّ كل حركة إصلاحية أو ثورية إنما تقيم على أساس من دوافعها وأهدافها، وهي إنما تحدث وأفاعيلها القريبة أو البعيدة في حياة الأمة بها.

إنّ دوافع وأهداف الحركة هي محتواها الفكري والاجتماعي وكل ارتباك وكل صلة بها وراء فهم ذلك إنما هو ارتباط ساذج وصلة كاذبة لذلك ترى - وبكل صراحة - إن ارتباط أغلب المسلمين بأئمتهم يشبه أن يكون ارتباطا شخصياً عاطفياً وليس ارتباطاً مبدئياً عقيدياً؛ ولهذا ترى أيضاً - وبكل أسف - أن الكثير منهم لا يرى تناقضاً بين ارتباطه بهم من جهة وعلاقته بمبادئ وضعية مجافية للشريعة الإسلامية محاربة لها في المجال الفكري والاجتماعي.

أيُّها المسلمون: علينا أن نفهم حركة الحسين من خلال دوافعها وأهدافها ولا أريد أن أطيل عليكم في بيان تلك الدوافع وهذه الأهداف فإن أخواني الخطباء والشعراء سيتكلفون ذلك بما يعجبكم ويفيدكم، والسلام عليكم[1].

(١) ذكرى المولد منشورات مكتبة الحكيم العامة - البصرة - ١٣٨٣ هـ/ص٧.

كلمة الله لا توصف

بقلم: الشيخ عبد الغني الخضري

معتمد جمعية التحرير الثقافي

أبـــا الـــسجاد يـــوم ولـــدت بـــدراً   زهـــت دنيـــا الحيـــاة ســـنى ونـــورا

فمـــــا بقيـــــت عليهـــــا ذات روح   سمـــت إلاّ وقـــد فاضـــت ســـرورا

السلام عليكم سادتي الأماثل

هذهِ الكلمة أعني (كلمة الله لا توصف) هي حديث روي عن الإمام أمير المؤمنين يوم قال:

(يا سلمان قولوا فينا ما استطعتم فسر الغيب لا يعرف وكلمة الله لا توصف).

وقد ورد في شرح قوله تعالى:

﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ﴾.

إن تلك الكلمات هي محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين فنحن اجتمعنا فخورين بيوم هو أحد هذهِ الكلمات السامية والألفاظ الغالية فكيف بقلمي أن يصفه أو يصف يوم ميلاده وهو كلمة الله وإحدى آياته الكبرى ومجدد دينه بعد الدروس فأحسب لو أن الشمس تبرى يراعاً والنهار ينصهر رقيمة والنجوم تنقلب حروفاً

والسواعد تنضم فتكون ساعداً رامت أن تشرح ما لهذا المولود المبارك من قدسية وعظمة وجلالة ومكرمة لانكسر القلم وضاقت الرقيمة ونفذت الحروف وعجز الساعد فلم تف بالعشر المعشار من وصفك يا أبا عبد الله يا سر الله وكلمته المباركة فعذراً يا مولاي عذراً بأبي أنتم وأمي كهولكم خير الكهول وشبابكم خير الشباب ونساؤكم خير نسل لا يذل ولا يخزى كيف يذل ويخزى من نبت لحمه من لحم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم وعظمه من عظمه قد اشتد فقد روى إن فاطمة عَلَيْها السَّلاَم لما ولدت الحسين دخل عليها أبوها الرسول وقال لها:

يا بنية هاتي ولدي الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم.

فأخذه وأدخل إبهامه الشريف في فمه الكريم فامتص الوليد إبهام جده وهكذا كرر الرسول العملية إحدى وأربعين ليلة والرسول يناجيه ويقول:

إيها حسين إيها حسين أبى الله إلاّ أن يجعل الإمامة في ولدك لا في ولد أخيك الحسن.

لم يكن ذلك شيئاً غريباً ولا أمراً عجيباً فقد سبقت مشيئته من قبل أن يجعل الإمامة في ولد هرون لا في ولد موسى، مع إنه أصغر من موسى وهذه أسرار لا يعلمها إلاّ من استخلصها لنفسه، وهو أعلم حيث يجعل رسالته.

أبا الشهداء مبدؤك المجلى — بتاريخ المفاخر قد تعالى

إباء قد أهاب بكل حر — بأن يأبى الدنا والانخذالا

وإن الدين بالاجساد يفدى — وبالارواح تبتذل ابتذالا

فوا أسفا على تلك المبادئ — أضعناها فضيعنا الكمالا

سادتي كان رسول الله يحب الحسن والحسين حباً جماً ينوف على حب الآباء للأبناء وذلك لعلمه بمشاركتهما له في رفع بناء الإسلام وتشييد كيانه فكثرت من

الأحاديث في حقهما وروت العامة والخاصة ما لو جمع لكان سفراً كبيراً وكتاباً ضخماً وكفى الحسين شرفاً باذخاً ومجداً خالداً صاعداً قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم:

«**حسين مني وأنا من حسين**».

هذهِ الكملة الذهبية والجملة الجوهرية التي حوت من المعاني أسماها ومن القصود أغلاها وحسبي ما قاله في تفسيرها وشرح معانيها أُستاذنا الأكبر المرحوم الإمام الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء تغمده الله برحمته الواسعة فقد شرحها شرحاً وافياً مسهباً يبري العلة ويشفي الغلة وقد ألقيت في مركز جمعية التحرير الثقافي وقد قامت الجمعية في دورها في الحين من طبعها ونشرها على هواة الحسين وعارفي فضله ومنزلته الكبرى.

سادتي فعل مافعل هذا الحديث وأمثاله في نفوس المسلمين وكبار الصحابة فكان الحسين إذا ركب أخذ بركابه حبر الأمة الشيخ ابن عباس وقد تعب يوماً في مسيره فأخذ أبو هريرة الصحابي الشهير تراب أقدامه يتبرك به وهو يقول (لو علمت الناس ما أعلمه عنك لحملتك على الرقاب) وقد هزت المدينة موجة كبرى من الابتهاج وفرحة عظمى يوم مولده المبارك فسماه رسول الله حسيناً مصغر اسم أخيه الحسن وكانا لفرق بين ولادته وولادة أخيه الحسن دون السنة فقد ولد الحسن في منتصف شهر رمضان المبارك في السنة الثالثة من الهجرة المباركة وولد الحسين في مثل هذهِ الليلة من شعبان للسنة الرابعة منها فطافت بقلب رسول الله فرحة من الغبطة والمسرة عند انبثاق الفرع الثاني لشجرة الإمامة ودوحة العترة الميامين تلك الفروع الزاكية والأغصان المنورة التي رفع الله بها راية الإسلام الحنيف ونشر لواء القرآن الخفاق فكان الأول هو المصلح بين فئتين وكان الثاني كبش الفداء والتضحية لإعلاء كلمة الله والقضاء على الظلم والطغيان وكيف لا يكونان كذلك وهما أسباط محمد لا أسباط إسرائيل سادتي إن صفات الحسين لا تحد ولا تعد من تقى إلى إيمان إلى كرم إلى أخلاق إلى تضحية إلى ثبات إلى فناء في

ذات الله وهل تعد صفات من اختاره الله لسره وجعله أمين شرعه وعديل كتابه ولكني أحب أن أذكر شيئاً من مكارم أخلاقه فإننا في عصر نحتاج فيه إلى درس مكارم الأخلاق ولطف الصفات لقوله تعالى في كتابه المجيد:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾.

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم:

(جئت لأتمم مكارم الأخلاق).

فكان الإسلام هو متمم لأخلاق البشرية وباعث نهضتها الإنسانية فما أحوجنا إلى تعاليمها فهماً جيداً وأي أخلاق نتعلمها وندرسها هي أعظم من أخلاق سيد الشهداء ريحانة رسول الله وقرة عين البتول وممثل أبيه علي المرتضى شجاعة وعزماً وكرماً وحزماً ومن منكم أيها السادة من لا يعرف المثل الأخلاقية وقيمتها الاجتماعية والتي كاد أن يعصف بها معول الإلحاد وفؤوس الماديين ويأتوا عليها من الأساس لولا رحمة الله وجهاد حماة الدين وأعلام المؤمنين عرباً وعجماً سيما سماحة سيدنا الأعظم آية الله الإمام السيد محسن الطباطبائي الحكيم فقد وقف سداً منيعاً وجبلاً رفيع القمة صلباً دون ما راموا فكسر تلك المعاول وأذاب رؤوس الفؤوس بجرة قلم رنّ صداها في الخافقين ودوى صوتها في المشرقين فإذا بذلك الوحش الكاسر حملاً مجروحاً وذئباً مذبوحاً (الشيوعية كفر وإلحاد).

الله أكبر لم تكن جملة مؤلفة من كلمات ثلاثة وإنما هي ذرة وقعت على هيروشيما فإذا هي أثر بعد عين وحديث أمس الدابر وانقلاب عمودية وسدوم فجزاهم وجزاه الله خيراً جزاء المحسنين وأدامه فجراً يبدد الظلام الدامس.

سادتي فمن مكارم أخلاق الحسين وصفاته العالية وكلها رفيعة عالية باختصار فقد روي أنه عَلَيْهِ السَّلَام دخل على أحد أصحاب جده رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

وَسَلَّم يعوده لوعكة ألمت به فوجده يهتف ويقول واغماه فقال له:

(ما غمك يا أخي).

فقال يا أبا عبد الله غمي ديني وهو تسعون ألفاً فقال له الحسين:

(لا عليك فهو عليّ).

فأرسل على غرمائه ودفع لهم دينهم وكان يقول:

(شر الخصال القوة على الضعفاء والبخل عند الإعطاء وخير مالك ما وقيت به عرضك).

وقد وجد يوم الطف أثر على ظهر الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم فسألوا عنه زين العابدين عَلَيْهِ السَّلاَم فقال:

(هذا مما كان يحمله للمساكين والفقراء).

وكان يتلذذ في اجتماعه معهم فيأكل من كسر وفتات طعامهم إلى غير ذلك مما لا يعد ولا يحد من صفات هي أشبه بصفات أهل السماء فهذا هو الإيمان الصحيح والتوجيه الديني العظيم فإلى أخلاق الحسين وإلى صفاته وطيب نفسه وفنائه في ذات الله أبعث صوتي رفيعاً داعياً لكم أيها المسلمين والعرب.

خذي يا بني القرآن ذكراه منهجاً	**فإن بها للطالب المجد والفخرا**
عن المبدء السامي عن الدين لم يزل	**يناضل لا عن عرش قيصر أو كسرا**
وارخصها للموت نفساً عزيزة	**تخط على طول الحياة لها ذكرى**
وقال لها يا نفس عن مبدأ العلا	**فناء وللحق المضاع قفي جسرا**
فعلم أجيال الرسالة بعده	**بأن الذي يبغي العلى يبذل المهرا**

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته[1].

(١) مجلة النجف – النجف – العدد – ٩و١٠– السنة الرابعة ١٩٦١م /ص٢٥.

روح الله في هيكل بشري

بقلم: الأستاذ السيد صادق آل طعمة

لو تصفح متصفح كتب التاريخ بغية استطلاعه عن حياة العظماء الّذين كانت لهم مآثر في الحياة وما زال التاريخ محتفلاً بذكرياقم الخالدة التي تتجلى فيها العظمة ويشرق فيها الجمال كما تتعالى بالهيبة والعظمة، بديهي أنه يجد إن كل عظيم من عظماء الدهر له نوع خاص من السيرة لا تكاد أن تقترن بسيرة غيره من العظماء.

والتاريخ الذي تكرست صفحاته بذكريات الحوادث والأحوال يعطينا عن حياة كلّ عظيم درساً خاصاً فيه نوع من العبرة.

وكل من شد التاريخ ودرس أحوال رجال الدنيا يعلم مراتب إمكانياقم ودرجات منزلتهم من الرقي والعظمة، وإنّه قادر على التمييز بين أحوالهم ومكاناقم الإنسانية حيث يمكنه وذلك ضروري أن يواصل جهده لزاماً عليه في أن يزن كلا منهم في ميزانين اثنين؛ ميزان القيم الإنسانية، وميزان العظمة، فإن وجده في ميزان القيم ثقلاً لا جرم إنه في ميزان العظمة ثقيل أيضاً.

وإن خفت في ذلك موازينه الإنسانية كذلك تخف في هذا موازين عظمته، إذْ العظمة في الإنسان تتبع قيمه الإنسانية قبل كل شيء، وإن الوزن الأول هو خير من الوزن الثاني في ذينك المقياسين بالأثقال المعنوية.

وإن دل اتزانه على وجود نقص في قيمه الإنسانية فلا يسمى إنساناً حقيقياً جامعاً للكمالات والمزايا الإنسانية لتجرده عن كامل قيمها والعظمة إذن بعيدة عنه بعد المشرقين.

لأن العظيم عظيم بإنسانيته ذات القيم الروحية والمثل العليا المنشئة من فضائل المزايا الحسنة النبيلة التي لها أهمية كبرى وهي الشريطة أن تكون منحصرة فيه بأسرها حتى تكون له شخصية عظيمة بأكمل معانيها وأجمل صورها وأروع أياها.

وإن كثيراً ممن سجلهم التاريخ واحتفل بذكرياتهم بعنوان إنهم رجال عظماء ولكنهم ليسوا بعظماء، لأنهم لو وزناهم في قسطاس القيم الإنسانية التي هي أساس عظمة الإنسان ولولاها لم يكن ولن يكون عظيماً مهما بلغت مكانته الاجتماعية من الرقي والتبجيل ومهما أشير بالبنان نجدهم خفافاً ليس لهم وزناً من القيم كاملاً وهم عن مثلها العليا مجردون، إذْ هم لم يجملوا في الذات وسام الإنسانية الفريدة؛ ذلك الوسام النادر الذي هو جوهرة روحية ومنحة إلهية أسمى، وهو بالحق عنوان لكل عظيم.

وكل منهم لو أردت أن تدرس حياته وتعرضها على بساط البحث والتحليل بغية الاستفهام عن الغاية المتوخاة والبحث عن الضالة المنشودة تجدها تسفر لك عن نقص هائل في وجود ذاته ولعل هذا النقص أن يكون هو العضو الفعال والعامل الوحيد الذي يؤخره عن القافلة الإنسانية تأخيراً فتأخيراً.

وإذْ كان منان يسمى عظيماً وهو عن القيم الإنسانية عديم لم يكن عظيماً ولو كان في زمرة العظماء في التاريخ، وهؤلاء هم كثيرون، منهم معاوية الفاجر المنافق، وابنه الجائر الفاسق يزيد الطاغية، اللذان هما من الشجرة الملعونة التي:

﴿ٱجۡتُثَّتۡ مِن فَوۡقِ ٱلۡأَرۡضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٖ﴾.

إن العظيم عظيم إذا كانت عظمته قبساً من شعلة المؤهلات الروحية التي تشرق ساطعة في بهو قالبه النفيس وهو القالب الإنساني المتكون من ومضات نور الإنسانية المثالية والناشئ من خالص جوهر فضائلها الصالحة، فلمثل هذهِ الإنسانية النزيهة التي تشع بالقيم الروحية والمثل العليا تكون العظمة عمادها.

وإذا سموت بالحق إلى درجة الإمكان من الفهم وذهبت مستقصياً الغرض المطلوب في آفاق الحقيقة تتراى لك العظمة بأوضح معانيها الجلية الناصعة؛ فترى كأنها كالبركان المتوهج تنبثق في سماء العبقرية بالشخصية وعظمتها؛ وتلوح في أوج الآفاق تبدو بكل ألغازها الغامضة آية للناس وعبرة الدهر والتاريخ في عالم الخلود.

ولا تمثل هذهِ الإنسانية ولا تظهر هذهِ العظمة إلاّ في شخص بطل العروبة والإسلام وسيد الأباة والأحرار ومطلع نور الإنسانية ونور الإمامة وجلالها العظيم الإمام الشهيد الحسين بن علي عَلَيْهِ السَّلاَم الذي انبثق من ذات جبينه الطهور نور الله وانتشر في دنيا الوجود وغمر الكون ببهاء لآلائه الأبلج المبين، ذلك في يوم ٣ شعبان المعظم في السنة الرابعة بعد الهجرة النبوية.

إنه الحق يوم مبارك بورك فيه بميلاد هذا الوليد الطاهر الميمون الذي فاح شذاه العابق فحملته نسائم فجر ذلك النهار الباسم الطروب وعطرت به أجواء الحياة، وكان وما يزال يوم مولده الأغر للعالم الإسلامي عيداً سعيداً فيه كل المجد ومنتهى الفخر وغاية الإجلال والإعظام.

أجل: تلك إنسانية فذة تمثلت في تلك الشخصية الكريمة المثلى وتعالت كالروح الإلهي في هيكلها البشري وتلك عظمة عظمت فيه وليس فوق عظمتها إلاّ عظمة الله جلت عظمته.

ولست أغالي إذا قلت بأن الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم بالإضافة إلى ما كانت تزدهر فيه

تلك المؤهلات الروحية بعناصرها الرجولية الحية مما كانت هي نموذجاً من قدرة الله ولغزاً عجيباً من ذات روحه المقدسة ازدادت فيه أضعافاً مضاعفة من المؤهلات القدسية والإنسانية والشخصية والعظمة؛ وقد جاءت هذهِ الأضعاف المضاعفة إليه من جوانب أربعة، وكل جانب منها هو ركن عظيم وهذه الجوانب هي: جده محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم، وأبوه علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلاَم، وأمه الطاهرة فاطمة الزهراء عَلَيْها السَّلاَم، وأخوه الحسن الزكي المجتبى عَلَيْهِ السَّلاَم، وهناك جانب علوي آخر وهو الخامس وهو الجانب الأعظم وهو ذات عظمة الله العظيمة في السموات والأرض التي تجلّى وأشرق نورها الزاهر في هؤلاء الخمسة وهم أصحاب الكساء (سلام الله عليهم أجمعين).

والحسين عَلَيْهِ السَّلاَم فضلاً عن ازدهار نور إمامته الخاصة وشخصيته وعظمته تنبثق في أرجاء نفسه السمحة الطاهرة هذهِ الأنوار الساطعة المعشية للإبصار تمثل فيه عظمة جده محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم وعظمة أمه الزهراء وعظمة أخيه الحسن عَلَيْهِ السَّلاَم وعظمة الله التي هي أعظم منها وأعظم.

والحسين عَلَيْهِ السَّلاَم قدوة صالحة ومثال رائع ورمز سامي للعدالة والمساواة والشفقة والحنان والمروءة والوجدان والعطف والإيثار، ومثل أعلى في الكرامة والجود والسخاء، والجود هو سجية طيبة من سجاياه الحميدة، بل هو في الجود بحر خضم زاخر مصطخب الأمواج، والدليل على ذلك تلك الأكرومة التي كانت وما تزال حسنة الواقع في القلوب وقد بقى صداها يرن في مسمع الأزمان منذ وقوعها حتى آخر الأبد، وهي رمز الجود وعبرة للمكرمين الأسخياء وهي:

في رواية لابن عساكر إنّ سائلاً في المدينة أتى باب دار الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم وأنشأ يقول:

لم يخب الآن من رجاك ومن ... حرك من دون بابك الحلقة

أنت جواد وأنت معتمد ... أبوك قد كان قاتل الفسقة

إلى آخر ما قال فخرج الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم ورأى عليه آثر ضر وفاقة وأمر قنبراً بإتيان النفقة المتبقية حينذاك وهي تبلغ أربعمائة درهم فأتى بها وتناولها الإمام منه وفتح الباب قليلاً ودفعها إلى الأعرابي السائل وأنشأ يقول في جوابه:

خذها فإني إليك معتذر واعلم بأني عليك ذو شفقة

لو كان في سيرنا الغداة عصا أمست سمانا عليك مندفقة

لكن ريب الزمان ذو غير والكف منها قليلة النفقة

فأخذها الأعرابي ومضى وهو يقول:

﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾.

والحسين عَلَيْهِ السَّلاَم عظيم في المولد والتربية والنشأة، وعظيم في الأخلاق والصفات المحمدية الحسنة التي استطعمها في مهد العقيدة الصادقة من ثدي الإيمان الراسخ القويم وفي حجر النبوة من يد جده محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم الذي كان يحبه حباً جماً وطالما كان يقول:

«**حسين مني وأنا من حسين**».

عظيم في السياسة والبطولة والزهد والتقوى والامتثال لأوامر الله ونواهيه، عظيم في النسب العريق وفي التاريخ وعظيم في الدنيا والآخرة بل به وبجده وأبيه وأمه وأخيه والأئمة العظام من بنيه عظم التاريخ.

عظيم في الإمامة التي هي سر أكبر والسر نور، والنور قدس، والقدس روح الله تمثل في قالب إنساني مجيد وتعالى بتفوق غير محدود فوق مستوى المخلوق.

عظيم كيف لا وهو شبل العظام وأبو العظماء والسلام على الحسين العظيم يوم ولد ويوم استشهد في سبيل الدين والحق والحرية والمبدأ. ويوم يبعث حياً[1].

(١) في مولد الإمام الحسين بن علي (عليه السلام) – اللجنة الدينية الأدبية – كربلاء – الحلقة السادسة – ١٩٥٨م /ص٩.

يوم الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم الزاهر

بقلم: الشيخ محمد حسن الأعلمي

أخص من بين المواليد (مولد الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم السبط) بالذكر والإطراء فإنه الذي ضم بين ثناياه مزايا باهرة ونموذجاً تاريخياً عظيماً لأفكار المفكرين والباحثين لأن حمله ومولده ورضاعه وسيرته كادت تلحق (بالمعجزات، وخوارق العادات) أما حمله ومولده: فقد حملته أمه الزهراء عَلَيْهَا السَّلاَم لستة أشهر وما ولد مولود كذلك وعاش، إلاّ الحسين بن علي عَلَيْهِ السَّلاَم وعيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلاَم ويحيى بن زكريا على قول.

ولقد تلقت الملائكة الّذين باؤوا بغضب من الله سبحانه وتعالى، مولد هذا الوليد العظيم بقلوب ملؤها الغبطة والسرور، وعلتها أمارات الفرح والهناء، إذْ كان عَلَيْهِ السَّلاَم كهفاً منيعاً، وملجأ حفيظاً للمذنبين منهم، به كشفت عنهم الغماء والكرب، وأظلتهم البشائر الإلهية السارة التي أطلت عليهم من علياء السماء؛ وبشروا بأن الله قد تاب عليهم، وقبل تلك الشفاعة ونجاهم من تلك الورطات الفاضحة التي كانوا يعانون آلامها؛ ويقاسون عذاب نتائجها؛ وكانت الملائكة تهبط على الرسول الأقدس أفواجاً أفواجاً، وتهنئه بوليده الميمون السعيد، والرسول أيضاً يهنئ أمه الزهراء بذلك المولود العظيم، ولما أن ولد الحسين أخذه الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم وضمه إلى صدره، وأذن في أذنه اليمنى، وأقام في اليسرى، وقد أبعد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم

النظر، حيث أراد بحمله هذا أن يكون سيرة مستمرة، وسنة جارية للمجتمع الإنساني.

وأما رضاعه عَلَيْهِ السَّلاَم فإنه لم يرتضع من ثدي أنثى قط بل كان النّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم يلقمه إبهامه أربعين يوماً وليلة حتى نبت لحمه من لحم الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم.

للّه مرتضع لم يرتضع أبداً   من ثدي أنثى ومن طه مراضعه

وكان الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم يحب حفيده النبيل أشد الحب وأعظمه، لأنه قطعة منه، وكبده، وقرة عينه الناظرة، ونور حديقته الزاهرة، ولعل هذا هو المعنى الذي قصده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم بقوله:

«**حسين مني وأنا من حسين**».

وقد بلغت منزلة الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم ومكانته السامية مبلغاً عظيماً عند الله تبارك وتعالى، وعند النّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم، ويهد لذلك قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم:

«**حسين مني وأنا من حسين، يؤذيني ما يؤذيه**».

ويؤيد هذا خروج الرسول ذات يوم من الأيام من بيت عائشة، ومروره على الدار التي تسكن فيها الزهراء (سلام الله عليها) فسمع صوت بكاء ولده الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم فقال لأبنته:

«**ألم تعلمي إن بكاءه يؤذيني؟**».

أجل وكان الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم يشبه جده وأباه خُلقاً وخلقاً، وعلماً وأدباً وسيرة وبلاغة وفصاحة كرماً وسخاءً، شجاعة وشهامة، قوة وإباء و. و.

وأما بلاغته المستمدة من ينبوع النبوة فحدّث عنها ولا حرج لأنه كانت الفصاحة لديه خاضعة والبلاغة لأمرة سامعة طائعة وكيف لا يكون كذلك وهو ابن أفصح

العرب والعجم علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلاَم هذا كتاب (بلاغة الحسين). المشحون بالخطب الرائعة. والرسائل والكلمات الشيقة لجامعه الأستاذ الفاضل: السيد مصطفى الاعتماد. فلقد أخرست بلاغته عَلَيْهِ السَّلاَم العباقرة المفننين في علم البلاغة والبيان.

وأما سيرته عَلَيْهِ السَّلاَم فكان من الجدير أن ينقشها الناس على صفحات أفئدتهم لأن سيرته تملي علينا البطولة والبسالة، والعز والشرف. والكبرياء والعظمة، والمجد والرفعة والتفدية والتضحية، وما إلى ذلك من الصفات الفاضلة، والسجايا الكريمة وهذه صفحات التاريخ تشهد له بكل معنى الإنسانية والعظمة، ويشع من بينها يوم كربلاء حيث و قف أمام تلك الأمة الجبارة الطاغية: وذلك حينما أشعل الأمويون نار الحرب، واشتبكوا مع الدين الإسلامي. وأرادوا أن يجعلوا دولة أموية لا شريعة محمدية وآنذاك رأى الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم من الواجب أن يكافحهم فقابلهم بتلك المقابلة العظمية المدهشة اجتث جذور شجرتهم الملعونة وضعضع أركان دولتهم الغاشمة بثورته القمية الخالدة ضد الحكم الجائر، فقضى على الضلالة وقرض دعائم الكفر وأكذب أحدوثة الطاغية يزيد. ووطئ صماخ الفاسقين. فتألق نور الحق وظهر أمر الله واستقام الإسلام واهتزت شريعة الحق وربت وأنبتت من كل زوج بهيج. فعليك سلام الإنسانية: أيها الإمام الحكيم يوم ولدت ويوم رزقت الشهادة.ويوم تبعث حيا[1].

(١) في مولد الإمام الحسين بن علي (عليه السلام) ـ اللجنة الدينية الأدبية ـ كربلاء ـ الحلقة السادسة ـ ١٩٥٨م /ص٢.

في ميلاد الحسين عَلَيْهِ السَّلَام

بقلم: الشيخ سلمان عبد المحسن الخاقاني

«حسين مني وأنا من حسين»

حديث نبوي، مروي ومقبول. وإن وقع في تفسير الشق الأخير من الحديث الخلاف. فالحسين من النّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم مما لا شك فيه؛ إذْ هو ابن النّبي، وسبطه العزيز عنده، والمتربي في حجره، والناشئ – تلك النشأة الطيبة – في بيته، والمرتضع من در علومه وآدابه وفضائله ومحاسنه فالحسين حقاً وصدقاً من النّبي وإلى النّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم، ولا ينكر ذلك إلاّ من في قلبه مرض النصب والعناد أما إن النّبي من الحسين فذلك ما فسرته الحوادث التي وقعت بعد النّبي الكريم ولكن بعد أن يعرف الإنسان إن للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم شخصيتين، شخصية محمد الوالد والجد، الذي ربى الحسين وغذاه؛ والّذي كان منه الحسين بحسب النسب والتربية والنشأة والتعليم. وشخصية النّبي ذي الرسالة الخالدة. والدين الخالد، والمربي للأمة، والمشرع الذي جاء بشريعة الإسلام وقوانين القرآن وهذه الشخصية الثانية، كان استمرارها وبقاؤها سبب الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم عند كل من تدبر وأنصف. فالحوادث المتعاقبة التي وقعت بعد انتقال الشخصية الأولى إلى الخلد، كادت تقضي على حياة الشخصية الثانية قضاء أبدياً – سيما حوادث الأمويين الّذين بعثوا القيصرية والكسروية جديدة ليقيموها بدلاً عن النبوة والإمامة. ولكن الحسين أمات الأمويين في مهدهم وأزال قيصريتهم

وكسرويتهم من الوجود إذ انتعشت شخصية محمد الدينية. وكان استمرار وجودها وحياتها من الحسين ونهضته في وجه الكفر الأموي.فالنبي من الحين كما قال النّبي نفسه وإن أبى الحاقدون والحاسدون.

أجل:

حسين مني وأنا من حسين.

وعلى ضوء هذا الحديث الشريف، الذي فسرته الحوادث؛ والّذي تشع منه أضواء النبوة، لكشفه ما كان قبل أن يكون. سنذكر حديث المبعث الشريف في يوم الحسين الأغر. وسنكمل ما بدأناه في ذلك اليوم من الحديث عن محاسن الإسلام ومعارفه؛ في هذا اليوم الذي أعاد صاحبه يوم المبعث يوماً خالداً؛ وصاحب المبعث شخصية خالدة.

سنكمل حديث المبعث في يوم الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم:

وحديث المبعث الذي ذكرناه، هو حديث الكاتب المعترض على محاسن الإسلام التي جهلها أو تجاهلها. وعلى تعدد الزوجات؛ وتجويز الطلاق؛ ومشروعية الرق التي سخر منها.

كيف جوز الإسلام تعدد الزوجات. ولماذا سن قانون الطلاق، وشرع الرقية والعبودية؟

وليس الكاتب هو الشخص الوحيد المعترض على الإسلام بهذه الاعتراضات ولست أنا الشخص الوحيد الذي أجاب عن هذهِ الاعتراضات - في اعتراضات لاكتها الأفواه ومضغتها الألسنة كثيراً؛ وأجيب عنها كثيرا، وكان المأمول أن لا تعاد بصورة الاعتراض لو كان المعترض طالب حق ومبتغي رشاد.

لماذا جوز الإسلام تعدد الزوجات؛ ولماذا سن الطلاق؛ ومن هو المعترض بذلك؟

أهو من أصحاب الأديان التي ساوى الكاتب بينها وبين الإسلام، أم هو من الّذين لا يتقيدون بدين ولا يؤمنون بعقيدة ولا مبدأ. فإن لكل واحد منها جواباً.

ولكن. لا. لندع السؤال عن حقيقة الكاتب ولنتكلم عن صحة التشريع وعلة الحكم ولا نلتفت لمن قال، حتى كأن أحداً لم يقل شيئاً ولم يعترض بشيء.

أجل

إن تعدد الزوجات؛ وتشريع الطلاق، من محاسن الإسلام الذي ينظر بعين الخبير العارف، والّذي لم يضع حكمه متأثراً بعاطفة، أو محابياً أحداً وإنما وضعه لوجه المصلحة والواقع، وعارفاً بالدين الذي جعل خاتمة الأديان فهو محتاج إلى الحكم الذي يساير كل زمان، ويلاءم كل مكان.

أيها السادة:

لم يكن غرض الإسلام من الرابطة الزوجية؛ هو الاتصال الجنسي فحسب وإطفاء الشهوة العارمة فقط. ولكن له عدة أغراض أسوق أهمها:

١ ـ الاتصال الجنسي (لغاية صحية)

٢ ـ التعفف والتحصن (من تزوج فقد أحرز نصف دينه).

٣ ـ الإبقاء على النوع وتكثير النشئ (تناكحوا وتناسلوا).

٤ ـ إنقاذ يتامى الحوادث والحروب، بتزويج أمهاتهم وإدارة شؤنهم بالعاطفة الأبوية الحادثة من هذا التقارب:

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ﴾.

٥ ـ المساعدة والتعاون بين الرجل والمرأة في إدارة بيت أو معمل؛ أو مصنع: أو مزرعة.. الخ..

٦- عاطفة الحب المتأججة التي قد لا يكون لها مداوٍ غير الزواج.

٧- قد تجتمع هذهِ العوامل كلها أو جلها فتكون عاملاً واحداً يدفع الرجل إلى الاقتران بالمرأة، ويدفع المرأة للاقتران بالرجل، واختيار كل منهما نصف دينه الأول، ويبقى نصف دينه الثاني ليتق الله فيه.

ولكن. قد تجري الرياح بما لا تشتهي السفن. كما يقولون فيفقد الرجل في زواجه الأول غايته التي من أجلها اقترن وبسببها تزوج. فيقف حائراً لا يدري ماذا يصنع؟ ولكن شريعة الإسلام الخالدة، والتي تراعي مقتضيات الأحوال في جميع الشؤون؛ وتنظر المصالح في جميع الحالات، تقول له: لا تحزن؛ وجرب حظك في الزوجة الثانية والثالثة ما دامت غايتك شريفة وصحيحة. فلعلك تسعد بعد هذا الزواج.. ولكن. لا. لا تقدم على هذهِ التجربة إلاّ بشرطين: الأول أن لا تتجاوز تجربتك (الرابعة) فإن بلغتها؛ فإنك – ولا شك – قد حرمت من الغاية التي تريدها، ولو زدت على هذا العدد لوقعت في أضرار مادية وأخلاقية واجتماعية لا تساويها مصلحتك التي ترجوها – على فرض إمكان حصولها – أما الشرط الثاني فهو قوله:

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾.

العدالة بين الزوجتين شرط أساسي في جواز التعدد، العدالة في المأكل، والمشرب، والملبس، والمسكن، والغطاء، والوطاء، وكلما يحتمه الواجب عليه من حقوق الزوجية؛ شرعية: وعرفية. فإن عجز عن (العدالة) بين الزوجتين، والمساواة بين الضرتين، فليقنع بنصيبه وليرض بالزوجة الواحدة. أو فليستبدل زوجاً مكان زوج. ولا يبقى في شقاء هو وزوجته الأولى؛ حيث يشقى هو؛ وتشقى زوجته بشقائه، فليختر أي الطرفين يحلو له بعد روية وتبصر وإمعان.وبعد تفكر وتدبر.

أرأيتم: إن الدين الذي قدر له أن يكون عاماً وخالداً؛ كيف نظر للمصالح،

وكيف راعى المقتضيات؛ وكيف قارن بين المفاسد؛ فأخذ بأقلها ضرراً؛ وأمر بترك أكثرها مفسدة. مراعاة لمصالح الإنسان للمنكر للفضل والجميل.

ولا يقل أحد. أو لا يقل هذا الكاتب – على أقل تقدير – إن الإسلام غرر بالمرأة فأدخلها عش الزوجية، ثمّ نظر لمصالح الرجل وأهمل الشق الآخر من الزوجين فلم ينظر في مصالحه وغاياته.

لا يقل أحد هذا. فهو بعيد عن الانصاف. إذْ الإسلام لم يغرر بالمرأة. بل أمرها بالدخول في عشها الحصين، بعد أن بصّرها بحقوقها على الزوج وحقوق الزوج عليها. وبعد أن أخبرها إن للزوج حقوقاً خاصة به لا تستطيع رفعها ومسخها إذا دخلت راضية مختارة. من تلك الحقوق: إن الطلاق بيده لا بيدها.. وكان بإمكانها أن تمتنع في مبدأ الأمر وقبل ساعة القبول.وكان بإمكانها أن تشترط ما تشاء قبل التمام. فإن فعلت، كان عليه الخضوع لشروطها التي قبلها – إن كانت سائغة ومشروعة – كما يقرر الإسلام على أبنائه المسلمين. من وجوب الوفاء بالعهد ووجوب أداء الشرط.

أما إن المرأة تدخل عالمه مختارة، ثمّ يقول من يقول: إن الإسلام ظالم للمرأة فذلك بعيد عن شريعة العدل والانصاف، وبعيد عن معرفة مصالح الزوجين التي ينظر لها الإسلام بعين العدل والانصاف.

ثمّ ماذا بعد هذا؟

ثمّ يقول: لماذا سن قانون الطلاق؟

وقد نسى أو تناسى قولهم: آخر الأدوية الكي؛ وقولهم: ليس للعضو الفاسد غير القطع. ولن تجد عاقلاً يقول للطبيب المداوي، لماذا كويت المريض أو قطعت هذا العضو. كما لن تجد عاقلاً يقول للجراح الذي يريد أن ينقذ الحياة بعمليته الجراحية التي قد تشوه الجسم، لماذا أجريت عمليتك، ولماذا شوهت هذا الجسم اللدن والوجه المليح،

ولماذا لم تتركه يكابد آلام الأمراض والأسقام؟؟؟

إن الطلاق هو آخر العلاج - عند عدم تناسق الزوجين - وهو كعملية البتر للعضو الفاسد التي لابد منها؛ وإن شوهت الوجه الحسن؛ وأضعفت الجسم القوي الرشيق.

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ﴾.. ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ...﴾.

قد يقول أنصار المرأة - وما أكثر أنصار المرأة اليوم - قد يقول أنصار المرأة الّذين سموا بأنصار المرأة لأنهم يدعونها للمعمل والمصنع؛ ويحرمونها من وظائفها الطبيعية.أما الّذين يقولون لها كوني سيدة البيت. وأدي وظائفك الطبيعية. واختاري من الرجال من أحببت؛ وانتجي من الأبناء ما تقر به عينك فهؤلاء يدعون: أعداء المرأة؛ وهكذا تنعكس المقاييس في هذا العصر؛ وتتبدل الموازين في الإصلاح والاصطلاح...

يقول أنصار المرأة: لماذا لم يجعل الطلاق بيد المرأة؟ وما دروا لو كان الطلاق بيد المرأة لما استقامت زوجة مع زوجها؛ ولا بقيت امرأة مع رجلها. ولأصبح الزواج مهزلة من المهازل؛ لا عقدة سماوية تجمع بين الطرفين، وتؤلف بين القلبين. ولأصبحت المرأة تبدل في كل حين زوجها، كما تبدل فستانها، وكما تبدل حقيبة يدها، وعقيصة شعرها. كلما اقتضت موضة الوقت التغير والتبديل.

إن الطلاق - أيها السادة - مبغوض لدى الإسلام. ولم يشرعه الإسلام إلاّ لضرورات طارئة قد لا تجد حلاً لها إلاّ بالطلاق، فلذلك تجد الإسلام يضيق دائرة الطلاق مهما أمكن، لئلا يتسامح في استعمال هذا الدواء المنهك؛ ويستعمل في غير ما شرع له هذا الكي المؤلم الموجع. فتراه - أي الإسلام - يشترط في صحة الطلاق أموراً. هي...

١ـ أن لا يكون المطلق في ساعة هيجان وغضب يلحقه بالمجانين الّذين لا يفكرون تفكيراً سليماً في ساعة هياجهم وغضبهم.

٢ـ أن يقع الطلاق في طهر غير طهر المواقعة. أي إن الزوج ينفصل عن زوجته التي يريد طلاقها مدة من الزمن، كإعطاء مهلة يتبين فيها الزوجان موقفهما مما يريدان الإقدام عليه.. ولعل الزوج – في هذهِ الفرصة – تهدأ وساوسه وتسكن سويداه التي تحتم عليه الطلاق. ولعل دوافع الغريزة الجنسية التي حرما منها هذهِ المدة تغير مسلكهما؛ ولعل الزوجة تسعى جاهدة في إصلاح أمرها في هذهِ المدة التي وكل تحديدها إلى قولها هي.

٣ـ السعي وراء شاهدين عادلين لسماع صيغة الطلاق؛ وفي هذا الشرط ما فيه من محاسن. فحصول الشاهدين المتّصفين بهذه الصفة الحميدة مما يؤخر الوقت قليلاً، ولعله يحصل في التأخير الإصلاح. بالإضافة إلى إنّ الشاهدين الصالحين إذا حضرا فسيسعيان جاهدين لإصلاح ذات البين، كما هي غريزة الرجل الصالح وعادته وبسبب هذا الشرط قد يعود الزوجان لحياتهما الزوجية هانئين سعيدين. أما إذا لم تنجح مساعيهما، ووقع الطلاق، فسيكونان شاهدي حال على كثير مما قد يقع بعد الطلاق. من تخاصم ونزاع.

٤ـ كون الطلاق بيد الزوج، لأنّه هو الذي لن يتسرع في الطلاق بسبب ما رتب عليه من مهر لها قبل الدخول. ونفقة وإسكان في حالة الزوجية، وحتى بعدها إلى الانقضاء من عدة الطلاق..

ومن كان هذا حاله، ومن فتح البلاد بالتعب والعناء وبذل المال، فلن يفرط بهذه الأتعاب؛ ولن يطلق زوجته التي لم يظفر بها إلاّ بصرف كل غال ورخيص...

أيها السادة:

طال بنا الحديث في هذا اليوم؛ ولعله قد تسرب لكم الملل والسأم ولكن ماذا أصنع وأنا أريد أن أسمع هذا المعترض على أسرار الإسلام وأحكامه، فاتخذ من منبركم هذا، وسيلة من الوسائل لإسماعه وإفهامه، ولا رضي بذلك العمل ربي؛ وأرضي وجداني، وأقوم بوظيفتي في تبيين الحق وتوضيح المشكلات الدينية والاسرار الإسلامية. وأرضي – أيضاً – صاحب هذا اليوم الذي نحتفل جميعاً بعيد ميلاده، والّذي سيسر – لا شك – بهذا الحديث أكثر مما يسر بترتيل الشعر وترصيف الكلام.

وإذن. فماذا بعد هذا من حديث؟

الحديث الذي بعد هذا، هو لماذا سن الإسلام الرقيق، وكيف جوز للإنسان أن يستعبد أخاه الإنسان؟

هذا هو الاعتراض الثالث الذي ذكره الكاتب المهاجم؛ وقد يكون في حقيبة هؤلاء غير هذهِ الاعتراضات، ولكنا سنتركها لغير هذا اليوم، ولغير هذهِ المناسبة. واسمعوا مني قصة تسليكم وترفع عنكم السأم والملل؛ وفي الوقت عينه تبصر الكاتب بالحقيقة – إن كان من طلابها – وترفع اعتراض كل معترض في مسألة الرق والعبودية التي أمضاها الإسلام والتي جعل لها أحكاماً وقوانين مدروسة في الفقه الإسلامي ومبوبة فيه.

في هذهِ السنين الأخيرة؛ خرج في هذهِ البلاد رجل حاقد على الإسلام – وقد يكون بعضكم سمع باسمه – وكان سبب حقده على الإسلام هو حقده على رجال الدين الّذين لم يقبلوه أن ينضم لصفوفهم لما لم يروا فيه من المؤهلات الدينية ما تجعله أهلاً لذلك.

وكلكم يعلم: إن رجل الدين عندنا لا يكفي فيه أن يكون عالماً فحسب،

ولكنهم يطلبون مع ذلك، التقوى والعمل، وكان هذا محروماً منهما، فلم يقبلوه. ولذا حقد على رجال الدين أولاً؛ ثمّ عمم حقده وبغضه على المسلمين عامة ثمّ كانت الخاتمة السيئة أن جرفه حقده وغيضه فأخذ يتناول الإسلام وأئمة الإسلام بكلماته البذيئة. وهو يزعم أنّه من رجال الإصلاح والتبشير. وقد حفت به طغمة إن حللتها فلن تجد فيها من يقل عنه حقداً وعداء؛ وإن فتشت عن أسباب ذلك فلن تجد إلاّ الأسباب التي جرفت قدوتهم في قليل أو كثير.

زاره صديقي (ف) في ناديه – ومعه طغمته – وقد جرت بينهما هذهِ المكالمة التي أسوقها لكم:

الصديق: – متسائلاً – لماذا تهاجم الإسلام؟

هو: لأن الإسلام دين، ولكنه ناقص التعاليم، وذلك لأن فكرة مؤسسه وبانيه، ما زالت بدوية، فهي لا تدرك أكثر مما جاءت به. والعالم اليوم محتاج لفكرة متحضرة تعرف مشكلات الزمن، وتكون في باب التشريع أوسع من فكرة محمد.

الصديق: هل تدلني على شيء من تعاليم محمد الناقصة؛ والتي تدل – كما تزعم – إنها تعاليم فكرة بدوية؟

هو: إن الأخطاء التي تجدها عند رجال الدين وعند المسلمين كثيرة، وتستطيع أن تتحسسها بنفسك: وتلم بالأمر الواقع؛ وتعرفها من غير استعانة بأحد.

الصديق: أرجو أن تجعل الفارق أمامك بين الإسلام وبين المسلمين فهب أن المسلمين فسدوا بأجمعهم فما هو ذنب الإسلام، واذكر لي اعتراضك أو اعتراضاتك على الإسلام؛ وبين تعاليمه الناقصة، وخلنا من فساد المسلمين ورجال الدين – إن كانوا فسدوا حقاً كما تقول.

هو: وهل تريد شاهداً أدل على ذلك من الرق الذي أقره الإسلام؟

(وهنا تعالت عاصفة من الضحك تأييداً له من طغمته التي تحف به).

الصديق: (بعد هدوء العاصفة) لنبحث الأمر بإمعان وتروّي، ولنفرض أنّ أمّتك هذهِ التفت حولك. وآمنت بدعوتك، وصدقت رسالتك التي تتبناها اليوم. ولكن الأمم المجاورة لك، والتي لا تخضع لآرائك تحالفت ضدك - بسبب تعاليمك المخالفة لها - واضطروكم، طوعاً أو كرهاً؟ إلى الحرب. فقامت بينكم الحرب العوان، حتى إذا نصركم الله على بعضهم ووقعوا في أسركم، فماذا أنتم صانعون بهذا البعض الذي أسرتموه؟

هو: نبقيه عندنا، في ديارنا؛ حتى إذا انتهت الحرب أعدناه إلى محله.

الصديق: تبقونه عندكم، وتبذلون له الطعام والدفء والكساء. حتى ولو طالت الحرب؟

هو: أجل نفعل ذلك حتى ولو طالت الحرب.

الصديق: إذن فلم تفعلوا شيئاً.وستعرف الأمم المجاورة نظريتكم هذهِ مع أسرى الحروب، وتستمر في قتالكم وتستأسد، حتى إذا شاهدوا النصر لكم، ألقوا بأنفسهم أسارى بين يديكم، وسيكون الوبال على الأمة التي آمنت بك وصدقت، على كل حال. فأما أن ينتصروا عليكم، وهو المراد، وأما أن تنتصروا عليهم،وحينئذ فسيكون البلاء على أمتك المسكينة التي كان جرمها أن آمنت بك؛ ويكون بلائها في تهيئة الكساء والرداء والأكل عظيماً، ثمّ أرجاعهم إلى وطنهم ليستعدوا لمحاربتكم كرة أخرى آمنين مطمئنين.

هو: إذا لم أستطع هذا العمل، فسآمر بالقتل العام، خصوصاً إذا عرفت إن في بقائهم إنهاك أمتي مادياً، وفي إرجاعهم لوطنهم العودة للحرب ثانياً..

الصديق: الله. لا تقل هذا ولا تتفوهه، وإلا نقضت غزلك؛ فأنت الذي تعد

استخدام الأسير – إلى حين إطلاقه – من أشد الأسباب ظلماً ووحشية؛ كيف تبيح لنفسك القتل لأساراك المساكين. وهل لا تعرف أن القتل أشد من الاستخدام وحشية. ألا تتذكر ما انتقدت به الإسلام، فكيف ترضى للبشرية بهذا المصير؟ أم تراك نسيت ما بدأنا به الكلام.

هو: (متأملاً)

الصديق: لا تفكر في الأمر؛ واسمع شيئاً من أسرار الإسلام، ثمّ حكم وجدانك؛ وليحكم هؤلاء وجدانهم، إن كان عندهم شيء من الحس والوجدان.

الإسلام أمر بجهاد الكافرين ليخذل شوكة الكفر والضلال؛ ويردهم على أعقابهم مقهورين مخذولين، وجعل للمجاهد الناصح؛ أجرين؛ ترغيباً وتشجيعاً. جعل الأجر الأخروي جزاء المجاهد الذي يقتل في الميدان؛ ومنحه درجة الشهادة الرفيعة، التي عظمها الإسلام وعظم الحائز عليها. ولم يحرم الفائزين الأحياء من الأجر الدنيوي. فليس كل الناس رهباناً لا يرغبون إلاّ في الآخرة، ولذا جعل لهم كلما غنموه في ميدان الحرب من سلام ومتاع، بعد إخراج خمسه لدولة الإسلام كضريبة شرعية. أما من أسر محارباً، فالأسير بخدمة آسره حتى يفكه قومه.

وبهذا الترغيب الأخروي والدنيوي استبسل المسلمون المجاهدون استبسالاً عظيماً. وهكذا ترى إنها خطة حربية حكيمة، لا تكلف شيئاً إلاّ الوعد الصادق ولقد كان الإسلام صادقاً في وعده، ولم يشأ الإسلام أن يعلن للملأ وجوب عتق من أسلم من الأسرى؛ خشية دخول هؤلاء في الإسلام لا رغبة في الإسلام ولكن طمعاً بالعتق، وفكاكاً من الأسر، وهذا ما لا يرتضيه الإسلام، الذي يريد أن يكون إسلامهم عن عقيدة صادقة وبصيرة بمبادئ الإسلام وقوانينه. بالإضافة إلى إنه سيفت في عضد المسلمين المجاهدين إذا شاهدوا أنّ إسلام أسراهم يذهب أتعابهم أدراج الرياح.

ثمّ انظروا ديمقراطية الإسلام وعبقريته، التي تتجلى في كل حكم من أحكامه وبكل مسألة من مسائله. فالإسلام الذي أجاز استخدام الأسير، ماذا صنع له عند ما علم بإسلامه، أو عندما أظهر هو إسلامه؟

إنه كما قلنا – لم يوجب عتقه وإخراجه من حوزته فراراً من تلك العوامل السالفة – ولكنه أقام الدنيا وأقعدها نصرة لهذا الأسير الواقع في يد المسلمين من دون أن يجرح عواطف الآسر المجاهد. إنه ذكر الشيء الكثير عن فضل من أعتق رقبة في سبيل الله. بل جعل العتق مضرب الأمثال الإسلامية، فهو يقول من فعل كذا فكأنما أعتق رقبة، أو كأنما أعتق سبعين رقبة. بل تعدى ذلك؛ وجعل عتق الرقاب كفارة لكثير من الأخطاء التي يقع فيها المسلمون. وكتاب المسلمين (القرآن) خير شاهد على ما نقول. وسيعرف ذلك كل من درس القرآن ودرس معه أحكام الإسلام.

هذهِ هي التعاليم الصحيحة. وهذه هي الديمقراطية الحقة. وهذه هي الأحكام التي انتقدتموها وأنتم لها جاهلون أو معاندون.

فهل تصل كلمتي هذهِ والتي سبقتها لسمع هذا الكاتب المراسل؟ وهل يسمعاه متأملاً منصفاً؛ أم حاقداً معانداً؛ إني لأرجو أن يجعل عقله هو المحكم في أمثال هذهِ الأمور وفي غيرها. كما أرجو منه – هداه الله – ومن غيره أن لا يتسرعوا لنقد الإسلام. فالإسلام حقاً وصدقاً دين البشرية الخالد الذي لا سعادة للبشر بدونه ولا راحة لهم بغيره، وإن كثر ضده المرجفون والأفاكون. وسيبقى خالداً ما خلد البشر.

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته[1].

---

(١) مع المناسبات الدينية في نادي آل الخاقاني – العدد – ٣– سنة– ١٣٧٨ هـ/ص٢٣.

معنى الذّكرى

بقلم: السيد محمد علي خان

ولئن تحتفل كل أمة بعظمائها وعباقرتها ويفخر كل قوم بأبطالهم وزعمائهم الأفذاذ يقيمون لهم الاحتفالات المهمة والمهرجانات العامة باذلين كل ما لديهم من قوى مادية ومعنوية تجديداً لذكراهم وإشادة بمواقفهم وإشعاراً بما قاموا به من خدمات للإنسانية ودروس نافعة للبشرية.

فجدير إذن بالمسلمين الّذين غذاهم رسول الإنسانية بالتعليمات الخيرة السامية المسلمين الغيارى الّذين غرس في نفوسهم منقذ البشرية حب الإحسان والتعاون على البر والتقوى وعلى كل عمل نافع، نعم يجدر بالمسلمين وحريّ بمكانتهم الرفيعة أن يهتموا كل الاهتمام بعظمائهم وعلمائهم الميامين.

وما من شك أن إقامة مثل هذهِ الاحتفالات لذكرى مواليد آل البيت الّذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً تعظيم لشعائر الله لأنهم عَلَيْهِم السَّلاَم عرفوا الله تعالى حق معرفته وأدركوا عظمته وربوبيته فعبدوه عبادة تتناسب وشأنه العظيم ودعوا إليه سبحانه وإلى توحيده وإعلاء كلمته وعبادته لكل ما أوتوا من طاقات وإمكانيات وحولٍ وقوة وأنقذوا العالم من هوة الجهل وانتشلوه من براثن الآثام والأجرام وأخذوا بيد الإنسان إلى ينابيع الإسلام الزاهر وثقافة القرآن المنير ومعالمه الوضاءة إلى دين الله الحق وصراطه المستقيم فكان تعظيمهم عَلَيْهِم السَّلاَم وتخليد ذكراهم تعظيماً لشعائر الله.

﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾.

وما اهتمام المسلمين الأماجد بعيد ميلاد أبي الأحرار وسيد الأبطال والعلماء وسيد شباب أهل الجنة وريحانة الرسول الأعظم ومهجة البتول الزهراء الحسين الشهيد إلاّ دليل واضح على مدى الولاء والإخلاص لآل البيت وعلى الاعتراف بفضلهم على الأمة الإسلامية. وهذا الذي قدمت من عظمة الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم وتصاغر المفكرين أمامه لم أكن لأقوله معتبطاً فلي من شهادات المفكرين ما يدعم رأيي، فمن هؤلاء جبران خليل جبران إذْ يقول: (لم أجد إنساناً كالحسين سجل مجد البشرية بدمائه) وقال كارليل الفيلسوف الانكليزي الشهير: (إن الحسين كان نموذجاً فذاً من نماذج البطولة الإنسانية، وإنه فردٌ هائل كانت عقيدته الجبارة منحة من المنح التي لا تفيض بها الطبيعة إلاّ بين أعمار وأعمار، ودهور ودهور وأي بطولة تلك وأية عقيدة هذهِ).

وتكريم الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم أيضاً هو حفظ للنبي الأكرم في آله الطيبين وذريته الأطهار متبعين بذلك قول الله عزّ وجلّ:

﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾.

وقول الرسول الكريم:

«**إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي وقد نبأني اللطيف الخبير إنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض**».

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم:

«**الحسين روحي التي بين جنبي حسين مني وأنا من حسين**».

ولكن ليس الغرض كل الغرض في تنظيم هذهِ الشعائر وتجديد هذهِ المظاهر هو إقامتها وتأسيسها وإخراجها بإطار يبهر الأبصار وإن كان هذا المعنى جميلاً إلاّ أننا لو أضفينا إلى هذهِ المناسبات الكبرى فنوجه مشاعرنا وإحساسنا وقلوبنا إلى ما كان عليه آل البيت تطبيقاً لما جاء في القرآن المجيد دستورنا الخالد[1].

(١) مجلة النشاط الثقافي – النجف – العدد – ١ – السنة الأولى ١٩٦٣م /ص٦٤.

في ذكرى مولد الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَام

بقلم: الأستاذ كمال جمعة بهرام

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم أيها الحفل الكريم:

يحتفل العالم الإسلامي هذهِ الليلة بذكرى ميلاد بطل العقيدة ورمز التضحية وصاحب المجد أبو الثوار الإمام الشهيد الحسين بن علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَام، فعانق ملائكة السماء ومعاشر الجن والإنس وتنفرج الهموم وتتبدد الأحزان وتجتمع القلوب المؤمنة بهذه المناسبة السعيدة إجلالاً لصاحب الذكرى، وتقديراً لبطولته وتعظيماً لشأنه الكريم.

أيها المؤمنون...

ولد الحسين يوم الخميس الثالث من شعبان من السنة الرابعة الهجرية وكانت ولادته بشرى سارة للرسول الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم حيث غمر الفرح قلبه واحتل السرور جوارحه وقرت به عينه وأفعم بالآمال الكبار لأنه كان يرى فيه بطلاً لا يهاب الموت ولا يثنى عزمه عائق ولا يلين تصميمه للكفاح لسبب أو آخر وقائداً مؤمناً

مأموناً قيادته، خبيراً بشؤونها ومتطلباتها عالماً بخفاياها حاملاً للواء الإسلام فجدداً لنظامه باعثاً فيه القوة والتجديد ساحقاً للظلم والفساد، محطماً لقوى الكفر والطغيان، لذلك عندما ولد الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم أذن النّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى، وهو الذي سماه حسيناً ووضع لسانه في فمه وأقبل الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم يمصه فقبل الرسول الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم بين عينيه لذا يقول الشاعر:

لله مرتضع لم يرتضع أبداً من ثدي أنثى ومن طه مراضعه

يعطيه إبهامه آناً فآونة لسانه فاستوت منه طبايعه

وأعده النّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم إعداداً سليماً وأشرف على تربيته ونشأته ليخرج من مهبط الوحي ومنطق الرسالة الكبرى مكملاً لشرائط الإسلام ومتمماً لمزايا الإنسانية الحقة وكان في كل هذا عادلاً في قضاياه وعالماً في أفكاره وآرائه ومطلعاً على أنواع العلوم والثقافات وفقيهاً في الشريعة السمحة وسياسياً بارعاً يعرف السياسة من زواياها وخفاياها يصرخ في وجه الساسة فتنهار عروشهم وإدارياً يسيطر على كل الأمور، فهو إنسان كامل قد جمع الشروط فكان جديراً بالقيادة والإمامة والقضاء والسياسة والإدارة، ويكفيه فخراً أن يقول فيه النّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم:

(حسين مني وأنا من حسين. أحب الله من أحب حسيناً. حسين سبط من الأسباط).

ولد الإمام فكان مولده الحق والهدى والفضيلة حيث طغت الفرحة الآفاق وكانت مناسبة سارة إلى قلوب المؤمنين وكان النّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم يأنس به ويلاعبه ويداعبه حتى اختلطت أفكاره بأفكاره وامتزجت آراءه بآرائه وتثقف بعلومه وكانت علومه تزيح سحب الجهالة العمياء والظلام الدامس عن الضمائر التي لم يصلها النور ولا شعاع الإيمان وكانت أنواره تشع على كل بقعة فتنفر لإرادة الله والعدل

وتقوى بها معنوية المؤمنين.

وروي أنّ الحسين كان إذا جلس في المكان المظلم يهتدي إليه الناس لبياض جبينه ونحره وكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم كثيراً ما يقبل جبينه.

أيها الشباب المؤمن...

هذا هو الحسين في شخصيته الفذة وصفاته الكمالية ومزاياه الإنسانية يعبر عن شعور الإسلام بصوته الصارخ في كل مناسبة وبندائه الذي خاطب به العقل البشري والضمير والإنسانية ليعلو فوق العنصرية والجاهلية، والّذي فرق به الصمت المخيم على الضمائر البشرية وانتقلت أصداء ثورته إلى كل بقعة إسلامية وإلى كل قلب يحس بالواقع الأليم عليه وتناثرت أبناء ثورته لتكون ملجأ لكل مضطهد ومأوى لكل ضعيف، ويدافع عن دستوره ويحلل قضاياه وجيب على مشاكله ويكشف عن غوامضه.

فما من قضية إلاّ هانت أمام الحسين وما من تضحية إلاّ كانت له بنسبة الجزء إلى الكل يضحي بالجزء من أجل الكل. فهو يضحي بما لديه من جاه وسلطان ومال حتى يبقى للإسلام هيبته وحتى يعود للقرآن حكمه ولكي تنهار قوافل الظلم ويندحر جبروت الفساد ليعود الإسلام كما كان أيام النّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم صافياً لا يدنسه عميل جاهل ولا يتاجر به فاسد لعوب ولا يتناوله من لا إيمان له به. لذلك قال الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم:

سأمضي فما بالموت عار على الفتى ... إذا ما نوى خيراً وجاهد مسلما

وواسى الرجال الصالحين بنفسه ... وفارق مذموماً وخالف مجرما

كلمات نابعة من ضميره الحي وعبارات ناطقة بالحق والعدل والموت في سبيلها شرف وافتخار للفتى هكذا يقول الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم.

أيها المسلمون...

إن إحياء مثل هذهِ الذكريات ليس لقتل الوقت وإنما هي مدارس للوعظ والإرشاد ومنابر للتوجيه والوعي. ولتكن هذهِ الذكريات منطلقاً للعمل الإسلامي الهادف وعاملاً قوياً للنهضة الإسلامية ودافعاً أساسياً للتكامل الإنساني في ظل الإسلام.

﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

كان الإمام الحسين مدركاً للأمور ومحللاً للواقع البشري وتضحياته وقيمه الأساسية. وكان رفيع النسب، عالي الشأن سامي المنزلة، مهيب الجانب، يشع النور من جوانبه وتبرز مظاهر الحيوية من ملامحه الكريمة. وفي حياة الحسين من فضائل النفس الأبية وسمو المعاني الكريمة ومزايا القلب الواعي، وشرف الكفاح الثوري والنضال الدموي في سبيل العقيدة والمبدأ ما ينبغي أن يكون قدوة للشباب المؤمن الذي يرى في الحسين ثائراً ملهماً نحو قمم المجد والسعادة وفي حركته الثورية طاقات هائلة وبواعث كامنة للزخم الثوري للشباب الشباب المتطلع إلى الإسلام كنظام أكمل ودستور ثابت في ظلاله تعيش الأمم السعيدة آمنة وتسود روح المحبة بلا تمييز ولا تعصب بين هذا وذاك.

ويكفيه فخراً أن تمجده الأمم كافة وتعظمه الشعوب جمعاء لترى فيه إنساناً أمله إقامة قواعد دين وأركان نظام وأقدر عقيدة من جديد وطموحه موت في سبيل ذلك أو بلوغ غايته. وإنّ المسيحيين حين يمجدون المسيح عَلَيْهِ السَّلاَم على أنه ضحّى بنفسه في سبيل عقيدته أما بعض مدعي الإسلام فيغمطون حق الحسين لأنه قطع البراري وتحمل الأذى وصبر على الشدائد في سبيل الوصول إلى ميدان النضال في سبيل العقيدة ليثبت

قوى الإيمان ويحطم دولة الفساد والمجون، فضحى بنفسه وبأهل بيته فكانت تضحيته من أكبر ما شهدها التاريخ من تضحيات جسام.

ونظم الشاعر المسيحي بولس سلامة قصيدة في بطولة الإمام وتضحيته، منها:

أيها المطرقون عند مزاره ... لا تردوا العين عن أنواره

سرحوها بكل أفق بهيج ... بث فيه الحسين من أسراره

وختاماً:

لتكن ذكرى مولد الحسين ذكرى النفوس الحرة وذكرى القلوب المتطلعة إلى العهد المشرق ولتكن ذكراه استمراراً لحركته الثورية التي هزت أركان الدولة الأموية وقلبت الأوضاع من حال إلى حال وشتت جموع الطغاة وأقامت الإسلام من جديد مناراً للمؤمنين وقاعدة للثائرين بعدما أرادت البقية الجاهلية أن تتلاعب به وبشريعته السمحاء.

﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين والسلام عليكم[1].

(١) مجلة التضامن الإسلامي – الناصرية – العدد ـ٥و٦ – السنة الخامسة ١٩٦٨م /ص٨٦.

سياسة الحسين الرشيدة

بقلم: جاسم آل كلكاوي

ما برحت مخيلتي تصارعها أفكار قلقة، وتتناهب استقراري عوامل نفسية مضطربة، مبعثها العمل المضني، والأمل الضائع.

وفي غمرة هذا الصراع النفسي، وزحمة المصير أعرب الشيخ صالح الخطيب عن رغبة كريمة طالباً مني تحقيقها عاجلاً: وهي أن أكتب كلمة عن الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم فجمعت شتات فكري وطفقت استعيد انطباعاتي واستوحي معلوماتي عما خبرته في موضوع الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم حيث بدا لي الأمر سهلاً، وبعد تحبير وتمزيق، وشطب وتنسيق بان قصور القلم، وتخاذلت قوى التفكير حيال عظمة الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم وضخامة رصيد نهضته في مصرف الخلود.

فالحسين عالم مثالي قائم بذاته تركزت على قمة مجده شارات البطولة والتضحية في سبيل المبدأ والعقيدة، وحصيلتها نصر للإسلام، وفتح مدرسة كبرى تطالعنا من أفقها القدسي شمس المعارف والعلوم، نافذة أشعتها في خلايا العقول لتصهر غدد العقم، وتذيب شوائب الجمود لتخلص منها عقولاً ناضجة تفهم روح الإسلام وتفصح أسرار النهضة الحسينية التي هي بحق قد جددت تبليغ رسالة جده الأعظم، وحذفت ما ألصقته الدعايات الأموية بجوهرها، وأضافت عليها ما بترته الأفكار المغرضة من أصولها، فقد أخطأ من ظن أن الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم قد قدم للأمويين نفسه

ونفيسه ضحية باردة!!

كلا إنّ جهاده كان مبنياً على قواعد علمية، وأسس سياسية

سياسة رشيدة، الحكمة لحمتها، والصواب سداها.

سياسة أطات عروش الأمويين بمقوماتها وأهدافها السامية.

سياسة قطعت دابر أطماعهم اللامحدودة.

سياسة حبطت المساعي الشريرة، وفضحت النوايا الخسيسة.

سياسة صانت الدين الإسلامي من لوثة التلاعب والتحريف.

سياسة أحنى التاريخ هامته إجلالاً لحكمتها، فهي هي في مفعولها وتأثيرها وقداستها في كل مكان وزمان.

ويستخلص من هذا كله، أن الحسين لم يضح بنفسه ونفيسه عبثاً نتيجة غفلة أو تسرع كما حكم بذلك بعض المهرجين الّذين مكنتهم الظروف الشاذة من التربع على دكة العلم المزيف أمثال ابن حزم، وابن خلدون، وابن تيمية، فالنهضة الحسينية نبراس التقدم وروح الحضارة.

فالحسين عَلَيْهِ السَّلاَم لم يكن حرباً على الأمويين فحسب، وإنما هو حرب على الّذين تعمدوا على إنكار حقيقة الدين و (وقفوا بعنادهم ولجاجتهم في طريق التقدم والحرية).

أجل لم يكن الحسين خصماً للأمويين فحسب، وإنما هو حرب على كل من تقمص النزعات الأموية ومثلهم في قول وعمل وشعوذة ودجل واستغلال وأنانية إلخ.

فالأمويون قد تنكّروا للدين، وهؤلاء قد نصبوا الشرك باسم الدين لاصطياد السذج والبسطاء.

الأمويون قد تلاعبوا بنصوص الدين في الماضي، وهؤلاء أساءوا التطبيق في الحاضر،ونافقوا في العقيدة، وتاجروا بأموال المسلمين، بعقول المسلمين، بآراء المسلمين.

فلا تلومن – والحالة هذهِ – الأمويين إذا ما نظروا إلى الدين بمنظار العصبية العمياء – فالأمويون عذرهم معهم – وإنما نوجه اللوم والتقريع إلى الّذين أساءوا فهم الدين، وتعاموا عن عناصر التقدم والنمو المتأصلة في روحه وقاوموا في وجهه كل تجديد، وخلعوا عليه ثوب الجمود والتحديد.

فالطغمة التي حاربت الحسين في شخصه وأمعنت في سلب رحاله، وهب نفائسه لا تقل جرماً عن الّذين حاربوا الحسين واستغلوا مناصبهم لسلب وهب عائدات الحسين والتلاعب بالأملاك الموقوفة على الحضرة المقدسة وصرفها على الرحلات السنوية والأسبوعية المنتظمة.

فما لنا نلوم ونستهجن أعمال الأمويين ونسرف في طعن سياستهم الغاشمة ونحجم عن طعن من جارى الأمويين في محاربة الحسين؟

ما لنا نصور الظلم وفضاعة الاستبداد في الماضي ونهيب من تصويرهما في الحاضر؟

وما ذلك الإحجام وهذا التهيب إلاّ نتيجة ضعف في النفوس وتهاون في العقيدة وإشباع الأفكار بالنظريات السقيمة التي غزت مجتمعنا واخترقت سياج مبادئنا القويمة فخدرت حواسنا بمصل سحرها وبريقها.

فمتى تقرع أجراس الحق والحقيقة التي تتمثل في نهضة الحسين المباركة في تعاليم الحسين القيمة، في سياسة الحسين الرشيدة، لننفض عن أعيننا غبار الجهل والخمول[1].

---

(١) سلسلة العظيم الخالد «الحسين بن علي» (عليه السلام) – المنشورات مكتبة التهذيب الإسلامي – كربلاء – ١٩٥٧م / ص١١.

مدرسة الحسين عَلَيْهِ السَّلَام

بقلم: الأستاذ عباس علي

شهدت الإنسانية في تاريخها الطويل أنماطاً من المآسي لا حصر لها ولا عدّ، أزهقت فيها أرواح بريئة، واندرست بسببها حضارات متألقة، وتقوضت بنتيجتها دول ذات مكان. وأمر لا يرقى إليه شك، إنّ فاجعة الطف تقف من مآسي الإنسانية في القمة، لا لأن السلطة جائرة، دستورها السوط، وكلمتها الباطل، وناموسها يزيد، اجترحت إثماً دونه آثام البرابرة وسكان الغاب.. بل لهذا الطابع الذي يميّزها عن سواها من قضايا التاريخ الفاصلة، في احتفاظها بحرارتها، قرابة ثلاثة عشر قرناً ونيف، دون أن تستطيع عوامل القهر، ولا الضباب الكثيف الذي حجب الأفق ردحا، ولا الشوك الذي زرعه الأعداء في الطريق.. أن تفقدها جوهرها الثمين، أو أن تطفف من وزنها في يوم من الأيام.

ولعل من معاد القول أن نسعى إلى التنويه عن مبعث هذهِ الحرارة وعن مظاهر استمراريتها.. ونحن الآن بين يدي فعالية بسيطة من فعالياتها، نجتمع بخشوع، ونتحدث بلوعة، ونستذكر بمنتهى الاحترام.. ذكرى من أجزل ذكرياتنا الإسلامية مضاءً وإشراقاً.. ونهضة من أقوى نهضاتنا العقيدية أصالة وعمقاً، ووثبة من أعز وثباتنا المبدأية إبداعاً وتألقاً وثمة حقيقة لا تخفى على ذي لب.

لم تكن هذهِ المأساة وليدة حدث عابر للمت أطرافه نهضة الإمام الحسين، فصعدت هي إلى السطح كظاهرة انفعالية مضادة لهذا الموقف بالذات.. فالسلسلة الطويلة من المعاناة مع العقد السفيانية.. وما كابدته العترة الطاهرة من أنفها الوارم.. وما تكشفت عنه نوايا الظالمين من فرسان الشعار السيء الصيت.. تلاقفوها..

هذهِ أمور كلها تعكس بموضوعية واعية صورا لّماحة عن تلك الإرهاصات التي لجأ إليها من لجأ من مناوئ الإسلام، وممن كرهوا أن تجتمع في بني عبد المطلب النبوة والخلافة معاً.

وحين بلغ المدّ أقصاه.. يوم تكوّم وراء الدفة مسعور، لا يعرف من مقومات المركز الذي رفعوه إليه، غير التلذذ بما نهى الله عنه، وغير الإغراق فيما جاء الإسلام لتحريمه وشجبه..

وحين عادت العصبية الجاهلية بكل تشنجاتها، تطل برأسها الأشعث من جديد، في فورة شريرة عارمة.. تخضم مال الله خضم الإبل لنبتة الربيع.

لا يعصمها عن الدنية دين، فهي ليست منه في شيء ولا يمنعها من اقتراف الجريرة وازع فهي من هذا الضامن على بعد قصي..

لم يجد الحسين بداً من الوقوف بوجه التيار من تفتيت ضغط الموجة الانحرافية.. من الاصطدام بالقوى السوداء أبى عليه إيمانه أن تتلاشى في غمرة انتكاسة صارخة، انجازات جده العظيم.. لتعود الأمة سفينة بلا ربان... وقيماً عشوائية بلا محتوى.. ووثنية دونها وثنية اللات والعزى..

فليس الإسلام واجهة يختفي وراءها القراصنة وقطاع الطرق.. وليست معطياته خلجات مبدد.. ما تأتي به الريح تذهب به العاصفة.

مشى عَلَيْهِ السَّلاَم إلى النهاية الفاصلة، لا يزعزعه عن رأيه سلطان... ولا يطؤه

عن قصده حتف.. ولا يجعجع به عن مهمته هوى..

يحسم بإرادته الشريفة أمراً لم يكن عنه من محيص فكانت شهادته موت جديد لجاهلية جهلاء... وحياة جديدة لدين يجب أن يبقى.

أيُّها السادة..

ان شهادة الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم مدرسة.. لا لهؤلاء الّذين يتسكعون على هامش الحياة، أجساماً بلا روح.. وأحاسيس بلا وعي.. وعقولاً كأنها سلة نفايات.

وإنما هي للعقيديين المتمرسين، الذي يفهمون الإسلام عقيدة هاظمة.. متفتحة، تزرع البذرة المعطاءة. ولا تقطف الزهرة المخضلة. تبني المجتمع الصالح.. ولا تتقوقع معزولة عنه، كأنها ليست منه روحه وعنوانه وضميره.

هي للمجاهدين الأبرار، الّذين يؤمنون بالإسلام منهجاً مبدعاً يصنع الفرد واعياً، سليماً مدركاً، ويقود الجماهير رائداً صادقاً مخلصاً، ويركز الحرية في المجتمع عملاً مطبقاً، وليس شعاراً يحمله الأدعياء للارتزاق.

إنّ شهادة الحسين في تاريخنا، لقطة مضيئة، ينبغي أن لا نمرّ بها مرورا ساذجاً.. كما كنا نفعل في سنين خلت..

إنّ الوقفة العابرة ـ أيُّها السادة ـ لا تهب فيما تهب الذكريات الرائدة، حماساً يقتلع من الأعماق روح التكاسل والانهزام.. أو جرأة نستطيل في مقاومة النزعات الشاذة التي تعكر مناخنا بين الفينة والفينة، أو نوراً كشافاً، لا يترك مجالاً للصعاليك، أن ينقذهم من نهايتهم، ظلام زاوية.. أو حفرة يظللها طحلب شائك،. إنّ مسيرتنا الإسلامية مملوءة حتى عقد الكرب، بالمواقف والمآثر والتضحيات الهادفة..

وبدلاً من أن نستوحي منها جميعاً مقومات فاعلة في مقدورها أن تقلب هذا البوار الذي نعيشه واقعاً وفكراً وإحساساً إلى جنان وأرفة.. رحنا في لا أبالية غرتنا

بديكور الغلاف قبل اهتمامنا بما يضمه الكتاب بين دفتيه.

نهتم بالقشر، وننسى أو نتناسى ما تخفيه حنايا اللب.

نرتاح للبهرجة في هذا السباق.. ولا نعلم أن هزة عاطفة عابرة كفقاعة صابون.. وان صخب نشوة مفتعلة، تبقى وراءها كومة رماد..

لا أعتقد أنّ في عالمنا اليوم أمة تملك رائداً كالحسين في مفاهيمه وفي أفكاره.. وفي ثورته، ثمّ ترضى هذهِ الأمة، وهي اللصيقة به هذا الالتصاق الذي ترونه وتلمسونه أن تتدحرج باختيارها من القمة إلى السفح، هذا التدحرج المشين.. وفيها لقلقة على لسانها وكرامتها انفعال عنتريةٍ مهزوزةٍ لو لامستها خفقة ريح متراخية فيها رائحة بارود، لما أبقت منها على ذكر.. وقيمتها وشالة فضلات تنتشها من هنا... و من هناك... من كشاكيل لمتسولين محترفين.

وبصراحة...

نحن نفهم الحسين على غير ما أراد هو أن نفهمه.. فهمناه دمعة تتحدر متثاقلة، ولم نفهمه عرقاً يتفصد عن عروق في مجال العمل البنّاء.

فهمناه في بهرجة يزروقها لون وضوء وخيال.. ولم نفهمه زخماً بكبرياء من أجل حق يمرغه عدو لنا في الوحل..

فهمناه في بهرجة يزروقها لون وضوء وخيال.. ولم نفهمه زخماً يزلزل الطواغيت.. وطاقة تدحر فلول الظلام.. وعضداً ملفوفاً يحمل الراية ويشق الطريق..

لقد آن لنا أن نعي دورنا في شهادة الحسين، فنحن أحوج ما نكون اليوم إلى باعث ذاتي يحرك في أعماقنا ايجابية تتحسس موطن العلة.. وتتحرى عن كوامن الداء.

فليس من العقل، أن نظل على الرغم مما تحمله إلينا مناسباتنا الروحية من محفزات مشدودين إلى مواضع أقدامنا، لا نتحرك خطوة إلى الإمام..

لقد آن لنا أن نجلو مغزى الشهادة، وأن نصفي مقاصدها من هذهِ الرتوش الاعتباطية التي تفقدها الدقة.

والى أن يحين ذلك اليوم الذي تترجم فيه أفكارنا المستمدة من النهضة الحسينية إلى عمل هادف، يتناول حياتنا العامة تناولاً ننتقل على ضوئه من حالة راكدة، ركود الماء الآسن، إلى حركة مزمجرة زمجرة الشلال الهادر.

سنظل كما نحن الآن.. كمية مهملة.. أصفاراً مبعثرة إلى الشمال...[1]

(١) مجلة المجتمع الإسلامي – بغداد – العدد – ٢ – السنة الأولى – ١٩٦٦م /ص١٦.

في ذكرى ميلاد الإمام الحسين عليه السلام

بقلم: الأستاذ عباس علي

إن الاحتفاء بالذكريات الخوالد اتجاه حضاري مألوف اعتز به الإنسان الواعي كمظهر ناهض من مظاهر التحسس الاجتماعي.

ولكل آمة من الأمم انفعالاتها الخاصة في هذا الميدان، تجري بها ضمن دائرة مقوماتها المعبرة عن إطارها الفكري، ومزاجها وتراثها.

وتأريخنا الإسلامي - بوجه خاص - مملوء حتى الحافة بالموقف والمآثر والأفذاذ، وهو بمجموع طاقاته المبدعة يستقطب أروع المشاعر الإنسانية وأنقاها، وتصب فيه أنماط من الأعراف المتيقظة النابضة.

أيها السادة:

نحن الآن بين يدي ذكرى ثرة من هذهِ الذكريات، مولد الإمام أبي الأحرار الحسين بن علي عَلَيْهِ السَّلاَم وهي والحق، من مناسباتنا الروحية التي ينبغي أن يعادلها رواؤها الأصيل لاسيما في مثل مرحلتنا الحاضرة التي نشكو فيها من معضلات جمة، ترتفع إلى السطح على شكل انهيار أخلاقي فضيع، يدني جيلنا المعاصر من حفرة بعيدة الغور، وبعيدة عن شاطئ أمين تستقر على ضفته مفاهيم إنسانية رشيدة.

إن المجتمع الإسلامي اليوم يعيش – هنا – سورة انفعال جدي عنيف، بفعل الهزات المتتالية التي مست كيانه في أعقاب حملة من الاختلاطات. كان ذلك نتيجة سلوك سلبي نما وترعرع في أحضان نزعات انهزامية ملتوية دحرجها إلينا دهامنة المبشرين عن قصد مرسوم وسياسة مدروسة.

وليست شعارات الفراغ الفكري، والجيل الضائع، والإنسان العربي التائه،... سوى واجهات مغلفة لهذا النوع من الغزو التبشيري.

وطبيعة سيرتنا تتطلب أن نسلط أكبر حزمة من الضوء على الطريق، ليتسنى للعاملين في حقول التوعية الإسلامية أن يكتشفوا اللصوص، وقطاع الطرق، وليرى المسلمون أية فضيحة ترتكب ديارهم وهم لها كمخلب القط.

ما معنى الفراغ الفكري الإسلامي عقيدة منفتحة هاضمة، ولماذا جيل ضائع؟ والفكر الإسلامي دليل صادق، ورسول أمين.

ولأي أمر يتيه الإنسان في جو رائق صحو وفي سبيل لاحب مستقيم؟ هذهِ الضحايا بمجموعها تدفع إلى مزيد من التأكد على الجوانب الموضوعية من حياة الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم والّذي وضّح بالعمل الجدي الحاسم معطيات العقيدة الإسلامية، ونشر بثورته الظافرة مدارك هذهِ العقيدة في تطلعاتها الحية، ومضامينها الغنية. ولقد كنا – مع الأسف نحول هذهِ الطاقة – نحولها نحن وارثي ثورته، وحفاظ كلمته والدعاة إلى منهجه... إلى شيء مزركش جميل.. يخدع النظر، ولا يصل إلى الضمير، يدغدغ العاطفة ولا يزرع حساً في الأعماق، يملأ كرشاً تدلى من نعمة، ولا يشبع مسغوباً يشرأب إلى قرص من شعير.

ونسي هؤلاء أو تناسوا، أنّ الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم في الفكر الإمامي، قوة فاعلة لها قدرة الريادة إذا ما أدلج للسارين ليل، ولها بصيرة الواعي إذا ما إدلهم بالمسلمين خطب،

ولها جلد المناضلين إذا ما إرتجت الأبواب وتراصت المغاليق.

لقد آن لنا أن نفهم... وأن نعي... أن احتفالنا بهذه الذكرى يجب أن ينفتح على فكر جديد، يستلهم ولا يمشي في سذاجة وراء الزغاريد، يتفاعل مع الأحداث، ولا يترك الأحداث تدوسه كورقة خريفية ميتة، يفرض نفسه على الحياة، ولا يدع لأحد أن يضع له كرسياً في آخر الصف، كأنه بقية جيل كولمندي طارئ!!

إن الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم حين دافع ببسالة منقطعة النظير عن عقيدته فبذل في ذلك المعترك ما يعز بذله، وما يندر المفاداة به، ولم يكن يعلم - بطريق القطع - إن هذهِ التضحيات النادرة ستتحول في أذهان شيعته إلى ضوء ملون زاهٍ وكلمة منمقة ذات جرس، ولقمة محشوة يتنقط منها الشهد.

إن الاكتفاء من المولد الشريف بهذا الروي الكلاسيكي الذي يقتصر على القطاف من تاريخ ولادته عَلَيْهِ السَّلاَم مغموسة بعبارات منبرية مطروقة، لا تؤدي أية خدمة لمنطلق الوعي الإسلامي.

بالإضافة إلى إنها قد تكون في مرحلة من المراحل أداة تعويق... في وسعها أن تتركنا في محلنا (مصابين بالشلل) ألف عام آخر.

كان الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم في حياته وفي ثورته، وفي استشهاده يعكس مفاهيم الإسلام الرئيسية يمد بجسدها حقيقة صارخة على صعيد متماسك من حقائق اليقين والإخلاص والمفاداة.

الإسلام لا يهادن من لا عقيدة له، ونهض الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم يمزق بضربه - معلم - كما يقال، لا دينية يزيد، ويهيل التراب على كومة نفايات وشذوذ وانحراف، ويمرغ بالوحل الانتهازي السيئ الصيت (تلاقفوها يا بني أمية).

الإسلام لا يعترف بأنصاف الحلول، ولا يقر مبدء التقوقع في منتصف الطريق.

وقام الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم يركل بقدميه أحلام الحياة واخضرار العيش، وأنس الأهل، ورفقة العمر. وأبى بتصميم مبرمج أن يساوم، وأن يلتقي مع الطغاة على بساط، وأن يغمض عينه ويفتح أخرى.

الإسلام يحارب جور الحاكم، ويشجب استخذاء المحكوم، وهب الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم بعزة المؤمن المتمرس يهز قوائم حكم قام على الخديعة، ويضعضع بناء ملك شيد على حرف رديء لم ترهبه أبهة السلطان ولم ترجعه عن قضيته، قعقعة السلاح، ولم تنته عن مهمته جعجعة جلواز. فمشاها إلى آخر خطوة... عنيداً لا يلين، وصلباً لا ينهار، وحديداً لا يقاوم... وحيداً وكأنه في جيش لجب من الصناديد... هذهِ نقاط مضيئة في سيرة أبي الشهداء، أين نحن منها... من تعاليمها ودروسها وتطبيقاتها... نحن نملك عن طريقها ذخيرة حية من المحفزات من المعاني الكبيرة التي تنشأ الحياة ولدينا رصيد ضخم من الشهداء، أئمة، وقادة، وأبطال، سقطوا في سوح الكفاح من أجل أن تبقى الراية خفاقة إلى الأبد، لم ينكفئوا على عقب، ولا طأطأوا هامة لجبار، لدينا تجارب جهادية عميقة، هي حصيلة كفاح ضار طويل ضد قوى الشرك وأعداء الإسلام، وخصوم الفكر الإمامي.

تركنا هذهِ القوى الدافعة وراء ظهورنا، ومضينا في لا أبالية قاتلة، نتلهى بفعاليات طوبائية عقيمة لم تخلف لنا من طارفها وتليدها غير التسكع على حافة الحياة. نغفوا على ترنيمة... ونصحو على طعنة، ونقضي بقية حياتنا بين هذهِ وتلك في سبات لا أدري بم أسميه وكيف أصفه.

وثمة حقيقة مرة، لو ننفق جزءاً يسيراً مما ننفقه من جهة وطاقة ومال في بعض الرتوش الجانبية، ننفقها في سبيل تطوير تجاه العديد من قضايانا العامة، لبلغنا القمة منذ سنوات وسنوات، بدل أن بقينا نحبو ونحبو في أطراف مدبة من السفح، نصفق ببلاهة

لمن يلوح لنا إن حقاً بسيطاً من حقوقنا الطبيعية في طريقه إلينا.

ونفرح كما يفرح طفل بورقة ملونة... حين نسمع أن نصيبنا من البقرة الحلوب ثمالة في الكأس، تلامس الشفه ولا تصل إلى الحلقوم.

كأننا – في حساب بعض الناس – كمية مهملة، ولسنا إذا جد الجد من أتباع الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم في عقيدته وفي تضحيته، وفي إسلوب تصديه للانحراف[1].

(١) ذكرى الإمام الحسين (عليه السلام) منشورات حسينية آل الصدر – الكاظمية – ١٩٦٧م /ص٢٢.

الناس عبيد الدنيا

بقلم: كاظم الجابري

لقد جرت على لسان الإمام السبط كلمات مأثورة كاللآلئ المنظومة على جبين الزمان تنير السبيل لذوي الإصلاح وتهدي العمي عن ضلالتهم وقد سجلها التاريخ بأحرف من نور، وذهبت هذهِ الكلمات البيانية البليغة كأحسن ما تكون عليه الأمثال والحكم وصار أرباب البيان وفحول البغة يحشرونها في كتاباتهم ويسطرونها في ثنايا مقالاتهم فتزيد من الأسلوب متانة ومن اللفظ جزالة ومن المعنى قوة، ونحن نكتفي بقول واحد إثباتاً لما قلناه ودليلاً لما أسلفناه.

فما قاله الإمام في وصف إيمان بعض الناس ومقدار ما تمسكوا به من الدين قوله عَلَيْهِ السَّلاَم:

(الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درت معائشهم فإذا محصوا بالبلاء قل الديانون).

هذهِ الكلمة الموجزة تنطوي على معانٍ غزيرة وأحكام قاطعة وتحليلات واضحة.

ففي الجزء الأول من كلامه عَلَيْهِ السَّلاَم إذْ يقول:

الناس عبيد الدنيا تشبيه حقيقي فكما أن العبد المملوك دائب على العمل من أجل مالكه ساهر على إراحته أملاً منه أن ينعم عليه راجياً منه حسن العلاقة والرضا تأميناً لرغباته وحفظاً لبقائه. فكذلك نرى الناس باختلاف طبقاتهم ونحلهم دائبي السعي

والعمل لتأمين راحتهم ومنزلتهم في هذهِ الحياة متشبثين بشتى الوسائل والسبل لحفظ بقائهم وإدامة ملكهم ضاربين صفحاً بالقيم الإنسانية والنواميس الطبيعية ما زالت هذهِ تتعارض ومصالحهم الخاصة وتحط من مقامهم في الحياة، منهم يريدون دائماً أن يتبوأوا المكان العالي ويحصلون على النصيب الأوفر من متاع الحياة ناسين أو متناسين أن ذلك إلى فناء وأن مصيره إلى زوال. فهم بأعمالهم هذهِ عبيد ولكن للدنيا.

وللنتقل إلى الجزء الثاني من كلامه عَلَيْهِ السَّلاَم:

«الدين لعق على ألسنتهم».

نعم ننظر إلى الشخص فنراه العابد الزاهد العفيف النزيه قد ظهرت عليه صفاة التدين، وإذا ما كلمته أجابك بلسان أهل الصلاح والإيمان يتحرق لما حل بالمجتمع من الموبقات والأخلاق التي لا تتفق والدين في نظره

ولكن هذهِ المظاهر لا تمسه بشيء ولكنها تتصل بمصالح بعض الناس فنراه يصب جام غضبه عليهم متشبثاً ببعض الحجج الواهية، ولكن ما إن تعدت هذهِ المصالح إلى كيانه وأخذت تمس مجرى حياته فتراه سرعان ما ينتفض من مظاهر التدين حفظاً لمصالحه ورغباته فمن هذا يظهر أن إيمانه لا يتعدى لسانه، وإن مبلغ تدينه لا يتعدى المظهر والزي والقول باللسان لا عقيدة في الجنان.

وننتقل إلى الجزء الثالث من كلامه وهو قوله: يحوطونه (أي الدين) ما درت به معائشهم. أي يجعلون من الدين وسيلة لمتاعهم وتأمين معيشتهم فهم يكيفونه حسب مقدار ما يدر عليهم من أرباح مادية، وإن كان هذا الاتجاه الجديد ينافي جوهر الدين الصحيح، فهولا يتورع عن تجاهل بعض الحقائق مازالت لم تكن له فيها منفعة أو معاش، وما أحسبني بحاجة إلى دليل. فالأدلة كثيرة وخاصة في أوساط الموظفين. فترى الموظف قبل التعيين يحمل لواء الإصلاح وينقم على هذا وذاك لاعوجاجه، ولكنه ما

إن دخل ضمن هذا الجهاز حتى نراه بركاناً خامداً لا همه شؤون الناس، وما يحدث بينهم من مظالم ومفاسد ما زال ذلك لا يتعدى حدود وظيفته فيدفعه غروره إلى أن يكون الطاغية المكبر على من سواه وخاصة على من دونه.

والفقرة الأخيرة من كلامه وهي: (فإذا محّصوا بالبلاء قل الديانون)

هناك علاقة كبيرة بين التدين والبلاء أوجدها الله سبحانه وتعالى لامتحان عبده ومعرفة مقدار ما انطوى عليه قلبه من الإيمان والتدين. فكثيراً ما تطرأ على الأفراد المتدينين ظروف قاسية. أمّا سبب العوز أو المرض أو أن يتسلط عليه شخص أو سلطان أو أن يكلف الفرد بحكم شرعي يتعدى القول واللسان إلى بذل النفس والنفيس. فإذا ما حدث واحد من هذهِ الأسباب أو اجتمعت عليه وما زال على إيمانه وشدة تدينه لا يجزع ولا يتسرب إليه الشك كان قد اجتاز الامتحان بسلام تام، وما أكثر الأدلة والشواهد على هذا النمط من الناس في مختلف العصور والأزمان، وما حادثة الطف وقتل ابن بنت الرسول إلاّ خير شاهد ودليل على جزع القوم مما فتنوا به والتخلف عن نصرة الحق وإزهاق الباطل. فقد كتب أهل الكوفة للإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم اثني عشر ألف كتاب كلها تستحثه على القدوم إلى الكوفة وتعده بالنصرة ضد الطاغية يزيد وبطانته الظلمة، ولكن ما أن تجاوز العمل اللسان وتعدى إلى السيف والقتال حق نراهم قد نكثوا العهود ونكروا المواعيد ولم يكتفوا بالتخلف عنه بل نصروا عليه عدوه. فكان ما كان من حادثة الطف الدامية والوقيعة الأليمة بالرغم من إيمان القوم بأن الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم صادق في دعواه ممتثل لأمر الدين الحنيف، ويعلمون ذلك من قرارة أنفسهم وأعماق قلوبهم، وقد أوضح حقيقة أمرهم قول الفرزدق للإمام عند ملاقاته له، وهو في طريقه إلى كربلاء حين سأله الإمام:

(كيف تركت الناس؟).

فأجاب: (قلوبهم معك وسيوفهم عليك) وغيرها من الحوادث التاريخية العديدة كحادثة زيد الشهيد ومسلم بن عقيل ويحيى بن زيد وغيرهم ممن ثاروا على الظلم والاستبداد والجور والفساد وتخلف أنصارهم عنهم، وممن جاء وصفهم في الكتاب المبين:

﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾.

هذهِ هي بعض المعاني الواضحة كقول الإمام وحكمته التي أرسلها إلى الناس ليكونوا على حقيقة من أمرهم وبينة من أدعياء التدين والإيمان انتزعها الإمام من صميم الواقع وبرهنت على صحتها الحوادث التاريخية واختلاف الظروف وتقلبات الأحوال[1].

(١) سلسلة العظيم الخالد «الحسين بن علي» (عليه السلام) - منشورات مكتبة التهذيب الإسلامي - كربلاء - ١٩٥٧م / ص٢١.

مولد بطل

بقلم: الأستاذ حسين فهمي الخزرجي

في مثل هذهِ الأمسية من شعبان السنة الرابعة للهجرة تألق في سماء بيت بني هاشم نجم وضاء أراد الله به أن يبدد ظلمات البغي والظلم فتمت بذلك معجزته الخالدة. وما هذا النجم الساطع إلاّ الحسين بن علي بن أبي طالب عَلَيْهِم السَّلاَم ذلك الذي سجل على هذهِ الأرض معاني المثالية والإخلاص والبطولة والحق. فبارك النّبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم لهذا الوليد الحبيب ونفحة من روحه وتعهد تربيته بالأدب الذي أدبه به ربه فأحسن تأديبه، حتى ورث عنه قوة الإيمان وصلابة العقيدة، وتربى في كنف الوصي (عليه أفضل الصلاة والسلام) بالصورة التي أوصى بها القرآن العزيز فتثقف بالمبادئ الشريفة العالية والحق والعدالة، فكان أبلغ من بلغ رسالة النّبي للعالم أجمع. ونهل من ثدي ربة الفضيلة والعفاف سيدة نساء العالمين فاطمة البتول عَلَيْها السَّلاَم فتشعبت غريزته بالخير وتهذبت نفسه والتهبت بحب الفناء في الله.

هكذا ولد الإمام الحسين ونشأ وترعرع وعاش في بيئة تحمل بيدها مشعل النور الذي أضاء الطريق للبشرية الضالة عن حقيقة وجودها. فكان وكأنه جزء من تكوين محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم، وكيف لا وهو الذي يقول فيه:

(حسين مني وأنا من حسين).

أجل يا سادة!.. هكذا ولد خلاصة الأبطال وأبو البطولات (الحسين بن علي) في

مثل هذهِ الليلة المباركة بين قوم عاهدوا الله على إحقاق الحق وإزهاق الباطل ونشر العدالة ونكران الذات والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والموت في سبيله ونصرة الدين الإسلامي.

ونحن إذْ نحتفل بهذه الذكرى العظيمة إنما نتخذ لنا في الواقع من هذا اليوم العظيم دروساً بليغة وعبر غالية تعلمنا معنى الإنسانية الرفيعة المتمثلة في الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم ونجدد في نفوسنا سيرة البطولات بكاملها المركزة في حياة سيد الشهداء. علنا نستطيع أن نقبس من نوره فينا روح المثالية والخلق الرفيع.

فأية ذكرى وأية عبرة وأي تاريخ أجدر بإحيائه من تاريخ سيد شباب أهل الجنة؟!.

وأية سيرة أحفل بأعمال المجد من سيرة قمر بني هاشم؟!.

سادتي: تنتهزّ الشعوب المثقفة تأريخها في كل مناسبة لتستخرج من بطولته عبراً ومآثر عن سيرة رجالها وحياتهم فتفيد من ذلك وتستفيد. فما أعظم الأثر في إحياء ذكرى الأبطال لتوجيه الرأي العام الوجهة الصحيحة! وما أكثر أهمية ذلك في تكوين حياة جديدة على أسس من تجارب سابقة.

والتأريخ العربي أيُّها السادة الأفاضل حافل بعظام الشخصيات الّذين كان لهم أثرهم البالغ في السياسة العربية والدين الإسلامي، ولعل أكثر هؤلاء أهمية في ذلك هم أهل البيت المطهرون الّذين تفانوا وضحوا أرواحهم في سبيل نصرة الدين الحنيف.

فما أجدر بنا وأحرانا أن نعتبر ونتعظ بحياة أجدادنا العظام ونتخذ من سيرهم دروساً قيمة لمجتمعنا هذا في مثل هذهِ الظروف التي تردت فيه الإنسانية إلى مهاوي الرذيلة ونزعت فيها المادة نحو مكان مرموق لدى الناس علنا نستطيع من هذهِ الدروس والعبر أن نعوض أنفسنا ما فاتنا من فرص ونسير قدماً نحو الكمال الإنساني وندفع عنا

آثام المادة وننزع نحو المثالية الخالدة.

والحسين عَلَيْهِ السَّلاَم هذا البطل الذي يجثم أمامكم تحت هذا الصرح العظيم هو خير مثال يحدثنا به التاريخ عن البطولات والتضحيات والعدالة والحق فكل حياته عبرة حسنة نستطيع فيها أن نستوحي كل مأثرة إنسانية في حياتنا العامة والخاصة.

فسلام عليك يا سيدي يا أبا عبد الله يوم ولدت وسلام عليك يوم استشهدت وسلام عليك يوم تبعث حياً[1].

---

(١) سلسلة العظيم الخالد «الحسين بن علي» (عليه السلام) – منشورات مكتبة التهذيب الإسلامي – كربلاء – ١٩٥٧م / ص٨.

ذكرى المولد

بقلم: الأستاذ محمد جواد جلال

سادتي المحترمين.. سلام الله عليكم ورحمته

للأيام في مجرى الزمن نفحات قدس وسوانح أفراح، يرسلها التاريخ عبر العصور فتوحي بالذكريات الطيبات إلى القلوب المريضة فتهبها شفاءً بعد سقم، وراحة بعد عناء وعزة بعد ذلة، وحياة بعد موت.

إنها ذكريات الأبطال الّذين صنعوا التاريخ المشرق فراحوا إلى عالمهم العلوي يتيهون عزاً وفخراً، ويطلون على هذهِ الدنيا الهزيلة من وراء حجب الخلود ساخرين من مهازلها، ضاحكين من الاعيبها وأباطيلها، إنهم أولياء الله.

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

ان هذهِ الذكرى الحبيبة لهي إحدى الذكريات الخوالد التي عقد من أجلها هذا الحفل الكريم، انها ذكرى بطل الإباء وأبي الشهداء في عيد مولده الباسم الجميل الذي أطل على الدنيا كاشراقة الأمل يبعث فيها الحق والحب والخير والجمال.

لقد كانت حياة الحسين بن علي عَلَيْهِ السَّلاَم مدرسة خط بها للأجيال المتعاقبة نهجاً لأحباً يعمره الإيمان الصادق، وينيره الجهاد المقدس، وتزين جوانبه مثل نادرة من الشمم والمروءة والنبل والإباء والبطولة قل أن نجد لها مثيلاً في تاريخ الأباة الأبطال.

إنّ قضية ميلاد البطل الشهيد لهي قصة الطفرة في الوجود الإنساني، الطفرة التي أخرجت للناس نموذجاً فريداً للإنسانية العجيبة التي خرقت بمعجزها سنة الحياة وقلبت سلم التطور أعلاه أسفله، وراحت ساخرة بمنطق الزمان والمكان سخرية منقطعة النظير.

الحياة والموت سنتان طبيعيتان وليست العبرة في أن يولد إنسان ويموت إنسان، بل العبرة فيمن يولد فيولد معه للإنسانية عهد جديد، ويموت فيحيا بالموت في مرايا العقول، وخفقات القلوب، ونبضات الأفئدة.

كان عهد الحسين عهداً تقابلت فيه الفضيلة والرذيلة في ميدان صراع عنيف تجلت فيه الفضيلة بأبهى صورها، وبرزت فيه الرذيلة في أقبح وجوهها وقدر للأولى أن تفوز بنصرها الخالد، والثانية أن تفوز بنصرها الموقوت، وشاء الله أن تكون الحياة الخالدة نصيب أولئك الذي كتبوا بدمائهم الغالية للأجيال المؤمنة آيات المجد والخلود.

إنّ الّذين وقفوا في وجه الظلم وناصبوا الطغاة المستبدين في الدنيا كثير، ولكن قل منهم من استطاع أن يشق صدور الظالمين ويستخرج من أجوافها قلوبهم النتنة ليكشف للناس ما فيها من جرائم وآثام.

إنّ أصحاب الجرائم كثيراً ما يحاولون كتم جرائمهم فيخدعون الجماهير بما يتظاهرون به من دفع عن الدين والوطن، وغيرة على المصلحة العامة، وحب لجمع الكلمة انهم يلبسون جرائمهم هذهِ ألواناً من ثياب الرياء الخداعة، ليسبغ عليهم الناس الثناء والمديح الكاذبين، ولترتفع حناجر ضعفاء النفوس لهم بالهتاف وأكف من يريد الزلفى منهم بالتصفيق ولو إلى أجل قصير.

ولئن استطاع معاوية أن يخدع جمهرة من المسلمين بما كان يدعيه من طلب بدم الخليفة المظلوم، لقد استطاع الحسين بن علي أن يفضح جرائم البيت الأموي الذي

حول الإمامة الإسلامية إلى ملك موروث يستمتع به يزيد وأمثال يزيد ممن حكّموا أهواءهم في رقاب المسلمين، وأنفقوا مال الله في سبيل ملذاتهم وشهواتهم، لقد فضح الحسين ذلك كله للعالم الإسلامي كلّه، فأبان ما انطوت عليه قلوب أولئك الساسة الذي حكموا الناس بغير رضا منهم وساسوهم بالإرهاب والتقتيل من جرائم وآثام تهبط بالبشر السوي إلى ما لا نظير له من شريعة الغاب المتوحش.

لقد كانت تلك السياسة الخرقاء الجائرة سبباً في اضطراب الحكم في العالم الإسلامي حتى يومنا هذا.

أجل لقد أصبح الحكم اليوم في العالم الإسلامي مشكلة المشكلات، ومازال الناس يتساءلون عن النظام الأفضل الذي ينبغي العمل، لسياسة الناس سياسة تضمن لهم مصالحهم، وتدفع بهم إلى مجالات الخير والأمن والسعادة.

وقد ذهب عن هؤلاء أن قضية الحكم ليست قضية تشريع فحسب بل هي قضية ذات وجهين: أحدهما يتصل بنظام الحكم وثانيهما يتصل بالهيئة الحاكمة وهنا تكمن المشكلة.

زعموا أن علياً عَلَيْهِ السَّلاَم وقد رأى أهل الشام يحملون المصاحف على الحراب ويدعون أهل العراق إلى تحكيم القرآن ـأخذ بيده مصحفاً وجعل يفتحه ويطبقه وهو يقول: انطق انطق! فقيل له وكيف ينطق يا أمير المؤمنين؟ فقال: ان هؤلاء يزعمون ذلك وما دروا أنّ الّذين ينطقون به إنما هم حملته العاملون به وهذا يعني ان النظريات السياسية في الشريعة والقانون لا عبرة بها إذا ظلت سراً في رؤوس أصحاب السياسة وبطون كتبهم ما لم تبرز إلى ميدان العمل، ويجتنِ الناس ثمارها، وهذا يجرنا إلى الوجه الثاني من مشكلة الحكم مشكلة الإمام الذي ينبغي أن يستمد سلطانه من سلطان الله وإرادته من إرادته.

يقول الإمام الحسين بن علي عَلَيْهِ السَّلاَم:

(ما الإمام إلاّ العامل بالكتاب، الآخذ بالقسط، الدائن بالحق الحابس نفسه على ذات الله).

ويقول النّبي الأعظم محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم:

(إنّ أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل أشركه الله في حكمه فادخل عليه الجور في عدله).

هذهِ هي المشكلة - يا سادتي - مشكلة الحكم التي يرزح تحت ثقلها شعوب الأرض جميعاً بوجه عام والشعوب العربية والإسلامية بوجه خاص. وما تضحية الحسين إلاّ ثورة على مشكلة الحكم الذي أصبح طعمة للآكلين ومنتقماً للحاقدين وطريقاً إلى انتهاب اللذات، وإشباع الشهوات.

ونحن إذْ نحتفل بهذه الذكرى المقدسة ذكرى مولد البطل الثائر - فإنما نحاول أن نتخذ منها دروساً في العزة والكرامة والثورة على الحكم الجائر.

وجهاد الحسين وصبره واستبساله وتضحيته.. كل هذهِ مما ينير لنا الطريق إلى حياة حرة كريمة ترى أنّ الحياة الذليلة خير منها الموت الزؤام وعسانا نوفق إلى أن نكون آخذين بنص ما يقول الحسين:

«لا نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام».

والله ولي التوفيق(١).

---

(١) ذكرى المولد - منشورات مكتبة الحكيم العامة - البصرة - ١٣٨٣هـ/ص١٤.

حيوية الإسلام

بقلم: الأستاذ قيس القرطاس

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى إخوانه الانبياء والمرسلين إبراهيم وموسى وعيسى وعلى آله الأبرار وصحبه الأخيار وعلى من دعا بدعوة الإسلام وذاد عن حماها وترك سواها إلى يوم الدين.

أيُّها المسلمون السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أيُّها السادة:

لست خطيباً من الخطباء، ولا شاعراً من الشعراء ولكنه فضل غمرتني به لجنة الاحتفال فلم أشأ أن أحرم نفسي منه وإن كنت أخشى أن تكون نفوسكم وقلوبكم غير مستعدة لسماع كلمتي أو لا تجد مكاناً في أفكاركم بعد أن استمعتم إلى هذا العدد من الكلمات والقصائد ولكنني في موقف لا يمكن أن أتراجع عنه.

أيُّها المسلمون: إن كنا نحتفل بهذه الذكرى فإننا نعلم علم اليقين أن الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم لم يكن يطلب منصباً ولا جاهاً ولا سلطاناً، وإنما خرج مجاهداً في سبيل الله. وان هذهِ الحقيقة نستشعر منها عبرة حية هي حيوية الإسلام القوية في تقديم النماذج تلو النماذج والأبطال تلو الأبطال عبر القرون الممتدة على تطاول الزمان..

حيوية الإسلام هي المعنى الذي أود أن نستشعره من هذهِ الذكرى حيوية الإسلام هي التي تجعلنا نقيم هذهِ الاحتفالات. وإذا لم تكن للإسلام حيوية وقوة دافعة، فمن أين للإسلام هؤلاء الأتباع الّذين يحرصون على إقامة هذهِ الذكريات. وإذا لم تكن للإسلام هذهِ الحيوية، فمن أين لنا هذهِ النماذج لكي نحتفل بها ونفخر بها على رؤوس الأشهاد. ونحن إذْ نتحدث عن هذهِ الخاصية التي توحيها هذهِ الذكرى ويوحيها احتفالنا بهذه الذكرى، هذهِ الخاصية التي ينفرد بها الإسلام عن غيره من المبادئ التي تتطاير كما تتطاير الفقاعات في الهواء، فإنما نستشعر سيرة هؤلاء الغر الميامين فنحاول أن نترسم خطاهم ولو لحظات قصيرة في هذا الاحتفال، لقد كان الإسلام حياهم وكان الإسلام حديثهم، فليكن الإسلام حياتنا وحديثنا، وإذا لم يكن الإسلام حياتنا فليكن الإسلام حديثنا على الأقل وحيوية الإسلام خاصية من خواص الإسلام شهد بها الأعداء قبل الأتباع. واليكم شهادة من القديم، شهادة أكبر عدوين من أعداء الدعوة الإسلامية في ذلك الحين، أبي سفيان زعيم قريش واكبر المتصدين للدعوة الإسلامية قبل أن يعلن إسلامه، وهرقل قيصر الروم صاحب أكبر إمبراطورية في ذلك العهد، كان أبو سفيان في تجارة مع جماعة من قريش في بلاد الشام فأرسل إليهم هرقل وسألهم بواسطة ترجمانه: أيكم أقرب نسباً إلى هذا الرجل الذي يزعم انه نبي؟

فقال أبو سفيان: أنا.

فقال هرقل لحاشيته: أدنوه مني ثمّ اجعلوا بقية الركب خلفه.

وقال هرقل لبقية الركب: إني سائل هذا الرجل أسئلة، فإن كذبني فكذبوه.

يقول أبو سفيان فيما بعد: لقد أردت أن أكذب لولا مخافة أن يكذبن بقية الركب.

قال هرقل: كيف نسبه فيكم؟ أجاب أبو سفيان: هو فينا ذو نسب.

سأل هرقل: هل قال هذا القول أحد قبله؟ أجاب أبو سفيان: لا.

سأل هرقل: هل كان أحد من آبائه ملكاً؟ أجاب أبو سفيان: لا.

هرقل: أأشرف القوم اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ أبو سفيان: ضعفاؤهم.

هرقل: هل يزيدون أم ينقصون؟ أبو سفيان: بل يزيدون.

هرقل: فهل يرتد أحد منهم سخطه لدينه بعد ما يدخل فيه؟ أبو سفيان: لا.

هرقل: فهل يغدر؟ أبو سفيان: لا.

هرقل: فهل كان يكذب قبل أن يقول ما قال؟ أبو سفيان: لا.

هرقل: فبماذا يأمركم؟ أبو سفيان: يأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً ويأمرنا بالصلاة والصدقة والصدق والعفاف.

قال هرقل: لقد سألتك كيف نسبه فيكم؟ فأجبتني: هو فينا ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها.

وسألتك: هل قال هذا القول أحد قبله؟ فأجبتني: لا. ولو قلت: نعم. لقلت رجل يتأسى بقول قد قيل قبله.

وسألتك: هل كان أحد من آبائه ملكاً؟ فقلت: لا. ولو قلت: نعم. لقلت: رجل يطلب ملك أبيه.

وسألتك: أأشرف القوم اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ فأجبتني: ضعفاؤهم، وهم أتباع الرسل وسألتك: هل يزيدون أم ينقصون؟ فأجبتني: بل يزيدون وكذلك أمر الإيمان حتى يتم.

وسألتك: هل يرتد أحد منهم سخطه لدينه بعدما يدخل فيه؟ فأجبتني: لا. وكذلك أمر الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب.

وسألتك: هل يغدر؟ فأجبت: لا وكذلك الرسل لا تغدر.

وسألتك: فهل كان يكذب قبل أن يقول ما قال؟ فقلت: لا. فقد كنت أعلم أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله.

وسألتك: فبماذا يأمركم؟ فأجبتني: انه يأمرنا بعبادة الله، وترك عبادة الأوثان، ويأمرنا بالصلاة والصدقة والصدق والعفاف، فإن كان حقاً ما تقول فسيملك موضع قدمي هاتين.. وقد كنت أعلم انه خارج فيكم، ولو كنت أعلم اني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه.. ولم يقبل كبراء الروم نصيحة هرقل بقبول الإسلام، وخشي هرقل أن يخالف رأيهم، فكان إيذاناً بزوال هرقل ودولته من مسرح التاريخ وزحف الإسلام إلى مشارق الأرض ومغاربها بحيويته وقوته.

تلك الحيوية التي شهد بها الأعداء الجدد أيضاً.. يقول لورنس ئي مبروان الكاتب الانجليزي في كتابه (مطامح الإسلام) والكتاب مطبوع سنة ١٩٤٤. يقول فيه:

«إنّ الإسلام يختلف عن دين اليهود أن الإسلام دين دعوة فهو ينتشر بين النصارى أنفسهم وبين غير النصارى»[١].

(١) ذكرى المولد – منشورات مكتبة الحكيم العامة – البصرة – ١٣٨٣هـ/ص٥٤.

ميلاد وليد بيت النبوة

بقلم: محمد هادي الدفتر

رئيس تحرير مجلة مدينة العلم

سيدي الإمام!.

سادتي الأكارم!.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

جرت العادة أن تقام احتفالات في ذكرى موالد العظماء ممن لهم أثر في الحياة يعم أو يخص نفعه ليستوحي من تلك الاحتفالات العبر ولتكون محفزة للهمم وداعية لانتهاج طريق العمل، وهي بعد اعتراف بالفضل لأهل الفضل وإكبار لشأنهم.

والإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه لا يشبه واحداً من هؤلاء العظماء ولا يشبهه واحد منهم لأنه سلام الله عليه قد أربى على كل ذي خطر ومقام، وبذ كل ذي مكانة ومنزلة، وفاق الناس أجمعين في القديم والحديث وإلى ما شاء الله خلا جده وأبيه.

يولد الإنسان ولا يدري هل سيكون عظيماً أو يكون مغموراً لا شأن له في مجتمعه وبين قومه ولا فرق بين أن يكون هذا المولود من أسرة ذات مكانة عالية ومنزلة رفيعة أو يكون من أسرة ضعيفة لا تأريخ لها ولا مقام.

وكم من مولود من البيوت العالية ينشأ ويكبر حتى يموت فلا يخلد له ولا لقومه ما يستوجب ذكراه بالحسنى. وكم من مولود من البيوت الخافتة ينشأ ويكبر ولا يموت حتى يحدث دوياً في أفقه وفي آفاق الناس تردد صداه الأيام والسنون من بعده بالمآثر والمحامد. فيسجله التأريخ في أبطاله وتحمله الدنيا في عين قلادة أعياناً. وكل امرئ مجزمّاً بعمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

والحسين سلام الله عليه ابن رسول الله من خير أرومة، وأشرف جرثومة، وأقدس بيت، وارفع مكان، وأجل منزلة، وأصفى محتد، وأنقى أصل، وأينع شجرة وأزكى غرس، فهو نسيج وحده في شرفه ومقامه ومنزلته. فأراد وأراد الله له أن يكون كذلك في اتجاهه، وسلوكه، وفي نفسه، وفي عمله، وفي دينه، وفي إبائه، وفي جهاده وفي تفانيه، وفي جوده، وفي كرمه، وفي صبره، وفي جلده، وفي ثباته، وفي تضحيته، وفي كل خلة من خلال الخير، ومزية من مزايا الفضل، ولا غرو فهو الإمام المعصوم من أهل البيت الّذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

لذلك فإن أفق الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم أوسع من أن يحيط به إطراء أو مديح أو يستوعب بعض امتداد القول واتساع الكلام وبليغ العبارات.

ولد صلوات الله وسلامه عليه في بيت النبوة، وحجر العصمة، وعرين الشجاعة، وحوزة العلم، وموئل الجود، ومجالي الكرم، وأوج العزة، وسماء الرفعة، واجمة الإباء، وأعراف التضحية، وقلل الإيمان، وهامات السؤدد، ورؤوس الإقدام.

فنشأ سلام الله عليه في هذهِ المشارق المضيئة على صدر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم وفي حجر أمير المؤمنين علي عَلَيْهِ السَّلاَم وفي أحضان أمه الزهراء البتول بضعة المصطفى صلوات الله عليها.

فكان سلام الله عليه المثال الفرد في كل منقبة والمثل الأعلى في كل مزية محل

الغبطة والحسد ومورد الثقة والتعظيم.

وابتلى الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم من طفولته إلى حين استشهاده بما لم يبتل به العظماء من الرزايا والمحن والشدة واللأواء ولكنه لم يكن يعبأ بتلك الهبوات السوداء التي كانت تعصف من حوله بل كان يبدد دجناها بنوره، ويضيء حلكها بإشراقه فتنكشف عنه متبددة كما تنكشف الغيوم المتلبدة بريح الشمال.

كان الحسين سلام الله عليه الشوكة التي تشوك بني أمية والسنان النافذ الذي يوخز قلوبهم والصارم الصائك الذي شدخ رؤوسهم فكانوا لا يرتاحون لظله ويأمنون من وجوده.

وكان الحسين الجبل الراسخ والعلم الخفاق الذي يسبغ ظله على أهل الدين وعلى الإسلام والمسلمين، فكان متجه أنظار الأمة الإسلامية وحامي حمى الدين. حتى أذن الله له فبرز إلى مضجعه، موفور الكرامة محمود النقيبة شارقاً بدمه في ذات الله من أجل حماية الإسلام وتجديد شباب الدين الذي أخلق ديباجته الّذين نزوا على منبر رسول الله من دون حق واغتصبوا الأمر من أهل البيت.

كان بنو أمية يعلمون أنّ الحسين ليس كواحد من الرجال الّذين تلين لهم قناهم وتترطب صلابتهم فكانوا يتربصون به الدوائر ويريدون له الوقيعة لكي يخلوا لهم الجو فيعملوا على محو الإسلام والقضاء على الشجرة الطيبة العلوية فيأمنوا على الملك الذي وصل إليهم من طريق الخروج والمروق على أمر رسول الله والدين. وكان الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم يدري بما يبيتونه له ويعرف ما يدب إليه من عقاربهم ومن يمشي منهم الضر ويدب الخمر.

فوطّن نفسه على مقابلة الأمر العظيم وتحطيم الدس اللئيم، والخبث الداعر، والإلحاد الصارخ بما يملك من مهجة وما ينفس من أهل وولد وأخوة وأصحاب، حتى

اختاره الله إليه بعد أن أفل مجد أمية وفتح عليها أبواب الخراب والدمار والخزي والعار. وفتح للدين والمسلمين أبواب الحياة إلى يوم الدين.

ونحن الآن إذْ نحتفل بذكرى مولده الميمون فإنما نحتفل بمجد محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والتسعة المعصومين من ذرية الحسين ونحتفل بإباء الضيم. وبالكرم والجود وبالمزايا الإنسانية،والعبقرية القدسية والشجاعة الحيدرية وبحياة دين محمد وآل محمد، إذْ لولا الحسين بعد جده وأبيه وأمه وأخيه لما بقي للدين من علم ولا قامت له من دعامة لما عمل الأمويون من سوء وما اجترحوا من سيئات وما ارتكبوا من مآثم وما شرعوا في الإسلام من موبقات والحسين وحده هو الذي فل حدهم وكسر غربهم وأفنى على غطرستهم، ومحق كفرهم وفجورهم من الناس. وألبس دين الله الحلة القشيبة بما نسجه له من دماء مهجته في كربلاء.

فذكرى مولد الحسين ذكرى لكل مجد إسلامي من جهاد وتضحية وكفاح ومثل عليا، فلتعش ذكرى الحسين في ميلاده، ولتعش ذكرى الحسين في استشهاده والسلام(١).

(١) مجلة مدينة العلم – الكاظمية – ج٢ – السنة الأولى ١٩٥٤م / ص١٩٦.

مولد البطل الثائر

بقلم: سلمان الصفواني

صاحب جريدة اليقظة

سادتي:

حينما يتولى الأشرار شؤون البلاد، ويسود الظلم ويشيع الفساد، وتعم الفوضى ويختل النظام وتتبدل القيم والمقاييس، ويصبح الحق باطلاً والباطل حقاً، والجور عدلاً والعدل جوراً، حينئذ يتطلع الناس إلى قائد يفتح لهم باب الأمل، إلى إمام يهديهم سواء السبيل، إلى زعيم يجمع الصفوف ويوحد الكلمة، إلى مجاهد يضع المبدأ نصب عينيه، ومصلحة الأمة فوق كل مصلحة ثمّ يطلب الموت لتوهب له الحياة، ويخلد مع الخالدين.

هذا القائد، هذا الإمام، هذا الزعيم، هذا المجاهد.. هو الذي يكتب تاريخ الأمة، ولكل أمة تاريخ، ولا تاريخ لأمة لا عظيم لها. والتاريخ الذي يكتبه العظيم مدرسة الأجيال وحكمة العصور، يملي علينا العظة البالغة، فنستلهم منه العبرة والصواب وليست الذكريات التي تعاد مر القرون والآباد إلاّ من أجل ذلك: تذكر الناس بما كان، وبما يجب أن يكون!

وهانحن أولاء الآن نستعيد إحدى هذهِ الذكريات العزيزة على نفوسنا، الخالدة في تاريخنا هي ذكرى ميلاد سيد الشهداء وأبي الأحرار الإمام السبط الحسين بن علي عَلَيْهِ السَّلاَم ونقول جازمين: إنه ليس في تاريخ العظماء والأحرار ما تمكن مقارنته بتاريخ الحسين الشهيد.

لقد جمع الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم المجد من أطرافه: نسباً وحسباً، وعلماً وأدباً وكرماً وحلماً، وشجاعة وإباء، وإيماناً وتضحية حتى ضرب به المثل في ذلك كله.

ولي يزيد أمر المسلمين بعد موت أبيه معاوية، ولم يكن يزيد أهلاً لذلك، فقد كان شاباً ماجناً مستهزأً سكيراً فاجراً فعظم هذا الأمر على الإمام الحسين كما عظم على المسلمين جميعاً. وبين المسلمين كثير من أصحاب النّبي وأولادهم ممن لا يقرن يزيد بأحد منهم في حال من الأحوال، إلاّ إنهم جميعاً آثروا السلامة فكظموا غيظهم في صدورهم وقبعوا في دورهم وذلك أضعف الإيمان. وكان معاوية قد عجم عودهم وخبرهم في حياته فلما حانت منيته قال في وصيته ليزيد: إني لا أخشى عليك إلاّ من ثلاثة نفر وفي طليعة هذا النفر الحسين بن علي عَلَيْهِ السَّلاَم.

فحين طلب الولاة من الناس أن يبايعوا يزيد لم يرفض أحد منهم البيعة علانية ويأباه إلاّ الإمام الحسين بن علي عَلَيْهِ السَّلاَم وقال:

كيف يبايع مثلي يزيد شارب الخمور وراكب الفجور؟!

وكان هذا الرفض بداية الجهاد والاستشهاد.

لم يعتصم الإمام الحسين بالمسجد النبوي في المدينة ويعتكف على قراءة القرآن مثلما فعل عبد الله بن عمر. ولم يلذ بالكعبة في مكة يترقب تطور الحوادث كما فعل عبد الله بن الزبير. وإنما رحل بأهله وذويه وصحبه إلى العراق ليواجه الموقف بحزم. ويضع حداً للاستهتار بالأمة ودينها وحريتها وحقوقها وكرامتها. وليس فيما حدث بعد ذلك ما تحتاجون إلى تذكيركم به فقد وقف الحسين وقفته المشهورة في كربلاء وحدثت المأساة التاريخية الدامية التي قوضت نتائجها حكم بني أمية.

قلت في صدر هذهِ الكلمة: إن لكل أمة تاريخاً وإن لا تاريخ لأمة لا عظيم لها، وإن العظيم هو الذي يكتب تاريخ الأمة، فإذا ما احتفلنا اليوم بذكرى ولادة الإمام

السبط أبي عبد الله الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم فإنما نحتفل بالتاريخ الضخم الذي كتبه هذا العظيم بحياته وسيرته وعلمه وجهاده واستشهاده، غير أننا ونحن نستعيد هذهِ الذكرى العطرة، لا يجوز لنا أن نقتصر فيها على مجرد الالتذاذ بالاحتفال، أو الالتذاذ بمجرد الاستماع إلى سير البطولة الفذة والتضحية المثالية من دون أن يكون لنا من ذلك درس ومن دون أن يكون لنا في ذلك عبرة! فيصدق علينا ما قاله مستشرق فرنسي في مناسبة كهذه. أفتدرون ماذا قال؟

قال هذا المستشرق: حضرت أحد مجالس التعزية في الهند، فسمعت الخطيب يقول، أيها الناس، إن سيدنا ومولانا ومقتدانا أبا عبد الله الحسين بن علي قد ضحى بنفسه وأهله وعياله وأطفاله ولم يعط بيده إعطاء الذليل ولم يفر فرار العبيد. أما أنا فعلمت بأن الخطيب يلقي على القوم درساً بليغاً، إنه يقول لهم: يا أهل الهند إذا أردتم أن تكونوا أحراراً وإن لا يكون للأجنبي سلطان عليكم فاقتدوا بمثل هذا الرجل العظيم. ولكن الخطيب والمستمعين – على قول المستشرق الفرنسي – لا يدركون مغزى هذا القول، ولا يفكرون إلاّ في البكاء والتباكي والثواب الأخروي وهم لا يعرفون إن كل عمل مادي لابد من أن تكون له نتيجة مادية أيضاً مضافاً إلى الثواب.

وإذا كان الشيء بالشيء يذكر فجدير بي أن أشير إلى ملاحظة ثانية وردت على لسان مستشرق آخر. قال: إن مجالس التعزية (مؤتمرات مجانية) فحسب المرء أن يعلن عن عزمه على إقامة مجلس للعزاء في المكان الفلاني والساعة الفلانية فيقصده الناس من كل جهة ولا يكلفه ذلك غير قليل من السكاير والقهوة. وما أكثر المؤتمرات المجانية عند المسلمين لو إنهم أرادوا الاستفادة منها في دراسة شؤونهم ومعالجة مشاكلهم في وقت لا نستطيع فيه نحن الغربيين أن نعقد مؤتمراً من أفراد معدودين إلاّ بشق الأنفس وبذل الجهد والمال.

والآن فلنتساءل: ماذا تعلمنا من إحياء الذكريات وعقد هذهِ المؤتمرات وقد تورثناها أباً عن جد منذ أجيال عديدة، أين التضامن والإخلاص. أين الصدق

والفضيلة، أين الإباء وعزة النفس، أين العقيدة والتضحية؟ وبكلمة واحدة: أين من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؟

أجل آن لنا أن نسأل ماذا تعلمنا من إحياء الذكريات وعقد المؤتمرات؟ ولعل شيخنا واستأذنا العلامة الخالصي يتبسط في شرح هذهِ الناحية بما أوتي من بلاغة في القول، وقوة في المنطق.

وعلى أي حال. فإني أعتقد أن أكثر الناس لم يدرسوا حياة الإمام الحسين على النحو الذي يجب أن تدرس بها حياة عظيم مثله ولم يتبينوا مقاصده السامية على النحو الذي يجب أن تعرف به تلك المقاصد ولو درست حياة الإمام عَلَيْهِ السَّلاَم دراسة واقعية صحيحة وفهمت مقاصده فهماً صحيحاً لكان حال العرب والمسلمين غير ما هو اليوم.

ولما استبدلنا بالعز ذلاً وبالصراحة نفاقاً، وبالشجاعة بكاء، وبالصبر جزعاً، وبالرجولة استسلاماً وعبودية. وإنه لمن العجيب أن نسمع الخطباء يرددون على أسماعنا في كل يوم وساعة أقوال الإمام الحكمية: كقوله:

«**المنية ولا الدنية**».

ومثل قوله:

«**وحجور طابت وظهور طهرت لتؤثرن مصارع الكرام على طاعة اللئام**».

ومثل قوله:

«.. **إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون يوم المعاد فكونوا أحراراً في دنياكم**».

فتدخل هذهِ المأثورات الكريمة من أذن وتخرج من أذن أخرى ولا يعلق منها في نفوسنا شيئاً. ثمّ نقول بالسنتنا فقط:

(**ليتنا كنا معك فنفوز والله فوزاً عظيماً**)[1].

---

(١) مجلة مدينة العلم – الكاظمية – ج٢ – السنة الأولى ١٩٥٤م / ص١٩٩.

الثائر الأول في الإسلام الحسين بن علي عَلَيْهِ السَّلَام

بقلم: الأستاذ شاكر الغرباوي

صاحب مجلة البطحاء

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾.

عن الطبري في تاريخه في مسيرة الحسين إلى كربلاء وقف خطيباً في موضع يقال له (ذوحسم) فقال:

(ألا ترون إن الحق لا يعمل به، وأن الباطل لا ينتهى عنه ليرغب المؤمن في لقاء الله مخلصاً فإني لا أرى الموت إلاّ سعادة، والحياة مع الظالمين إلاّ برماً)... (إن الناس عبيد الدنيا؛ والدين لعق على ألسنتهم يحيطونه ما درت معايشهم فإذا محصوا بالبلاء قل الديانون..).

[تحف العقول].

من المؤلم حقاً أن نقرأ تاريخنا أو نكتبه من دون أن نعيشه ونحياه، وتمر بنا

الذكريات دون أن نعي قيمتها وحكمتها ونحسن استثمارها بحيث لا يبقى موضع للبدع والتضليل في حين إن واقعنا العربي، والقلق الذي يرافق إنسان العصر الحاضر الذي تتجاذبه مبادئ متنافرة، وعقائد متباعدة يقتضيان مثل هذا التفهم وذلك الإدراك...

وفي حياتنا العربية الإسلامية، مثل إنسانية عليا، وأخلاق حميدة تميزت بها لا تقف حيالها قيود أو حدود تمتشق من العربي فارساً شجاعاً، وأريحياً كريماً، رهن الإحساس، وأبياً شهماً يأنف الضيم والهوان.

وحين نحتفل بذكرى ملهم الأحرار، ومعلم الشهداء، والثائر الأول أبي الثوار في الإسلام، وإمام أصحاب المثل والعقائد، وسيد شباب الدنيا، سبط النّبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم وابن فاطمة الزهراء، الحسين بن علي عَلَيْهِم السَّلاَم.. نريد أن نعطي هذهِ الذكرى المعنى الذي كان سبباً في انطلاقة الحسين في حركته الخالدة، وأن نعمل على تدعيم قيمها الروحية، وتثبيت أهدافها التهذيبية الرفيعة، ونشر معطياتها، الخيرة البناءة... وأن نتفهم المجالات الفكرية والروحية والعملية والإنسانية لهذا البطل المسلم.

فإن نهضة الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم ولا ريب حركة إسلامية ثورية إصلاحية تهذيبية تتمثل فيه العبادة الإسلامية الواعية، ويتجلى فيها العمل الخالص لوجه الله والحق والكمال... ومدى التضحية في سبيل الدين كعقيدة تملأ النفس والوجدان، وتملك الوجوه والكيان، وكنظام يدفع للعمل المنتج من أجل أن يتبوأ الصدارة، ومركز العبادة وما يستلزم ذلك من تعبئة روحية ونفسية ضد الظالمين والمستبدين والهدامين لمبادئ الإسلام.

أما إنها ثورية فلأنها تهدف إلى القضاء على الأوضاع الهزيلة، ومظاهر الحكم الفاسد. وإنقاذ المعاني السامية التي غمسها يزيد في الوحل والطين، فجاءت تعبيراً صادقاً عن قوة الرأي العام وخطره مهما كان عنف السلطة وشدة بطشها.

وكان الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم في إنكاره على يزيد وفي حركته الثورية هذهِ يمثل

شعور شعب حي متيقظ، ويجسد أماني أمة مقيدة اليد، مكمومة الفم، في حقها بالحياة الحرة الكريمة...

وكان خصومه فيما عمدوا إليه من أساليب العنف ووسائل البطش والقوة، في غير ما حق أو شبهة حق، تعطي لهذه الثورة سندها الشرعي كرد فعل طبيعي للحركات الناجمة عن فساد الحكم ونضوج الشعب، ورغبته الأكيدة في الإصلاح.

فهي ثورة بكل معانيها ومميزاتها، وبعث تفجر معه الإسلام كالبركان الثائر يحمل الدماء على الضمائر الميتة، والسيف في وجه الحكم الجائر، والموت للنفوس الآثمة تريد أن تطفئ جذوة الإسلام وقبس الإيمان، وهيهات أن تجبن أو تضعف النفوس الأبية، والقلوب الحية، والأنوف الحمية...

وكانت انتصاراً للإسلام من أتباعه، كما كانت هجرة جده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم استنصاراً للدعوة الإسلامية من أتباعها.

وأما إنها إصلاحية تهذيبية فلأنها قصدت إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحمل الناس على السبيل المستقيم، وهدفت إلى أن تمحي الآلهة من الناس، وأن تحول دون أن يستعبد الإنسان الإنسان.

وفي حياة الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم من فضائل النفس، وسمو المعاني، ورفيع النسب وشرف الجهاد في سبيل العقيدة ما ينبغي أن يكون قدوة للشباب المسلم المتوثب نحو ذرى المجد، وقمم المعالي، وفي حركته من الطاقات ما يؤهله للقيادة وما يصيرها عبر الحقب والسنين ثورة فكرية وروحية قادها الأئمة عَلَيْهِم السَّلاَم من ولده وحمل لواءها زعماء الإصلاح من العرب والمسلمين يصارعون البغي والطغيان، ويكافحون الإثرة والاستبداد والتفسخ الديني والخلقي والاجتماعي.

وشد ما أمعنت في إيذاء الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم كما أمعنت قريش في إيذاء جده رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم في شخصه وأهله وولده وصحبه وحواريه وإنها

لكبيرة على النفس الإنسانية أن تتحمل العنت والإرهاق ما تطيق وما لا تطيق.

فليس من المألوف أن يسكت العربي على الضيم والهوان فكيف بالصفوة المستنيرة، والعلية الرفيعة تفتن في دينها وتستضعف في وطنها.

إنها ولا شك مشكلة معقدة تتطلب الحل السريع الحاسم فكان أن حضى أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلاَم ورهطه في الطريق المستقيم...

ومن أجل ذلك كان الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم أول ثائر في الإسلام.

والى هذا المعنى الأزلي القدسي الذي تحمله الذكرى قصدنا في عرض حياة الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم أبي الثوار، والكوكب الذي اختفى في الأحزان، وترك تلك الألوان المثالية الرائعة تنسدل بشفقها المشع على الحياة الإنسانية وتسير ركب الخلود إلى الابد...

وعلى الدهر من دماء الشهيدين علي ونجله شاهدان
فهما في أواخر الليل فجران وفي أولياته شفقان
ثبتا في قميصه ليجيء الحشر مستعدياً إلى الرحمن

وفي تواضع الزاهدين وتضحية الشهداء والقديسين يتوارى الإمام الناسك الثائر ليترك لنا عبراً وعظات ودروساً في التضحية والفداء تظل مناراً للأحرار والمصلحين.. ويبقى هو بعد ذلك الصورة الصادقة للمسلم المؤمن بإسلامه كعقيدة وكنظام... والإمام للقادة المستشهدين من أجل خير الإنسانية المتعطشة دائماً وأبداً إلى دماء الشهداء.

وستظل نهضته في أغلب الظن المثل الأول في التاريخ. كما هو الثائر الأول أبو الثوار في الإسلام.

فخذوا معاني العظمة من عظمة الحسين عَلَيْهِ السَّلاَم...

وخذوا مبادئ الوحدة والأخوة، والصلاح من مبدأ الحسين[1].

(١) مجلة التضامن الإسلامي – الناصرية – العدد – ١و٢ – السنة الثالثة – ١٩٦٦م /ص١٦.

قصة ميلاد

بقلم: الأستاذ محمود محمد الحبيب

كانت طلائع الفجر العسجدية تتسلل بهدوء من بين الكثبان الرملية والجبال العالية فتدمر أمامها فلول الليل المؤهنة، ولم تمض ساعة واحدة، حتى كانت ذكاء قد استوت على عرشها ضاحكة الأنوار وقد أحالت الصحراء إلى معبد قدسي ارتفعت منه الأناشيد والتراتيل الجميلة المنبعثة من موسيقى الانسام، وحداء أدلاء القوافل، وأغنيات الدعاء، وثغاء الشياه، وزقزقة العصافير وشدو الحمائم... فاستيقظت المدينة الراقدة، ونفضت أبناءها إلى رحاب الشوارع وأروقة المساجد، وزحمة العيش، وصيال الكدح.

وفي إحدى دور «بني هاشم» كان الداخل يرى شخصاً مهيب الطلعة، وضاح الجبين، وفي سيماه عنفوان الرجولة، وفي اهابه صولة الليث... وقد أفاضت عليه حلاوة الإيمان هالة من مهابة، وإكليلاً من وداعة هادئة تسري إلى القلب، فتود لو اطلعت إليه النظر دون أن يدركك الملل..

كان ذلك الشخص جالساً وهو ينكث الأرض بعود في يده، وقد انصرف بخواطره عن كل شيء اللهمّ إلاّ ما شغل باله، واستحوذ على مشاعره وهيمن على كل رجاحة فيه.

كان قلقاً يرمق السماء ذات الأديم الأزرق الصافي أحياناً كشاعر حالم ثمّ يرتد

ببصره إلى ما حوله، فيلمح ابن عمه المصطفى جالساً إلى جانبه، وقد التفّ حوله فتيان بني هاشم وشيوخهم وهم ينظرون إليه بأعين تنطق بالتشجيع، وتلطف ثورته الحبيسة، ثمّ ترصع شفاههم ابتسامات ألذ من النسيم وأعذب من الماء السلسبيل في فم صاد ضل في بيداء قاحلة.

كان الرجل يحاول بدوره أن يغتصب ابتسامته رداً عليهم، ولكنها وإن رصعت فاه فهي لا تخلو من شحوب لما يحسه من اضطراب داخلي..

كان الموقف حرجاً، وقد أدرك الجالسون ما فيه من توتر في الأعصاب، ووجيب في القلوب، واندفاعات في الخواطر التي تأبى الاستقرار، إلاّ في شخص واحد هو النّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم فهو الرجل الوحيد الذي شعر باطمئنان عميق يؤنسه في هذا الجو الملبد بالأزمات النفسية... فالاتصال الروحي بالسماء كشف أمام ناظريه ما استخلف على سواه من أسرار المجهول.

ثمّ غمره صمت عميق حدا الجالسين إلى السكوت حتى لتكاد تسمع دبيب الأنفاس في الصدر.

كان ما حدث شيئاً مخالفاً لسنن الطبيعة التي ألفها الناس بل أمراً غريباً جداً، فزوج الإمام علي عَلَيْهِ السَّلاَم فاطمة الزهراء قد أحسست بالمخاض وأوجاعه في شهر حملها السادس. وهذا حدث لم يقع في تأريخ النساء إلاّ في ولادة واحد لنبي كريم... كما إن علم الطب الحديث يؤكد لنا أنّ الطفل الذي يولد في مثل هذهِ الحالة لا يلبث أن يموت بعد دقائق من ولادته لنقص في نموه المتناظر إذْ لن يستكمل نموه وخلقه التام إلاّ في الشهرين السابع والتاسع..

إذن فما الذي ينتظر هذا المولود القادم قبل الأوان إلى الحياة؟ هذا ما دعا الإمام إلى الاستجابة إلى العوامل النفسية المتضاربة، فتملكه الأفكار ولم يقر له قرار...

ومع ذلك فكلما صافحت عيناه عيني المصطفى ولاحظ توهجها الغريب، وتلك الغبطة التي ترف على محياه الزاهر، شعر بالراحة، ورانت عليه لذاذات هنيئة، ومتع روحية عميقة الأثر تطرد عن أفقه ما يغزوه من أشباح سوداء، فينقلب بعواطفه وجوارحه إلى ألف أذن وأذن، ويد السمع مرهفاً نحو غرفة زوجه، فلا يسمع إلاّ أصوات النساء النامة عن التشجيع وطلب الصبر والدعاء وغيره، فيود لو تصرمت هذهِ الدقائق السائرة ببطء لنحس من بعدها بسلامة المآب وروعة الخاتمة، وليطبع على جبين مولوده قبلة عميقة يودعها هذا الخضم من الشوق الزاخر في أعماقه كصخب شلال مندفع...

ولكن الدقائق تنطوي على مهل حتى ليخالها شيخاً يدب موهن الخطا وهي تسجل في طريقها آلاف الهواجس المرفرفة على محيا الوالد الذي ينتظر بشوق وحنين...

ما أروع هذهِ الصور الفنية، الدقيقة الخيوط، الرائعة الظلال التي نطق بها وجه الإمام، ففيها يرى فرحة الأب بطفله الجديد وجزع الزوج الخائف على مصير زوجه، ورهبة الإنسان العاجز أمام قوة المجهول الخفي، واطمئنان المؤمن إلى عطف الخالق، ثمّ صبر العبد على امتحان الله...

وهكذا اصطخبت عوامل الألم بالأمل، والخوف بالرجاء، والصبر بالإيمان، والضعف بالتجلد، والعجلة بالأناة والتريث...

وظل مسرحاً تمثل عليه أعنف الفصول، وهو مع ذلك الرجل العظيم، الكاظم لعواطفه، المنصرف إلى ربه في دعاء خافت وصلاة فكر، وتلاوة آي محكمات...

وبينما هو يضمضم بما يمنحه هدوء البال، واستقرار العاطفة، إذْ تعالت الأصوات من الداخل، وارتفع دعاء الهاشميات يبعث الرعشة في الأجسام لحرارته وانبعاثه من قلوب صادقة الولاء، فياضة المحبة.. فأحس أبو الحسن بأن قلبه يكاد يثب من بين

ضلوعه، وتدفقت الدماء حارة في عروقه، وتفصد جبينه بقطرات العرق البارد، فراح يمسحها بكف مرتجفة وهو يتضرع في سره إلى الله تعالى أن يخفف عن زوجه ألمها ومتاعبها، ويكشف عنها هذهِ السحابة الثقيلة... وأخذت روحه الحنون ترفرف حول الدار رفيف الطير حول وكناتها وفراخها.

هبطت إرادة السماء، فدوت في الدار الأغاريد، وعلا صوت البشير يهتف بمولد الطفل شبل حيدرة وحفيد محمد... فارتفع للهاشميات هتاف عال وتسبيح ذو نظم عذب.. هذا والفرحة الكبرى تسكب عليهم طراوة الحياة ومسراتها، وولد عيد سعيد في تاريخ آل محمد بمولد السبط.

أما الإمام... أما الأب المشوق، فقد أم زاوية في الدار شاكراً لله إحسانه... ثمّ هرول إلى الداخل والحنين الطاغي يسبقه خطوات فهنأ زوجه بالسلامة، ثمّ انحنى على المولود والتقت الشفاه الظامئة بالجبين الزاهر في قلبه خيل للحاضرين إنها قد استمدت قوتها من أعماق روح الإمام.

اهتزت المدينة لوقع المعجزة الكبرى، واكتضت دور بني هاشم والمساجد بالمسلمين المغتبطين بهذا العيد، وسرى النبأ يغزو الأمصار ففرح المحبون، أما الّذين تحجرت أفئدتهم فقد رج الخبر أفئدتهم رجاً...

وتمر بضعة أسابيع...

وفي ذات مساء في جلسة عائلية.. كان النّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم جالساً يحف به ابن عمه وابنته فاطمة وصفوة من ذوي قرباه، وقد أجلس الحسن والحسين (عَلَيْهما السَّلاَم) في حجره، وراح ينظر إلى الأخير نظرة طويلة بهت لها الجميع، ثمّ أخذ يقبله والدموع تنهمر من عينيه... فهتفت فاطمة عَلَيْها السَّلاَم:

«أبتي.. ما يبكيك».

ونظر علي عَلَيْهِ السَّلاَم إليه والسؤال يتراقص على لسانه...

نظر النّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم إليهم وإلى الطفل، وسبحت خواطره إلى المستقبل البعيد ثلج أبوابه، وتكشف عن أسراره وغوامضه في حياة البشر فإذا للحفيد قصة سطورها من دماء ودموع...

أما فاطمة وزوجها.. أما الحاضرون... فلبثوا ينتظرون الجواب.. ولكن النّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم انطوى على نفسه وانصرف بجوارحه كافة لقراءة سطور المجهول...

وارتمت الشمس خلف الجبال في ثوبها المعصفر، وهي تلقى أهدا بها الوردية على الأفق، ثمّ احتضن الكون ليل داج ترصعه نجوم ذات بصيص خافت...

هذا والنبي ما يزال مستغرقاً في صمته العميق[1].

(١) يوم الحسين (عليه السلام) الذكرى الرابعة - إعداد الهيئة الأدبية في البصرة - ١٩٥٠م /ص١٩٩.

محتويات



الباب الثاني

فجر التوحيد في مولد السبط الشهيد

إصدارات قسم الشؤون الفكرية والثقافية

في العتبة الحسينية المقدسة

ت	اسم الكتاب	تأليف
١	السجود على التربة الحسينية	السيد محمد مهدي الخرسان
٢	زيارة الإمام الحسين عليه السلام باللغة الانكليزية	
٣	زيارة الإمام الحسين عليه السلام باللغة الأردو	
٤	النوران ـ الزهراء والحوراء عليهما السلام ـ الطبعة الأولى	الشيخ علي الفتلاوي
٥	هذه عقيدتي ـ الطبعة الأولى	الشيخ علي الفتلاوي
٦	الإمام الحسين عليه السلام في وجدان الفرد العراقي	الشيخ علي الفتلاوي
٧	منقذ الإخوان من فتن وأخطار آخر الزمان	الشيخ وسام البلداوي
٨	الجمال في عاشوراء	السيد نبيل الحسني
٩	إبكِ فإنك على حق	الشيخ وسام البلداوي
١٠	المجاب بردّ السلام	الشيخ وسام البلداوي
١١	ثقافة العيدية	السيد نبيل الحسني
١٢	الأخلاق (تحقيق: شعبة التحقيق) جزئين	السيد عبدالله شبر
١٣	الزيارة تعهد والتزام ودعاء في مشاهد المطهرين	الشيخ جميل الربيعي
١٤	من هو؟	لبيب السعدي
١٥	اليحموم، أهو من خيل رسول الله أم خيل جبرائيل	السيد نبيل الحسني
١٦	المرأة في حياة الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ علي الفتلاوي
١٧	أبو طالب عليه السلام ثالث من أسلم	السيد نبيل الحسني

ت	العنوان	المؤلف
١٨	حياة ما بعد الموت (مراجعة وتعليق شعبة التحقيق)	السيد محمدحسين الطباطبائي
١٩	الحيرة في عصر الغيبة الصغرى	السيد ياسين الموسوي
٢٠	الحيرة في عصر الغيبة الكبرى	السيد ياسين الموسوي
٢١	حياة الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) ـ ج١	الشيخ باقر شريف القرشي
٢٢	حياة الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) ـ ج٢	الشيخ باقر شريف القرشي
٢٣	حياة الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) ـ ج٣	الشيخ باقر شريف القرشي
٢٤	القول الحسن في عدد زوجات الإمام الحسن عليه السلام	الشيخ وسام البلداوي
٢٥	الولايتان التكوينية والتشريعية عند الشيعة وأهل السنة	السيد محمد علي الحلو
٢٦	قبس من نور الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ حسن الشمري
٢٧	حقيقة الأثر الغيبي في التربة الحسينية	السيد نبيل الحسني
٢٨	موجز علم السيرة النبوية	السيد نبيل الحسني
٢٩	رسالة في فن الإلقاء والحوار والمناظرة	الشيخ علي الفتلاوي
٣٠	التعريف بمهنة الفهرسة والتصنيف وفق النظام العالمي (LC)	علاء محمدجواد الأعسم
٣١	الأنثروبولوجيا الاجتماعية الثقافية لمجتمع الكوفة عند الإمام الحسين عليه السلام	السيد نبيل الحسني
٣٢	الشيعة والسيرة النبوية بين التدوين والاضطهاد (دراسة)	السيد نبيل الحسني
٣٣	الخطاب الحسيني في معركة الطف ـ دراسة لغوية وتحليل	الدكتور عبدالكاظم الياسري
٣٤	رسالتان في الإمام المهدي	الشيخ وسام البلداوي
٣٥	السفارة في الغيبة الكبرى	الشيخ وسام البلداوي
٣٦	حركة التاريخ وسننه عند علي وفاطمة عليهما السلام (دراسة)	السيد نبيل الحسني
٣٧	دعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء ـ بين النظرية العلمية والأثر الغيبي (دراسة) من جزئين	السيد نبيل الحسني
٣٨	النوران الزهراء والحوراء عليهما السلام ـ الطبعة الثانية	الشيخ علي الفتلاوي
٣٩	زهير بن القين	شعبة التحقيق
٤٠	تفسير الإمام الحسين عليه السلام	السيد محمد علي الحلو
٤١	منهل الظمآن في أحكام تلاوة القرآن	الأستاذ عباس الشيباني
٤٢	السجود على التربة الحسينية	السيد عبد الرضا الشهرستاني

٤٣	حياة حبيب بن مظاهر الأسدي	السيد علي القصير
٤٤	الإمام الكاظم سيد بغداد وحاميها وشفيعها	الشيخ علي الكوراني العاملي
٤٥	السقيفة وفدك، تصنيف: أبي بكر الجوهري	جمع وتحقيق: باسم الساعدي
٤٦	موسوعة الألوف في نظم تاريخ الطفوف ـ ثلاثة أجزاء	نظم وشرح: حسين النصار
٤٧	الظاهرة الحسينية	السيد محمدعلي الحلو
٤٨	الوثائق الرسمية لثورة الإمام الحسين عليه السلام	السيد عبدالكريم القزويني
٤٩	الأصول التمهيدية في المعارف المهدوية	السيد محمدعلي الحلو
٥٠	نساء الطفوف	الباحثة الاجتماعية كفاح الحداد
٥١	الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد	الشيخ محمد السند
٥٢	خديجة بنت خويلد أُمّة جُمعت في امرأة – ٤ مجلد	السيد نبيل الحسني
٥٣	السبط الشهيد – البُعد العقائدي والأخلاقي في خطب الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ علي الفتلاوي
٥٤	تاريخ الشيعة السياسي	السيد عبدالستار الجابري
٥٥	إذا شئت النجاة فزر حسيناً	السيد مصطفى الخاتمي